

مَجَلَّةٌ

المجمع العلمي العربي



مركز بحوث وتطوير علوم سورية



الأول من كانون الثاني سنة ١٩٥٤ م

السادس والعشرون من ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ هـ



## (١) مناظرة عالمين

في مجلس المأمون

أيها السادة !

أحييت أن أقدم بين يدي محاضرتي هذه الكلمة توطئة لموضوع المحاضرة فأرجو أن تحسن في سمعكم ، وتحف على طبعكم :

\* \* \*

قامت في هذه الآونة بدمشق مناظرة بين بعض الأساتذة في موضوع أدبي تاريخي ، فكان لأحد الاستاذين رأي خالفه فيه زميله ، وكان إخوان المناظرين وأصدقاؤهم يتنازعون بينهم ، ويرفعون أصواتهم بالتحزب لهذا أو لذلك . أما هما فكانا آخذين في شأنها ، عاكفين على بحثها ، محافظين على هدوئها وأمانتها ، وصلة الزمالة بينهما . وقد ضرب بعض الفضلاء لهذين الاستاذين مثلاً : مطران لندرة والفيلسوف (راسل) ذلك أن المطران والفيلسوف اختلفا في أيّ الأمرين أفضل في إصلاح البشر ؟ (التدين) أو (الإلحاد) . فكان المطران يقول : إن التدين أضمن لسلامة المجتمع البشري وصلاحه . والفيلسوف راسل يقول العكس . وفي آخر الأمر عقد لهما في لندرة مجلس مناظرة ، شهده طائفة من أشياعها : فكان الأشياع والأنصار في ضجيج وصخب . بل في أوار لب ، ونار غضب ، من أجل العصبية للمتناظرين ، والمتناظران في جنة من أمانتها

---

(١) محاضرة للشيخ عبد القادر المريني ألقاها في ردة الحجم العلمي العربي

في ٢٨ آذار سنة ١٩٢٥ .

ورزانتها وحسن تناصفهما وطيب نفسيهما ، غير عابئين بما كان يقومُ ويقعدُ ،  
ويبرئُ ويرعدُ ، وراء جدار غرقتيها .

\* \* \*

حديث المناظرة هذا ، أوحى إليّ موضوع محاضرتي هذه ، وأوقع في نفسي  
ذكري المناظرات الممتعة التي كانت تقع في تاريخ العرب ، وفي مجالس خلفاء  
العرب . ، والتي تدل على فضل علمائنا ، وسعة صدر خلفائنا ، والاستفادة من  
الحريتين العلمية والفكرية ، إذا أطلقنا في ما بيننا . هكذا كان شأن السلف  
حتى كانت أرباب المقالات المذهبية ، وزعماء الفرق والنحل في الاسلام يجلسون  
في جامع الكوفة ، كل منهم في جانبٍ منه ، وكانت تبلغ حلقاتهم بضع عشرة  
حلقة ، ولكلٍ منهم أنصارٍ ومريدون يؤيدونه ، وينبعون قوله . وهناك مخالفون  
له يردون عليه . ويفتخرون رأيه ، وما كان أحد منهم يجرأ على أن يقول  
لمناظره اسكت ولا تقل هذا ، أو لا يجوز لك أن تقول هذا أو أبأنح أمرك  
الى السلطان ، بل كان لهم من حرية الاسلام وحماية الخلافة ما على أساسه  
بنى الأوروبيون حربتهم الفكرية التي كان من نتاجها مدينتهم الحديثة . وقد  
صوّر لنا فيلسوفهم فولتير هذه الحرية ، بألطف تصوير ، وأجمل تعبير مذقال :  
(إنني لا أوافقك على ما تقول ، ولكنني أقاوم جهد طاقتي كل من أراد أن  
يسلبك حريتك في أن تقول ) .

دعونا الآن من الأوروبيين وعودوا بنا الى ما كان من حرية العلم والفكر  
ومجالس المناظرة في تاريخ الاسلام ، وعهد خلفاء العرب الكرام .

\*  
\*\*

لو أقسم مُقسمٌ بأنه لم تقم في القرون الخالية أمة نضاهي الأمة العربية في حب العلم والتفاني باسم العلم ، والتفني في نشر العلم لما كان غالباً ولا حاشاً :  
 وبديهي ان السبب في ذلك هو القرآن الكريم : فقد اتفق علماء التفسير على ان أول كلمة أنزلت من السماء على قلب النبي العربي (ﷺ) هي كلمة (اقرأ) : التي افتتحت بها سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وبعد أن أمره الوحي بالقراءة أرشده الى تمجيد الخالق الذي كان من أكبر نعمه على البشر أن علمهم ما لم يكونوا يعلمون . ومهد بين أيديهم السبل والأسباب لتحصيل العلم . فقال : (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) .  
 وانما قال علم بالقلم لأن القلم آلة الكتابة المعروفة في ذلك العهد . فالوحي نبيهم الى الشكر لله على نعمة آلة الكتابة التي يعرفونها ، فلا ينافي هذا أن نشكر له تعالى على أدوات الكتابة التي هدى اليها البشر فيما بعد : كالقلم الحديدي والقلم الرصاصي وآلة الطباعة والآلة الكتابة التي تسمى بالافرنجية (تايب ريتر) ثم آلة تصوير الكتابة التي اخترعت أخيراً وتسمى (فوتوغرافير) .  
 وقد سمعتُ مرةً بعض شيوخ الدين المتعصبين للقديم يفضلُ كُتُب العلم المخطوطة على الكتب المطبوعة . ويقول إن بالكتب المخطوطة وحدها الفتوح والبركة والفائدة : ذلك لأن الكتب المخطوطة كتبت بالقلم الذي نوه به الوحي الالهي منذ قال تعالى : (علم بالقلم) ولم يقل علم بالطبع ولا بالآلة (تايب ريتر) ويستدل على ذلك أيضاً بتبحر أسلافنا العرب في العلوم ووضعهم المصنفات الكبرى التي كل واحد منها يشبه أن يكون دائرة معارف مما لا يقدر على مثله اليوم إلا الجمعيات المؤلفة من عدة أشخاص . وما ذلك إلا ببركة كتب الخط المكتوبة بقلم القصب ، الكريم الأصل والنسب .

- هذا ما كان يقوله ذلك الفقيه الصالح . ولا يتسع معنا الوقت لمجادلته ؛  
فلترجمها الى وقت آخر . ولتقبل على الموضوع .
- الكلام على ( العلم في أمتنا العربية ) يشتمل على مسائل كثيرة :
- (١) ما ورد من الحضّ على طلب العلم في القرآن والحديث الشريف .
  - (٢) مسائل العلوم التي امتلأ بها القرآن وفاضت بها كتب السنة .
  - (٣) ما روي عن علماء العرب في مزايا العلم والعلماء .
  - (٤) اشتغال علماء العرب بالعلوم ووضعهم المصنفات فيها .
  - (٥) جمع ملوك العرب وعظمائهم للكتب وتشبيدهم دوراً خاصة لها .
  - (٦) عقدهم مجالس المناظرات العامة بين العلماء لأجل تمحيص الحقائق العلمية .
  - (٧) العلوم التي اخترعها علماء العرب أو تناولوها من الأمم القديمة عن كتب فوسعوا دائرتها ، وأصلحوا أصولها ، وفرّعوا مسائلها . ثم استفاد منها الافرنج في نهضتهم ومدنيتهم الحديثة .

\* \* \*

## ( علم المناظرة )

- ومن هذه العلوم ( علم المناظرة ) .
- الداعي لوضع علم المناظرة هو أنه لما كانت العلوم تتزايد يوماً بعد يوم . وكانت مراتب أذهان المشتغلين بها متفاوتة مختلفة . وكان لا يخلو علم من تصادم الآراء ، وتباين الافكار بين أهله - لذلك كلف مست الحاجة الى وضع قانون يقف وقفة الحكم بين الجانبين المتناظرين بشرط أن يراعى فيه الوصول الى الحق . والألّا كان مكابرة ومشاغبة .
- وهذا القانون هو ( علم المناظرة ) وربما كان في قوله تعالى : ( ووضعت الميزان )

إشارة إلى هذا القانون، ولما كان مناه على أساس تأدب أحد المناظرين مع رفيقه سموه أيضاً : آداب البحث .

وقالوا في تعريفه هو :

علم بأصول 'يبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المناظرين . و (موضوعه) الأدلة من حيث أنه يثبت بها المدعى على الغير . و (الفرض منه) تحصيل ملكة المناظرة لئلا يقع الخبط في البحث ويضيع الصواب .

وأشهر المصنفات العربية في هذا الفن (فن آداب المناظرة) هي :

- (١) آداب شمس الدين السمرقندي ، المتوفى في حدود (٦٠٠) للهجرة .
- (٢) آداب عضد الدين الألباني ، المتوفى سنة (٧٥٦) .
- (٣) آداب ابن كمال باشا المتوفى سنة (٩٤٠) .
- (٤) آداب طاشكبري المتوفى سنة (٩٦٢) .

وقد جرت بين علمائنا في العصور المختلفة مناظرات ذات شأن يجد المطالع نموذجاً صالحة منها في كتب التراجم ، ولا سيما في كتاب (معجم الأدباء) لياقوت ، وفي كتاب (الطبقات الكبرى) لتاج الدين السبكي .

أما اهتمام خلفاء العرب وأمراؤهم بالمناظرات فحدث عنه ولا حرج ، وأشهرهم في ذلك بل وفي حب العلم والعلماء (المأمون العباسي) .

سأله يوماً أحد أبناء عمه من بني العباس :

— أيجسن بنا طلب العلم والأدب ؟ (يعني ونحن أبناء ملوك) فأجابه المأمون :

— والله لأن أموت طالباً للعلم خير من أن أعيش قانعاً بالجهل .

— وإلى متى يجسن لي طلب العلم ؟

— ما حسنت بك الحياة .

كانه يقول : مادمت ترى الحياة حسنة بكون طلب العلم حسناً ، والحياة

حسنة مستحسنة بالطبع ، فكذلك ينبغي أن يكون طلب العلم ، ومستند المأمون في رأيه قوله (عليه السلام) : «اطلب العلم من المهد الى اللحد» .

هذا أثر من آثار حب المأمون للعلم ، أما حبه للمناظرات العلمية واهتمامه بأمرها ، فالشاهد عليه ما قاله المؤرخ المسمودي . ونحن ذاكروه لكم ملخصاً :

«بعد أن قضى المأمون نهمته من العلوم القديمة ودراسة كتبها ، انصرف عنها الى علم الكلام على طريقة المعتزلة ، وجعل يجالس المتكلمين ويقرب الجدليين والنظارين : كالنظام وأبي الهذيل وغيرهما من كان يوافقهم أو يخالفهم (أي أن المأمون ما كان يقصر عنابته على علماء مذهبه المعتزلة بل كان يفسح صدره ومجلسه لعلماء الفرق على اختلاف آرائهم ومشاربهم) . وكان يستقدم العلماء من الأمصار البعيدة . ويجري عليهم الأرزاق . فرغب الناس في صناعة النظر والمناظرة . وتعلموا البحث والمجادلة . ووضع كل فريق منهم كتباً ينصر فيها مذهبه . ويؤيد نحلته . رافعاً بذلك صوته من دون خوف ولا إجمام . وقد خصص المأمون يوم الثلاثاء من كل أسبوع للمناظرة . ووضع لذلك ترتيباً خاصاً : فإذا حضر المتناظرون من أرباب المقالات أدخلوا حجرة مفروشة . وقيل لهم : اتزعوا نعالكم . ثم تحضر الموائد ، ويقال لهم : أصيبوا من الطعام والشراب ، وجددوا الوضوء ، ومن خففه ضيق فلينزعه . ومن ثقلت عليه فلتسوته فليضعها . فإذا فرغوا أتوا بالمحارم فبخروا وطيبوا . ثم يخرجون الى المأمون فيستدنيهم ، حتى يدنون منه ، وينظروهم أحسن مناظرة وأنصفياً وأبعداً من مناظرة المتجبرين ، فلا يزالون كذلك الى أن تزول الشمس وهو وقت الظهر . ثم تُنصب الموائد مرة ثانية للعشاء فيطعمون وينصرفون» .

\* \* \*

وإني أيها السادة ذاكر لحضراتكم في موقفي هذا إحدى المناظرات العجيبة التي جرت في مجلس المأمون وكان لها دوي عظيم في ذلك الزمان ، وتأثير كبير في نفوس أهله ، بل إنها خففت من غلوة المأمون أيضاً في بعض آرائه ،



وذلك لأنها تعلقت بمسألة علمية دينية فلسفية : هي أول مسألة قامت حولها  
الندانان والمجادلات بين علماء العرب في عصرهم الأول وشرطتهم شطرين :  
( معتزلة ) - و ( سنة ) تلك المسألة هي :

( هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق ) ؟

وموضع الخطورة في هذه القضية : أننا إذا قلنا إن القرآن مخلوق . يقال لنا :  
كيف يكون مخلوقاً وهو كلام الله وكلامه قديم كذاته . وإذا قلنا إنه غير  
مخلوق : كيف نقول انه غير مخلوق ونحن نسمعه أصواتاً ، ونكتبه حروفاً ،  
ونجمله مصحفاً ، ونحمله بأبدينا من مكان الى آخر . هذا ظاهر الخلاف  
في هذه المسألة . وربما كان له باطن لا يمكننا التصريح به ، ولا الاشارة اليه  
في هذا الوطن . وإنما نقول بالاختصار : إذا أردنا من القرآن كلام الله كان  
قديماً لأنه يكون إذ ذاك عبارة عن صفة من صفاته تعالى وهي قديمة . وإن  
أريد بالقرآن ما عدا الصفة القديمة من صوت مسموع . ومصحف مصنوع  
كان حادثاً .

هذه المسألة على بساطتها ووضوحها كان لها في تاريخ الاسلام الديني أسوأ  
الأثر . وآل الأمر فيها الى أن يسجن مثل الامام أحمد بن حنبل وبقيد  
وبعذب . وكان سواد الأمة ومعظم علمائها من الفريق القائل بأن القرآن  
قديم . أما الفريق القائل بأنه حادث ويسمى المعتزلة فاتفق له من بعض خلفاء  
بني العباس من يأخذ بقوله . ويحمل الناس عليه . ومن ثم كانت صولته  
أشد . وعامل جبروته أنفذ . وكان من هؤلاء الخلفاء الذين أبدوا القول  
بالحدوث الخليفة ( المأمون ) . فكان هذا الخليفة على ما فيه من علم صحيح ،  
وعقل حصيف ، يشدد على الناس . ويكلفهم القول برأيه ومذهبه . فكان  
الناس لهده يستترون في بيوتهم . وينقطعون عن شهود الجمعة والجماعة ويتسللون

من بلد الى بلد خشية الفتنة والإرهاق . وقد مُنِعَ الفقهاء والمحدثون من القعود للناس في المسجد الجامع الواقع في الجانب الشرقي من الرُصافة وفي غيره من المواضع : إلا (بشراً المرئسي) و (محمد بن الجهم) ومن رأى رأبهما من علماء المعتزلة القائلين بحدوث القرآن . وكل من أظهر مخالفتهم فيد إليهم . وُعرض قوله عليهم . فإن أصرَّ نُكِّلَ به أو نفي من الأرض . وكان كثيرون من العلماء يوافقونهم في الظاهر خوفاً على أنفسهم . وفي الباطن يبرأون الى الله مما أعلنوه .

\* \* \*

شاع أمر هذه الحنة في بغداد . وجعل أهل الأمصار الاسلامية يتداولون خبرها . ويتعوذون بالله من شرها .

قال (عبد العزيز بن يحيى الكناني) : (وهو من جماعة<sup>(١)</sup> أهل السنة) :  
اتصل بي وأنا في مكة ما ابتلي به الناس في بغداد ، وكيف استطال عليهم بشر المرئسي ، ولبس على (المأمون) وخواص مملكته ، فأطال همي هذا الخبر ، وأطار نومي ، فخرجت من مكة ، متوجهاً الى ربي . وأسأله سلامتي ، حتى قدمت بغداد ، فشاهدت من غلظ الأمر وامتداده أضعاف ما كان يصل إلي . وبعد أن وصل (عبد العزيز الكناني) الى بغداد جعل يبتهل الى الله أن يسدده وبنبت قدمه ويرشده الى طريقة يتوصل بها الى قهر تلك الفئة الجائرة . فبدأ له أن يُخفي أمره عن الناس جميعاً خشية أن يُنكَلَّ به قبل أن يُسمع كلامه . ثم خطر له خاطر عجيب وهو أن يقف بعد صلاة الجمعة في جامع الرُصافة . ويرفع صوته بمخالفة المعتزلة . وتسفيه آرائهم ، وطلب محاجتهم . فإن اشهاره نفسه على هذه الصورة يحول دون البطش به ، قبل مناظرته ، واستماع قوله .

(١) توفي سنة « ٥٢٤٠ هـ » .

ثم ذهب عبد العزيز ومعه ابن له صغير الى جامع الرصافة يوم الجمعة ولم ينكد ينتهي الإمام من الصلاة حتى سمع الناس من الصف الأول حياال المنبر صوت رجل مكّي الزبيّ ، مجازيّ اللهجة ، واقف على قدميه . 'ينادي بأعلا صوته ابنه ( وكان أقام ابنه قبالة عند الأستطوانة الأخرى ) قائلاً :

الأب : ما تقول في القرآن يا بُنيّ ؟

الابن : كلام الله منزل غيرُ مخلوق يا أبت .

فارتاع الناس لهذه المحاوره ، وهربوا على وجوههم خارجين من المسجد فأمرعت الشرطة فاحتملوا عبد العزيز وابنه الى رئيسهم (عمرو بن مسعدة) وهو من أشهر رجال دولة المأمون ، وقد اتفق بحبيته يومئذ ليصلي الجمعة في جامع الرصافة . (ولما وقف عبد العزيز وابنه بين يديه) سأله :

رئيس الشرطة : أمجنون أنت ؟

عبد العزيز : لا .

الرئيس : أموسوس أنت ؟

عبد العزيز : لا .

الرئيس : معتوه ؟

عبد العزيز : لا ! والحمد لله . واني لصحيح العقل ، جيد الفهم .

الرئيس : أمظلم أنت ؟

عبد العزيز : لا .

فالتفت رئيس الشرطة الى رجاله وقال لهم : 'مرؤوا بالرجل وابنه سحياً الى

الدار ( أي دار الشرطة ) .

فاحتملها الشرطة وجعلوا يعذبون بها عدواً شديداً ، وأيديها في أيديهم

يمنةً ويسرةً . حتى صاروا بها الى ( دار الرئيس ) على هذه الحالة المنكرة .

وكان رئيس الشرطة ضيقهم اليها . فأدخلا عليه وهو جالس في صحن الدار على كرسيٍّ من حديد وشواره<sup>(١)</sup> عليه . فسأله قائلاً :

الرئيس : من أين أنت ؟

عبد العزيز : من مكة .

الرئيس : ما حملك على ما صنعتَ بنفسك ؟

عبد العزيز : طلبتُ القُرْبَةَ الى الله . ورجوتُ الزاني لديه .

الرئيس : هلاً فعلتَ ذلك سرّاً من غير نداء . ولا اظهار مخالفة لأمير المؤمنين .

ولكن أردت الشهرة والرياء والسؤدد . لتأخذ أموال الناس بالباطل .

عبد العزيز : ما أردتُ إلا الوصول الى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه .

الرئيس : وهل تُقدم على المناظرة بين يدي الخليفة ؟

عبد العزيز : نعم . وهذا ما قصدته وبلغت بنفسي ما ترى . وتفريري بنفسي .

وسلوكي البراري أنا وولدي . رجاء تأدية حق الله فيما استودعني

من العلم والفهم في كتابه . وما أخذهُ عليّ وعلى العلماء من البيان

(فليتأمل علماء هذا الزمان) .

الرئيس : لعلك جعلتَ هذا سبباً لغيره من المطالب بمد أن تصل الى

أمير المؤمنين . إذا كنت تنوي ذلك فقد حلّ ذلك .

عبد العزيز : إن تكلمتُ في شيء غير هذا ، وجعلتُ هذا ذريعة له فدمي حلال .

فوثب رئيس الشرطة عن كرسيه . وقال لأعوانه: أخرجوه بين يدي الى الخليفة .

(١) والشوار بفتح الشين اللباس والزينة ، فشوار رئيس الشرطة وشوار أسماء

الجند : هو اللباس الرسمي ذو الطراز والزرَكَمَة الذي يدل على مرتبتهم .

أما اذا قالوا أقبل الوزير وسواده عليه فيمتون بالسواد اللباس الأسود الذي

كان يلبسه القضاة والوزراء وكبار الكُتّاب . فهو لباسهم الرسمي وعلم أخذ

الأتراك الثمانيون لباس السواد الرسمي .

قال عبد العزيز : فأخرجوني أنا وابني بين يديه وهو راكب على فرسه ،  
وجعلوا يعدون بنا في شوارع بغداد على وجوهنا وأيدبنا في أيديهم حتى وصلنا  
الى قصر الخلافة في الجانب الشرقي من بغداد .

فدخل رئيس الشرطة على المأمون . وبقيت أنا وابني في الدهليز واقفين على  
أرجلنا ، فأطال . ثم خرج الى حجره له وأمر أعوانه باحضاري . ثم افتتح  
الحدث معي قائلاً :

الرئيس : أخبرت أمير المؤمنين بخبرك وما فعلته في المسجد وما سألكه من  
الجمع بينك وبين مخالفيك للمناظرة بين يديه ، وقد أمر - أطال الله  
بقاءه وأعلى أمره - بإجابتك الى ما سألت . وأمر بجمع المناظرين  
من العلماء الى مجلسه - أعلاه الله - في يوم الاثنين الأدنى ، وقال  
أنه سيحضر هو بنفسه معكم . فتتناظرون بين يديه ويكون هو  
الحكم بينكم .

عبد العزيز : أطال الله بقاء مولانا أمير المؤمنين . وأيدد دونه .

الرئيس : أعطنا كفيلاً بنفسك حتى تحضر معهم يوم الاثنين . وليس بنا  
حاجة الى حبسك .

عبد العزيز : أدام الله عزك ! أنا رجل غريب ، ولست أعرف في هذا البلد  
أحدًا . ولا يعرفني من أهلها أحد . فمن أين لي من يكفل بي .  
وعلى الأخص بعد أن أظهرت مقالتي . لو كان أهل بغداد يعرفونني  
حق المعرفة لتبرأوا مني ، وهربوا من قربي ، وأنكروني .

الرئيس : نوكل بك من يكون معك حتى يحضرك في ذلك اليوم وتنصرف  
الآن فتصلح من شأنك . وتفكر في أمرك . فاعلمك ترجع

عن غيبك . وثوب من فعلتك ، فيصيح أمير المؤمنين عنك .

عبد العزيز : ذلك اليك أعزك الله فافعل ما رأيت .

ولما جاءت غداة يوم الاثنين • حملَ عبد العزيز مكرماً الى دار الخلافة  
وأدخل الى حجرة (رئيس الشرطة) فسأله هذا : عما اذا كان لم يزل مقبلاً  
على رأيه • ثم نصح له وحذره • وخوفه عاقبة مخالفته أمير المؤمنين فيما إذا  
ظهر عليه مناظره • وإنه لابس حبيئذٍ إلا السيف • وإنه إن كان ندم ورجع  
عن مقاله فإنه يسأل العفو عنه من أمير المؤمنين • وضمن له جائزة وقضاء  
ماله من حاجة •

فأجابه عبد العزيز : بانه ما خرج من بلده (مكة) إلا لإقامة الحق •  
الرئيس : وقد وقف على رجليه : - قد حرصتُ على خلاصك أيها الرجل  
جهدي • وأنت حريصٌ على سفك دمك جهدي •  
عبد العزيز : معونةُ الله أعظم وألطف من أن ينساني • وعدلُ أمير المؤمنين  
أوسعُ من أن يضيق عني •

وكان قد صدر أمر الخليفة المأمون الى أقاربه أشياخ بني هاشم أن يركبوا  
الى قصر الخلافة في يوم الاثنين لأجل شهود المناظرة ، والى الفقهاء والقضاة  
الموافقين للمتمزلة على مذهبهم ، والى سائر المتكلمين والمناظرين أن يحضروا ،  
والى القواد والأولياء (١) أيضاً •

ففي يوم الاثنين هذا ركب المدعوون كلهم بالسلاح لإحداث الهيبة في نفس  
عبد العزيز وفي نفوس الذين على رأيه ، ومن يوشك أن يفسدهم بعقيدته •  
قال عبد العزيز :

ثم أذن لي بالدخول الى الخليفة ، فدخلت ثم لم أزل أتل من دهليز الى

(١) المراد بالأولياء الموالون والياليون بالحب والاخلاص للخلافة ، وليس المراد  
بالأولياء ما نفهمه نحن اليوم من انهم اهل الباطن وشيوخ رجال الطريق  
وكبار المتصوفين والمشهورين بالكرامات •

دهليز . حتى وصلت الى (الحاجب) أي صاحب الستر الذي علي صحن دار الخلافة .

قال عبد العزيز : ولما بلغت الحاجب سألتني إن كنت أحتاج الى تجديد الموضوع ؟ فقلتُ مالي الى ذلك حاجة . فقال : ار كع ركعتين . فصلى عبد العزيز أربع ركعات بدل الركعتين ودعا الله بقلب سليم . عندها قال له الحاجب : استخِر الله . وقم فادخل .

قال عبد العزيز : ثم أزاح الحاجب الستة ، وتقدم الي خدام القصر ، فأخذوا بيدي وعضدي . وجعل جماعة منهم أيدِهم في ظهري وعل رقبتي ، وطفقوا يعدون بي عدواً شديداً في صحن الدار ، فنظرني الخليفة المأمون من بعيد ، فسمعت صوته يقول ، خلدوا عنه ، خلدوا عنه . وكثر ضجيج الحجاب وقواد المسكر ورفعوا أصواتهم مرددين كلمة الخليفة : (خلوا عنه ، خلوا عنه) . فخلدوا عني . وقد كاد يتغير عقلي من شدة الفزع . ومن كثرة ما رأيت من أنواع السلاح ، الذي ملأ صحن القصر . وكنتُ قليل الخبرة بدار الخلافة . مارأيتها قبل ذلك ولا دخلتها .

فلما أوصلني الحجاب الى باب ديوان الخليفة وقفت . فسمعت (المأمون) يقول : أدخلوه وقرئوه . فلما دخلت من باب الديوان ، وقعت عيني عليه . وقبل ذلك لم أكن انتهت اليه من كثرة ما كانت على الباب من القواد والحجاب فقلت :

— السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

— وعليكم السلام ورحمته وبركاته . ثم قال : أذنُ مني . فدنوتُ منه .

ثم جعل يقول : أذنُ مني . فدنوتُ منه . ثم جعل يقول : أذنُ ، أذنُ . ويكرر ذلك . وأنا أذنو خطوةً خطوة . حتى وصلتُ الى الموضع الذي

يجلس فيه المتناظرون . ويُسمع كلامهم . والحاجب معي يقدمني . فلما انتهيت الى موضعي . قال لي المأمون : اجلس فحاست . ولم أكد أستقر حتى سمعت رجلاً من جلساء الخليفة يقول : يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا الرجل قبحُ وجهه . فوالله ما رأيتُ أقيح وجهاً منه .

قال عبد العزيز : فسمعتُ قول هذا الرجل وفهمته وما رأيتُ شخصه الكثرة ما أنا عليه من الجزع والرعدة . وقد لاحظ المأمون مني ذلك الخوف وما قد نزلَ بي من الهول . فجعل ينظر إليّ من طرف عينه وأنا أنتفض وأرتعد . فأحبُّ أن بوأسي ويسكن روعتي ، فطفق بكثرة من الكلام مع جلسائه . وبكلم رئيس الشرطة ( عمرو بن مسعدة ) . وبتكلم بأشياء لا مناسبة لها في المجلس ، وهو يريد بذلك كله إنباسي ، وتسكين اضطرابي . ثم أدار نظره في الدبوان وجعل يطيل التأمل في الجدران ، فوقعت عيناه على موضعٍ من نقش الجصّ قد انتفخ . فقال مخاطباً رئيس الشرطة ( عمرو بن مسعدة ) : يا عمرو ! أما ترى هذا النقش في الجصّ قد انتفخ وسبقه ؟ فبادر الى قلعه وعمله . فقال عمرو : قطع الله يد صانعه : فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا .

ثم أقبل المأمون على عبد العزيز يسأله :

المأمون : ما الامم ؟

عبد العزيز : عبد العزيز .

المأمون : ابن من ؟

عبد العزيز : ابن يحيى بن مسلم .

المأمون : وما اسم جدك ؟

عبد العزيز : ميمون الكناني .

المأمون : أو أنت من كنانة ؟

عبد العزيز : نعم يا أمير المؤمنين .



وسكنت المأمون هنيئة لا يتكلم . ثم سأله :

المأمون : ومن أي البلاد أنت ؟

عبد العزيز : من الحجاز .

المأمون : من أي الحجاز ؟

عبد العزيز : من مكة .

المأمون : ومن تعرف من أهل مكة ؟

عبد العزيز : يا أمير المؤمنين قل من بها من أهلها الا وأنا أعرفه . إلا رجل

لجأ إليها أو من جاور بها فاني لا أعرفه .

المأمون : أتعرف فلاناً وفلاناً . وجعل بعدد جماعة من بني هاشم .

عبد العزيز : نعم يا أمير المؤمنين أعرفهم .

المأمون : وأنسابهم وأنسألم ( و ذكر شيئاً من ذلك ) .

عبد العزيز : نعم . ( وأجابته عما سأل ) .

قال عبد العزيز : وإنما أراد المأمون إيناسي وإزالة الوحشة عني فأنشط للكلام

والتناظرة . وبالفعل ذهب عني ما كنت فيه من الجزع . وجاءت المعونة من الله .

فقوي بها ظهري . واشتد قلبي . واجتمع فهمي .

ثم أقبل المأمون علي وقال : يا عبد العزيز ! إنه قد بلغني ما كان منك .

وقيامك في المسجد الجامع . وقولك ان القرآن كلام الله غير مخلوق . بمحضرة

الناس وعلى رؤوس الخلائق . وما كان من مسألتك أن يجمع بينك وبين مخالفيك

لتناظرهم في مجلسي ، ثم أستمع منك ومنهم . وها أنا ذا قد جمعت المخالفين لك

لتناظرهم بين يدي . وأكون أنا الحكم بينكم . فان تبينت الحجة لك عليهم

وظهر الحق معك اتبعناك . وان تكمن لهم الحجة طيك والحق معهم عاقبتك .

وان اشتقت واستغيت أفلناك وعافيناك . ثم أقبل بوجهه على ( بشر الزيسي )

وقال له : يا بشر ! قم الى عبد العزيز فناظره وأنصفه .

فوثب بشر من موضعه كالأسد يثب إلى الفريسة فرحاً . فأنحط علي .  
 ووضع ركبته وفتحده الأيسر على فخذي الأيمن فكاد أن يحطمه . وغمز عليّ  
 بقوته كلها . فقلت له مهلاً : إن أمير المؤمنين لم بأمرك يقتلي ولا بظلمي .  
 وإنما أمرك بمنظرتي وإنصافي : فصاح به المأمون وقال : تنح عنه يا بشر ،  
 وكرّر ذلك عليه . حتى باعده عني . ثم أقبل المأمون عليّ وقال : يا عبد العزيز  
 ناظره على ما تريد . واحتجّ عليه ، ويحجج عليك ، ونسأله ويسألك ، وتناصفا  
 في كلامكما ، وتحفظا ألفاظكما . فقلت : السمع والطاعة لأمر المؤمنين .  
 قال عبد العزيز : ولكنني لم أرد أن أشرع في المناظرة قبل أن أنتقم  
 من ذلك الرجل الذي سمعته في المجلس يعيبي ويقول عني : إنني قبيح الوجه  
 مشوه الخلق . فقلت في الرد عليه مخاطباً الخليفة :

يا أمير المؤمنين ! إن يوسف الصديق الذي هو أحسن البشر وجهاً كان  
 حسنه وبالأعلى عليه ، فظلم وصين . ولما وقف ملك مصر على صفة علمه وحسن  
 مهارته في تعبیر الرؤيا صيره على خزائن الأرض . وفي آخر الأمر اعتزل الملك  
 الأمور وصار كأنه من تحت يد يوسف .

وبدبهي أن هذه المنزلة التي نالها يوسف ليست إلا لعلمه وفضله ، لا لجماله  
 وحسن وجهه ، وقال يوسف للملك : اجعلني على خزائن الأرض ، إني حفيظ  
 عليم . ولم يقل : اجعلني عليها لأنني حسن جميل . فوالله ما أبالي يا أمير المؤمنين  
 إن كان وجهي أقبج مما هو الآن ما دام أن ربي أعطاني والله الحمد من فهم  
 كتابه ، والعلم بتفسيره ما أعطاني .

فتعجب المأمون من قول عبد العزيز ولم يفهم الداعي إليه فسأله :

— أي شيء أردت بهذا القول . وما الذي دعاك إليه ؟

فأجابه عبد العزيز : إني سمعت واحداً من جلسائك يقول : ( يا أمير المؤمنين  
 يكفيك من كلام هذا قبيح وجهه ) فأني عيب بلحقتني في صنعة ربي عز وجل .

فتبسم المأمون حتى وضع يده على فمه . فقالت : يا أمير المؤمنين ! قد رأيتك تنظر الى نقش الجص في الحائط وتذكر انتفاخ الجص ، وسمعت رئيس الشرطة يعيب الصانع ولا يعيب الجص . فقال المأمون : نعم ! العيب لا على الشيء المصنوع ، إنما العيب على صانعه . فقالت : صدقت يا أمير المؤمنين وقلت الحق . فهذا الرجل الذي عاب وجهي يعيب ربي لم خلقتي قبيحاً !! فازداد المأمون تبسماً حتى ظهر ذلك عليه . ثم قال : يا عبد العزيز ! ناظر صاحبك ، فقد طال المجلس بغير مناظرة .

عندها دخلاً في الجدل وأخذ كلٌّ منها يسرد النصوص استدلالاً على مذهبه . الى أن سأل بشر المعتزلي عبد العزيز سؤالاً وكأنه الجواب عليه ، وواقفه المأمون قائلاً : هذا يلزمك يا عبد العزيز !!

فلما سمع رفاق بشر الحاضرون في المجلس كابين الجهم وغيره كلام المأمون بالموافقة على طلب بشر جعلوا يضحون ويقولون : ظهر أمر الله وهم كارهون . جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . وطمعوا في أن المأمون يبطش بعبد العزيز .

واستوى بشر في جلسته وجثا على ركبتيه . وجعلوا يقولون : أقرّ والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن .

أما عبد العزيز فأمسك عن الجواب ، ولم يرد عليهم . فقال له المأمون : مالك لا تتكلم يا عبد العزيز ! فقال : ان الذي بناظرني هو بشر . وقد سألتني وانتظر مني الجواب ، فضجيج هؤلاء أيش هو ؟ وأنا لم أقطع ولم أعجز عن الجواب ، ولست أتكلم ما لم يسكتوا .

فصاح المأمون بمحمد بن الجهم ومن معه أن يسكتوا فسكتوا ، ثم أقبل عليّ وقال : تكلم يا عبد العزيز واحتج لنفسك . فجعل عبد العزيز يتدفق في الكلام وسرد الحجج كأنه السيل .

فصاح بشر : يا أمير المؤمنين ! لو تركته يتكلم لجاء بالترهات .  
 فقال عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! قد جئتُ أنا بالحجج ورضي بشر  
 وأصحابه بالضجيج ، وقطع المجلس ، ومحاولاة التملص والخلاص ، ولا خلاص  
 من الله حتى يُظهر الحق ويُزهق الباطل . قال عبد العزيز : فتبسم المأمون  
 حتى غطى فمه بيده ، وأطرق ينكت الأرض باصبعه .

ثم صاح المأمون : يا بشر ! أقبل على صاحبك ، ودع هذا الضجيج .  
 وعادا الى المناظرة مجدداً ونشاطاً . وكان كما ذكر بشرٌ دليلاً على مذهبه ،  
 نقضه له (عبد العزيز) بأدلة من القرآن ، حتى كأنما آياته كلها مرسومة  
 تحت عينيه .

مثال ذلك : أن (بشراً) استدلى على خلق القرآن فقال : لا جدال أن  
 القرآن شيء من الأشياء ، والله تعالى يقول في كتابه العزيز إنه (خالق  
 كل شيء) فيكون القرآن من تلك الأشياء التي خلقها .  
 فأجابه عبد العزيز بما خلاصته :

قال تعالى : (ويحذركم الله نفسه) ، فالله نفس . ثم قال في آية أخرى :  
 ( كلُّ نفس ذائقة الموت ) ، فهل تقول يا بشر ! إن نفس الله داخلة في هذه  
 النفوس التي تذوق الموت ؟

فصاح المأمون بأعلا صوته وكان جهوري الصوت : معاذ الله ! معاذ الله !  
 وهكذا كان عبد العزيز يدحض حجج خصمه بشر . وبكسر أقواله  
 بالكتاب والسنة والقياس ، حتى قال له المأمون أخيراً أحسنت يا عبد العزيز .  
 ثم أمر له بمشرة آلاف درهم . فحملت بين يديه . وانصرف من مجلسه  
 على أحسن حال وأجملها .

قال عبد العزيز : ولم يشع خبر هذه المناظرة بين اخواني أهل السنة . حتى

مُسْرُوا جميعاً بما وهبه الله لهم على بديء من إظهار الحق . وقع الباطل .  
 وانكشف عن قلوبهم ما كان اكتنفتها من الغم والحزن . وجعل الناس يحيئون  
 الى زيارتي مهئين أفواجاً أفواجاً . فخشيتُ على نفسي العاقبة . فأغلقت بابي  
 واحتجيت عنهم . خوفاً على نفسي بل خوفاً عليهم من مكروه بلحقهم بسبيي .  
 ثم ألحوا عليّ قائلين : لا بد أن نتملي علينا ما جرى بينكما من الاحتجاج لتعرفه  
 وتعلمه . فتهيئتُ ذلك ، وتخوّفتُ سوء عاقبته . فلما أكثروا من الإلحاح ،  
 قلتُ : أنا أذكر لكم بعض ما جرى مما لا يلحقني ضرر بذكركم فرضوا به .  
 فأملتُ عليهم أوراقاً ، أودعتها تنقاً من أخبار المناظرة ثم وزعتها بينهم .  
 ليشغلوا بها عني ، وينقطعوا عن ملازمة بابي .

\* \* \*

هذا أيها السادة ما سمعته الوقت من أخبار هذه المناظرة التاريخية الممتعة ،  
 على أنني لم أذكر من متعلقاتها إلا ما كان فيه دلالة على عادات ذلك العصر  
 ومشارب أهله ، وأخلاق علمائه ، ولا سيما أخلاق ( المأمون ) وحلّه وإنصافه .  
 ولو أنني توسعتُ فذكرتُ لكم مسائل المناظرة نفسها وسردتُ المناقشات  
 العلمية والنصوص الدينية التي كان يتداولونها ويبحثان فيها : من جهة اللغة تارة ،  
 ومن جهة القياس تارة أخرى - لو سردتُ ذلك لكم ، لضاقت منكم الصدور ،  
 ولكنكم لكم في الانفضاض من حول محاضركم أجل العذر .

المغربي

## الاشتقاق

- ٣ -

خراش - اشتق من الحارشة مخارشة الكلاب وقتل بعضها بعضاً<sup>(١)</sup> .  
عدي - سمي بالقوم يحملون في القتال . يقال : رأيت عديَّ القوم .  
قال الشنفرى :

لها وفضة فيها ثلاثون سيجماً اذا أنست أولى العديّ اقشعرت<sup>(٢)</sup>

(١) القاموس : خرّشه يخرّشه خردشه . ولعياله كسب لهم وطلب لهم  
الرزق كأخرش فيها . والبعير اجتذبه بالخروش وهو الخجف . وبمعير مخروش  
ومم سمة الخراش ككتاب وهي مسنطيلة . وأبو خراش 'خو' بلد بن 'مرة' الهذلي  
شاعر . وكبُ خراشٍ مضافاً كهراش . وخراش عن أنس كذاب .  
اللسان : الخرش الخدش في الجسد كله . قال الليث : الخرش بالأظفار  
في الجسد كله . يقال : خرشه يخرشه خرشاً . وكبُ خراش . وخرشه الدباب  
وخرشه اذا عضه ، والخرشة بالتحريك ذبابة . والخرشة الدباب . وبها سمي الرجل  
وخرشة وخراشة وخراش ومخارش كلها أسماء وسماك بن خرشة الأنصاري .  
وأبو خراش الهذلي بكسر الخاء . وأبو خراشة بالضم .

(٢) الأساس : مرء غزريّ بني فلان وعديّيم وهم الذين يعدون على أرجلهم .  
ولم يزل بنو فلان حجيماً غزياً : أي حجاجاً غزاة . القاموس : عدا عدواً  
وعدواً وعدواناً محرّكة الى أن قال : وكفريّ جماعة القوم كالعادة فيها .  
أو هي للفرسان . الخمص : السيف من النصال الطويل . وقيل : العريض  
وأنشد البيت ثم قال : وقد تقدم أنه الطويل من الناس . والبيت المستشهد به -

- طابخة — يقال : ان ابني الياس طابخة ومدركة طلبا ابلاً لها ذهبت ، فقعد طابخة يصنع طعاماً ومضى مدركة فأدرك الابل فسميا بذلك <sup>(١)</sup> .
- معبد — اشتق من العبد وهو الغضب . يقال : عبد الرجل اذا غضب <sup>(٢)</sup> .
- غزبة — اشتق من الغزو . ويقال للقوم اذا غزوا مرة غزبي القوم <sup>(٣)</sup> .

— من قصيدة أوردها الضبي في مفضلياته مستهلها :

ألا أم عمرو أجمت واستقلت وما ودعت جيرانها إذ تولت  
والوفضة : الجبة . وفي القاموس : خريطة الراعي لزاده وأداته . والجبة  
من آدم جمه جماب . والسيحف السهم العريض النصل الطويل .

(١) القاموس : والطابخة الهاجرة . ولقب عامر بن اليأس بن مضر . وولد  
الياس عمراً وهو مدركة وعماراً وهو طابخة . وعميراً وهو قومة . وأمهم خندف  
كزبرج وهي لبل بنت حلوان بن عمران . وكان الياس خرج في نجعة فنفرت  
إبله من أرنب فخرج اليها عمرو فأدركها . وخرج عامر فتصيدها وطبخها .  
واقتمع عمير في الخباء ، وخرجت أمهم تسرع . فقال لها الياس : أين تخندفين ؟  
فقلت : ما زلت أخندف في إثركم فلقبوا مدركة وطابخة وقمة وخندف .  
وحسين بن ميمون الخندفي يحدث . ومحمد بن عبد الغني الخندفي له ذكر .  
والخندفة أن يمشي مفاجئاً ويقاب قدميه كأنه يقرف بها وهو من التبختر .

(٢) القاموس : والعبد بالتحريك الغضب ، والحرب الشديد ، والندامة ، وملامة  
النفس ، والحرص ، والانكار . عبد كفرح في الكل . وسما عباداً ، وعباداً ،  
ومعبداً ، وعبيدأ ، واعبدأ ، وعبادأ ، وعابدأ ، وعبيدأ .

(٣) مرة كلام في عدي بتمامي بهذا الحرف . وفي القاموس : وسما غزابة ،  
وغزبة كغنية اه قال الشاعر :

وما أنا الا من غزبة ان غوت غويت وان ترشد غزبة أرشد  
وفي الأساس : مرة غزي بني فلان وعديهم وهم الذين يعدون على أرجلهم  
ولم تزل بنو فلان جيباً غزياً أي حجاجاً غزاة .

السائب — يقال للماء : ساب يسبب سيباً اذا جرى على وجه الأرض <sup>(١)</sup> .  
 'جلاح — من الجَلَح . والجَلَح ذهاب شعر مقدم الرأس . يقال : رجل  
 مجلوح وجليح وجلاح كما يقال : طويل وطوال <sup>(٢)</sup> .  
 جلهمة : اشتق من جلهمة الوادي وهو ما استقبلك منه اذا تلقيته [ وأصله من  
 الْجَلَه ] فالعرب تزيد الميم في أشباه ذلك . فيقال : فسحمت فترى انه من الانفساح .  
 ويقال للرجل اذا كان عظيم العجيزة ستهم ، فترى انه اشتق من الاست . ويقال  
 للأزرق : زرق . ويقال للناقة اذا أسنت فانكسرت أسنانها : ذلقم . ويقال  
 للشديد الذي لا يخرج منه شيء خرز وناقة خرز <sup>(٣)</sup> .

(١) المصباح : ساب الفرس ونحوه يسبب سيباً اذا ذهب على وجهه . وساب  
 الماء جرى فهو سائب . وباسم الفاعل سبي . وسببته بالتشديد فهو سيب .  
 وباسم المفعول سبي . ومنه سعيد بن المسيب . وهذا الأشهر فيه ، وقيل :  
 سعيد بن المسيب اسم فاعل .

(٢) المصباح : جلع الرجل جلحاً من باب تعب اذا ذهب الشعر من جانبي مقدم  
 رأسه فهو أجلع . والمرأة جلحاء والجمع جلع مثل أحمر وحمرأ وحمر . والجلحة  
 مثل قصبه موضع انخسار الشعر . وأوله النزاع ثم الجلع ثم الصلع ثم الجله وشاة  
 جلحاء لا قرن لها . القاموس : وكفراب السيل الجراف . ووالد أحيمة .

(٣) القاموس : الجلهمة بالضم حافة الوادي وناصيته ويفتح . والشدة .  
 والخطبة . والامر العظيم أو امم . قال أبو هفان المهزبي : جلهمة امم رجل  
 بالضم منقول من الجلهمة لطرف الوادي . قال : والمحدثون يخطنون ويقولون  
 الجلمحتين . قال ابن الأثير : زبدت فيه الميم كما زبدت في زرق وسهيم .  
 وقال الأزهري : العرب زادت الميم في حروف كثيرة منها قولهم : فصل الشيء  
 اذا كسره وأصله فصل . وجلط رأسه اذا حلقه . وفرصم الشعر اذا قطعه —



نحوشب — وهو العظم الذي في بطن الحافر • والحوشب المنتفخ الجنبين<sup>(١)</sup> •  
مضر — وأصله من اللبن وهو الحازر<sup>(٢)</sup> •

ويقال : جحوش للغلام الذي قد غلظ ولم يحتمل ، قال الشاعر :

قتلنا محلاًداً وابني حراق وآخر جحوشاً فوق الفطم<sup>(٣)</sup>

— وأصله فرص • واختار ابن عصفور انه علم مرتجل قيمه أصلية • ورده  
أبوحيان : بان الارتجال لا ينافي الاشتقاق • وجلمهم اسم امرأة أنشد سيبويه  
للأسود بن يعفر :

أودى ابن جلمهم عباد بصرمته ان ابن جلمهم أمسى حية الوادي

أراد المرأة ولذلك لم يصرفه • قال سيبويه : والعرب يسمون الرجل جلهمه  
والمرأة جلهم •

(١) القاموس : والحوشب الأرنب ، والعجل والثعلب الذكر والضامر •  
والمنتفخ الجنبين ضد • وموصل الوظيف في رُسخ الدابة • أو عظم في بطن  
الحافر بين العصب والوظيف • أو عظم صغير كالتلامي بين رأس الوظيف  
ومستقر الحافر • أو عظم الرُسخ • ورجل •

(٢) القاموس : مضر اللبن أو النبيذ مضرراً ويحرك ومضوراً كنصر وفرح  
وكرم حمض وايض فهو مضير وماضر • والمضيرة صريقة تطبخ باللبن المضير  
وربما خلط بالحليب • ومضارة اللبن بالضم ما سال منه • ومضر بن نزار كزفر  
أبوقبيلة وهو مضر الحمراء سمي به لولعه بشرب اللبن الماضر • أو لبياض لونه •  
وأما الحازر فهو الحامض من اللبن والنبيذ • ومن الوجوه العابس والباسر •

(٣) القاموس : والجحوش كجودل الصبي قبل أن يشتد وهذا التفسير عكس  
ما جاء من معناه في الأصل فان معنى غلظ اشتد • قال في المصباح : وغلظ  
الرجل اشتد فهو غليظ ، واستغلظ الزرع اشتد • والثعالي يؤيد هذا المعنى •

بجاء — سمي بالبيجاد من الوبير والبيجاد ثوب ينسج من صوف أو من أوبار الابل والجمع البُجُود<sup>(١)</sup> .

عك — العك ردك الشيء . وردك الكلام على الرجل . يقال : مازال بعكك بذلك القول حتى أغضبه<sup>(٢)</sup> .

— في ترتيب أسنان الناس والدراب في كتابه فقه اللغة فيقول : ثم إذا (غظظ الصبي) وذهبت عنه تارة الرضاع فهو الجحوش عن الأصمعي . وأشد للهذلي : قتلنا مخلدًا (البيت) . وفي الأساس عن البيت للمعترض الطفري .

الليث : الجحاش مدافعة الانسان الشيء عن نفسه وعن غيره . وقال غيره ، هو الجحاش والجحاش . وقد سموا جحشًا ومجاشًا وججيشًا . وبنو جحاش بطن منهم الشماخ بن ضرار .

الجوهري : جحاش ابو حي من غطفان وهو جحاش بن ثعلبة بن ذبيان ابن بغيض بن ربث بن غطفان . قال : وهم قوم الشماخ بن ضرار . قال الشاعر :  
وجاءت جحاش قضا بقضيضها وجمع عوال ما أدق والأما  
ويقول الشماخ :

أنتني سليم قضا وقضيضها تمسح حولي بالبيع سبالها

(١) وفي مبادئ اللغة : بجاء ككتاب كساء مخطط . ومنه عبد الله ذو الجيادين دليل النبي (ﷺ) وسمي به جماعة . والبيجاد من بيوت العرب وهو المصنوع من الوبير .

(٢) القاموس : وعكته عليه عطفه كما كته . وفلانًا حدثه بجديث فاستفاده منه مرتين أو ثلاثًا . وماطله بحقه وبشره كرهه عليه . وعن حاجته صرفه وحبسه . وبالجملة قهره بها . وبالأمس رده حتى أتعبه . وبالسوط ضربه . والكلام فسرته الى أن قال : وعك بن عدنان بالثاء المثناة ابن عبد الله بن الأزد وليس ابن عدنان أخًا معه .

يحبب - يقال : حبب الرجل يحبب حبباً اذا رمى بالحصى . وتقول  
اذا رمى الجمرات : قد حبب القوم وهم 'يحبسون' . ومنه سمي المحبب (١) .  
دارم - اشتق من واحد من شيئين . يقال اذا دنا وقوع سنه وذهبت  
حدته التي تريد أن تقع - قد درم وهو يعود دارم . والدارم هو ألا يكون  
للشيء حد ، ويقال : امرأة درماء المرافق اذا لم يكن لمرافقها حد . ويقال  
للأرنب اذا مشت فقاربت الخطوة : قد درمت تدرم (٢) .

(١) الأساس : حببت الريح بالحصباء . وريح حاصب وحصبوة . وفي  
الحديث : (هل أحصبه لكم) . وحصبوا المسجد بسطوا فيه الحصباء . وأرض  
محصبية ذات حصى . وتقول : هذا حاصب وأبس بصاحب . وهم حبب جهنم  
وحببت النار طرحته فيها . وبننا بالمحبب وهو موضع الجمار .  
القاموس : ويحبب مثلثة الصاد حي والنسبة يحصي مثلثة . وكضرب قلعة  
بالأندلس .

(٢) القاموس : درم الساق كفرح استوى . والكعب أو العظم واره  
اللحم حتى لم يبين له حجم . والأسنان تحات ، والبعر ذهبت أسنانه ودنا  
وقوعها . ودرم الثفنذ بدرم درماً ودرماً بكسر الراء ودرماً ودرماناً محركتين  
ودرامة قارب الخطو في عجلة . وامرأة درماء لا تسنين كهونها ومرافقها وكل  
ماغطاء الشحم واللحم وخفي حجمه . والادرم الذي لا أسنان له . وأدرم  
الصبي تحركت أسنانه ليستخلف أخرى الى أن قال : ودارم بن أبي دارم صحابي  
وابن مالك بن حنظلة ابو حي من تميم وكان يسمى بجرأ لأن أباه أتاه قوم في  
حمالة . فقال له : يا بجر اثنتي بخريطة المال فجاءه يحملها وهو بدرم تحتها  
والدرماء الأرنب . وبنو الأدرم من قريش .

الندب - جي من الأزد . وأصل ذلك الشيء إذا بقي له أثر مشرف  
 قيل : بقي له ندب <sup>(١)</sup> .

المان - يصلح أن يكون فاعلاً من الهون هائن وخفف فصار مثل  
 المار والمائر <sup>(٢)</sup> .

عبر - يقال القوم إذا ذكروا بالشدة : كأنهم جن عبر . قال أبو سعيد :  
 سألت أبا عمرو عن قوله : فلم أر عبقرياً يفري فريه . قال : جأذ قوم وقوبهم .  
 قال رجل من غطفان :

أَكْفُ أَنْ تَحُلَّ بنو سُليم جنوب الاتم - ظلم عبقرى <sup>(٣)</sup>

(١) القاموس : النُدْبَةُ أثر الجرح الباقي (ج) نَدَبٌ وأنداب وندوب .  
 وتندبه الى الأمر كنصره دعاه وحشه ووجهه . والميت بكاه وعدد محاسنه والاسم  
 النُدْبَةُ . والندب الخفيف في الحاجة الظريف النجيب جمع ندوب وندباء .  
 وقد ندب كظرف وبالتحريك (نَدَب) الرشق والخطر . وقبيلة منها بشر بن  
 جرير ومحمد بن عبد الرحمن .

(٢) من هار البناء هدمه فهار وهو هائر وهار .

(٣) الأساس : فلم أر عبقرياً يفري فريه . وقال : ظلم امر الله عبقرى .

وقال رجل من غطفان : أكلف (البيت) . تهذيب الألفاظ : والعبقرى

من الرجال الذي ليس فوفه شيء . ويقال : ظلم عبقرى ليس فوفه شيء .

قال شريح بن بحر النعابي :

أَكْفُ أَنْ تَحُلَّ بنو سُليم جنوب الاتم ظلم عبقرى

ولو أنى ملك بني سليم لسد عليهم حجر خفي

وعلى رواية التهذيب حرفاً بني سليم وجنوب منصوبان .

التهذيب : الأصل في العبقرى فيما قيل : إن عبقر قرية يسكنها الجن فبما

يزعمون . فكلموا رأوا شيئاً فانفقوا غريباً مما يصعب عمله وبدق . أو شيئاً عظيماً .

عروة - فعلة من عروت . يقال : عراه يعروه اذا أناه . قال أبو خراش :  
أوابل بالشد الدليق وحشني لدى المتن مشبوح الذراعين خلجم  
تذكر ذحلاً عندنا وهو فانك من القوم يعروه اجترأ ومأثم  
خلجم طويل<sup>(١)</sup> .

الأوزاع - القطع المتفرقة . ويقال : بنو فلان أوزاع في الأرض .  
ويقال : وزع ذلك الأمر بينهم اذا فرقه . قال المسيب بن علس :  
أحلت بيتك بالجميع وبعضهم متفرق ليُحجل بالأوزاع<sup>(٢)</sup>

— في نفسه نسبه اليها . فقالوا : عبقرى . (جنوب الاتم) جاء بدله في  
اللسان (أبطون) . وعلى هذه الرواية (الاتم) بالثناة لا المثناة كما في الأساس  
ومن معاني الاتم القطع والاقامة بالمكان . وروى في التهذيب : (بني وجنوب)  
منصوباً . (التاج) عن الخليل تركته بفري فربه بالفتح والتخفيف . وكان يقول :  
التشديد غلط . وفي الحديث : فلم أر عبقرياً بفري فربه . روي بالوجهين .  
(١) وفي الأساس (أوائل) بدل (أوابل) لوحشني بدل (حشني) و (بذا)  
بدل (لدى) وأوائل من وائل مواءة وإلآ لجأ وخلص ، ووأل ووأل—  
طلب التجارة ، والى المكان بادر . والحش والحث كلاهما بمعنى السرعة . وأما  
رواية الأصل أوابل فله من وبل الصيد أي طرده شديداً وبالعصا ضربه . كما مر  
الشديد والعصا الغليظة ، الشد العدو . والدليق الشديد . والمتن الضرب .  
ومشبوح الذراعين عريضها .

(٢) هذا البيت من قصيدة له من مختارات الضبي في مفضلياته مستهلها :

أرحلت من سلى بغير متاع قبل العطاس ورعيتها بوداع

والأوزاع لقب سمرئد بن زيد أبي بطن من همدان منهم الامام عبد الرحمن  
ابن عبد الرحمن المولود في بعلبك والمدفون في بيروت .

حجر - اشتق من قول العرب اذا شبتا بكرهونه حجرا . قال الشاعر :  
 قالت وفيها حيدةٌ وذعرٌ عوذٌ يري منكم وحجر<sup>(١)</sup>  
 يحابر - يري انه جمع اليجورة وهو طائر<sup>(٢)</sup> .  
 رعين - موضع باليمن . يقال للملكه ذو رعين<sup>(٣)</sup> .

(١) القاموس : الحجر مثة المنع . وبالكسر العقل . وبالضم أو ضميتين والد امرئ القيس الخ . الأساس : وفي ذلك عبرة لذي حجر وهو اللب . وهذا حجر عليك حرام . وحجر عليه القاضي حجراً . و (عوذ بالله منك وحجر) . وأعوذ بك من الشيطان . المخصص . ابن السكيت : عوذ بالله منك ، أي أعوذ بالله منك وأشد البيت . تقول العرب عند الأمر تنكره (حجراً له) أي دفعا وهو استعاذة من الأمر . والعوذ ما يلد به من كل شيء .

(٢) القاموس : اليجور طائر أو ذكر الحبارى . واليحابر جمعه .  
 التهذيب : وقال خدش بن زهير :

وان كلاباً لا كلاب لأهلها وقد جعلت كعب تكون يحابرا

التاج : ويحابر كيقاتل مضارع قاتل . ابن مالك بن ادد ، أو مراد القبيلة المشهورة . ثم سميت القبيلة يحابر قال الشاعر :

وفد أمتني بعد ذلك يحابر بما كنت أعشى المنديات يحابرا

(٣) الأساس : بدا رعن الجبل ورعانه وهو أنف شاخص منه وتصفيره سمي الحصن الذي قيل للملكه : ذو رعين . القاموس : والرعن أنف يتقدم الجبل جمعه رعون ورعان . والجبل الطويل ذو رعين كزبير ملك حمير . ورعين حصن له أو جبل فيه حصن ومخلاف آخر باليمن .

مرثد - نرى انه اشتق من الرثد . والرثد وضع المتاع بعرضه على بعض .  
 ويقال تركت فلاناً مرثداً يريد ناضداً متاعه ما تحمل بعد<sup>(١)</sup> .  
 'يريد - اشتق من البرد . ويصلح أن يكون تصغير أبرد كما تقول :  
 أزرق وزربق . ومن البرد . وأبرد و'يريد أخوان من بني رباح أحدهما الشاعر .  
 جيش - يكون من الجش ومن الجش وهو مكان مرتفع فيه غلظ  
 نحو النخفة . وقال جرير بن سياب للناطقة الديباني :  
 اضطرك الحرز من ليلى الى برد تختاره معقلاً من جش أعيار<sup>(٢)</sup>  
 وداعة - اشتق من الثوب بودع<sup>(٣)</sup> به .

(١) الأساس : رثدت المتاع فضدته ومتاع رثيد ورثد . القاموس :  
 رثد المتاع فضده كارتدده فهو رثيد ومرثود ورثد محركة . والرثد بالكسر  
 الجماعة . وكسكن الرجل الكريم والأسد . وامم . وملك للين . وتركتمهم  
 مرثدين ما تحملوا بعد أي ناضدين متاعهم .

(٢) القاموس : جشه دقه كأجشه . وبالعرضه . والمكان كفسه . والبئر  
 نقاها . والباكي دمه أمراء والجشيش السويق . وحنطة تطحن جليلاً فيعمل  
 في قدر ويلقى فيها لحم أو تمر فيطبخ . وكأمير امم وزبير ابن الديلمى من أعان  
 على قتل الأسود العنسي وابن مالك في تميم . وابن مر في مذحج وابن عوف  
 في كنانة . والجش'الموضع الخشن الحجارة وجش أعيار موضع أو ماء ملح  
 باكناف شريفة .

(٣) الأساس : ودع الثوب توديعاً وتودعه صانه في الميدع وهو الصوان  
 ويسمى بوداعة مخلاف ورجال . اللسان : ووداعة قبيلة اما أن تكون من همدان  
 واما أن تكون همدان منها . القاموس : والميدع والميداعة بالكسر  
 الثوب المبتذل جمع موادع ووداعة مخلاف باليمن . وابن جذام او حرام وابن  
 أبي زيد ووداعة بن ابي وداعة السهمي صحابيون .

قحافة - اشتق من القحف . والقحف أخذك كل ما بقي من الصفحة .  
 يقال : اقحف كل شيء في الأناء <sup>(١)</sup> .  
 شجينة - شعبة من الشيء <sup>(٢)</sup> .  
 رؤاس - اشتق من الرأس . يقال : رجل رؤاس وكُباس عظيم  
 الرأس أيضاً <sup>(٣)</sup> .

رزام - يصلح أن يكون من شيتين من رزم يرزم بالأرض فلا يقوم .  
 ومن ارزام الناقة . ويصلح في جمع الشيتين كما في لقمة من خبز ولحم أو تمر  
 وأرِقط . أو سمن وتمر . ويقالُ : تروكتُ فلاناً يرزم بين طعام كذا وكذا وهو  
 أن يجمع بينهما في لقمة . قال الراعي :

(١) القاموس : القحف بالكسر العظيم فوق الدماغ وما انفلق من الجمجمة  
 فبان . ولا يدعى قحفاً حتى يبين أو ينكسر منه شيء جمع أقحاف وقحوف  
 وقحيفة . والقحح أو الفلقة من القصة إذا انثلمت . وإناء من خشب نحو  
 قحف الرأس كأنه نصف قحح . وبنو قحافة بطن من خثعم . وأبو قحافة  
 عثمان بن عامر صحابي وان الصديق رضي الله عنها .

(٢) القاموس : الشجن محرّكة الهم والحزن والغصن المشبك . والشعبة من  
 كل شيء كالشجينة مثله والمتداخلة الخلق من النوق . والحاجة حيث كانت  
 جمع شجون . وشجينة بن عطار بن عوف بن كعب بن زيد مناة . والحديث  
 ذو شجون فنون وأغراض .

(٣) القاموس : وبنو رؤاس حي . منهم أبو دؤاد ، وو كيع ، ومحمد بن  
 عبد الرحمن بن حميد الرؤاسيون . والرؤاسي العظيم الرأس . وفيه في مادة  
 (كبس) وكقرب العظيم الرأس ومن يكبس رأسه في ثيابه وبنام . وابن جعفر  
 ابن ثعلبة ، وعلي بن قسّم بن كُباس محدث .



كلي الحمض بعد المتحمين ورازمي الى قابل ثم اعذري بعد قابل  
يقول: كلي الحمض واخطيه بشيء آخر من الشجر (١) .

حريش - يصلح أن يكون من الخشنة . يقال : أفعى حرشاء اذا كانت  
خشنة المس . ودرهم أحرش اذا كان لم تلبنه الأيدي . ويصلح أن يكون  
من البعير يضرب فيبقى به أثر الضرب . فيقال : به حراش . وبعير محروش  
وحريش مثل قتيل ومقتول . ويصلح أن يكون من حرش الضب . يقال :  
ضب محروش وحريش (٢) .

(١) المخصص : المرزومة كالمعاقبة . وكل خلط بين شبتين في ما كل مرزومة .  
الأساس : عنده رزمة من الثياب وهي ما شد منها في ثوب واحد . وجاءوا  
بالسياط رزماً وبالعصي حزمًا . وهي من رزمت الشيء اذا جمعته . وفلان يرازم  
بين الطعام يخلط بينها فيأكل خبزاً مع لحم ، وأقط مع تمر . وقيل : هو ان  
يتناوب بينها فيتناول مرةً لحمًا ، ومرةً لبنًا . ومرةً حارًا . ومرةً باردًا . والابل  
ترازم بين الحمض والخلة ( الحمض مالمح وأمر من النبات والخلة ما حلا ) ،  
تناوب بينها . وبعد ابراده بيت الراعي عقبه بقوله : أي بعد الذين أفتحهم  
السنة الى الأمصار . القاموس : والمرزومة في الطعام المعاقبة بأن يأكل يوماً  
لحمًا . ويوماً عسلًا . ويوماً لبنًا ونحوه لا يداوم على شيء . وأن يخلط الاكل  
بالشكر . واللحم بالحمد . أو أكل اللين واليابس . والحلو والحامض . والجشب  
والمأدوم . وبكل فسر قول عمر ( رضي الله عنه ) : اذا أكلتم فرازموا . ووزام  
ككتاب الرجل الشديد والصعب . وابن مالك بن حنظلة ابو حي من تميم .

(٢) الأساس : حرشت بين القوم . وفلان من عادبة التجريش . والضب  
أحرش أي خشن الجلد . ودينار أحرش فيه خشونة الجدة كقولهم : درع قضاء .  
وأعطاني فلان دنانير جرشا . ونقبة جرشاء لم تظل بالهناء . القاموس : بعد -

حاشد - يقال للرجل اذا كان يبذل ما عنده من مال : لقد حشد (١) .  
غاضرة -- يصلح أن يكون من الغضارة غضارة العيش والبهجة . ومن العطف  
أيضاً غضّر بغضّر اذا هو عطف قال ابن احرر :

تواعدن ان لاوعي عن «فرج راكس» فرحن ولم بغضرن عن ذلك مغضرا

أي ما عطفن ولا نصرن . ويقال : حفر بئر في غضراء منكرة اذا أنبط في  
طينة حرة تضرب الي الخضرة . وأباد الله غضراءه وخضراءه أي أباد الله  
خصبه وخيره (٢) .

— ذكر المادة ومتفرعاتها . والحريش دُوية قدر الاصبع بأرجل كثيرة . أو هي  
دخال الاذن . وابن هلال القريمي الشاعر . وابن كعب في قيس . وابن جذيمة  
في الأزد . وابن عبد الله في كلب الي غيرهم من سموا بهذا الحرف .

(١) القاموس : حشد يحشد ويحشد جمع . والزرع نبت كله . والقوم خفوا  
في التعاون او دُعوا فأجابوا مسرعين واجتمعوا لأمر واحد كأحشدوا واحتشدوا  
وتحاشدوا . والناقاة حفلات اللبن في ضرعها . والحشد ويجرك الجماعة . وككتف  
من لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والنصرة .

الأساس : حشد القوم واحتشدوا : اجتمعوا وخفوا في التعاون . واحتشدوا  
وتحشدوا وتحاشدوا على الأمر اجتمعوا عليه متعاونين . وعنده حشد من الناس .  
ورجل محشود محفود مجتمع عليه مخدوم . واحتشدت لفلان في كذا أعددت له .  
واحتشد لنا في الضيافة اذا اجتمعنا وبذل وسعه . واحتشد للضيافة واحتفل لها .  
وفلان حافل حاشد مجتهد في خدمته وضيافته وسعيه . قال :

والحاشدون على قري الأضياف

هذا . وسمي حي بجاشد .

(١) الأساس : بنو فلان مفضرون ومغاضبرون اذا كانوا في غضارة عيش  
وهوطيه وانضرتهم وقد غضرم الله . وانبط بئر في غضراء أي في طينة طيبة حرة . —

حرثان - اشتق من حرث الزرع . أو من حرث الدابة وهو أن تركب حتى يذهب لحمها ويجهد<sup>(١)</sup> .

هوازن - جمع هوزن . وهوزن حي من اليمن ويقال لحم : هوزن . وأبو عامر الهوزني منهم<sup>(٢)</sup> .

### سليمان ظاهر (يتبع)

- وأباد الله غضراءهم وخضراءهم أي طينهم وشجرتهم التي منها تفرعوا . ه . وفي تهذيب الألفاظ (لا بد) بدل لا وعي وكلاهما صحيح لأن معنى لا وعي لا بد . وابن أحر هو عمرو بن أحر الباهلي من شعراء الحماسة وكان من شعراء الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم وغزا مغازي الروم وأصيب بأحدى عينيه ثم نزل الشام وتوفي في زمن عثمان . وعده الجمحي في طبقاته من الطبقة الثالثة من الشعراء الاسلاميين : وفرج راكس موضع معروف

القاموس : وغاضرة قبيلة من أسد . وحى من صعصة . وتسمى أرض طف كربلاء حيث قتل الحسين بن علي عليه السلام الغاضرية ولعلها سميت بذلك لنزول حى غاضرة فيها .

(١) المختار : الحرث كسب المال وجمعه أحرث<sup>(١)</sup> وبابه نصر . وفي الحديث (أحرث لديك كأنك تعيش أبداً) قلت : تمام الحديث (واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) كذا نقله الفارابي في الديوان . والحرث أيضاً الزرع ه . ويقال : أحرث القرآن أي ادرسه . قال الأزهري : والحرث تفتيش الكتاب وتديره . القاموس : وحرثان بالضم اسم . وأورد أسماء طائفة كبيرة من اسموا بمشقات هذا الحرف .

(٢) القاموس : الهوزن كجوه القبار . وطائر . وأبو بطن . وهوازن قبيلة .

(١) المجمع : قول المختار (وجمه أحرث) كلمة أحرث هنا زائدة، أما قوله (وجمه) فهو منطوف على كسب عطف تفسير .

## كتاب الفنون لابن عقيل

أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي الظفري الواعظ  
الفتية الأصولي القريء الحنبلي كان من أعلام الاسلام ونوابغه في القرن  
الخامس للهجرة ، وقد أدرك القرن السادس . ولد ببغداد سنة « ٤٣١ » ونشأ  
فيها نشأة المتعلمين ، المتسمين بخدمة الدين ، وقد ذكره شيوخه ، كما جاء  
في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ج ١ ص ١٧١ - ٢ » وفيهم كثيرة ،  
تسمر بشيء من الافتخار نزا في نفسه عند ذكره لهم ، وهو افتخار شريف الأنة  
يربِكُ الباحث عن ذوي الآثار الحسنة في ثقافته الدينية وثقافته الأدبية من  
شيوخه . هذا الى أن ابن رجب ذكرهم بكنائهم وأن الذين قاما على نشر ذيل  
الطبقات « المسشرق الفاضل هنزي لاووست الفرنسي الباذل مجوده في نشر  
الثقافة الحنبلية » ، و « الدكتور الأديب سامي الدهان » لم يستطيعا أن يردا  
الكفي الى أسمائها ، ولكنها خرجا من عهد النشر العالمي بأن وضعا فهرستين  
أحدهما « للآباء » والآخر « للأبناء » فضلاً عن فهرست الأسماء وفهرست  
الأنساب ، فان لم يرض قارئ الكتاب بذلك فليرضخ رأسه به ، فلا يكلف  
الله نفساً الا وسعها ، ولقد وقفت همامها في ذلك عند الاحالة على اختلاف النقول  
والمنقول ؛ ولقد جاء في سيرته « ص ١٧٢ » ان شيخه في علم الأصول « أبو الوليد »  
وهو في فهرست الكفي « أبو الوليد » أيضاً . وأصبح شيخه هذا في ص ١٧٤ ،  
ص ١٩٠ « ابن الوليد » وهو في فهرست الأبناء « ابن الوليد » أيضاً . ونقدنا  
لنشر هذا الكتاب ، سيظهر في مجلة المجمع العلمي العراقي بشكر  
كثير ومواخذات كثيرة .

والحقيقة أن الشيخ الذي درس ابن عقيل عليه علم الكلام هو ابن الوليد أبو علي محمد بن أحمد الكرخي المعتزلي المتفلسف المتوفى سنة «٤٧٨» المدفون في الشونيزية «مقبرة الشيخ جنيد» بالجانب الغربي من بغداد<sup>(١)</sup> .

وكانت وفاة العلامة ابن عقيل في جمادى الآخرة سنة «٥١٣» ودفن في دكة الامام احمد بن حنبل في الشمال الغربي من العاظمية . وترجمته مشهورة معروفة في أكثر كتب التاريخ التي ألقت بعد وفاته كالمنتظم لأبي العرج بن الجوزي ومرآة الزمان لسبطه ، وتاريخ الاسلام الذهبي ، وطبقات القراء له أيضاً ، وغاية النهاية لشمس الدين الجزري ، وشذرات الذهب فضلاً عن ذبلي الطبقات لابن رجب ، قال الذهبي : «نفقه على أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء وأخذ علم الكلام عن أبي علي بن الوليد وأبي القاسم ابن التبان ومن ثم حصلت فيه شائبة تهمهم واعتزال وانحراف عن السنة (كذا) وكان إماماً مبرزاً متبحراً في العلوم ، بتوقد ذكاً . وكان أنظر أهل زمانه . قال أبو طاهر السلفي : مارأت عيناى مثله ، ما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه وبلاغته وحسن ايراده وقوة حجته . وقد سقت جملة من أخباره في تاريخي الكبير<sup>(٢)</sup>» .

(١) ابن الجوزي في المنتظم « ج ٨ ص ٢٣٥ ، ٢٤٨ » و « ج ٩ ص ٢٠ » وابن الأثير في « الكامل حوادث سنة ٤٧٨ » والقنطري في « المحدثون من الشعراء » نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٣٥ الورقة ١٠ « والشمس الذهبي في تاريخ تاريخ الاسلام » نسخة المتحف البريطانية ( ٥٠١٥٠ ) الورقة ١٦٤ « وذكر القنطري في ترجمة يحيى بن عيسى بن جزلة الحكيم الطبيب من تاريخ الحكماء وابن خلف كان في ترجمته أيضاً من الوفيات ، وابن العبري فيها من مختصر الدول أن يحيى ابن جزلة كان نصرانياً فلازم ابن الوليد المذكور اقراء المنطق عليه ، فحسن له الاسلام ودناه اليه وذكر له الدلائل الواضحة حتى استجاب له وأسلم وصنف رسالة في الرد على أهل دينه الأول ، ووقف كتبه قبل موته على تربة الامام ابي حنيفة النعمان ومدرسته .

(٢) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار « نسخة دارالكتب الوطنية بباريس

وقد ألف ابن عقيل كتاباً جليلاً منها كتاب « الفنون » وكتاب « كفاية المفتي » في المذهب الحنبلي ، قال سبط ابن الجوزي : « وكتاب الفنون وهو مائتا مجلدة ، جمعه طول عمره واختصر منه جدي [ أبو الفرج ] عشر مجلدات ، فرّقها في تصانيفه ، وقد طالعت منه في بغداد في وقف المأمونية <sup>(١)</sup> نحواً من سبعين ، وفيه حكايات ومناظرات وغرائب وعجائب وأشعار » <sup>(٢)</sup> . ولم يصرح ابن الجوزي بالاختصار الذي أشار إليه سبطه بل قال : « وجعل كتابه المسمى بالفنون مناظر لخواطره وواقعاته ، ومن تأمل واقعاته فيه عرف غور الرجل <sup>(٣)</sup> » . وقال الذهبي في الكتاب الذي أشرنا إليه ونقلنا منه « صاحب كتاب الفنون الذي بلغ أربعائة وسبعين مجلداً » .

وقال ابن رجب : « ولابن عقيل تصانيف كثيرة في أنواع العلوم وأكبر تصانيفه كتاب الفنون وهو كتاب كبير جداً ، فيه فوائد كثيرة جليدة في الوعظ والتفسير والفقه والأصولين والنحو واللغة والشعر والتاريخ والحكايات ، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له ، وخواطره ونتائج فكره قيدها فيه ، قال ابن الجوزي : وهذا الكتاب مائتا مجلدة ، وقع لي منه نحو من مائة وخمسين مجلدة ، وقال عبد الرزاق الرسعني في تفسيره : قال لي أبو البقاء الأتوي [ العكبري ] سمعت الشيخ أباحكيم النهرواني يقول : وقعت على السفر الرابع بعد الثلاثمائة من كتاب الفنون . وقال الحافظ الذهبي في تاريخه : لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب ، حدثني من رأى المجلد الثلاثي بعد الأربعائة ، قلت : وأخبرني

(١) المأمونية هي محلة عقد القتل والهيئات بين وصبايغ الآل الحالية في شرقي بغداد ، ووقفها هو خزانة الكتب التي انشأها السيدة زمرد خاتون الشافعية زوج الخليفة المستنصر بأمر الله وأم الخليفة الناصر لدين الله في رباطها « تكيتهما » بالمحلة المذكورة ، وقد زال الرباط وزالت الخزانة من الوجود .

(٢) سرآة الزمان « ج ٨ ص ٨٤ » من طبعة جيدر آباد الدكن .

(٣) المنتظم « ج ٩ ص ٢١٤ » .

عمر<sup>(١)</sup> بن علي القزويني ببغداد قال : سمعت بعض مشايخنا يقول هو ثمانمائة مجلدة<sup>(٢)</sup> .  
 هذا خبر كتاب « الفنون » الذي وسمنا مقالتنا باسمه ، وهذا وصفه ، ولكن  
 خزائن الكتب التي اطلعنا على أثباتها ليست فيها أجزاء من هذا الكتاب ،  
 في ظاهر تسجيلها ، فهل ضاع مع جملة من الكتب الاسلامية العظيمة ؟  
 إن حاجي خليفة لم يذكر هذا الكتاب في « كشف الظنون » وهو اكبره  
 وكثرة مجلده كان صعباً اقتناؤه وانتساخه ، والصعوبة من حيث العمل والنفقة ،  
 على أن العلماء ومن كبارهم أبو الفرج بن الجوزي اختاروا منه واختصروا وانتخبوا  
 واستفادوا . وكثيراً ما رأيناهم ينقلون في كتبهم من ذلك الكتاب<sup>(٣)</sup> أو يقولون  
 « قال ابن عقيل » في الأمور العجيبة ، ولكن أين هذه النقول من « سبعين  
 وأربعمائة مجلدة » ؟

نحن لانظن أن الكتاب قد استهلكه النقل أو زال من الوجود بدلالة أننا  
 عثرنا على جزء منه ، في دار الكتب الوطنية بباريس ولعل جزءاً آخر في خزانه  
 أحمد باشا تيمور بدار الكتب المصرية ، وان لم يوسم بأنها من أجزاء كتاب  
 الفنون ومجلداته . فأما جزء دار الكتب الوطنية بباريس فقد فهرسه مؤلف  
 فهرستها في الرقم « ٧٨٧ » من العربية بالاسم الذي زوره عليه أحد الموزرين  
 وهو « كشف الغمة في المسائل المختلفة في الأربع مذاهب ( كذا ) للامام المحقق  
 الشعرائي » . وفي الحق أن الكتاب لا يقتصر على المسائل المختلفة في المذاهب  
 الأربعة فتصح عليه هذه التزوير الكبيرة ، بل يحتوي على ما ليس له صلة

(١) هو الشيخ سراج الدين الفقيه الشافعي المدفون في جامع محلة سراج الدين بشرقي  
 بغداد « م : ٧٥ » .

(٢) ذيل طبقات المناقلة « ج ١ ص ١٨٨ » .

(٣) كما فعل ابن النجار في تاريخه في ترجمة عبد الملك الجويني قال « قرأت في  
 كتاب الفنون لأبي الوفاء علي بن عقيل » وفي ترجمة ابن المؤلف « عقيل بن علي بن عقيل »  
 ونقل عنه غير ذلك .

بالدين أصلاً ، كما سنذكره منه وما سنشير اليه بذكر اسمه أو رسمه ، ثم إن الشمراني وهو عبد الوهاب بن أحمد المتصوف المشهور ، توفي سنة « ٩٧٣ هـ » ، وهذا الكتاب قد جاء في آخره ، في الورقة « ٢٦٧ » مانصه : « والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله وسلم . وقع الفراغ منه ضحوة نهار يوم الخميس ثامن عشر شوال سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، كاتبه العفيف بن المبارك ابن الحسين بن محمود <sup>(١)</sup> رحمه الله من دعا له بالعمو ولوالديه بالمغفرة وهو حسي ونعم الوكيل . » ، فكيف تصح نسبة كتاب منسوخ سنة « ٥٣٤ هـ » الى عالم توفي سنة « ٩٧٣ » ؟ هذا هو الذي حدانا على تفحصه وتقصي أمره والبحث عن مؤلفه ، فألفينا أنه مجلدة من مجلدات كتاب « الفنون » لأبي الرقاء بن عقيل المذكور بعد التأمل الرشيد والتفكير المدب .

وقد استدللنا على ذلك بعدة أمور :

« أولها » : أن أخبار الكتاب وحوادثه جرت في عصر ابن عقيل .  
 و « الثاني » : أن مضامين الكتاب من الأنواع التي أشاروا اليها في وصف كتاب الفنون بالتحقيق والتأكيد من موعظة ومناظرة واستفتاء وخبر طريف وشعر حسن .

و « الثالث » : أن الرجال المذكورين فيه كان لابن عقيل اتصال بهم لاشك فيه ، ولا سيما اتصال الدراسة واتصال الاستعانة ، كما جاء في الورقة ( ١٨ ) « أخبرنا شيخنا القاضي الامام ابو يعلى محمد بن الحسين ابن عقيل في الفقه الحنبلي ، كما أئنا اليه ، كما أنه شيخ غيره فيه . »

(١) هنا كانت كلمة نسبة وقد محاهما المزور أو غيره زيادة في التسمية : وهو أبو محمد عفيف بن المبارك بن الحسين بن محمود الحياط الوراق من أهل باب الأزج ببغداد « محلة باب الشيخ ورأس الساقية » . كان صهر الشيخ الزاهد عبد القادر الجنبلي الحنبلي ، وكان يورث للناس توريثاً قليل الضبط بخطه الحسن وسمع الحديث ، توفي سنة « ٥٧٥ هـ » كما في تاريخ ابن النجار ( في باب الدين ) .



و «الرابع»: أن مؤلفه حنبلي ولا يذكر اسمه في المناظرة وإنما يقول :  
« قال الحنبلي » تواضعاً وتادباً .

و «الخامس»: أن مؤلف الكتاب من المحلة الظفرية<sup>(١)</sup> ببغداد ، بدلالة ذكره  
لها كما في الورقة «٣٢» ونصه : « وجرى بمجلسنا بالظفرية مسألة آلة اللهو  
هل يجب ضمان أحرقتها؟ » وفيها الورقة «١٢٠» قال : « جرى بمجلس  
الظفرية مسألة المسلم والأقارب قبل قسمة الميراث » . وهذا لا يني أنه سكن  
أو وعظ في غيرها .

و «السادس»: أن المؤلف نقل من كلام المعتزلة ، وخصوصاً من كلام  
شيعته ابن التبان المقدم ذكره وان لم يشر الى تلمذته عليه ، فقال في الورقة  
(٨٢) : استدل بعض أصحاب الحديث ٠٠٠ فأجابه شيخ معتزلي مقدم عليهم  
بالجانب الغربي يعرف بابن التبان في الكرخ بمجلس عقده ببعض دورها<sup>(٢)</sup> .  
و «السابع»: أنه صرح بمهونة أبي منصور عبد الملك بن يوسف الحنبلي  
السري له ، كما في الورقة «٢٣٥» من الكتاب ، وهذا السري من الذين  
يذكرون في ترجمة ابن عقيل من كتب التاريخ ، كما في المنتظم لابن الجوزي  
قال : « وأقبل علي أبو منصور بن يوسف فخطبت منه بأكثر من حظوة وقدمني  
في الفتاوى مع حضور من هو أسن مني وأجاسني ٠٠٠ »<sup>(٣)</sup> .

و «الثامن»: هو أن كنيته «أبا الوفاء» وردت في هامش الورقة (٨٨)  
من نسخة باريس القيحة الفسخ .

(١) المحلة الظفرية من محال بغداد الشرقية أيام بني العباس ، وكان حدها من جادة  
سور الظفر التي دفن فيها الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي الصوفي الكبير  
القائم قبره الى اليوم ، فهي بين محلة الفضل وخان اللاوند من الشمال وعزات طويلات  
والجوبة من الجنوب ، وقد خرب كثير منها .

(٢) وسنذكر ما نقله عن معتزلي في باب الحسن والتقيح من حيث الشرع والعقل .

(٣) المنتظم « ج ٩ ص ٢١٣ » ونقله ابن رجب في ذيل الطبقات « ج ١ ص ١٧٣ » .

والجزء الآخر محفوظ في الخزانة التيمورية كما ذكرنا آنفاً ، وقد كتب عليه « كتاب الجدل في الأصول للعلامة علي بن عقيل البغدادي الحنبلي » وهو مخطوط سنة « ٥٦٤ »<sup>(١)</sup> . وما هو عندي إلا مجلدة من كتاب الفنون كما أشرت إليه آنفاً .

### [ مقتبسات من كتاب الفنون ]

قال أبو الوفاء علي بن عقيل في تقديم المجلدة المحفوظة في دار الكتب الوطنية بباريس برقم « ٧٨٧ » من العربية :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله حق حمده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم ، أما بعد فإن خير ما قطع به الوقت ، وشغلت به النفس ، فتقرب به الى الرب — جلت عظمتة — طلب علم أخرج من ظلمة الجهل الى أنوار الشرع ، وأطلع به على عاقبة محمودة يجعل لها ، وغائلة مذمومة يتجنب ما يوصل اليها وليس ذلك إلا العلم الذي يصلح الاعتقاد ويخلصه من الأهواء ، ويصلح الأعمال ويصفىها من الأدواء وهما علان :

علم الأصول ومبناه على التأمل والاعتبار ، وعلم الفقه ومبناه استخراج معاني الأنفاظ الشرعية وأخذ الأحكام من المنطوق به للمسكوت عنه ، وذلك الذي شغلت به نفسي ، وقطعت به وقتي ، فما أزال أعاق ما أستفيد من ألفاظ العلماء ، ومن بطون الصحائف ومن صيد الخواطر التي تنثوها<sup>(٢)</sup> ، المناظرات والمقابسات

(١) ذكرى احمد تيمور باشا « ص ٢٣ » وقد ذكر في فهرست الجامعة العربية للمخطوطات العربية المصورة « ص ٢٥٠ » جزء في الأصول صنفه الشيخ أبو الوفاء علي ابن هتيل للذكور ، وهو مصور على نسخة المسكتبة الظاهرية بدمشق محفوظة من كتب الحديث ، مع أنه مذكور في الفهرست مع التفسير وعلوم القرآن . وقال المفهرس « وهوى القرآن » فتأمل ذلك .

(٢) غير منقوطة في الأصل ولا تزال محتاج الى تحقيق أو هي « تنثرها » من النثر.

في مجالس العلماء ومجامع الفضلاء طمعاً في أن يملق بي طرف من الفضل أبعديه عن الجهل ، لعلني أصل الى بعض ما وصل الرجال قبلي (كذا) ولو لم يكن من فائدته عاجلاً إلا تنظيف الوقت عن الاشتغال برعونات الطباع التي تقطع بها أوقات الرعاع ، وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل . . فتأمل هذا التواضع النبيل والتعليل الجميل للاشتغال بما كان هو في سبيله .

### شذرة وعطرة « ١ »

ما أشد شؤم المعاصي ؟ بينما يسمع قول الله للملائكة : اسجدوا لآدم حتى يسمع النداء : اهبطوا منها جميعاً ، بينما يرفل في حلل السندس والاستبرق حتى تطفق يبخف على عورته من الورق . . إذا أردت أن تتلمح القدر السابق فانظر الى قوله السابق : « إني جاعل في الأرض خليفة . خليفة في الأرض ما يصنع في الجنة ؟ ساقته الكلمة السابقة والعلم السابق الى المستقر « ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين » .

### التزويج بأقل من المهر « ٧ »

جرى بمجلس نور الهدى <sup>(١)</sup> ذي الشرفين الزينبي مسألة « الألب » اذا زوج

(١) هو ابو طالب الحسين بن محمد بن عبد الوهاب العباسي الزينبي ، نسبة الى جدته الكبرى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس من فضليات العباسيات وراويات الحديث النبوي وهذا معنى تلقيبه بذي الشرفين ، تفقه ابو طالب الزينبي على قاضي قضاة الدولة العباسية أبي عبد الله محمد الدامغاني الحنفي ، جد الأسرة الدامغانية ببغداد ، وعلى أبي بكر الرازي ، صاحب القدوري ، وبرع في الفقه الحنفي ، ودرس في مدرسة الامام أبي حنيفة خمسين سنة ، وولي نقابة النقباء للعباسيين والطلبين ثم استعفى منها ، ولقب بنور الهدى ، نظام الحضرتين العباسية والسليوية ، وكان زاهداً عابداً ما حل ديناراً ولا آخره ، توفي سنة « ٥١٢ » عن « ٩٢ » سنة ودفن عند الامام أبي حنيفة . « للنتظم ج ١ ص ٢٠١ » و « الجواهر المضية في طبقات الحنفية ج ١ ص ٢١٩ » وقد تصحف لقبه في الجواهر المضية الى « نظام بن الحضرة » وانما هو « نظام الحضرتين » .

ابنتيه بدون مهر مثلها ، فاستدلّ فيها حنبلي بأن النكاح ليس المال فيه أصلياً في القصد بل تابع ، والأصل إنما هو طلب الكفاءة ، والحظ الأكبر ذلك . والأب هو الغاية في الاشفاق ، فلا تذهب نحوه تهمة ، فاذا نقصها من الصداق علم أنه دفع ذلك وسدّ الخلل فيه بزيادة في الجمال والسكّال الذي تدوم به العشرة وتصفو به الألفة ، من أخلاق تنضمّ الى كرم الأصل وشرف النسب فلا يغيرها ولا يؤذيها ولا ينقصها حقاً من حقوقها . . .

### شجاعة عبد الله بن الزبير « و ١٤ »

روى ابن دُرَيْدٍ قال أخبرنا السكن بن سعد الجرُمُوزي قال أخبرنا علي بن نصر الجهضمي عن أشياخ من الأزد عن أدركم من شهد الجمل قال : لما رجع ابن الزبير من البصرة الى المدينة مرّاً بمنازل بني مجاشع من بني تميم ليلاً ، فبينما هو يسير ومعه مولى يقال له « زيد » إذ سمع صهيل البسام فرس الزبير . فقال له موله : أشهد بالله إنه لصهيل البسام . وكان ابن جرّموز قد أخذه فقال له ابن الزبير : ويحك والله إنه لصهيل الأشقر ، والله لا أرجع الليلة حتى أخذه أو تموقي دونه العوائق . فقال له موله : أذكرك الله لما تركته وانطلقت فاني أخاف أن تقتل ، والله ما نجوت من الموت إلا بما بقي لك من أجلك وقد عابته عياناً . فقال عبد الله لموله : اثبت لي مكانك وهمك ما بينك وبين نصف الليل فان جئتك فذاك وإلا فانطلق وانعني الى أسماء . ثم ترجل واشتمل بسيفه وصمّد صوت الفرس ، فعرض له رجل من الحي في جنح الليل فضربه ابن الزبير فقتله حتى انتهى الى الفرس فأخذه من رباطه وجاء به بقوده حتى انتهى الى موله فانطلقا جميعاً ، فقال ابن الزبير - رضي الله عنه - في ذلك :

يذكر في الزبير صهيل طرفٍ تناوله ابن جرّموز بقدرٍ  
فقلت لصاحبي أروء قليلاً لأنضي حاجتي ووفاء نذري

فان أرجع فذاك رجوعٌ مُنْجٍ . وإلا فانهني أوُجِج بسري  
فجئتُ أقودُهُ والنجمُ عالٍ . وما هي من أبي بكرٍ بتكرٍ  
وقد كان الزبيرُ فني معدٍ . إذا فزعوا وفارس حي فهرٍ  
وأجودهم على العلات كفاً . وأعودهم على عُسرٍ يسرٍ  
وأقومهم بأمر الحق فيهم . وأنزكهم لشبهة كل أمرٍ  
وقالوا قد هوت لأبيك أمٌ . فقلت لهم ألا لالست أدري  
أرى أمرين في عُرفٍ ونكرٍ . ولست بعاذرٍ إلا بعذرٍ  
فان تكن المنية أقصدتهُ . فكلُّ فتى إلى الغليات يجري

### أخلاق خالد بن برمك « و ١٢ ، ١٣ »

... ركب أبو عبيد الله كاتب المهدي ... فعرض له في طريقه معاذ  
ابن مسلم وخالد بن برمك ، فترجّل له معاذ ، ولم يفعل ذلك خالد ، فخجدها  
أبو عبيد الله في نفسه ، فلما نزل أقبل على معاذ وأكرمه ، وجفا خالداً . فلما  
سخط المهدي على أبي عبيد الله فعد عنه معاذ وأتاه خالد بن برمك فبذل له  
مالاً جليلاً وأعانه بنفسه وماله وجاهه كل المعونة ، ولما رأى خالد أبا عبيد الله  
قد عجب من ذلك مع ما فعل من جنائمه قال : « يا أبا عبيد الله إن النفس التي  
منعتني النزول لك ذلك اليوم هي التي بعثني على ما ترى من وفائي لك في هذا  
الوقت وإن النفس التي بعثت معاذاً على نزوله لك هي التي أقعدته عنك الآن .  
قال حنبل [ يعني أبو الوفاء بن عقيل نفسه ] : هذه والله المكارم التي عاش  
الناس في مجبوحتها قديماً وعدمناتها في أواخر أعمارنا لموت الكرماء ، حاشى  
ظهر الدولة <sup>(١)</sup> خازن إمامنا .

(١) ذكر في الورقة « ٧٢ » أنه يلقب أيضاً « مجد الدين » فلعله مجد الدين  
أبو المعالي هبة الله بن محمد المعروف بابن للطالب البغدادي ، صاحب ديوان الزمام أيام الخليفة  
المقتدي بأمر الله والخليفة المستظهر بالله ، وقد قلده هذا الأخير الوزارة وتوفي سنة « ٥٠٣ » .  
كما في تلخيص معجم الألقاب .

## شجاعة علي بن أبي طالب وفضله (و ١٣، ١٤)

قيل لأمر المؤمنين علي عليه السلام - لم لا تلبس الجديد وأنت تقدر عليه ؟ قال : هو أخشع لقلبي . وقيل له : لم لا تجعل لدرعك ظهراً ؟ قال : لأنني لم أدخل فأحدث نفسي بالفرار والتولي .

روى الأنباري قال أخبرني أبي قال حدثنا محمد بن عمران الضبي قال : لما كثر أصحاب الحديث على شريك وقالوا له : « يا أبا عبد الله حدثنا حديث رسول الله (ﷺ) » : تقتل عماراً الفئة الباغية » . غضب وقال : أترون نخراً لعلي أن يقتل عماراً معه ؟ إنما الفخر لعمار في أن يقتل مع علي - رضي الله عنهما .

## الصلاة على جنازة الرجل والمرأة معاً « ١٣ »

كانت لأم كلثوم بنت علي - عليه السلام - ثلاثة أشياء : زوجها أبوها من عمر - رضي الله عنه - ولم يستأمرها . واستشهد عمر - رضي الله عنه - فلم ينقلها أبوها من منزله الليلة التي أصيب فيها ، وقال : الدار للمسلمين وليست لعمر ولو كانت ملكاً له لنقلتها . وتوفيت وابنها زيد بن عمر في ليلة ، فصلى عليها ابن عمر فجعل الابن مما يليه وجعلها مما وراء الابن . وعرف بذلك كيف السنة في الصلاة على المرأة إذا انفق معها رجل .

شريف (١) مخيف

لابن حجاج (٢) في شريف آذاه :

(١) الشريف مراد به يومئذ أحد العلويين أو أحد العباسيين كالشريف الرضي والشريف أبي تمام الزبني ، ولكنه كان على العباسي أشهر ، كما جاء في محاضرات السيوطي .  
(٢) الحسين ابن حجاج الشاعر اللاجن للشهور ، من أهل القرن الرابع للهجرة ، ودبوانه لا يزال مخطوطاً وفيه فحش من القول كثير ، وفي اليقينة الثمالي نماذج من أفك ، فحشاً .

رأبتم قطعاً أحق من شريفه . بصره على أذى رجل سخيف ؟  
فكان كمثل عطار تدلى فكدس رأسه جوف الكنيف

### شعر محمد بن عمر الأنباري « و ١٧ »

قال أبو الحسن محمد بن عمر الأنباري في ابن بقیة الوزير لما صلب (١) :  
لم يلبحوا بك عاراً إذ صلبت بلى بأؤوا ببارك ثم استرجعوا ندماً  
وأيقنوا أنهم في فعلهم غلطوا وأنهم نصبوا من مؤدبه علماً  
فاستدركوه وواروا منك طود عليّ بدفته دفنوا الأفضال والكرما  
لئن بليت فما تبلى نذاك ولا ينسى' وكم هالك ينسى إذا قدما  
تقاسم الخلق حسن الذكر منك كما مازال مالك بين الخلق مقسماً  
بقية الجود فينا كنت فاقترضت فليس نعدم مذ فارقتنا العدماً  
وكنت لله فينا أنعماً سلبت ولو بقيت لنا لم نسلب الشعا  
وكيف ينساک حرث لم يجد عوضاً مذمت عنك ولا يبكي عليك دماً!

### وحشي والراشدان « و ٢٣ »

قال وحشي لما قدمت المدينة وقد ولي أبو بكر ، سألتني كيف قتلت حمزة ؟  
فأخبرته . فقال : غيب وجهك عني . فكنت أخالفه الطريق فاذا سلك طريقاً  
سلكت طريقاً أخرى حتى توفي وولي ابن حنيفة - يعني عمر بن الخطاب -  
( قال حنبلي : وقوله ابن حنيفة بدل على ما يدل عند العقلاء ) فأرسل إليّ  
فدعاني فقال : كيف قتلت حمزة ؟ فأخبرته . فقال : لا نساك في المدينة .  
فخرجت الى الشام ، فلما ولي أمير المؤمنين معاوية أنزلني داراً وأجرى عليّ  
رزقاً من بيت المال . . .

(١) أرى أنه قال ذلك لما أزل من الخشيبة للصلوب - كان - هو عليها ،  
لأن سرهيته في صلبه هي التي قال فيها ابن الأنباري للذكور :  
علو في الحياة وفي اللوات لحق أنت إحدى المنجزات

## من مواظب ابن عقيل « ٨٨ »

ما أعجب شأن العارف وأعجب شأن الخلق معه : تبذل التجار منهم <sup>(١)</sup> في طلب الأرباح وتعبية الأموال ، ولم يُعابوا ، وتبذل المحبون والشاق والمتعبون في محبة الأشيخا ص ولم يُبلاموا ، وتبذل قوم في محبة الخيل والطيور والصيد ولم يُعابوا ، وتبذل قوم في عبادة بارئهم فكثير اللوام والعذال واستهجننت منهم الأحوال وقيل فيهم كل مقول ونُسبوا الى كل عظيم من الخطأ ومهول ، وقيل لهم ما لهم عقول ، ومعلوم أن الميتدل في الله لا يُبلام عقلاً لأنه ليس فوق إنعامه إنعام ، ولا على إحسانه إحسان ، نعمته تنهال وبره لم يزل ولا يزال ، يمدح على القليل وهو المعطي ، ويرضى باليسير وهو الموفق ، إنك لفي قول مختلف ، لا أرى لك ثبات قدم على ندم ولا وجوداً ولا موجوداً ، ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فارجع وأب ، واستغفر وتب ، فقد رحل إخوانك سابقين وبقيت أنت مع المتخلفين .

## نوبة روزجار « ١٧٨ »

سئلت عن نسوة يغزل بعضهن لبعض يسمينه « نوبة روزجار » وصفته أن تخرج كل واحدة قطعاً تفرقه عليهن فتحصل مبادلة بالعمل . قات وبالله التوفيق : يجوز لأن الأعمال لا بدخلها الرباً فأكثر ما فيه أن يكون غزل واحدة أجود من غزل الأخرى فهو ارتفاق بالأعمال .

## تحسين العقل وتقييده « ٩٥ »

حضرنا يوماً بدار الكتب <sup>(٢)</sup> بشارع ابن أبي عوف فتذاكرنا أمر العقل

(١) أي من الخلق للمقدم ذكره .

(٢) هي دار الكتب التي أسسها غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال الصافي ، قال أبو الفرج بن الجوزي في حوادث سنة « ٤٥٢ هـ » « وفي رجب وقف أبو الحسن محمد بن هلال للصافي دار كتب بشارع ابن أبي عوف من غربي مدينة السلام ونقل إليها -



وتحسينه وتقييحه ، فقال إنسان يبيل الى مذهب أبي الحسن الأشعري : متى يثق العاقل بعقله وقد علم أنه لو قدر فيما قبل ورود الشرع كيف حكم إبلام الحيوان وهدم بنيته لرآه بالعقل قبيحاً ، ولو قدر إيصال اللذات الى نفسه بتقبيل الملاح من المردان ولبس الحرير في الشتاء وسماع ما تحيا به الأتفس والقلوب من القيان لرآه حسناً ، إذ فيه تقوية النفس ورفاهية الجسم وروح القلب ونعيم الجسد . فلما جاءت الشرائع لم يقنع بأن يبيح إبلام الحيوان حتى جعل ذبحه تقرباً اليه وقرباناً وحرماً أكثر التعميم وجعله بغياً منه وطغياناً ، فتركت هذه الأمور العاقل لا يحكم بعقله ولا يقبح قبيحاً ، حكم العقل بقبحه ، وفوض الأمور الى الشرع .

وكان بالحضرة رجل ينتحل العدل والتوحيد ، فأجابه : هل استدلالك هذا حسن أم قبيح ؟ فان قلت : حسن أو قبيح سألتك عن طريق تحسينه أو تقييحه فان أجبت بانه العقل كفانا ذلك إبطالاً لما قوربت ، وإن قلت : علمت ذلك بالشرع قيل لك أين النص في كتاب الله وأين سنة رسول الله مما ذكرت ؟ على أنا نبسط الكلام ونفتح عن مجال الجدل حتى لا تضيق عليك ، فنقول : أظننت أن تحسين إبلام الحيوان بعد تقييحه بالعقل المجرد كونه إبلاماً ؟ كلا ولكن لما ثبت عندنا بأدلة العقول حكمة واضع الشريعة وانه لا يفعل القبيح ولا يشرعه وأنا لو جوتنا ذلك لانسد علينا باب العلم بصدق السفراء ، لكننا لما سبق لنا العلم بأن الصانع القديم حكيم لا يفعل القبيح ثبت لنا أنه

— ألف كتاب « وقال سبطه في حوادث السنة المذكورة في سرة الزمان » وفي رجب وفتت دار الكتب بشارع ابن أبي عوف من غربي بغداد ونقل اليها ألف كتاب وذلك لأن الدار التي وقفها بسبور الوزير بين السورين في الكرخ سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة أحرقت لما دخل طفرلك بغداد وتمزقت الكتب ونهب الباقي ومحل أكثرها الى خراسان ودرس العلم . والمسكان الذي كانت فيه من حساب الكرخ ورواصفه . وذكر ابن الفوطي في معجم الألقاب أنه وقف نحواً من أربعائة مجلد في فنون العلم .

لا يؤيد كذاباً ، فثبت أنه لما أيد بالاعجاز أشخاصاً ، كانوا صادقين . فلما ثبت ذلك جاءت الشريعة بإبلام الحيوان لوجه من وجوه الحكمة والمصلحة ، وليس في العقل تقبيح الابلام على الإطلاق ، بل بط الدابة وألم الفصد والحجامة وشرب الأدوية ، كل ذلك إبلام ، وكذلك الردع عن القبيح بالحدود ، فكل ذلك حسن لما عاد به من صلاح الأجل وحفظ الكل . فالإبلام الذي جاءت به الشرائع من هذا القبيل ، فأما من قبيل الابلام الذي وقع لا بحكمة فكلاً . فسكت الأشعري « .

### أنجد بن قيس التيمي « و ٤ »

بعث زياد الى معاوية رجلاً من بني تميم يقال له أنجد بن قيس ، وكان له غناء يوم صفتين مع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فقال له معاوية : أنت القائم في الفتنة علينا والمكثر عدونا ؟ فقال أنجد : يا أمير المؤمنين انها كانت فتنة عمياء ، نزا فيها الرضيع وخف الرفيع فاحتدمت وأكلت علينا ثم شربت ، حتى اذا حسرت ظلماؤها وكشف غطاؤها وآل الأمر الى مآله وصرح الحق عن محضه عرفنا خليفتنا وتركنا ففتنتنا ولزمتنا عصمتنا ومن يحدث متاباً لم يرد الله به عقاباً . فقرّبه معاوية وأحسن اليه .

### مُسْتَنْبِحَةٌ ( ٢١٥ )

ومن مستنجات العرب قول عبد السلام الكناني :

ومستنبح الليلُ صرخِ سدوله	له رنةٌ تحت الدُّجى ونعيقُ
وقد جاده نوه السماك بودقه	ورجٌ شمالُ زفزَفٍ وبروقُ
دعائي وعرض الدوِّ بيني وبينه	وفجٌ بعيد الجانبين عميقُ
فقلت له ليك ليك إنني	اليك ورب العالمين مشوقُ

وقلت لعبيدي أذكرك نارك معجلاً  
 فان بأتنا أو يهده ضوء نارنا  
 فأنقب ناراً في بفاع محلق  
 وضرماً ما استطاع فهي ذلوق  
 ترى شرراً كالقصر منها كأنها  
 جمال عليها الزعفران ونوق  
 فأقبل مجبوشاً وقد سلّ جسمه  
 فلم يبق إلا أعظم وعروق  
 فقلت له حياك ربك من فني  
 أنخ فحلّ واسعٌ وصديق  
 وأبو يرى حق الأبوّة واجباً  
 عليه ومن بمد الحقوق حقوق  
 فأفرخ عنه الروح وارتدّ لونه  
 وسكّنت منه القلب وهو خفوق

الدكتور مصطفى جواد

(بغداد)

# المدرسة العادلية الكبرى

## تقوم برعاية اللغة العربية منذ سبعة قرون ونصف

من دواعي الفخر لمدينة دمشق أن تقوم المدرسة العادلية الكبرى على رعاية اللغة العربية منذ سبعة قرون ونصف ، وأن تكون لها فكرة سامية وهدف عال نحو اللغة العربية ، وهي أهداف لا تختلف بيوهرها عن أهداف المجمع العلمي العربي بدمشق ، بل كان الهدف واحداً منذ احتفل بافتتاحها سنة ( ٥٦١٩ ) الى يومنا هذا وقد أصبحت مجعاً علياً .

أسدل النغمي حجاباً كثيفاً على هذه الناحية في « تنبيه الطالب » ثم حداً حذوه من اختصر كتابه أو استمد منه ، لأنه ذكر هذه المدرسة مع مدارس الفقهاء الشافعية ولم يشر الى ناحية اللغة العربية . وإنما أشار الى ذلك اشارة ضعيفة في باب الترب فجعل الانسان لا ينتبه لهذه الناحية . ولدى استقراء نظام التدريس فيها تبين ان لهذه المدرسة فرعين : فرع للغة ، وفرع للقراءات واللغة العربية . وضع أسس هذه المدرسة لدراسة الفقه الشافعي السلطان نور الدين محمود ابن زنكي سنة ( ٥٦٨ ) ولم يرتفع من بنائها الا القليل حتى عاجلته المنية <sup>(١)</sup> وفي سنة ( ٦١٢ ) أزال الملك العادل بناء نور الدين وعمل مكانه مدرسة عظيمة للشافعية بعد أن وسع مساحتها ودعيت باسمه <sup>(٢)</sup> . وتوفي الملك العادل سنة ( ٦١٥ ) ودفن في قلعة دمشق ولما يكمل بناؤها ، فقام ابنه الملك المعظم بإكمال بناء هذه المدرسة

(١) كتاب الروضتين ٢١٤/١ ؛ خطط الشام الأستاذ محمد كرد علي ٨٥/٦ .

(٢) المصدر نفسه ؛ البداية والنهاية ٥٨/١٣ ؛ تنبيه الطالب ٣٥٩/١ .

وجعل لها قبة لدفن أبيه ، ونقل جثته من القلعة إليها سنة ( ٦١٩ ) وهي السنة التي تمَّ فيها بناؤها واحتفل بافتتاحها .

بعود الفضل في إتمام هذه المدرسة إلى الملك المعظم الذي نفذ مشروع سلفه وأوقف عليها الأوقاف العظيمة . وكان مفرماً باللغة العربية ولادائها فأراد تحقيق أفكاره وميوله في هذه المدرسة التي أصبحت سيدة مدارس دمشق ، ولم يشأ أن يغير ما أنشئت من أجله وأن يهدم مشاريع سلفه فجعلها قسمين : (١) قسم للفقهاء ، (٢) قسم للقراءات والعلوم العربية .

الملك المعظم وولاه التدريس باللغة العربية :

أنجب الملك العادل أخو صلاح الدين ستة عشر ولداً<sup>(١)</sup> كان في طليعتهم الملك الكامل محمد (ملك مصر) والملك المعظم عيسى (ملك دمشق) والملك الأشرف موسى (ملك الجزيرة وبلاد الأرمن ثم دمشق) ورغم أن عملاً كان عليه أولاده من ثقافة عالية ، ومعرفة غزيرة ، وأدب جم ، ونظم للشعر العربي ، فقد كان الملك المعظم عالم البيت الأيوبي غير منازع ، وحامل راية ثقافتهم ، ومفتخر دولتهم على عمر الزمان ، ويقول الأستاذ خليل مردم بك : إن الملك المعظم في بني أيوب كالأمامون في بني العباس<sup>(٢)</sup> .

ولده المعظم بمصر سنة (٥٧٨) على رأي ابن خلكان<sup>(٣)</sup> أو سنة (٥٧٦) على رأي سبط ابن الجوزي<sup>(٤)</sup> ونشأ كبقية الملوك الأيوبيين فتعلم الفروسية ، وإدارة البلدان ، وأصول الحرب ، وقيادة الجيوش .

وملكت عليه الروح العلمية والأدبية مشاعره فلم يكن له مطامع في التوسع

(١) ابن خلكان ٥٠١/١ المطبعة الأميرية .

(٢) ديوان ابن عنين ، المقدمة ١٣ طبع المجمع العلمي العربي .

(٣) ابن خلكان والنجوم الزاهرة ٢٦٧/٦ طبع دار الكتب المصرية .

والاستيلاء على أراضي غيره بل قنع بمملكته التي كانت تمتد من حدود حمص الى العريش ، فشمل دمشق وضواحيها ، وبلدان السواحل الاسلامية ، والغور ، وفلسطين ، والقدس ، والكرك ، والشوبك ، وصرخد وجميع بلاد حوران<sup>(١)</sup> .  
يقول ابن الأثير : تفق العلم في سوقه وقصده العلماء من الآفاق فأكرمهم وأجزى عليهم الجرايات الوافرة وقرَّبهم وكان يجالسهم ويستفيد منهم ويفيدهم . وكان يرجع الى علم وصبر على سماع ما يكره ، لم يسمع أحد ممن يصحبه منه كلمة سوء<sup>(٢)</sup> .

ويقول ابن خلكان عنه : إنه كان عالي المهمة حازماً ، شجاعاً ، مهيباً ، فاضلاً ، جامعاً شمل أرباب الفضائل ، محباً لهم ، كان يحب الأدب كثيراً ، وله رغبة فيه<sup>(٣)</sup> .  
ويقول أبو المظفر سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان : الملك المعظم ، العالم الفقيه ، الجاهد في سبيل الله ، النحوي ، اللغوي ، ويطلق عنان القلم في ذكر محاسنه وترجمته في عدة أوراق . ويملق ابن تفردي يردي على ذلك بقوله : « قلت » ويحى له ذلك فان المعظم كان في غاية ما يكون من الكمال في عدة علوم وفنون ، وهو رجل بني أبواب ، وعلمهم بلا مدافعة ، ومحاسنه أشهر من أن تذكر<sup>(٤)</sup> .

هذا بعض ما وصفه به المؤرخون ، ولعل القارئ الكريم يأخذ العجب اذا قلنا له ان ملك دمشق وفلسطين وشرقي الأردن وحوران كان ينزل من قصره في قلعة دمشق يتخطى الطرقات الى دار أستاذه تاج الدين الكندي في جيرون

(١) ابن خلكان ٥٠١/١ . الانس الجليل ٣٥٥/١ .

(٢) الكامل ١٨٣/١٢ طبع مصر سنة ١٣٠٣ .

(٣) ابن خلكان للصدر المذكور .

(٤) مرآة الزمان ٤٢٥/٨ . النجوم الزاهرة ٣٦٨/٦ و ٣٦٩ .

(حارة النوفرة اليوم) والكتاب تحت إبطه <sup>(١)</sup> وربما كان الطلاب لم ينتهوا من درسهم فيسكتون حين يحضر فيقول الملك المعظم لأستاذه: لا والله ، إنما القراءة بالنوبة فليتموا <sup>(٢)</sup> .

ولعل القارئ يظن ان قراءة الملك المعظم كانت ابتدائية ، ولكننا نذكر أسماء الكتب التي قرأها على الكندي وهي : المفصل للزمخشري وكان يحفظه غيباً ، كتاب سيبويه وشرحه الكبير للسيرافي ، وشرحه لابن درستويه ، الايضاح لأبي علي الفارسي وكان يحفظه أيضاً ، الحجة في القراءات له أيضاً ، الحماسة ، وحفظ على نجر الدين المسعودي وقرأ عليه الجامع الكبير في الفقه الحنفي ، كما سمع مسند الامام احمد على حنبل وابن طبرزد ، وسيرة ابن هشام على ابن الحلي بمصر .

وهذه دراسة كأرقى ما يمكن دراسته للغة العربية ، والثقافة الاسلامية ، ولا نعلم أحداً اليوم يدرس مثل هذه الكتب . وقد دفعه حبه لتشجيع الإقبال على تعلم النحو أن أعلن أن كل من يحفظ المفصل للزمخشري له مائة دينار وخامسة ، واجتمع القاضي ابن خلكان بجاعة كثيرة من يحفظه لهذا السبب <sup>(٣)</sup> .

ويقول سبط ابن الجوزي : كان يحب الفقهاء ويحرضهم على الاشتغال بالعلم فيقول : من حفظ نص الجامع الكبير للكرماني أعطيته مئة دينار ومن حفظ الايضاح لأبي علي الفارسي في النحو أعطيته مئتي دينار فحفظ الكتابين جماعة ووفى لهم بما شرطه <sup>(٤)</sup> .

(١) ذيل الروضتين لأبي شامة ، والوافي بالوفيات نقله عنه النعماني في تقييد الطالب .

(٢) ذيل الروضتين ٩٨ .

(٣) وفيات الأعيان ٥٥١/١ .

(٤) مرآة الزمان ٤٢٧/٨ .

وأمر أن يجمع له في اللغة كتاب جامع كبير فيه كتاب الصحاح ويضاف إليه مافات الصحاح من التهذيب للأزهري ، والجمهرة لابن دريد وغيرها (١) وأمر بترتيب مسند الامام أحمد على الأبواب وأن يرد كل حديث رالي الباب الذي يقتضيه معناه (٢) . وهذه فكرة لا يخرج الا من دماغ عالم مفكر غيور على اللغة العربية .

ولم يقف تفكيره عند تأليف مجمع كبير جامع للغة العربية بل اتجه نحو الترجمة أيضاً فأمر الفتح بن علي البنداري بترجمة الشاهنامه للفردوسي الى اللغة العربية . فعرضها البنداري فكانت هي الترجمة الوحيدة باللغة العربية (٣) . وأسند وزارة مملكته الى أشهر شعراء عصره وهو ابن عنين فكان عمله هذا أكبر تكريم للأدب العربي والشعر العربي .

وعطف على العلماء والأدباء عطفاً جعل مملكته تزخر بهم ، وشجع حركة التأليف والمؤلفين فألفت عدة مؤلفات في فنون شتى أهدي أكثرها اليه . فيقول الفتح بن علي بن محمد البنداري في مقدمة كتاب ألفه له : خدمة ملك اجتمع فيه من الفضائل ما تفوق في جميع سلاطين الأمم ، وصار نظاماً لحاسن يتزين بأفرادها سائر ملوك العرب والعجم ، مولانا السلطان الملك المعظم ، أبي الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب (٤) .

ولما دخل سيف الدين الآمدي دمشق سنة ( ٦١٧ ) أنعم عليه الملك المعظم انعاماً كثيراً ، وأكرمه غاية الاكرام ، وولاه التدريس (٥) . وقد ألف

(١) الكامل لابن الأثير ١٨٣/١٢ طبع مصر سنة ١٣٠٣ . والبداية والنهاية ١٣/١٣١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) مقدمة الشاهنامه للدكتور عبد الوهاب عزام .

(٤) دولة آل سلجوق ص ( ٣ ) مطبعة للوسطات .

(٥) عيون الأنباء ١٧٤/٢ .



الأمدي المذكور له كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» وهو يعد من أجل كتب الفقه والتحليل والاستنتاج فقال في مقدمته أنه ألفه : خدمةً لمولانا السلطان الملك المعظم المكرم ، سلطان الأجواد والأجناد ، أجل عالم ، وأفضل من تمتد إليه أعناق المهتم والعزائم ، ملك أرباب الفضائل ، ناقد خلاص الأفاضل ، باعث أموات الخواطر ، ناشر رفات العلوم الدوائر<sup>(١)</sup> .

وجاء في عيون الأنباء : ان رشيد الدين الصوري خدم الملك المعظم وكان مكيًا عنده وجيهاً . . . ولم يزل في خدمته الى أن توفي المعظم ، وجرر أدوية الترياق الكبير ، وجمعها على ما ينبغي فظهر نفعه ، وعطمت فائدته ، وقد صنع منها شيئاً كثيراً في أيام الملك المعظم<sup>(٢)</sup> . وألف كتاب الأدوية المفردة وجعله باسمه واستقصى فيه ذكر الأدوية المفردة ، وذكر أيضاً أدوية اطلع على معرفتها لم يذكرها المتقدمون ، وكان يستصحب مصوراً ومعه الأصباغ والليق على اختلافها وتنوعها فكان يتوجه رشيد الدين الصوري الى المواضع التي بها النباتات مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي قد اختلفت كل منها بشيء من النباتات فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه وأصوله ، ويصور بحسبها ويجهتد في محاكاتها .

ثم انه سلك أيضاً في تصوير النبات مسلكاً مفيداً ، وذلك انه يُري النبات للمصور في ابان نباته وطراوته فيصوره ، ثم يريره اياه أيضاً وقت كاله وظهور بزره فيصوره تلو ذلك ، ثم يريره اياه أيضاً في وقت ذواه وييسه فيصوره فيكون الدواء الواحد يشاهده الناظر اليه في الكتاب وهو على الخفاء ما يمكن أن يراه به في الأرض فيكون تحقيقه له أتم ، ومعرفته له أبين<sup>(٣)</sup> .

(١) الإحكام في أصول الأحكام ص (٣) . مطبعة المبارف .

(٢) عيون الأنباء ٢/٢١٦ .

(٣) للمصدر للذكور ٢/٢١٩ .

ولا ينبغي ما في هذا العمل من عناء وتطلب نفقات وإذا لم يكن ذلك برعاية الملك المعظم فمن المتعذر أن يقوم به شخص بنفسه .

### مؤلفات الملك المعظم :

ان اشتغاله بسياسة بلاده ومقارعة جيرانه من الدول الأجنبية وغيرها لم يمنعه ان يقوم بعدة مؤلفات عرفنا منها ما يلي : كتاب في العروض ، شرح الجامع الكبير ، ديوان شعره ، كتاب في الرد على الخطيب البغدادي <sup>(١)</sup> ( طبع في مصر عام ١٣٥١ ) .

ولا يطالع الانسان هذا الكتاب الا وتأخذه هزة الطرب حينما يقع على الجمل الآتية التي يقول فيها ملك دمشق : أنبأنا شيخنا الامام العلامة حجة العرب أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي مشافهة <sup>(٢)</sup> وأخبرنا الشيخ الامام الأوحى احمد بن عمر بن محمد بن قدامة المقدسي بقراءتي عليه بالبيت المقدس في صفر من سنة اثنين وعشرين وستائة <sup>(٣)</sup> . إذ يرى الملك المعظم يسلك طريق المحدثين في رواية الأخبار بالأسانيد .

### مؤسساته العلمية :

للمعظم عدة مؤسسات علمية أنشئت لتعزيز العلوم والآداب :

(١) في مدينة القدس بباب الرحمة مدرسة تعرف بالنصرية نسبة للشيخ نصر المقدسي ، ثم عرفت بالفزالية نسبة لأبي حامد الفزالي . ثم أعاد انشاءها المعظم وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو ووقف عليها كتباً من جملتها إصلاح

(١) النجوم الزاهرة ٦/٢٦٧ ، سرآة الزمان ٨/٤٢٥ .

(٢) ص ١٧٦ .

(٣) ص ١٧٨ .

المنطق لأبي يوسف بن اسحاق بن السكيت . وقد وقفت على كراسة منه بخط ابن الخشاب ، وعلى ظهر الكراسة الوقف ، وهو مؤرخ في التاسع من ذي الحجة سنة عشر وست مئة . وقد دثرت الزاوية المذكورة في عصرنا ولم يبق لها نظام وصارت من المهملات <sup>(١)</sup> .

(٢) مدرسة للخفية بالقدس عند باب المسجد الأقصى المعروف بباب الدويدارية <sup>(٢)</sup> .

(٣) وبني على آخر صحن الصخرة من جهة القبلة مكاناً يسمى النخوية للاشتغال بعلم العربية ووقف على ذلك أوقافاً حسنة <sup>(٣)</sup> .

(٤) المدرسة العادلية الكبرى بدمشق وهي الآن (مقر المجمع العلمي العربي) ورغمما عن أنها سميت بأمم أبيه فاليه يعود الفضل في أكثر بنائها وإتمام عمارتها .  
(٥) المدرسة العظيمة في صالحية دمشق وفيها قبره وقبور أهله وأولاده <sup>(٤)</sup> .  
وقد زالت معالمها في عصرنا .

وللمعظم أبنية ومصانع كثيرة في فلسطين وخاصة في جبل الطور يطول بنا تعدادها .

وتتلخص ميول الملك المعظم بما يلي :

- ١ - سعيه لنشر اللغة العربية بوضع جوائز متعددة لمن يحفظ كتبها .
- ٢ - دعوته لتأليف معجم كبير جامع للغة العربية .
- ٣ - بذل المال بسخاء للعلماء وتقليدهم الوظائف الكبيرة كالسيف الأمدي ، والرشيدي الصوري ، ويعقوب بن سقلاب النصراني .

(١) الانس الجليل ٢/ ٣٨٦ .

(٢) للمصدر السابق ١/ ٣٥٥ .

(٣) للمصدر نفسه .

(٤) انظر خطط الشام للأستاذ محمد كرد علي ، والتلائم الجوهرية في تاريخ الصالحية .

- ٤ - تنشيط حركة التأليف في جميع العلوم .  
 ٥ - تنشيط حركة الترجمة .  
 ٦ - تكريمه الأديباء والشعراء بإسناد الوزارة إليهم كبن عيين وغير الدين الساعاتي .  
 ٧ - إنشاء المدارس للغة العربية ، وهذا مما اختص بها المعظم دون سائر من بنى مدارس في مصر والشام .  
 ٨ - إنشاء المكتبات للمطالعة .  
 وهذه المبادئ التي قام بها الملك المعظم ، تشابه كثيراً المبادئ التي يقوم بها المجمع العلمي العربي الآن .

### قسم الفقه في المدرسة العادلية الكبرى :

كانت بلاد الشام خالية من العلم وأهله ولكنها في زمان نور الدين الشهيد صارت مقراً للعلماء والفقهاء اصرف همته في بناء المدارس وترتيب أمورها والناس آمنون على أموالهم وأنفسهم <sup>(١)</sup> . وكان ممن استدعاهم من العلماء إلى البلاد الشامية قطب الدين النيسابوري <sup>(٢)</sup> فوصل إلى نور الدين في سنة (٥٦٨) وهو فقيه عصره ونسيج وحده ، فسر نور الدين به وأنزله بحلب بمدرسة باب العراق ثم أطلقه إلى دمشق فدرس بزاوية الجامع الغريبة المعروفة بالشيخ نصر المقدمي ونزل بمدرسة الجاروق <sup>(٣)</sup> ، وشرع نور الدين في إنشاء مدرسة كبيرة للشافعية لفضله وهي المدرسة العادلية الآن التي بناها بعده الملك العادل أبو بكر بن أيوب أخو صلاح الدين وفيها تربته . وقد رأيت أنا ما كان بناه نور الدين ومن بعده منها ، وهو موضع المسجد والمحراب الآن .

(١) الروضتين ١٤/١ .

(٢) المصدر نفسه ١٣/١ .

(٣) هي المدرسة الجاروقية .

ثم لما بناها الملك العادل أزال تلك العارة وبنها هذا البناء المحكم الذي لا نظير له في بنيان المدارس ، وهي المأوى ، وفيها المثوى ، وفيها قدر الله تعالى جمع هذا الكتاب ( أي الروضتين في أخبار الدولتين ) فلا أقفر ذلك المنزل ولا أقوى <sup>(١)</sup> .

وبقي قطب الدين الى أن توفي في الأيام الناصرية في سنة ثمان وسبعين وقد وقف كتبه على طلبة العلم . ونقلت بعد بناء هذه المدرسة إليها فمما فاتها ثمرته إذ فاتها مباشرته <sup>(٢)</sup> .

ويصف لنا أبو شامة الاحنفال بافتتاحها فيقول : حضر السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل فجلس في ايوان المدرسة وجلس عن يمينه شيخ الحنفية جمال الدين المصري ثم نغر الدين بن عساكر ثم القاضي محيي الدين بن الشيرازي ثم القاضي محيي الدين بن يحيى الزكي .

وجلس عن يسار السلطان مدرس المدرسة قاضي القضاة جمال الدين المصري ، ثم سيف الدين الآمدي ، ثم شمس الدين بن سني الدولة ، ثم القاضي نجم الدين خليل قاضي العسكر وجلس مقابل السلطان تقي الدين بن الصلاح ، ودارت حلقة صغيرة فيها أعيان المدرسين والفقهاء والناس وراءهم متصلون ملء الايوان وكان مجلساً جليلاً لم يقع مثله الا في سنة ( ٦٢٣ ) واشترك السلطان مع الجماعة في الكلام العلمي <sup>(٣)</sup> .

ومن ذلك الوقت أصبحت التقاليد أن لا يلبى التدريس فيها الا قاضي القضاة وأن تكون محكمة للقضاء الشافعي ، وهذه أسماء من وليها على الترتيب :

(١) أبو شامة في الروضتين ١/٣١٤ .

(٢) ذيل الروضتين ١٣٢ .

- ١ - جمال الدين المصري <sup>(١)</sup> .
- ٢ - شمس الدين احمد بن خليل الخويي .
- ٣ - كمال الدين عمر بن بNDAR بن عمر التفليسي نيابة عن شهاب الدين الخويي .
- ٤ - رفيع الدين الجيلي .
- ٥ - كمال الدين المذكور اصالة عن نفسه .
- ٦ - نجم الدين بن سفي الدولة .
- ٧ - شمس الدين بن خلكان .
- ٨ - عز الدين محمد بن الصائغ .
- ٩ - بهاء الدين بن الزكي .
- ١٠ - نجم الدين بن مصري .
- ١١ - بدر الدين بن جماعة .
- ١٢ - امام الدين القزويني .
- ١٣ - جمال الدين الزرعي .
- ١٤ - جلال الدين القزويني .
- ١٥ - علاء الدين علي بن اسماعيل القنوي .
- ١٦ - علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران الاخنائي .

(١) أعطى ابو شامة ملاحظات قيمة عنه . فقال : انه اول من درّس فيها . وكان يذكر بها قبل درس الفقه درساً من تفسير القرآن طويلاً ويجري فيه مباحث حسنة . فانه كان يحضره معنا جماعة من الفضلاء فاتفق أن فرغ من ذكر التفسير من أوله الى آخره فلما تم له ذلك توفي بعد ذلك بتليل أي سنة (٦٢٣) . وقال عن مجلس قضائه : كان ملازماً لمجالس الحكم بالشباك الحكالي بالجامع وغيره . وكان اذا جلس فيه بمد مصر لا يزال الى أن يصلي المغرب ، وفي بعض الليالي يصلي المشاء الآخرة فكان اذا فرغ من الحكم بين الخصوم تجري محضرته للذاكرة في العلم الى حين انفصاليه . ويجلس بكرة كل يوم جمعة ويوم الثلاثاء بابوان العادلية لاثبات الكتب ويصطف شهود البلد في جوانب الايوان وكان مجلداً عليه جلالة ( ذيل الروضتين ١٤٨ ) ويلبغني أن نشير هنا الى ان اهل دمشق حتى يومنا هذا يسمون المحكمة « بالعادلية » .

- ١٧ - جمال الدين يوسف بن ابراهيم بن جملة .
- ١٨ - تقي الدين السبكي .
- ١٩ - بهاء الدين احمد بن تقي الدين السبكي .
- ٢٠ - أخوه تاج الدين السبكي .
- ٢١ - مزاج الدين الحمصي .
- ٢٢ - شمس الدين الونائي .
- ٢٣ - شرف الدين القزويني معيد المدرسة <sup>(١)</sup> .

ويغيب بعد ذلك في مطاوي الكتب المجهولة أسماء من تولوا بعد ذلك فضلاً عن كون هؤلاء فقهاء وقضاة فان بينهم أعلاماً في الأدب واللغة كابن خلكان صاحب وفيات الأعيان وجمال الدين القزويني الذي أصبح كتابه «التلخيص» في علوم المعاني والبدع والبيان كتاباً مدرسياً من عهده الى عصرنا هذا وكتاب الدين السبكي الذي له كتب قيمة في الأدب والتاريخ كجمع الجوامع وكطبقات الشافعية وقد ترجم لأكثرهم السيوطي في طبقات النخاة .

وكان يؤمها العلماء والفقهاء ويجري فيها مباحثات ومناقشات لغوية وأدبية وقد نقل عن جلال الدين القزويني أنه قال : اجتمعت بيدر الدين ابن النجوبة في عادية بدمشق وسألته عن قول أبي النجم :

قد أصبحت أم الخيلار تدعي عليّ ذنباً كله لم أصنع

في تقديم حرف السبب وتأخيره فما أجاب بشيء . وقد تكلم على هذا البيت كلاماً جيداً في مؤلفه «إسفار الصباح» والسبب في ذلك أن كل من وضع صنفاً لا يلزمه أن يستحضر الكلام عليه متى طلب منه لأنه حالة التصنيف يراجع كتب المدونة في ذلك ويطلع الشروح فيجوز الكلام في ذلك الوقت يسهوه عنه <sup>(٢)</sup> .

(١) ذيل الروضتين ٢٣٩ ويرجع لمعرفة تراجم هؤلاء المذكورين الى تفتيح الطالب للنعماني .  
(٢) اللغات البرقية .

ومن نزلها وتوفي فيها من الشعراء الفصيح محمد بن أبي النجم بن البطريق الشاعر  
الجزري الأديب له شعر حسن فائق (١) .

### قسم القراءات واللغة العربية :

علم القراءات من فروع اللغة وهو عبارة عن بيان لهجات بعض القبائل العربية  
ومذاهب النحاة واللغويين في الألفاظ الواردة في القرآن الكريم . والقراءات  
والعربية متلازمتان . فلا يكون قارئاً ماهراً الا وهو نحوي لغوي ، ولا نحوي  
لغوي الا وهو قارئ .

وأئمة اللغة هم أئمة القراءات وأصحاب المذاهب فيها كأبي عمرو بن العلاء ،  
والكسائي ، وخلف الأحمر ، وخمزة الزيات ، وأضرابهم كابن مالك ، وابن الحاجب ،  
وابن هشام ، وأبي حيان من المتأخرين .

أما هذا القسم وهو قسم القراءات واللغة العربية في المدرسة العادلية فقد كان  
في القسم الخارجي منها في تربة الملك العادل التي أحد أبوابها في دهليز المدرسة  
يقابله من الجهة الشمالية باب آخر لسكن أستاذ هذا الفن . وقد أفادنا أبو شامة  
بأنه كان ساكناً في هذه المدرسة هو وأهله .

ويقيدنا أيضاً بأنه كان فيها مجلس للكتب (قاعة مطالعة) في صدر الأيوان  
وهو الموضع الذي كان يجلس فيه غالباً للفتوى وغيرها ومنه يخرج الى الصلاة  
بالمدرسة (٢) كما يقيدنا ابن العماد : أن أباشامة وقف كتبه عليها وشرط أن لا يخرج  
منها . فاحترقت جملة (٣) .

### المشيخة الكبرى :

يرجع الفضل في معرفة هذه المشيخة الى محمد بن الجزري فقد قال في ترجمته  
لمحمد بن مالك النحوي الشهير : قدم دمشق مستوطناً ونزل بالعادلية الكبرى .

(١) ذيل الروضتين ١٦٩ وتوفي سنة ٦٣٧ .

(٢) للصدر السابق ص ٣٨ .

(٣) شذرات الذهب ٣١٩/٥ .



وولي مشيختها الكبرى التي من شرطها القراءات والعربية وأظن ولايته لها بعد أبي شامة . فأقام بالعادلية وألف التوالمفيدة في فنون العربية . . . . .  
 وحدثني بعض شيوخنا أنه كان يجلس في وظيفة مشيخة الاقراء بشباك التربة العادلية . وبنظر من يحضر يأخذ عنه . فاذا لم يجد أحداً يقوم الى الشباك ويقول : القراءات القراءات ، العربية العربية . ثم يدعو ويذهب ويقول : أنا لا أرى ان ذمتي تبرأ الا بهذا فإنه قد لا يعلم اني جالس في هذا المكان لذلك (١) .  
 ويقول السيوطي : ان ابن مالك كان امام المدرسة العادلية أيضاً فكان اذا صلى يشبعه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان الى بيته تعظيماً له (٢) .  
 ومن تولى مشيخة الاقراء الكبرى والائمة فيها أبو شامة وبها ألف كتابه القيم «الروضتين في أخبار الدولتين» وأشار لذلك في كتابه المذكور (٣) .  
 ويفيد ابن الجزري بأنه كان بها مشيخة صفري ومن تولاها محمد بن منصور الحلبي (٤) .

وهذه أسماء من عرف من تولوا المشيخة الكبرى فيها :

- ١ - القاسم بن أحمد اللورقي النحوي .
- ٢ - ابو شامة مؤلف الروضتين .
- ٣ - محمد بن مالك النحوي .
- ٤ - احمد بن ابراهيم بن سباع الفزاري .
- ٥ - محمد بن أبي بكر الحريري .
- ٦ - محمد بن محمد الجزري مقرئ الممالك الاسلامية ومؤلف النشر في القراءات العشر .
- ٧ - ابنه فتح الدين .
- ٨ - ابنه الآخر محمد .

(١) غاية النهاية ٢/١٨٠ .

(٢) بنية الوعاة ص ٥٥ .

(٣) انظر ص ( ٦١ ) من هذا المقال .

(٤) غاية النهاية ٢/٢٦٦ .

- ٩ - صدقة الضرير .
- ١٠ - عثمان بن الصلف .
- ١١ - اسماعيل بن ابراهيم البكاري .
- ١٢ - محمد بن ابراهيم الزنجيلي .
- ١٣ - نصر الله البابي الجوهري<sup>(١)</sup> .
- ومن طريف ما يذكر أن جماعة من المغرّمين بالسبق تجمعوا بها وقرؤوا الجزء الأول من تاريخ الحافظ ابن عساكر سنة (٦١٤) أي قبل أن يتم بناؤها بخمس سنين وكان من جملتهم الحافظ البرزالي المؤرخ<sup>(٢)</sup> ، فكانوا أول من درّس بها . وقد غاب عنا أسماء من درّس بها منذ القرن التاسع الهجري حتى القرن الثاني عشر الذي ظهر به الشهاب أحمد المنيني صاحب التآليف العديدة فسكنها ودرّس بها وألّف . ثم تسلسل التدريس في أحفاده حتى جعلها المجمع العلمي العربي مقراً له في سنة (١٩١٩م) .
- ويقول المرحوم محمد كرد علي : وكان المولى تعلقت ارادته ففضى أن لا يخلي العادلية والظاهرية من علم ينشر ، وأدب يذكر ، فاخترهما مباءة للمجمع العلمي ، يقيم فيها سوق العلم والأدب بعد الكساد<sup>(٣)</sup> .

محمد أحمد رهمان



- (١) يرجع لمعرفة تراجم هؤلاء الى تنبيه الطالب للنعمي ج ٢ التربة العادلية، والى غاية النهاية لابن الجزري ، وطبقات النخلة للسيوطي .
- (٢) انظر الجزء الأول من تاريخ ابن عساكر تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ص ٦٣٢ و ٦٣٤ و ٦٥٢ و ٦٦٣ و ٦٧١ و ٦٨٢ و ٦٩٢ و ٧٠٨ و ٧١٩ .
- (٣) خطط الشام ٦/٨٥ .

## دراسات

عن مقدمة ابن خلدون

ألفه أبو خلدون ساطع الحصري

طبعة موسعة صفحاتها ( ٨ + ٦٥٦ + أربع لوحات إضافية ) (١)

منذ عشرة أعوام نشر العالم الاجتماعي ساطع الحصري كتاباً عنوانه «دراسات عن ابن خلدون» يقع في جزأين صدرتا في بيروت عام ١٩٤٣ و ١٩٤٤ . ونظراً لأحوال الحرب السائدة يومذاك ولبعد الأستاذ ساطع الحصري عن مكتبته التي كانت في العراق فقد اكتفى بأن يدون في ذبك الجزأين خلاصة آرائه مستعيناً بذكريته الجارية وبمراجعة مقدمة ابن خلدون من جديد . ومع ذلك كله فقد جاءت تلك الدراسات أوفى ما كتب علي ابن خلدون من ناحية عرض الموضوع ومن حيث مقارنة آراء ابن خلدون بآراء علماء التاريخ والاجتماع من الغربيين .

وكان الأستاذ الحصري يمني النفس بأن تنتهي الحرب العالمية الثانية ويجمع الله شمله بمكتبته الثمينة وبأوراقه التي دون فيها ملاحظاته وأثبت عليها موازناته وقيد شوارده أفكاره . وحقق الله أمنية الأستاذ الحصري ولكن الأيام شغلته عما كان قد عزم عليه ، فان البلاد العربية أرادت أن تستفيد من خبرته الطويلة في التربية والتعليم فكان مستشاراً للمعارف في الجمهورية السورية ثم مستشاراً ثقافياً في جامعة الدول العربية فأدى من المنصبين خدمات جليلة لأمته وبلاده ،

(١) نشره السيد محمد ناجي الحضيري ببغداد ، وطبعته دار المعارف بدمشق ١٩٥٣ .

ولكن لم يستطع أن يوفر وقته على استتمام البحث في مقدمة ابن خلدون .  
غير أنه استطاع أن يوسع دراسته الأولى فجعلها ستائة وأربعمائة وستين صفحة .  
بعد أن كانت نحو خمسمائة . هذا بالإضافة الى أربع لوحات تمثل اثنتان منها  
رسمين خياليين لابن خلدون وتمثل اثنتان أخريان مشاهد من بيئة ابن خلدون  
( بيته وبناء مدرسته ) .

على أن هذه الدراسات لا تزال في رأي الأستاذ ساطع الحصري نفسه غير  
وافية بمراده ، كما أن شواهدا من المراجع الأجنبية لا تزال تحتاج الى توسيع  
في بعض نواحيها والى تقييدها بأرقام صفحات الكتب في بعض نواحيها الأخرى .  
وكذلك كان الأستاذ الحصري يأمل أن تنتهي الحرب العالمية الثانية فيتاح له  
أن يطلع على مخطوطة قيل إنها محفوظة في تونس . ولقد سافر الأستاذ ساطع  
الحصري الى تونس عام ١٩٤٥ ولكنه لم يعثر على تلك المخطوطة المرجوة فلم  
يكن له بد بعد ذلك من أن يوسع « دراساته عن ابن خلدون » على منهاجه  
القديم ، ومع هذا فقد قطع الطريق على كل باحث جديد في مقدمة ابن خلدون .  
ولن يتاح لأحد أن يزيد شيئاً على ما جاء به الأستاذ الحصري في هذا الموضوع  
الا اذا وقع على مخطوطة جديدة لمقدمة ابن خلدون .

\* \* \*

يمس الأستاذ ساطع الحصري في توطئة دراساته ( ص ١ - ٩ ) نقطتين  
مهمتين جداً في تاريخ العلم ، إذ يرى أن العلماء عادة يشرّكون أقوامهم في  
بعض أخطائهم الشائعة . غير أنه يدافع عن العلماء ، كلهم لا عن ابن خلدون  
وحده ، فيقول : « ان أصول البحوث العلمية تتطلب من كل باحث يقدم على  
مطالعة كتاب قديم أن يتأمل في مواضعه . . . وأن يعرف حق المعرفة بأن  
خطورة الأخطاء التي تلغى <sup>(١)</sup> في الكتب القديمة لا يجوز أن توزن بالمقاييس

(١) في الأصل تلغى (بالفان) وهو خطأ مطبعي .

الفكرية العصرية ، بل يجب أن تقدر بموازين تاريخية خاصة . . . . . وهذه الموازين الخاصة لا يمكن أن تتقرر الا بتتبع الفكر البشري بوجه عام» .  
 من أجل ذلك لا ينكر الأستاذ الحضري أن يكون ابن خلدون قد أخطأ في بعض ما كتب كما أخطأ أرسطو وسوى أرسطو . على أن ابن خلدون قد عرّي في آرائه عن السفسطات التي أتى بها أرسطو نفسه .  
 أما النقطة القيمة الثانية فهي أننا نحن العرب نطلع عادة على كل ما كتب أسلافنا ، الفث منه والسامين ، فنرى دائماً المآخذ عليهم ، بينما الغربيون لا يقدمون الى جمهور قرائهم الا المقتطفات . فإذا نحن رأينا تلك المقتطفات المختارة ظننا ان المفكرين الغربيين لاسقطات لهم البتة .  
 يمثل هذه الروح بتقدم الأستاذ الحضري الى مقدمة ابن خلدون بالدراسة فيتناولها من ست زوايا .

## أ - المدخل الاول : على هامش المقدمة :

يقول الأستاذ الحضري إن المؤرخين الغربيين كلهم اهتموا بالخرافات وددونوا أقوال الكهان منذ أقدم الأزمان . حتى هرودوت اليوناني « أبو التاريخ » فعل ذلك ثم سار على آثاره مؤرخو الرومان الى القرن السابع للميلاد . وكذلك القول بتأثير النجوم في الحوادث وفي أعمال البشر سيطر في أوروبا على أذهان العوام والمفكرين على السواء حتى القرن السابع عشر . ولعل أبرز الأمثلة على التصديق بالتنجيم ما جاء في مؤلفات المؤرخ المفكر المشهور جان بودن J. Bodin المتوفى في آخر القرن السادس عشر ( ١٥٩٤ ) . هذا المؤرخ بعد في آباء فلسفة التاريخ ويقال عنه أنه أول من أتى نظرة فلسفية الى التاريخ من بين الفرنسيين . ان بودن هذا قد قال في كتابه « الجمهورية » : لا يوجد شخص ذو عقل سليم لا يعترف بتأثير الأجرام السماوية في الحوادث الطبيعية والبشرية . ثم هو يمتضي

في تعليل جميع حوادث التاريخ الكبرى على أساس التنجيم والتنبؤ بالنظر الى جميع حوادث التاريخ الكبرى على أساس التنجيم والتنبؤ بالنظر الى النجوم .  
 «ان العرب مثلاً ، لما حدث القرآن<sup>(١)</sup> العظيم سنة ٦٣٠ م ، نشروا دين محمد وثاروا (كذا) ضد أباطرة القسطنطينية وغيروا الدول واللغات والأخلاق والدين (ص ٢٣ - ٣٠) .

وكذلك ظل المؤرخون والمفكرون الأوروبيون حتى منتصف القرن الثامن عشر يعتقدون بالسحر ويضعون أصول المحاكات التي يمكن بموجبها على السحرة . ولم يتأخر بودن نفسه عن أن يقول ان الموسيقى تطرد الشياطين (ص ٣١ - ٣٤) .  
 ولقد ظل المؤرخون الأوروبيون الى أوائل القرن التاسع عشر يعللون التاريخ تعليلاً دينياً ويرفضون فيه مقام العقل .

أما ابن خلدون الذي عاش في القرن الثامن للهجرة (والرابع عشر للميلاد) فلم يمزج وقائع التاريخ بأخبار الكهانة كما فعل «أبو التاريخ» هيردوت ، ولا هو حاول تفسير التاريخ بتأثيرات النجوم كما فعل جان بودن ؛ وكذلك لم يكتف ابن خلدون برد عوامل التاريخ الى مشيئة الله كما فعل بوسسوته ولا حاول اتخاذ التاريخ وسيلة لإثبات قدرة الله كما فعل فيكو ؛ مع انه كتب ما كتبه في هذا الصدد قبل أن جاء بودن بمدة تناهز القرنين ، وقبل بوسسوته بمدة تزيد على ثلاثة قرون ، وقبل فيكو بمدة تقرب من ثلاثة قرون ونصف قرن (ص ٣٨) . ان ابن خلدون قد علل التاريخ تعليلاً عقلياً علياً وبني آراءه على مشاهداته واستقراءاته فكانت طرائق البحث التي اختارها وسلكها في هذا المضمار أكثر قرباً وأشد شبيهاً بالخطط العلمية الحالية من الطرائق التي اتبعها بعض المشاهير الأوروبيين الذين جاءوا بعده مثل بودن وبوسسوته وفيكو (ص ٣٩) .

(١) القرآن وقوع كوكبين على خط نظر واحد .

وفيكو نفسه يبدو بالاضافة الى ابن خلدون ، كما قال الأستاذ الحصري في فصل آخر ، طفلاً صغيراً (راجع ص ١٨٣ وما بعدها) فقد كان في بعض الأحيان خيالاً الى أبعد درجات الخيال كما سنخف أحياناً أخرى في تعليقاته ، ذلك لأنه كان يريد أن يبرر شذوذ الملوك لا أن يعلل سير التاريخ (ص ١٩٣ س) .

## ٢ - المدخل الثاني : حول مؤلف المقدمة :

بعدئذ يتكلم الأستاذ الحصري على بيئة ابن خلدون وعلى حياته بالتفصيل (ص ٤١ - ١٠٨) وعلى ما في عصره من الاضطراب الشديد ومن تقهر الحياة السياسية في الأندلس خاصة وفي المغرب ، ثم على ما نزل بابن خلدون من المصائب وما لقيه من المصاعب في أسفاره الكثيرة ، ويفرد الأستاذ الحصري في هذا القسم بحثاً لآثار ابن خلدون .

## ٣ - القسم الأول : نظرات وملاحظات عامة (في المقدمة) :

يكشف الأستاذ الحصري في هذا الفصل عن أمر مهم جداً ، هو أن ابن خلدون كتب الجزء الأول من كتابه في التاريخ (المقدمة) « قبل أن جاء الى المشرق » ثم انه نقح هذا الجزء « بعد » أن جاء الى المشرق . وينتهي الأستاذ الحصري الى القول بأن ابن خلدون قد زاد بعد رحلته الى المشرق نقولاً برمتها على « المقدمة » أو زاد أشياء في الفصول التي كان قد كتبها . ثم ان ابن خلدون كان يعلق ، على النسخة التي كانت بين يديه ، حواشي مختلفة . دخلت مع الزمن ، وعلى أيدي النساخ ، في متن المقدمة . أما النسخة القديمة فتعرف بالنسخة التونسية لأنها كتبتها وهو لا يزال بالبلاد التونسية . وأما النسخة الجديدة فتعرف باسم الفاسية أو الفارسية لأنه كتبها بعد أربع عشرة سنة في مصر ثم أهداها الى مكتبة السلطان ابي فارس عنان سلطان فاس بمراكش .

وفي هذا القسم يدرس الأستاذ المصري لغة المقدمة ويشير بحق الى أن الكلمات تتبدل معانيها مع الزمن . ولذلك يجب على دارس الكتب القديمة ان يتفطن الى المعاني التي كانت للكلمات يوم كتبت تلك الكتب . وبعد أن يستعرض الأستاذ المصري عدداً من هذه الكلمات التي تقلب معناها مع الزمن يقف وقفة طويلة على كلمة «عرب» ويقول ان ابن خلدون حينما كان يقول «العرب» كان يعني البدو . ولقد أفاض الأستاذ المصري في مناقشة الأدلة على رأيه هذا حتى جاء رأيه مقنعاً جداً . وهناك دليل آخر غفل عنه الأستاذ المصري ، هو ان ابن خلدون حينما كان يقول ان العرب اذا تغلبوا على بلاد أسرع اليها الخراب وأشبه ذلك كانت تراود خياله أفاعيل بني سليم (بضم السين) بن مذحور وبني هلال بن عامر الذين هاجروا في القرن الخامس للهجرة من شبه جزيرة العرب (أو من مصر على الأصح بعد أن جاءوا اليها من شبه الجزيرة) الى المغرب وما نشأ بينهم وبين قبائل زناتة من الحروب وما جرى على أيديهم من الخراب .

#### ٤ - القسم الثاني : مكانة ابن خلدون في تاريخ فلسفة التاريخ

##### وفي علم الاجتماع

سبق ابن خلدون بمقدمته جميع فلاسفة التاريخ وجميع علماء الاجتماع . يريد المؤلفون الغربيون أن يجعلوا فيكو الايطالي (ت ١٧٤٤ م) مؤسس علم التاريخ مع أنه كان يؤمن بالسحر والخرافات ، ثم هو لم يتبع في (بحوثه) طريقة استقراء الحوادث ولم يتقيد في تفكيره بقيود الواقعات (ص ١٨٠ - ١٨٨ - ١٨٩) بينما ابن خلدون الذي جاء قبل فيكو بنحو ثلاثة قرون ونصف قرن لم يؤمن بهذه الخرافات ولم يأخذ بالروايات التي لا يصدقها العقل ، ثم انه تفوق على فيكو تفوقاً كبيراً من حيث شمول النظر ونزعة التعمق وطريقة البحث والاستقراء ؛ وهو يقترب من طرائق (البحوث) العلمية الحديثة بوجه عام وطرائق (البحوث)



التاريخية والاجتماعية بوجه خاص اقتراباً واضحاً (ص ١٩٥ - ١٩٩) . من أجل ذلك كان ابن خلدون أجدر بلقب مؤسس علم التاريخ في رأي الباحثين (ص ٣٠٠) . وإذا نحن جئنا الى مونتسكيو (ت ١٧٥٥ م) رأينا بعض المؤلفين ينسبون اليه ابتكار نظرية « تأثير الأحوال الاقتصادية في الوقائع التاريخية » . والصواب أن ابن خلدون ربط بين الوقائع التاريخية وبين الأحوال الاقتصادية قبل مونتسكيو بثلاثة قرون ونصف قرن أيضاً . ومع أن مونتسكيو يستحق مقاماً ممتازاً جداً في « تاريخ فلسفة التاريخ » بفضل المباحث التي كتبها عن الجباية والتجارة والنقود والنفوس ، فان التعميمات الخاطئة ، كثيرة عنده كثيرة التعميمات الصائبة ، بينما معظم نظرياته الاقتصادية المحيطة بالاعلاط ، وكان هو يشعر أن فيها تناقضاً (ص ٢٠٥ - ٢٠٧) . ويجب أن نعلم أن ابن خلدون لم يسبق مونتسكيو الى « صلة الاقتصاد بالتاريخ » سبقاً زمنياً فحسب ، بل فاقه أيضاً في عمق التفكير ودقة النظر وحسن التعليل (٢٠٦ - ٢٢٠) .

وفي علم الاجتماع أيضاً كان لابن خلدون فضل الابتكار والنبوغ والتفوق . ان الدعوى بأن أوغوست كونت هو مؤسس علم الاجتماع لا تثبت عند البحث والتدقيق . إن حق ابن خلدون بلقب « مؤسس علم الاجتماع » أقوى من حق كونت (ت ١٨٤٣ م) لأنه « درس الحادثات الاجتماعية » ثم تخيل علم الاجتماع علماً مستقلاً قائماً بذاته ووضع له الأسس واستنتج منها النتائج واكتشف القوانين قبل أوغوست كونت بنحو أربعائة عام . وبحوث ابن خلدون في « الاجتماع » لا تجعله مؤسس علم الاجتماع فقط ، بل ترفعه الى مصاف علماء الاجتماع الذين نبغوا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحاضر (ص ٢٣٥ - ٢٤١) . ثم ان الأستاذ الحصري بنهي هذا الفصل برأي العالم توينبي وهو : « إن ابن خلدون ، في المقدمة التي كتبها لتاريخه العام ، قد أدرك وتصور وأنشأ فلسفة للتاريخ هي بلا شك أعظم عمل من نوعه خلقه أي عقل في زمان ومكان (ص ٢٦٠) .

## ٥ - القسم الثالث : آراء ابن خلدون ونظرياته :

يقع هذا القسم في مائتين وتسعين صفحة ، ويصعب تلخيصه لأنه هو في الحقيقة تلخيص لمقدمة ابن خلدون كلها . إلا أنه لا بد من إثبات بعض الآراء والنظريات البارزة والخالدة في تاريخ العلم مما سبق ابن خلدون به أنداده من فلاسفة التاريخ أو علماء الاجتماع .

### ابن خلدون مؤسس علم التاريخ وموجد علم الاجتماع

(أ) موضوع التاريخ ومهمة المؤرخ :

يرى ابن خلدون أن حقيقة التاريخ إنما هي الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها ، وما ينتج له البشر بأعمالهم من الكسب والمعاش والعلوم والصناعات . . . . والتاريخ لا يتناول عند ابن خلدون أخبار الملوك ووصف الحروب فقط ، بل هو يتناول أيضاً كل ما حدث من التحول في الحياة الاجتماعية على اختلاف مظاهرها وفي المؤسسات الاجتماعية على اختلاف أنواعها . فالاقتصاد والصناعات والعلوم كلها تدخل في التاريخ . ثم ان مهمة المؤرخ ليست سرد أخبار الماضين ولا وصف أحوال الاجتماع فحسب ، بل في حقيقتها « تمحيص الأخبار لتمييز الحق من الباطل والصدق من الكذب فيها وللتأكد من مطابقتها للواقع ، ثم تحليل الوقائع لمعرفة كيفية حدوثها وأسباب تراجيحها وتعايقها » . فابن خلدون في ذلك اذن « يتفوق بنظرته هذه على جميع المؤرخين الذين سبقوه في الشرق والغرب بوجه عام ، وعلى جميع الذين أتوا بعده خلال أربعة قرون على أقل تقدير » (ص ٢٦٤ - ٢٦٥) .

(ب) طبيعة الاجتماع ومنشأ الحكم :

لاحظ ابن خلدون قبل علماء الاجتماع المعاصرين ان « الحوادث الاجتماعية » تجري بتقليد بعض الأفراد لبعض وللضغط أو القسر الحاصل في المجتمع على أفرادهم على أن يسلكوا مسلكاً معيناً . ان الذين يستشعرون من أنفسهم الضعف أو الجهل أو التأخر يقلدون من هم أقوى منهم أو أعلم أو أوجه طوعاً أو انسياقاً ، حتى إن الجماعات الضعيفة تقلد جيرانها الأقوياء أو أعداءها الجوارين لها أو المتغلبين عليها (ص ٩٤ وما بعدها) .

(ج) التطور التدريجي في الطبيعة والمجتمعات :

يبنى ابن خلدون رأي اخوان الصفا في « التطور الطبيعي للأحياء » ثم يوسعه قليلاً ويطبقه على المجتمعات ، فهو يرى بأن المجتمعات وان كان المتأخر منها يجر ص على محاكاة المتقدم في أحواله ، فانها تتطور في الحقيقة تطوراً غير ملوح في أكثر الأحيان ولكنه مستمر . وهذا التبدل البطيء المستمر هو الذي يخلق المجتمعات المستجدة . على أن التبدل في المجتمعات يكون أحياناً تبديلاً كلياً مفاجئاً . ويلاحظ ابن خلدون عندئذ بأنه « اذا تبدلت الأحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من أصله وتحول العالم بأسره كأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث » (ص ٣٠١ وما بعدها) .

(د) طبائع الأمم وسجاياها (ص ٣٠٧ - ٣٢٢) :

لا ينكر ابن خلدون تأثير الوراثة العرقية في صفات الأقاليم ، ولكنه يرى أنها أقل خطراً مما يظهر للوهلة الأولى وأضيق نطاقاً مما ظن الباحثون من قبل . حتى الصفات التي تظهر مشتركة بين الآباء والأولاد ليست كلها - فيما يتعلق بالانسان - عرقية ذلك لأن الأولاد يأخذون معظم صفاتهم من « احتكاكهم » بالدين ولدومهم وعائشوم وخالطوم . ومع ذلك فانه يجب علينا أن نفرق بين

الصفات التي تنتقل من الآباء الى الأبناء من طريق الدم وبين الصفات التي تنتقل من طريق المخالطة الاجتماعية . ثم ان الأعمال المعاشية ( الزراعة ، التجارة ، التجارة ٠٠٠ ) التي يقوم بها البشر تأثيراً كبيراً في نشوء صفاتهم . كل هذا ذكره ابن خلدون في مقدمته قبل أن يذكره العلماء الغربيون بأربعة قرون أو خمسة . والأمثلة التي يضر بها ابن خلدون على ذلك كثيرة طريفة صائبة ، ولكن المجال هنا لا يتسع لذكرها .

( ٥ ) نظرية العصبية ( ص ٣٣٣ - ٣٥٣ ) :

العصبية عند ابن خلدون هي « الثعيرة » على ذوي الأرحام أن يصيبهم هلكة أو ينزل بهم أذى . وتتولد العصبية من القرابة في الدرجة الأولى . وكلما كانت القرابة أدنى كانت العصبية الناشئة منها أقوى . ولذلك كانت العصبية في البدو أعظم خطراً من العصبية في الحضرة لصفاء الانسان في البدو واختلاطها في الحضرة . ولكن « حقيقة العصبية » أنها « الشعور » بوحدة النسب وبوحدة المصلحة ، اذ النسب في نفسه أمر وهمي ، وما نشأة العصبية وقوتها الا ثمرة للعشيرة وطول الممارسة والصحة بالمربي والرضاع وسائر أحوال الموت والحياة . والعصبية ضرورية لقيام الدول والانتصار في الحروب ولبقاء الملك ولتقيام بالحركات المختلفة ، حتى الدعوة الدينية فانها لا تتم بلا عصبية ، فلو لم يبعث محمد ﷺ في منة من قومه وعصبية من آله لما انتشر الاسلام بمثل هذه السرعة . ثم ان الأوطان الكثيرة العصابات قلَّ أن تستحكم فيها دولة أو تستقر طويلاً . والعصبية التي هي أساس نشوء الدول عند ابن خلدون هي غير العصبية التي هي الحماية الجاهلية والتفاخر بالأنساب والتشدد بالأفعال . فالأولى محمودة والأخرى مذمومة .

الدكتور عمر فرموض

( يتبع )

## فضل الثنائية على المعجمية

- ٢ -

ث - أنف

- المعنى الاولي الحقيقي لهذه المادة الثلاثية نجده في العربية في فعل *anaf* . ومعناه : تنفس ، ومنه جاء « الأنف » ، وهو آلة الشم والتنفس . يبيد للتنفس يقتضي هواء . وهذا لا مدلول له من المادة المذكورة الا في العربية وحدها . وذلك في « تَفَنَّفَ » الثنائي الخفيف المكرر المراد به « الهواء » والمهوى » وقد زيدت الهمزة تنويجاً على هذا الثنائي الخفيف « نَفَّ » فأصبح « أنف » .
- ومقابل « الأنف » العربية ، في العربية *ap* . وفي الاكديبة *appu* . وفي السريانية *appa* . وفي الارمية *appim* . وفي الحبشية *anef* . وفي غالب هذه الألسن تدل كلمة « أنف » على الوجه أيضاً . لأنه هو الظاهر منه لأول وهلة . وفي العربية بصاغ من « الأنف » الفعل « أنف » ارتجالاً . واذ كان الأنف أول ما يرى في الوجه ، دلت اللفظة على مداليل الابتداء مجازاً . واذ كان الأنف ينتفخ عند الغضب ، جاء الفعل بمعنى اغتباط . واذ كان الانسان المتكبر يشمخ بأنفه ، ورد فعل « أنف » دالاً على الكره والنفور ، والاشمئزاز والاحتقار . وهذه فخاربه على اختلاف أحواله .
- أنفه أنفاً : ضرب أنفه . و - الرجل الماء : بلغ أنفه . وأنف أنفاً : اشتكى أنفه . و - الأبل : وقع الدباب على أنوفها . وكلها ارتجالية من الاسم « أنف » .

أَنْفُ فُلَانٍ : وطأ كلاً أَنْفًا ، لم يبرح . وَأَنْفٌ مِنَ الشَّيْءِ : استنكف  
 وتنزّه عنه . و— من قوله أشدّ الأنف : كرهه . و— أَنْفًا وَأَنْفَةً : سار  
 في أول الليل (بجاز) . أَنْفُهُ : جعله يشكي أنفه . وَأَنْفُ الشَّيْءِ : حدّده .  
 و— فُلَانًا : حمله على الأَنْفَةِ . و— الرَّاعِي طَلَبَ أَنْفَ الْكَلْبِ ، أي الذي لم يبرح .  
 تَأَنَّفَ الطَّعَامُ : لم يؤكل منه شيء . وتَأَنَّفَ الْإِخْوَانُ : طلبهم أَنْفَيْنِ ،  
 لم يباشروا أحداً . اتَّئَنَّفَ الشَّيْءُ واستأنفه ، أخذ فيه وابتدأه . الْآنْفُ :  
 المأنوف الذي يشكي أنفه . آنْفَةُ الصِّبَا : ميعته وأولّيته . الْأَنْفَانِي : العظيم  
 الأنف . — الْآنْفُ فِي الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْحَيْوَانِ : يطلق على مجموع المخربن  
 والحاجز والقصبة . وهو آلة الشم والتنفس . ويقال مجازاً . الْآنْفُ : سيدُ القوم .  
 و— ثنية الجبل . و— من كل شيء أوله أو أشده . يقال : أَنْفُ الشَّدِّ :  
 أول العدو . وَأَنْفُ الْبَرْدِ : أوله وأشده . و— من المطر : أول ما نبت .  
 و— من الأرض : ما استقبل الشمس من الجلد . و— من الرغيف : الكسرة .  
 و— من الجبل : النادر والشاخص منه . و— من النبات : طرفه . و— من  
 اللحية : جانباها . ورجل حمي الأنف : يكره أن يُضام . — الْأُنْفُ :  
 كلاً بجاله لم يبرحه أحد . و— المشية الحسنة . و— الخمر لم يستخرج شيء  
 مثلها من الدن . يقال للمنعيط : ورم أنفه : لأن الغضبان ينتفخ أنفه ويحمر .  
 — الْأَنْوْفُ : الكاره إيمان الدنيايا . — وَالْأُنْفُ : اللين من الحديد .  
 مثل الأنيث . الْمُتَأَنَّفُ السَّائِرُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ . — الْمُتَأَنَّفُ وَالْمُؤَنَّفُ مِنَ الْأَمَاكِنِ :  
 الذي لم يؤكل منه شيء . الْمُؤَنَّفُ : الذي هو في مقتبل الشباب . الْمُسْتَأَنَّفُ  
 مِنَ الْأَمْرِ : هو الذي لم يسبق إليه .

## ج - أهل

الرس الثنائي الخفيف لهذا الثلاثي هو «هَلْ» ومثقله «هَلْ» الدال على رفع الصوت . وانصباب المطر من علو السماء الى الأرض ، وظهور القمر مرتفعاً ومثلاً ثانياً في الغلاء .

والفكرة الشاملة في كل هذه الدلالات هي فكرة الحركة والمزّ الظاهرة أيضاً في مكرّر الثنائي الخفيف «هَلْهَلْ» المراد به : الرجوع عن الشيء ، وترجيع الصوت ، وفي الصوت وترجييعه حركة وارتفاع . والألفاظ الناطقة الى «هَلْ» العربية هي ، في العبرية : hālal : برق ، لمع ، تلالاً ، أشرق . وفي الأكديّة éllu (هاو) : لمع ، أضاء ، أشرق . و alālu (هلالو) : صوت ، هتف . وفي السريانية hal : هأل ، رتل . و hallēl هأل ، مدح ، عظم . وقد زبدت الهمزة على «هَلْ» الثنائي ، فأصبح «أَهْل» الثلاثي . وتوسعت متطورة معاني «أهل» تطوراً متناسقاً ، في العبرية ، والأكديّة ، والعربية ، دون أن ترد المادة في الآرامية والحبشية . فجاءت في العبرية أولاً : الصيغة الفعلية ، في كلمة āhal مطلقةً على الإقامة تحت الخيمة . والعيشة عيشة أهل الوبر ، أي بالتخييم عند حل الرحال ، وقلع الخيم عند الترحال ، طلباً للمراعي والموارد . ووردت كذلك في العبرية : الصيغة الاسمية ، في لفظة ohel المراد بها : الخيمة ، ولا صيما قسمها الأعلى المركّب من شعائر من وبر الإيل ، أو من شعر المعزى ، مما تولد من فكرة الارتفاع المتضمنة في الثنائي «هَلْ» وقد نفرعت فجاويه ، فدلّت المترددة على المسكن ، من باب الاطلاق ، وعلى مسكان الخيمة ؛ ثم على الخيمة المقدسة ، عند اليهود . أي قبة الشهادة ، أو الهيكل المتنقل معهم في البرية . ثم على الهيكل الثابت ، هيكل أورشليم .

وأخيراً على قصر الملك داود ، والملك سليمان . - وفي الاكديبة ، لم يبدأ التطور أو التوسع من أول مرحلة ، وهي الدلالة على الخيمة والتنجيم ، بل أرتجل من فخوى المسكن مطلقاً . فشمل الخلة ، والثوى ، والقربة ، والمدينة ، ولا سيما مقر أو مدينة الآله أو الملك . أما في العربية فشرع التفرع من مرحلة متوسطة . إذ لم تعن «أهل» لا الخيمة والتنجيم ، ولا المسكن والسكنى ، بل أرتجت من مفهوم المقيمين في المكان ، وأطلقت على قطآن البيت ، والمدينة ، وعلى الأقارب وغيرهم من ذوي العلاقات ، ثم على كل شيء له صلة من الصلات بغيره . وهذا تفصيل الفجائي للمادة العربية .

أهل المكان : صار مأهولاً ، أي عمر بسكانه . وأهل الرجل : اتخذ أهلاً ، أي تزوج . أهل الرجل : أنس . أهل فلاناً للأمر : رآه مستحقاً ، أو جعله لائقاً به ، أي رأى العلاقة مناسبة بين الرجل والأمر . و - به : قال له : أهلاً وسهلاً .

آهله للأمر : جعله لائقاً به . و - زوجه . - تأهل واتهل : اتخذ أهلاً أو امرأة . تأهل للأمر : جعل ذاته مستحقاً له . - استأهل الشيء : استوجبه . و - فلاناً : وجده مستحقاً . - أخذ الإهالة أو أكلها .

الأهل : المكان العامر بالسكان . الأهلي والأهل : ما ألف المنازل من

الحيوانات وغيرها . الأهلة : الأنعام والمواشي .

الأهل : من باب الاطلاق : كل من أو ماله علاقة من العلاقات بغيره .

أهل الرجل : زوجته . و - عشيرته وأقاربه . و - البيت أو البلد : سكانه .

و - المذهب : من يعتقد به ويدين به . و - الأمر : ولاته . و - كل نبي : أمته . و - الوزير : سكان الخيام . و - المدر والحضر : قطآن المنازل البنية . و - الكتاب : المسيحيون واليهود .



أهلاً وسهلاً : ترخُّب . تقديره : صادفت أقرباء لا غرباء . ووطئت  
سهلاً ، لا خشناً .

الإهالة : اسم للشحم ، وكل ذائب من زيت وغيره . و - كل ما أؤتدم به  
من الأدهان . المأهولة من التريد : ما كانت كثيرة الإهالة .  
هذه الكلمة أيضاً ، مع ما هناك من ظاهر التناقض بينها وبين بقية فحوي  
« أهل » هي من عين الرس الثنائي « هل » . واشتقاقها منه مفعول منساق .  
اذ من معاني « هل » انصباب المطر من السماء على الأرض . وهذا ما يستبين  
بجلاء في فحوى « الإهالة » لأنها دالة على ما يذوب أي يسيل وينصب من  
شحم وسمن وزيت وغيره .

### ح : سلم

هذه المادة سامية كل السامية ، لورودها في عامة الساميات ولهجاتها ، دون  
استثناء ، مع هذا الفرق وهو أن حرفها الأول سين في الساميات الجنوبية ،  
أي العربية ، والحبشية ، والسبئية ، وتوابها ؛ وشين في الساميات الشرقية  
والشمالية ، أي الأكدية ، والارمية ، والسريانية ، والعبرية ولواحقها .

ان المعنى الأوتلي لهذه المادة سلبي . أي معنى السلامة والتنزه عن النقص  
والضعف والآفات البدنية ، وإيجابي ، أي الوجود في حال الصحة والعافية والرفاه  
والأمان والسلام . ومن فكرة الصحة ، أي امتلاك كل ما تتطلبه الحياة .  
نشأت فكرة الكمال ، والاقمام ، والانتهاء ، ثم الزوال .

هذه أنواع معانيها في مختلف هذه اللغات :

في الاكدية : Shālamu : تنزه عن العلة والأذى . كل . و Shulmu :

- في العبرية : Shâlam : صح ، كان في سلام ، سلم . كل . وفي .  
 Shallèm : أتم . وفي . أذى . كافي . أراح . أسعد .  
 في السريانية : Sblèm : سلم . برئ . انتهى . انقرض . مات .  
 Shallèm : سلم . أودع . أتم . كافي .  
 في الحبشية : Salâm : سلام . نجاة . خلاص . نجيته .  
 ( لا وزن مجرد . من الاسم أرتجل Tâsalama : تسالموا -  
 سلم بعضهم على بعض asatasâlama - صالح . سالم ) .  
 في العربية : سلم : نجا وبرئ من العيوب والآفات . تمتع بالصحة .  
 وصلته الحية : لدغته .

قلت : ان الفحوى الاولي سلمي ، وهو النجاة والخلاص من كل آفة وأذى .  
 وهذا ما بين في الرس الثنائي الصادر عنه هذا الثلاثي ، وهو « سَلَّ » ، ومثله  
 « سَلَّ » الشيء من الشيء : انتزعه وأخرجه برفق . مثلاً : سَلَّ السيف من  
 غمده ، والشعرة من العجين . وصل : مرق . لأنه ينزع الشيء من صاحبه .  
 بخفية ومهارة . وينظر الى هذا الثنائي في السريانية « سَلَّ » : سل ، نزع ،  
 سلخ ، أسال ، نهب . وفي العبرية : « شالَل » : نزع ، استل السيف .  
 سلب ، شل . وفي الاكدية « شلالو » : سلب .

على أن في العربية لهذا الفعل معناة أخرى لا وجود لما يشبهها في بقية  
 الساميات : وهي « لدغة الحية » فكيف التوفيق بين هذه المتضادات ؟ التوفيق  
 سهل اذا عرفت أن من عادة العرب ، قديماً وحديثاً ، لا يلب عند كل الأهم ،  
 وفي سائر اللغات ، استعمال « التعريض » ، للكراهية تسمية الشيء السمج ،  
 أو المزعج ، أو المرهب ، باسمه ؛ لما ينشئ من النفور في آذان السامعين ،  
 لسوء تأثيره في شعورهم وتخيلتهم وذهنهم . ان « سلم » من حيث الاشتقاق

وتطور الدلالات ، لا بدل البتة على « لدغ الحية » . بيد ان هذا الفحوى يستعمل من باب التناؤل . لأن لفظه « لدبغ أو مسوع » ينفر منها السمع والشعور . ولذا يتخذ عوضها كلمة تماكس ذلك . وهي « سليم » وفي العربية من هذا القبيل شيء كثير . من ذلك مفردة « البصير » أي الحاد النظر ، تطلق على « الأعمى » تناؤلاً . وقس على ذلك : « كريم العين » تقال عن الأعمور . و « المكوكب » عن الذي في عينه نكتة . و « أبا البيضاء » عن الحبشي . و « المغازة » عن الفلاة والمهلكة ، تناؤلاً بالفوز بالنجاة . و « الخفيف على القلب » عن الثقل الدم . و « ترخم » بمعنى لعن <sup>(١)</sup> .

(١) لا بأس أن نورد هنا ما وقع تحت نظرنا يوماً ، ونحن نتصفح ، من باب للمصادفة ، العدد ٢٣ من المجلة الفرنسية « Dieu Vivant » « الله الحي » . وهو مقال بقلم السيد « بواكيم مبارك » ، موضوعه Islam et paix « الاسلام والسلام » . وقد بحث واضعه ( ص ٨٠ ي ي ) عن الفعل المجرد « سلم » . الذي نحن في صده . ولكنه بالتحقيق لم يوفق في ادراك معانيه وتطورها وتسلسلها . وقد اضاف في الحاشية ( ص ٨١ ) ما هذا نصه الفرنسي :

« Autre sens curieux qui nous a été signalé par le professeur Massignon : « Elre piqué par un serpent » .

وهذه ترجمته : « هناك معنى آخر (لهذه المفردة) غريب في بابه ، دلنا عليه الأستاذ ماسنيون . وهو « لدغته الحية » . أما نحن فنقول : الغريب كل القراءة عندنا هو كيف ان صاحب هذه اللقاة وهو لبناني ، أو سوري ، لغته العربية ، قد جهل وجود هذا المدلول ، فدله عليه رجل اجنبي . مع ان هذا الفحوى وارد في أصغر المعاجم المدرسية ، مثل معجم Belot العربي - الفرنسي . واما الأستاذ الأجنبي الذي نبهه عليه ، فقد سما عن الفرق الواقع بين مدائيل « سلم » . وقد فاته السر الذي كشفناه في كلامنا الوارد في لائت وهو ان « سلم » لا يدل على « لدغ الحية » من باب الاشتقاق ، أو تطور المعاني ، بل من باب الترميض ، والتناؤل (اللسان ١٥/١٨٤ . والتاج ٣٣٩/٨ و ٣٤٣) . وهذا دليل على ما ابدناه من ان هذه البحوث للمحمية غير مألوفة عند كل احد ، سواء كان عربياً ، ام إنجليزياً ، ام صوفياً . لأن هؤلاء المستعربين ، أو المستعربين ، أو المستشرقين ، لكونهم أغراباً ذوي عقليات مغايرة لعقليتنا الشرقية السامية ، ولخلوهم من الإلهام اللغوي ، السامي ، العربي ، الفريزي فيناه فيما ينوط بأسرار وخصائص لغاتنا السامية ، ولا سيما —

بعد هذا البسط والتمييز بين مختلف معاني «سليم» في اللغات السامية ،  
 ينبغي لنا عرض مفاهيمها في العربية ، والملاءمة بينها .  
 «سليم» (سليماً) : برئ من الآفات والعيوب . و (إيجابياً) : كان  
 صحيحاً ، معافاً . و - له الضيعة : خلصت ، أي نزع كل مانع عن ملكيتها .  
 «سَلِمَ» : خلاص وأنجى . و - الشيء : أسلفه ، أي قدّم سابقاً من السلعة  
 وغيرها الى أجل مسمى . وفي كل تسليم يفترض ، من الجهة الواحدة ، النزع ؛  
 ومن الجهة الأخرى ، التقديم . لأنه اذا قدّم الشيء الى واحد ، فقد سبق  
 نزعه عن الآخر . وسَلِمَ فلاناً وعليه : قال له : سلام عليك ، أي تمنى له  
 التزده عن كل آفة ، ومن ثم الوجود في حالة الصحة والرفاه الناجم عنها الاطحنان  
 والأمان . وسأحه الله : وقاه من الآفات . وسَلِمَ اليه : انقاد . والالتقياد  
 قائم على تجرد المرء من ارادته أو حربته ، ووضعها تحت تصرف الغير . وسَلِمَ  
 فلاناً : اذا أخلى بينه وبين من يريد التكاية به ، أي خانه . وذلك منوقف  
 على نزع الشخص من مكان أو حال الأمان ، والقائه في موطن الخطر والتهلكة .  
 أسَلِمَ : أسلف . وأسَلِمَ : دان بالدين الاسلامي . ومعنى الاسلام : الكفران  
 بالذات ، وتقديمها لله تعالى بالطاعة والخضوع لإرادته الإلهية . وتسلّم منه :  
 تبرأ ، أعني نزع ذاته عنه . وتسلم الرجلان : تصالحا ، أي وضعاً بينهما

---

— العربية ، نرام أحياناً ، مع غزارة معارفهم ، ومتمن أساليبهم المليحة ، التي نستحسنها  
 وتقدرها حق قدرها . نرام أحياناً ، أقول ، « يفرقون في طاسة ، أو قدح من الماء » ،  
 حسب قول علامتنا المرحوم الأب انسناس الكرملي المراقبي . وعلى هذه الشاكلة حال  
 ناشري « القصائد الواوائية » ذوي الآراية الدهمانية ، في القصور العظمية ، الدمشقية ،  
 فان للدمجيات ، والتناثبات ، والآسنيات ، والساميات ، لمن الأمور التي لا يعلمون ،  
 في شأنها « من أين توكل الكذب » .. ولا يجب في ذلك فان لكل امرئ مهته واختصاصه .  
 فعلى كل واحد اذا أن يهتم بما يعنيه ، لئلا يضطر غيره ، عن كره منه ، الى أن يسمعه  
 ما لا يرضيه . كالثلث القائل : « هذا ليس بمشك قادر جي ... » .

السلام وهو التنزه عن القلق والاضطراب . وتسلمت الخليل : تساورت ، لا يهبج بعضها بعضاً .

سأمنه الحية : لدغته . من باب المعاكسة ، أو التعريض ، أو التفاؤل .  
و- الدلو : فرغ من عملها وأحكمها . من Shallèm السريانية : أكمل ، أنجز .  
وسلم الجلد : دبغه بالسلم . والسلم شجر من العضاء يدبغ به . وغاية الدبغ حفظ الجلد من الفساد .

استلم الحجر الأسود الذي في حائط الكعبة : لمسه بالقبلة ، أو اليد ، أو الصولجان . واللفظة من مقلوب «سلم» وهو «أس» وهذا الثلاثي مشتق من الثنائي «مس» ومثقله «مس» بزيادة اللام تنويجاً . والمس هو المسح أي الافضاء باليد دون حائل .

السلم : اسم من التسليم . و- الانقياد . و- اللدبغ ، من باب التفاؤل .  
و- التحيمة ، أي تمتي الراحة والاطمئنان . والسلام : من أسماء الله تعالى ، لسلامته من النقص والعيب والفناء . وهو مصدر . هذا هو التأويل الجاري . لكنه غير صائب . والأصوب أن يقال : لأنه عز وجل يسلم أي ينزه الغير ، أعني خلائقه من الآفات . إذ ان السلامة تُطلق على من يتوقع له الآفات . والقابل لذلك بطبعه الضعيف . وأما الله فلا يتوقع له مثل ذلك . لكونه من طبعه منزهاً عن الآفات . فلا يمتنى له السلامة أو النجاة منها .

السلم : المرقاة ، من خشب ، أو حجر ، أو مدر . لأنه يسأحك الى حيث تريد من الأمكنة العالية ، فترجى به السلامة والأمان . و- السبب الى الشيء .

السليم : اللدبغ والجريح المشرف على الهلاك . من باب التفاؤل .

## خ - سبّح

في مداليل هذه المادة يظهر شيء من التناقض . إذ أنه من الناحية الواحدة بدل « سَبَّحَ » على العَوم ، أي الحركة والسير في الماء . وفي خارج الماء ، على الانتشار في الأرض . ومن الناحية الأخرى يطلق على السكون والنوم . ثم ان مزيده « سَبَّحَ » يعني تمجيد الله ، والتهليل ، والتعظيم . أما في اللغات السامية الأخرى ، فلا دلالة للمادة المذكورة . على السباحة ، والسير ، والسرعة ؛ بل في كلها بصورة الكلمة في فحواوي التمجيد والتعظيم والدعاء . ففي العبرية Shábayah : مجد ، يَجَلُّ ، قدر ، أصلح . وفي السريانية Shabbah : سَبَّحَ ، عظم ، ارتأي ، اعتقد . وفي الاكدية : Suppu : عظمة ، تمجيد . وفي الحبشية Sabha : سَبَّحَ ، مجد .

هذه المادة أو هذا الأصل الثلاثي ناشئ عن الرس الثنائي « سَحَّ » ومثقله « سَحَّ » ومدود أوله « سَاحَ » ومدود ثانيه « سَحا » ومكرره « سَحَّسَحَّ » ففي « سَحَّ » معنى الجريان ، وانصباب الماء والدمع . وفيه أيضاً مدلول الضرب والجلد ، والسحن والامتداد والانتشار . وفي « سَحا » دلالة القشر ، والحلق ، والجرف . والساحية : السيل الجارف . وفي « سَاحَ » معنى جرى الماء على وجه الأرض ، ثم معنى ذهب في الأرض للعبادة . وساح النهر : أجراه . وتسَحَّسَحَّ الماء : سال من فوق . والسَحَّسَاح : الشديد من المطر .

في كل هذه الثنائيات ومتفرعاتها يرى ان المفهوم الشامل هو « السيلان » سيلان الماء أو الجري فيه . ومن الهين ادراك المدلول في الثلاثي « سَبَّحَ » أي جرى مع الماء ، وعلى الماء منبسطاً . وكل من انبسط في شيء فقد سبَّح فيه . والسَبَّحَ : المرث السريع في الماء والهواء . ويستعار لمرّ النجوم ، وجرى النرس ، وسرعة الذهاب في العمل . واذا كان السابج ينبسط أحياناً على وجه

الماء ، جاء «سبح» بمعنى : سكن وهدأ . ودل أيضاً على النوم : لأنه في النوم هدوء وسكينة . ولما كان من جملة أعمال السابح أن يجرك أحياناً أخرى يذبه ورجليه ، ويضرب على الماء ، تولد من ذلك دلالة «سبح» على الضرب والجلد . وعلى التقاب ، والتصرف في الحياة والمعاش ، وعلى الاكثار من الكلام . لأن الثرثار يظهر كأنه يسبح في الخطل ، كالسابح في الماء . ولكون السابح يسير في الماء الى مسافات شاسعة ، أطلقت «سبح» على السير ، والابتعاد ، ومن ثم على الإبعاد . والسَّبْحَة : ثياب من جلود . لأن الجلود تسحق وتقسط . وكساء مسبَّح : قوى شديد . لأنه من جلود . وفي الجلود قوة وصلابة . سَبَّحَ فلانٌ : صلى . و - الله : تزهه . والسابح : العائم في الماء . وفرسٌ سابح : سريع . والسوايح : الخيل لمضاهاتها السباح . السَّبَّوح : من صفاته تعالى . لأنه ينزه من كل سوء . سبحان الله : أي أبرئ الله براءة من كل سوء .

السَّبْحَة : الدعاء . و - صلاة التطوع ، أي النافلة . لأنه يُسَبَّحُ فيها . السَّبَّوح : فرس غير مضطرب في جريد .

قلنا : انه ليس في اللغات السامية الأخر ثلاثي مجرد يقابل «سبح» بمعانيه التي تدل على العوم والسير والسرعة وأمثالها . لكن قد ورد فيها ما يضاها المزيدي «سَبَّح» ويقارب فخاويه : أي سَبَّح ، رتل ، بجَّد ، حمد . وفي السريانية ، يضاف مدلول اعتقد . ولربما دخل هذا الوزن وتوابعه من العربية في السريانية والعبرية . أما العربية ففيها الثلاثي الجرد ، ومزبدان هما : أسبَّح وسبَّح .

على أن المشكل متوقف على التضارب بين مدلولات «سَبَّح» و «سَبَّح» هذه الصعوبة تزول اذا تتبعنا سير الاشتقاق من الثنائي «سَحَّ» الى الثلاثي

«سَبَّحَ» والى مزيده «أَسْبَحَ» ومزيده الآخر «سَبَّحَ» فقد رأينا ان  
«سَبَّحَ» ، وَسَبَّحًا ، وَسَبَّحًا ، وَسَبَّحًا ، وَسَبَّحًا ، وَسَبَّحًا ، وَسَبَّحًا ، وَسَبَّحًا ،  
فهذه الفكرة انتقلت متطورة الى الثلاثي الذي زيد فيه الباء اقحاماً ، فأطلق  
على جريان الانسان وسيره وانبساطه في الماء . وفي الجريان أو السَّبَّح تُلقي فكرة  
الابتعاد : ومن ثم الإبعاد . وهذا بدء مفاهيم «سَبَّحَ» . ونقول : «سَبَّحَ الله  
وزيد بذلك تنزيهه أو ابراءه ، أي ابعاده عن النقص والسوء . وهذه أيضاً  
دلالة سَبَّحَن ، وَسَبَّحَان ، وَسَبَّحَان ، وَسَبَّحَان . ومن هذه المعناة نشأت المداليل الأخر  
مثل : عَظَّمَ ، مَدَح ، مَجَّد ، ويشمل جميعها الدعاء والصلاة . ثم ان تمجيد الله  
وتسبيحه فعل ديني ناشئ عن الايمان به تعالى . لأن من لا يؤمن بالله ،  
لا يمجده . ولذا دلَّت «سَبَّحَ» في السريانية على الاعتقاد ، أو الايمان .  
وأنت ترى أيها المطالع والباحث اللبيب ، كيف سهل التوفيق بين هذه  
المفاهيم المتضاربة ظاهرياً ، وذلك بدء الاشتقاق من الثنائي «سَبَّحَ» ومفرداته ؛  
وبالتطرق الى الثلاثي «سَبَّحَ» بمعنى جرى ، وسار ، وابتعد في الماء ، ثم في  
البر والجو . وأخيراً بالبلوغ الى المزيد «سَبَّحَ» المراد به تنزيه الله ، أي ابعاده  
عن كل العيوب ؛ ومن ثم تمجيدُه وتعظيمُه بالايمان والصلاة .  
وكل هذه النماذج ، وغيرها كثيرة جداً ، من مواد مجموعتنا «الثنائي» تبين  
فضل الثنائية على المعجمية ، وتفوقها على نظرية «الثلاثية» .

الأب مرمزجي الذومسكي



# تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقته بالأقطار الإسلامية والعربية

(في العهد العثماني)

من سنة ٩٤١ هـ -- ١٥٣٤ م الى سنة ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م

## ١ - نظرة عامة

مضى <sup>(١)</sup> الكلام على تاريخ علم الفلك في عهد المغول والتركان . والآن أتناول علم الفلك في العهد العثماني . وتاريخ هذا العلم متواصل ، وصلاته بالعهود السياسية قليلة . وإنما جرى على اطرافه بحكم قانون الاستقرار الا أن حالته تكن أحياناً وتظهر أخرى . وجل ما هنالك أن هذا العهد عدمت العلوم فيه من المناصرة عندنا ، ولم تبق الا المدارس وسيرتها المعتادة في التدريس . ولم يحل العراق من زعازع وحروب طاحنة جداً بينه وبين ايران . فانتهبت الأيدي العابثة ما تمكنت عليه من كتب ، الا أنها في عهد المماليك من سنة ١١٦٣ هـ أو من تاريخ وفاة نادر شاه سنة ١١٦٠ هـ هدأت نوعاً وان لم تحل مما يتخللها من أيام اضطراب دام الى سنة ١٢٤٧ هـ . ثم حصل تشوش في الحالة تارة وطأ نبنة أخرى حتى حدث احتلال بغداد سنة ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م ، فاتتهى العهد العثماني .

أحاول في هذه العجالة أن أبين ما جرى على علم الفلك خاصة ، فأوضح تاريخه في العراق مع ملاحظة صلته بأصل الدولة ، وما جاوره من أقطار

(١) راجع المجلد ( الثامن والعشرين ) ص ٧٩ و ص ٢٥٧ و ص ٤٢٠ .

وما شوهد من أثر أو تأثير لنكون على بصيرة من تطوره ومعرفة مجراه في سيرته العملية . وكفى أن نقف على المعرفة الضرورية المطردة دون توغل ، والاحتفاظ بالوجود من الآثار .

رأينا بعض المؤلفات التي خدمت التدريس ، فلم يتجاوزها المتعلمون ولا العلماء الا قليلاً . نجدهم رعوها بالشرح والتعليق . وليس في هذه تمكن عظيم في التأليف والنبوغ فيه كما هو الشأن في سالف العصور . وفي أوائل هذا العهد خذلت المعرفة البحرية وأصابها نكسة على يد البرتغال فأثرت في التجارة وأخذت بالحالة الاقتصادية فتحوط الصلة الى الغرب ، وفقدت الرغبة في الفلك وما يتعلق به من علم البحار . وصارت الخلفات السابقة صعبة الأخذ . وانما مال القوم الى مختصرات لا تفي بالغرض .

وفي القرن الثاني عشر حصل تجديد في الفلك والرياضيات ، وصار يقتبس من الغرب بأكل وجه ، ونقلت أزياج الى التركية وعلوم رياضية وفلكية أخرى . وهذه أثرت في ثقافة القرن الثالث عشر . وتوالت في الدولة بل تجاوزتها فتمكنت في مصر والشام . . .

جرى الاصلاح وسار على وتيرة الا انه لم يستفد من هذا العلم كثيراً . وان الأرصاد في استنبول ومصر وفي بيروت لم تكن مقرونة بعمل ، فلا بحرية ولا قوة ولا نشاط . . .

ولم تفد الرياضيات في العمارات ولا بناء الجسور والقناطر ولا الخزانات ولا تسوية الطرق ولا غير ذلك . وربما استخدمت لمصلحة الجيش بصورة ضئيلة . . . وهذه الفترة قضاها العالم الاسلامي والعربي في تطاحن قضى به على ما عنده ، وصار أقرب الى الجهل . واستعراض حالة مثل هذه أجدها ضرورية في معرفة حالة الثقافة الفلكية . . .

والعراق لا يزال يحوي جملة كبيرة من آثار أسلافه لهذه العهود وما قبلها

وان كان ذهب أكثرها ولم يبق الا القليل . وصرنا نلتصمها من خزائن الشرق والغرب . وهذا يقال في الشام ومؤلفاته ؛ فلا تزال بقية باقية يجب أن تتدارك أمرها . ولا شك أن غذاءنا العلمي مستمد من هذه الآثار ومن بصيص في المعرفة . ففي أيامنا الأخيرة اشتهر أفاضل وان كان الأمر لا يخلو من نقص في تقليل شأن المعرفة ، وفي العناية بالآلات المطلوبة . وفي هذه كلها حرمتنا مما حدث من تجديد . ومع هذا نذكر رجالنا بأطيب الذكر من جراء أنهم حفظوا تراثنا .

ولا يكفي هذا الاجمال . ومن الضروري الدخول في التفصيل بقدر مع العلم لأن التبع يحتاج الى تعاون ولأن الوثائق لا يزال بعضها في طي الخفاء . وجل أملنا أن تظهر ليكشف عن مهم فينجلي حال العلم بوضوح . وبهذا تكون صلة الماضي بالحاضر .

## ٢ - المصادر التاريخية (للكمال)

يصعب كثيراً أن نعين مصادر البحث للعهد العثماني بحيث نصلح أن تكون عامة وان كنا طرفنا أكثر ما ينبغي طرقه لمحاولة المعرفة من جميع وجوهها . ويؤسفنا أننا لم نعد الا القليل ، ولم ندرك الا النزر . فهل كان ذلك لنقص في الخلفات أم لأنها مخفية عن الأنظار ، أم أصابها التلف . كل هذه الاحتمالات واردة . ومن المهم أن نقول اننا لم نجد ما نعتده أو نعول عليه من المصادر العامة . وانما كتبنا الموضوع بالاستفتاء من مختلف الآثار الخاصة في تواريخ الأشخاص وما قيل في مؤلفاتهم . وهذا غير مسبوق بغيره فليعذر المرء اذا وجد نقصاً ، ولعله يسعى جهده لإكماله . . . . والغرض تثبيت (التاريخ العلمي في العراق) وبمنه (تاريخ علم الفلك) . وقد قيل قديماً

«العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كأك» . بذلنا جهوداً كثيرة . والأمل أن نقطع مرحلة في طريقنا نوضحها للسالك .  
ومن أهم ما يعده مرجعاً خزائن الكتب بوجه عام ، ومن أجل ما هنالك (كتاب عثمانلي مؤلفاري) تعرض للتاريخ العلمي وبصير بالأشخاص .  
ومثله لهد قصير كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية . وما جاء بعده من كتب الطبقات العثمانية ، وكتب التاريخ للتعرف بالمؤلفين ومن بينها كتاب سجل عثمانلي . وكل هذه لم تفرد موضوعاً الا أننا وجدنا بعض التراجم مفردة فيها ورأينا كل الصعوبة في معرفتها .

ويصعب تعداد جميع المؤلفات . والغرض تاريخي لعللاقة له بتفصيل (مادة الفلك) والرياضيات فقد توسعت كثيراً ، وزادت المؤلفات فيها . وكلها تكشف صفحات ناعمة . ومطلبنا محدد في التاريخ وعلاقتنا به قليلة جداً فيما يخص الموضوع .  
وان ذكر الأمثلة والتوسع فيها خروج عن المطب التاريخي وذلك يحتاج الى تبسط يخص أهل الفن كما فعل الأستاذ طوقان في كتابه (تراث العرب العلمي) أو كما فعل الأستاذ صالح زكي في كتابه (قاموس الرياضيات) وكتابه الآخر (آثار باقية) .

ومن المصادر الصالحة للأخذ (تحفة الكبار في أسفار البحار) لكتاب چلي ، و (قاموس الأعلام) لشمس الدين سامي ، وأوليا چلي في رحلته . . . ومؤلفات (سيدي علي رئيس) .

### ٣ — علم الفلك في العراق

ان هذا العلم له صلة أكيدة بالعلوم الأخرى . فقد مضى في سبيله باستمرار ، وكان غذاءه في الدرجة الأولى (كتب الحياة) في عهد المغول والتركمان ،

وكذا المؤلفات السابقة . وكانت المدارس العلمية تمد بالمعرفة المنظمة . وكان سائراً في نهجه العلمي الا أنه حرم من المناصرة الكبيرة ، ولم يجد بدلاً زائداً في بناء رصد أو مساعدة العلماء .

وجل ما هنالك أن الاتصال العلمي لم ينقطع كما في عهد المغول والتركان ومن ثم كانت معرفته تحكي ماجرى وتمثل ما كان من تطور . وقد غلب عليها ( الطريقة التعليمية ) لا الابداعية ( العلمية ) ، فالموهب لم تبرز وتظهر ظهورها في تلك الأقطار المناصرة لتقدم هذا العلم . صارت بغداد تابعة للأقطار منقادة لعلومها وتحقيقاتها وان كانت المادة منها . صارت تأخذ عن العثمانيين والبرانيين وتقوي ما عندها ، وتجدد النشاط . لم يصيبها الخمول الا أنها لم تكن مرجعاً للأقطار بل صارت تلك الأقطار مرجع المعرفة لها .

نشاهد ذلك من أيام انتشار مؤلفات الطوسي وأضرابه ، ومن نقل بعض كتب الفلك الفارسية مثل تاج المداخل . والصلوات بالأقوام أدت الى الاحتفاظ بهذا العلم المتجدد . ولم يغفل العراق هذه الخطة فكان في صلة تطميناً للرغبة العلمية بواسطة المدارس التي لم تنفك عن تدريس هذا العلم .

وفي هذا العهد نذكر علاقاتنا العلمية بالفلك في المدارس والاشتغال العلمي ، والاتصال بمتجددات الفن . وأكثر ما تظهر العلاقة بالعثمانيين ، وكانت سلطتهم واسعة تتناول جميع الأقطار العربية وتتصل بالغرب من جهة ، وبالبرانيين من أخرى . وكانوا يناصرون العلم كدولة مستقلة لها تشكيلاتها العلمية الخاصة وكيانها المعروف . والسياسة والحروب لم تدع مجالاً للعثمانيين ولا للبرانيين أن تتقدم العلوم في أيامهم . وانما ابتلعت الحروب خزائهم ، فباؤوا بالفشل وتسلبت عليهم الغرب . وصاروا تلامذة الأمم الأخرى . وهذا الأمر غير مشرف للعراق في الأخذ والافتباس العلمي . وانما كان ذلك تابعاً للأصل وهو كذلك .

وهذا لم يمنع من الاتصال والمعرفة ولو قليلاً . والغرض الاطلاع على ما جرى . ولبس من شأننا العويل أو البكاء على الوضع العلمي والأيام دول . والضرورة التاريخية تدعو أن ندون هذه الصفحة بآلامها للاطراد في المباحث ، ومعرفة المكانة العلمية لهذا العلم خاصة في العراق وما أمكن معرفته من اتصاله بالفلك وعلومه .

وأكثر ما نحاول تدوين العلاقة بنا ، المتصلة اتصالها الاكيد . فاذا بحثنا عما عندنا توضح أكثر . والملاحظ ان المعرفة العلمية متمكنة لا تشوبها شائبة تعصب . ولم يمنع العلماء أن يأخذوا عن علماء الدولتين وان كان العثمانيون أكثر صلة بنا ، وهم أهل الدولة الحاكمة المتسلطة . والایرانيون مجاورون ومتداخلون من جراء الاتصال بالعتبات المباركة وبطريق الحج .

وفي هذا العهد نزاعي الأدوار التاريخية على ترتيبها السيامي في تاريخ العراق لتكون على صلة بالأوضاع .

### ١ - العهد الاول : ( الفلك في العراق )

من سنة ٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م الى سنة ١١٦٣ هـ - ١٧٥٠ م

نهجنا اتصالنا العلمي بالفلك . وان التأثير الخارجي لا يؤثر التأثير التام كتأثير المدارس وخزائن الكتب والاتصالات المباشرة في (المجالس العلمية) والبحوث رأساً في الموضوع . وان المؤلفات المنشورة بين ظهرانينا من اعظم الدلائل على الاتصال العلمي . ولم نقف مكتوفي الأيدي من مؤلفات المعاصرين التي أصبحت لها شأن .

ولعل أحد الأسباب المهمة في ضياع الاشتغال أو عدم الامكان من المعرفة هو كمون بعض الآثار واختفائها ، ولم نجد من آثار زغزغ هذا العلم ، أو تصدى

للتدوين لتكون على يدته من ماضينا . ولا شك أن العلوم المتداولة مثل ملخص  
 الحياة للجفميين وشروحه معروفة كثيراً وكذا الحواشي على تلك الشروح .  
 ومن مراجعة خزائن الكتب الموقوفة نشاهد مؤلفات كثيرة منها مدرسية  
 ومنها علمية ، فلا يقال ان العراق جمد جموداً كبيراً ، فصار لا حراك به ،  
 بل ان انتشار مؤلفات الفلك بين ظهرانينا تعين قيمة الاشتغال والرغبة فيه .

### سيد علي رئيس الفلكي البحري في بغداد

بمدّ من الأحداث المهمة في بغداد ورود سيدي علي رئيس في سنة ١٩٦١ هـ -  
 ١٥٥٣ م . وورد بغداد ليتولى ادارة الأسطول العثماني الرامي في البصرة ،  
 ويقوم بمتب قائد الأسطول المصري ، فذهب بعد وصوله الى البصرة فحدثت  
 بعض الوقائع في شط العرب وما جاوره من تلك الأتخاء . ثم انه أصلح السفن  
 الموجودة وسار الى مصر وفي طريقه اصطدم بأسطول البرتغال في معارك طوحت به  
 الى ساحل الهند فساعدت العدو زوابع قوية كانت أشد صولة فأغرقت سفنه  
 أو ضعفتها ، فالتجأ الى من هناك من المسلمين . . . .

عثر على رسائل في علم البحار وما يتعلق بالفلك شاهدها في تلك الأتخاء .  
 فوجد ضالته فيها ، فنقلها الى التركية في مجموعة سماها بكتاب ( محيط ) حوى  
 رسائل العرب وكان يأمل أن تعود دولته الى تلك الأتخاء فتكون على بصيرة من السير  
 في تلك البحار لمقارعة البرتغال ، ولكن سفرته هذه كانت الأخرى . وبقي  
 أثره خالداً . ولم يطبع لأن دوائه لم تجد حاجة اليه للدوام في حروب  
 تلك الأتخاء مع أن ترجمته الى الألمانية من الأستاذ همر الألماني  
 قد طبعت ، فبينت ( ثقافة العرب البحرية ) في تلك الأتخاء واتصال الترك  
 العثمانيين بها .

وكان مسبوفاً ببحارة عثمانيين الا أنه فاق بما خآد من هذا الأثر العظيم .  
 وله مؤلفات عديدة في علم الفلك منها :

- ١- اسطرلاب .
  - ٢- ربع المجيب .
  - ٣- عمل الضرب بالمجيب .
  - ٤- المقنطرات .
  - ٥- دائرة المعدل .
  - ٦- ذات الكرسي .
  - ٧- كل هذه جمعها في كتاب (مرآة الكائنات) في خمس مقالات و ١٢٠ باباً و كتبه باللغة التركية ، ومنه نسخة في خزانة أياصوفيا .
  - ٨- ترجمة فحجية في الحياة نقلها من الفارسية الى التركية . منها نسخة في خزانة بشير أفندي .
  - ٩- محيط في علم البحار . مرت الاشارة اليه . ومنه نسخة في خزانة روان وأخرى في عثمانية .
  - ١٠- خلاصه الحياة . ترجمة ملخص الحياة الى التركية . منها نسخة في دار الكتب المصرية .
- هذا ولابن سيدي علي رئيس (مرآة الكائنات في العمل بالآلات الفلكية) شرحه محمد أمين ابن الحاج عبد الرحيم في ٢٧ مقصداً ، سماه (المقاصد الجليلة في حل الآلات الارتفاعية) ، وبيان الوضع الجري وعلاقته بعلم البحار<sup>(١)</sup> . والملاحظ أنه بعد أن اتصل سيدي علي رئيس بملوك الهند ، ونقل الى التركية (رسائل العرب)<sup>(٢)</sup> في علم البحار في (محيطه) استعد لاجتماع ما يلزم من معرفة علمية لعل دولته تعيد الكرة ، وكتب رحلته (مرآة الممالك) وفيها قص حياته ، وهي مهمة جداً<sup>(٣)</sup> .

(١) تاريخ العراق بين احتلالين المجلد الرابع في صفحات عديدة منه . وفيه تفصيل .

(٢) هذه طبعت في مجلدين في باريس عدا الترجمة الى الفرنسية .

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٨ وفيه تفصيل .



أثرت هذه الغلبة في التجارة ، فوقفت مدة . فتأثرت الحالة الاقتصادية وأصابها ركود عظيم بل اختلت . ولم يستعد العرب العلاقة بالهند الا من طريق الغربيين ، فكان ذلك ضربة قوية على التجارة في الشرق . وبهنا الكلام على البحرية وهذه ماتت عند العثمانيين في بحر الهند ، ونشطت للبرتغال ، ثم خلفتها بحرية الهولانديين والانكليز وغيرهما .

والفلك لم يتقدم في هذا العهد الا تقدماً قليلاً عند العثمانيين . وفقد عندنا مزايا كثيرة منها أننا لم نر حاجة اليه . وليس لدينا رصد . وفي الجوامع بعض موقنين جروا على تقليد من سبقهم وغالبهم براعي موضوعه الا أن هذا تابع للقدرة الشخصية ولم يظهر عندنا من تلتفت الأنظار اليه ، فيؤلف تأليف ناعمة تعادل في الوضع أو تبدل فيه تبديلاً مهماً . وقد قيل الحاجة أم الاختراع .

دام ذلك بالخطاط لما أعقب الوضع من اضطرابات عديدة داخلية وخارجية ، والخلال في الادارة ، فشغل الناس بأنفسهم ، ولم نجد مدونات الى أن دخل السلطان مراد الرابع بغداد ، واستعادها من ايران بعد حروب قاسية وتدمير ماحق حتى سنة ١٠٤٨ هـ - ١٣٦٨ م . واذا كانت هناك مؤلفات فهذه انتهت بها الايدي العادية ، فلم تظهر أو لاتزال في زوايا الخفاء .

وجمل ما علمنا أن العلم انحط . ونرى في البصرة من كتب الحسين باشا آل افراسياب كتاباً في الطالع عندي مخطوطة منه نافضة الورقة الأولى وليس فيه من القدرة العلمية ما يستحق بها الذكر الا أنه صفحة من عقلية ذلك العصر . وعندي مخطوط يسمى ( بلوغ الأفهام في معرفة أقسام العام ) كتبه باسم حسين باشا آل افراسياب كتب في شوال سنة ١١٢٣ هـ ولم أفهم على اسم مؤلفه . ولم يبق ببغداد من كان له الشأن الكبير في تدريس هذا العلم ، فترى الأستاذ الشيخ عبد الله السويدي لم يستطع أن يبرر غلته

من علم الفلك عن كان في بغداد من العلماء ، فاضطر أن يذهب الى الموصل ليدرس الحكمة والفلك كما تنطق بذلك رحلته . قال : « سافرت الى الموصل سنة ١١٢٢ هـ لتحصيل علم الحكمة والهيئة فبقيت في الموصل ١٣ شهراً حتى أكلت جميع الفنون . » (١) .

ومما قرأه من كتب الدرس في الفلك ما أشار اليه في رحلته . قال : « وأخذت علم الهيئة ، ورسائل الاضطراب ، وربع المجيب ، وذات الكرسي عن البحر الجامع ، والفيث الهامع عن سيدي ( سليم أفندي الموصل ) . وأخذت الحساب عن أختنا ( الشيخ حسين ) قراءة عليه ( شرح الزمزية ) . وعن ( الشيخ سلطان ) قرأت عليه وعلى غيره خلاصة الحساب للبهائي . وأخذت الهندسة عن العصريين . » (٢) .

ومن هذه نعلم أن علماء ذلك العصر ( سليم أفندي الموصل ) ، و ( الشيخ حسين أفندي ) ، و ( الشيخ سلطان بن ناصر الجبوري ) وغيرهم ولم يستقص اسماءهم وهم مدرسون ولم يكونوا فلكيين . فلا شك ان هؤلاء علماء الفلك والرياضيات ، وان الكتب المقروءة التي مردها منها كتب اليه العاملي ، وشرح الزمزية ولم يمين باقي أسماء مؤلفيها . وبعضها لا يمكن بيان امم مؤلفه لوجود نسخ عديدة لمؤلفين مختلفين في نفس الموضوع . ولا تتضمن هذه المؤلفات أكثر من تكرار المعروف الا أن بعضها أهملت جادة تدريس في مدارسنا . وكتب اليه العالمي كانت تدرس في هذا الحين .

ومن المؤلفين في هذه الحقبة ( مرتضى آل نطعي ) . وله ( رسالة المقتطرات والجب ) . ومن هذا الكتاب نسخة مذهبة مجذولة في مكتبة محمد عاصم بك

(١) النسخة المسكبة في الرحلة المسكية من ١٢ .

(٢) كذا » » » ص ٢٦ .

من خزائن كوبربلي . كتبها باللغة التركية تبعاً لرغبته الأدبية في التدوين  
والا فان التدريس كان باللغة العربية .  
ومرضى آل نظمي مؤرخ عراقي معروف . جاءت ترجمته في تاريخ العراق  
بين احتلالين وتوفي سنة ١١٢٦ هـ<sup>(١)</sup> .

ومن هذا كانت معرفتنا بعلم الفلك ورجاله قليلة جداً ، فعرفنا من مدرسيه  
والآخذين عنهم والمؤلفين فيه جماعة . والطريقة في التدريس جارية على ما هو  
متبع ومنقول من الرحلة أو ما يشبهها الا أن شيوع التدريس حدث فيه تبدل  
قليل . والملاحظ أن هناك كثيرين لم يشتهروا بأكثر من التدريس وبوجه عام  
لم نشاهد من انصرف لهذا العلم ، وانما صار يلتمس من الموصل لبقايا عهدت في  
رجلها ، وهذه صفحة مهمة أطاق اللثام عنها ( الشيخ عبد الله السويدي ) على  
أنه لم يعدم منا هذا العلم بل كما قلت ( ضعف ) .

## ٢ - عهد المماليك في العراق

من سنة ١١٦٣ هـ - ١٢٥٠ م الى سنة ١١٤٧ هـ - ١٨٣١ م

ان تقدم العلوم وتكاملها مقرون بالطأينة والراحة . وان ما حدث من تبدل  
في الحكم وانتقاله الى المماليك ، وكذا ما حدث بعد ذلك من نزاع على الولاية  
لم يهتم الا رجال الدولة والجيش . ولم يتأثر بذلك الأهليون الا قليلاً . ولذا  
لم يطرأ اضطراب قوي يؤثر على حالة العلماء . والعلوم ومنها الفلك هذا شأنه .  
وبهنا الاشارة الى أن الولاية في بغداد لم يعنوا بهذا العلم . وانما سار في  
تقدمه من طريق المدرسة ، وان الرغبة فيه من أكبر المسهلات لتقدمه . وان  
الدولة العثمانية شرعت في الاصلاح لضرورة حرية فأنشأت ( المهندسخانة ) أي  
دار الهندسة أو ( كلية الهندسة ) فظهر علماء في الرياضيات والفلك . ولا يتكر

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ في صفحات متعددة منه .

في هذه الحالة أن ينال العراق نصيب من هذه المعرفة ولو من طريق الاتصال بما نشر من مؤلفات .

ومما لا ريب فيه أن تقدمه الكبير لم يظهر في العراق حتى ولا في أصل الدولة . وان الممالك قطعوا أكبر العلاقات من الدولة ، فلم يلتفتوا الى تقدم الفلك والرياضيات . وان الاشتغالات في الفلك جرت على سيرتها السابقة . ومع هذا ظهر بعض الأفاضل فدروا بعض الرسائل أو المباحث ، فلم يكونوا بعيدين عن هذا العلم إلا أن ذلك محدود .

ونذكر علماء هذه الحقبة ونبين مؤلفاتهم ، وفي ذلك صفحة واضحة للمعرفة على أننا لم نقطع أملنا في العثور على مؤلفات أخرى . ولكنها لا تزيد بأكثر من الأمثال ولم يكن هناك ما يحقق تعديلاً كبيراً ، ولا ما يدعو لظهور نوابغ خدموا هذا العلم .

ومن البيوت المعروفة بالعلم في هذا العهد ( بيت الحيدري ) ورد بغداد صبغة الله الكبير بن ابراهيم . وكان يدرس علوم الهيئة ولاخوته علم وفضل ومنهم اسماعيل له شرح على الاسطرلاب للبهاء العاملي . ولابنه صالح بن اسماعيل حواش على خلاصة الحساب . ولعبد الله بن صبغة الله المذكور حواش على الجفميين في الهيئة . وذكر في عنوان المجد ان لابراهيم بن حيدر والد صبغة الله الكبير من المؤلفات ( شرح تشریح الأفلاك ) في الهيئة . وذكر لوالده حيدر المذكور ( حاشية على أشكال التأسيس ) في الهندسة .

وفي هذه المؤلفات ما يبين الوضع بالوجه المذكور فلم يحصل تقدم يذكر في علم الهيئة وما يتعلق به . ومن الضروري التحري عن هذه المؤلفات ومحل وجودها . وهنا لا نمضي دون الإشارة الى أن الشيخ عبد الله السويدي أخذ علم الفلك عن علماء الموصل وذكر من أخذ عنهم في رحلته . ولكنه لم يعرف لهؤلاء الا تدريس هذا العلم . وهو أيضاً أخذ الا انه لم يبد له تأليف شيء موضوعه .

فقد احتفظوا بدرسه وتدرسه ووقفوا عند ذلك . ولعلّ هذا مما يمكن هذا العلم  
فصار بقرأ ويؤخذ من العلماء ، فدبّ النشاط وتوالى التأليف . . . وذلك  
في عهد ما قبل المماليك . ثم تمكن في أيامهم وظهر الاشتغال به والتأليف في  
مطالبه . . .

ومن علماء هذ العهد من قد تبع رغبته ودوّن بعض المؤلفات غير من ذكروا :  
١ - السيد عبد الله الفخري :

هو أبو محمد من آل الفخري الأسرة الموصلية المعروفة كان كاتب الانشاء  
بيغداد في أيام المماليك ومقدماتاً عند الوزراء بعيد الصيت في الآداب العربية  
والتركية . جاءت ترجمته في الروض النضر ، وفي منهل الأولياء ، فهو أديب  
كامل . ومثله ابنه اسعد الفخري . قال صاحب منهل الأولياء : « وقعت له  
على شرح رسالة البهاء العاملي في علم الحياة ، فوجدت علماً عظيماً وفطنة وقادة  
وأمراراً غريبة » ١ هـ . ذكرت ترجمته في التاريخ الأدي .  
ومن مؤلفاته :

١ - شرح تشریح الأفلاك . منه نسخة في خزانة الأوقاف من بين كتب  
السيد نعمان خير الدين الأومسي .  
وعليها :

١ ) حاشية . للشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله السويدي المتوفى سنة  
١٢٠٠ هـ أولها : سبحانك ما أجل صفاتك . أنثى فيها على السيد عبد الله الفخري  
ولعلها مسودة المؤلف .

٢ - سوانح القرينجة في شرح الصفيحة في الاسطراب للعالمي . أولها :  
تبارك الذي جعل في السماء بروجاً . . . وهذه النسخة في خزانة الأوقاف العامة  
بين كتب السيد نعمان خير الدين الأومسي . كتبت سنة ١٢٤٠ هـ بقلم الأستاذ  
السيد محمود الأومسي . ومنها نسخة أخرى في الخزانة المذكورة ليس لها تاريخ .

٣١- رسالة في كيفية العمل بالصفحة . منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة بين كتب السيد نعمان خير الدين الألومي .

توفي سنة ١١٨٨ هـ - ١٧٧٤ م .

٢- الشيخ عبد الرحمن السويدي :

: هو ابن أبي البركات الشيخ عبد الله السويدي . ذكرته في التاريخ الأدبي .

ولد سنة ١١٣٤ هـ -- ١٧٢٢ م . وله من المؤلفات في الفلك :

١- حاشية على شرح تشریح الأفلاك للسيد عبد الله الفخري . منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة كما أشير الى ذلك .

٢- حاشية على شرح الملخص في الهيئة . ولم يتعين لنا صاحب الشرح .

ولا شك أنه شرح قاضي زاده فهو المتداول . أولها : الحمد لله الذي جعل لنا

الأرض مهاداً . . . وهي تعليقات على بعض المباحث المغلقة . كتبها بطاب

من أخيه الأصغر شهاب الدين أحمد بن أبي البركات الشيخ عبد الله السويدي .

منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة بين كتب السيد نعمان خير الدين الألومي .

وتوفي في ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٢٠٠ هـ - ١٧٨٦ م . وترجمته في المسك

الأذفر<sup>(١)</sup> وفي سلك الدرر<sup>(٢)</sup> وفي التاريخ الأدبي .

٣- أحمد بن محمد بن خضر البغدادي :

لأنه لم نعلم عن حياته أكثر من معرفة اسمه ، وأنه كان في أيام داود باشا .

وله :

١- نقش الصفحة . شرح الصفحة في الاسطرلاب للعالمي . قدمها الى

داود باشا وزير بغداد وأطراه . كتبت بقلم المؤلف سنة ١٢٣٨ هـ - ١٨٢٢ م

وانسختها الأصلية في خزانة الأوقاف العامة بين كتب السيد نعمان خير الدين الألومي .

(١) ص ٦٥ .

(٢) ص ٢٣٠ .

- ٤ - محمد أمين السويدي :  
 ذكرته في التاريخ الأدبي . وله من المؤلفات :  
 ١ - الجواهر واليوافيت في معرفة القبلة والموافيت .  
 ٥ - صالح السعدي الموصل :  
 أدب كامل ، وهو عارف بالفلك متقن لمطالبه . ذكرته في التاريخ الأدبي  
 وفي تاريخ الخط العربي في العراق . ومواهب جمّة ، وعلمه غزير .  
 وله من المؤلفات في الفلك :  
 ١ - حاشية على الجفحيني في الحياة . وهذه حاشية على شرح الملخص في  
 الحياة لفاضي زاده الرومي .  
 توفي شهيداً سنة ١٢٤٥ هـ .  
 ٦ - محمد بن عبد الله الزياتي :  
 أخذ عن أستاذه المشهور يحيى المزوري وكان قرأ عليه الملخص في الحياة .  
 وشاهد المسألة الشعرية من أعوص المسائل . فكتب فيها رسالة أولها : الحمد لله  
 الذي أقام السماوات بأمره . . . . قدمها الى داود باشا والي بغداد . وعندني  
 مخطوطتها برقم ١٤٩ .  
 وهو صاحب كتاب ( توحيد الصانع ببهان التانع ) . ذكرناه في كتب  
 العقائد . قدمه الى داود باشا وأطرى أيضاً أستاذه المزوري .

عباس العزاوي

( يتبع )

# تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

- ٦ -

## ٤- ابن عطية :

يتكلم ابن عطية المفسر ( ٥٤٢هـ ) في تفسيره ( Ms Berlin Spr 408 ) عن الإعجاز وقد ذكر رأيه السيوطي ( الإيقان ج ٢ ص ١٩٨ ) فقال : « وقال ابن عطية : « الصحيح والذي عليه الجمهور والحدائق في وجه إعجازه أنه ينظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه وذلك أن الله أحاط بكل شيء علماً وأحاط بالكلام كله فإذا أراد ترتيب اللفظة من القرآن علم بأحاطته أي لفظه تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بمد المعنى ثم كذلك من أول القرآن الى آخره والبشر يعجزون الجبل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة أن لا أحد من البشر يحيط بذلك فهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا يبطل قول من قال إن العرب كان في قدرتهم الإتيان بمثله فصرفوا عن ذلك والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط ولهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولاً ثم ينظر فيما فيغير فيها وهلم جرا وكتاب الله تعالى لو نزع منه لفظه ثم أدير لسان العرب على لفظه احسن منها لم يوجد ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القرينة وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة ومطعم المعارضة كما قامت الحجة في معجزة موسى بالسحرة وفي معجزة عيسى بالأطباء فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبدع ما يكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره » .



ويبين لنا من هذا النص الواضح أنه ينكر الصرفة لأنه ليس في استطاعة العرب أن يحيطوا بالألفاظ والمعاني إحاطة الله ثم هو يجمل النظم دليل الإعجاز ويعلل بلوغه الغاية في النظم وصحة المعاني وتلاؤم الألفاظ بأنه كلام الله فهو لا يلجأ إلى مقارنته بكلام الناس وإنما يجمل الدليل مدلولاً والمدلول دليلاً فيدور في حلقة مفرغة ثم يرجع ما لا ندرك فيه الغاية في البلاغة من القرآن إلى قصورنا لا إلى أن في القرآن فصيحاً وأصح منه كما يرى ابن حزم والخفاجي ثم هو يرى أن العرب زمن النبي كانوا أفصح من جاء بعدهم وأبين وأقدر على القول وأعرف بحيله وهذا ما لا أفرسه عليه كما ذكرت في بدء البحث أثناء الحديث عما دار بين العرب والقرآن .

هـ - ابن رشد :

قال الراجزي في كتابه الإعجاز : « لفيلسوف الإسلام القاضي أبي الوليد ابن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ هـ . كلام حسن في آخر كتابه ( فصل المقال ) لم نر مثله لأحد من العلماء بين فيه كيف احتوى القرآن الكريم على طرق التعليم المنطقية بجمالاتها تصوراً وتصديقاً وقد جعل الفيلسوف ذلك من إعجازه وهو وجه لو كان بسطه واستوفاه واستبرأ معانيه لجاء منه بكل عجيب غير أنه رحمه الله أشار إليه في الكلام إشارةً وجاء به عرضاً لا غرضاً » وبفصل الراجزي ذلك في ص ٢٨١ من كتابه .

وقول ابن رشد هذا هو من باب مذهب الغزالي القائل بأن القرآن قد حوى مبادئ العلوم كلها ويتصل من قرب بالنظرية العلمية في الإعجاز وليس في هذا القول مؤيد للإعجاز لأنه مجرد تمحك واصطناع للأدلة لما نعلم من أن القرآن لم يأت ليشرح العلوم أو يعدد نظريات المنطق وإذا كان قد استعمل في براهينه طرقاً شرحها المناطق في كتبهم فذلك لا يعني أنه قصد إلى ذكرها

فيه باعتبارها مبادئ علم المنطق وإنما لأن للفكر الإنساني في البرهنة في كل عصر وبيئة طرقه العقلية العامة التي هي قدر مشترك بين الناس والتي وجدت قبل أن يوجد علم المنطق وكان من الطبيعي أن يعرفها غير المناطقة بالبدئية وممارسة الدفاع عن الرأي والاحتجاج له .

### تلخيص ونقد :

أختم هذا العصر بملاحظة أن النظرية العلمية في الإعجاز ذكرت فيه لأول مرة على لسان الغزالي فبين اطاعت على آرائهم حتى زمنه من الباحثين ثم تلاه في القول بها القاضي عياض ثم ابن رشد الذي وجد في هذا العصر نفسه وتكلم في ناحية منها . ونلاحظ أن الباحثين كانوا مقلدين أو جامعين لآراء من قبلهم وأن الزمخشري منهم يقول بإعجاز القرآن من حيث البيان ويسرد رأيه هذا في تفسيره الكشاف ولكنه يقول بأن القرآن حادث ومن غير ذلك لا يكون معجزاً لأن التهدي يبطل حينئذ ولا يصح لاستحالة الإتيان بمثل القديم .

\* \* \*

### القرن السابع الهجري

أشهر من تكلم على فكرة الإعجاز في هذا العصر نجر الدين الرازي المفسر المتكلم والسكاكي الأديب أحد علماء البلاغة وابن العربي الصوفي المتكلم وعلي الأمدى وحازم القرطاجني المتكلم . وفيما يلي كلمة في كلٍ منهم .

#### ١ - نجر الدين الرازي :

تحدث الإمام نجر الدين الرازي ( ٦٠٦ هـ ) عن الإعجاز في عدة كتب له ويقول عبد العليم الهندي أنه لم يأت مجدد من عنده وبذكر أنه إنما اختصر كتابي الجرجاني : دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ونظمها من جديد في كتابه

«نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز» الذي جاء برأي الجرجاني في صورة أوضح .  
ويتعرض الرازي لهذه المسألة في تفسيره وفي كتابيه في علم الكلام : «معالم  
أصول الدين» و «محصل أفكار المتقدمين» .

أما كتاب نهاية الإيجاز فيمكن تلخيصه بما يلي :

١ - ذكر الرازي أن الدليل على إعجاز القرآن عجز العرب عن معارضته  
مع أنهم تحدوا بها .

٢ - ثم يقول إن للناس أربعة مذاهب في وجه كونه معجزاً :

أ ( مذهب الصرفة ، وبعد أن يشرحه كما قال به النظام ينقضه بأنه لو كان  
صحيحاً لما تعجب العرب من فصاحة القرآن ولكان نسيان العرب للصيغ المعلومة  
في مدق يسيرة دالاً على زوال العقل ومعلوم أن العرب لم تزُل عقولهم بعد التحدي .  
ب ( مذهب مخالفة أسلوبه لأسلوب الشعر والخطب والرسائل لاسيما في  
مقاطع الآيات مثل يعلمون وتعلمون ويراه باطلاً لخسة وجوه :

١ ( لو كان الابتداء بالأسلوب معجزاً لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً .

٢ ( الابتداء بالأسلوب لا يمنع من الاتيان بمثله .

٣ ( يكون ما ألفه مسيلمة على الأسلوب نفسه معجزاً .

٤ ( لا يقع تفاوت حينئذ بين «ولكم في القصاص حياة» وبين «القتل

أنفي للقتل» .

٥ ( وصف بعض العرب له بأن له حلاوة وأن عليه طلاوة لا يلبق

بالأسلوب حينئذ .

ج ( مذهب أن الإعجاز في عدم التناقض ويرد عليه بأنه يلزم حينئذ عد

كثير من الكلام غيره معجزاً لخلو كثير من الكلام منه .

د ( مذهب جعل الإعجاز في الإخبار عن الغيوب وهو عنده باطل لأن الغيوب

لا توجد في كل سورة وآية . ولم يبق في رأيه من كون القرآن معجزاً إلا الفصاحة .

هذا هو رأيه موجزاً ونلاحظ عليه أنه تقض كل المذاهب التي ذكرها وقصر الإعجاز على الفصاحة وسرى أنه يناقض رأيه هذا في تفسيره كما نلاحظ أنه لا ينظر الى الإعجاز الا من جهة واحدة ويقع فيما وقع فيه غيره. من أنه يقدم وجهاً وينكر ماعداه ولا ينظر الى القرآن نظرةً عامةً جامعة ليرى أنه معجز لعدة أمور اجتمعت بعضها الى بعض فكوت جماله؛ فلا شك في أن للأسلوب وعدم التناقض وجمال المعنى أثراً كبيراً في جمال الكلام . ثم لا بد هنا من ملاحظة أن السيوطي ذكر رأي الرازي في الإعجاز فقال إنه الفصاحة وغمراية الأسلوب والسلامة من جميع العيوب. وقد رأينا هنا أنه يرفض أن تكون غمراية الأسلوب وجهاً في الإعجاز فيبين في ذلك خطأ السيوطي في نقله رأي الرازي .

وأما ما ذكره الرازي في تفسيره الكبير مفاتيح الغيب عند تفسير آية التحدي في سورة البقرة « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الخ » فيمكن تلخيصه فيما يلي :

١ - إن ذكر هذه الآية في القرآن هو للبرهان على صحة النبوة .

٢ - يمكن بيان كونه معجزاً من طريقين : ( ١ ) القرآن معجز لأنه زائد

على سائر كلام الفصحاء بقدر بنقض العادة ودليل ذلك عجز العرب عن معارضته بعد أن تحداهم برغم دواعيهم وعداوتهم وحميتهم ثم يقول إنه اجتمع في القرآن وجوه كثيرة تقتضي نقصان فصاحته وهو مع ذلك في النهاية من الفصاحة ؛ منها :

( ١ ) ان فصاحة العرب فيما تقع عليه مشاهدتهم وأحاسيسهم من بعير وجل . . . .

ولم يتكلم القرآن في شيء منها فكان يجب ألا تحصل فيه الألفاظ الفصيحة

التي اتفق العرب عليها في كلامهم . ( ٢ ) إن القرآن تجنب الكذب ومع

ذلك فهو فصيح والشعر أعذبه أ كذبه ولهذا نزلت قيمة شعر حسان وليبد بعد

الإسلام لتجربها الصدق . ( ٣ ) لا تقع الفصاحة في كل كلام الشاعر أو الخطيب

والقرآن كله فصيح . ( ٤ ) كل فصيح إذا كرر الكلام في موضوع واحد لم

يحافظ على فصاحته الأولى والقرآن فصيح في تكراراته الكثيرة . ( ٥ ) إنه يتكلم

في العبادات وأحكام الدين والآخرة والكلام فيها بوجوب نقص الفصاحة وهو مع ذلك فصيح (٦٠) كل شاعر ينبغ ويحسن شعره في فن القرآن كان فصيحاً في كل فن يتكلم فيه (٧٠) القرآن أصل العلوم كلها ، ولكنه حين عددها عدت منها علم الكلام والفقه وأصول الفقه واللغة والزهد وأخبار الآخرة ومكارم الأخلاق .

ونلاحظ أنه في الوجوه الستة الأولى يكرر ما قاله الباقلاني قبله أما في الوجه السابع فيذهب مذهب الغزالي وقد ذكر الأستاذ أمين الخولي أن الرازي هذا قد عرض لقضية الإعجاز العلمي أثناء تفسيره (التفسير : معالم حياته ومنهجه اليوم ، الخولي ص ٢٠) .

ب) الطربق الثاني للبرهان على الإعجاز أن القرآن إذا لم يكن معجزاً ولكن العرب مع توفر دواعيهم لم يستطيعوا معارضته فعجزهم أمر خارق للعادة فكان ذلك معجزاً وهذا الطربق في نظر المؤلف أقرب للصواب وهنا نراه يناقض ما جاء به في كتابه «نهاية الإيجاز» فقد نقض الصرفة هناك وأخذ بها هنا .

٣- يذكر اعتراض العرب زمن النبي على أن القرآن من جنس كلامهم فهو ينزل بحسب المناسبات وردّه عليهم بتجديدهم بمثله إن استطاعوا ذلك .

٤- يذكر أن التهدي في القرآن وقع على وجوه ثم يذكر التدرج في هذا التهدي وهو يرى أن القرآن تدهام بالأكثر فالأقل حتى انتهى إلى التهدي بسورة ثم يقول إنه ربما ادعى مدع أن الإتيان بمثل سورة الكوثر غير معجز فاذا ادعيت أنه معجز كما برتم فهو في مقدور البشر فبرد المؤلف أنه لهذا فضل الصرفة وجمع القول بالصرفة إلى القول بالإعجاز من حيث الفصاحة . وهنا نلاحظ كيف أصبح المتأخرون من المؤلفين يجمعون بين النقيضين في البرهنة على قضية الإعجاز وقد سبقه إلى ذلك الرماني من المؤلفين الذين درسناهم .

٥- يتعرض لقضية الجبر في مناقشة مسألة الإعجاز فيقول : قال القاضي

— ولا ندرى من يقصد به — وبذكر ما معناه أن القول بالتحمدي يبطل الجبر لأن الانسان لا يتحمدي الا بشيء قادرٍ عليه فاذا كانت أفعال الانسان ليست له وإنما هي من صنع الله فيبطل التحمدي لأن الله حينئذ يتحمدي نفسه والشيء إنما يخرج بكونه معجزاً لأنه من عند الله والجبر يجعل الأفعال كلها من عند الله ولا يكون فرق بينها وبينها وبتساوي المعجز وغير المعجز ويرد على قول هذا القاضي بأن إتيان الخصم بالتحمدي موقوف على أن يحصل في قلبه تصديقاً إليه لا اتفاقاً فاذا كان منه لزم التسلسل وهو محال وإن كان من الله تعالى فيثبت بعود الجبر ويبطل ما قال القاضي .

ونحن نرى أن مثل هذه المناقضة الكلامية لا تحل هذه المسألة الفلسفية وليس أحدهما بأقوى حجة من الآخر وكل منهما يجعل بنيانه على أساس جدلي وهو أساس هار ينهار به الى صفة من الكلام ليس لها نتيجة .

٦ — بذكر أن شدة التحمدي في قوله : «وان تمألوا» دليل على صدق النبي وثقته بنفسه وعلمه بعجز الناس عن معارضة القرآن ثم يقول إنه لم يستطع إنسان معارضته من أيام النبي الى الآن وهذا مؤيد لقوله .

## ٢ — السكاكي :

جری السكاكي (٦٢٦ هـ) في كتابه مفتاح العلوم على سنن عبد القاهر الجرجاني وزاد عليه فيه بعض أبحاث في علم البديع لم يطرقتها هذا كما استرسل فيه أكثر منه في صبح البلاغة بالصبغة الفلسفية وقد بوب فيه بمحور البلاغة ونظمها وأعطاهما شكل القواعد التي بين أيدينا الآن . وكل من جاء بعد السكاكي فإنما أخذ عنه أو شرحه . والسكاكي في كتابه مفتاح العلوم يقول بأن القرآن معجز بالنظم على طريقة عبد القاهر ثم يرى ما يراه هذا من أن الإعجاز بدرك بالذوق وطول خدمة علم البلاغة وممارسة الكلام البليغ . وقد قال السكاكي

أولاً بإمكان تعليل الإعجاز وبيان وجهه واندفع مع القائلين بذلك ثم نكب عن هذه الطريقة ورفض القول بها وفي ذلك يقول : «واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحه ، وتدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا وطريقة الذوق خدمة هذين العلمين (مفتاح العلوم للسكاكي ص ١٧٦) .

ثم يتصدى السكاكي لبيان بطلان ما بذكره معالو الإعجاز من الأوجه وجهاً ووجهاً ويقول بعد ردها كلها : «فهذه أقوال أربعة يخمسها ما يجده أصحاب الذوق من أن وجه الإعجاز هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة ولا طريق لك الى هذا الخامس إلا طول خدمة هذين العلمين بعد فضل إلهي من هبة يهبها بحكمه من يشاء وهي النفس المستعدة لذلك فكل مستمر لما خلق له ولا استبعاد في إنكار هذا الوجه من ليس معه ما يطلع عليه فلنكم سبحانه الذيل في إنكاره ثم ضمنا الذيل ما إن تنكره فله الشكر على جزيل ما أولى وله الحمد في الآخرة والأولى» (ص ٢١٦ من المرجع نفسه) .

وهذا يكون السكاكي قد اهتدى الى الطريقة الصحيحة المعقولة في القدرة على فهم الإعجاز دون تعليله بقواعد جافة يتناقض بعضها بعضاً ولا سيما وأن مقومات القول الجميل لم تكن قد فصل القول فيها بعد كما هو الأمر في عصرنا حين تم امتزاجنا بالثقافات الغربية الحديثة واطلاعنا على آداب أوسع آفاقاً من أفق أدبنا المقصور على أنواع من الكلام دون أخرى .

### ٣ - ابن العربي :

نرى لابن العربي (المتوفى سنة ٦٢٨ هـ) رأياً في الإعجاز ذكره السيوطي نقلاً عن كتابه الذي وصفه السيوطي بأنه لم يصنف مثله (الانتقاف ج ٢ للسيوطي ص ١٩٨ وما بعدها) ويتلخص فيما يلي :

١ - عرف المعجزة بأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة ثم قسمها الى حسية وعقلية وقال إن معجزات بني اسرائيل كانت حسية لبلادهم وقلة بصيرتهم ومعجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكاء أبنائها .

٢ - معجزة القرآن خالدة أبد الدهر لأن الشريعة الإسلامية خالدة وبذلك بهذه المناسبة حديث النبي : « ما من الأنبياء نبي أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله اليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » أخرجه البخاري .

٣ - خرق القرآن للعادة هو في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به وقال إن معجزات القرآن تشهد بالبصيرة - وذلك أثناء شرح الحديث النبوي السابق - فيكون من يتبعه لأجلها أكثر لأن المحسوس ينقرض بانقراض مشاهدته بعكس المعقول الذي يبقى فيشاهده كل من جاء بعد الأول .

وابن العربي هنا لا يأتي بجديد وهو من المؤلفين الذين يأخذون آراء من سبقوهم كما هي بدون ابتكار أو تجديد فيضمون رأياً الى آخر أو يفردون رأياً عن آخر من دون أن يبرهنوا برهاناً مقنعاً أو كافيّاً على العلة التي فضلوا بها الرأي الذي نصره .

#### ٤ - الآمدي :

تكلم علي بن أبي علي الآمدي ( ٦٣١ هـ ) في كتابه « أبحاث الأفكار » ( M S Berlin Pet. 233 ) على الإعجاز وهو يقصر عمله فيه على شرح وتفصيل أدلة السابقين وشأنه في ذلك شأن غيره من المتكلمين المتأخرين الذين يفيضون في الكتابة ليوضحوا دليلاً من هذه الأدلة وهو يضع أسئلة يتوقع أن تثار في ذهن القارئ ثم يرد عليها .



أما خلاصة رأيه في الإعجاز فقد ذكرها الألويسي في مقدمة تفسيره وهي أن الإعجاز بجملة القرآن وبالنظر الى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب ويقول الألويسي إن رأي الآمدي هذا قد ارتضاه الكثيرون (الألويسي ج ١ من تفسيره ص ٢٩) . والآمدي في قوله بأن القرآن معجز بجماته إنما يجمع جملة آراء المتقدمين وينظر الى القرآن نظرة عامة شاملة لا نظرة ضيقة من ناحية واحدة كما فعل كثيرون غيره .

### ٥ - حازم القرطاجني :

وزى في هذا العصر حازم بن محمد القرطاجني ( ٦٨٤ هـ ) يؤلف كتابه « منهاج البلغاء » ويقول عبد العليم المندي ( في مقالته السابقة ) بأنه يوجد كتاب للكاتب نفسه في مكتبة بالمدينة باسم « البرهان القاصف عن إعجاز القرآن » ولعله كتاب منهاج البلغاء نفسه .

أما خلاصة رأيه في الإعجاز فقد أوردتها السيوطي ( الإتيقان ج ٢ بحث الإعجاز ) وهي : « وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحاءها في جميعه استمراراً لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحاءها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود ثم تعرض الفترات الإنسانية فيقطع طيب الكلام ورونته فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه بل توجد في تفاريق وأجزاء منه » . ويتجلى بذلك أن حازماً هذا لم يعمل أكثر من أن أخذ أحد براهين الباقلا في الإعجاز وهو « استمرار الفصاحة في كل أقسام القرآن » ووسعه بدون أن يضيف إليه شيئاً غير تعليله بأن تقصير البشر ناتج عن اعتراض الضعف الانساني لهم في فترات الكلام .

تقد وتلخيص :

الفكرة العامة التي نأخذها عن مؤلفي هذا العصر الذين تكلمنا عنهم هي أنهم كانوا مجرد ناقلين أو شارحين أو جامعين لآراء من سبقهم وأن أحدهم وهو الآمدي يصلح أن يكون مثلاً من المتكلمين المتأخرين فهو يأخذ حجج من قبله فيوسمها وقد رأينا أنه ينظر الى القرآن نظرة عامة فالقرآن منحز عنده بجملة واحدة ولكنه في هذا أيضاً متبع وليس مبتدعاً ورأينا أن نجر الدين الرازي ينكر الصرفة في كتاب وينصرها في آخر وأنه يجمع في هذا الأخير بين النقيضين : الصرفة والبلاغة ، دون أن يرى مانعاً عقلياً من ذلك .

نعيم المحصي

( يتبع )

## التعريف والنقد

### الأمثال العامية اللبنانية من رأس المتن

ألفه أنيس فريجة في جزئين

٧٤٨ صفحة من قطع الوسط

طبع على مطابع للرسولين اللبنانيين في جونية سنة ١٩٤٣

الأستاذ المؤلف من أستاذة الجامعة الأميركية في بيروت وقد ولد في مقاطعة رأس المتن ولذا كان ثقةً في ما قاله وحققه من أمثال بلده . وقد أشار الى ذلك في عنوان كتابه مذ سماه بهذا الاسم ، مصرحاً بأن أمثاله في كتابه إنما راعى في جمعها بلده الذي نشأ فيه . على أن هذه الأمثال - كما قال في المقدمة - يشارك المتن أو لبنان فيها غيره من الأصقاع العربية كبيروت وحوران وبغداد وغيرها لكنه هو لا يذكر في الكتاب الا ما كان معروفاً من الأمثال في بلده وقد فاسى أتعاباً جمةً في جمع تلك الأمثال وتهذيب ألفاظها وغيرها ومقارنتها بغيرها .

وما كان يقع في كفه كل هذه الأمثال لولا أنه أعلن بين أبناء قومه أن من جاءه بمثل لا يعرفه فله ثمنه فرنك ، فساقطت عليه قوائم الأمثال من كل جانب . وقد خدم الأستاذ وطنه بهذا التأليف - وان كان المقصود الأعمى في هذه الخدمة الشعب الانكليزي - فقد قدّم لكتابه مقدمة بالانكليزية وترجم الأمثال الى الانكليزية ، وليس للعربي من كتابه الا قراءة نصوص الأمثال فلا يجيد القارئ العربي في الكتاب مقدمةً عربية ولا تعليقا على مضرب المثل

ولا موضع التمثل به ، ولا سجا الأمثال التي يخفى مغزاها على العربي من غير أبناء المتن .

ولا يخفى أن أمثال كل شعب إنما هي مرآة تُرَبِّك من أمر حياته ما يخفى على غيره وخاصة أخلاقه ولهجته التي يتميز بها عن أصحاب اللهجات الأخرى . فإذا سمعت من يتمثل بقوله ( إذا شفت أعمى طَبَّوا إنك منك أرحم من ربو ) حكمت أن هذا الشعب قامي القلب مثلاً .

وفي بعض أمثال الكتاب اختلاف عما هو في لهجة البلاد الأخرى مثل : ( أكل قول ورجع الأصول ) . ولما كان الشعب اللبناني مسلماً مسيحياً كانت أمثال الكتاب مسيحياً من لهجة الفريقين ومعبّرة عن أخلاقها وطباعها : فبينما نسمع المسيحي يقول : ( الخوري يبغلط بالانجيل ) إذ أنت تسمع المسلم يجاتبه يقول : ( أمك داعية لك في ليلة القدر ) غير أن هذا المثل المسلم أغار عليه المسيحي فاستبدل تعبير ( مصلاية لك ) المسيحي بتعبير ( داعية لك ) المسلم . وهذا كالكاليتين من الشعر كنا نسمع شباب المسلعين في طرابلس يفنون بها هكذا :

( كسرت الجرّة عمداً وسقى الأرض شراباً )

( صحتُ والاسلامُ ديني ليتني كنتُ تُراباً )

فقوله ( والاسلام ديني ) هو الذي يأتلف مع قوله ( ليتني كنتُ تراباً ) الآية القرآنية . غير أن الشبان المسيحيين غير وهما إلى ما يوافق لهجتهم الدينية فكانوا يفتشدونها هكذا : ( صحتُ والصهاة ديني ) .

وفي الكتاب أغلاط مطبعية طفيفة مثل ( خبز ) بكسر الخاء . و ( ليلة القدر ) بكسر الناء .

وزيماً كان هذا الكتاب أجمع كتاب للأمثال العامية العربية وأقربها تناولاً وفائدة .

## محمود سامي البارودي

قد يقال ان الشعر العربي في تحديث نهضته وقشيب جلته مدين لمحمود سامي البارودي ، كما ان النثر العربي في مثل ذلك مدين للشيخ محمد عبده وآثاره في (العروة الوثقى) ، وشعر البارودي جمع بين جزالة الشعر العربي القديم وسلامة الشعر الذي يتطلبه أبناء هذا العصر .

يدرك هذا من قرأ (ترجمة البارودي) في كرامة لطيفة الحجم حسنة الترتيب والوضع كتبها الأستاذ عمر الدسوقي وأصدرتها دار المعارف بمصر في التعريف بالشاعر المذكور . وهي رقم الرابع من سلسلة الرسائل التي يكتبها الأستاذ الدسوقي بعنوان (نوابغ الفكر العربي) . والرسالة في أكثر من مئة صفحة ضمنها مؤلفها أحسن ما يقال في وصف عصر الشاعر وحياته وثقافته ومذهبه الشعري في جوانب المعاني المختلفة وآثاره الشعرية ومميزاتها وغير ذلك مما يحتاج اليه كل طالب فالكسر للمؤلف على هديته هذه الى أبناء أمته .

المغربي

## مرآة الزمان (الجزء الثامن)

لسبط بن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ

وهو في مجلدين عدد صفحاتها ٧٩٥ صفحة من قطع المتوسط طبع بمطبع اباد الدكن في الهند في سلسلة مطبوعات دائرة المعارف العثمانية

المجلد الأول — تبدأ حوادثه في سنة ٥٤٩٥ هـ وتنتهي بحوادث سنة ٥٥٨٩ هـ

المجلد الثاني — تبدأ حوادثه في سنة ٥٥٩٠ هـ وتنتهي بحوادث سنة ٥٦٥٤ هـ

أي في السنة التي توفي فيها المؤلف

وقد عثرت في المجلدين على بعض أخطاء غفل عنها المحقق وغيرها من الأخطاء المطبعية أهمها :

ص	الخطأ	الصواب
٣	الى الاسكندرية عهد اليه (كذا)	الى الاسكندرية و [كان أبوه قد عهد بالخلافة اليه]
٤	ابو ابن يعلى القلانسي	ابو يعلى بن القلانسي
٦ و ٥	توثاً شامياً	توثاً شامياً
١١	صفوة الملوك	صفوة الملك
٢٦	فخر رأسه	فخر رأسه
٢٧	وكذى السواقي	وكري السواقي
٢٨	الصلية	لصابه
٣١	حصن الطوفان	حصن الطوبان
٣٢	كوكب الذنب	كوكب المذنب
٤٣	جسر الصبرة	جسر الصبرة
٤٤	دار الجبل	دار الخيل
٧٧	انباناً (?)	انباناً

الصواب	الخطأ	ص
في القبة	في الطبقة	٧٩
بالبنينة	بالثنية	٨٠
ببسر	ببسر (?)	٠
كيف جئتها	كيف حيثيها	٨٦
ابو الأسود الدؤلي	ابو الأسود الدبلي	٩٢
وضم	وخدم	٩٧
قلعة المنطرة	قلعة المسطرة	١١١
عقبة شحورا	عقبة سحورا	١١٦
عبد القادر الجيلي	عبد القادر الخبلي	١٢٥
ورمياً بالأحجار	ورضاً بالأحجار	١٣٠
ست الشام	بيت الشام	١٣١
خماس	حماس (?)	١٤٠
فأظلت الشمس	فطلعت (?) الشمس	١٤٩
آمد	آمل	١٥٢
باب الزيادة	باب المرادة	١٧١
بعين الجر	بعين الجسر	٢١٠
أوفرهم	ارفرهم	٠
صيناً	صيتاً	٢١٢
بعيون فامريا	بعيون الفار شيناً	٢٢٢
القصب	النقب	٢٢٢
وبادر	وبارز	٢٢٣
الى الاقليم	أهل الاقليم	٢٣٠
من الشرق	من القيلة (?)	٢٤٢

ص	الخطأ	الصواب
٢٩٥	ابن سمدان	ابن مروان
٣٠٥	تحت	تحت
٣١٣	اللوافر	الكوافي
٠	الكساكبر	السكاكر
٣٠٤	جلذي	والدي
٣١٨	قطيا	قطنا
٣٩٢	جدوه (?)	غدره
٠	صفربة	صفوربة
٣٩٢	نسبيل	انسيل
٠	موى	نوى
٣٩٥	مجدل بابا	مجدل بابا
٤١٤	بالعقبة	بالعقبة
٤٣٢	ولا مستقفا	ولا سقفا
٤٦٢	جبل سين	جبل سنيز
٤٦٩	عقبة شزورا	عقبة شجورا
٤٧٤	خشمن	خسفين
٤٧٨	تبرين	تبنين
٤٨٣	مجلدات	مجلدان
٤٨٦	كتاب وصوله (?) العقل	وكتاب صولة العقل على الهوى
٤٨٧	الثبات عند المات	الثبات عند المات
٤٩٠	فبفض	فبفض
٠	تبفضنا	تبفضنا



ص	الخطأ	الصواب	ص
٤٩١	مغفور لكم	مغفور لكم	٤٩١
٤٩٩	جالس	جلس	٤٩٩
٥١٠	الى القصر	الى القصر	٥١٠
٠	شبيخ الفارسية	شيخ المقدسة	٠
٥٦٤	مغارة الجوخ	مغارة الجوع	٥٦٤
٥٨٤	عالين	عالقين	٥٨٤
٥٨٥	جزير	جزين	٥٨٥
٦٠٢	بار جيس بلد حطيط	بارجيش بلد خللاط	٦٠٢
٦١٣	الحصن الأبيض	الجسر الأبيض	٦١٣
٦١٤	عيون الغامرب	عيون فاسريا	٦١٤
٦١٥	ثوبين	تبنين	٦١٥
٦٢٥	صهير	ضمير	٦٢٥
٦٢٦	وكده	ولده	٦٢٦
٦٣٤	الف دينار (?)	الف دينار	٦٣٤
٦٣٧	البيت المقدس	بيت المقدس	٦٣٧
٦٤٢	عين الكرسي	عين الكرشي	٦٤٢
٦٥٠	وزرع	وذرع	٦٥٠
٠	ودفن	وبنى	٠
٦٥١	الحقوا (?)	الحقول	٦٥١
٦٥٨	٦٢٨	٦٥٨	٦٥٨
٠	من بلدان شىء	من بلدان شتى	٠
٦٧٦	البلاء	العلاء	٦٧٦
٦٧٨	وصى	وتبين	٦٧٨

الصواب	الخطأ	ص
متنمياً	متنمياً	٦٨٠
الخليل	الخليل	٦٨١
جرود	يجرود	٦٩٢
على أكيال	على الجبال	٧٠٦
جنين	حسبين	٧٠٨
وسار	وصار	٧٠٩
مميل	ممليط	٠
وبلقب	وبلقب	٧١٠
على خطر	على خطة	٠
عقل	عطن	٧١٨
يريد	يريد	٧٢٦
حزبن	حسين	٠
الرمثة	الرمه	٧٢٧
افقه	افته	٧٥٠
وامتد الى زقاق الرمان والعقبية فاحترقت بأسرها .	ومنه الى زقاق الرمان العتيقة بأسرها	٧٥٢
وأمر بعمارة سور القدس وذرع	وأمر بعمارة القدس وذرع	٧٦٤
بشاش عمته	بشش عمه	٧٧٢
عن الدين	بدر الدين	٧٨٥
ذبل	ذبك	٧٩٥

جزى الله دائرة المعارف العثمانية عن العلم خير الجزاء .

H. Laoust - Les gouverneurs de Damas sous les mamlouks  
et les premiers ottomans

( 658 - 1156 / 1260 - 1744 ) Damas 1952.

## ولاية دمشق في عهد المماليك وأوائل العهد العثماني

( ٦٥٨ - ١١٥٦ هـ و ١٢٦٠ - ١٧٤٤ م ) لمحمد بن طولون ومحمد بن جمعة

ترجمه الى الافرنسية الأستاذ هنري لاوست

يقع الكتاب في ( ٢٨٨ ) صفحة من طعم الوسط

وهو من مطبوعات المعهد الافرنسي في دمشق . طبع سنة ١٩٥٢

ضمت هذه الترجمة كتابين الأول كتاب « إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الكبرى ) لمحمد بن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هـ تقلاً عن مخطوطة الخزانة التيمورية في القاهرة . تبدأ حوادثه سنة ٦٥٨ هـ . وتنتهي سنة ٩٤٣ هـ . والثاني كتاب ( الباشات والقضاة ) لمحمد بن جمعة أوله سنة ٩٢٢ ونهايته سنة ١١٥٦ هـ . تقلاً عن نسخة مكتبة برلين .

ان شهرة الكتابين تغني عن البيان فقد أشار الى أهميتها علماء أعلام منهم الأستاذ محمد بك كرد علي ( مجلة المجمع العلمي العربي ٣ : ٢٢ - ٧٤ ) وبروكمان في تاريخه ٣ : ٣٠٢ ) وغيرهما وقد جمع فيها مؤلفاهما سيرة ولاية دمشق لمدة ستة قرون من حكم المماليك الأتراك والعثمانيين وقد انفردا في موضوع لم يسبق لغيرهما تدوينه . ويقف القارئ خلال هذه التراجم على كثير من أمور تلك العصور الادارية وشؤونها الاجتماعية ، وتصور له ما كانت تعانيه البلاد من الفوضى السائدة بسبب عدم استقرار الولاية وتعرضهم للعزل والنقل دونما سبب وقلما أكمل أحد منهم سنته ، وما كانت تشفع للمحسن منهم كفاءته كما أنه لم تكن نضر المسيء منهم اساءته أو عجزه .

ومن محاسن هذه الترجمة ضبطها الأعلام وأكثرها أعجمي لا يخضع لقاعدة .  
نشكر الأستاذ المترجم على حسن عمله ولمحمد للمعهد الافرنسي نبل مقاصده .

*Damas de 1075 - 1154*

par Roger le Tourneau

Traduction annoté d'un fragment de l'Histoire de Damas

D'Ibn al Qalaïsi. Damas 1952

دمشق من سنة ١٠٧٥ إلى ١١٥٤ م

لروجه لتورنو ، يقع في ( ٣٧٥ ) صفحة من قطع المتوسط

وهو من مطبوعات المعهد الأفرنسي في دمشق ، طبع سنة ١٩٥٢

إن هذا الكتاب هو ترجمة افرنسية لقسم من ذيل تاريخ دمشق لابن القلاسي المتعلق بحدوث مدينة دمشق في سني ٤٦٨ - ٥٤٩ هـ ، وبمطينا المعهد الافرنسي بدمشق دليلاً جديداً على مبلغ عنايته بتاريخ بلاد الشام عامة ومدينة دمشق خاصة وتحرصه على نقل أخبارها الى مواطنيه عن مصادر أبنائها ، وهذه مأثرة تضيفها الى مأثره العديدة ونسجلها له بالشكر والحمد .

وقد تصبق الأستاذ جيب ( H. A. R. Gibb ) أن ترجم هذا القسم الى اللغة الانكليزية في عام ١٩٣٣ . وقد اعتمد المترجم الافرنسي على النص العربي المطبوع في لندن عام ١٩٠٨ ، واستعمل كتابه بمقدمة قيمة وعلق عليه بملاحظات مفيدة . قد لا يسلم كتاب من هفوات بسيطة مها حاول صاحبه تجنبها وهذا لا ينتقض من قيمة الكتاب وفوائده . وقد رأيت في بعض التعليقات ما يستوجب الاشارة الى صحتها . ومن أهمها ما جاء في ( ص : ٥ ح ١ ) في تعريفه المنبر بقوله : ( انه مرفاة متقللة لما درجات ) ، مع أن المنبر هو بناء ثابت من خشب أو حجر . وفي ( ص : ٦٣ ح ١ ) قوله : ( سواد طبرية هو سهل حول مدينة طبرية ) وصوابه ناحية قرب البلقاء إذ لا يوجد حول طبرية سهل بل يحيط بها الماء والجبل . وفي ( ص : ١٠٦ ) ( سواد الجباينة ) وصوابه سواد الجباينة وهي كورة جبل جرش قرب القور . وفي ( ص : ١٦٥ و ١٦٧ ) ( Charkhoub ) شرخوب

وأرجح انه تحريف اسم شقحب وهي قرية في مرج الصفر . وفي (ص : ١٦٥)  
 ( al-Aqaba ) العقبة وصوابه العقبية كانت قرية بضاحية دمشق وأصبحت اليوم  
 من أحيائها . ويتساءل المترجم في (ص : ٢٣٨ ح ٢ ) عن موقع ( حصن  
 الخريبة ٤ وحصن وادي ابن الأحمر ) ؟ وقد جاء في معجم البلدان ( ٢ : ٤٣١ ) :  
 خريبة الفار حصن بساحل بحر الشام ٤ وجاء فيه أيضاً ( ١ : ١٥٦ و ٣ : ٦١٦ )  
 الأحمر حصن بظواهر بحر الشام وكان يعرف بعثليت . وقد عرّف معجم البلدان  
 ( ١ : ٧٠٩ ) مدينة ( البلاط ) انبي التيس على المترجم موقعها ( ص : ٢٤٦ ح ١ )  
 بأنها مدينة عتيقة بين مرعش وانطاكية يسقيها النهر الأسود ( قراسو ) الخارج  
 من الثغور وهي مدينة كورة الحواري خربت وهي من أعمال حلب . وقال في  
 ( ص : ٢٨٢ ح ٣ ) ( عين شواقفة مكان في ضاحية دمشق غير معروف )  
 مع انها عين ماء تنبع جنوب غربي قرية داريا وتروي أراضي قرية أشرفية  
 صحناية . وقال في ( ص : ٣٤٠ ح ٣ ) ( ان قصب المرج هي محلة من القصب  
 في مدينة دمشق ) وصوابه هو مرج بحيرة العتبية .

نشكر المترجم على جهده كما نشكر المعهد الافرنسي على نشاطه العلمي .

جعفر الحسيني

## علمتي الحياة

من سلسلة ( كتاب الهلال ) الشهرية

عهدت مؤسسة فرنكايين المساهمة للطباعة والنشر ، وهي مؤسسة ثقافية تضم كبار الناشرين الأمريكيين ، الى الدكتور أحمد امين أن يشرف على ترجمة كتاب « This I believe » أي « هذا ما أعتقد » ، فاختار له الأستاذ أحمد امين عنوان « علمتي الحياة » لأنه رأى أن الاسم الأمريكي مفضل للقارئ إذ يفهم منه أنه كتاب يبحث في الأديان ، وهو يبحث في صميم الحياة والنجاح فيها ، واختار لترجمته الأستاذ محمد بكير خليل ، والدكتور مختار الوكيل ، والكتاب المترجم كان يحتوي على نحو مائة مقالة اختير منها للعربية ثلاثون ، وضم اليها الأستاذ أحمد امين أربعاً وعشرين مقالة عربية لكتاب من العرب معروفين من النوعين ، فكانت فكرة لطيفة بفرح بها الناقد العربي لمعرفة الفروق بين كتاب العرب وكتاب الأمريكيين .

وبدل على قيمة الكتاب الأمريكي أن الولايات المتحدة تذيعه في الأسبوع الواحد ٢٢٠٠ مرة من ١٩٦ محطة داخلية ، يصل صوتها الى آذان ٩٠ مليون نسمة فيها ، كما يذاع من ١٥٠ محطة خارجية ، وتذيعه محطة ( صوت أميركا ) اسبوعياً مترجماً الى ست لغات ، ويضاف الى ذلك أن الصحف الأميركية تنشر هذا الكتاب ما يقرب من ٨٥٠٠٠٠٠٠ مرة في الأسبوع في ٨٥ صحيفة يومية ، ويستخدم في مئات من المدارس ، وأين مثل هذا النشر الواسع العظيم مما ينشر من كتبنا !

قرأت مواد القسم الغربي وأفدت منها فوائد جمة ومن عناوينها : اني سعيد بوقتي ، النصر للايمان ، اني أومن بالناس ، الايمان بالعمل ، فضائل الحياة ، أومن بخلود الروح ، وهذا طريقي للنجاح ...

ثم قرأت مواد القسم العربي ، وابتهجت بأني ألقيت ما كتبناه لا يقل فائدة وإمتاعاً مما كتبه الغربيون ، ومن عناوين هذه المواد : ارادة الشعوب للواء محمد نجيب ، والحياة هدف وإرادة لتوفيق الحكيم ، والرجل الحق لشفيق جبري ، واستقرار المرأة للسيدة أمينة السعيد ، وحقائق وأوهام لرضا الشيبلي ، وحدد أهدافك لأميل زيدان ، ودرهم حكمة لأحمد أمين . . . . .

ونرى ، كالأساذ أحمد أمين ، ان في ترجمة هذا الكتاب المفيد مكسباً كبيراً للعرب لأنه يتيح لكثير من القراء الأمر بكيين أن يفهموا كيف يفكر العرب فهو من الدعايات النافعة للعرب لا دعايات الجرائد والمجلات السافرة التي لم تبلغ هذا المبلغ في السمو ، جزى الله المشرف على هذا الكتاب الأستاذ أحمد أمين أفضل ما يجزي به .



### مجموعة رسائل

للشيخ حسن علي البدر القطيفي

للطبعة الحيدرية بالنجف ( ١٣٧٢ - ١٩٥٣ )

عني بنشر هذه الرسائل الدينية نجل المؤلف الشيخ طاهر البدر ، وهي ست رسائل : أولاها : وسيلة المبتدئين الى فهم عبار المنطقيين ، وهي أطول الرسائل ، والثانية : رسالة في اعادة الصلوات ، والثالثة : تحقيق الحق وابطال الباطل ، والرابعة : في الاستصحاب والتكليف الشرعي ، والخامسة : في قضاء أولى الأعذار ، والسادسة : وهي دينية سياسية واسمها دعوة الموحدين الى حماية الدين ، صنفها المؤلف أيام هجوم ايطاليا على طرابلس الغرب سنة ١٣٢٩ هـ ، بجمعية من دينه وعصبية لقومه العرب ، وقد أقام فيها الأدلة والبراهين على وجوب الجهاد للدفاع عن بيضة الاسلام وحوزة العروبة فدل بذلك على أن الاسلام فوق المذاهب

وانه العروة الوثقى للمتمسكين به ، وانه صفوة العروبة الجاهلية ومصاوص اعراقها  
 ويختار أخلاقها ، ومن السياسة القومية التي استنبطها أئمة الشيعة<sup>(١)</sup> وجهاذة السنة  
 من القرآن : ( عدم جواز استيطان المشركين مكة وأرض الحجاز كالمدينة  
 والطائف وما والاها ، بل قيل : لا يجوز استيطانهم جزيرة العرب لشرفها بكونها  
 منزلاً للعرب الذين منهم النبي العربي ، وقد روي عن ابن عباس ان النبي  
 أوصى بإخراج المشركين من جزيرة العرب ، وقال ( ﷺ ) : لا يجتمع  
 دينان في جزيرة العرب ٠٠٠ ) وفي مثل ذلك الاستنباط الدقيق زياد عن  
 بيضة الإسلام ، ودفاع عن حوذة العروبة .

وقد وقع في هذه الرسائل أغلاط مطبعية أذكر منها على سبيل المثال ما وقع  
 في سطرين من صفحة واحدة من رسالة الجهاد ( ص ٩ ) قال : « ويجب الجهاد  
 من دم المسلمين عدو يخشى منه على بيضة الاسلام ، واذا وطأ الكفار  
 دار الاسلام » والصواب : « متى دم المسلمين عدو ٠٠٠ واذا وطأ الكفار  
 دار الاسلام » . الى غير ذلك من الأخطاء التي لا يحسن السكوت عنها مع  
 جلالة التحقيق في هذه الرسائل التي يحمل بفقهانا الاطلاع عليها ليروا أن  
 الفروع الفقهية لا تضعف الأصول الشرعية التي هي جبل الله الوحيد الذي  
 تجيا بالاعتصام به العروبة والاسلام .

عز الدين التوضي

(١) منهم الشيخ احمد الجزائري في كتابه فلائد الدرر في اول كتاب الجهاد ،  
 قال في تفسير : « واقتلوم حيث نقتلوم » الآية . وبها استدل الفقهاء على عدم جواز  
 استيطان المشركين أرض الحجاز خاصة وجزيرة العرب عامة .



## أوائل المقالات ، في المذاهب والمختارات

للشيخ المفيد محمد بن النعمان المتوفى سنة ٤١٣ هـ

ولها مقدمات ، وعليها تعليقات بقلم الشيخ فضل الله الزنجاني

وبليها رسالة شرح عقائد «الصدوق» أو تصحيح الاعتقاد له أيضاً

علق عليها ووضع مقدمة لها السيد هبة الله الشهرستاني

صححها واهتم بنشرها وعلق عليها بعض التتاليق الحاج عباس قلي «واعظ جندابني»

إن الكتاب الأول قد دلّ اسمه على مسماه ، فهو يبحث في مذاهب الفرق وأهلها ، ويختار منها ما للإمامية الاثني عشرية ، وقد رتبته على أبواب ؛ فالباب الأول منه في الفرق بين الشيعة والمعتزلة ، وقد ذكر في هذا الباب معنى التشيع لغةً واصطلاحاً ، ومن يستحق إطلاق هذا الاسم عليه من الفرق المنتحلة للتشيع ، ثم ذكر معنى الاعتزال وتاريخه ، ومن أطلق عليه هذا اللقب ؛ والباب الثاني كما جاء في طليعة الكتاب ، في الفرق بين الإمامية وغيرهم من الشيعة ، وأشار الى الفرقة الزيدية ، وما به يتنازرون عن الامامية ؛ وفي الثالث ذكر ما اتفقت عليه الإمامية من القول بالإمامة على خلاف المعتزلة ، ذكر فيه بعض الفروع الخلافية بين الفريقين في باب النبوة والإمامة وغيرهما ؛ وفي الرابع وصف ما اختاره من الأصول نظراً ووفقاً لما جاءت به الآثار عن أئمة الهدى من آل محمد (عليهم السلام) وذكر من وافق في هذا الباب مذهب من أهل المقالات ، وذكر فيه أهم المسائل الاعتقادية في أبواب التوحيد والصفات والعدل والالطف والصلاح والأصلح والنبوة والمسائل المتعلقة بها ، والإمامة ومتعلقاتها وما يتفرع عليها ، والقول في القرآن وجهة إعجازه وتأليفه ، وفي المعاد ، وأبواب الوعد والوعيد ، والأسماء والأحكام ، وسائر المباحث التي يجدها الناظر في أبوابه وفصوله . وخلاصة رأي الإمامية ومخالفاتهم في كل منها ، أو من بعض متكلمي الشيعة كآل نويخت

وغيرهم من كان لم آراء في بعض هذه المسائل الكلامية مخالفة لما عليه الجمهور من سائر متكلميهم .

وأما التأليف الثاني وهو ( تصحيح الاعتقاد ) للشيخ أبي جعفر بن علي بن بابويه القمي ، المعروف بالصدوق المتوفى بالري سنة ٣٨١ ، فقد ذكر فيه « جميع اعتقادات الفرقة الناجية ، الضرورية منها وغير الضرورية ، الوفاية منها وغير الوفاية » ومن مباحثه : معنى كشف الساق ، تأويل اليد ، نفع الأرواح ، معنى المكر والخدعة من الله ، معنى « الله يستهزئ بهم » ، « نسوا الله فانساهم » وتكلم في صفات الله تعالى ، وفي خلق أفعال العباد ، المشيئة والإرادة ، تفسير آيات القضاء والقدر ، تفسير أخبارهما ، ومعنى « فطرة الله » والاستطاعة ، والبداء والجدال ، وفي اللوح والقلم ، ومعنى « العرش » وفي خلق النفوس والأرواح ، ووقوع الثواب والعقاب ، وما بعده بحث في شؤون الآخرة ، ثم بحث في نزول الوحي والقرآن ، وفي عصمة الأئمة ، وفي الخلق والتفويض و ( المفوضة عندهم صنف من الغلاة ، ومن دعواهم أن الله خلق الأئمة خاصة ، ثم فوض إليهم خلق العالم بما فيه !! ) وختمه في بحث التقية ، وفي أمور فرعية . وصف الأستاذ الزنجاني في تعريفه بكتاب ( أوائل المقالات ) وترجمة مؤلفه الشيخ المفيد بأن حياته العلمية كانت مستغرقة في أغلب الأحيان في ترويج المذهب ، والدفاع عنه ، والجدال مع المخالفين على اختلاف فرقهم ، قلت : وكتابه هذا وشرحه لرسالة شيخه « الصدوق » المطبوعة معه ، وما وضع عليها من حواش وتقارير ، شهود على ذلك .

وقد جاء في ص ١٠ بعنوان « القول في محاربي أمير المؤمنين ( ع ) » ما نصه :  
واتفقت الإمامية والزيدية والخوارج ، على أن الناكثين والقاسطين من أهل البصرة والشام أجمعين ، كفار ضلال ملعونون مجرهم أمير المؤمنين ( ع ) وأنهم بذلك

في النار مخلدون ١٠ هـ وهذا اتفاق على عكس الآية الكريمة : « إن الله لا يقفر أن يشرك به ويقفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

رأيت في هذا الكتاب الذي دفعه المجمع العلمي إليّ لأصفه في باب « التعريف والنقد » بعض ما يراه القارئ في غيره كالكافي والتهذيب والوافي وغيرها ، من لعن وتكفير وتخليد في النار لمن أوثقوا الأرض والديار ، ولم أرائقاً ولا اعتراضاً لأحد ممن تعاقبوا على تصحيحه أو تقييده ، وهم من أشهر مجتهدي الشيعة في هذا العصر ، وعليه صورهم . ولا شك أن هذه الكتب تورث قراءها وغراً وحقداً ، وعداءً وبغضاً ، وتنطق آلسنتهم بأفحش القول وأوحشها ، لرجال الصدر الأول للإسلام فمن دونهم ، وفي مقدمتهم الخلفاء الثلاثة ، وبعض أمهات المؤمنين ، ومن معهم من المهاجرين والأنصار ، ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه بنص القرآن .

إن هذه الكتب هي منبع الفتن ، فمنها يستقي كل طاعن ، وعنهما يصدر كل لاعن ، وقد دللنا الآن على مكان الداء ، ليعالجه دعاة الوحدة والوئام ، من المجتهدين الكرام ، ولقد انقضت عصور الأمويين والعباسيين ، وأصحاب الجمل والنهروان وصفين ، وحسابهم على رب العالمين .

على ربي حسابهم إليه تناهى علم ذلك لا إليه  
وليس بضائري ما قد أتوه إذا ما الله أصلح ما لديه

كان حوار السلف مع الفرق الإسلامية التي ظهرت في عصورهم ، وشاعت مقالاتهم في الناس ، كالقدرية والخواارج والجبرية ، والجهمية ، والمرجئة ، والوعيدية وغيرهم ، وقد انتشرت في زماننا شبه وشكوك في دين الحق لأقوام آخرين ، كدعاة التبشير والتنصير مع الدول التي تقدم بالمال والرجال ، وقد باعوا أنفسهم وغيرهم للاستعمار ، وكدعاة الإلحاد والفساد ، فأين دعاة الإسلام وحماته

لدفن باطلهم ، وكبح جماحهم ؟ والى مثل هذا نوجه أنظار الأئمة المحتمدين ،  
والله هو الموفق والمعين .

هذا وقد بدت لنا أغلاط نذكرها هنا لتصحيح :

في المقدمة ( ط ) : زينة العلامتان . ( يا ) : أن يحسن جزائه ويطلب بقاءه .  
( يب ) : تذكر هام .

وفي ص ١ من مقدمة الطبعة الثانية : فهمنا على استدراكه - يستحق بالذكر .  
( يو ) : نصحيحنا الكتاب الثانوي . ( ك ) : فاكتفيت على تلك . ( كل ) :  
ذلك المدة . ( كو ) : أيطاب . ( وما كذب متصلاً هكذا : ايميد الله .  
عليخان انشاء الله . انكان . ولعله اصطلاح لهم . ( له ) : الذي كانا يتوبان .  
( له ) : تلك الكتاب . ( لط ) : مولده ومنشأته . ( هج ) : وأربع وسبعين كتاباً .  
( مد ) : ان له قريب من - على ذلك الجملة - التي سألها عنه . ( مط ) : في تلك  
الزمان . ( ن ) : سنة ثلث عشر وأربعائة . ( ص ٣ ) : وانكانوا .  
( ص ٦ ) : ممن صحب شيخنا الممتزلة .

هذه أمثلة مما في الكتاب ، ولعل الأستاذ الناشر - وهو عالي المهبة ،  
ماضي الزينة - يذفه إلى أحد المشتغلين بالقواعد العربية صرفاً ونحواً وإملاءً ،  
ليتولى تصحيحه بدقة وعناية ، حتى لا يشغل المطالع بمثل هذا عن الموضوع  
والبحث فيه .

## آيات الخالق الكونية والنفسية

تأليف الأستاذ رشيد رشدي العايري

الطبعة الثانية مزبدة ومنقحة ( ١٢٠ ص - قطع صغير )

مَشُورَات جَمِيعَة التَّرِيَةِ الْإِسْلَامِيَةِ - بَغْدَاد ١٩٥٣

فَوَهَّنا مِنْ قَبْلُ بِكِتَاب (بِصَايِرْ جِغْرَافِيَةِ) لِلاُسْتَاذِ الْمُؤَلِّفِ الْكَرِيمِ الَّذِي وَصَفَنا بِأَنَّهُ مِنْ شِيُوخِ السَّنِّ وَالْعَالَمِ ، وَمِنْ دَعَاةِ النُّهْضَةِ وَالتَّجْدِيدِ ؛ وَالآيَاتِ نَصَفَ هَذِهِ السَّلْسَلَةَ الْأَوَّلَى مِنْ كِتَابِهِ الْجَدِيدِ ، نَصَفَحْنَاها فَاذًا فِيها مِنْ الْآيَاتِ الْبَيِّنَةِ فِي الْأَنْفَسِ وَفِي الْآفَاقِ مَا يَدْعُو إِلَى الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ ، وَالْإِذْطَانِ الْقَلْبِيِّ لِجَلالِ قَدْرَتِهِ ، وَالِى مَا يَشْهَدُ بِبَدِيعِ صَنَعِهِ وَبِالْغِ حِكْمَتِهِ ، وَهُوَ حِجَّةُ نَاطِقَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَحَسْرَةُ ظَاهِرَةٍ عَلَى الْفِرْعَاطِينَ : «أَنْ نَقُولَ نَفْسُ ، يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرِطْتَ فِي جَنْبِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ لِمَنْ السَّاحِرِينَ» .

وَمِنْ أَمْتَعِ مَا قَرَأَناهُ فِي هَذِهِ الْفُصُولِ النَّفْسِيَةِ : «النَّظَامُ الزَّائِعُ فِي تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ» ، «غَرَائِبُ الْغَرَائِزِ فِي الْحَشْرَاتِ» ، «صَقْرُ الْبَجْرِ وَخَطِّانُ الْبَجْرِ وَعَجَائِبُها فِي الطَّيْرانِ» ، «الْمُواوِزَةُ الْعَجِيبَةُ فِي الْمَجْمُوعَةِ الشَّمْسِيَةِ» ، «اللِّدْرَةُ وَعَظَمَتُها عَلَى صَفْرِ حَجْمِها» . وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ السَّلْسَلَةَ الذَّهَبِيَّةَ يَحْتَاجُ إِلَيْها جَمِيعُ الدَّارِسِينَ وَالدَّارِسَاتِ فِي الْمَعَاهِدِ الدِّينِيَةِ وَالْمَدِينَةِ ، أَنْتَابَ الْمُؤَلِّفُ عَلَى حَسَنِ صَنِيعِهِ ، وَبَارَكَ فِي عَمْرِهِ .

محمد بهجة البيطار

## شمس العلوم ودواء كدام العرب من السكوم

تأليف : نشوان بن سعيد الحميري

الجزء الأول - القسم الأول ، عني بتحقيقه ونشره : ك . و . سترستين

طبع في مطبعة بريال بليدن ١٩٥١

كان نشوان بن سعيد الحميري عالم اليمن ومؤرخها في القرن السادس . ألف تواليف كثيرة من أجلها شأنًا كتاب شمس العلوم . وهو كتاب في اللغة وضعه نشوان ليأمن « كتابه وقارئه من النصحيف ، يجرس كل كلمة بنقطها وشكلها ، ويجعلها مع جنسها وشكلها ويردّها الى أصلها » .

جعل فيه « لكل حرف من حروف المعجم باباً ، ثم جعل كل باب من تلك الأبواب شطرين : أسماء وأفعالاً ، ثم جعل لكل كلمة من تلك الأسماء والأفعال وزناً ومثالاً » . قال : « تحروف المعجم تحرس النقط ، وتحفظ الخط ، والأمثلة حارسة للحركات والشكل ، ورادة كل كلمة من بنائها الى الأصل ، فكتابي هذا يجرس النقط والحركات جميعاً » .

قال : « .. وأودعت كتابي هذا ما سنع من ذكر ملوك العرب أهل الرئاسة والحسب . . . . وما عرض ذكره من منافع الأشجار وطبائع الأشجار . . . وضمّيته شيئاً من علم القرآن والتفسير . . . وما وافق من الأخبار والأنساب . . وأصول الأحكام . . وما سنع من أصول عبارة الأجلام . . وما لا بدّ من تفسيره من علم النجوم . . الخ » .

وعلى الجملة فالكتاب في اللغة ، ولكنه يضم وجوه الثقافة الاسلامية في القرن السادس . وقد عني بتحقيقه المستشرق السويدي الكبير الأستاذ المرحوم ك . و . سترستين . فأظهر في تحقيقه ، من الدقة والضبط ، ما يعجز عنه أبناء العربية أنفسهم ، ودل بضبطه هذا الكتاب على طول باع في معرفة اللغة العربية ولغتها . وإن من المؤسف أن تفقد العربية هذا الشيخ الجليل الذي أحب العربية وخدمها .

واننا لنذكر لهذا الشيخ الجليل خدمته هذه بكثير من الاجلال والشكر .

## مفراج الكروب في أخبار بني أيوب

للقاضي ابن واصل - حقه الدكتور جمال الدين الشيال  
 ٣٤ ص مقدمة ومصادر + ٢٨٦ ص للنص + ٦ ص فهرس  
 مطبوعات ادارة احياء التراث القديم بوزارة المعارف المصرية  
 القاهرة ١٩٥٣

كان القاضي ابن واصل الحموي (جمال الدين محمد بن سالم) من اعلام القرن السابع الهجري (٦٠٤ - ٦٩٧) وهو قرن من القرون الملامى بالحوادث؛ وقد خلف لنا كتاباً ذا شأن كبير في تاريخ الأيوبيين اسمه «مفراج الكروب في أخبار بني أيوب». ولا شك أن هذا الكتاب من أغنى المصادر المتعلقة بذلك القرن، وأكثرها أصالة؛ يزيد في شأنه أن مؤلفه كان من كبار العلماء، وأنه كتب عن علم وسجل عن مشاهدة.

وقد عني الدكتور جمال الدين الشيال بتحقيق الجزء الأول من هذا الكتاب وعرضه بمخطوطات كبرديج وباريس واستانبول، فبذل جهداً مشكوراً في اخراجه صحيحاً؛ وإن هذا الجهد ليظهر في كل سطر.

قدّم الدكتور لهذا الجزء بمقدمة ترجم فيها لمؤلف الكتاب ترجمة فقيرة، وقايس بين هذا الكتاب والكتب التي سبقته أوألفت بعده - عن الأيوبيين - ووصف المخطوطات التي رجعت اليها في التحقيق، ثم أبان شأن الكتاب وما فيه من أمور انفرد بها، ووثائق حفظها، ومصطلحات وردت في ثناياه. وحاول أن يجدّد تاريخ تأليف الكتاب، ثم ساق بعض أقوال المعاصرين في مفراج الكروب.

وبلي المقدّم النص المحقّق. ويبدأ بذكر نسب بني أيوب، وابتداء أمر نجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين شيركوه، وينتهي بموت نور الدين سنة

٥٦٩ هـ . وهو جزء لا يأتي ابن واصل فيه الا بقليل من الجديد ، لأنه لم يعيش في تلك الحقبة التي يؤرخها ، ولأنه نقل عن سبقه . ويجب أن نتظر الأجزاء المقبلة حتى نصادف الأصلة والجدة ، لأن هذا القسم نجده ، في الروضتين ، وابن الأثير ، وابن شداد ، وابن كثير ( وهو مصدر غفل الدكتور الشيال عنه ) . إن فرحنا بظهور هذا الكتاب ، وإعجابنا بجهود الدكتور الشيال لا يحولان دون إرسالنا بعض الملاحظات المتعلقة بالمقدمة ومنهج النشر . فالمقدمة ، مثل الحواشي ، لا تناسق ولا اعتدال فيها . فترجمة المؤلف هزيلة جداً ، وابن واصل جدير بترجمة أكثر سعة ، لأن حياته نفسها كانت زاخرة بالحوادث ، وعلمه كان فياضاً . فلا ساق المحقق له ترجمة وافية ، ولا ذكر المصادر التي ترجمت له ليرجع إليها من شاء . وعندما تكلم الدكتور على الذين أروخوا لصدر الدولة الأيوبية ليقايس بين مؤلفاتهم وبين الكتاب عدّ فيهم القاضي الفاضل في رسائله . وان من العجب أن يوازن بين كتاب مفرج الكروب وبين رسائل القاضي . ولكل منها منهج وغاية . وان من الصعب أن نقايس أيضاً بين كتاب لا يبحث الا في الأيوبيين مثل مفرج الكروب وبين كتاب يؤرخ لصور وسلالات مختلفات كابن الأثير ، والأعجب أن يقارن مفرج الكروب وهو تأريخ للحوادث ، بشفاء القلوب وهو تأريخ تراجم .

إن المقايسة لا ترد هنا . إذ ينبغي أن تكون بين كتابين في موضوع واحد ، ومنهج واحد ، وعصر واحد . تمكن المقايسة مثلاً بين أبي شامة في الروضتين - لا في الذيل عليها - وبين مفرج الكروب . وقد كان يحسن بالمحقق أن يعقد ذبلاً يتضمن كل ما ألف عن بني أيوب مها كان نوعه ، وأن يقصر المقايسة على ما كان من جنس مفرج الكروب ، وما ألف في عصره . أما الحواشي ، ففيها اضطراب . بعضها طوبل جداً وبعضها قصير . ووضع



الخواشي يتطلب دقةً وفناً . فليس مهمة المحقق أن يشرح الكتاب ، بل عليه أن يقدم نصاً صحيحاً . وهو بقدر ما يحاول تصحيح النص يستطيع وضع الخواشي بلا اخلال . واذا وجد ان الايضاح سيطول ، فعليه ذكر المصادر التي يمكن الرجوع اليها . فالكتاب للعلماء والخواص لا للمبتدئين والعوام . فللدكتور الشيال يورد مثلاً في ص ٢٢٩ صفحة كاملة عن حملة توارنشا على اليمن من الروضتين . وكتاب الروضتين مطبوع ، وهو في خزنة المشتغلين . فلماذا يُثقل النص بهذه الخواشي ؟ ولو أن النص كان عن كتاب مخطوط لأفاد . على أن ما صادفنا من ملاحظات ، لا يحول دون التنويه بأن الدكتور الشيال قد بذل جهداً كبيراً ، وأن هذا الكتاب من أتم الكتب القديمة التي صدرت ، ومن أحسنها تحقيقاً وتصحيحاً . فللدكتور الشيال التهنية .



### السوارد

#### أو خطرات عام

كتبها الدكتور عبد الوهاب عنزام

٣٦٥ من قلم وسط

مطبعة العرب بكراتشي - الباكستان ١٩٥٣

شغلت الدبلوماسية الدكتور عنزام عن التأليف ، وباعدت بينه وبين أسفاره ، فأرى أن يعوّض عن ذلك ، وأن يقيد ما يحظر له من خاطرات ، وما يسبح من سائحات ، وأن يسجل سلائل الفكر والوجدان ، ويجمع حصائد العلم والتجارب ، ليصيد فيها السوارد ويقيد الأوابد ، واقترح على نفسه أن يقيد كل يوم فكرة غابرة ، أو خطرة طائرة ، وأن يمضي في هذا حولاً كاملاً<sup>(١)</sup> .

(١) انظر مقدمة الكتاب .

- وقد نشر في ذلك ، في جدة من الحجاز ، وأتم كتابه شوارده الحولية  
 في كراتشي من الباكستان .  
 وهذه الشوارد صور جيدة عن الدكتور عنزام نفسه ؛ وستكون يوماً مصدراً  
 لدراسته ؛ ففيها من كل شيء .  
 وإلى ذلك فإن فيها نظرات صادقات جدية بالتأمل ؛ وإن بعضها يفتح آفاقاً  
 واسعة أمام القارئ ؛ وهو إذ يصف في شوارده الواقع ، يبرع في الوصف  
 لأنه صادر عن قلبه ، أما ما يلقاه القارئ من طرائف الأدبين : العربي والفارسي  
 في الكتاب ، فيدل على سعة اطلاع الدكتور عنزام بهذين الأدبين .  
 وفي قراءة الشوارد متعة كبيرة وفائدة . فللكاتب الشكر .



### كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات

العلي بن أبي بكر الهروي - عنيت بنشره وتحقيقه جانين سورديبل - طومين

١٠٠ ص النص + ٤٠ ص فهرس + ٣٠ ص مقدمة بالفرنسية

مطبوعات للمعهد الفرنسي بدمشق ، ١٩٥٢

الهروي صاحب مشهور عاش في النصف الثاني من القرن السادس وأدرك العشر  
 الأول من السابع ( مات ٦١٠ ) أصله من هراة ، وولد في الموصل ، ونزل  
 بحلب فسكن بها ، وله بها مدرسة . وطوّف في الآفاق « حتى لم يترك  
 - كما يقول ابن خلكان - برأ ولا بجرأ ولا سهلاً ولا جبلاً من الأماكن  
 التي يمكن قصدها ورؤيتها الا رأها » . وألف كتابه الاشارات الى معرفة  
 الزيارات - وفي ابن خلكان : الاشارات في الزيارات - ذكر فيه مآزيره من

الزيارات وما شهدته من العجائب والأبنية والعمارات ، وما رآه من الأصنام والآثار والطلسمات في الربع المسكون ، والقطر المعمور .

وقد اتبع في ذكر الزيارات طريق السماع : « ذكرتُ ما شاع خبره وذاع ذكره بطريق الاستفاضة ، والله أعلم بصحته » ، فهو يذكر ما شاع في عصره . غير أنه لا يعدل النقد الا قليلاً . فالكتاب يؤرخ ظاهرة خاصة في القرن الذي عاش فيه المروري تبين عقيدة الناس في الزيارات .

ولانعتقد أن نص الكتاب نفسه ذو شأن علمي ، فشأنه تاريخي ، لأنه من أقدم ما كتب عن الزيارات والأماكن المباركة . غير أن السيدة جانين سورديل - طومين عنت بنشره . ولا يستطيع الباحث الا أن يقدر الجهد الكبير الذي بذلته في اخراج النص اخراجاً علمياً صحيحاً . ان هذا الكتاب ، من حيث طريقة نشره ، هو أحسن ما أصدره المعهد الفرنسي من نصوص عربية ، فقد اتبعت السيدة سورديل أصول النشر العلمي على طريقة الفرنسيين وطبقتهما أحسن تطبيق ، ولا غرو في ذلك فهي تلميذة المستشرق المفقود السيد سوقاجه ، الذي افتقده العلم وهو في نضجه ، وقد كان أشار عليها بنشر الكتاب . ان هذا الكتاب يا كورة جيدة تقدمها السيدة سورديل . ولا يعيبه ما فيه من أخطاء قليلة في ضبط الأماكن . فلقد جعلت السيدة سورديل بأصولها العلمية من هذا الكتاب مرجعاً يمكن الانتفاع به والاستفادة منه . فلها التهنية .

الدكتور صلاح الدين المنجد

## آراء وأنباء

المشرف الأستاذ ك. و. سترستين

(١٨٦٦ - ١٩٥٣)

مات عضو مشهور من أعضاء المجتمع العلمي العربي بدمشق الليلة خلت من شهر حزيران سنة (١٩٥٣). وهو المشرف السويدي الأستاذ ك. و. سترستين.

### هياتر :

ولد المترجم في سنة (١٨٦٦) . ولا نعدو الصواب إذا ادعينا أنه نشأ على حب تعلم اللغات الشرقية منذ كان شاباً . وذلك أنا نراه يضيف إذ كان بالمدرسة العالية لعتين إلى الفنون المفروضة على التلامذة ، وهما : العبرانية والعربية . أما الأولى فقد تلقاها على بعض المدرسين حتى برع فيها وفاق ، وأما الثانية فلم يجد من يعلمه مبادئها فتعلمها ولا معلم له . وفي ذلك عجب ، فإن من المعلوم أن العربية هي لغة عظيمة لا يبدأ فيها الأجنبي إلا بصعوبة .

وبعد انتهاء الدروس المدرسية رخل سنة (١٨٨٤) إلى جامعة أيسالة ضمماً في العلم ، خصوصاً في الفنون اللغوية الشرقية المختلفة . وما زال مجدداً في ذلك حتى أحرز إجازة الدكتوراه في الآداب سنة (١٨٩٥) . غير أنه لم يقنع بالتلقي على أسانذة بلده والاستفادة مما عندهم . بل ارتحل هذه السنة إلى ألمانيا ليتم بعض ما فاتته من العلوم . وقد اشتغل هناك بلغات مختلفة مثل العربية والفارسية والتركية على المشاركة الذين كانوا إذ ذاك بدرسون بالمدرسة الشرقية



C. V. Zellerstein

المفتش الأستاذ ك. و. ستريسين

ببرلين . وطالع العربية -- والشامية القديمة بالاضافة الى ذلك -- على المستشرق المشهور الأستاذ أدوارد سنجو .

في أواخر سنة ( ١٨٩٥ ) عاد إلى بلده حيث عين مدرساً مساعداً للغات الشرقية بجامعة لند . وظلّ كذلك حتى كانت سنة ( ١٩٠٤ ) فعين أستاذاً في اللغات الشرقية بجامعة أبسالة . وكانت الحقبة التي قضاها في ذلك طويلة ، قد امتدت إلى سنة ( ١٩٣١ ) حين ترك منصبه وأحيل إلى التقاعد . وفي عام ١٩٣٦ رحل إلى دمشق وناب عن المستشرقين في المهرجان الدمشقي لأبي الطيب المتنبي فألقى بالعربية كلمة عن الشاعر الكبير كان لها وقع طيب لدى السامعين . ولم يزل مواظباً على أشغاله العلمية المثمرة حتى أدركته المنية سنة ( ١٩٥٣ ) وهو مع كبره هامٌ بنشر كتاب ذي شأن من التراث العربي وهو « شمس العلوم » لنشوان الحميري الآتي ذكره .

كان الأستاذ سترستين ذا فطنة جيدة وذكاء مفرط ، مشهوراً باجتهاد لانهاية له : قد كان يقضي أكثر ساعات النهار وشطراً طويلاً من الليل في خدمة العلم الأدبي بحثاً أو تدريساً أو تصنيفاً . وكان يشتمل بحبه وتدرسه على فنون المشرقيات كلها . غير أنه قد كان يعلب عليه العربية التي كان ميله إليها أشد ، وله فيها مشاركة قوية . وله أيضاً بد طولى في اللغات الدارجة ، في تونس ومصر والشام وغيرها من بلاد العرب التي رحل إليها غير مرة . وأما نصائفه الجملة الآتي ذكر بعضها فتدل على سمع اطلاع ، وجودة معرفته ، بكثرة ألفاظ العربية وأدبها . وكان المترجم حسن المحاضرة ، محبباً لأصدقائه وتلامذته ، لا يتخلف عن معاونتهم ، ويسهل لهم المدخل إلى العلوم الأدبية : قد علم ذلك من خالطه وعاشره . وبالجملة فكان من أجلة مستشرفي عصرنا وأكبرهم ، المشار إليهم بأخلاق كريمة ، وشمائل حسنة .

آثاره وتصانيفه :

وتصانيفه عديدة جداً ، تستحل على كل فنون المشرقيات المتنوعة .  
ومن أهمها ما قام بنشره وتحقيقه من التراث العربي . فمن ذلك : « الدرر الألفية »  
لابن معط الزواوي ( ١٩٠٠ ) . والجزءان الخامس والسادس من « الطبقات  
الكبيرة » لابن سعد كاتب الواقدي ( ١٩٠٥ - ١٩١٩ ) ، وبالإضافة الى ذلك  
رسالة مفيدة يقابل فيها متن الجزء الخامس من « الطبقات » بنسخة مخطوطة محفوظة  
بمكتبة شهيد علي باشا باستانبول ( ١٩٢٣ ) . و « تاريخ لسلطين مصر والشام »  
امم مصنفه مجهول ( ١٩١٩ ) . و « تهذيب اللغة » لأبي منصور الأزهري  
( في مجلة Le monde oriental, 1920 ) . و « طرفة الاصحاب في معرفة  
الأنساب » للملك الأشرف ابن رسول الغساني ( من مطبوعات المجمع العلمي  
العربي بدمشق ١٩٤٩ ) . و « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم »  
لنشوان بن سعيد الحميري ( ١٩٥٠ ) وكان كما ذكرت مشتقاً بنشر هذا القاموس  
الكبير لما أدركته المنية ، وقد نشر منه الجزئين الأول والثاني من القسم الأول ،  
وقد كلفني أن أقوم بإتمام هذا الكتاب وسأفعل إن شاء الله . وله الجزء الثالث  
من « Glossaire Datinois » ( ١٩٤٢ ) ، الذي ضنف المستشرق المشهور  
الكثمت لندريج الجزئين الأولين منه . وله : « اللغات الشرقية » ( ١٩١٤ ،  
في السويدية ) . وترجم « القرآن الكريم » الى السويدية سنة ( ١٩١٧ ) .  
وكذلك ترجم بعض كتب المتصوفة سنة ( ١٩٠٨ ) عن العربية الى السويدية .

الأستاذ الدكتور س . ديدريبنغ

## أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

٢١	الشيخ عبد الحميد الكيالي حلب	١	الأستاذ خليل مردوم بك (رئيس المجمع) دمشق
٢٢	الدكتور عبد الرحمن الكيالي =	٢	الدكتور اسمعيل الحكيم =
٢٣	الأستاذ عمر ابوريشة =	٣	الأمير جعفر الحسني =
٢٤	الشيخ محمد زين العابدين =	٤	الدكتور جميل صليبا =
٢٥	البطريرك مار اغناطيوس افرايم حصص =	٥	حسني سبيع =
٢٦	الأستاذ محم سليمان الأحمد (بدوي الجبل) اللاذقية =	٦	حكمة هاشم =
٢٧	الشيخ سعيد العرفي دير الزور =	٧	سامي الدهان =
٢٨	الأستاذ أنيس المقدسي بيروت =	٨	الأستاذ سليم الجندي =
٢٩	بشارة الخوري =	٩	شفيق جبري =
٣٠	الدكتور صبحي التمهصاني =	١٠	الدكتور صلاح الكواكبي =
٣١	عمر فروخ =	١١	الأستاذ عازف النكددي =
٣٢	الشيخ فؤاد الخطيب =	١٢	الشيخ عبدالقادر المغربي (نائب الرئيس) =
٣٣	الفيكونت فيليب دي طرازي =	١٣	الأستاذ عن الدين التبوخي =
٣٤	الدكتور نقولا فياض =	١٤	فارس الخوري =
٣٥	الأستاذ عيسى اسكندر الملو ف زحلة =	١٥	محمد اليزم =
٣٦	الشيخ سليمان ظاهر جبل عامل =	١٦	الشيخ محمد بهجة البيطار =
٣٧	الأب اس. م. مرجعي الدومسكي القدس =	١٧	الدكتور مرشد خاطر =
٣٨	الأستاذ محمد الشريفي عمان =	١٨	الأمير مصطفى الشهابي =
٣٩	الشيخ رضا الشبيبي بغداد =	١٩	الدكتور منير المجلافي =
٤٠	الأستاذ طه الهاشمي =	٢٠	الأستاذ هنري لاوست =



٦٤	الاستاذ محمد الحجوي	مراكش	٤١	الاستاذ عباس الزراوي	بغداد
٦٥	عباس اقبال	طهران	٤٢	الشيخ كاظم الدجيلي	=
٦٦	عبدالمعز الميعني الراجكوتي عليكو	=	٤٣	محمد بهجة الاثري	=
٦٧	أ. كي	فرنسا	٤٤	الدكتور مصطفى جواد	=
٦٨	ماسه	باريس	٤٥	الاستاذ احمد حامد الصراف	=
٦٩	دوسو	=	٤٦	كور كيس عواد	=
٧٠	كولان	=	٤٧	الدكتور داود الجلي	الموصل
٧١	ماسينيون	=	٤٨	الاستاذ احمد امين	القاهرة
٧٢	هيس	سويسرا - زوريج	٤٩	احمد حسن الزيات	=
٧٣	ج. ا. اربري	كمبرج	٥٠	الدكتور احمد زكي	=
٧٤	ا. ا. ر. جيب	(او كسفورد)	٥١	الاستاذ احمد لطفي السيد	=
٧٥	الفرد غلوبوم	لندن	٥٢	خليل ثابت	=
٧٦	اميليو غارميا غومز	مدريد	٥٣	خير الدين الزركلي	=
٧٧	فرنسيسكو جبرالي	روما	٥٤	الدكتور طه حسين	=
٧٨	بروكن	المانية	٥٥	الاستاذ عباس محمود العقاد	=
٧٩	هارتمان (ريشار)	برلين	٥٦	الدكتور عبد الوهاب عنان	=
٨٠	ر. ه. ريتز	فرنكفورت	٥٧	الشيخ محمد الخضر حسين	=
٨١	استروب كوينهاغ	الدانمارك	٥٨	الامير يوسف كمال	=
٨٢	بدرمن	=	٥٩	الاستاذ عبد الحميد العبادي	الاسكندرية
٨٣	موجيك	فيينا	٦٠	محمد الجامر	الرياض
٨٤	ماهلر	بودابست	٦١	حسن حسني عبد الوهاب تونس	=
٨٥	كرونيكو	كانغازولو - فنلاندا	٦٢	مارسه	=
٨٦	فيليب حني اميركة	برنستون	٦٣	عبد الحى الكتاني	فاس
٨٧	سعيد ابو جرة سانباولو	البرازيل			

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

بيروت	٢٧	الاستاذ حسن بهيم	دمشق	١	الشيخ طاهر الجزائري
"	٢٨	الأب لويس شينجو	"	٢	" سليم البخاري
"	٢٩	الشيخ عبد الله البستاني	"	٣	الاستاذ مسعود الكواكبي
"	٣٠	الاستاذ جبر ضومط	"	٤	" الياس قدسي
"	٣١	" عبد الباسط فتح الله	"	٥	" أنيس سلوم
"	٣٢	الشيخ عبد الرحمن سلام	"	٦	" جميل العظم
"	٣٣	" مصطفى الغلاييني	"	٧	" ماننجو
"	٣٤	الاستاذ عمر الفاخوري	"	٨	" سليم عنجوري
"	٣٥	" بواص الخولي	"	٩	" عبد الله رعد
لبنان	٣٦	" امين الريحاني	"	١٠	" رشيد بقدونس
"	٣٧	الامير شكيب ارسلان	"	١١	" اديب التقي
"	٣٨	الشيخ ابراهيم منذر	"	١٢	الشيخ عبد القادر المبارك
طرابلس الشام	٣٩	الاستاذ جرجي بفي	"	١٣	السيد محسن الأمين
جبل عامل	٤٠	الشيخ احمد رضا	"	١٤	الاستاذ معروف الأرنؤوط
القدس	٤١	الاستاذ نخلثة زريق	"	١٥	" محمد كرد علي
"	٤٢	الشيخ خليل الخالدي	حلب	١٦	الأب جرجس شلحت
"	٤٣	الاستاذ عبد الله مخلص	"	١٧	" جرجس منش
"	٤٤	" محمد اسمعاف النشاشيبي	"	١٨	الاستاذ قسطنطين الحصري
طولكرم	٤٥	الشيخ سعيد الكرمني	"	١٩	الشيخ كامل الغزي
بغداد	٤٦	الاستاذ محمود شكري الآلومي	"	٢٠	الاستاذ ميخائيل الصقال
"	٤٧	" جميل صدقي الزهاوي	"	٢١	الشيخ بدر الدين النعماني
"	٤٨	" معروف الرصافي	"	٢٢	" راغب الطباخ
"	٤٩	" طه الراوي	"	٢٣	" عبد الحميد الجابري
"	٥٠	الاب انتاس ماري الكرمني	حماة	٢٤	الدكتور صالح قنباز
القاهرة	٥١	الشيخ احمد الاسكندراني	اللاذقية	٢٥	الشيخ سليمان احمد
			"	٢٦	الاستاذ ادوار مرقص

باريس	الاستاذ كليان هوار	٨٠	القاهرة	الاستاذ رفيق العظم	٥٢
=	بوقا	٨١	=	مصطفى لطفي المنفلوطي	٥٣
ايطاليا	جويدي	٨٢	=	احمد تيمور	٥٤
=	نلينو	٨٣	=	احمد زكي	٥٥
المانيا	هومل	٨٤	=	حافظ ابراهيم	٥٦
=	ساخاو	٨٥	=	احمد شوقي	٥٧
=	هوروفيتز	٨٦	=	اسعد خليل داغر	٥٨
=	مارتين هارتمان	٨٧	=	السيد محمد رشيد رضا	٥٩
=	ميتفوخ	٨٨	=	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	٦٠
سويسرا	مونت	٨٩	=	احمد كمال	٦١
هولاندة	سنوك هوغرنيه	٩٠	=	الدكتور يعقوب صروف	٦٢
=	اراندونك	٩١	=	الاستاذ اوجينيوس غريبيني	٦٣
=	هوتسما	٩٢	=	داود يركات	٦٤
انكلترا	مرجليوث	٩٣	=	الدكتور امين المعلوف	٦٥
=	بفن	٩٤	=	الشيخ عبد العزيز البشري	٦٦
=	براون	٩٥	=	الدكتور احمد عيسى	٦٧
كبرج	كربنكو	٩٦	=	الشيخ مصطفى عبد الرازق	٦٨
	بوهل	٩٧	=	الاستاذ انطون الجميل	٦٩
	اغناطيوس غولدسمير	٩٨	=	خليل مطران	٧٠
	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	٩٩	=	ابراهيم عبد القادر المازني	٧١
	الاستاذ ماكدونالد	١٠٠	=	محمد لطفي جمعة	٧٢
	هرزفلد	١٠١		الأمر عمر طوسون الاسكندرية	٧٣
	آسين بلاسيوس (مجرط) اسبانيا	١٠٢		الشيخ محمد بن ابي شب	الجزائر ٧٤
	لويس (لشوننة) البرتغال	١٠٣		الاستاذ رينه باسه	٧٥
	موزل	١٠٤		ميشو بلير	طنجة ٧٦
	كوفالسكي	١٠٥		زكي مفاض	الاستانة ٧٧
	كراتشكوفسكي	١٠٦		الحكيم محمد اجمال خان	الهند ٧٨
	سترسين اوبسال - السويد	١٠٧		الاستاذ فران	باريس ٧٩

## انتخاب أعضاء جدد

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في يوم الاثنين ١٢/٧/١٩٥٣ برئاسة الأستاذ خليل مردم بك ثلاثة أعضاء عاملين جدد للمقاعد الشاغرة فيه وهم السادة :

- ١- الدكتور سامي الدهان بدلاً من المرحوم الأستاذ معروف الأرنؤوط .
- ٢- الدكتور صلاح الكواكبي بدلاً من المرحوم الدكتور جميل الخاني .
- ٣- الدكتور حكمة هاشم بدلاً من المرحوم السيد محسن الأمين العاملي .

وقد صدرت عن مقام رئاسة الجمهورية المراسيم ذوات الأرقام : ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، بتاريخ ٢٣/١٢/١٩٥٣ تقرر هذا الانتخاب .



## مخطوطات برار الكتب

أهدت مديرية الشرطة والأمن العام في ٢٢/١١/١٩٥٣ دار الكتب الظاهرية ثلاثة كتب مخطوطة وهي :

- ١- المنح المكية في شرح المهزبة لابن حجر الهيتمي .
  - ٢- الجزء الأول من الكشاف للزمخشري .
  - ٣- التقيح لألفاظ الجامع الصحيح للزر كشي .
- فلها الشكر .



## أجزاء جديدة من تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر

كنا وصفنا في مقدمة المجلدة الأولى من تاريخ مدينة دمشق مخطوطات هذا التاريخ المعروفة في مكتبات العالم<sup>(١)</sup> .  
ثم علنا ، أثناء مقامنا بباريز ، أن في المكتبة السعيدية بجيدر آباد الدكن ، بالهند ، - وهي مكتبة جليظة فيها مخطوطات قيمة - مجلدين من هذا التاريخ .  
أخبرنا بذلك الأستاذ الدكتور محمد حميد الله ، وتكرم فكتب الى الدكتور يوسف الدين الأستاذ بالجامعة العثمانية بجيدر آباد فوصفها لنا . وهانحن أولاء ننشر موجزاً عنها ، شاكرين للأستاذين صنعها .

المجلد الأول : رقم ١٣ تاريخ .

كتب سنة ٥٦٠ هجرية - أي في حياة المؤلف ابن عساكر .

عدد صفحاته : ٣٦٦ بقياس ( ٢٥ × ١٦ عُسيراً ) .

يبدأ بالجزء الثاني والأربعين بعد المائة وينتهي بالجزء الخمسين بعد المائة من الأصل .  
في أوله ما يلي :

الجزء الثاني والأربعون بعد المائة

من تاريخ مدينة دمشق حماها الله

وضعه ( صنّفه ؟ ) الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي رحمه الله

سماع ولده القاسم بن علي بن الحسن

اجازة له من بعض الشيوخ رحمهم الله

(١) تاريخ مدينة دمشق ، المقدمة ص ٤٤ - ٤٦ .

ويشتمل هذا المجلد على ترجمات الأشخاص الآتية اسماؤهم :

حميد بن مالك

من اسمه حنظلة

مهاجات

ذكر من اسمه حيان

ذكر من اسمه خارجة

ذكر من اسمه خالد

مهاجات

تقمة الخالدين

خالد بن الوليد .

المجلد الثاني : أما المجلد الثاني فهو حديث .

رقمه ١٩ تاريخ .

كتب سنة ١٣٠٥ .

فيه ذكر من اسمه عباد الى ذكر من اسمه عمر .

في آخره ما يلي :

آخر الجزء العاشر بعد الثلاثمائة ، وهو آخر المجلد الحادي والثلاثين من

الأصل المنقول منه ، بخط القاسم تجرئة ثمان مائة جزء من الف وثمان مائة كراسة

من النسخة الثانية ، وجميعها تشتمل على ثمانين مجلدة . فرحم الله مصنفها وكتبتها

وأبقى بيتهم الطاهر متمسكين بالعلم والرواية سلفاً عن خلف وجزاهم خيراً .

صورة ما في الأصل المنقول عنه :

نجزت هذه المجلدة يوم الخميس سلخ ربيع الآخر سنة أربع عشرة وستائة

بدار السنة بدمشق ، حرصها الله . والحمد لله والصلاة على نبيه محمد وآله .

على يد العبد الفقير المذنب الخاطيء محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الاشبيلي ،  
 وفقه الله وشرح صدره وجمع شمله وغفر ذنبه « .  
 فتكون هذه المجلدة منقولة عن نسخة البرزالي التي نقلها عن نسخة القاسم .  
 ولعل المجمع العلمي بدمشق يصور هذين المجلدين ، ويضعهما الى ما كان  
 صورته من مخطوطات هذا التاريخ العظيم .

(دمشق) الدكتور صلاح الدين المنجد



## حول ذيل طبقات الخنابلة لابن رجب

النووي الذي أجاز ابن رجب

كنت كتبت في مجلة المجمع هذه في الجزء الأول من المجلد السابع والعشرين  
 برص ( ١٥٢ ) كلمة عنوانها : « نظرة عابرة في ذيل طبقات الخنابلة » انتقدت  
 في ضمنها قول الناشرين في ترجمة ابن رجب الخنبلي : « وأنه لازم مجالس  
 الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية الى أن مات ، وأن ابن النقيب والنووي أجازاه » .  
 وقلت : إن ( النووي ) هنا تحريف إلا أن يكون المراد به نوويًا آخر غير  
 المشهور ، وبينت ذلك بالموازنة بن وفاة النووي وولادة ابن رجب ، وقلت أيضاً :  
 إن ابن النقيب هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أولو القاهري الشافعي المتوفى  
 سنة ٧٦٩ عن ٦٧ سنة .

وقد هدتني المطالعة في « شذرات الذهب » الى العثور على نووي يصح أن  
 يكون هو شيخ ابن رجب الذي أجازاه ، كما هدتني الى أن ابن النقيب الذي  
 أجاز ابن رجب يحتمل أن يكون غير الذي ذكرته ، فكنت هذه السطور ،

راجياً موافقة أهل العلم بالكشف عن وجه الحق فيما أكتبه على صفحات هذه  
المجلة ، وشكري لهم مقدم وجزيل .

قال ابن العماد في «شذرات الذهب» في وفيات سنة ٧٤٩ (١٥٨/٦) :  
« وفيها مات علاء الدين أحمد بن عبد المؤمن الشافعي ، قال ابن قاضي شبيهة :  
الشيخ الامام السبكي ثم النووي ، نسبة الى نوى من أعمال القليوبية ، وكان  
خطيباً بها ، تفقه على الشيخ عن الدين النسائي وغيره ، وكتب شرحاً على التنبيه  
في أربع مجلدات ، وصنف كتاباً آخر فيه ترجيحات مخالفة لما رجحه الرافعي  
والنووي ، قال الزين العراقي : كان رجلاً صالحاً ، صاحب أحوال ومكاشفات ،  
شاهدت ذلك منه غير مرة ، وكان سليم الصدر ، ناصحاً للخلق ، قانعاً باليسير ،  
باذلاً للفضل ، بل لقوت يومه مع حاجته اليه » ٥١ .

وغالب الظن أن هذا النووي هو الذي أجاز ابن رجب ، ذلك لأن  
ابن رجب رافق الزين العراقي في السماع كثيراً ، كما ذكره الناشران في ترجمته ،  
والنووي هذا شيخ للزين العراقي كما ذكر هنا ، فيكون شيخاً لرافقه في السماع  
والارتحال الشيخ ابن رجب ، ويكون للعلماء نوويان أحدهما دمشقي ، وثانيها مصري .  
وقد مرت أثناء المطالعة في «الشذرات» بنووي ثالث ، أذكره هنا إتماماً  
للفائدة . قال ابن العماد في «الشذرات» في الجزء ( ٦١٨ ) في وفيات سنة ٩٠١ :  
« وفيها مات علاء الدين علي بن يوسف بن خليل النووي ثم الدمشقي الشافعي ،  
الإمام العلامة ، وُلد في حادي عشر شوال سنة ٨٢٢ اثنين وعشرين وثمانمائة ،  
واشتغل في العلم فبرع ودرّس وأفتى ، وكان يكتب بالشهادة في مركز  
باب الشامية البرانية خارج دمشق ، وتوفي ليلة الخميس عاشر صفر ، ودفن بمقبرة  
المجلة غربي سوق صاروجا » ٥١ .

أما ابن النقيب ، فقد كنت ذكرت أنه « شهاب الدين أبو العباس أحمد بن  
لؤلؤ المعروف بابن النقيب ، المولود سنة ٧٠٢ ، المتوفى سنة ٧٧٦ » . ومن



المحصل أن يكون هو : «شمس الدين محمد بن أبي بكر بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن محمد بن حمدان بن النقيب الدمشقي الشافعي ، المولود سنة ٦٢٢ هـ المتوفى سنة ٧٤٥ هـ» ؟ وترجمته في «الشذرات» لابن العماد (١٤٤/٦) إذ كل من هذين العالمين يعرف بابن النقيب ، وكل منهما يمكن أن يكون شيخاً لابن رجب ، ولم أر فيما قرأت في ترجمتهما ذكر أخذ ابن رجب عن أحدهما .

ولكن يغلب على الظن أن الأول هو شيخ ابن رجب ، لأن الأول من طبقة شيوخ الحفاظ الذين العراقي - إن لم يكن منهم - كما يقوله العلامة الطهطاوي في «الذنبه والإيقاظ» ب (ص ١٠٢) ، وقد كان الحفاظ ابن رجب مرافقاً للذين العراقي في الرحلة والسماع والتلقي من الشيوخ كما تقدم ذكره ، فيكون - في غالب الظن - شيخ زميله العراقي شيخاً له والله أعلم .

ولعلنا لا نعدم من الفضلاء الذي رزقهم الله العلم وكتبه والفراغ له من يكشف وجه الحق ، ويزيل الشك والارتباب في هذا الصدد فتكون له من الشاكرين .

بقي بعد هذا كلمة حول مؤلفات ابن رجب ، فقد عدَّ الناشران من مؤلفاته ثلاثةً وثلاثين مؤلفاً ، وأغفلاً ذكر «ذيل طبقات الحنابلة» وهو الكتاب الذي عُنِيَ بنشره ، ولم أدر سرَّ اغفالها هذا المؤلف في تعداد مؤلفات ابن رجب ، وكان الواجب ذكره فيها ، فتكون (٣٤) مؤلفاً . على أنه قد فاتها ما يأتي :

- ١ - شرح كتاب العلل للترمذي ، ذكره شيخ شيوخنا الكتاني رحمه الله تعالى في «الرسالة المستطرفة» ب (ص ١١١) ، وتوجد نسخة منه مخطوطة في دار الكتب المصرية ، وقد صورتها الادارة الثقافية لأمانة الجامعة العربية .
- ٢ - شرح حديث : «بمَث بالسيف بين يدي الساعة» وطبع بمصر بمطبعة المنار سنة ١٩٣٩ بعنوان «الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي بمَث بالسيف بين يدي الساعة» ، وأظن هذا الاسم من صنيع ناشره حامد الفتحي .

٣ - تفسير سورة : « إذا جاء نصر الله والفتح » طبع بالهند سنة ١٣٣٩ مع كتاب « تحفة الورود بأحكام المولود » لابن القيم .

٤ - غاية النفع في شرح تمثيل المؤمن بخامة الزرع ، طبع بمصر بمطبعة أنصار السنة المحمدية سنة ١٣٥٨ ، ضمن مجموعة رسائل حديثة ، أولها : « إنعام المنعم الباري بشرح ثلاثيات البخاري » للشيخ عبد الصبور بن عبد التواب الهندي ، وقد شرح الحافظ ابن رجب في هذه الرسالة حديث البخاري ومسلم : « مثل المؤمن كمثل خامة الزرع » الحديث . فتكون مؤلفات ابن رجب التي وقفنا عليها ( ٣٨ ) مؤلفاً .

هذا ، ولما ذكر الناشران في مؤلفات ابن رجب « شرح البخاري » لم يذكر أنه تام أو ناقص ، وصنيعها يفيد أنه تام ، وقال شيخ شيوخنا الكشاني رحمه الله تعالى في « الرسالة المستطرفة » : و « شرح قطعة من صحيح البخاري » . اهـ . وكذلك قال ابن حجر في « الدرر الكامنة » .

وقال الناشران في « شرح حديث ما ذئبان جاعان » : طبع في لاهور سنة ١٣٢٠ . قلت : وطبع بمصر سنة ١٣٤٦ ضمن الجزء الثالث من مجموعة « الرسائل المنيرة » .

وذكر الناشران أيضاً في الرقم ( ١٧ ) من مؤلفات ابن رجب : « شرح حديث من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً » وسكتنا عن طبعه ، فأفاد سكوتهما أنه لا يزال مخطوطاً ، وقد طبع بمكة سنة ١٣٤٢ بالمطبعة السلفية قبل تحويلها إلى مصر ، بعنوان : « شرح حديث أبي الدرداء فيمن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً » ، وهو في ( ٦٠ ) صفحة من القطع الصغير .

عبد الفتاح أبوغفرة

( حلب )

## أغلاط مطبعية

جاء في آخر نشرة لي من «آراء وتعليقات» ج ٤ مج ٢٨ ص ٦٥٦ :  
 «نهاية المبارك لابن الأثير»، و ص ٦٥٧ «الأبداء»، و ص ٦٦٣ «ثلاث  
 وثلاثين»، و ص ٦٦٤ «ويوفق أهل التحقيق الى الزيادة»، و الأصل :  
 «نهاية المبارك ابن الأثير»، و «الأبداء»، و «ثلاثا وثلاثين»،  
 و «يوفق أهل التحقيق للزيادة» .

الدكتور مصطفى جواد

٢٠٠٠٠٠٠٠

وردت في الصفحة ١٢٨ في السطر الثامن من هذا الجزء : «حوزة» بالذال  
 وصوابها «حوزة» بالزاي .

٢٠٠٠٠٠٠٠

## حول (تصحيح سبعة أسطر)

جاءنا من الأستاذ محقق تاريخ داريا - ردأ على ما نشر في العدد الثاني من  
 المجلد الثامن والعشرين (ص ٣٢٣) بعنوان تصحيح سبعة أسطر من تاريخ داريا -  
 بيان تقتطف منه ما يلي بعد تغيير وحذف يسيرين .  
 ١ - بدأ المعارض الكلام بقوله : «حينما طالعت تاريخ داريا لابن المهنا . . .  
 وبخاصة ص ١٢٦ . . . الخ» .

وابن المهنا وتاريخه لا علاقة لها بهذه الصفحة ، إذ ينتهي تاريخ ابن المهنا في

ص ١٢٣ نصاً وصراحة وبعد هذا الإشعار الصارخ من حمد الله والصلاة على نبيه على عادة المؤلفين جميعاً . وتبدأ صفحة ( ١٣٤ ) بعنوان طبع بحرف كبير جداً : (الزيادة ٠٠٠ الخ) وهي زيادات لتأخر نقلها الناسخ .

٢ - ثم يقول المعارض : « فظهر لي أن الترجمة المذكورة بسبعة أسطر في الصفحة المذكورة ليست لشخص واحد وهو « خلف بن محمد » وإنما هي ثلاث تراجم ٠٠٠ مزج الأستاذ ٠٠٠ بعضها ببعض وجعلها ترجمة واحدة لشخص واحد » اه .

فلا الذي ذكره من الثلاثية صحيح ، ولا ما عنده الناشر من المزج صدق . فأما الأول فليس في النص مما زعمه ترجمة ثانية غير (أبيه) ويحتاج المرء الى خيال جريء حتى يجعل من هذه الكلمة نواة ترجمة . وأما الثاني فلم يمزج الناشر ولم يغير ، وإنما نشر زيادة الناسخ كما هي ، وهي في الأصل جملة واحدة ليس لها غير عنوان واحد (خلف بن محمد) ، وليرجع اليها من شاء في النسخة المصورة بجزائه المجمع العلمي للعربي .

وقد كنت لاحظت في هذه الترجمة خلافاً حين اختلفت سنة الوفاة لصاحب الترجمة عن السنة المذكورة في آخرها فأشرت الى ذلك في التعليق ، وسقوط كلام قبل كلمة (أبيه) فوضعت بعدها كلمة (كذا ؟) مشفوعة بإشارة استفهام ، ولا تسمح الأمانة بأكثر من ذلك فإن زاد شيئاً صار اختلاقاً . والمؤسف أن هذا التعليق المفيد للقارئ المتأني أضرباً بالمعارض وجعله يزعم أن هناك ثلاث تراجم وجعله يدعي ويطلب أن يزداد على النص أن أحمد بن عمرو العنسي روى عن أبيه وروى عنه ابنه ، ومن عرف أن العلم عند المحدثين أمانة يدرك لماذا يسقطون الراوي لاختلاق أقل من هذا بكثير .

أما تعليلي فيجمل كون الترجمة ترجمتين (لا ثلاثاً) أحد الأمور المحتملة ، ولم أحتم ذلك تحتياً خشية أن يكون هناك كلام سقط (لا ندرى ما هو) يربط آخر النص بأوله . والصفحة كما أسلفت ليست من كتاب ابن المهنا وإنما هي زيادة قارى متأخر ، ومن طالت ممارسته ثرائنا المحفوظ تأني وتحفظ واحتياط . ولستقيم للمعرض ادعاء ترجمات ثلاث قام بما يأتي :

٣ - أولاً : ادعى وجود بياض في المطبوعة في السطر الثاني من ترجمة خلف (ص ١٢٦) ، وذكر في تصويبه ما يدل على أن الكلمة الساقطة هي (العنسي) وأقول : ليس في المطبوعة بياض بل (العنسي) في مكانها والنسخ بأيدي القراء .  
ثانياً - في تصويبه ما يوهى حذف الناشر لعنوانين من الثلاثة . وذلك تزوير على الأصل ، فليس فيه الا عنوان واحد هو الذي طبعناه بأمانة دون اختلاق .  
ثالثاً - في تصويبه الذي نشره ما يقطع بأن (عبد الله بن أحمد) ذكر مرتين ، باستطيع زعم أن الأولى تتبع الترجمة الثانية التي زعمها ، والثانية عنوان ترجمة جديدة . وهذا زعم ثانٍ إذ ليس في الأصل (عبد الله بن أحمد) إلا مرة واحدة<sup>(١)</sup> .

(١) وورد على المجمع سؤال من السيد محمد طاهر النعمي عن وفاة قيس بن عباية المذكورة في ص ٣٥ من تاريخ داريا ، ويسأل عن كلمة (بن الأوس) هل هي في المخطوط (بن) أو (من) .

والجواب أن الرقم المدرج تحت الاسم ( - ١١٠ - ١٢٠ ) سهو محض لأنه يتعلق برجل آخر اسمه قيس بن عباية أيضاً .

وأما (بن) فهي في المخطوط (من) .  
وبهذه المناسبة نرجو من عنده نسخة من تاريخ داريا أن يضيف الى تصويباتها ما يأتي :  
ص ٣٣ رحي من ولد رجب بن حلوان .

مغوية

ص ٤٩ حلبس

صواب عبد العزيز بن احمد الكناي : عبد العزيز بن احمد الكناي .

## صفحة فهرس الجزء الأول من المجلد التاسع والعشرين

لأستاذ عبد القادر المغربي	مناظرة مالين في مجلس المأمون	٣
الأستاذ سليمان ظاهر	الاشفاق للأصمى (٣)	٢٢
للككتور مصطفى جواد	كتاب الفنون لابن عقيل	٣٦
لأستاذ محمد احمد دهمان	المدرسة العادلية الكبرى	٥٢
اللككتور صهر فروخ	دراسات عن مقدمة ابن خلدون	٦٧
الأب مرجعي الدومنيكي	فضل للتانية على المسجبة (٢)	٧٧
لأستاذ عباس المزوي	تاريخ علم الفلك في العراق	٨٩
لأستاذ نعم الحمعي	تاريخ لكرة إجاز القرآن (٦)	١٠٤

### التعريف والنقد

لأستاذ عبد القادر المغربي	{	الأمثال العامية اللبنانية من رأس المت	١١٥
		عمود سامي البارودي	١١٧
للأمير جعفر الحسيني	{	سرة الزمان ( الجزء الثامن )	١١٨
		ولاية دمشق في عهد المالك وأوائل العهد المماليك	١٢٣
لأستاذ عز الدين التوتوخي	{	دمشق من سنة ١٠٧٥ الى ١١٥٤ م	١٢٤
		علمتي الحياة	١٢٦
لأستاذ محمد بهجة البيطار	{	مجموعة رسائل	١٢٧
		أوائل القلانات ، في المذهب والخانات	١٢٩
لللككتور صلاح الدين المنجد	{	آيات الخالق الكونية والنفسية	١٣٣
		شمس العلوم ودواء كلام النبوة عن الكون	١٣٤
	{	مفترج الكروب في أخبار بني أيوب	١٣٥
		الشوارد	١٣٧
	{	كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات	١٣٨

### آراء وأنباء

لللككتور س. دبدينغ	المستشرق الأستاذ ك. و. سترمتين	١٤٠
	أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٣ - ٨ - ١٩٥٤ م	١٤٤
	أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون	١٤٦
	انتخاب أعضاء جدد	١٤٨
	مخطوطات بدار الكتب	١٤٨
لللككتور صلاح الدين المنجد	أجزاء جديدة من تاريخ مدينة دمشق	١٤٩
لأستاذ عبد الفتاح اني غدة	حول ذيل طبقات الخاتبة لابن رجب	١٥١
لللككتور مصطفى جواد	اغلاط مطبعية	١٥٥
	حول (اصحيح سبعة اسطر)	١٥٥

## مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٣ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٤ - رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٥ - المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٦ - البيرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كردعلي
- ٧ - تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كردعلي
- ٨ - المستجاد من فكلات الأجواد للقاضي أبي علي الحسن التنوخي : بتحقيق  
الأستاذ محمد كردعلي
- ٩ - كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كردعلي
- ١٠ - غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كردعلي
- ١١ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كردعلي
- ١٢ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف . جبريالي  
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٣ - ديوان ابن عتین : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٤ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملة الأستاذ خليل مردم بك
- ١٥ - ديوان ابن حشوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٦ - = = = (الجزء الثاني) = = =
- ١٧ - ديوان الواواء الهمشي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ١٨ - تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلد الأول) بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ١٩ - فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد

- ٢٠ - تاريخ داربا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٢١ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الأول ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسيني
- ٢٢ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الثاني ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسيني
- ٢٣ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي ( الجزء الأول ) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٤ - = = = = ( الجزء الثاني ) = = = =
- ٢٥ - عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
- ٢٦ - الموفى في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الاستانبولي : شرحه  
وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
- ٢٧ - صحيفة همام بن منبه : بتحقيق الدكتور محمد حميد الله
- ٢٨ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن  
يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين  
قدم له الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٩ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم التاريخ ) : وضعه  
الدكتور يوسف العث
- ٣٠ - أسماء مؤلفات ابن تيمية لابن قيم الجوزية : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٣١ - التبصر بالتجارة للباحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
- ٣٢ - المتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي
- ٣٣ - تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
- ٣٤ - بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الخنيلي الحلبي
- ٣٥ - الرسالة النباتية : للأمبر مصطفى الشهابي
- ٣٦ - المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
- ٣٧ - الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني



# مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٤

٢٧ شهر رجب سنة ١٣٧٣

## تفكيرنا الشعري

اجتمع في ابول الماضي في جامعة «برنستون» وهي واقعة في ولاية «نيوجرمي» في الولايات المتحدة رجال مؤتمر الثقافة الاسلامية ، فرحّب بهم عميد اساتذة الجامعة في قاعة مشهورة وأتى على تاريخ هذه القاعة في شيء من الاختصار ، ثم صعد المنبر أستاذ فاضل من الشرق ورحّب باللغة العربية ، وقد كان الأستاذ الموماً اليه قد وصل الى «برنستون» قبل ساعات من اجتماع المؤتمر ولم يك يعلم أنه سيكون له كلمة ترحيب ، فلما استقرّ به المنبر قال :  
لما وصلت الى مطار «نيويورك» أبلغت ألي في جملة الخطباء فصعقت ...

ان هذا الأستاذ يرتجل الكلام من خمس وعشرين سنة فهو مدرب على مثل هذا الارتجال ولا يصعب عليه أن يقول كلمة لا تستغرق خمس دقائق وقد قالها ولم يظهر عليه أثر الصعق ، ولكن استعمال الألفاظ التي تشتمل على كثير من المبالغات انما هو من خصائصنا معاشر أهل الشرق ، يقال في لغتنا : صعق كشمع : غشي عليه ، ومن مشتقات هذه المادة : الصاعقة ، ومن ماني الصاعقة

الموت وكل عذاب مهلك وصيحة العذاب والمحراق الذي بيد الملك سائق السحاب  
ولا يأتي على شيء الا أحرقه ، أو نار تسقط من السماء ...

فليُنظر القاريء في المعاني المختلفة التي تدلُّ عليها هذه المادة ومشتقاتها  
وحسب هذه المعاني أن يدخل فيها الموت أو العذاب أو نار السماء حتى نشعر  
بشدتها فإذا كان أحدنا يصعق أي يغشى عليه من أجل ارتجال كلمة لا تستغرق  
دقيقتين أو ثلاث دقائق وهو مدرب على الارتجال فكيف تكون حالته إذا  
نزلت به نازلة من نوازل الدهر وأراد الإفصاح عنها ، بأي لفظ يفصح عن  
هذه النازلة إذا أصيب بفقد عزيز أو بمرض عضال أو بضياح ماله أو إذا أصيب  
بوطنه أو بأمثال هذه الشدائد .

لا شك في أن اللغة في مثل هذه الحال تعجز عن هديه إلى مادة من موادها  
يعرب بها عن فكره أو شعوره أو عاطفته فإذا كان أحدنا يعرب عن مفاجأة  
بسيطة بقوله : صعقت ، فبأي مادة يعرب عن هذه الأمور التي أتيت على ذكرها ،  
من هذا يتبين لنا أنا في كثير من الأحوال نعطي المعاني أكثر مما تستحق من  
الألفاظ ، وما هي نتيجة هذا العطاء ، من نتائجه أن الألفاظ تنخر وتبلى  
على مر السنين فلا يبقى لها أثر في الأذهان والقلوب وهذا ما يجعل بعض أكابر  
الشعراء والكتاب من عصر إلى آخر على تحويل ألفاظ من معنى إلى معنى حتى  
يجدوا فيها عوضاً عن الألفاظ النخرة البالية ، ولولا هذه التحويلات في اللغة  
لما وجد أحدنا حبيلاً إلى التعبير عن فكر أو شعور بلفظ يصور هذا الفكر  
والشعور في حقيقة صورتها دون زيادة أو نقصان .

من أيام استأنفت التدريس في كلية الآداب وأذكر أنني نقلت في فاتحة  
المحاضرات قول أحد العلماء : اليد ! اللغة ! هذه هي البشرية ، وقد فصل هذا  
العالم رأيه بعض التفصيل فقال :

ان الذي طبع به آخر أفق من آفاق الحيوان وأول أفق من آفاق البشر  
انما هو اختراع اليد واللغة ، فاليد عنوان تقدم المنطق العملي ، واللغة عنوان  
تقدم المنطق العقلي .

فاللغة على نحو ما قرره علماءها في هذا العصر انما هي أغرب ما وصلت اليه  
البشرية من الاختراعات في أطوارها واذا كنت لا أريد الكلام على مهيتها  
وعملها في نمو العقل ، أو على علائق الفرد والجماعة في إنشاء هذه الآلة الثينة  
وفي تحسينها ، فأنا أحب الاستشهاد في هذا الباب بورقة تكاد تكون أبلغ  
ما كتب في الدلالة على منزلة الألفاظ ، قال كاتب هذه الورقة :

« قلت لكم إنني أحب معجمات اللغة ، فأنا لا أحبها لجرّد فائدتها العظيمة ،  
ولكني أحبها لأنها تحتوي على شيء حسن ، نغم ، انظر الى معجم من المعجمات ،  
وتصور أنك ترى روح وطننا كله في هذا المعجم ، ليتصور ذهنك أن في هذه  
الأوراق التي يبلغ عددها ألف ورقة عبقرية بلادنا وطبيعتها ، ليتصور ذهنك  
أن فيها أفكارنا وأفكار أجدادنا ، أفراحنا وأفراحهم ، أعمالنا وأعمالهم ،  
آلامنا وآلامهم ، ليخطر ببالك أن في هذا المعجم آثار الحياة العامة وحياة الدور  
والمنازل ، آثار الذين نشقوا الهواء الصالح ، وشموا النسيم العليل الذي نشمه  
اليوم ، ليخطر ببالك أن كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الأفكار  
كان فكر طائفة من البشر لا يعلم عديدهم ، وعاطفة من العواطف كانت  
عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم ، ليهجس في صدرك أن كل هذه  
الكلمات المجموعة انما هي لحم الوطن والبشرية ودمها وروحها » .

فاذا كان للألفاظ هذه المنزلة ، اذا كانت الألفاظ لحم الوطن والبشرية  
ودمها وروحها ، أفلا يجدر بنا أن نعطيها مقامها في الكلام فلا نجعل لأفكارنا  
منها نصيباً أكثر من استحقاقها ، أو حظاً أقل من هذا الاستحقاق ، لقد  
كثر في أدبنا في القديم والحديث الغلو في التعبير فبحن نلبس المعاني لباساً أوسع

منها فكارتنا لا ندرك الفكرة ادراكاً واضحاً الا اذا انتفخت ولهذا نجد في كثير من أقوال رجال الشرق في أيامنا هذه نمطاً من هذه الانتفاخات ، واذا كان لهذا النمط أثر فان أثره الوحيد انما هو إضفاء الفكرة المحبوبة من وراء الألفاظ الضخمة بحيث لا يبقى لهذه الفكرة قيمة .

ونحن اذا قابلنا بين عقليتنا في هذا العصر وبين عقليات الأمم التي كانت عنايتها بالمادة أشد من عنايتها باللغة الشعرية وجدنا لهذه الأمم عقلية ميكانيكية ، معنى هذا أنها لا تؤمن إلا بالأفكار المصورة على حقيقتها دون شيء من الضخامة ، فاذا صورنا لها هذه الأفكار في صورة أضخم من الأفكار نفسها فهي لا تفهم منها شيئاً ، ولهذا يقع كثير من سوء التفاهم بين عقلية الشرق وبين العقليات المتعددة من وراء البحار ، ولا شك في أن لتلك العقليات البعيدة عن لغة شعرية مثلنا ولكن أصحابها يفرقون في حياتهم العلمية بين اللغة الشعرية وبين لغة الأمر الواقع ، أما نحن فلا نزال نتختم الصور الشعرية في كثير من مخاطباتنا أي في حياتنا العامة ، وهذا الإفحام يضعف أفكارنا وقد تكون حقاً فنجملها باطلاً .

والجوء الى لغة الشعر في المخاطبات العامة من خصائص الشعوب السامية فبين هذه الشعوب وبين الشعوب الآرية اختلاف في تصوير الأفكار ، فالفكر مثلاً في العبري لا يستطيع أن يتجرد من الصورة المادية التي تستره وتقطعه ولذلك فإننا نجد لغة التوراة لغة شعرية الا انها تعجز عن بيان الفكرة المجردة فالذهن في الأمم السامية عنيد فانه يحتفظ بالصورة ويجرص على طابع الانفعال المادي ، أما الذهن في الشعوب الآرية فانه أمرن وألين فهو ينسلخ من المادة ويرتفع الى تصوير الفكرة المجردة وادراكها ولعلنا نجد في هذا التباين السبب في شيوع الفلسفة في الجنس الآري ولتقطاعها في الشعوب السامية لأن التجريد من خصائص الفلسفة ، والشعوب السامية أصحاب خيال فهم يعمدون عن التجريد .

على أن هذا الكلام لا يصح إطلاقه فان اللغة العربية اذا كانت لغة شعرية فقد كانت أيضاً لغة فلسفة واجتماع ، وحسبنا أن نذكر ابن رشد وابن سينا والغزالي وابن خلدون حتى ندرك صواب هذا القول ، إلا ان اللغة الشعرية غالبية على تفكيرنا ولهذا يجعل التخيز والبلى على ألفاظنا لأن هذه الألفاظ الشعرية نضعها في كثير من المواطن في غير مواضعها فيضعف تأثيرها على الأيام حتى تموت . وكما بقضي تفكيرنا الشعري على طائفة من الألفاظ فقد يضعف كثيراً من أفكارنا ولا سيما اذا خاطبنا أمماً تختلف مقادير عقولها عن مقادير عقولنا فبدلاً من أن نعرض على هذه الأمم أفكارنا بسيطة مجردة فانا نلبسها في بعض الأحيان ملابس قد تكون ضيقة عنها أو واسعة عليها فنخرج بها عن طبيعتها ونجعلها أضحوكة ، ولو جاز لي أن أستشهد ببعض أقوال منسوبة الى طائفة من رجالات الشرق فيها غلو كثير ومبالغة كثيرة لأثبت على طائفة من هذه الأقوال الضخمة التي تضيع فيها الفكرة المحبوبة تحتها أو يضعف تأثيرها .

ولا يستبطن أحد من قولي أنني أهجم على لغة الشعر وانما أريد أن أجعل تناسباً بين لفظنا وتفكيرنا فلا يغلب لفظ شعري على فكر لا يستحق هذا اللفظ ولا يضعف لفظ شعري عن فكر يستحق مثل هذا اللفظ ، واذا رجعنا الى خطب رجالنا في صدر الاسلام ولا سيما خطب الصحابة وبعض القواد والعمال وجدنا تناسباً عظيماً بين تفكير أولئك الرجال العظام وبين لغتهم ، فالبساطة غالبية على هذا التفكير وهذه اللغة ، ولا ريب في أن البساطة إنما هي عنوان القوة فقد كانوا أقوياء فلم يحتاجوا الى التعفي بقوتهم وانما عرضوا قوتهم في حقائق معارضها دون شيء من الانتفاخ فعملت عملها في القلوب ولا يحتاج الى ضخيم الألفاظ الا الذي يشعر بأن فكره ضعيف فهو يريد أن يستر ضعفه بصورة شعرية ولكنه في الحقيقة لا يستر هذا الضعف وانما يكشفه وينضجه .

واذا كان لا بد لنا من لغة شعرية في تفكيرنا فلجعل هذه اللغة مناسبة

لما تصوره من الأفكار على الأقل ، فاذا استعملنا لفظاً شعرياً فاستعمله في المقام المناسب له حتى يعمل عمله في القلوب وحتى لا يضعف أثره فيقلب سخرية .

وأظن أن كلام الله وحده هو خير مثل لذلك ، فإن الله عز وجل اذا قال : اذا زلزلت الأرض زلزالها ، فأأي شيء أشد من هذه الحركة ، ولا ريب في أن هذه الحركة تستوجب لفظاً يستطيع أن يصورها على حقيقتها ، وليس في اللغة على ما أظن لفظ أشد مناسبة من هذا اللفظ : الزلزال ولذلك كانت لهذه الصورة الشعرية عمل في القلوب ، وليتصور الانسان كيف يضعف تأثير هذا اللفظ العظيم اذا استعمله الانسان في موطن ضعيف الدلالة على فكرة ضعيفة كفكرة اضطراب ورد أو ياسمين ، فاذا قلنا : اذا زلزل الورد أو الياسمين ، فكيف تكون نتيجة هذا اللفظ .

اني لا أكتب مقالاً في البلاغة ، وإنما خلاصة ما ذهبت اليه في هذا المقال انا كثيراً ما نضع تفكيرنا وشعورنا بلغتنا الشعرية لأننا نضع هذه اللغة في غير مواضعها ، ففي كثير من المقامات يلزمنا أن نعرض أفكارنا في حقائق معارضها ، حتى تكون القوة من قوتها نفسها لا من قوة ألفاظها الزائفة ، واذا احتجنا الى اللغة الشعرية فليكن شيء من التناسب بين الصورة وبين اللون الذي نلون به هذه الصورة ، وبعبارة أوضح فلنكن أقرب من الحياة الواقعة ، فقد طال إيماننا في البعد عن هذه الحياة .

سفيق جهري

## أبوسفيان

كان أبوسفيان ، واسمه صخر بن حرب ، شيخ قريش وسيدها وكبير تجارها ، تنزع اليه في الملمات ، وتحتكم اليه في الخصومات ، وتودعه أموالها ، يشجر بها ويقاسمها شيئاً من ربحها ، وكانت عنده راية قريش [«العقاب»] ، يخرجها اذا حميت الحرب ، ولكنه ما كره شيئاً مثل الحرب ، فقد كان محباً للسلم ، آية في الدهاء والحلم ، فاذا جاء ابنه معاوية داهيةً حليماً ، فقد أخذ الحلم عنه ، وتعلم الدهاء منه .

روى صاحب (الأغاني) ان عائشة (رضي الله عنها) بعثت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام الى معاوية ، في حجر وأصحابه ، فقدم عليه وقد قتلهم ، فقال له :

— أين غاب عنك حلم أبي سفيان ؟ !  
وجاء في سيرة ابن هشام : « كان أبوسفيان رجلاً حليماً مثكراً (١) ، يجب قومه حباً شديداً » .

وقيل لابي سفيان : ما بلغ بك من الشرف ما نرى ؟  
قال : ما خاصمت رجلاً ، إلا جعلت بيبي وبيته للصلح موضعاً !  
وقال معاوية : « لو ولد أبوسفيان الناس ، لولد لهم كلهم أكياساً » !  
هذه أقوال تشهد ، كلها ، لأبي سفيان بالحلم والعقل ، ولكننا لا نكتفي بها ، فهناك ما هو أقوى في الشهادة له من الأقوال : الأعمال والمواقف التاريخية !

(١) رجل مثكّر : أي دائم الفطن .

قتل هشام بن الوليد أبا أزيهر - وكانت بنت أبي أزيهر زوجة لأبي سفيان  
 وأم ابنه يزيد - فجمع يزيد بن عبد مناف والمطيين وندبهم للنار والقتال ،  
 فاستجابوا له ، فلما بلغ أبا سفيان الخبر ، وكان بسوق ذوي الحجاز ( انخط سريعاً )  
 الى مكة ، وخشي أن يكون بين قريش حدث في أبي أزيهر ، فأتى ابنه  
 وهو في الحديد في قومه من بني عبد مناف والمطيين ، فأخذ الرمح من يده  
 ثم ضرب به على رأسه ضربة هذه منها ، ثم قال له : « تعجبك الله ! أتريد أن  
 تضرب قريشاً بعضها ببعض في رجل من دوس ؟ سنؤتوهم العقل إن قبلوه ! » ،  
 وأطفاً ذلك الأمر ) .

... ولما خرجت زينب ( رضي الله عنها ) بنت الرسول ( ﷺ ) من مكة ،  
 تقصد أباها ، خرج معها حموها كنانة بن الربيع يحميها ، وكان يدفع عنها  
 الناس بسهامه ، ( فجاءه أبو سفيان في جلة من قريش ، فقال :

— أيها الرجل ، كف عنا نبلك وسهامك !

فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال :

— إنك لم تصب ! خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية وقد عرفت  
 مصيبتنا ونكبنا وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذا أخرجت ابنته اليه  
 علانية على رؤوس الناس ومن بين أظهرنا أن ذلك على ذل أصابنا عن مصيبتنا  
 التي كانت ، وأن ذلك منا ضعف ووهن ، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من  
 حاجة ، وما لنا في ذلك من ثورة ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت  
 الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها ، فسأنا مرأاً وألحقها بأبيها ! ) .

وهكذا كان ... فقد استجاب كنانة لنصح أبي سفيان ، وعاد بزيب فأقامت  
 بمكة ليالي ، حتى إذا هدأت الأصوات ، خرج بها ، آمنتاً مطمئناً ، ليس بينه  
 وبين أحد شر !

ومن يتتبع مواقف أبي سفيان مع الرسول ( ﷺ ) يلدح من خلالها كلها  
 مياله الشديد الى السلم ، فهو لم يعتد على الرسول ( ﷺ ) ولم يسفه دينه ،



كما فعل غيره من كبار قريش ، وكان أقصى ما يطلبه من الرسول أن يكف عن عيب آلهة قريش ، بل يذهب ببعض المؤرخين إلى أبعد من ذلك ، فيقولون إن أبا سفيان كان يجمي الرسول ، وأن الرسول حين فتح مكة وقال : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » إنما وفاه دينه ، فقد كان الرسول يدخل دار أبي سفيان بمكة فيأمن !

لم يخاصم أبو سفيان الرسول « أصالة » - واستعمل هنا لغة المخاماة ! - وإنما خاصمه « نيابة » عن قريش ، وكان النزاع الأول بينها ، بعد الهجرة ، حين عاد أبو سفيان من الشام بتجارة عريضة ، ومعه سبعون تاجراً من قبائل قريش كلها ، فعرض لهم الرسول ( ﷺ ) فأرسل أبو سفيان إلى مكة يطلب النجدة ، فخرج للنجدة وجوه قريش يقودهم عتبة بن أبي ربيعة ، وتوزع كبار قريش بين أبي سفيان ، صاحب العير - أي التجارة - وبين عتبة ، صاحب النفير - أي النجدة - ولم يتباطأ عنها إلا بنو زهرة ، فقد آثروا القعود ، فقال فيهم أبو سفيان كلمته المشهورة : ( لا في العير ولا في النفير ) ! فذهبت مثلاً ، يقال للرجل الذي لا يرى - أو لا يستحق أن يرى - في مقام محمود ، لصغر قدره وحقارة أمره .

طلب أبو سفيان النجدة ، لا ليحارب ، ولكن ليجمي غيره ، فلما كتبت لها النجدة ، أرسل إلى القرشيين يقول لهم : « إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجحنا الله فأرجعوا » . فقال أبو جهل : والله لا أرجع ! وتابعه القرشيون ، وأصرروا على قتال الرسول ( ﷺ ) وأصحابه ، فكانت معركة ( بدر ) ، التي قتل فيها عتبة بن أبي ربيعة ، أبو هند ، زوجة أبي سفيان ، وعمها شيبة ، وإخوها الوليد ، وإبنتها البكر حنظلة بن أبي سفيان ، أما أبو سفيان فلم يشهد هذه المعركة ، لأنه عاد بعير قريش وتجارها إلى مكة ، من قبل أن يلتقي الجمعان ، وفي مكة . . . أخبروه بالمصائب التي حلت به وبقومه في ( بدر ) ، ولم تكن هذه المعركة برأيه ومشورته ، ولكنه كان مطالباً بالثأر إن شهدوها وقتلوا فيها ،

وفيهم ابنه وأقرب الناس إليه ، هذا الى أن عتبة ، الذي كان سيداً في قريش  
مثله ، قد حمله ، بعد موته ، عبء زعامته ودمه .

نذر أبو سفيان ألا يمس رأسه حتى يغزو محمداً ، و ( خرج في مائتي راكب  
من قريش ليبر لبيته ) ، وقال : ( وهو يتجهز خارجاً من مكة الى المدينة ،  
يخرض قريشاً ) :

كروا على يثرب وجمعهم فإن ما جمعوا لكم نفل  
إن بك يوم القليب كان لهم فإن ما بعدهم لكم دول  
آليت لا أقرب النساء ولا يمس رأسي وجلدي الفسل  
حتى تبيدوا قبائل الأوس والـخزرج إن الفؤاد مشعل

وكانت تلك غضبته . . . في الشعر . . . ولكنه ، فيما يحدثنا الرواة ، اكتفى  
من غزوته بالإغارة على ناحية من المدينة يقال لها (العريض) ، حرق نخلاً فيها  
وقتل رجلاً من الأنصار وحليفاً له ، ثم رجع وصحابه ! . . . لم تشف هذه  
الغارة الهزيلة غليل قريش ، فذهبت الى أبي سفيان ، تسأله أن يجهز بالها  
الذي جاء به من الشام حملة رهيبة ، ينتقم بها من المسلمين لأشراف قريش  
الذين قتلوا في بدر ، ففعل ، والنبي المسلمون والمشركون مرة أخرى في  
(أحد) ، فكانت الغلبة غير حاسمة للمشركين ، وقتل من المسلمين رجل يسمى  
«حنظلة بن الراهب» فقال أبو سفيان : حنظلة بحنظلة ! أي أنه اخذ نار ابنه  
حنظلة . . . وقال أيضاً : يوم بيوم بدر ! معلناً بذلك انتهاء المعركة ! . . .  
ثم مرَّ بأصحاب الرسول (ﷺ) فقال لعمر بن الخطاب : (أنشدك الله يا عمر ،  
أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ! وإنه ليسمع كلامك الآن ! فقال :  
أنت أصدق عندي من ابن قبيصة وأبر . « لقول ابن أبي قبيصة لهم إني قتلت  
محمداً » ، ثم نادى أبو سفيان فقال : إنه قد كان في قتلاكم مثل ، والله ما رضيت ،  
ولا سخطت ، ولا نهيت ، ولا أمرت ! ) .

وهكذا . . . أطفأ أبو سفيان النار التي كانت تشتعل في قلبه . . . فلم تكن غايته أن يبديد المسلمين ، وإنما كانت غايته أن يسجل « إصابة » نأر . . . على نحو ما يفعل اللاعبون في هذا الزمان ، حين ينهزمون في « إصابة » أو « هدف » فلا يستريحون حتى ينالوا « إصابة » مثلها ، فيساووا خصومهم ويحجوا عار الهزيمة . كانت بعد ذلك بين الرسول ( ﷺ ) وبين أبي سفيان معارك ، أو ما تسميه كتب التاريخ معارك وغزوات ، ولكن أبا سفيان ، فيما نرى ، لم يكن يطلب القتال ، وإنما كان يستجيب لرغبات قريش فيخرج بها ، ولكنه لا يلبث حتى ينصح لها بالعودة !

. . . خرج إلى ناحية الظهران ، أو عسفان ، ثم بداله في الرجوع ، فقال : ( يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخلف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، ولبقنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ماترون ، ما نطحنن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فاني مرتحل ! ) .

. . . ثم كان مسير الرسول ( ﷺ ) إلى مكة . فظهر هناك أبي سفيان ووجهه الشديد لقومه ، فقد عرف أنهم أعجز من أن يصمدوا للمسلمين ، لأن الممارك السابقة علمته أن أهل مكة ليسوا رجال حرب <sup>(١)</sup> ، وأنه لا خير في مكة إن بقيت جزيرة في بحر من الأعداء يفرها من كل جانب ، فذهب إلى محمد ( ﷺ ) بإصالحه وبأمن لقومه منه . وكان محمد ( ﷺ ) قد تزوج أم حبيبة ، بنت أبي سفيان ، بعد عودتها من هجرتها إلى الحبشة ، وهي مسلمة .

(١) وقد روي في سيرة ابن هشام أن الرسول ( ﷺ ) ارتحل ، بعد معركة بدر ( حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهتفون بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة : ما الذي تهتفوننا به ؟ فوالله لا لقينا إلا مجائز صلداً كالبدن الملقنة فنحن نأها ! فتبسم الرسول ( ﷺ ) ثم قال : أي ابن أخي ! أوأنتك اللذ ) - أي الأشراف والرؤساء .

فكان هذا الزواج مما يطعم أبا سفيان بصداقة محمد (ﷺ) وعفوه . ويقال إن العباس ، عم الرسول ، وكان صاحب أبي سفيان وتديمه في الجاهلية ، هو الذي ذهب به إلى الرسول ، فأسلم بين يديه ، وجعل له الرسول شرفاً وذكراً في قومه ، فقال :

« من دخل دار أبي سفيان ، فهو آمن ! »

فقال أبو سفيان : « يا رسول الله ، وما تسع داري ؟ »

فقال : « من دخل الكعبة ، فهو آمن » .

قال : وما تسع الكعبة ؟

قال : من دخل المسجد فهو آمن !

قال : وما يسع المسجد ؟

قال : من أغلق عليه بابه ، فهو آمن !

قال : هذه واسعة !

كذلك أمن أبو سفيان لأهل مكة ! ثم رجع إلى قومه ، يحذرهم من حرب الرسول ، لقوته وضعفهم ، فدخل الرسول مكة بغير قتال ، وأخذ أهلها يدخلون في الإسلام أفواجا .

أسلم أبو سفيان وهو في الرابعة والستين من عمره ، وعاش مسلماً أربعاً وعشرين سنة ، فقد مات سنة ٣٢ للهجرة فلم يدرك خلافة ابنه معاوية ، وقد عده كثير من المؤرخين في المؤلفة قلوبهم ، لأن الرسول أعطاه من غنائم حنين ، بل يروى أن أبا سفيان جاء الرسول وقد جمعت غنائم حنين أمامه ، فقال :

— يا رسول الله أصبحت أكثر قريش مالاً !

فتبسم الرسول لقوله ، فقال :

— أعطني من هذا المال يا رسول الله .

فأعطاه أربعين أوقية وثمة من الإبل . ثم قال : ابني يزيد أعطه ! فأعطاه

مثلها . ثم قال : ابني معاوية أعطه ، فأعطاه مثلها ، فقال أبو سفيان :

— اتك لكريم ، فذاك أبي وأمي ، والله لقد حاربك فنعم الحارب كنت ،  
 ثم سألتك فنعهم المسالم أنت ، جزاك الله خيراً .  
 سوله ، أصبحت هذه الرواية أم لم تصح ، ف نحن لا نستغرب صدور هذا عن  
 أبي سفيان ، فقد كان تاجراً ، محباً للمال ، وقد ذهب بعد الإسلام زعامة  
 وتجارته ، فإن طعمه بشيء من المال يحفظ به مكانته في قومه ، لم يكن ذلك  
 كبيراً عليه ، وكان الرسول يوقره ، قيل إنه استأذنت مرة على الرسول  
 ( فحجب قليلاً ، ثم أذن له ، فلما دخل قال : ما كنت تأذن لي حتى تأذن  
 لحجارة الجلمهتين - قال أبو عبيدة : الصواب الجلمهتين وهما جانب الوادي -  
 فقال ( ﷺ ) : يا أبا سفيان أنت ، كما قيل : كل الصيد في جوف النراء .  
 يتألفه على الإسلام . قال أبو العباس : معناه إذا حجت فنع كل محبوب ،  
 يضرب لمن بفضل على أمرانه ) (١) .

وبعد . . قد يكون أبو سفيان من المؤلفة قلوبهم ، ولكنه ، بعد أن أسلم ،  
 حسن إسلامه ، وشارك في بعض غزوات الرسول ، وفقد إحدى عينيه ، ثم  
 فقد عينه الأخرى في موقعة اليرموك ، وتدلنا أقواله في واقعة اليرموك على  
 صدق إسلامه ، وشجاعته ، وصبوره ، ثم نحن نستدل منها على شيء آخر ، وهو  
 أن روحه المسالمة حين يحارب العرب ، تنقلب إلى روح مقاتلة ، عنيفة ، حين  
 يقف أمام الروم ، فقد كان يشعر أنه يقاتل عن العرب والإسلام ، لآعن  
 الإسلام وحده ، ولذلك روى لنا ( الطبري ) أن أبا سفيان كان يسير فيقف  
 على الكراديس ، فيقول : الله الله ، إنكم ذادة العرب وأركان الإسلام ،  
 وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك .

أما عاطفته القبليه أو عصبيته فما نظن الإسلام نزعها من نفسه ، روى لنا  
 الجاحظ في كتابه « الحاسن والأضداد » أن عمر بن الخطاب سمع ، وهو خليفة ،

(١) الأمثال للميداني ، الجزء ٢ .

صوتاً ولقطاً بالباب ، فقال لبعض من عنده : اخرج فانظر من كان من المهاجرين الأولين فأدخله . فخرج الرسول فوجد بلالاً وصهيباً وسلمان فأدخلهم ، وكان أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو في عصابة من قريش جلوساً على الباب ، فقال أبو سفيان : يا معشر قريش ، أنتم صناديد العرب وأشرفها وفرسانها بالباب ، ويدخل حبشي وفارسي ورومي ! فقال سهيل : يا أبا سفيان أنفسمكم فلوهموا ، ولا تدموا أمير المؤمنين ، دعي القوم فأجابوا ودعيتهم فأبيتهم ، وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلاً !

فقال أبو سفيان : لا خير في مكان يكون فيه بلال شريفاً .

الدكتور منير العجلاوي



## أبو الطيب اللغوي الحلبى

( - ٣٥١ هـ = ٩٨٢ م )

هو عبد الواحد بن عليّ المعروف بأبي الطيب اللغوي العسكري الحلبى من عسكر مكرم قدم حلب وأقام بها الى أن قتله الروم وأباه في دخول المستنق حلب سنة ٣٥١ هـ ، وبذلك ضاع أكثر مؤلفاته الممتعة ، ولعل ما بقي منها الى اليوم كان منسوخاً وموزعاً في الأفطار الاسلامية قبل استشهاده ، يؤيده قول أبي العلاء المعريّ في غفرانه <sup>(١)</sup> بعد أن ذكر كتبه : « ولا شك أنه قد ضاع كثير من كتبه وتصنيفاته لأن الروم قتلوه وأباه في فتح حلب » .

### دراسة الأولى

ليس لدينا مصادر تبين حقيقة دراسته الأولى والظاهر أنه تعلم القراءة والكتابة ومبادئ العلوم في موطنه الأول عسكر مكرم وهو بلد مشهور من نواحي خوزستان اختطه العرب في صدر الاسلام ونسب الى مكرم بن معزاه بن الحارث صاحب الحجاج بن يوسف ، وما زال العمران يتزايد فيه حتى أصبح مدينة زاهرة بمحضارتها وعلمائها ، قال ياقوت في معجمه <sup>(٢)</sup> : وقد نسب اليها قوم من أهل العلم منهم العسكريان ابواحمد الحسن بن عبد الله . . . اللغوي العلامة أخذ عن ابن دريد وأقرانه ، والحسن بن عبد الله بن جهل ابو هلال العسكري . ثم رحل عن بلده عسكر مكرم الى حلب ، وهي يومئذ زاخرة بالعلم والأدب ،

(١) رسالة الغفران بتحقيق بنت الشاطىء ص ٥١٣ .

(٢) ١٧٦/٦ مطبعة السعادة .

وعاصرة بالمعلم والأدباء من أعيان القرن الرابع الذين ضمهم الحضرة السيفية  
الحمدانية كالفارابي وابن خالويه وابن نباتة الخطيب الفارقي وأبي الطيب المتنبلي  
والصنوبري والناسي والتاشي من الشعراء وأضراب هؤلاء ، وفي حلب هذه نضج  
علمه وظهر فضله على غيره .

### أسانيدته وتلمذته

كان أبو الطيب أحد الحدائق من العلماء المتقنين لعلمي اللغة والعربية ، أخذ  
عن أبي عمر الزاهد المطرزي الوراق غلام ثعلب<sup>(١)</sup> ، وهو الذي قال فيه أبو القاسم  
عبد الواحد بن برهان الأسدي : « لم يتكلم في العربية أحد من الأولين  
والآخرين بأحسن من كلام أبي عمر الزاهد » .

وروى ابن الفارح علي بن منصور المحدث ، وهو من تلاميذ أبي الطيب في  
رسالته<sup>(٢)</sup> المشهورة التي أجابه عليها المعري في غفرانه ، قال : قال ( لي شيخني  
أبو الطيب ) : قرأت على أبي عمر الفصيح وأصلاح المنطق حفظاً ، وقال لي  
أبو عمر : كنت أعلق اللغة عن ثعلب على خرف وأجلس على دجلة أحفظها  
وأزجي بها .

وأخذ أبو الطيب أيضاً عن محمد بن يحيى الصولي الكاتب الذي أخذ عن  
ثعلب والمبرد والسجستاني وغيرهم من الأئمة ، وكان أبو الطيب من المتقنين باللغة  
والأدب ، والحفاظ المعرفين بالرواية والدرابة ، ومن أطلع على مؤلفاته شهد له  
بسعة العلم ، وصحة الطبع ، وفن التخيص والاستحضار ، قال أبو علي الصقلي :  
كنت في مجلس ابن خالويه ، إذ وردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق  
باللغة ، فاضطرب لها ، ودخل خزائنه وأخرج لها كتب اللغة ، وفرقها على  
من كان عنده من أصحابه يفثونها ليجث عنها ، فركته وذهبت إلى أبي الطيب .

(١) انظر ترجمته في المجلد التاسع ص ٦٠١ .

(٢) رسالة ابن الفارح سنة ١٣٣١ هـ ص ٢١١ .



اللغوي ، وهو جالس ، وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها ، ويده قلم الحمر ، فأجاب به ولم يغيره قدرة على الجواب !

إن هذه الحادثة تدانا على المنافسة التي كانت بين أبي الطيب وابن خالويه ، وعلى مبلغ إعجاب أبي علي الصقلي بأبي الطيب وتحزبه له ، كما تدل على أن علم أبي الطيب كان صديراً لا قهطياً : أي بما وعاه الصدر لا ما حواه القمطر ، فهو في ذلك شبيه بعبد الملك بن قربب الأصمعي ، وابن خالويه الحسين بن أحمد شيبه بأبي عبيدة معمر بن المثنى الذي كان لا يجيب إلا بعد الرجوع إلى قهطه وخزانة كتبه ، وكان الرشيد يجتبر فيهما ذلك كما فعل سيف الدولة في المسائل اللغوية ، على أن أبا العلاء المعري الذي ذكر هذه الحادثة في رسالة الغفران <sup>(١)</sup> ، كان يميل إلى ابن خالويه ، فجعل الاعتماد على الأوراق والدفاتر من حزم الحافظ الذاكر ، إذ قال : « وأما أبو عبد الله بن خالويه وإحضاره للبحث النسخ ، فإنه ما عجز ولا أفسخ - أي نسي - ولكن الحازم يريد استظهاراً ، ويزيد على الشهادة الثانية ظهاراً » ، وبعد أن أشاد بذكر ابن خالويه عطف على ترجمة أبي الطيب اللغوي فأثنى عليه ، وأشار إلى ما كان بين الشيخين من المنافسة والجفاء وحرمان المعاصرة بقوله : « وكان ابن خالويه يلقبه فرموطة الكبريتل يريد دحروجة الجعل لأنه كان قصيراً ! »

ثم قال المعري : « وحدثني الثقة أنه كان في مجلس أبي عبد الله بن خالويه ، وقد جاءه رسول سيف الدولة بأمره بالحضور ، ويقول له : قد جاء رجل لغوي يعني أبا الطيب هذا ، قال المحدث : فقامت من عنده ومضت إلى المتنبى <sup>(٢)</sup> ، فحكيت له الحكاية ، فقال : الساعة يسأل الرجل عن (شوط براح والعلوض) <sup>(٣)</sup> »

(١) طيبة دار المعارف من ٥١٣ .

(٢) وكان أبو الطيب المتنبى صديقاً لأبي الطيب اللغوي جمعت بينهما صداقة ابن خالويه .

(٣) شوط براح هو ابن آوى ، والعلوض بالضاد الممجة ابن آوى بلفظة جبر ،

وبالضاد كما في بعض نسخ الغفران هو الدبيب . (٢)

ونحو ذلك ، يعني أنه 'يعنته' . أي يعنت أبو الطيب اللغوي بالسؤال عن الغريب ، وهذا الحديث يدل على بدء التعارف بين الشيخين ، وعلى ما كان بينهما من الإعجاب والحقاء ، والمتنصر لأبي الطيب يقول ان ابن خالويه كان يستظهر ألفاظاً من الغريب الوحشي ليهاجم بها في المآزق خصومه ، وهم على غير أهية ، وقد يكون خصومه أكثر استظهاراً لغرائب اللغة في تلك الساعة منه ؛ على أن أبو الطيب كان على رأي الحاتمي الذي سنذكره حنف الكلمة الشرود حفظاً وتيقظاً .

وقال ابو العلاء : « وقد كان ابو الطيب يتعاطى شيئاً من النظم » قال ذلك بعد أن ذكر ما كان بينه وبين ابي العباس بن الكاتب البكتمري <sup>(١)</sup> من المودة والمؤانسة ، وأورد له شعراً في التشوق اليه أوله :

يا «عبد» انك عند القلب 'جنته' حباً ، وانك عند الطرف ناظره  
 يريد «يا عبد الواحد» ، ولا ندري بماذا أجابه عبد الواحد ، وما يدل على تعاطي أبي الطيب للشعر وعلى شدة غيرته على اللغة ، وعلى اتصال سنده بالخليل الفراهيدي قوله : « أخبرني محمد بن يحيى (الصولي) قال : أنشدني عمر بن عبد الله العتكي ، قال : أنشدني ابو الفضل جعفر بن سليمان النوفلي عن الحرمازي للخليل ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظها ويختلف معناها » . قال أبو الطيب : « أراد بهذا أن يبين ان تكرار القوافي ليس بضار ، اذا لم يكن بمعنى واحد ، وليس بإيطاء ، والآيات هي :

يا ويح قلبي من دواعي الهوى      اذ رحل الجبران عند الغروب <sup>(٢)</sup>  
 أتبعهم طرفي ، وقد أزمعوا      ودمع عيني كفيض الغروب <sup>(٣)</sup>  
 كانوا ، وفيهم طفلة حرة      تفتر عن مثل أفاحي الغروب <sup>(٤)</sup>

(١) وفي البيتية : ابوالفتح البكتمري ويعرف بابن الكاتب الشامي من شعراء آل حمدان ،

ونقل له شعراً يحاكي هذا الشعر برقة وروحه .

(٢) غروب الشمس .

(٣) جمع غرب وهو الدلو المظيمة المملوءة .

(٤) جمع غرب وهو الوهاد للانخفضة .

وقال ابو الطيب : فقص هذا القصد بعض الشعراء فيما أنشده ثعلب ولم يذكر قائلاً<sup>(١)</sup> ، ومطلع قصيدته الخالية :

أتعرف أطلالاً شجونك بالخال وعيش زمان كان في العصر الخالي  
ثم قال ابو الطيب : ولما ظننا ان من مسمع هذه الأبيات ربما خال صاحبها  
قد زاد على الخليل بن احمد ، وانه لما تعرض لشيء تقصاه رأينا أن نبين أنه  
بخلاف هذه الصورة ، وانه قد ترك أكثر مما أخذ ، وأغفل أكثر مما أورد ،  
وقد بقي عليه من هذه القوافي ما نحن ناظمون أبياتاً ومعتمدون من تقصيرنا فيه ،  
اذ المراد ايراد القوافي دون التعمد لقصد الشعر وعدد الأبيات (١٤) ومطلعها :  
ألم يربع الدار بان أنيسه على رغم أنف اللهو قفراً بذي الخال  
ومقطعها :

«وان زعموا أي تخليت بعدها فما أنا عنها بالخلي ولا الخالي<sup>(٢)</sup>»  
وذكر محمد بن حسن الحاتمي في كتاب الملباجة أنه كان يوزن في مجلس  
سيف الدولة بابي علي الفارسي فارس العربية ، وبأبي عبد الله بن خالويه ، وكان  
له السهم الفائز في علوم العربية ، وبأبي الطيب اللغوي ، وكان حنف الكلمة  
الشروء حفظاً وتيقظاً !

قال أبو الطيب : قرأت على ابي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظاً ، وقال لي  
ابو عمر كنت أعلق اللقمة عن ثعلب .

### مصنفات أبي الطيب

قال ابو العلاء المعري في ترجمة ابي الطيب في الغفران ، والظن الغالب ان  
جميع من ترجم له كالجد الفيروزبادي في (البلغة في طبقات أئمة اللغة) والجلال

- (١) انظر اعلام النبلاء ٤/٣٦ . فقد اورد في هذه الخالية ١٢ بيتاً فيها بعض التعريف .  
(٢) وأورد ابن شاعر الدمشقي في عيون التواريخ ، وهو من مخطوطات الاحمدية  
مجلد ، هذه القصيدة وما قبلها ، وخالية اخرى لبيد الله بن محمد المروزي في  
٢٩ بيتاً ، ولبطرس كرامة الحمصي من للتأخرين خالية تقم في ٢٥ بيتاً .  
مضمومة الروي .

السيوطي في (بغية الوعاة) قد اعتمدوا على أبي العلاء الذي يقول<sup>(١)</sup>: «له كتاب في (الاتباع) صغير ، على حروف المعجم ، في أبدي البغداديين ، وله كتاب يعرف بكتاب (الابدال) قد نجا به نحو كتاب يعقوب في (القلب) ، وكتاب يعرف (بشجر الدر) سلك به مسلك أبي عمر (الزاهد) في المداخل ، وكتاب في (الفرق) قد أكثر فيه وأسهب ...» .

وقد لا يخلو من فائدة شرح هذه الكتب التي سماها أبو العلاء تباعاً ، وقد أغفل ذكر بعض مصنفاته منها كتاب (مراتب النخوين) أو اللغويين ، وهو جزء لطيف في طبقات النخاة يوجد في بعض مكاتب الأستانة ، وقد ذكره صاحب كشف الظنون<sup>(٢)</sup> وسماه (مراتب النخاة) ، ومنه بدار الكتب المصرية نسخة في الخزانة التيمورية<sup>(٣)</sup> ، كما أغفل أبو العلاء كتابه (المثنى) ولم يذكره صاحب البغية أيضاً ، وهو مخطوط عندي ، والله الحمد ، في خمس وعشرين صفحة كبيرة ، وسأشره محققاً بعد نشري لكتابيه (الابدال) الذي حققته ، وقرر المجموع العلمي العربي نشره ، ولعله أجل كتب أبي الطيب اللغوي ، وأوسع ما ألف في الابدال بعد يعقوب بن السكيت الذي نشر إبداله هفتير بيروت ونفذت نسخه من بلادنا العربية ، وكانما طبع للمشرقين .

وأما كتابه (الاتباع) فهو في المزاوجة نحو حسن بسن ، قال السيوطي في مزهره<sup>(٤)</sup> : وقد ألف ابن فارس تأليفاً مستقلاً في هذا النوع ، وقد رأيت مرتباً على حروف المعجم ، وفاته أكثر مما ذكره ، وقد اختصرت تأليفه ، وزدت عليه ما فاته في تأليف لطيف سميته : (الالماع في الاتباع) ؛ أقول : واتباع أبي الطيب أيضاً مرتب على حروف المعجم ، وكان على ما ذكره المعري

(١) ص ٥١٢ .

(٢) في الطبعة الجديدة ١٦٠/١ .

(٣) رقم ١٤٢٥ تاريخ .

(٤) ٤٤٩/٩ - ٤٦٠ .

في أيدي البغداديين ، وكانوا مولعين بحفظ لغتهم العربية بألواحهم ، فقد حفظوا أتباع أبي الطيب كما حفظوا فصيح ثعلب واصلاح المنطق من قبل .  
ولأبي الطيب كتاب ( شجر الدر ) وهو من النوع المعروف بالمشجر ، وقد ذكره المعري انه « سلك به مسلك أبي عمر في « المداخل » ، وأبو عمر هذا المعروف بفلام ثعلب ، كان من حفاظ اللغة وأئمتها ، وكتابه ( المداخل ) قد نشره عالم الهند الأستاذ الراجكوتي في مجلة مجمعنا العلمي <sup>(١)</sup> باسم ( المداخلات ) ، قال السيوطي في مزهره : « ألف في هذا النوع جماعة من أئمة اللغة كتباً سموها : ( شجر الدر ) منها شجر الدر لأبي الطيب اللغوي » . قال في كتابه المذكور : « هذا كتاب مداخلة الكلام للمعاني المختلفة سميناها كتاب ( شجر الدر ) : لأننا ترجمنا كل باب منه بشجرة ، وجعلنا لها فروعاً ، فكل شجرة مائة كلمة أصلها كلمة واحدة ، وكل فرع عشر كلمات ، إلا شجرة ختمنا بها الكتاب عدد كلماتها . . . كلمة أصلها كلمة واحدة ، وإنما سميناها الباب شجرة لاشتجار بعض كلماته ببعض أي تداخله ، وكل شيء تداخل بعضه في بعض فقد تشاجر ، فهذا الوجه الذي ذهبنا اليه » .

أما كتاب ( الفرق ) الذي ذكر المعري ان أبا الطيب قد أكثر فيه وأسهب ، فقد ذكره السيوطي في المزهر <sup>(٢)</sup> باسم الفروق ونقل منه أمثلة مفيدة نقل منها المثال التالي :

« يده من اللحم غمرة وندلة ، ومن اللبن وضيرة ، ومن السمك والحديد أيضاً سهكة ، ومن البيض ولحم الطير زهمة ، ومن العسل لثقة ، ومن الجبن غنسة ، ومن الودك ودكة ، ومن النقس طرسه ، ومن الدهن والسمن نسمة ، ومن الخل خمطة ، ومن الماء لثقة ، ومن الخضاب ردة ، ومن الطين ردة ،

(١) ط دار الاحياء ١/٤٤٥ .

(٢) للزهر ١/٤٤٧ .

ومن العجين لوثة ، ومن الدقيق نثرة ، ومن الرطب والتمر حمتة ، ومن الزيت  
وصنة ، ومن السويق والبزر رغبة ، ومن النجاسة نجسة ، ومن الأشنان حرضة ،  
ومن البقل زهرة ، ومن القار حلكة ، ومن الفرساد قننة ، ومن الرطاب مصعة ،  
ومن البطيخ نضخة ، ومن الذهب والفضة قنمة ، ومن الكناخ شهرة ، ومن  
الكافور سطعة ، ومن الدم شحطة ، ومن التراب تربة ، ومن الرماد رمدة ،  
ومن الصحناء صحنة ، ومن الخلط مسسة ، ومن الخبز خبزة ، ومن المسك ذفورة ،  
ومن غيره من الطيب عطرة ، ومن الشراب شمرة ، ومن الروائح الطيبة أرجة » .  
وتقل أكثر هذه الفروق أبو القاسم الحسين بن علي من خط أبي العباس أحمد  
ابن يحيى ثعلب ، وأخذ بعضه عن أبي اسامة جنادة اللغوي ، وهناك فروق  
أخرى مما توصف به اليد عند لمسها كل صنف من الملموسات رواها ابن خالويه  
والفراء ، والزجاجي وغيره ، فهل في لغات أمم العالم لغة أدق وأوسع من هذه  
اللغة العربية ، ومن يقوى على مثل هذا التفريق والتدقيق ، ونحن في عصر الناس  
هذا أحوج ما نكون إليها في تسمية المسميات العلمية الحديثة ١

ومما أغفله أبو العلاء المعري من كتب أبي الطيب كتاب (الأضداد) وقد  
ذكره الزبيدي في مقدمة تاج العروس ، ولم يذكر صاحب المزهة أبا الطيب  
اللغوي بين من ألفوا في الأضداد وهم قطرب والتوزي وأبو بكر بن الأنباري ،  
وأبو البركات بن الأنباري وابن الدهان والصغاني ، ولا حاجة بنا لنقل مثال  
من الأضداد مما أورده السيوطي فالمقصود بها معروف ، ولا نحتاج في عصرنا  
هذا العلمي الى الأضداد ، وقد أنكرها جماعة منهم ابن درستويه وله في ذلك  
تأليف أشار المزهري إليه ، وقد ذكر بروكلمان أيضاً كتاب (الأضداد) لأبي الطيب  
في الجزء الأول من ذبول تاريخه للأدب العربي ( G. A. L ) .

ومما أغفله من مصنفاته كتاب (المتنى) ، وهو عندي والله الحمد لطيف  
يشتمل على نوعين الاتباع والتغليب : أما الاتباع فقد ذكرناه ، وأما التغليب

فقد تكلم أبو الطيب عنه في المثني في تسع عشر صفحة كبيرة وسنشره إن أعان الله ، وما أدري أكتاب (الاتباع) مما ألفه أبو الطيب مستقلاً أم هو ما اشتمل عليه المثني ، ويبحث في (المثني) كما في المزهرة بعقوب بن السكيت ، وللمجيب من المتأخرين كتاب (جنى الجنتين) ، ويبحث عنه من المعاصرين أحمد تيمور<sup>(١)</sup> وسليم عنخوري<sup>(٢)</sup> في مجلة مجمعنا العلمي .

وقد يتبادر الى الذهن ان اسم المثني ليس من تسمية أبي الطيب ، وفي مقدمة المثني ما يثبت ان الاسم له اقوله : « ونحن قاصدون في كتابنا هذا قصد ما ورد من كلام العرب (مثنى) في الاستعمال تثنية لازمة » وجمعها في عشرة أصناف ، تسعة منها من التعليل ، والعاشر في الأفعال المثناة وهو صنفان : أحدهما الفعل المبني على صيغة التثنية ، والمراد به تكرير الفعل ، والثاني الفعل يجيء لفظه لائنين ومعناه لواحد .

أما كتاب (الابدال) ، وهو أجل كتب أبي الطيب ، الذي قرر المجمع العلمي العربي نشره ، فمؤعدنا في وصفه العدد المقبل ان شاء الله .

التنويحي



(١) مجلة المجمع العلمي (١٤٧/٤/٤) .

(٢) مجلة المجمع (٢٤/٤) .

## الاشتقاق

- ٤ -

عيلان - اشتق من الفقر . واشتق من التبخر والعيلة التبخر . يقال للرجل اذا مر يتبخر : انه لعيل<sup>(١)</sup> .

غيلان - يصلح أن يكون اشتق من الغيل والغيل الماء يجري على وجه الأرض . قال ساعدة :

كذوائب الحفأ الرطيب غطا به غيل ومد بجانيبه الطحلب  
الحفأ البردي . والرطيب الناعم الريان . قال : والغطو الارتفاع . يقال :  
غطا الماء بغطو اذا ارتفع وعلا . والطحلب الخضرة التي تكون في الماء .  
والعروض الخضرة الخالصة على الماء . ويصلح أن يكون الغيلان من الغيل  
وهو شجر ملتف لبس بندي شوك كالقصب والبردي والحلفاء . ويكون من  
الغيل . والغيل ابن المرأة الحامل يشربه ولدها . وأظنه اذا كان زوجها يقشأها  
وان لم تكن حاملاً . والغيل الذراع اذا امتلأت من اللحم وحسنت . قيل :

(١) القاموس : عال يعيل عيلاً وعيلة وعبولاً ومعيلاً افتقر فهو عائل جمعه  
عالة وُعَيْلٌ وعَيْلٌ وعَيْلٌ كسكري والامم العيلة . والمُعَيْلُ الأسد والنمر والذئب  
لأنه يعيل صيداً أي يلتمس ؛ وعالي الشيء عيلاً ومعيلاً أعوزني وعال في مشيه  
تَمَّأَلَ واختال وتبخر . والعيلان الذكر من الضباع . وبلا لام أبو قيس  
أو الصواب قيس عيلان مضافاً وليس له مسمي وهو في الاصل اسم فرسه .  
هذا ولقبس عيلان بطون متفرعة منه ذكرها النسابون ومنهم ابن قتيبة  
في معارفه .



ساعد غيل (١) :

الأقشِر — تصغير أقشِر وهو الذي تشتد حرته حتى يتقشر (٢) .

(١) ومن معاني الغيل الغلام السمين العظيم . وغيلان اسم ذي الرمة .  
ورجل كان بينه وبين قوم ذحول لخلف ان لا يسالمهم حتى يدخل عينيه التراب  
أي يموت فرحوقه يوماً وهو على غرة فأبقن بالشر فجعل بذر التراب على عينيه .  
ويقول : تحل يا غيل أي يا غيلان يريد أنهم يصالحهم وانه قد تحل عن بينه  
فلم يقبلوا وقتلوه . وأم غيلان شجر السمُر (عن القاموس) وفي المصباح . .  
وفي حديث . ماستي بالغيل ففيه العشر وأم غيلان بالفتح ضرب من العضاء  
وهي سمى ومنه غيلان بن سلمة الثقفي وكان من حكام قيس في الجاهلية وأسلم  
وتحته عشر نسوة . وقيل : ثمان . فخيره النبي (ﷺ) فاختر أربعة ممن .  
(٢) أقشِر تصغير اقشِر وهو ما انفشر لحاؤه . ومن يتقشر أنه من الحر .  
والشديد الحرارة . وبه مصفراً لقب المغيرة الشاعر . وجد أسامة بن عمير الصحابي  
(عن القاموس) وفي الأساس في مجاز (قشر) خرج في قشرتين نظيفتين في  
ثوبين . وعليه قشر حسن . ورجل ذو رداء وقشر . وجارية بضة القشر والقشرة  
وهو البشرة ورجل مقشّر عريان . وجاء بالجواب المقشّر . وهو أشقر أقشِر  
شديد الحرارة كأنما قشر جلده . وأنت ترى ان ما جاء في الأصل هو مجاز .  
وحقيقته على ما في الأساس يقال : لوز مقشور ومقشّر . وهذه قشارته . وثوب  
رقيق كقشر الحية كسلاخها وحية قشراء . وشجرة قشراء . وفلان يتفكه  
بالمقشّر أي بالفستق المقشور اسم غالب عليه .

أما الأقيشِر ففي الشعر والشعراء لابن فتيبة هو المغيرة بن الأسود بن وهب  
أحد بني أسد بن خزيمية بن مدركة . وكان يغضب اذا قيل له أقشِر فر يوماً  
يقوم من بني عيس . فقال رجل منهم : يا أقشِر فسكت ساعة ثم قال :  
أتدعوني الأقيشِر ذاك اسمي وأدعوك ابن مطفئة السراج  
تناجي خدنها بالليل سرّاً ورب الناس يعلم ما تناجي —

حميس - اشتق من الحمس . والحمس شدة الغضب والحرب يقال : رجل أحمس إذا اشتد غضبه واشتد قتاله وقال رجل من بني سعد :  
 ولا أمشي الضراء إذا ادكراني ومثلي ثرة بالحمس الرئيس  
 ويصلح أن يكون حميس تصغير أحمس . والأحمس يكون على معنيين ،  
 أحدهما التليظ الشديد . قال الراجز<sup>(١)</sup> :

كم قد قطعنا من قفاف حمس

والآخر أحمس . واحد الحمس . والحمس قريش ومن ولدت قريش وحلفاؤها .  
 ويقال للرجل منهم : أحمس وقال عمرو بن معدى كرب :  
 أحباس<sup>(٢)</sup> لو كانت شياراً جياناً تأليت ما ناصبت بعدي الاحاسا  
 يعني بالاحاس بني عامر لأن قريشاً ولدتهم . قال رجل من بني قشير

- فسمي الرجل ابن مطفئة السراج . وولده ينسبون الى اليوم هذا وله أبيات  
 في هجاء مطر بن ناجية البربوعي حين غلب على الكوفة أيام الضحاك بن قيس  
 الشاري ومطر على المنبر يخطب فبلغ هجاؤه جريراً فألقى بني أسد فقال : انه  
 والله لولا الرحم ما اجترأ عليّ خليعكم فاستكروه وأخذوا الأقيشر فضربوه  
 ودس اليه جرير رجلاً وقال له : اذهب فقل : إني جئت لأهجو قومك وتمهجو  
 قومي فصار اليه . فقال له : بمن أنت ؟ قال : من بني تميم فقال :

فلا أسداً نسب ولا تمياً وكيف يحل سب الأكرمين

ولكن التقارض حل بيني وبينك يابن مضرطة المعينا (!)

فسمي الرجل ابن مضرطة المعين .

(١) هو المعجاج (المجمع) .

(٢) صواب الرواية : أعباس . ومعنى (شياراً) حساناً ؛ وقوله (تأليت)

صوابه (بتثليث) وهو اسم موضع (المجمع) .

إذا دفعت كعب صدور مطينا دفعتنا وكنا نحن خير الأحامس<sup>(١)</sup>

(١) الضراء الاستخفاء • والشجر الملتف في الوادي • ومعنى ادّراني ختاني •  
والحمس الشجاع كالأحمس والحميس • ولز أزم • وقول الراجز : كم قد قطعنا  
الغ جاء في تهذيب الألفاظ هكذا :

وكم قطعنا من قفاف حمس غير الرعان ورمال دهس  
حتى احتضرنا بعد سير حدس أمام رغس في نصاب رغس

القفاف جمع قف وهو غلظ من الأرض • والحمس الشداد الواحد أحمس •  
والرعان أنوف الجبال والواحد رعن • ويقال حدس في الأرض إذا ذهب •  
وقيل الحدس أن يرمي بنفسه في السير بغير هداية • والنصاب الأصل •  
ورغس مبارك •

الأساس : رجل أحمس من رجال حمس • وحمس بين الحماسة • وقد حمس •  
وهم أهل الساحة والحماسة • وهو رجل من الحمس وهم قريش لتحمسهم في دينهم  
وهو تصالهم •

المعارف : لابن قتيبة • • (الحمس) هم قريش ومن دان بدينهم من كنانة •  
وانما التحمس التشدد في الدين وكانوا لا يستظلون أيام منى • ولا يساؤون  
السمن ولا يدخلون البيوت من أبوابها • ويقفون بالمشعر • ولا يأتون عرفة  
ولا يلتقطون الجلة • وقال الزبير بن عبد المطلب وكان من رجالات قريش  
في الجاهلية :

ولولا الحمس لم تلبس رجال ثياب أعزة حتى يموتوا

قال ابن قتيبة : والحمس كنانة وقريش • ومعنى شيار في بيت عمرو بن  
معدى كرب سمان حسان •

مزينة - تصغير مزنة والمزنة السحابة (١) .

باسل - اشتق من بسالة الشدة . وبسالة الكراهة ، يقال للشجاع الكريه المنظر : هو باسل يتن البسالة ويقال لكريه المنظر : إنه لباسل . . وقال أبو ذؤيب :  
و كنت ذنوب البئر لما تبسلت      وسربلت أكفاني ووسدت صاعدي  
ويكون باسل من الحرام . يقال : ذلك أمر باسل أي حرام قال الأعشى :  
فجارتكم بسل علينا محرم      وجارتنا حل لكم وحليلها  
قال المتلمس :

حنت الى النخلة القصوى فقلت لها      بسل عليك الاتك الدهاريس

قال أبو عثمان : أنشدني الأصمعي قال : أنشدني ابو عمرو بن العلاء ( ألى نخلة القصوى ) . ويصلح أن يكون باسل من الاستبسال . يقال : استبسلى للموت اذا أعطى بيده . وأنشدنا الاصمعي . قال : أنشدنا رجل من أهل اليمن ( الدرايس ) (٢) .

(١) المزن بالضم السحاب . أو أبيضه . أو ذو الماء . القطعة مزنة .  
والموازن كصاحب بيض النمل . وأبو قبيلة ، وماء . والمزنة بالضم المطرة . وابن مزنة بالضم الهلال . وكجبهنة قبيلة . وهو 'مزني' ( عن القاموس ) .  
(٢) الأضداد في اللغة لأبي بكر الأنباري : وبسل من الأضداد . .  
يقال : بسل للحلال وبسل للحرام قال زهير :

بلاد بها نادمتهم وعرفتهم      فإن أوحشت منهم فإنيهم بسل  
أراد ( حرام ) . . وقال ضمرة بن ضمرة :

بكرت تلومك بعدوهن في الندى      بسل عليك ملامستي وعناي  
أراد ( حرام عليك ) وأنشدنا أبو العباس عن ابن الاعرابي :  
أيقبل ما قلت وتلقى زيادتي      دمي إن أخطت هذه لكم بسل  
أي دمي حلال مباح . ويكون بسل بمعنى آمين قال الشاعر :  
لا خاب من نفعك من رجاكا      بسلاً وعادى الله من عاداكا

المهجم - تصغير المهجم . والمهجم وقوع الشيء . يقال : هجم القوم بينهم إذا هدموه . قال علقمة بن عبدة :

صعل كان جناحيه وجوؤه بيت أطافت به خرقا مهجوم

أخبرنا أبو عثمان . قال : حدثنا الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء . قال : قتل بسطام . وبنو شيبان بسفوان . فما بقي بيت إلا هجم . ويقال للرجل إذا حلب كل شيء في الضرع : قد هجم ما في ضرعها (١) .

— أراد آمين . وأورد بيت الأعشى كما في الأصل وإن بسلا فيه بمعنى حرام . الأساس : فيه بسالة . وما أبسله . ولقد بسل وبسلس إذا تشجع . وأسد باسل وله وجه باسر باسل شديد العبوس . وأبسله للهلكة أسله . وأبسل بعمله أفصح . واستبسل للموت إذا استسلم . المصباح : بسل بسالة مثل ضخم ضخامة بمعنى شجع فهو بسيل وباسل . وأبسله بالألف رهنته وفي التنزيل ( أولئك الذين أبسلوا كما كسبوا ) . وورد في الشعر والشعراء ( تنسلت ) بدل ( تبسلت ) وهو غاظم من الطابع . وبيت أبي ذؤيب الهذلي من أبيات يذكر بها حفرتة كما في الشعر والشعراء أولها :

مطأطأة لم ينبطوها وإنها يرضي بها فرأطها أم واحد  
قضوا ما قضوا من رمها ثم أقبلوا الي بطاء المشي غير السواعد  
فكنت ذنوب البئر ( البيت ) وبعده :

أعادل لا إهلاك مالي حزني ولا وارثي إن سمع المال حامدي

تبسلت كره منظرها . ذنوب الدلو . في بيت المتلمس وروى الصاحبى ( النخلة ) بدل ( النخلة ) .

والدهاريس والدرهيس كلاهما بمعنى الدواهي والشدائد .

(١) في أمالي الشريف المرتضى ( رهنق ) بدل ( صعل ) وهذا البيت من قصيدة طويلة من مختارات الضبي في مفضلياته مستعملها : هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأنتك اليوم بمصرور

غسان - اشتق من شيبين . فقال : كان ذلك في غسان شبابه واسترخائه .  
ويقال للخصلة من الشعر غسنة من المرأة والفرس . والجماع الغسُن . أخبرنا  
ابو عثمان قال : أخبرنا يزيد بن مرة الدارع . قال : سمعت أبا الخطاب الأنخشي  
يقول : رجل غسن اذا كان ضعيفاً (١) .

- الصعل الخفيف الرأس والعنق . والمهجوم الساقط المصروع . وفي الأساس :  
والريح تهجم التراب على الدار تلقيه عليها قال ذو الرمة :  
أودى بها كلِّ عرّاص ألثَّ بها وجائل من عجاج الصيف مهجوم  
وفيه . . . صعل ظليم . ورجل صعل وأصعل صغير الرأس ونعامة وامرأة  
صعلة وصعلاء . وقد صعل صعلاً . وتقول : في رأسه صعل ، وفي رأيه عَصَل  
أي اعوجاج . أما عرّاص كككتان فالسحاب ذو الرعد والبرق الكثير اللعان .  
والبرق المضطرب اه وألث بها دام .

وفي كامل المبرد . . . وقد أورد بيت علقمة . والمهجوم المهذوم . وفي الخبر  
أنه لما قتل بسطام بن قيس لم يبق بيت في بكر بن وائل الا هُجم أي هدم .  
أما خبر قتل بسطام بن قيس سيّد شيبان فهو مبسوط في كامل ابن الأثير  
في يوم الشقيقة من أيامهم وهو يوم بين بني شيبان وضبة بن أد . وسفوان موضع  
في البصرة وبنو هجيم كزبير بطن .

(١) القاموس : الغسن المضغ . وبالضم الضعيف والغسنة والغسناة بضمها  
خصلة الشعر (ج) كهضرد وككتاب جلد يلبسه الصبي . وكفراب أقصى القلب ؛  
وكشداد وكيسان حدة الشباب : وما أنت من غسانه وغسانه من رجاله ،  
وكشداد ماء نزل عليه قوم من الأزد ففسبوا اليه . منهم بنو جفنة رهط الملوكة .  
أو غسان اسم القبيلة والغساني الجميل جداً . والاغسان أخلاق الناس . واخلاق  
التياب . والغيسانة الناعمة .

دعمي ودعامة - اشتق من الدعم . والدعم شيء ، يدعم به البيت لئلا يسقط  
والحائط ومنه دعامة (١) .

جديلة - أصل جديلة جبل من آدم . أو شعر بنتل وانما أخذ من الجدل  
والجدل شدة الطي والقتل وحسنه وجديلة بنت 'مر بن أد أم فهم وعدوان  
ابني عمرو بن قيس وإليها ينسب أبو عبد الله الجدلي الذي يحدث عنه (٢) .

(١) الأساس : مال حائطه فدعمه بدعامة ودعائم ودعامة ودعم . وبيت مدعوم  
ومعمود . فالمدعوم الذي يبيل فيريد أن يقع فتسند إليه ما يستمسك به .  
والمعمود الذي يتجامل ثقله كالسقف فتمسكه بالأساطين ، وأدعم الحائط على الدعامة  
اتكأ عليها . القاموس : دعمه كمنعه مال فأقامه . والدعامة والدعامة والدعام  
بكسرهن عماد البيت . والخشب المنصوب للتعريش جمعه دِعَم ودعائم . وككتابة  
السيد ، وخشبتنا البكرة . واداعم كافتعل اتكأ عليها . والدعمي بالنضم التجار  
الى أن قال ودعمي بن جديلة أبو قبيلة . والدعامة الشرط . والكسر ابن غنزية .  
وابنه قتادة بن دعامة صحابيان ، وكخراب بطن عظيم من العرب . وككتاب اسم .  
(٢) الأساس : جدل الحبل فتله . وزمام مجدول وهو الجديل . تقول :  
كأن في الجدبل إحدى بنات جدبل . وطمنه فجدله ألقاه على الجدالة وهي  
الأرض قال :

قد أركب الآلة بعد الآله وأترك العاجز بالجداله  
وتقول : ان وقفن فجدال ، وان مررن فأجادل . وهي القصور . قال الأعشى :  
في مجدبل شيد بنيانه يزل عنه ظفر الطائر  
والرواية المشهورة ( يزل عنه قدم الطائر ) . القاموس : بعد أن ذكر معاني  
كثيرة لهذا الحرف قال : وجديلة بنت سبيع بن عمرو من حمير أم حي . والنسبة  
جدلي وأنت ترى اختلافاً بين ما جاء في الأصل والقاموس في نسب جديلة .

لؤي - تصغير لأي . ولأي اسم من الأسماء يصلح أن يكون من ثلاثة أشياء . يصلح أن يكون من اللأي واللاي والثور<sup>(١)</sup> .  
والراش - يصلح أن يكون من ثلاثة أشياء يصلح أن يكون من راش السهم يريشه . ويصلح أن يكون من قول العرب : فلان يريش ويبري . ويقال : بعير راش إذا كان ضعيف الظهر مهزوله . وكان الأصل كما قال راشد نخفف ههنا كما قال هار وهائر . . وقال ساعدة بن جوبة<sup>(٢)</sup> :  
من كل أظمي عائر لاشانه قصر ولاراشي الكعوب معلب  
يقول : لا ضعيف الكعوب . ولا معلب وهو الذي انكسر فشد بملاء<sup>(٣)</sup> .

(١) لم يذكر غير واحد من الثلاثة التي يصلح أن يكون لؤي مشتقاً منها ولعل قلم الناسخ طوى الآخرين سهواً . وانك لتري الثلاثة مبيّنة بما ستراه قريباً . وفي المقصور والممدود لابن ولاد النحوي : واللاي الثور . وزعم ابو عمرو أنها البقرة مقصور . يكتب بالياء . ولو كان هذا من ذوات الواو لكتب بالياء على الاختيار لمكان الهزلة التي قبل آخره كأنهم كرهوا الجمع بين ألفين . ويقال : بكم تببع لآك بوزن لعاك ؟ وقال الطرماح :

كظهر اللأي لوتبغني ربة بها نهراً لعيت في بطون الشواجن

ويروي لعنت من العناء ، والشواجن الأودية . وربة ماتوري به الناز .  
القاموس : اللأي كالسعي الإبطاء والاحتباس والشدة كاللأي كاللعة . واللاوآء  
واللأي وقع فيها . والتأي أفلس وأبطأ . واللأي كاللأي الثور الوحشي أو  
البقرة . ولأي اسم : تصغيره لؤي . ومنه لؤي بن غالب بن فهر .

(٢) الصواب جوبة بالهمز وهو هندي مخضرم (المجمع) .

(٣) روي البيت في مبادئ اللغة هكذا (\*) :

من كل أظمي عائر لاشانه قصر ولاراشي الكعوب معلب -

(\*) ويروي في الحزاة البغدادية (٧٣/٣) :

[ من كل اسم ذابل لا ضرة قصر ... ]

وهو من قصيدة طويلة عدتها ٥٢ بيتاً (مجمع) .



مُجلاس - (بياض) ولعل المتروك (يصلح ان يكون من) جَلَسَ يجلس  
 اذا قعد . ومن جالس يجلس اذا قصد نَجْدًا فان أهل الحجاز يسمون نَجْدًا  
 الجلس . يقولون : قد جلسنا اذا خرجوا الى نجد . قال رجل من هذيل :  
 اذا ما جلسنا لا تزال ترومنا مُسَلِّمٌ لدى أياتنا وهوازن  
 يريد اذا أتينا نجدًا . قال عمر بن ربيعة :

اذا أم سرباح غدت في ظمائن جوالس نجدًا فاضت العين تدمع <sup>(١)</sup>

— الأظمي المكتنز . والعاتر بقولون : سيف باتر . ورمح عاتر اذا اضطرب  
 وتراجع في اهتزازة . قال العجاج :  
 وكل خطبي اذا هنر عتر

ويقال : سيف معلب ومعلوب مشدود بالعباء . وفي اللسان . رمح معلب  
 اذا جُلِدَ وألوي بمصب العلباء .  
 المخصص : علبت السيف أعلاه علبًا . وعلبته شددت مقبضه بعلباء البعير وهو  
 عصبة في عنقه . سمي به الرائش الحميري ملك كان غزاه قومًا فغنم غنائم كثيرة  
 وراش أهل بيته . قال الجوهري : والحرث الرائش من ملوك اليمن .  
 (١) المخصص : ابن السكيت . جلس يجلس جلسًا أتى جلسًا وهي نجد .  
 وأنشد البيت . وفيه بمادة جلوس وقد جالسته مجالسة وجلاسًا . وكان اسم  
 جللاس أخذ من هنا .

التهذيب : وجلس فهو جالس اذا أتى جلسًا وهي نجد . قال مالك بن خالد  
 الخناعي وأورد البيت كما في الأصل وأما البيت (اذا أم سرباح) المنسوب في  
 الأصل الى عمر بن ربيعة فيقول ابن السكيت في تهذيب الألفاظ : قال الأصمعي :  
 وأنشدنا أمير كان على مكة (والشعر لدراج الضبابي) :

ولما دخلت السجن أبقت أنه هو البين لا بين النوى ثم يجمع  
 اذا أم سرباح غدت في ظمائن جوالس نجدًا فاضت العين تدمع  
 فما السوط أبكاني ولا السجن شفني ولكنني من خشية البين أجزع

- حرقوص - يسمى بداية صغيرة تكون بالبادية شديدة اللسعة (١) .  
 قرفة - قشر الشجرة . يقال : صينغ ثوبه بقرف الشجر وقرف السدر .  
 والقرفة التهمة . يقال للرجل : من قرفتك أي من تهيم (٢) .  
 بشامة - شجرة طيبة الرائحة يستاك بها (٣) .

— والسرياح كبريال الطويل والجواد . وأم سرياح امرأة دراج بن زرعة الضبابي  
 أمير مكة . وفي الفصول والغايات للمعري . . ودراج بن زرعة الكلابي كان  
 حبسه الحجاج فمات في الحبس أو قتل وهو القائل :

( إذا أم سرياح غدت في ظمائن ) البيت . وبعده :

فأبلغ بني عمرو إذا ما لقيتهم بأية كراتي إذا الخيل تقدع  
 فما القيد أبكاني ولا السجن شفني ولا اني من رهبة الموت أجزع  
 ولكن أقواماً ورأني أخافهم إذ امت أن يعطوا الذي كنت أمتنع

القاموس : والجلال كغراب ابن عمرو . وابن سويد صحابي

- (١) القاموس : الحرقوص بالنضم دويبة كالبرغوث تحتها كحمة الزنبر .  
 أو كالقراد تلتصق بالناس . أو أصفر من الجمل . وابن مازن تميمي . وابن زهير  
 وكان صحابياً فصار خارجياً .

(٢) القرف بالكسر القشر أو قشر اللؤلؤ وقشر الرمان ومن الخبز ما يتقشر  
 منه ويبقى في التنور . وبهاء التهمة والهجنة والكسب . والقشرة وقشور الرمان . وضرب  
 من الدارصيني . وهم قرفني أي عندهم طلبتي . وسلمهم عن نافتك فانهم قرفة أي تجرد  
 خبرها عندهم . ويقال : أمتنع وأعتز من أم قرفة لأنه كان يعلق في بيتها خمسون  
 سيفاً لخمسین رجلاً كلهم محرم لها زوجة مالك بن حذيفة ابن بدر . وقرفة بن سبيس  
 أو سبيس . أو مالك تابعي . وحبيب بن قرفة العوذلي شاعر ( عن القاموس ) .

(٣) الأساس : بشم الفصيل من اللبن والرجل من الطعام إذا أنجم . وفي كلام  
 الحسن . . وأنت تبتشأ من الشبع بشماً . واستاكت بفرع بشامة . وتقول :  
 ما أهل الشام إلا كشجر البشام دهنه من أطيب الأفواه . وعودة مطية الأفواه .  
 القاموس : وبهاء ابن القدير . وابن حزن شاعران .

معد - موضع رجل الراكب من الفرس . . قال الشاعر :  
 نأبي المعدّين وأى نظّار محجل لاح له خمار<sup>(١)</sup>  
 عنزة - سميت بذئبة دقيقة الخصر لطيفة والعنزة الحربة أيضاً<sup>(٢)</sup> .

(١) القاموس : والمعد كمرّد الجنب والبطن واللحم تحت الكتف . وموضع عقب الفرس . وعرق في منسج الفرس (الأسفل من حاركه) . والمعدّان من الفرس ما بين رؤوس كتفيه الى مؤخر متنه . ومعدحي وبؤنث وهو معدّي . اللسان : المعدّان الجنبان من الانسان وغيره . . وقال اللحياني : المعد الجنب فأفرده . والمعدّان من الفرس ما بين رؤوس كتفيه الى مؤخر متنه . وقيل : المعدان من الفرس ما بين أسفل الكتف الى منقطع الأضلاع وهما اللحم الغليظ المجتمع خلف كتفه ويستحب نتوئهما . والمعد موضع عقب الفارس الى أن قال : ومعدحي سمي بأحد هذه الأشياء وغاب عليه التذكير . مبادئ اللغة : والمعدان موضع السرج من جنبه . . قال ابن أحرر :

فإما زال سرج عن معدر وأجدر بالحوادث أن تكونا

فلا تصلي بمطروق اذا ما سرى في القوم أصبح مستكينا

أما البيت المستشهد به في الأصل (نأبي المعدين) نأبي من نأ الشيء عنه تجافى وتباعد . المعدين تقدم معنهما . الوأى الفرس السربيع . وقيل : الشديد أخذ من قولهم : قدّر وثية . وأنشد ابن بري لشاعر :

اذا جاءهم مستنفر كان نصره دعاء الأَطروا بكل وأى نهد

ملخص عن اللسان : ونظّار أي فرس طامح الطرف لشهامته وحدة فؤاده . لاح له خمار أي غبرة (عن الأساس) .

(١) العنز الماعزة وهي الأثني من المعز . والعنزة بفتحين أطول من العنزة وأقصر من الرمح وفيها زج كزج الرمح . قال الجوهري : والعنز الأثني من الظباء والأوعال وهي الماعزة . وفي مبادئ اللغة . . والعنز بالباءية من السباع

عكابة - اشتق من الغبار اذا أثارته الخيل والابل يقال : ( رأيت القوم  
ثار لهم عكوب )<sup>(١)</sup> .

حذيفة - اشتق من الحذفة . والحذفة ضرب من الضأن<sup>(٢)</sup> .  
حباب . . . - وهي ضرب منها . . قال الشاعر :

تلاعب مثنى حضرمي كأنه حباب نقا يتلوه مرتجل (١)<sup>(٣)</sup>

- دقيق الخطم . وفي لسان العرب عن الأزهري : العنزة عند العرب من جنس  
الذئب وهي معروفة . ومن مسمياتها عنزة بن أسد بن ربيعة ، أو ابن عوف  
أبو حي .

(١) العكوب بالفتح الغبار . وعكابة كدخانة ابن صعب أبو حي من بكر  
بن وائل . أما بكر فن ولد علي بن بكر ومن ولد علي صعب وولد لصعب  
الجيم بن صعب وعكابة بن صعب . وولد عكابة قيساً وتعلبة .

(٢) حذفه يحذفه أسقطه . ومن شعره أخذه . وبالعصا رماه . وفي مشيته  
حرك جنبه وعجزه . أو تدانى خطوه . وفلاناً بجائزة وصله بها . والسلام خففه  
ولم يطل القول به وككناسة ما حذفه من الأديم وغيره . كشمامة ابو بطن من  
قضاة . وكجهينة بن أسد . وابن أوس . وابن عبيد . وابن الجان حسل .  
وآخران أزدي وبارقي غير منسوبين صحابيون ( ملخص عن القاموس ) .  
والحذف محرقة طائر أو بط صفار وغنم سود صفار .

(٣) في الأصل نقصان بعد الحكم الى قوله : وهي الخ وحباب كغراب الحية .  
وحي من بني سليم . واسم . وجمع حبابية لدوية سوداء مائة . واسم شيطانة .  
وأم حباب الدنيا وكسحاب امم . والطل . وفي الخصاص لابن سيده : والحباب  
حبيبة لبس من عوارم الحيات : وعم به ابو عبيدة جميع الحيات قال : وانما قيل  
الحباب اسم شيطان لأن الشيطان من أسماء الحية . أما عجز البيت المستشهد به  
فقد جاء على هذه الصورة وفيه نقصان القافية وهو غير مستقيم وزناً ومعنى .

علقمة - يقال : انه لطعام شديد العلقمة يربد شديد في المرارة<sup>(١)</sup> .  
زبان - حي من غني . وقال الشاعر :

لقيت زبان حد يوم كريمة . وعلى مصرم وابل صنديد  
وأصله من الزبن . والزبن الدفع . وأنشد لأبي النجم :  
تزين لحيي لاهج محال<sup>(٢)</sup>

— ولم نجد في المراجع التي بحثت متناولنا ما ينطبق على رواية البيت وتصحيح وزنه .  
ولكن رواه في المخصص هكذا<sup>(\*)</sup> :

تلاعب مثنى حضرمي كأنه تعمج شيطان بزدي خروج قفر  
والتعمج النلوي وعنى بالحضرمي الزمام أراد كأن تعمجه تعمج شيطان .  
وعلى هذه الرواية لا يكون البيت شاهداً ولعل عجز البيت :  
( حباب نقا بلوى بزدي خروج قفر )

(١) العلقمة الخنظل . وكل شيء مر . والنبيقة المرة . وأشد الماء حرارة .  
والعلقمة المرارة . وجمل الشيء المرء في الطعام وعلقمة الخصي . وابن عبدة  
الفحل . وابن علائنة شعراء هكذا في القاموس .

(٢) الزبن الدفع زبنته أزبنه زبنا . وتزبان القوم : تدافعوا والزبون الدفع .  
فأما قولهم زبآن اسم رجل فقد يكون من الزبن فهو على هذا فعال من الزبن  
كجهد من الحمد وقد يكون فعلاً من الزبب وهو كثرة الشعر كما قالوا شعيران .  
واختار أبو علي هذا الوجه وعلله بان مجيئه غير مصروف في الشعر أكثر (عن  
المخصص) وزبان بن مرة من الأزد . وزبان بن امرئ القيس وزبان حي من  
غني من غطفان وهم من بطن قيس بن عيلان .

أما البيت الأول فلم نعثر على اسم قائله ولم نجد له ذكراً في المصادر التي  
بين أيدينا . وقول أبي النجم (تزين) وعجزه :

عن ذي قراميص لها مجمل

(\*) وهي رواية اللسان أيضاً « جب » (المجمع) .

ججاش - من مجاشية الرجل الرجل بالخصومة أو القتال . يقال : ججش وجهه اذا كدحه . وبعض العرب يقول : ججاس بالسين . ويقال : ججشه وججسه في معنى واحد . قال الشاعر :

ان عاش قامى لك ما أقامى والطعن في يوم الوغى الججاس<sup>(١)</sup>

— هو من أرجوزة طوبلة يبلغ عدد سطورها (١٩١) وكلها في وصف الابل وايرادها واصدارها . ووفد على هشام وقد ناهز السبعين وعنده جماعة من الشعراء فأمرهم بوصف الابل كأنه ينظر اليها في ايرادها واصدارها فأشده وأنشده أبو النجم هذه اللامية فلما بلغ قوله :

حتى اذا الشمس اجتلاها المحتلي بين سماطي شفق مهول

فهي على الأفق كعين الاحول صفواء قد كادت ولما تفعل

أمر بوج، عنقه واخرجه . فعاش فقيراً طريداً وأغضب هشاماً قوله :

(فهي على الأفق كعين الاحول) لانه كان أحول .

وأما معنى بيت أبي النجم (فتزين) تدفع (ولحي) تثنية (لحي) وهما منبتا اللحية وهي شعر الخدين والدقن و (لاهج) من لهج الفصيل أخذ في الرضاع وهو لهرج ولهج . و (مخال) يقال فصيل مخال اذا جعل له خلال والخلال عود يجعل في لسان الفصيل لئلا يرضع . وإياه عنى امرؤ القيس :

كما خل ظهر اللسان الحجر

كذا في اللسان والفصول والغايات للمعري . ويعني بندي قواميص ضرعها أي اذا بركت صار له في الأرض قرموص وهو ما يحفره الطائر في الأرض ليبيض فيه . والحجل الذي نيه أثر من الصر وهو طلاء من طين أو سزقين يطلى على أطباء الناقة لئلا يرضعها الفصيل . (عن الفصول والغايات) .

(١) جاء في الصفحة (٤١) من هذا الحرف (ججوش) الججش كالمنجع ينجح الجلد وقشره من شيء يصيبه أو كالخدش أو دونه أو فوقه . وولد الحمار جمعه ججاش وججشان . وصحابي مجمعي . وزينب أم المؤمنين وأخواها عبد الله وعبد —

الأخيف - اسم وهو أن تكون إحدى عينيه زرقاء . فإذا اختلف فيه  
 ضروب الأشياء قيل مخيف<sup>(١)</sup> .  
 مكرز - اشتق من الكرز . يقال للرجل إذا اختبأ في شجر أو مكان :  
 قد كرز في مكان كذا وكذا وهو يكرز كروزاً . قال الشاعر :  
 فلما رأين الماء قد حال دونه ذعاف لذي جنب الشريعة كارز  
 وكرز سمي بخرج الراعي الذي يحمله على بعض الغنم يجعل فيه متاعه .  
 وكريز تصغير خرج الراعي . قال الشاعر :  
 باليت أني وسبيعاً في الغنم والخرج منها فوق كراز أجم  
 وكرزير تصغير كرز<sup>(٢)</sup> .

— بنو جحش بن رثاب (رض) وكككتاب بن ثعلبة أبو حي من غطفان  
 (ماخص عن القاموس) .  
 وأما الجحاس بالسين . ففي القاموس جحس فيه كجعل دخل ٦ ورجلده  
 كدحه وخذشه ٦ وفلاناً قتله والجحاس القتال وجاحسه زاحمه .  
 (١) فرس أخيف إحدى عينيه زرقاء والأخرى كجلاء ٤ ونزلوا بالأخيف  
 وهو المكان المرتفع ٦ وأخافوا وأخيفوا نزلوا بخيف منى ٦ وأخياف مختانون ٦  
 وخيفت بأولادها جاءت بهم أخيافاً . وأشياء مخيفة إذا كانت ضروباً مختلفة  
 (عن الأساس) وسموا أخيف .  
 (٢) البيت الأول للشماخ من قصيدة مشهورة ذكرها أبو زيد في جهرته في المشوبات .  
 والشماخ كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة اسمه معقل بن ضرار . وهو من أوصف  
 الشعراء للقوس والحر . قال يصف القوس :  
 وذاق فأعطته من اللبن جانباً كفي ولها أن يفرق السهم حاجز  
 إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز  
 ويصف في البيت حمراً وردت الماء فأحسب الصائد فنفرت منه . وكارز  
 الصائد . وبعده :

خفاجة - اشتق من الخفج وهو عيب في المشي قال الشاعر :  
 أو خفجاً حرق رجلاً وبدا أو عرجاً أو نقباً خفيداً (١)  
 قتيبة - اشتق من القتبة وهي المعى من أمعاء الانسان . يقال : طعنه  
 فاندلقت أفتاب بطنه (٢) :

— ركن الزباني فاتبعن به الهوى كما تابعت شد العنان الخوارز  
 أي انهمز من واحدة في إثر واحدة . فاتبعن أي قصدن هوى الحمار . وروى  
 أبو زيد (على) بدل (لدى) والأساس (الى) .  
 والكرزاز في البيت الثاني كشداد وهو الكبش يحمل خرج الراعي وكأنه  
 نسب الى كرز الذي يحمله . وهو معروف عند الرعاة بهذا الاسم سواء أحمل  
 الخرج أم لم يحمله ويتقدم الغنم في سوقها بأسرحها ويتخير من أشد الذكرات  
 قوة . وأجم من أجم العظم اذا كثر لحمه (\*) .  
 وسماوا كرزاً وكريزاً ومكرزاً .

(١) الخفج محرّكة داء اللابل . خفج كفرح . وخفج بفتح الفاء اشتكى  
 ساقه نقباً . وحرق أي حك كلاً من يده ورجله بالأخرى . والنقب اما من  
 النقابة وهو قرحة تخرج بالجذب تهجم على الجوف رأسها من داخل . واما من  
 نقب خف البعير رق وتثقب . أو من النقبة وهي أول الجرب وخفيداً سربعاً .  
 وفي الخصاص عن أبي عبيد . فان كانت رجلاً البعير تعجلان بالقيام قبل أن  
 يرفعهما كأن به رعدة فهو أخفج وقد خفج خفجاً ونافق خفجاء .

(٢) القتب جمع أفتاب مثل سبب وأسباب . والأفتاب الأمعاء واحدها  
 قتب مثل احمال وحمل . وقد يؤنث الواحد للمبالغة فيقال : قتبة . وتصغيرها  
 قتيبة وبها سمي الرجل والنسبة ففتني كجفتني .

(\*) أو لعل للراد . من الأجم . من لا قرن له (المجم) .



زغلول - والزغل ان تقطع الناقه بولها زغلة زغلة . وهي قطعة قطعة وكذلك الدم <sup>(١)</sup> .

هرماس - الشدبد الخطوم لكل شيء . يقال : أسد هرماس . ومثله قرناس <sup>(٢)</sup> .  
الذرواس - الغليظة الرقبة <sup>(٣)</sup> .

فزاره - اشتق من الفزر . والفزر قطعك الشيء . يقال : ضربته ففزر ظهره .  
ومن ثمت قيل للأحذب أنزر . قال الشاعر :

بدق معزاء الطريق الفازر دق الدراس عرم الأنادر

(١) عن الأساس . صبية زغاليل صغار . ويقولون : كيف زغلولك ؟  
إذا سألوه عن صغيره . وزغل الماء وأزغله إذا صبه دفعة دفعة . وأزغل الشارب  
الشراب إذا سجه . وفي القاموس وكسر سور الخفيف واسم . والطفل (أه) .  
ويسمون فرخ الحمام زغولاً .

(٢) الهرماس بالكسر الأسد الشديد العادي على الناس كالهريس والهرماس .  
وولد النحر . وابن زياد الصحابي أو هو لقب واسمه شرع . والقرناس بالضم  
والكسر شبه الأنف يتقدم من الجبل . ومن النوق المشرفة الاقطار (عن القاموس) .  
أصحاب النبي (ﷺ) من بني نضير بن عامر بن صعصعة الهرماس بن زياد الباهلي  
روى عن رسول الله (ﷺ) وأورد له حديثاً .

(٣) فقه اللغة : في باب أوصاف فحول الإبل « فإذا كان العنق غليظاً شديداً  
فهو عبرياض ودرواس . وكذلك جملة في القاموس من أوصاف الجمل اللؤل  
الغليظ . وترى في الأصل انه من صفات الأثني . وقال في القاموس : والدرواس  
بالكسر علم كلب . والكبير الرأس من الكلاب . والشجاع والأسد كالدرباس .

العرم مثل الجبل يكون في الوادي والنهر منبع الماء . الأنادر البيادر <sup>(١)</sup> .

(١) فزر الثوب شقه فتفزر وتفزر . وفلاناً بالعصا ضربه على ظهره .  
وفلان خرج على ظهره أو صدره فزره أي عجرة عظيمة فهو أفزر ومفزور .  
والفزر بالكسر : لقب سعد بن زيد مناة وفي الموسم يعزى فأنهبها . وقال  
من أخذ منها واحدة فهي له ولا يؤخذ منها فزر وهو اثنتان فأكثر . وابن البهر  
وبنته الفزرة وأمه الفزارة كسحابة وهي أنثى النمر <sup>(\*)</sup> . وبلا لام أبو قبيلة من غطفان  
ملخص عن القاموس . وعن مبادئ اللغة للاسكافي .

والبهر يسمى الفزر . ويقال : انه قاهر للأسد والفزرة الأنثى . وولد الذكور  
المهدبَس . والآنثى الفزارة ، قال الشاعر :

ولقد رأيت فزارة ومهدبَسا والفزرزَ يتبع فزره كالضيون

وفي المخصص عن صاحب العين الفزر : ابن البهر والفزارة أمه . والفزرة  
أخته والمهدبَس أخوه ومنه اشتقاق فزارة للقبيلة .

أما العرم هنا فهو ما يجمع من الحصاد ويعرم بعد الدياس وموضع الدياس  
يسمى المَداس وهو الأندر والبيدر والجرين ويسمى بالفارسية جوات وجمع  
الأسماء الثلاثة أنادر وبيادر وأجرنة (ملخص عن مبادئ اللغة) .

وفي القاموس : الأندر البيدر أو كدَس القمح .

\* \* \*

الى هنا انتهى كتاب الاشتقاق والتعليق عليه بقدر الطاقة ، ولا أزعم اني  
بلغت الغاية مما يقضي وما يتطلبه التدقيق في الشواهد الشعرية ، وقد قُت بالمستطاع  
على قدر الامكان ، والله أحمد في البدء والختام .

في ٢٢ شعبان المعظم سنة ١٣٧٠ و ٢٨ أيار سنة ١٩٥١

سليمان ظاهر

\*\*\*\*\*

(\*) البهر نمر الهند وهو غير النمر الأرقط ، فله الصواب انثى البهر ( يجمع ) .

## دراسات

عن مقدمة ابن خلدون

- ٢ -

ابن خلدون مؤسس علم التاريخ وموجد علم الاجتماع  
(تمت)

(و) الدولة وتطوراتها (ص ٣٥٤ - ٣٨٩) :

ومع أن ابن خلدون لا يعرف الدولة فاننا نفهم من كلمة الدولة عنده شيئين :  
الملك أو الدولة بالمعنى المفهوم اليوم ثم الأمرة الحاكمة . ثم ان للملك عند  
ابن خلدون معنى آخر هو الحكم . والفرق بين الملك والخلافة ظاهر ، فالملك  
هو « الحكم الديني » والخلافة هي حمل الناس على أن يسيروا بمقتضى الشرع  
لبلوغ مصالحهم الأخرية وما يتصل بها من مصالحهم الدنيوية . وكذلك يفرق  
ابن خلدون مرة أخرى بين الملك والرئاسة بالعصية . ان الرجل اذا أقر له  
تابعوه بالتقدم عليهم من تلقاء أنفسهم ، لفضل فيه عليهم ، فهو الرئيس بالعصية .  
فاذا هو اضطر الى حملهم على طاعته بالقوة فذلك هو الملك .

وابن خلدون يتوسع كثيراً في الكلام على اعمار الدول . فالدولة لها عمر  
طبيعي كالانفراد ، وهو نحو أربعة أجيال أو نحو مائة وعشرين سنة ، ذلك  
لأن مؤسس الدولة يحافظ عليها لأنه جهد في توطيد أركانها . فاذا جاء ابنه  
ورأى ما عاناه ابوه حرص أيضاً على الاحتفاظ بها . فاذا جاء الجيل الثالث ظن  
أن الدولة حق له لا ينازع فيه فأهمل النظر في شؤونها . فاذا جاء الرابع غفل  
عن حقيقة الدولة وانصرف الى لهوه ثم جمع بطانة السوء حوله . اتنا اذا فهمنا

«الدولة» على أنها الأسرة الحاكمة فحينئذ يصدق قول ابن خلدون الى حد .  
من ذلك مثلاً :

— بنو أمية منذ تولي معاوية على الشام سنة ١٨ هـ الى سقوط الدولة الأموية  
سنة ١٣٢ هـ ١١٤٤ سنة هجرية .

— آل تيودور في انكلترا منذ ١٤٨٥ الى ١٦٠٣ ، ١١٨٤ عام شمسي أو  
١٢١ سنة هجرية .

— الأميرة العلوية في مصر منذ أصبح محمد علي خديوي مصر عام ١٨٤١  
الى تنازل فاروق عام ١٩٥٣ ، ١١٢ عام شمسي أو ١١٥ سنة هجرية .  
أما الأمر المالكة التي تعيش أكثر من أربعة أجيال كبنو العباس في بغداد  
وآل يوربون في فرنسا والموحدين في المغرب والاندلس فهي في الحقيقة أمر  
تنتمي الى فروع مختلفة من أهل الدولة الواحدة . ومع اني لا أريد أن أصر  
على أن رأي ابن خلدون صحيح تماماً ، فاني لا أراه كثير الفساد .  
( ز ) الحروب ( ص ٣٩٠ - ٤١٤ ) :

بنكلم ابن خلدون في هذا الفصل على أسباب الحروب ومذاهب الأمم في  
خوض حروبها وعن أدوات القتال .  
( ح ) النفس الانسانية ( ص ٤١٥ - ٤٣٦ ) :

يرى الأستاذ ساطع الحصري ان من أبرز آراء ابن خلدون في «علم النفس»  
أنه رأى في النفس الانسانية ناحية الفكر وناحية العمل باليد ، «وانه قرن  
الفكر باليد وأظهر عمل اليد الأسامي في خدمة الفكر» . إن الصناعات التي  
يأمرها الانسان بيده تزيد قوة في عقله ووفوراً في ذكائه . فان برغسون  
الافرنسي لما ألف كتابه : «ينبوع الأخلاق والدين» ومس هذه الصلة الوثيقة  
بين اليد والفكر لم يخرج في ما ذكره عام ١٩٣٢ عما كان ابن خلدون قد عرفه  
قبله بنحو أربعة قرون ونصف قرن ( ص ٤٢٢ ) . وهناك أيضاً ملاحظات أخرى قيمة

متفرقة سبق فيها ابن خلدون علماء أوروبا المعاصرين ثم لم يقل عنهم اصابة رأي ولا عبقرية .

( ط ) التربية والتعليم ( ٤٣٧ - ٤٨٤ ) :

التربية والتعليم موضوع هام جداً في مقدمة ابن خلدون: وقد خص ابن خلدون هذا الموضوع بفصول مستقلة ، كما انه أبدى ملاحظات هامة ورقيقة في فصول أخرى لا تتصل مباشرة بموضوع التربية والتعليم ( ص ٤٤١ - ٤٤٢ ) . ومما يدل على عبقرية ابن خلدون في هذا الباب ربطه التربية والتعليم بعلم النفس وبالواقع الاجتماعي معاً . وليست غاية التربية والتعليم عند ابن خلدون نقل العلوم والعادات من شخص الى شخص ( أو من جيل الى جيل ) فقط ، بل من غايته أيضاً « جلاء معاني الانسانية في الناشي » ( ص ٤٥٦ ، راجع المقدمة ٥٤٠ ) . ومن النظرات العميقة الدقيقة عن ابن خلدون ان ملكة علم من العلوم لا تستحکم في النفس إلا اذا حفظ المتعلم أصول ذلك العلم وفروعه ثم نسيها . حينئذ تمحي ( بنشدب الميم ) رسوم العلم الظاهر وتظل في نفسه أسسه ومنهاجه . ويعلق الأستاذ المصري على هذه الملاحظة بقوله ( ص ٤٧١ ) : « فان الأثر الذي يبقى في النفس من جراء الحفظ - بعد نسيان المحفوظ - من أهم الملاحظات النفسية التي تؤثر تأثيراً عميقاً في نظريات التربية والتعليم » .

ويبدى ابن خلدون في تعليم القرآن الكريم خاصة ملاحظة قيمة جداً . يذكر ابن خلدون أن أهل المغرب وأهل الأندلس ( كأهل المشرق ) يبدأون بتعليم القرآن الكريم للصبيان وهم صغار ، ثم هو يذكر أيضاً أن القاضي أبا بكر ابن العربي يقترح تأجيل تعليم القرآن للولدان الى أن يستطيع الولد التمييز والفهم ( بعد أن يتعلم علوم العربية والأدب والحساب والفقه ) إذ لا فائدة من أن يقرأ الولد شيئاً لا يفهمه . وبوافق ابن خلدون على هذا الاقتراح من حيث الأساس « اذ لا يجوز ان يلقن الولد شيئاً « لا يفهمه » ولكنه حينما ينظر الى

« واقع التعليم » يرى أن هذا الاقتراح مضر ، وذلك لأن المؤلف ان ينصرف الناشئون عن الاهتمام بأمر الدين وحفظ القرآن اذا ينفوا ثم بلغوا مبلغ الصبا . من أجل ذلك يجب أن تتميز الفرصة فيهم فيلقن الطفل القرآن الكريم مادام خاضعاً لمن فوقه ، خالياً من نوازع الحياة . من أجل ذلك كان مذهب أهل المشرق والمغرب في تعليم القرآن للأولاد في أول سني تعليمهم أصوب من تركهم حتى يوغلوا في الصبا . ذلك لأنهم اذا لم يتعلموه في أول أمرهم لم يتعلموه بعد ذلك البتة ( ص ٤٧٨ - ٤٧٩ ) .

( ي ) التفكير والايان - العقل والنقل ( ص ٤٨٥ - ٥٠٨ ) :

ابن خلدون أشعري متدين في حياته الشخصية ، ولكنه منحور يؤكد جانب التفكير المحض عند البحث ومعالجة الموضوعات . « ان ابن خلدون لم يحاول تحكيم الشريعة في كل شيء ولا رد كل أمر الى أحكام الدين » . لقد قال ان النبي بُعث ليعلّمنا مسائل التوحيد والمعاد وليهذب نفوسنا ولم يبعث ليعلّمنا الطب والفلك مثلاً . ثم هو يضرب على ذلك أمثلة ثابتة في الحديث الشريف منها مسألة تأبير النخل المشهورة .

ومما يتصل بهذا الباب ان ابن خلدون يخص العصبية بفصول كثار ويجعلها أساساً لنشوء الدول وللتناحر في الحروب ، ثم هو يفتن الى أن القرآن الكريم قد ذم العصبية ، فيقول : ان القرآن الكريم قد ذم العصبية من حيث هي مثار للتنازع الداخلي وللحمية الجاهلية . ولكن « اذا كانت العصبية في الحق وإقامة أمر الله [ فأنها حينئذ ] أمر مطلوب . ولو بطلت العصبية في هذه الأمور [ لبطلت الشرائع ، إذ لا يتم قوامها ] قوام الشرائع [ الا بالعصبية » ( ص ٤٩٥ ) .

فابن خلدون يتبع إذن في أمور العلم والاجتماع سبيل العقل لا يجيد عنه . وأما في المادرايات ( في أمور ما وراء الحس : كالايمان بالله والآخرة وما يتبع ذلك من الفروض التي فرضها الدين ) فهو يأخذ بما جاءت به الأوامر الدينية ، إذ يعتقد ان هذه الأمور خارجة عن نطاق العقل .

(ك) الخط والكتابة (ص ٥٠٩ - ٥٢٢) .

(ل) المدن والأمصار (٥٢٣ - ٥٣١) :

ولابن خلدون ملاحظات قيمة في الشروط التي يجب أن تراعى عند بناء المدن من الناحية الصحية والاقتصادية والعسكرية والعمرائية .

(م) الحياة الاقتصادية (٥٣٢ - ٥٤٢) :

ان الاعتقاد بأن الأمور الاقتصادية تتبع قوانين ثابتة ومناهج معينة ، وتدوين ذلك تدويناً منظماً ، لم يبدأ في رأي الغريين الا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . ولكن ابن خلدون سبق كتاب الغرب ومفكرهم في هذا الاعتقاد بمدة لا تقل عن أربعة قرون (ص ٥٣٣) .

ومن الأمور التي سبق ابن خلدون فيها علماء الاقتصاد المحدثين - حتى المتأخرين من غلاة الماركسية - إعلانه منذ القرن الرابع عشر «ان الكسب انما هو قيمة الأعمال الانسانية» . «وان الرزق والثروة نتيجة العمل من حيث الأساس ، إلا أن قيمة الأعمال تختلف باختلاف الأحوال الاجتماعية العامة» (ص ٥٣٦ ، ٥٣٧) .

(ن) التشبيهات المادية (ص ٥٤٣ - ٥٥٠) :

هذا الفصل القصير طريف جداً لأنه يكشف لنا عن ناحية مهمة من أسلوب ابن خلدون ، ولصلة هذه التشبيهات المادية بابرار آراء ابن خلدون ابرازاً قوياً .

٦ - تكملة : جولة بين الكتب والمجلات (٥٥١ - ٦٣٨) :

عما يؤسف له ان ابن خلدون الذي حل مقاماً سامياً عند كثيرين من كبار رجال الفكر ومؤرخي علم التاريخ والاجتماع من الغريين قد تعرض لحملة عنيفة شنها عليه العرب . وزعيم هذه الحملة الدكتور طه حسين . فمن التهم التي وجهها الدكتور طه حسين لابن خلدون قوله : «...» .

(أ) ابن خلدون يشك في نسب نفسه ، اي انه بزيري وليس عسرياً .

- (ب) ابن خلدون لم يفكر في جعل التاريخ علماً ولم يفهم مسائل التاريخ الأساسية .  
 (ج) من المبالغة الكبيرة أن نقول ان ابن خلدون يستحق لقب عالم اجتماعي .  
 (د) زعم الدكتور طه حسين ان ابن خلدون قد استمد آراءه في علم الاجتماع من قضايا التاريخ ( ولم يلاحظ العالم الاجتماعي الواقع ) .

(هـ) يدعي الدكتور طه حسين بوجود تناقض منطقي في طريقة ابن خلدون ( ص ٥٦٧ ) .

- (و) اتهم الدكتور طه حسين ابن خلدون في أخلاقه وفي وطنيته .  
 (ز) نسب الدكتور طه حسين ابن خلدون الى قلة الأمانة العلمية فابن خلدون لم يعرف ، عند الدكتور طه حسين ، من بعض الكتب التي ذكرها الا اسماءها .  
 وابن خلدون عند الدكتور طه حسين لا يفرق بين كتب الفقه وكتب أصول الفقه ، وان ابن خلدون لم يطلع على كتاب الأغانى .  
 ومع أن هذه الأمور لا صلة لها بدراسة مقدمة ابن خلدون فانها مما يجدر أن نستوقفنا قليلاً ، لأن الدكتور طه حسين اراد أن يهدم عبقرية ابن خلدون كلها . غير أننا لا نحتاج اليوم الى تفنيد « اتهامات » الدكتور طه حسين فان بطلانها قد اتضح تماماً ، ثم هي لا تقدر في رجل مثل ابن خلدون . ولكن يحسن أيضاً أن نتجرى أسباب هذه الحملة الشعواء التي شنها الدكتور طه حسين على ابن خلدون . ان هذه الأسباب ، حسب رأي الأستاذ ساطع الحصري ، تلخص فيما يلي :

- (أ) ان طه حسين لم يقرأ المقدمة بانعام نظر ( ص ٥٥٣ ، ٥٧٥ ) .  
 (ب) ان طه حسين كتب اطروحة عن ابن خلدون ( عام ١٩١٨ ) وهو بعد « حديث عهد بدراسة علم الاجتماع » ولم يكن قد احاط يومذاك بنظريات علم الاجتماع وتاريخه الاحاطة الكافية . كما انه لم يكن قد وجد منسماً من الوقت للتعقق في دراسة ابن خلدون التعقق اللازم ( ص ٥٦٢ ) .  
 (د) « ويظهر ان الدكتور طه حسين كان مدفوعاً بروح انتقاد عفيفه » .



على ابن خلدون (ص ٥٦٢) ، فكان يقول على ابن خلدون ما لم يقله ابن خلدون (ص ٥٥٣ ، ٥٦٧) ، إن «الدكتور طه حسين لما ادعى بأن ابن خلدون يستند في علم العمران الى التاريخ قد عنزا اليه رأياً لم يقل به قط» وخطة لم يسلكها قطعاً (ص ٥٦٨) .

(٨) ان نظرة منصفة الى فهرست فصول المقدمة (فقط) تكفي لتفنيد بعض مزاعم طه حسين (ص ٥٧٢) .

(و) ان الدكتور طه حسين تجاوز حدود الحق والحقيقة كثيراً في بعض استنتاجاته (ص ٥٧٣ - ٥٧٤) .

(ز) أما الزعم الذي زعمه الدكتور طه حسين بأن ابن خلدون لم يستطع الاطلاع على نسخة من كتاب الأغاني فراجع الى أن الدكتور طه حسين لم يقرأ مقدمة ابن خلدون في هذا الشأن ، بل قرأ في الترجمة الافرنسية للمقدمة نفسها . ولقد اتفق ان المترجم الافرنسي أخطأ فهم جملة وردت في المقدمة عن كتاب الأغاني فانبه أحد المستشرقين في ذلك . ثم جاء طه حسين فأخذ عن هذا المستشرق فأخطأ هو أيضاً . يقول الأستاذ ساطع الحصري .

«واستبعدت كل الاستبعاد أن يخطئ الدكتور طه حسين في فهم مضمون مثل هذه الفقرات . وخطر بيالي أن أراجع الترجمة الافرنسية ، وعندئذ توصلت الى مصدر هذه الغلطة : ان المترجم الافرنسي لم يفهم معنى هذه الفقرة كما يفهمها كل عربي على أساليب لغته ... من أجل ذلك صرت أظن ظناً قوياً بأن الزعم (من عند طه حسين) بوجود تناقض بين ما جاء في مقدمة ابن خلدون وبين ما ورد في ترجمته عن كتاب الأغاني قد بدا لأحد الغربيين الذين يدرسون المقدمة من ترجمتها الافرنسية . وانتقل هذا الزعم منه الى الدكتور طه حسين حينما كان مشغولاً بكتابة أطروحته ، والدكتور أدخل هذا الرأي في كتابه من غير أن يراجع نصوص المقدمة وينعم النظر في معانيها ، ومن غير أن

يُنْتَبِه إلى غلطة المترجم في هذه القضية . ولذلك وجه إلى ابن خلدون هذه التهمة الجائرة التي تخالف الحق والحقيقة كل المخالفة» ( ص ٥٨٨ - ٥٨٩ ) .  
وهنالك تهم أخرى ، أو أكثر تفصيلاً ، وجهها الدكتور طه حسين ونفر قليلون آخرون من العرب لا يجوز أن تقف عليها طويلاً ، لأنها كلها لا تخرج عن الفلك الذي تدور فيه اتهامات الدكتور طه حسين نفسه . ولعل الانصاف في شأن ابن خلدون أن نقول ان طه حسين يمثل ( أو كان يمثل على الأقل ) « مدرسة ماسنيون » التي تقف جهودها على تحطيم مآثر العرب ( ولعل طه حسين كان من طلاب ماسنيون ) .  
ثم ان الدكتور طه حسين ليس من أهل الاختصاص في الموضوع الذي تعرض له .

\* \* \*

وإن مما يؤسف له ان في هذا الكتاب القيم أخطاء كثيرة أكثرها مطبعي وبعضها فقط ليس مطبعياً ، على أن هنالك أخطاء تشوه وجه هذا الكتاب أو تصرف المعنى من وجهه إلى وجهه حتى يستغلق أحياناً . من أجل ذلك أحببت أولاً أن أسرد هذه الأخطاء ولكن وجدت أن سردها بالتفصيل يلا عشرين صفحة على الأقل ، فاكفيت بالتنبيه على أنواعها ، واقد كان على « دار المعارف » أن يكون إشرافها على الطبع والتصحيح أحسن مما فعلت ، فان مثل هذا الإشراف كان يخفض هذه الأخطاء إلى عدد يسير لا يكاد يخلو من مثله كتاب يطبع في البلاد العربية . ولكن بما ان الأستاذ ساطع الحصري « بغدادى الأسلوب » يطلب صحة المعنى ودقته من غير أن يلتفت إلى جريان تراكميه على المنهج البدوي القديم ، وليس ذلك بعيب كبير ، آثرت الاضراب عن استدراك « الأوضح والأتمين » اذا كانت الألفاظ والتراكيب تؤدي المعاني تأدية لا لبس ظاهراً فيها .  
أ - الأعلام : لم بتقيد الكتاب بضبط الأعلام ، فالأعلام اليونانية مثل أئبنة والائينيون وثره وبوليس تود أحياناً بالباء المشناة من فوقها وأحياناً بالثاء

المثلثة (ص ١٨٤ ، ١٩٤ ، ٢١٤ الخ) . وكذلك يقول الكتاب باريس وبارس (ص ١١١ ، ١١٢) ثم بوسسوته وبوسوته (ص ٣٥ ، ٣٦) ثم افريقيا وافرقيبا وأفريقية . ثم هنالك ثورور مكان ثودور (ص ٦٩) ثم عمر بن خلدون ، وعمر ابن خلدون ، ويحيى ابن خلدون (ص ٤٣) . وقال العطارد مرتين مكان عطارد (ص ٣٠) ، وسفربوس مكان سفروس Severus (ص ٢٤) ، وقال كتاب الموطن لابن مالك مكان مالك بن أنس (ص ٧١) ، ثم فحص صراجنة مكان فحص قرطاجنة (ص ٧٣) ، وقال من سلالة ابي الفحص والفاروق (ص ١٣٢) مكان من سلالة أبي فحص الفاروق (?) ثم زباغ بالغين المعجمة مكان زباغ (ص ٤١٢) ثم دهوير مكان دهبور (ص ٢٥٨) ثم ناتانيل شميث بالناء وبالناء مرة بعد مرة (ص ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١٣) . ثم يقول هامر (ص ٢٤٩ ، ٢٥٠) وهامر بورشتغال (٦١٢) والصواب فيها كليها هامر بورغنتال . وهنالك أخطاء أخرى أيضاً . ولقد كان الأولى أن تضبط هذه الأعلام ضبطاً صحيحاً . أما الصواب في لفظ الأعلام فلفظ أهلها لها ، فنحن نقول في اللغة الهولندية مثلاً دهبور في De Boer لا دهوير . أما اذا لم يتمكن . وُلّف من ذلك فالصواب أن يعتمد لفظ جميع الأعلام من لغة واحدة : اللفظ الافرنسي أو اللفظ الانكليزي مثلاً الا ما كان مشهوراً فيتترك على شهرته وان خالف هذه القاعدة .

٧ - الألفاظ اللغوية . وهنالك أخطاء مطبعية كثيرة جداً نحو الجبايات بالخاء والصواب الجبايات بالجيم (ص ٢٧١) ثم بترع والصواب بترع (ص ٣٣٧) ثم النصقة بالقاف وصوابها النصفة بالفاء ثم المناقسة بالقاف والصواب المناقسة بالفاء (٣٤٩) ثم مائلة والصواب مائلة (ص ٣٢١) ثم عات وصوابها عادت (٢٤٦) وعشرات مما يمكن أن يعرف بتأمل قليل أو كثير . على أن هنالك أخطاء يجب التنبيه عليها لأنها تصرف المعنى من وجه الى وجه ، وبعضها قد يصعب

التفطن اليه لأنه مثبت في «الدراسات» وفي مقدمة ابن خلدون بصورة واحدة :

ص ٣٣١ : ندورها بالراء - الصواب ندودها ؟ بالدال .

ص ٣٦٩ : شككهم بالباء الموحدة من تحتها - والصواب شككهم بالياء المثناة

من فوقها .

ص ٣٨٧ : ويجرمون عن قتلهم - والصواب ويجرمون عن ( ؟ ) .

ص ٤٠٦ : ضربت ٦ بالياء بنقطة واحدة من تحتها - والصواب ضربت بالياء المثناة

من تحتها .

ص ٨٦ : وهؤلاء تلقوه بالتخفي (بالحاء المعجمة) - والصواب بالتخفي بالحاء المهملة .

ص ٨٩ : يبأى (؟)

ص ١٠٧ ليجيروا (؟)

ص ٤٠٨ : بالصريح (بالحاء المهملة) - الصواب بالحاء المعجمة .

ص ٤٨١ : وانهم على الحج (في المقدمة ٤٨١ أيضاً : على حج ؟) .

ص ٥٠٦ : ينفسون - الصواب يقبسون .

هذه الأخطاء يسأل عنها المؤلف لأنها كلها أخطاء واردة في المقدمة، وكان

المنتظر من المؤلف أن يصححها ولكنه لم يفعل . ومن أغرب الأخطاء قول

المؤلف : «ولم تشتعل المذنبات في السماء ٠٠٠» (ص ٢٣) وهو يقصد طبعاً

«الذهب» ثم هنالك «انتفاض» انتفضت ٠٠٠ بالفاء (ص ٩٣ ٢٤٨ ٣٤٥ ٣٤٨

٣٤٩) والصواب انتفاض الخ بالقاف . وكذلك «صيفة» بالياء المثناة

وصوابها صيفة بالياء الموحدة (ص ٢٤٨) . ثم هنالك قوله «خيبة الفشل»

(ص ١١٨) وهو يقصد «مرارة الخيبة» . ومثل ذلك «لا يخرج حرمها»

(ص ١٣٥) مكان «لا يخرج من حرمها» . وقال السلطة المتفضية بالعين

المعجمة (ص ٢٨٧) وامله يقصد (المتعضية) بالعين المهملة . ثم هنالك الذكاء

بالدال المعجمة (ص ٤٢٧) والصواب بالزاي . ثم اللام (ص ٤٦٩) وهي الكلام ،

ويحسون (ص ٤٦٥) وهي يحسون . ثم يجيد (ص ٤٦٤) وهي يجيد ، ثم الكفاة

(ص ٤٧٣) وهي الكفاية • ثم تصدمهم (٤٧٥) وهي تصدمهم • ثم شذا (ص ٤٤٧) وهي شذا • ثم منتضبا بالباء الموحدة من تحتها (ص ٥١٨) وهي منتضبا بالياء • ثم هنالك غير ذلك من أمثال هذه الأخطاء التي يمكن أن ترد إلى الإهمال في «نصحيح الملازم» •

٣ - التركيب : وكذلك تكثر أخطاء التركيب والنحو كإضافة مضافين إلى مضاف إليه واحد ، نحو : بنقل وتلخيص ما قيل عنه . . . . مكان بنقل ما قيل عنه وتلخيصه ، وهو كثير جداً • وكذلك قوله نفس السنة مكان السنة نفسها ، ومثل هذا التركيب أيضاً كثير • وقوله : وهو يقسم إلى قسمين مكان يقسم قسمين • وما لا يجوز إغفاله كثرة أخطاء النحو :

ص ١٤٢ : يجب علينا ألا «نفس» •

ص ١٥٥ : أن مقصود قدامة من كلمة العرب هو الأعراب «البدويين» •

ص ١٦٣ : «ثلاثة» طبقات •

ص ١٩٣ : ولم يأت شعب أفضل «ويستولي» على البلاد •

ص ٢٢١ : أن سكان البلاد الحارة «يكونوا» •

ص ٢٣٥ : أرضي أصحابها أم «أبي» •

ص ٣١٤ : أهل هذه الأقاليم «متأخرين» •

ص ١٠٢ : يتضمن كتاب التعريف «نصوص» عدة . . . و «خطاب وارد» •

ص ٣٨٧ : إلا أن الآخرين «يكونوا» •

ص ٤٥٧ : أن لكل شيخ . . . اصطلاحات خاصة و «منهج خاص» •

ص ٤٧٦ : والسبب في ذلك أن أهل الملة «متفقين في القول» . . . كما

انهم «متفقين» . . .

ص ٤٨٢ : لو اقتصر «المعلمين» . . .

ص ٥١١ : فيكون خطة «قاصر» . . .

ص ٥٩٥ : وكل من يقرأ . . . «ير» . . .

وكذلك قال القدرية (ص ٦٢٢ و ٦٢٣) وهو يقصد الجبرية ، لأن الأصبوب في مذهب القدرية انه مشتق من القدرة .  
وهناك أخطاء كثيرة يدركها المطالع بتأمل يسير ، ولكن مثل هذا الكتاب كان يجب أن يعرى عنها .

\* \* \*

على أن هذا الكتاب قيم جداً . ولقد أدى الأستاذ الحضري فيه رسالتين عظيمتين : أولاهما أنه جلا عبقرية ابن خلدون وقدم للباحثين دراسة هي أوفى ما كتب في هذا الموضوع الى اليوم . وثانية تينك الرسالتين انه دافع عن التراث العربي دفاعاً حقيقياً . غير أننا نأمل أن تكون الطبعة المقبلة مبنية على جميع دراسات الأستاذ الحضري السابقة وحاوية لجميع ملاحظاته القيمة مقيدة الشواهد بصفحات الكتب .

ان كثيرين من عباقرة الفكر العربي لا يزالون بحاجة الى مثل هذه الدراسة الواسعة فعسى أن يتاح لهم ما أتيج لابن خلدون في هذا الباب .

الدكتور عمر فمروخ

## دار الحديث العروبية

هي من المدارس التي كانت في الجامع الأموي . أنشئت في القرن السادس الهجري . تنسب الى سيف الدين محمد بن عمرو المتوفى سنة ١٢٢٣/٦٣٠ . كان مكانها مشهداً توضع فيه الحواصل الجامعية ، ففتحها ابن عمرو ، وبني فيه بركة ، ووقف فيه على الحديث النبوي درساً ، ووقف أيضاً فيه خزائن كتب<sup>(١)</sup> . وقد ورد اختلاف في النصوص التي تكلمت على دار الحديث هذه في تحديد مكانها . فقد ذكر النعمي ، المتوفى سنة ٩٢٧/١٥٢١ ، عند الكلام عليها : « انها بمشهد عمرو بالجانب الشرقي من صحن الجامع قبلي الحلبية ، ويُعرف قديماً بمشهد علي »<sup>(٢)</sup> . وذكرها مرة ثانية عند كلامه على التاجية فقال : « التاجية بزواوية الجامع الأموي الشرقية غربي دار الحديث العروبية »<sup>(٣)</sup> . وقد تبعه مختصروه ومن نقلوا عنه . فذكر ذلك العلوي في مختصر تنبيه الطالب<sup>(٤)</sup> ، والغزي في الكواكب السائرة<sup>(٥)</sup> ، وكردعلي في خطط الشام<sup>(٦)</sup> ، وتقي الدين في منتخبات التواريخ<sup>(٧)</sup> .

- (١) انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣/١٠١ ( القاهرة ١٣٥٨ هـ )
- (٢) النعمي ، تنبيه الطالب ١/٨٢ ( دمشق ١٩٤٩ )
- (٣) المصدر السابق ١/٤٨٣
- (٤) العلوي ، مختصر تنبيه الطالب ص ١٥ ( دمشق ١٩٤٧ )
- (٥) الغزي ، الكواكب ١ : ٢٥٧ ( بيروت ١٩٤٢ )
- (٦) كردعلي ، خطط الشام ٦ : ٧٤ ( دمشق ١٩٢٨ )
- (٧) تقي الدين ، منتخبات تواريخ دمشق ٣/٩٤٠ ( دمشق ، لاتاريخ لطبع هذا الجزء ) قال : لصيقة الجامع الأموي من جهة باب القيمرية وقد صارت داراً وتكية لكل من يتولى ذكر النقشبندية في الزاوية التي هي جانب الدار

غير أننا بعد البحث والاستقصاء تبين لنا أن ما ذكره النعمي كان خطأ .  
 وأن النصوص القديمة التي سبقت عصر النعمي تتخالف ما ذكره تماماً .  
 ففي القرن الثامن نجد ابن فضل الله العمري ، المتوفى سنة ١٣٤٨ / ٧٤٩ ،  
 يذكر عند الكلام على مشاهد الجامع الأهوي ما يلي :  
 « والغربي بقبة مشهد على اسم عمر ويعرف الآن بمشهد عمرو ، وبه شيخ  
 حديث وجماعة من العلماء يستمعون الحديث بوقف مستقل وعدة خزائن كتب  
 وقف » (١) .

فنص العمري على نقيض نص النعمي . فالأول يذكر أن اسم المشهد  
 على اسم عمر في حين أن الثاني يجعله على اسم علي ، والعمري يذكر أنه في  
 الغرب في حين يذكر النعمي أنه في الشرق .

فإذا رجعنا إلى نصوص القرن السابع ، وجدنا أبا شامة صاحب كتاب  
 الروضتين ، المتوفى سنة ١٢٧٦ / ٦٦٥ ، يذكر أن هذا المشهد في غرب الجامع أيضاً (٢) .  
 فهذان النصان لا يدعان مجالاً للشك ، وخاصة أن أبا شامة كان معاصراً  
 إنشاء المشهد .

ويؤيد تخطيطنا النعمي ما وجدناه أثناء مطالعتنا في مخطوطات دار الكتب  
 الظاهرية من سماعات قديمة في هذا المشهد ورد فيها تحديد لموقعه .  
 فالسماع الأول مؤرخ في سنة ١٢٢٢ / ١٢٢٥ أي بعد سنتين من وفاة ابن عمرو .  
 وهو سماع على زكي الدين البرزالي العالم المحدث ، ولهذا السماع شأن . فقد جاء فيه أنه  
 « سمع عليه جزءاً من الفوائد عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم :

(١) العمري ، مسالك الأبصار ١ / ١٩٦ ( القاهرة ١٩٢٤ ) .  
 (٢) أبو شامة ، ذيل الروضتين ، ص ١٣٦ ( طبع باسم تراجم القرنين السادس والسابع ،  
 القاهرة ١٩٤٧ )



عبد الله بن محمد الزناتي ، واسماعيل بن عيسى بن رشيد الصقلي ، بقراءة  
علم الدين محمد بن أحمد بن محمد الاشبيلي ، وأبو موسى عيسى بن أحمد المرسي ،  
ومحمد بن علي المدني الحجازي ، والفقيه محمد بن ابراهيم بن عياش الصنهاجي ،  
وهبة الله بن اسمعيل البلعكي ، ومحمد بن عمر بن سلامة المعري ، وأيوب  
ابن مسعود بن صبح البغدادي ، وابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم المقدسي ، وفضل  
ابن سعيد البصراوي ، وعبد الرحمن بن أحمد بن حسن الهمداني ، وعبد الخالق  
ابن شفيع بن عمّار الكعركزي .

« بزاوية الشرف بن عروة ، غربي جامع دمشق المحروسة ، في رابع عشر  
ربيع الآخر سنة « اثنتين وعشرين وستماية »<sup>(١)</sup> .

فهذا السماع يحدّد لنا أن مشهد ابن عروة - ويسميه زاوية - هو في الغرب ،  
وليس في الشرق كما وهم النعيمي . وإلى ذلك يبين لنا ناحية أخرى تفيد في  
تأريخ النهضة العلمية في دمشق أيام الأيوبيين ، هي توارد الناس من جميع  
البلدان على دمشق لطاب العلم فيها . فالأشخاص الذين سمعوا جزء الأصم على  
البرزالي هم من أقطار مختلفة : من الأندلس ، وصقلية ، والمغرب الأقصى ،  
والحجاز ، وبغداد ، وفارس ، والشام . وهذا السماع يدل على ما كان  
لدمشق بومئذ من الشأن العلمي الكبير ، وبين من ناحية ثانية شأن  
البرزالي نفسه .

وثمة سماع آخر وجدناه للجزء الثاني من الفوائد المنتقاة<sup>(٢)</sup> عن الشيوخ العوالي

(١) جزء من الفوائد المنتقاة عن أبي العباس تاج الدين بن يعقوب الأصم . مخطوط ،

ظاهريّة دمشق ، مجموع رقم ٢٨ ، الرسالة الخامسة ، ورقة ٥٦ T

(٢) الثاني من الفوائد المنتقاة . مخطوط ، ظاهريّة دمشق ، مجموع رقم ١٨ ،

الرسالة العاشرة ، ورقة ١٧٢ ب

على الشيخ المسند نجم الدين ابي بكر محمد بن علي بن مظفر النشبي ، في  
سنة ١٢٨٧/١٨٦ ، وفي آخره ما يلي :

« وضح وثبت في يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وستين وست مئة  
بشهاد ابن عمرو ، غربي جامع دمشق حرسها الله تعالى » .

فيبين من نصوص المؤرخين الذين سبقوا النعمي ، ومن السماعات التي كتبت  
في المشهد نفسه ، أن هذه المدرسة ( أو الزاوية ، أو المشهد ) كانت في الغرب  
من جامع دمشق ، وليس في الشرق . وأن النعمي وهم - وفي كتابه كثير  
من الأوهام - عندما نقله من غرب الجامع الى شرقيه .

الدكتور صلاح الدين المنجد

## تاريخ علم الفلك في العراق

وعلاقتها بالأقطار الإسلامية والعربية

(في العهد العثماني)

من سنة ١٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م إلى سنة ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م

- ٢ -

### ٣ - العهد الأخير في العراق

من سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣١ م - إلى سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٧ م

في هذا العهد زادت الثقافة ، وقوي الاتصال بالترك في الحياة الجديدة والعلوم المتعلقة بها ، ومراعاة ما حدث من تجديد كما يشهد بذلك وجود المؤلفات المتداولة بين ظهرانينا ، والعلاقة بهذه المعرفة الجديدة في مجلدات عديدة إلا أن هذه المعرفة محدودة وغير مكينة في أصل الدولة فلا مجال للتمكن منها في العراق . وهو خالٍ من عارفين باللغات الغربية ، وليس لنا رصد لييسل القوم إلى التحقيق العلمي . وإن العراق في اشتغاله معروف . والواجب بقضي أن ندون ما جرى . وفي هذه الحالة لا ينكر هذا الاتصال المحدود . وهذا قد يكفي صاحب المواهب أحياناً لتقوية ما هنالك . نشاهد الآثار في النشاط الجديد ولم نر تمكننا أو تضلعنا كثيراً . فإن الأستاذ أبا الثناء الأوسمي لم يقصر في هذه المعرفة ، وإن علاقة إبراهيم فصيح الحيدري بالحياة الجديدة مشهورة ، وتداول زيج حسين حسني معلوم كما أن البحث في الحياة الجديدة وإنها لا تنافي الإسلام مما جلب الأنظار إليها .

هذا كله يحتاج الى تفصيل بذكر العلماء المشتغلين وما قاموا به من تدوين آثار الا أننا نقول ان هذا الاشتغال في حالته الجديدة كان يراعى فيه الارتباط بالمخلدات السابقة في بدء الأمر ، ثم مال البعض الى الغرب وأخذوا رأساً منهم قبل أن يتمكنوا مما عندنا ، فانقطعت الصلة بالتاريخ وبالمصطلح . وكأننا أغفلنا ما عندنا أو عدنا لا نعرف أننا اشتغلنا قروناً كثيرة في هذا العلم وخذلنا آثاراً لا تحصى عدداً بل الانبياهُ الأخير الى تاريخ العلم صار يأتينا من طريق الغرب . فكأن المعرفة مدخولة ومغلوبة . نشاهد ذلك في قاموس الرياضيات وفي ( تراث العرب العلمي ) وأمثالها من المؤلفات العلمية والتاريخية . ومن علمائنا في هذا العهد :

١ - السيد كاظم الرشدي :

من المتوغلين في كتب الحكمة وله شرح غربب على رسالة الاسطرلاب للشيخ البهاء العالمي . وتوفي في ٩ ذي الحجة سنة ١٢٥٩ هـ . وهو رئيس فرقة الكشافية المشتقة من الشيخية . وله المكانة الرفيعة بين رجال طائفته . وهو من أهل كربلاء .

٢ - أبو الثناء الألومي :

رأبنا مدرسين عديدين لم يظهرُوا في التأليف . والكتب المدرسية لم تختلف عن سابق العهد الا أنها اقتصرت على شرح الجعفي للمخص الهيئة لقاضي زاده الرومي ، وأحياناً شرح السيد الشريف الجرجاني ، أو تشریح الافلاك ، والصفحة في الاسطرلاب للبهاء العالمي ولا تكاد تتجاوز هذين الأخيرين .

والأستاذ الألومي لم يقف عند حدود هذه المؤلفات ولا هذه المعرفة ، وإنما مال الى مؤلفات عديدة من علمية ومدرسية . وراعى تقدم الفن في عهده ، ولم يقصر اشتغاله على ما اشتغل به أسلافه ، فنراه في مؤلفاته مثل الفيض الوارد ، والمؤلفات الأخرى لاسباب التفسير قد أبدى فيها قدرة علمية ، وجرى تبدل الفكرة وتطور الفن ، فكتب في تفسيره الشيء الكثير ، وبث فيه مؤلفاته يتجدداً محسوساً كما أنه لم يفس آراء القدماء وما قالوا به .

وهذا لا يكفي في بيان صفحة من صلاته ، وإنما أحاول أن أوضح ما قلت بإيراد بعض النصوص من تفسيره أو من سائر كتبه لافتح الطريق للمتبع ، وأراعي الإيجاز بقدر الامكان . فإن وضعنا تاريخي في الانصالات العلمية ، والعلاقات الغربية المهمة . . . . . وهل كان ذلك من طريق الترك وهو الملحوظ أكثر أم من طريق الاتصال بالغربيين رأساً ؟ ومن المحتمل ان علاقته بالافتاء قد مكنته من الانصالات بالسياسيين . وزياراتهم . والمباحثة معهم عما صار اليه الفن الجديد بل نرى علمه مكيناً من أيام داود باشا يدل على ذلك كتابه الفيض الوارد . ولا شك أن هؤلاء الأجانب لا يخلون أحياناً من المعرفة العلمية أو ذكر ما علموه من الاتصال بعلمائهم في الفلك والكل منهم عارف بالاجال العلمي . . . . . بقي الاحتمال في طريق الأخذ . والألومي قد تلقف مثل هذه المعرفة . وهي مكينة ، فاقننص ما احتاج اليه مما لا يضطره الى وقت طويل . وكان الاحتكاك بأفاضل الترك مشهوداً . وبينهم من استكمل المعرفة العلمية دون التلقف من الأفواه والمعرفة العابرة وهذه سابقة الاتصال بالافتاء . ولا أظيل في التزجيج ، وإنما أرجع الى معلومات الألومي وأقتبس بعض المطالب منه لأمثل وضعه من هذا العلم . . . . .

١ - في كتابه الفيض الوارد ذكر الشمس وأنها في السماء الرابعة على رأي الأقدمين . قال : ولا يكاد المحدثون يسمون ذلك . ثم قال : وقد اختلف العلماء في مقدارها والمشهور أنها مثل الأرض مائة ونيقاً وستين مرة . . . . . والذي ذهب اليه أهل الهيئة اليوم من الافرنج أن الشمس في وسط الكواكب التي تدور حولها ، وأنها أعظم من الأرض بألف مرة وثلاثمائة وثمانية وعشرين ألف مرة ، وأن لها حركة على نفسها . وقد استنبط بعض علمائهم من تجول كلفها الذي يظهر على ظهرها ورجوعه في أزمنة مخصوصة أنها تدور على نفسها في ٢٥ يوماً و ١٢ ساعة : وجزموا بأن ليس لها حركة حول الأرض بل للأرض حركة حولها وأن الأرض إحدى السيارات . وهي عندهم :

عطارذ والزهرة والأرض والريخ ووسنه • وقد كشفها رجل منهم يقال له أوليوس في حدود سنة ١٢٢٣ هـ ، وبوثون وقد كشفها رجل منهم يقال له هاردنق في حدود سنة ١٢٢٠ هـ ، ومريس وقد كشفها رجل منهم يقال له يياضي في حدود سنة ١٢١٦ هـ ، وبلاس وقد كشفها أوليوس أيضاً في حدود سنة ١٢١٧ هـ . والمشتري وزحل وأورانوس وقد كشفها رجل منهم يقال له هرشيل في حدود سنة ١١٩٧ هـ • ولم يعدوا القمر من السيارات بل من سيارات السادات • لأنه يدور حول الأرض دورانها حول الشمس ••• الى آخر ما قال ••• وهذه معرفة من اطلع على الآراء في الهيئة الجديدة ، والتفضيل في الفيض الوارد<sup>(١)</sup> .

٢ - مضى في بحث التواريخ واستعمال الحروف للتعبير بها • وقد بسط القول في التواريخ ، فذكر العربي منها وفصل القول فيه ، وتكلم في النسيء • وما كان مستعملاً من التواريخ الأخرى • وذكر وضع التاريخ في الاسلام أيام عمر (رضي الله عنه) • وذكر تاريخ العجم • ونقل أقوال السهيلي ، ويونس الحاكمي ، وابن الشاطر ، وتكلم في التاريخ الرومي • ويسمى أيضاً بالسرياني ونقل قول صاحب المنهاج وهو (ابن البناء) ، وقول (الصوفي) في زيجه • وهكذا ذكر ما في المبادي والغايات يريد (جامع المبادي والغايات) • نقل ذلك عن السهيلي • ثم ذكر تاج الأزياج لابن أبي الشكر • ونقل عن زيح أولوغ بك وسمى زيجه هذا بسلطان الأزياج • وقال : اعتمده العلامة (محمد بن محمد بن سليمان المغربي) في منظومته ، وعين التاريخ الشمسي •••

ثم استمر الألويسي بتفصيل ما هنالك وقال :

وللمغاربة والافرنج شعور آخر من يستعمل هذا التاريخ مخالفة لهذه الأسماء والمبدأ ، ويسمونها بأسماء عجمية وتبدأ من يناير ، فبراير ••• ووسع بحثه في التاريخ الميلادي ومال الى التاريخ القبطي ، ونقل عن البيروني ما يؤرخون به •••

(١) الفيض الوارد من ١٧٠ . وفي كتاب (بساط علم الفلك) جاء التفصيل مع ذكر أسماء المكتشفين بضبط تام .

وهكذا ذكر التاريخ الفارسي ، ثم فصل التاريخ الملكي وهو الجلاي ، نسب الى  
السلطان جلال الدين (ملكشاه) ابن الب أرسلان السلجوقي . . . . . ويُن  
تواريخ عديدة حتى قال :

وبالجملة الكلام كثير في هذا المقام قد أفرده بالتأليف جماعة من العلماء  
الأعلام ولولا خروج الكتاب عن موضوعه لآتيننا بما يسر الناظر ويهيج  
الخطار (١) . . . . .

وبدل على تمكنه وسعة اطلاعه أنه لم يفلت العلاقة بالماضي مع مراعاة التجدد  
المصري . ولو رجعنا الى تفسيره روح المعاني لرأينا العلاقة أعظم والمعرفة أقوى  
والتفصيل أجل نعمًا . . . . . والعلاقة كبيرة بالهيئة الجديدة .

وهذا يبصرنا بأن علماءنا لم يغفلوا تطور العلوم والتجديد فيها . وكان الأستاذ  
الألوسي من أول المشتغلين في ابداء ما جرى من تحول في هذا العلم .  
توفي في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٢٠ هـ - ١٨٥٤ م .

٣ - ابراهيم فصيح الحيدري :

كان عالماً أديباً ومؤرخاً . ومن مؤلفاته في الفلك :

(١) رسالة في تطبيق الهيئة الجديدة على بعض الآيات والأخبار . كتبها  
باللغة العربية وطبعت في المطبعة العامرة باستنبول في ٣٦ صفحة بالقطع الصغير  
سنة ١٢٩٢ هـ . كان كتبها باقتراح من أحمد جودة باشا وذكر فيها السلطان  
عبد العزيز ومدح أيامه . وكان ذكر في مقدمتها ولقد صدق في قوله : ان  
ما في القرآن من الآيات لم يكن نزولها على وجه التعليم لهيئة من الهيئات  
(القديمة والحديثة) . لأن ذلك بمنزل عن حكمة النزول من تبليغ الأحكام .  
هذا ما قاله ، والكتاب الكريم يعين عظيمة السماوات والأفلاك والنجوم والشمس  
والقمر للاستدلال عليها بالقدرة الخالقة المبدعة ، وفي كل من الهيئتين تحصل

(١) الفيض الوارد ص ٢٥٨ من العلم بأن الأستاذ الألوسي كتب كتابه هذا واتمه  
في المحرم سنة ١٢٤٥ هـ مما يدل على قدم اشتغاله قبل أن يتولى الافتاء .

الغاية ، والهيئة الجديدة أظهرت نظام العظمة أكثر وبصرت بالقدرة التي لا نهاية لحدودها .

وتطرق الى مباحث عديدة من اعتراضات وأجوبة وتطبيقات وهذه لم تخرج عن نقل ما قيل في التفاسير وليس فيها ما يدعو الى المعرفة . وهي على صغرها لا تخلو من فائدة ومن بعض توجيهات .

( ٢ ) امعان الفكر في الهيئة الجديدة ، وهذا ألفه قبل سابقه وفيه بين منشأ العلوم الحكيمية وتفصيل المذاهب في الهيئة ، ونقل منه في رسالته الأولى بعض ما يتعلق بموضوعه ، ولم أر هذا الكتاب الا أنه نقل ما جاء من اعتراضات على الهيئة القديمة ولخص بها ما هنالك ، والملاحظ انه نقل عن الخفة للقطب الشيرازي وسماه أبا اسحق الشيرازي غلطاً .

( ٣ ) شرح تشریح الأفلاك ، والأصل للجهاء العاملي ذكره في عنوان المجد بين مؤلفاته ، وسماه ( فك الاشتباك في شرح تشریح الأفلاك ) .

( ٤ ) امعان الأبواب في الاسطرلاب ، وهذا أيضاً ورد ذكره في عنوان المجد .

٣ - حسين البشدري :

ويقال ( بؤدري ) كما ينطق بها ، كان من مدرسي مدرسة الإمام الأعظم . ولد سنة ١٢٢٦ هـ ، وهو ابن الملا عبد الله ابن الملا محمد الحضري ابن ملا خضر وهو من ببشدر من قبيلة ( نور الدين ) . ولد في ببشدر ، وتوفي في ٣ شوال سنة ١٣٢٢ هـ في الأعظمية من بغداد وهو صاحب شرح تهذيب الكلام . وله من المؤلفات في الهيئة :

١ - شرح تشریح الأفلاك ، لم يطبع ، قرأه أبو الشفاء الأتومي والسيد محمد أمين البرزنجي وتقايرضا في حديقة الورد ( ص ٦١٥ و ٦١٦ ) ، ولا يحاكمه شرح :

ونعمته السيد نعمان خير الدين بقوله : من أفاضل أذكيا الأكراد وصلحائهم الواردين الى بغداد وتفصيل نبوته في حديقة . . وأول الشرح : الحمد لله



- الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور . . . . . ونسخته لدى أحفاده .  
وتوفي في ٣ شوال سنة ١٣٢٢ هـ .
- ٤ - جبرائيل يوحنا أصغر الكاثوليك البغدادي ، وله :  
١ - كتاب الأبحاث العليا في علم الفلك وهيئة الدنيا ، طبع بمطبعة اليسوعيين في بيروت سنة ١٢٩٢ هـ - ١٨٧٥ م .
- ٥ - غلام رسول الهندي .  
كان عالماً في الفلك يدرس كتب الجادة فيه خير تدريس ، يميل اليه الطلاب لمعرفة لاسمها شروح الملخص في الهيئة .  
توفي سنة ١٣٣٠ هـ ودفن في الشيخ معروف بجانب الشيخ أحمد السويدي الأخير المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ .
- ٦ - الملا أبو بكر المدعو كوچك ملا الاربلي :  
من العلماء الأفاضل في اربل وكان مدرساً في جامع القامه وله مكانة علمية وأدبية . وله :
- ١ - الربع المجيب ، وسماه ( الفوائد الحسنية ) .  
أوله : فحمدك يا من تنزل عن ادراكه ادراك العقلاء . الخ .
- ٧ - هبة الدين السيد محمد علي الشهرستاني :  
من العلماء المجتهدين من رجال الشيعة . وله :
- ١ - الهيئة والاسلام ، طبع ببغداد سنة ١٩١٠ م ونقل الى اللغة الفارسية وطبع في ايران .  
والمؤلف لا يزال من الأحياء ، ومن أهل العلم والفضل في ثقافات عديدة .  
وكان يصدر مجلة ( العلم ) .  
ومن المشتغلين في الفلك والتقويم خاصة الأساتذة المرحومين (مصطفى امام الجيش) وهو عم الأستاذ عبد العزيز ماجد عضو محكمة تمييز العراق و (محمد درويش) الكاتب الأول في محكمة شرعية بغداد سابقاً ، ولها معرفة بتجديدات العصر .

## تكوّن الهيئة الجديدة في العراق

من حين تأسست المدارس العسكرية والاعدادية الملكية صارت تدرس الهيئة والرياضيات في مدارس الدولة ، وغالب من تمكن منها ضباط الجيش .  
 نبغ منهم كثيرون ومنهم من تولى التدريس في العراق وفي استنبول . ومنهم من كان محباً للبحث والمعرفة ، ولا محل للاطالة بذكر أسمائهم .  
 تخرج هؤلاء من المدرسة الحربية وعرفوا بالرياضيات والفلك ، ومنهم من له آثار في الرياضيات مثل أمين فيضي ومحمود شوكة باشا .

## ٤ - علم الفلك في الدولة العثمانية

ظهر في الدولة العثمانية أكابر في الفلك ، اشتغلوا في رصد أولوغ بك مثل فاضي زاده الرومي ، وعلي القوشجي ، وميرم چليبي ، وهؤلاء وأمثالهم أسسوا ثقافة في الفلك بعد أن كان غذاؤهم مؤلفات السلاجقة ، ومن جهة أخرى تمكنوا من تأليف أساطيل في البحر الأبيض المتوسط ، وفي البحر الأحمر ( بحر الفلزم ) للاتصال بالبحيط الهندي ، فتقدم عندهم ( علم البحار ) كما تقدم ( علم الهيئة ) .  
 من ثم مزجوا بين العلم والعمل ، وان الثقافة الفلكية المتصلة بالاجتهاد ( آل نيمور ) كانت من أهم طرق المناصرة لهذا العلم فان أولوغ بك استخدم علماء الأناضول ، وكانوا متصلين بهذا العلم من أيام السلاجقة الروم ، وبذلك الاتصال تمكنوا من علم الفلك ، وبقي زيج أولوغ بك معروفاً عندهم ، ومؤلفات الجفديني ، وقاضي زاده الرومي ، وعلي القوشجي ، وميرم چليبي متداولة بينهم ، وظهرت مؤلفات أخرى .

كل هذا كان معروفاً عندهم قبل أن يفتح العثمانيون بغداد سنة ٩٤١ هـ .  
 وبعد الفتح عرفنا ( پيري رئيس ) و ( سيدي علي رئيس ) وجماعة من المتضلعين في ( علم البحار ) ، فاستقرت المعرفة . كانت الهيئة المتداولة معروفة ومنتقلة اليها

من أيام العباسيين والمغول والتركان بتوسع قلّ أو أكثر ، والجديد فيها ( علم البحار ) وظاهرة أخرى أن الترك العثمانيين كتبوا بلغتهم مؤلفات الا انهم كالايرانيين لم ينقطعوا من العربية لسان العلم والثقافة بضرورها ، جري ذلك بأمل المعرفة والاتقان .

وعندنا شاعت بعض المؤلفات التركية المكتوبة باللغة العربية مثل ( ملخص الهيئة ) للخصيني ، وشرح قاضي زاده ، وشرح السيد الشريف علي الجرجاني ، وعلي القوشجي ، وصارت تدرس عندنا فاكثرت رواجاً واستقرت في ( كتب الجادة ) ، وأعتقد ان هذا الانتشار كان من أيام أولوغ بك فمن بعده كما تداوالت الثقافة بعض ما كتب أيام المغول . . . .

وبهنا الاتصال بعلم البحار ، وهو علم جديد انتشر لدى العثمانيين . وهذا اتصل بثقافة العرب في سواحل خليج فارس والبحر المحيط الهندي ، وما يتصل بهما كالبحر الأحمر .

وهذه علاقة حياتية أكثر من العناية بأمر الطالع وما فيه من سعد ونحس ، ولم تر اهمالاً لهذه الجهة أيضاً بل لم تترك في وقت . . . . والعلوم تجددت بما حصل من انبياہ ، وما زاد من عناية ، والترك العثمانيون لم يقصروا في المعرفة ، وكان انبياهم الى مؤلفات العرب في علم البحار كان قبل أن ينتبه الغرب اليها . وبواسطة الترك نقلت الى الألمانية نقلها الأستاذ هممر بترجمة كتاب ( محيط ) لسيدي علي رئيس ، وأعلنت هذه الترجمة عن ثقافة العرب واهتمام الترك بها ، وعرفت العلاقة بهذه العلوم .

وبهنا أن تقول ان علم الفلك بعد سيدي علي رئيس لم يتقدم بل أصابه الخمول الذي عمّ الشرق بسبب الحروب الطاحنة المتواليه بين أهليه ، ومن ثم اقتصر على المؤلفات السابقة وحدها ، وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نعدّ فلکیاً معروفاً وان كان لقب ( منجم باثي ) أي رئيس النجمين الأول والثاني مشهوراً وموجوداً في تشكيلات الثقافة الفلكيه للدولة .

ولا ننس الموقنين في بعض الجوامع ، فقد ظهر بينهم أكابر • والمطلوب الانتاج ، وهذا لم نره الا قليلاً ، لاسيما في تاريخ هذا العلم ، كان تقدم هذا العلم والفضل في تكامله الى الرصدات وتحقيقاتها ، والاتقان الذي صحح أزياجها ، فالنرق لا يظهر في مطالع النجوم الا في عصر أو أكثر ليعلم التفاوت • ولا شك أن المثابرة على التدريس وحده للمعرفة الفلكية ولد جموداً ، واقتصر فيه على ايضاح بعض الكتب المدرسية ، ولا يتحول من تأثر بكتب المدرس القديمة مثل ملخص الجفميين وشروحه وحواشيه الا اننا نشاهد ( كتب البهاء العاملي ) صارت تحتل مكانة ، بالرغم من المقارعات الحرية • وفي كل هذا العهد لم نشاهد تجدداً في علم الفلك ، وبقيت القدرة العلمية مقصورة على التدريس • وعلماء الفلك في هذا العهد انحطت مداركهم أو احتفظوا بالموجود أو بالمعرفة السابقة ، ولم نر فيهم ما بلغت الأنظار ، ومؤلفاتهم في العربية مرة وفي التركية أخرى •

دامت الحالة في الفلك على ما كانت عليه الى أيام تأسيس ( المهندسخانه ) وهي كلية مهمة في الهندسة خدمت العلوم الرياضية والفلك الا أن الاشتغال مشى باطراده ، تغذبه المؤلفات السابقة وهي ثروة ثقافية عظيمة ، وأكبر عمل في هذا العهد ان التفت العثمانيون الى ثقافة الأمم ، فنقلوا ( الأزياج ) من الغرب ، ورعوا ما كان معروفاً عندهم والملاحظ أن السلطان سليمان الثالث قدم الى المهندسخانه البرية أجل اسطرلاب قديم يقطر ٨٦ مليماً وفيه خمسة ألواح وخطوط كوفية • قال الأستاذ صالح زكي ان الاسطرلاب لم يتقدم بعد الألف عند العثمانيين وغيرهم ولم ينل الاتقان المؤلف عند قدمائنا ، وعدة جملة من هذه الاسطرلابات <sup>(١)</sup>

(١) قاموس الرياضيات ص ٣٠٩ •

## نقل الأزياج الغربية

كان هولانكو قد جمع ثلثة من العلماء برئاسة الخواجة الطومسي فتمّ بناء الرصد في مراغة ، وعمل الزيج الابلخاني ، وجرى العمل به مدة فتبين النقص فيه ، فقام أولوغ بك بعمل الرصد في سمرقند ، ورتب الزيج الأولوغ بكى ، وهذا دام العمل به مدة وجرى فيه اصلاح ، ثم توجه نقد عليه من علماء عبددين الا انه لم يعمل رصد لتحقيق التفاوت والتثبت من صحة الزيج بسبب اهمال الأرصاد ومرور زمان طويل عليه أكثر من المدة التي مضت على الزيج الابلخاني ، والتفاوت لا يظهر مبرهماً من جراء انه يحتاج الى الحساب ولا يتبين ذلك بالنظر للآلات الموجودة آنئذ . وانما بتحقيق مرور قرن أو أكثر .

لم يهدأ الاشتغال في الفلك الا أنه تحول الى مواطن الرغبة ، فان الغرب بذل الأموال العظيمة لبناء أرصاد ، كان أسس رصد باريس سنة ١٦٦٢م — ١٠٧٧هـ أيام الملك لويس الرابع عشر . وكان كاسبيني ( جان دومينيك كاسبيني ) مديره الأول ، وصار الزيج الكاسبيني هو المعتبر . وتوفي كاسبيني سنة ١٧١٢م ثم خلفه ابنه جاك ( ١٦٧٧م — ١٧٥٦م ) . ثم جاء لالاند ( ١٧٣٢م — ١٨٠٧م ) فصنّح ( الزيج الكاسبيني ) ، وأما رصد لندن في غربنويج فقد أسس سنة ١٦٧٥م أيام الملك شارلس الثاني ، والغريون تعاونوا على تحقيق الأزياج . وفي أميركة شاع الرصد أيضاً ، وزادت العناية به كثيراً .

والعثمانيون رعو علم الفلك ، وان اسماعيل الجناري من رجال القرن الثاني عشر ومن أكابر الفلكيين ، نقل الزيج الكاسبيني الى التركية باسم ( تحفة هيج رصيني ترجمه زيج قاسبيني ) .

وهذا يحتاج الى توضيح ، وذلك أن السلطان أحمد الثالث في أواخر سنة ١١٣٢هـ أرسل الى لويس الخامس عشر بكرمي سكرتري . وهو محمد افندي بسفارة ، وطبعت سفارته مؤخراً ، وكان هذا الفاضل ذهب الى رصد باريس

ورصد الأجرام السماوية في النظارة المقربة ( التلسكوب ) ، وكان مدير الرصد آنئذ جان كاسيني ، فبحث معه حول الأزياج في الدولة العثمانية وحول علم الهيئة . فقدم جان كاسيني نسخة من زيج والده دومينيك كاسيني ولم يطبع بعد قدمها هدية الى محمد أفندي ؛ ومن ثم دخل هذا الزيج الجديد البلاد العثمانية . ثم ان السلطان مصطفى خان الثالث أمر بنقله من الفرنسية الى التركية ، فكان ذلك نصيب اسماعيل الجتاري ، ويقال له ( خلفه زاده ) نقله الى التركية امثالاً لأمر السلطان سنة ١١٨٤ هـ فقام هذا الزيج مقام زيج أولوغ بك ، ونقل جداول اللوغاريتمه فألحقها به ، فخلت محل الحسابات الفلكية السينية ، وسمى جداول اللوغاريتمه بـ ( الجداول النسبية ) ، فكان ذلك أول نقل للزيج الغربي واللوغاريتم ، ومن هذا الزيج المترجم نسخة بخط مترجمه مؤرخه في سنة ١١٨٦ هـ وصلت شراء من تركه ميرزاده قويم الى ولي الدين افندي وصارت الى الأستاذ صالح زكي الرياضي المعروف ، ولا ندرى مصيرها .

وبما عرف ان مؤرخ الرياضيات مونتوكلا قد ذكر سنة ١١٨٠ هـ من الجلد الأول من كتابه تاريخ الرياضيات أن السلطان مصطفى الثالث طلب من البارون طوب Tott من المجمع الفرنسي ارسال بعض الكتب الرياضية ، فأرسل اليه بعض الكتب ومنها (زيج لالاند) كما صرحت بذلك سجلات المجمع ، وكان من بين الكتب المرسله لوغاريتم . وفي تاريخ واصف طلب بعض الكتب من فاس في الاختيار بأن تجمع له من المغرب أي للسلطان المشار اليه ، هذا ما أمكن تلخيصه من قاموس الرياضيات . ومن الزيج القسبي باللغة العربية جاء ما نصه : الزيج القسبي المعتبر نبغ في عصرنا زهه زمانه وفريد دهره (كنا) وهو الرصد الجديد المرصود في مدينة باريس كرمي المملكه الفرنسية ، وقد اقتطف بعض الفقهاء من أصل نسخة كتابه الكبير فقط صنعه تقويم النيرين والخمسة كواكب المخيرة وعمل الاجتماع والاستقبال وترجم من الفرنسية الى التركية في مدينة القسطنطينية السلطانية وحول الرصد

اليها وفي أگستوس سنة ١٢٦٠ ترجم ذلك الى اللغة العربية في مدينة حلب الشهباء وقد وصفنا تحويل ذلك الزيج الى حلب تحت جداول استخراج التواريخ . ولم ينعين ناقله الى العربية ، وهذا موجود في الخزانة الظاهرية برقم ٤٣ فلك ، وبعد ذلك تمكن هذا العلم في بيروت في الكلية الأمريكية على يد كرنيلوس فاندريك في كتابه قبة السماء ، وأصول الهيئة وغيرها من مؤلفات ظهرت ٠٠٠ ثم جاء حسين حسني مؤمن زاده من مشاهير الرياضيين فنقل الى التركية ( زيج لالاند ) ، وكان هذا أيضاً من مشاهير الرياضيين ، ومن ثم تعينت العلاقة ، وتبينت ماهية الاشتغال نوعاً ، وهذا الزيج الأخير كتبه مؤلفه باللغة التركية ، وعندي نسخة مخطوطة منه . أوله : حمداً نجم شمار ٠٠٠ قال في مقدمته : ان الأعمال الحسابية والأمر العقلية تزداد كلاً وتقدم يوماً فيوماً فتصل الى أوج الكمال ، وان مطالع الصنائع البديعة لا تزال تصل الى نهاية من التحقيق وتتكامل الى غاية عظيمة من الاتقان ، وان الزيج الشهير المأخوذ أيام ( أولوغ بك ) كان من أتم ما وصل اليه المتقدمون ، فاشتهر فهو أكمل من غيره ولكنه لا يخلو من نقض في آلاته الرصدية ، فكان قد ظهر عليه النقص ، وبدا الإهمال ، فتبين الخطأ في زيجه بعد حين وظهر الخلل في ضبطه وان ( زيج قسبي ) أزاح السنار عن فرق عظيم فيه ، وتبين بجلاء ، ظهور فروق نحو ساعتين من الزمن عندما تقيس دخول الشمس في نقطة الحمل ، وهكذا في الكسوف والخسوف ، فنرى التفاوت بنحو ساعتين بين حلوله وتاريخ ضبطه ، وهذا مشاهد رأي العين . فقطع أرباب هذا العلم بيطلانه . فكان ( زيج قسبي ) مرجحاً عليه من كل وجه . وهذا الزيج يمرور الأزمان عاد غير منقن من كل وجه ، فجاء لالاند الراصد الفرنسي الشهير بالفلك في باريس فبين خطأه ، وأوضح تخلفه الجزئي ، فاستبان عيناً ، فعدّل فيه سنة ١٨٠٠ م - ١٢١٤ هـ <sup>(١)</sup> . فنبتت التخلفات الرصدية ،

(١) وهذا التاريخ لا يتفق مع تاريخ اعطاء نسخة منه الى الدولة العثمانية سنة

واتخذ مركز قرص الشمس أصلاً ، فصار الضبط أكمل ، وعدء هذه التخلفات بالمائة السنوية (تخلف صدسالة) فوضع ضبطاً لهذه التخلفات عن كل مائة سنة وصح أن نسحق بالتخلفات بالرصدية ، وبذلك تمكنت التدقيقات العلمية من تعديل التقاويم الفلكية فكانت أقرب الى الصحة ، وصار بعدء هذا الزيج (بالزيج الخالد) الذي لا يطرأ عليه خلل ولا يجمعل التخلف فيه ولا في المطالع . ولا ينكر الاتقان ، ولا التخلف الجزئي في كل حالانه ، فهو عرضة للإصلاح دوماً ، ولا شك ان اتقان الآلات مما ممكن من اتقان للرصد ، ومن ثم اتقان الأزياج .

وهذا الزيج نقله الى التركية وبدل أرقامه الى أرقام اسلامية ، وبذلك وبعد انتهائه قدمه الى السلطان محمود ابن السلطان عبد الحميد <sup>(١)</sup> . ونعت نفسه حين تقديمه بحسين حسني النجم الثاني ، فكتب هذا الزيج الجديد ونقله الى اللغة التركية ، واتخذ عاصمة الفرنسيين باريس مبدأ خط نصف النهار وقسمه الى ستة أبواب <sup>(٢)</sup> . . . .

هذا ما جاء ملخصاً من الزيج نفسه ، وفيه بيان تاريخ الزيج عند العثمانيين . والملاحظ أن صاحب (عثماني مؤلفري) بين ان المؤلف من عهد السلطان عثمان والسلطان محمود الأول ، فعدءه من رياضي ذلك الزمن ، وذكر له من المؤلفات (مرآة القلوب) ، ومنه نسخة في خزانة تكية يحيى أفندي في بشكطاش . وقال انه من أهل استنبول ، ومن موظفي المالية ، نقل (زيج لالاند) الى التركية ووسعه فجعله في ستة أبواب <sup>(٣)</sup> وأعتقد ان المؤلف لم يكن من عهد السلطان عثمان والسلطان محمود الأول فقد جاء أنه كتبه أيام السلطان عبد الحميد وصوابه السلطان محمود ونقد (زيج قاسيني) ، وبين تاريخ سنة ١٨٠٠ م زمن

(١) ورد ان السلطان عبد الحميد بن السلطان عبد الحميد . وهذا ليس بصواب . فقد

ذكر السلطان عبد الحميد بدل السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد سهواً كما يظهر .

(٢) ملخص ما في مقدمة الزيج للذكور .

(٣) عثماني مؤلفري ج ٣ ص ٢٦٠ .



تعدبل الزبيج القاسيني من لالاند<sup>(١)</sup> . فجاء مكملاً لما قام به من كان قبله من رجال العثمانيين .

ويؤيد ذلك الرجوع الى ترجمة (اسماعيل الجناري) المعروف بـ (خليفة زاده) ، ومن أوائل أيامه صار مظهر توجه السلطان مصطفى الثالث ، وصار موثقاً في جامع (لاله لي) ، وهذا الفاضل كان أمره السلطان مصطفى أن يترجم (زبيج قاسيني) فنقله الى التركية بتوسيع في ١٤ فصلاً وسماه (تحفة بهيج رصيني ترجمة زبيج قاسيني) . وحسين حسني أول من نقل (زبيج لالاند) ووضعه في موضع العمل ، وترجم المجلد الأول من كتاب (استرونومي دولالاند) أي هيئة لالاند . وهو في ثلاث مجلدات نقل الأول منه وسماه (زبيج لالاند) ، ونقل أرقامه الى حروف أبجدية ، ومنه نسخة لدى أحمد ضيا ، قال ذلك صاحب (عثمالي مؤلفري) ، وجاءت ترجمته موسعة في (قاموس الرياضيات) للأستاذ صالح زكي من رياضي الدولة العثمانية .

وهذا ما يجعلنا نميل الى أن حسين حسني (مؤمن زاده) هو الذي قام بما قام به من ترجمة الزبيج المعروف باسمه أعني (زبيج حسين حسني) بالوجه المبين . وان (زبيج لالاند) هو المترجم من حسين حسني نفسه وكان الى سنة ١٢٣٦ هـ . وجاء ابراهيم بك (طوارق باشا زاده) فشرح زبيج قاسيني وذبل عليه من سنة ١٢٣٧ هـ الى سنة ١٢٤٠ هـ بلم (تسهيل زبيج قاسيني) ، ونقل فن (المثلثات) من الافرنسية ، وله (رسالة في الارتفاع) رتبها على ستة أبواب ، وكان منجم باشي (رئيس المنجمين) في الدولة العثمانية ، توفي سنة ١٢٤٦ هـ ، وترجمته في عثمالي مؤلفري .

وهنا لا ننص دون الاشارة الى أن (زبيج حسين حسني) جاء بعد (تحفة بهيج رصيني) وجاء التسهيل ذيلاً عليه . والنسخة الموجودة عندي من زبيج

(١) في هذا التاريخ ما يخالف تاريخ سنة ١١٨٠ هـ الذي قدم فيها زبيج لالاند أو أنه اكتسب الشكل الأكل سنة ١٨٠٠ م . فليتحقق !

حسين حسني تداولتها الأبيدي في بغداد ملكها محمد أفندي الخشالي ، ثم محمد درويش أفندي الكاتب الأول للمحكمة الشرعية الأسبق ، وكان رحمه الله تعالى فاضلاً في التقويم .

هذا وكان أول من ترجم الكتب الفنية من لغات أوروبا ( الخواجة اسحق أفندي ) وكان موفقاً في وضع المصطلحات العلمية وتعيينها وبعد رئيس الناقلين من اللغات الأجنبية وإمامهم ، وكان باش خواجه في المهندسخانة البرية أي رئيس الأساتذة . وتوفي سنة ١٢٥٠ هـ<sup>(١)</sup> . والفضل لمؤسسة المهندسخانة المذكورة ، فإنها مكنت العلوم الرياضية في المملكة ، وظهرت مؤلفات حجة في هذه العلوم ، وحصل تجدد عظيم فيها ، ولم يبق القوم على الكتب القديمة ، وإنما انصرفوا الى معرفة ما تجدد منها ، والعلوم يجولها الاشتغال . ومن المهم الاشارة الى أن العلوم العملية للحرب وما مائل تستند الى هذه ، ووضعت فيها مؤلفات عديدة كما أن العلوم البحرية الحربية تستند الى عين المستند .

والى تاريخ تكون المهندسخانة كانت العلاقة بالعلوم العربية في الهيئة كبيرة ، وكانت الترجمة من هذه اللغة مستمرة ، وأصل الدراسة باللغة العربية نسيها مشهودة الا أن الوجهة تغيرت بتأسيس هذه المدرسة ، وان بغداد لم تقصر في علوم الأوائل ، كما أن الرغبة العلمية جعلت العراقيين يميلون الى هذه المؤلفات الحديثة ، فتحوت العلوم الى مواطن الرغبة ، وكان الترك العثمانيون قد مالوا الى الأخذ من هذه العلوم من أهلها . وكانوا على علم من الفلك القديم وسائر العلوم الرياضية ، ونعم ما فعلوا ، ولا تزال نوى النقص ، ولم تتكامل المعرفة في الشرق كله . . . . .  
وهؤلاء أشهر من عرفوا :

١ - اسماعيل الجناري :

كان في أيام السلطان مصطفي الثالث ( ١٦ صفر سنة ١٢٧٢ هـ - ٨ ذي القعدة سنة ١١٨٧ هـ ) ويعد من أكل النجمين ، وله من المؤلفات :

(١) ترجمته ومؤلفاته في عثمانلي مؤلف لري ج ٣ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(١) تحفة بهيج رصيني ترجمه زبيح قاسيني ، ويعرف بزبيح قاسيني ، وسماه صالح زكي بـ ( زبيح لالاند ) وليس بصواب ، فان ( زبيح لالاند ) يأتي ، وهو غيره .

(٢) رسالة في تأخر الغروب عن الوقت المستخرج بالمواقيت المستعملة في أيدي الناس .

توفي بعد سنة ١٢٠٣ هـ .

٢ - اسماعيل الكلبوي :

جاءت ترجمته في قاموس الرياضيات بصورة مفصلة ( ص ٣١٨ ج ١ ) ، كان من رياضي الدولة العثمانية المشاهير ، ولد سنة ١١٤٣ هـ في كنبه وعرف بالنسبة اليها ، وأصل اسمه اسماعيل ، وهو من بيت علم ، ولي التدريس سنة ١١٧٧ هـ وكان قد نال قبولاً من السلطان سليم الثالث فأنعم عليه مولوية بكيشهر سنة ١٢٠٤ هـ ، وبعد خاتمة العلماء في الرياضيات القديمة ، وفي أيام السلطان عبد الحميد الأول وصدارة خليل باشا دخل في المهندسخانة البحرية بصفة مدرس للرياضيات .  
ومن مؤلفاته :

(١) كتاب الجبر .

(٢) شرح اللوغاريتمه ، شرح به رسالة كانت متداولة .

(٣) رسالة في المثلثات .

(٤) كتاب المراصد .

وتوفي سنة ١٢٠٥ هـ (١) .

٣ - سليمان مقامي :

كان كاتب الديوان ، وتوفي سنة ١٢١٠ هـ . وله من المؤلفات :

(١) زبيح قاسيني ، حوّل فيه سنه الميلادية الى هجرية ، ونقل طول باريس

(١) تفصيل ترجمته في قاموس الرياضيات ص ٣١٨ - ٣٢١ .

الى طول استنبول وسماه (زيج جديد خلاصة غرام) .

٢ - مرآة السماء ، تركي .

٣ - رسالة الارتفاع .

٤ - السيد مصطفى بن أبي بكر :

كان ماهراً في الرياضيات مهارة كبيرة ، وهو من دخل كلية الهندسة أيام السلطان سليم الثالث ، وهو خطاط أيضاً ، ولا يزال حياً في سنة ١٢١٠ هـ . وله من المؤلفات :

١ - فن الحرب ، كتبه باللغة الفرنسية .

٥ - حسين حسني : من رجال الفلك المعروفين . وله :

١ - الزيج المسمى باسمه (زيج حسين حسني) ، نقد الأزياج السابقة . ومنها

زيج أولوغ بك وزيج قاسيني ومدح (زيج لالاند) ونقله الى التركيبة . ثم

كتب زيجه ، وعندي نسخة منه .

ويعد المترجم من الفلكيين الاكابر ، لم ينقطع عن المعرفة والاتصال بالحركة

العلمية في الفلك فراعى اطراد التجدد فيه .

٦ - ابراهيم بك طوراق باشا زاده . من الفلكيين وله :

١ - رسالة في المثلثات نقلها من الفرنسية الى اللغة التركية .

٢ - الذيل والشرح على الزيج الفاسيني كان قد ذيل عليه من سنة ١٢٣٧ هـ

الى سنة ١٢٤٠ هـ .

٣ - رسالة الارتفاع .

وفي أيامه كان رئيس المنجمين ، توفي سنة ١٢٤٨ هـ - ١٨٣٢ م .

٧ - خواجه اسحق :

كان أول من ترجم الكتب الفنية من لغات أوروبا ، وعين المصطلحات ،

فوجد لها مقابلاً . وله معرفة ببدء لغات ، فهو إمام من نقل ورئيس من ترجم .

فهو مجدد علوم الفلك والرسم والتخطيط . . . . وله من المؤلفات :

- ١) مجموعة العلوم الرياضية ، طبعت وفي ضمنها الفلك .
  - ٢) عكس المرايا في أخذ الزوايا ، يبحث في أصول استعمال آلات الرصد  
لكل أوقات ، وسكتاند .
  - ٣) رسالة الكرة .
  - ٤) أصول استعمال آلة أوقات .
- توفي سنة ١٢٥٠هـ - ١٨٣٤م<sup>(١)</sup> .

وهكذا توالى الاشتغال في الفلك والرياضيات حتى ظهر مثل الأستاذ صالح زكي ، وكان بعد من نوابغ هذا الفن ، فخدم العلوم الفلكية والرياضية الجديدة وتوفي في ٢ تموز سنة ١٣٢٧ روية وفي المدارس الحربية ودار الفنون الملكي (الجامعة) قوبت العلوم الجديدة في الفلك والرياضيات ، ومن آخر من ظهر في هذه العلوم أحمد مختار باشا الغازي ، وله مؤلفات مهمة كرياض المختار وذبله ، واصلاح التقويم ، وتقويم السنين ، والتقويم المالي ، وتوفي سنة ١٣٢٧هـ . وهناك أفاضل كثيرون ، منهم أخذ العراقيون في الحربية في الاغلب ، والى مؤلفاتهم توجهت الوجهة دون غيرها .

وكانت ثقافة الترك في الفلك موجبة الى الاستقاء من كتب الايرانيين وكتب العرب ، وظهرت لهم آراء خاصة في الفلك وفي البحرية ، والاتصال بثقافتها بواسطة ملاحى العرب الا أنها جاءتهم من جراء الاصطدام بالبرتغال ، وكان الاشتغال في الكتب المتداولة وفي زيج أولوغ بك ، حققوا فيه ، وأخذوا بأحكامه مع مراعاة اشتغالات العرب ، والصلة غير منقطعة ، ثم عادت الى التوجه الى ايران ودرس كتاب البهاء العالمى وفي أواخر القرن الثاني عشر وما بعده مالوا الى تكامل العلم في الغرب ، فكانوا من أقدم الأمم الشرقية في الأخذ منهم في الفلك والرياضيات لما أسسوا من أرصاد ، وأتقنوها بتقريب العلماء في

(١) جاء تفصيل ترجمته في قاموس الرياضيات ج ١ ص ٣٠٠ .

الفلك الا أنهم لم يهملوا المعرفة السابقة الا في النواحي التي قبلت الاصلاح .  
 جمعوا بين الثقافتين وما عدل فيها من تصحيحات ومعلومات جديدة . وهكذا  
 توالى الأخذ الى درجة أخذوا بها في المصطلح لعدم التوفيق بين الماضي والحاضر .  
 كان النهج واحداً ، ولا يزال الا في وضع آلات جديدة لزيادة الاتقان .  
 وهذا التجدد لا يدعو الى اهمال المصطلح ، أو ان يؤدي الى الاخذ بمصطلحات  
 الغرب . . . . ولا سبب لذلك الا الاتقطاع عن الثقافة العلمية السابقة أو الجهل  
 بالمعرفة التاريخية (١) .

عباس الغزاوي

(يتبع)

•••••

(١) من أم للمراجع للتوسع كتاب ( عثمانلي مؤلفري ) ج ٣ وقاموس الرياضيات  
 والآثار الباقية ، وهما للاستاذ صالح زكي .

# تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

- ٧ -

## القرن الثامن

من أشهر من تكلم في إعجاز القرآن في القرن الثامن الزمלקاني في كتابه التبيان في إعجاز القرآن ، والخطيب القزويني صاحب كتاب التلخيص لمفتاح السكاكي ويحيى بن حمزة العلوي وهما من علماء البلاغة ، والأصهباني والشاطبي وهما مفسران ، والزرركشي صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن . وسأخص كلاهما منهم بكلمة .

### ١ - الزمלקاني :

يؤلف الزمלקاني (٧٢٧) كتابه التبيان في الإعجاز ويذكر خلاصة رأيه السيوطي (الاتقان ج ٢ فصل الإعجاز) فيقول : «وجه الإعجاز راجع الى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدت مفرداته تركيباً ووزناً وعلّة ومركيباته معنى بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى» .

فلا يخرج به عن نظرية النظم ولكنه يجعل هذا النظم في جودة كل من اللفظ والمعنى وفي اتلافهما وليس هذا بجديد ، هذا وقد اعتمد عبد العليم الهندي على كشف الظنون فيما يظهر فجعل وفاة الزمלקاني سنة ٦٥١ هـ .

### ٢ - الخطيب القزويني :

يؤلف الخطيب القزويني (٧٣٩) كتابه التلخيص - لمفتاح السكاكي - فلا يتكلم على الإعجاز بشيء إلا أنه يذكر في مقدمته أن علم البلاغة وتوابعها

من أجل العلوم قدراً وأدقها مسراً إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها فيظهرنا على أن المؤلفين في البلاغة على الغالب ينظرون الى علوم البلاغة على أنها واسطة لمعرفة إعجاز القرآن فهو يقرر ضمناً أن إعجاز القرآن في فصاحته وبلاغته لا في شيء آخر .

### ٣ - يحيى بن حمزة العلوي :

ويؤلف يحيى بن حمزة العلوي ( ٧٤٩ ) كتاب الطراز في البلاغة ويعقد فيه فصلاً مطولاً في الجزء الثالث منه للإعجاز ينبع فيه طريقة الجدل والكلام فيذكر أقوال غيره ويناقشها واحداً واحداً ليردها ثم يقدم رأيه الخاص وأول ما يبطالنا في كتابه الخاص أنه يعرف البلاغة فيقصر الغرض منها على معرفة أحوال الإعجاز فيقول :

« هي علم يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الإعجاز لأن الإجماع منعقد من جهة أهل التحقيق على أنه لا سبيل الى الاطلاع على معرفة حقائق الإعجاز وتقرير قواعده من الفصاحة والبلاغة إلا بإدراك هذا العلم وإحكام أساسه » .  
وفي الفصل الذي عقده للإعجاز يذكر أن فصاحة القرآن وبلاغته تظهران عنده بمقياسين الأول أن يقاس ما في القرآن على قواعد الفصاحة والبلاغة التي قررها وهنا نلاحظ نحن أن هذه القواعد مستمدة من القرآن فكأنه حينما بقيسها إنما يطابق الشيء مع نفسه ، والثاني أن يقاس بأقوال البلغاء . فيظهر فضله في الحالين . ثم يأتي من القرآن بآيات تتعلق ببحوث الفصاحة والبلاغة ويبين أنها جاءت منها في المرتبة العليا وذلك تطبيق على مقياسه الأول للإعجاز .

ثم يذكر أن الكلام في الإعجاز أول المباحث الكلامية والأمرار الإلهامية لأنه دليل النبوة ويذكر تقصير من سبقه في بيان أسرار الإعجاز ووقوفهم عند الكلام على مخارج الكلم ، بعضهم لتقصيره في الكلام والإلهاميات وهم الأكثرون



كالسكاكي وابن الأثير وصاحب التبيان - أي الزملاكاني - وبعضهم كانت له اليد الطولى كابن الخطيب الرازي الذي لم يأت في كتابه بما ينفع الغلة . وهنا نراه يتهم المؤلفين قبله بالتقصير فيبالغ لأنهم لم يبقوا لهم عند مخارج الكلم وسنرى أنه لم يأت يجديد يستحق الذكر وإنما كان جامعاً لما كتبه غيره مستقصياً في الجمع لا أكثر ثم يقول إن الدليل عنده على الإعجاز شيبان :

١ - تحدي النبي للعرب بأن يأتوا بمثله وعجزهم عن ذلك .

٢ - ما اشتمل عليه القرآن من الفصاحة في الألفاظ والبلاغة في المعاني - بالإضافة إلى مضرب كل مثل ومساق كل قصة وخبر وفي الأوامر والنواهي وأنواع الوعيد ومحاسن المواعظ وغير ذلك مما اشتملت عليه علوم القرآن فإنها مسوقة على أبلغ سياق - وبخاصة الثالثة جودة النظم وحسن السياق .

ويطيل الكلام في التحدي (الطراز ج ٣ ، ص ٣٧٠) فيذكر أن الله تزلّم فيه على ثلاث مراتب وأنه تدرج فيه من الأكثر إلى الأقل - من القرآن ، إلى عشر سور ، إلى سورة - ويذكر حالم مع النبي حين هذا التحدي وجوابهم عليه ثم يورد ما بوجهه الملاحظة من الطعن على فكرة إعجاز القرآن ويورد لهم عدة اعتراضات في صور أسئلة تنوّق في وضعها وتكلف عناء الاجابة عليها ، والفرص منها إنكار التحدي لأنه عمدة الإعجاز وتتلخص فيما يلي :

١ - ليس القرآن كله بتفاصيله متواتراً بل المتواتر هو القرآن ككلّ . لأن ابن مسعود أنكر الفاتحة والمعوذتين وحصل خلاف بين الصحابة في كون بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وأثبت أبي بن كعب آية القنوت ( اللهم اهدني فبين هديت الخ ) في القرآن ولما كانت آيات التحدي من جملة التفاصيل فلماذا لا يحكم ثبوتها في المصحف فلا يكون فيها دلالة . وهو يرد على هذا بأن القرآن متواتر التفاصيل لأن الأولين كانوا أحرص منا على حفظ القرآن أو هم مثلنا على الأقل فما ادّعاء بعض الصحابة من أن في القرآن زيادة أو نقصاً هو إما خبر آحاد لا يعتدّ به لأنه يشترط في مثله التواتر وإما أنه وحى ولكنه ليس بقرآن .

٢- ليس المقصود من آيات التحدي أن تكون دليل صدق النبوة بل هي من نوع تحدي الخطباء أثناء خطبتهم لمن يخالفهم فهو ضرب من المبالغة والاذعاء والافتخار .

ويرد على ذلك بأن النبي قد بلغهم هذا التحدي وكان يقارعهم بالقرآن وكانوا يعرفون المقصود منه .

٣- لم يصل التحدي الى كل العالم وعجز بعض الناس لا يدل على عجزهم جميعاً ولا يدل على صدقه . ويرد على هذا بأن العرب اذا عجزوا فغيرهم أعجز وإن لم يصل الى جميع الخلق سابقاً فقد وصل اليهم الآن ولم يقدر على معارضته أحد .

٤- هب أن التحدي قد بلغ الخلق كافة فهم عدلوا عن معارضته لأن المعارضة لا تجدي في حسم الخلاف فعدلوا عنها الى الحرب وإيهم لو عارضوه لاحتاج الأمر الى التحكيم ويكون ذلك مدعاة لتزاع طويل يكسب به محمد الوقت فتشتد شوكته فعدلوا الى الحرب ثم إنهم ربما عدلوا عن المعارضة لأنهم لم يدركوا حقيقة المائلة هل تكون بالفصاحة أو البلاغة أو النظم أو . . . . . ( بعدد هنا كل ما ذكر من آراء في وجوه الإعجاز تقريباً ٠٠٠ )

وأجاب على هذا بأن ردهم على التحدي بالقول أسلم لهم لأنهم كذلك ليسوا على ثقة من ربح الحرب وأنه ليس الغرض حصول المائلة من كل الوجوه بل الإتيان بما يظن كونه مماثلاً ، ثم لو اشتبه عليهم معنى المائلة لسألوا النبي عنها ولكن الأمر معلوم لهم ثم يقول : والنبي أطلق التحدي ولم يعينه بشيء دون شيء اتكلاً منه على ما يعلم من ذلك بمجرد العادة وأطرادها في التحدي بين الشعراء والخطباء فلم يكن محتاجاً الى تفسير المقصود - وهنا ترى رده قوياً معقولاً لأن العرف يعين المقصود من المائلة - .

٥- ربما كان المانع لهم من المعارضة اشتغالهم بالحروب العظيمة أو خوفهم من رسول الله وأنصاره . وردت في ذلك بأن المعارضة كلام لا يشغل عن الحرب

وقد قالوا الأشعار والخطب والحرب دائرة ثم لم لم يعارضوا القرآن زمن السلم  
ثم كان يمكن الفصحاء أو من هم في معزل عن الحرب أن يعارضوه .

٦ - كانت الدواعي متوفرة للمعارضة وتأخرهم عنها لا يدل على أنهم عاجزون  
لأنه لا يلزم وقوعها فعلاً ، وردّ على ذلك بأن توفر أسباب المعارضة بوجوب  
عليهم القيام بها وحيث أنهم لم يفعلوا دل ذلك على عجزهم عنها .

٧ - وما بدرينا أن المعارضة لم تقع وما البرهان على ذلك ؟ وأجاب على  
هذا بأن هذا الأمر العظيم لو وقع لما خفي ولاشتهرت المعارضة أكثر من القرآن  
الذي يصير حينئذ كالتشبهة وتصير هي كالحجة ويحفظها الملاحدة والمخالفون  
للاسلام لما فيها من إبطال أمر النبي .

٨ - قد وقعت المعارضة فعلاً واشتهرت فهذه قصائد العرب السبع وكلام  
مسيلمة وأخبار الفرس وملوك العجم للنضر بن الحارث ومعارضة ابن المقفع  
وقابوس بن شمشكير والمعري فكيف تنكر ؟ وردّ على هذا بأن كل هذه  
المعارضات لا تقارب القرآن ولا يصح أن تقارن به لضعفها .

٩ - ربما كان المانع لهم من المعارضة عدم معرفتهم بما يتكلم به القرآن من  
أخبار البعث والنشور والملائكة والسماء الخ مما لا دخل لأفهامهم في تعقله وإتقانه  
وردّ على ذلك بأن اليهود كانوا بين أظهرهم يستطيعون تعليمهم إياها ثم إن اليهود  
أنفسهم كان فيهم فصحاء .

وهذه الأسئلة ليست ذات قيمة كبيرة - فيما أرى - وإنما ذكرتها لأبين  
ألوان المناقشة والجدل في هذا الموضوع الذي كثيراً ما تناقش فيه البدهيات  
على غير طائل كناقشته هنا هل حصل التجدي أو لم يحصل وهل فهو آمنه  
معنى المائلة أو لا ثم لا أدري إذا كانت هذه الأسئلة كان يضعها للمحدوث  
والمخالفون حقيقة أو إنها كانت من وضع المؤلف أو غيره من العلماء ليردوا عليها  
ويبينوا قدرتهم في الجدل .

ويجادل صاحب الطراز بعد ذلك إثبات أن القرآن معجز بالطريقة الجدلية الآتية : إما أن يكون الإتيان بمثل كل واحدة من السور معتاداً أو غير معتاد فان كان معتاداً كانت سكوت العرب عن الإتيان بمثلها دليل إعجازه وإن كان غير معتاد كان القرآن لخروجه عن المؤلف والمعتاد معجزاً فالقرآن معجز سواء أكان خارقاً للعادة أم لم يكن .

وهنا يبدو لنا صاحب الطراز مناصراً لرأي الصرفة إلى جانب الرأي يخرق القرآن للعادة دون أن يبين سبب خرقه للعادة بيد أنه لا يجوز الاعتماد على هذا القول لأن هذا الدليل جدلي ولا يقنع أحداً أن يقول إما أن يكون معتاداً أو غير معتاد وكان عليه أن يسعى لتقرير الحقيقة وإثباتها علمياً فهل وقع التحدي والعجز أو لا أولاً ، ثم هل للقرآن سميات واضحة على غيره من الكلام أو ليس له ذلك ثانياً ، بدلاً من اللجوء الى مثل هذه الحججة المطاطة .  
ثم يعرض لأقوالٍ سابقة في الإعجاز فينقضها واحداً واحداً وها هي هذه الأقوال وردوده عليها .

١ - بين مذهب الصرفة ويذكر أن النظام وأبا اسحاق النصيبي من المعتزلة قالوا به واختاره الشريف المرتضى من الإمامية ويذكر له تفسيرات ثلاثة : تفسيراً يطابق رأي النظام ، وتفسيراً يؤيد رأي المرتضى ، وتفسيراً ثالثاً لا أدري من أين أتى به وهو أن الله منعهم على جهة القسر من الممارسة مع قدرتهم عليها ثم يرد عليه بما رده به سابقوه من العلماء من أن الصرفة لو حصلت لكانت هي المحجزة دون القرآن ولكان في كلام العرب السابق للقرآن أو اللاحق له ما يساويه .

٢ - يشرح بعد ذلك مذاهب من يجعلون سبب الإعجاز في أسلوب القرآن أو عدم تناقضه أو اشتغاله على الأمور الغيبية أو في فصاحته وبتفسيرون الفصاحة بسلامة الألفاظ من التناثر والتعقيد في المفردات والتراكيب ويرد عليها بمثل ردود سابقه .

٣ - ينقد المذهب القائل بأن إعجاز القرآن في اشتتاله على الحقائق وتضمنه لأسرار والدقائق - وهذا كما نرى مذهب شديد الاتصال بالنظرية العلمية في الإعجاز - فيقول إن القرآن يشارك حينئذ غيره من الكتب المختصة التي يستخرج منها الخلف فوائد متجددة وتكون الآيات الصريحة المعنى غير محجزة ومعاني الآيات الأخرى إما أن يدركها الإنسان فلا يكون حينئذ تفرقة بين القرآن وغيره أو لا يدركها فتكون أموراً غيبية ، فيرد عليها على طريقة الرد على هذه . وهنا نراه يطيل الرد ، ولا يراعي أن غرض القرآن ليس التعمية واحتواء الألفاظ والعلوم وإنما هو الهداية والتأثير في النفس .

٤ - يذكر المذهب القائل بأن الإعجاز في البلاغة وهو يوافق على هذا القول إذا قصد به أنه بلغ الغاية في فصاحة ألفاظه وبلاغة معانيه وبتكوره إذا أُريد أنه بليغ بالإضافة إلى أحدهما .

٥ - يذكر مذهب الإعجاز بالنظم المراد به أن نظم القرآن وتأليفه هو الوجه الذي امتاز به من بين سائر الكلام وهو يردّه إذا قصر الإعجاز على النظم دون بلاغة المعاني وفصاحة الألفاظ .

وكذلك يردّ هذا المذهب إذا جعلوا فيه القسط الأوفى في الإعجاز للنظم من بين هذه العناصر الثلاثة ويلاحظ أنه هنا يفصل بين هذه العناصر ويعطي للنظم مفهوماً خاصاً غير مفهوم عبد القاهر الجرجاني أو الباقلاني فالنظم عندهما مرتبط بالمعاني والألفاظ لا يفصل عنها ولا سيما عند عبد القاهر فالنظم عنده قائم في حسن ترتيب المعاني في النفس وحسن تأديتها بالألفاظ مع الاستعانة بقواعد النحو بمعناه الواسع ولا أدري كيف يفصل صاحب الطراز بين هذه الأمور الثلاثة التي تكون شيئاً واحداً إلا إذا قصد بالمعاني الأغراض العامة التي يقال فيها الكلام وبالألفاظ مجرد قيمتها الموسيقية .

٦ - يذكر مذهب القائلين بأنه محجّز بكل الأمور التي ذكرت ويرفضه لأنه

رفض هذه الأمور على التوالي ولأن الفصاحة والبلاغة كافيتهما في إعجازه ولا وجه لعدّ غيرهما معها .

٧ - يذكر مذهب القائلين بأن إعجازه فيما تضمنه من المزايا الظاهرة في العوالم والمقاصد والخواتيم في كل سورة وفي مبادئ الآيات وفواصلها وأن هذا هو الوجه السديد في وجه الإعجاز عنده وأنه سيوضحه بمونة الله ولكنه لا يذكره في وجوه الإعجاز عنده . وبعد أن ذكر ما اختاره من وجوه الإعجاز وقد ذكرتها قبل ، يورد عليها الاعتراضات التالية مع الردود عليها :

١ - ترجع الفصاحة والبلاغة والنظم إلى مفردات الألفاظ والعرب يعرفونها ، وإلى تراكيبها والعرب قادرون على أن يأتوا منها بالفصح البليغ ، وهو يرد على ذلك بأن القرآن قد بلغ الغاية في الجودة وأن المقدرة تتفاوت في حسن النظم .

٢ - إن الفصاحة والبلاغة وحسن النظم في القرآن لا تدل على صدق النبي ووجه الإعجاز في القرآن للدلالة على صدقه وأنه من عند الله والبشر قادرون على الفصاحة والبلاغة وحسن النظم ويحيب على ذلك بأنهم قادرون عليها ولكن إلى حد وبأن البشر يتفاوتون في أساليبهم والقرآن يبرّزهم ولا يلحقون بشأوه .

٣ - لو كان القرآن معجزاً بفصاحته وبلاغته لما اضطروا حينما جمعه بعد وفاة النبي أن يقبلوا الآية من هم مشهورون بالعدالة وأن يطلبوا البيّنة من هم غير مشهورين بها ، ويردُّ على ذلك بأن القرآن مجموع في الصدور قبل وفاة النبي جمعه جبريل . . . . الخ .

٤ - لو كانت الفصاحة وجه إعجازه لما اشتبّه على ابن مسعود الفاتحة والمعوذتان ولم يفتخرا من القرآن ، وأجاب على ذلك بأنه لم يخالف في كونها وحياً أنزلت للتبرك والاستعاذة وإنما في كونها من القرآن - ثم لأن هذا رأي لابن مسعود فلا يكون مقبولاً لأنه قول آحاد فكأنه خالف دلالة قاطعة - .

ويقول في الخاتمة إن القرآن إنما كان معجزاً لما بدّنه سابقاً للدلالات الوضعية سواء أكانت باعتبار دلالتها على معانيها الوضعية أو مجردة عنها وذلك فاسد

لأمرين : أولاً - لأن الكلمة قد تكون فصيحة في مكان ولا تكون كذلك في آخر . وثانياً - لأن الاستعارة والنشبيه والتمثيل الخ من أعظم قواعد الفصاحة وإنما كانت كذلك باعتبار دلالتها على المعاني لا باعتبار ألفاظها .  
وهنا نراه شديد التأثير بعبد القاهر الجرجاني فيجعل الفضل في النظم للمعاني لا للألفاظ ونرى أنه لم يأت في كل ما قدمه بجديد ولكن يقدر له حسن تنظيمه للبحث وطرقه له بصورة عليمة منظمة شاملة تغلب فيها روح العالم روح الأديب وإن كانت لا تخلو من كثير من الجدل العميق .

### ٤ - الأصبهاني :

ويأتي الأصبهاني (٧٤٩) فيتكلم في تفسيره على هذه المسألة وقد ذكر السيوطي (في الاتقان ج ٢ ، ص ١٩٨ وما بعدها) رأيه في الإعجاز فقال : قال الأصبهاني : « اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين : أحدهما إعجاز متعلق بنفسه ، والثاني بصرف الناس عن معارضته ، فالأول إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه ، أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى ، فان ألفاظه ألفاظهم قال تعالى : « قرآنًا عربيًا ، بلسان عربي » ولا يعنيه فكثير منها موجود في الكتب المتقدمة قال تعالى : « وانه لفي زبر الأولين » ، وما هو في القرآن من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاد والإخبار بالغيب فأعجازه ليس برافع الى القرآن من حيث هو قرآن بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم ويكون الإخبار بالغيب إخباراً بالغيب سواء كان بهذا النظم أو بغيره مؤدًى بالعربية أو بلغة أخرى بعبارة أو إشارة فإذن النظم المخصوص صورة القرآن واللفظ والمعنى عنصره وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره كالتخاتم والقرط والسوار فإنه باختلاف صورها اختلفت أسماءها لا بعنصرها الذي هو الذهب والفضة والحديد . . . فظهر من هذا أن الإعجاز المخصص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص وبيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام

ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عده ٠٠٠ (هنا يعدد أصناف الكلام من شعر ونثر) ٠٠٠ ثم يقول: «والقرآن جامع لحاسن الجميع على نظم غير نظم شيء منها ، يدل على ذلك أنه لا يصح أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع كما يصح أن يقال هو كلام ، والبليغ إذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عده من النظم ولهذا قال تعالى : ( وإِنَّ لِكِتَابِ عَزِيزٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ) ٠٠٠ وأما الإِعْجَازُ الْمُتَمَاقُّ بِصَرْفِ النَّاسِ عَنْ مَعَارَضَتِهِ فَظَاهِرٌ أَيْضًا ٠٠٠ فَلَمَّا دَعَا اللَّهُ أَهْلَ الْبِلَاغَةِ وَالْخُطَابَةِ الَّذِينَ يَهْبِعُونَ فِي كُلِّ وَادٍ مِنَ الْمَعَانِي بِسُلْطَانِهِمْ إِلَى مَعَارَضَةِ الْقُرْآنِ وَعَجَزُوا عَنِ الْإِتْيَانِ بِثَلْثِهِ وَلَمْ يَتَّصِدُوا لِمَعَارَضَتِهِ لَمْ يَخْفِ عَلَى أُولِي الْأَلْبَابِ أَنْ صَارِفًا إِلَهِيًّا صَرَفَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَأَيُّ إِعْجَازٍ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يَكُونَ كَافَّةَ الْبِلْغَاءِ عَجَزَتْ فِي الظَّاهِرِ عَنْ مَعَارَضَتِهِ مَصْرُوفَةٌ فِي الْبَاطِنِ عَنْهَا » .

ويلاحظ على الأصهباني أنه في هذا العصر جمع بين القول بالصرفة وبين القول بالإعجاز بالنظم وهما نقيضان والنظم عنده صورة القرآن التي تتألف من عنصرَي اللفظ والمعنى وليس اللفظ سبب الإعجاز لأن الفاظ القرآن هي ألفاظ العرب نفسها ، ثم نرى الأصهباني يستبعد أن تكون معاني القرآن سبباً لإعجازه لأنه يرى أن كثيراً من الكتب المتقدمة تحوي هذه المعاني وهو يسوق دليلاً على قوله آية من القرآن الكريم : « وإِنَّ لِي زَيْرَ الْأَوَّلِينَ » ثم ليس في الإخبار بالغيوب والمعارف الإلهية لأنها هي التي لو ذكرت في أية لغة ، والقرآن إنما هو معجز بوصفه كتاباً عربياً فأعجازه إذن في نظمه ، وهنا نرى الأصهباني آخذاً برأي عبد القاهر الجرجاني في باب النظم حتى إنه يضرب مثال عبد القاهر نفسه في دلائل الإعجاز وهو مثال الخاتم المصنوع من مواد مختلفة والحلي المتنوعة من مادة واحدة وحتى إنه يستعمل ألفاظه نفسها إلا أنه يخالف عبد القاهر في مسألة الصرفة التي ينكرها عبد القاهر ويشنع على قائلها كما رأينا ، وللقرآن عند



الأصهباني نظمه الخصوص فقد رأينا أنه لا يصح عنده أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو صبح كما يقال له كلام .

ثم إن الإعجاز - في رأيه - يدركه الأديب البليغ بالدوق لا بتطبيق القواعد العلمية وأساليب البلاغة تطبيقاً جافاً ، ومما بلغت النظر استعماله لفظي الظاهر والباطن في قوله : « عجزت في الظاهر عن معارضته مصروفة في الباطن عنها » ، وأرجح أنه يقول هذا متأثراً بفكرة الباطنية في التفسير .

### ٥ - الشاطبي :

لشاطبي ( ٢٩٠ ) رأي يتصل بالإعجاز اتصالاً سليماً فهو ينكر التفسير العلمي الذي يزعم أن القرآن يحوي كل العلوم بحيث لم بغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها مما جعله المتأخرون من أهم أسباب الإعجاز على حين ليس هو صحيحاً في ذاته وليس منها في ورد ولا صدر ، ويقول الأستاذ الخولي فيه ( التفسير ، منهجه ومعاله ) : « والمخالفة القديمة فيه - أي في التفسير العلمي - ما يديه الأصولي الأندلسي أبو اسحق ابراهيم بن موسى الشاطبي ( ٢٩٠ ) - في كتابه الموافقات وهو ينقد هذا الرأي العلمي للأسباب الآتية : ١ - هذه الشريعة أمة لأنها كذلك فهو أجرى على اعتبار المصالح ٢٠ - كان للعرب علوم وافقت الشريعة على بعضها وأبطلت بعضها الآخر لم تخرج عما ألفه العرب وينكر بعد ذلك أن يكون القرآن يحتوي على كل علم من علوم المتقدمين والمتأخرين . ٣ - الصحابة والتابعون كانوا أعلم منا بالقرآن ولم يدعوا شيئاً من هذا ويذكر الشاطبي أدلة أصحاب هذا التفسير العلمي وهي استدلالهم :

آ - بقوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » ، وقوله : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » .

ب - بفواتح السور وهي مما لم يعهد عند العرب وبما نقل عن الناس فيها .  
 ج - بما نقل من ذلك عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وغيره .

ورد على الأول بأن المراد بذلك العبادات وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ في الآية الثانية ، وردّ على الثاني بأن فواتح السور قالوا بأن للعرب بها عهداً مما عرفوا من حساب الجمل عن أهل الكتاب أو المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله ، وأما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون ولم يقل بذلك السلف ، وردّ على الثالث بأنه لا يجوز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه وإن يستعان على فهمه بما يضاف علمه إلى العرب خاصة فيما يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية فن طلبه بغير ما هو أداة له ضلّ عن فهمه . ويضيف الأستاذ الخولي إلى نقد الشاطبي ما يؤيده مما سنراه عند الكلام على رأي الخولي في الإعجاز .

### ٦ - الزركشي :

يتكلم بدر الدين الزركشي ( ٧٩٤ ) على الإعجاز في كتابه ( البرهان في علوم القرآن ) - هذا الكتاب موجود في المدينة انظر مجلة المعارف المجلد ١٨ رقم ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٦ ص ٤١١ ، وانظر أيضاً مقدمة الاتقان للسيوطي ، وموجود في مصر أيضاً - ويظهر مما أورده السيوطي من رأيه أنه كان مجرد جامع لآراء من سبقوه ، قال السيوطي ( الاتقان ج ٣ ، ص ١٩٨ فصل الإعجاز ) : « وقال الزركشي في البرهان : « أهل التحقيق على أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراد ، فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بفرده مع اشتائه على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق ثم يعدد ما سبق من الأقوال المختلفة » .

فليس للزركشي رأي خاص إذن في الإعجاز ولكن المهم أن يعتقد بإمكان وجود وجوه للإعجاز لم نقل حتى عهده فكأنه يؤمن بنظرية الإعجاز العالمي .

## القرن التاسع

أشهر من لهم في فكرة الإعجاز كلام أطلمت عليه في هذا العصر ثلاثة :  
ابن خلدون والمراكشي والسيوطي ، ويلاحظ على هذا الأخير أنه كان يأخذ  
من كل علم وفن بطرف وأنه ألف في جميع العلوم الاسلامية والعربية التي كانت  
معروفة في زمانه . وسأتحدث عن كل واحد منهم .

## ١ - ابن خلدون :

يتكلم ابن خلدون ( ٨٠٨ ) في مقدمته المشهورة على فن البيان فيقول :  
واعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن لأن إعجازه في وفاء  
الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة وهي أعلى مراتب الكلام  
مع الكمال فيما يختص بالالفاظ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها وهذا هو  
الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن دركه وإنما يدرك بعض الشيء منه من  
كان له ذوق بمخالطة اللسان وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه  
فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاماً وذلك لأنهم فوسان  
الكلام وجهابذته والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحته . وأحوج ما يكون  
الى هذا الفن المفسرون وأكثر تفاسير المتقدمين غفل منه حتى ظهر جار الله  
الزحشري ووضع كتابه في التفسير وتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن  
كما يبدي البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير » .

فابن خلدون يؤمن إذن بالإعجاز البلاغي الذي يدركه من كان له ذوق  
بمخالطة اللسان وحصول ملكته ويمتقد بأن العرب زمن النبي كانوا أعلى مقاماً  
وأبين لساناً من أدياء ما بعد العصر النبوي من المحدثين البلقاء وهذه النقطة موضع  
نظر وذكرت رأبي فيها من قبل .

نعيم الحمصي

( يتبع )

## الكلمات العربية في اللغة الأردنية

قبل أن أدخل في صميم الموضوع أرى لزاماً عليّ أن أعرّج مقتصراً على بعض المراحل التاريخية التي مرّت بها اللغة الأردنية قبل انخراطها في الأسرة اللغوية العالمية ، وألمّ بالعوامل التي جعلتها تستمد قوامها من اللغة العربية خاصة ، وذلك كي يكون القارئ على علم بالحوادث المهمة التي أدّت الى منشأ هذه اللغة ، أي اللغة الأردنية .

إذا أجلنا النظر في مواطن اللغة الأردنية وبحسبنا عن مدى قديمها وجدنا أنّ هذه اللغة حديثة العهد بالوجود ، قريبة المدى في تاريخ اللغات ، إذ هي ليست من اللغات الهندية القديمة ، بل هي بنت الفتوحات التي نوات على يد المسلمين في فترات مختلفة من التاريخ ، وأخيراً أوجدها المغول ( ١٢٢٨ م ) لأجل الاتصال والتفاهم مع السكان الأصليين وسموها لغة الأوردو أي لغة الجيش أو المعسكر كما يدلُّ أصل معنى هذه الكلمة في التركيبية .

هذه اللغة مزيج من العربية والفارسية والسانسكربتية <sup>(١)</sup> أما العربية فأثرت تأثيراً مباشراً في اللغات الهندية بوجه عام ، وفي اللغة السنديّة بوجه خاص عن طريق الجيوش العربية التي احتلت السنديّة تحت قيادة ( محمد بن قاسم ) سنة ٥٩١ هـ وتوسع سلطانهم فيما بعد الى ( مكنان ) وما جاورها من المناطق ، وعن طريق العلاقات التجارية الضاربة في القدم بين الهند وشبه جزيرة العرب قبل الاسلام ،

(١) وليس كما زعم (George Grierson) في كتابه: (Linguistic Survey of India) أن هذه اللغة فرع من فروع الهندية الغربية وليست لغة مستقلة .

حتى أصبحت العربية في ( السند ) لغة التخاطب<sup>(١)</sup> . وما يشهد على تأصل اللغة العربية في هذه المنطقة ، أنّ السندية حتى الآن تكتب بالخط العربي وتضم مفردات عربية قد تجاوز الحصر . أما تأثير اللغة العربية غير المباشر في اللغات الهندية فتأتي عن طريق الفارسية التي هي أيضاً لم نستطع أن نقاوم تيارها خلال الفتح الاسلامي ( ٧٥٠ - ١٠٠٠ م ) وقد غمرتها العربية مادة واشتقاقاً وغلبيتها نفوذاً وانتشاراً وهذا النوع من التأثير حصل عن طريق الفاتحين المسلمين من الأتراك والمغول والفرس والأفغان الذين كانوا تحت سيطرة اللغة العربية من ناحية الدين . هذه العوامل كلها تفاعلت وتمخضت عنها هذه اللغة التي تتكلم بها أكثر من مئة مليون نسمة ، بين مسلم وهندوسي .

### الكلمات العربية ، مقدارها وكيفيتها في الأردية :

الكلمات العربية تكون أكثرية غالبية بين اللغات التي تضمها الأردية حتى فاقت الكلمات الفارسية عدداً ، وتراوح نسبتها بين عشرين وستين بالمئة وذلك مما يدل على قوة انتشار اللغة العربية وسيطرتها على اللغات ، هذه الكلمات على قسمين : قسم طرأت عليه تطورات جرّده عن عروبه حتى أصبح كالكلمات الأجمية . هذه الكلمات ، ولا شك تنمُّ عن طول بقائها في بلاد الغربية وقد يمتدُّ عهد دخولها في اللغات الهندية الى صلات تجارية بين الهند والعرب قبل الاسلام . وقسم دخل عن طريق مباشر باسنيلاء المسلمين على السند ، وعن

(١) ويمكن ان ندرك مدى تأثير اللغة العربية في اللغة السندية بما قال الرحالة الشهير الاصطخري ، الذي زار السند في القرن الثامن أن اللغات الدارجة في منصوره (الآن بهكتر Bhakkar) وملتان هي العربية والسندية ، اما لغة مكران فهي الفارسية ، وأيده ابن حوقل عند سياحته في السند حيث يقول أن أهل منصوره وضواحيها يتكلمون العربية ، وأيضاً عندما نزل للقدس في ملتان سنة ٩٨٥ م ، قال تقع الديبل على شاطئ البحر ويحوطها حوالي مائة قرية ومع أن غالبية السكان هم من غير المسلمين فهم يتحدثون باللغتين العربية والسندية .

طريق غير مباشر بواسطة الفارسية التي كانت لغة البلاط في عهد المغول وبقيت تتمتع بمكانتها عدة قرون . وهذه الطائفة الأخيرة من الكلمات قد حافظت على عروبتيها بعض المحافظة كما أن هناك كثيراً من الكلمات والأمثال أبت إلا أن تبقى على حالها ولم يمسها سوء من العجمة .

ان العامل الأساسي في تغيّر الطائفة الأولى وانحرافها عن أصلها العربي قديمة انفصالها عن أمرتها اللغوية وانعدام الدافع السيامي والديني الذي هو أهم ما تعتمد عليه اللغة في المحافظة على أصلتها ، لكن الطائفة الثانية ، على عكس ذلك أفادت من حداثة عهدا بالهند ودعمت بالسلطتين السياسية والدينية ، لأنها كانت لغة الفاتحين التي تعلبت على اللهجات المحلية وقضت عليها وأصبح الحكام - شأن كل احتلال - قدوة في اللهجة ومرجعاً في الأساليب . فلم يكن ثمة خطر التغير لأن أولي الأمر هم الذين أسسوا هذه اللغة وأشرفوا على نشرها واقرارها . وكذلك عندما انتشر الاسلام في الهند ورجع المسلمون الى مراجع دينهم ، عكفوا على درس اللغة العربية وتدريبها ونشطت فيهم حركة التأليف بها في مختلف العلوم وأكثروا من استعمال الاصطلاحات الاسلامية والكلمات العربية الأخرى وذلك مما جعلهم يحافظون على الكلمات العربية أكثر من ذي قبل ، ويتساقون الى التنفن فيها في أساليب الكلام وكذا زادوا (الأردية) غزارة في المواد العربية .

بما أن عدد الكلمات العربية في الاردية يبلغ عشرات الألوف ، فن الصعب إذن أن نقصر على الثلاثين التي لا يمكن أن تمثل أوضاع الكلمات العربية المختلفة تمثيلاً شاملاً صحيحاً ، لكن مع ذلك سأحاول تجديد البحث ما استطعت إلى ذلك سبيلاً وبالله التوفيق ومنه التمسيد .

الكلمات العربية في الأردنية قسمان : قسم حدث فيه التصرف المعنوي واللفظي وقسم سلم من التصرف بنوعيه ، ونبدأ حسب الترتيب بالقسم الأول :

## أنواع التصرفات :

قبل أن نأخذ في تحليل الكلمات العربية ، من الأجدر أن نقف على التصرفات التي حدثت فيها على لسان العجم ، تقريراً لمبدأ التصرف وتسهيلاً لتطبيق الشواهد التي نسوقها دعماً لذلك المبدأ المقرر :

- ١ - التصرف المعنوي في نفس الكلمة .
- ٢ - التصرف اللفظي في نفس الكلمة .
- ٣ - التصرف المعنوي واللفظي في نفس الكلمة .
- ٤ - التصرف اللفظي في التركيب .
- ٥ - التصرف المعنوي في التركيب .
- ٦ - التصرف اللفظي والمعنوي في التركيب .

وبما يجب ملاحظته أن التصرفات اللفظية بأسرها ترجع الى قانون الابدال والقلب والتخفيف . والتصرفات المعنوية نتيجة لقلّة الاهتمام بأصل الكلمات وقبولها على علاقتها المعنوية المتداولة .

## الشواهد للقسم الاول :

من الكلمات العربية ما لم يحدث فيه تغيير لفظي ، لكنه لم يسلم من تصرف معنوي ، مثلاً كلمة (غريب) يراد بها الفقير ، و (مُعاف) يراد بها العفو مع أنها من العافية ، و (غلاظت) يراد بها الأوساخ ، و (مقدمات) تستعمل بمعنى القضايا التي ترفع الى المحكمة ، و (ملائم) بمعنى الناعم ، و (المشكور) بمعنى الشاكر ، و (المنظور) بمعنى المقبول ، و (فوج) بمعنى الجيش ، و (الاقبال) بمعنى الحظ والاعتراف ، و (وجه) بمعنى السبب .

## الشواهد للقسم الثاني :

هذا النوع من التصرف يبدو جلياً في بعض الكلمات ككلمة ( أمّان ) و ( أبنا ) للأم والأب ، و ( هاتّه ) الأيدي ، والأيدي تخفف الى أيدي ، وحسب قانون الابدال وقرب المخارج نصير ( هَيْت ) وأواخر الكلمات الأوردية ساكنة ، لأجل ذلك اذا سُكِنَ آخر ( هَيْت ) أصبحت الناء شديدة الصوت ، وهي تشبه تماماً ( ته ) في آخر ( هاته ) . كذلك كلمة ( آب ) بمعنى الماء ، وآب هذه عابٌ في العربية لأن العجم يخرجون العين مخرج الأنف ومادة عابٌ لا تخرج عن طبيعة الماء ، لأجل ذلك يمكن أن نحدد أصل ( آب ) الأوردية ( بعاب ) العربية ، والأوردية ستمت في استعمال هذه المادة إذ يوجد فيها أكثر من مئة كلمة مركبة منها . وما يجدر بالذكر أن من مركباتها كلمة ( دولاب ) التي تصرح عنها القواميس والكتب لجلة المؤلفين أنها معربة من الفارسية ، مع أننا لا نحتاج الى كبير تأويل لارجاعها الى أصلها العربي ، لأنها مركبة من كلمتين ( دول ) و ( آب ) ودول بمعنى الدلوّ ومقلوبة منها أو هي لغة في الدلو كما يقول صاحب الأقرب ، و ( آب ) أصلها ( عاب ) كما مرّ فاذن معنى الدولاب الدلوّ التي تعبُ في الماء ، وهنا يصدقنا صاحب اللسان إذ يقول : عَبَّتْ الدلو صوت عند غرف الماء ، وهذا غاية ما يراد بالدولاب أو الناعورة ، ومثل ذلك كلمة ( سيلاب ) التي أصلها سيلٌ عابٌ ، والعبابٌ من صفات السيل كما هو معلوم . وكذلك كلمة ( آگ ) بمعنى النار ، أصلها آجٌ وهي صفة لها وقد سميت آجًا تفتلياً للصفة . ثم كلمة ( سيدها ) بمعنى المستقيم والصحيح ، ليست إلا سديداً في العربية بنفس المعنى . وأيضاً كلمة ( سرّد ) ليست إلا ( سرد ) العربية بمعنى البرد أو البارد .

هذا في الأعلام أما في المصادر فيمكن أن نصل الى أصلها العربي بعدة طرق ، ومنها إزالة علامة المصدر في الأوردية وهي ( نا ) التي تقوم مقام تنوين المصدر



في العربية ، فاذا أزلنا هذه العلامة تقرّبنا الى الأصل مثلاً (بَنَانَا) بمعنى بناء ، إذا حذفنا منها علامة المصدر (نا) تجلّي الأصل العربي بكلّ وضوح ، بعد حذف همزة الأخيرة للتخفيف ، وهو بنا . وكذلك (دالنا) بمعنى الادلاء . بعد حذف العلامة تبقى (دال) وأصلها دَلا أو دَالِي . وأيضاً (طيكنا) بمعنى الاتكاء ، بعد حذف العلامة تبقى (طيك) وهي نفس الاتكاء بعد تخفيف المهمزتين الأولى والأخيرة .

### الشواهد للقسم الثالث (التصرف اللفظي والمعنوي في نفس الكلمة):

من هذه الطائفة كلمة (مِينَه) بمعنى المطر وهي صورة واضحة لأصل الماء في اللغة العربية أي (ماء) و (مِينَه) انظروا مادة (موه) و (ميه) في قاموس ما حتى يوجد استعمال في نفس المعنى الأردّي (أمهات السماء أسالت ماءً كثيراً) «القاموس المحيط» . ومنها كلمة (سورج) بمعنى الشمس ، ليست إلا (سراج) العربية وقد وردت في القرآن صفة للشمس ، قال تعالى : (وجعل الشمس سراجاً) . ومنها كلمة (ديبا) بمعنى (السراج) وهي ليست إلا ضياء العربية بتلفظ صحيح بعد سقوط همزة التخفيف وهذا عام في الأردية .

### القسم الرابع (التصرف المعنوي في التركيب):

ومن هذا القسم كلمة (بي طرح) بمعنى خلاف الدستور و (بي لحاظ) غير متأدب و (بي وقوف) بمعنى أحق و (بي لطف) بمعنى غير لذيذ ، الجزء الثاني من كل كلمة عربي لكنه من ناحية أصل المعنى العربي متغير تماماً .

### القسم الخامس (التصرف اللفظي في التركيب):

ومن هذا القسم كلمة (نا قابل) ، بمعنى غير صالح ، (قابل) كلمة عربية لكنها ركبت تركيباً أردياً ب (نا) بمعنى (غير) ومنه (نالائق) ، نا مساعد ، نا ملائم ، نا معقول ، نا معلوم ، نا مناسب ، نا موافق) ومما فيها واضحة . م (٧)

## القسم السادس (التصرف اللفظي والمعنوي في التركيب) :

ومن هذه الطائفة كلمة (ناشكر) بمعنى (غير شاكر) كأن المصدر استعمل صفة مركبة ، وهذا غير موجود في العربية ، وإنكار اسمها المصدر بمعنى الصفة المفردة موجوداً ، ومنها كلمة (نا فهم ، نا قدر ، نا طانت) بمعنى غير فاهم وغير قادر (بمعنى التقدير) وغير قوي .

## القسم الثامن من الكلمات (غير متصرف فيها) :

هذا القسم يتعلق بالكلمات التي بقيت على عربيتها ولم يحدث فيها تصرف ، وعدد هذا النوع من الكلمات يكون أكثرية غالبية بالنسبة إلى اللغات الأخرى . ولو راجع الانسان القواميس الأردنية مراجعة خاطفة ، لدهش من كثرة الكلمات العربية التي تقعر مئات الصفحات حتى تبلغ على أوسط تقدير ، ألف كلمة تحت كل حرف من حروف الهجاء غير الحروف التي لا توجد في الهجاء العربي ، وهي قلة قليلة ، لكن القارئ قد يعذر في تحديد الشواهد ويقنع بالقليل عن الكثير ، إذ تدوين هذه الكلمات بأجمعها يحتاج إلى كتاب ضخيم ، مما أسنا بقصد الآن ، وهذا الكلمات مصادر وصفات واصطلاحات دينية وقانونية وعلمية واجتماعية ، وأيضاً هناك أمثال عربية متداولة في الأدب الأردني كما هي لم يطرأ عليها تصرف :

المصادر العامة : مثل (اتباع ، اتصال ، اتقا) بتخفيف الهجزة وهذه عادة عند الناطقين بالأردنية) ، اجتناب ، اجتهاد ، اجلال ، احتراز ، احتضار ، احتياط) وغيرها ألوف من أمثالها .

والصفات : مثل (آثم ، آجل ، آخر ، أبه ، أحمق ، أدنى ، أعلى ، أدق) ومنها ما يبدل على اللون فقط مثل : (أبيض ، أبلق ، أحمر ، أخضر ، أدم ، أزرق) .

الاصطلاحات الدينية : مثل ( أولياء ، أرفاف ، أوصياء ، امامت ، الحاد ، افطار ، افتاء ، اعجاز ، اعتكاف ، استغفار ، استخارة ، ارتداد ، احرام ) .  
 الاصطلاحات القانونية : مثل ( وكيل ، مؤكّل ، موجّل ، معجل ، مدعي ، مدعى عليه ، استغاثة ، استرداد ، استحقاق شفع ، استحصال بالجبر ، انفكاك رهن ، انتقال الرهن ، أراضي شاملات ، أراضي لاخراج ، أراضي سكنى ، أداء الشهادة ، أخذ بالجبر ، احضار بالجبر ، ارتكاب جرم ، إجاره ، اتهام ، ابراء الذمة ، محضر ) وغيرها ما يبلغ الآلاف .

الاصطلاحات العلمية : منها ما يتعلق بالعلوم النظرية كـ ( الهيات ، طبيعيات واقتصاديات ورياضيات ، واجتماعيات وأخلاقيات وسياسيات ونظريات ) وغيرها ، وهذه كلها تستعمل بمعانها العربية بلا تغيير ، وهناك اصطلاحات أخرى تتعلق بالتاريخ والجغرافية والهندسة والرياضيات والقواعد اللغوية ، وهذه الاصطلاحات تبلغ مبلغ الدهشة من الغزارة حتى ليخيل لمن يدرس هذه العلوم ، أنها ترجمت بمبادئها واصطلاحاتها من العربية ، لكنني أتركها مخافة التطويل ، وأتم هذه الكلمة الوجيزة بأمثال عربية تجري مجرى الأمثال الأردنية بجميع كلماتها وحرركاتها ومدلولاتها كـ ( خذ ما صفا ودع ما كدر ، المرء بقيس على نفسه ، المكتوب نصف الملافاة ، الكرم اذا وعد وفي ، الآن كما كان ، الأقرب كالمقرب ، أظهر من الشمس ، مضى ما مضى ) . وبتغيير بسيط : ( أول طعام بعده كلام ، والله بس باقي هوس ) .

\* \* \*

هذا وما زلت أحسبني مقصراً في اعطاء البحث حقه من الاستقصاء والتنقيب ، على أن الانسان كلما فكر في اللغة العربية وصلتها باللغات الأخرى ، وجد من

ناحية غزارتها في المادة ، وتوسعها في الاشتقاق ، وتنوعها في المعاني ، أنها  
تعمُّ جميع اللغات ، أو بكلمة أصحَّ تأمُّياً وتصبح علاقتها باللغات علاقة الأُمِّ  
بيناتها ، وليس هذا عن توهم أو عقيدة دينية ، بل هي حقيقة منتظرة ، ويمكن  
أن يلقى الانسان بوادرها اذا تحلى عن تقليد المنهج الغربي في التفكير على غير  
هدى ، واستغنى عن ذلك المنظار الأسود الذي قد يربيه الحقائق على عكسها ،  
ويلقنه بأن كل ما في الكون بنفسه ، وليس له خالق أو قائم بأمره . وهذا  
الأسلوب من التفكير ، يحطُّ من مكانة التراث الخالد المجيد الذي شيَّده  
آباء الشرق لمن خلفهم من الأبناء ، ولا يؤدي إلا الى استعمار لا يجلو بجلاء  
لأنه ينعشش في الرؤوس دون المعسكرات ، وما أخطر هذا الاستعمار وما أرسخ  
جذوره ، وفي ذلك فليندبر المنديرون .

مبارك الباكستاني

## التعريف والنقد

بشارة الخوري (الأخطل الصغير)

### الهوى والشباب

« دار المعارف . مصر »

الأخطل الصغير لقب غلب على بشارة الخوري ، لم يلقَّ به أحد وإنما اختاره لنفسه في الحرب الكبرى الأولى ، لأنه يعجبه من الأخطل خفة روحه وابداعه في اصطلياد المعاني على نحو ما شرح ذلك في صدر الديوان .

ومن حسن حظّه أن شعره رزق دار نشرٍ في مصر اشتهرت بالإتقان وهي دار المعارف ورزق أستاذاً صاحب ذوق قدّم ديوانه تقديمًا بارعاً لأنّ الروحين انسجمتا : روح بشارة الخوري وروح عادل الغضبان ، فقد نظر صاحب المقدمة الى شعر بشارة الخوري فلم يجد فيه إلاّ نفع الريحان ، وشعاع الصبأ ، وحمرة الشفق ، وخضرة الأرز ، ونعومة الحرير ، ورقة خدود الورد ، نجيل هذا كله بندى الصباح ، وبسمة الفجر ، ونبثات النسيم ، فخرج من هذه اللطائف شعر بشارة الخوري ، ولا شك في أن القارئ يرى في هذه التعابير التي انتخبها انتخاباً من مقدمة عادل الغضبان ولم أنشئها إنشاءً تشابهاً في الذوقين ، ذوق الشاعر وذوق صاحب المقدمة ، وقد مضى الأستاذ عادل الغضبان في أسلوبه الرومانطيسي بدلًا على حسنات شعر بشارة الخوري الذي هو قطعة موسيقى تعددت فيها الأصوات والنغمات ولكنها صدرت كلها عن قيثاره الهوى والشباب ، في هذا الشعر ، على نحو ما يقول ، ما شئت من بسات المني ، وعبسات القدر ، ومن حلاوة الوصال ، ومرارة الحجر ، ومن غفوات النجوم على سواعد السحاب ، أو رقصات الزهر على ألحان الغدير .

اني مضطر الى ذكر هذه التعبيرات كلها ، وهذه اللغة الشعرية نفسها ، لأنبت ما قلت من أن روجي الشاعر والمقدم قد انسجمتا فذابت كل واحدة منها في الأخرى ، فلم تدر وأنت تقرأ مقدمة الهوى والشباب أنقرأ شعر بشاره الخوري أم تقرأ كلام عادل الغضبان .

اذا تكلمت على شاعر من الشعراء فكثيراً ما أتجاسى الاهتمام بالموازنة بينه وبين شاعر آخر ، ولا سيما اذا تباعد عصرهما وبينتهما وما شابه ذلك ، فلذلك أقرأ شعر بشاره الخوري ، ولا أخطر بيالي شعر الأخطل ، وكما لأهتم بالموازنات فكذلك لأهتم بالألقاب أو الرتب في الشعر ، فالأخطل كان مرةً شاعر بني مروان ، ومرةً شاعر العرب ، ولكن هذه الألقاب ذهبت أدراج الرياح وبقي الأخطل وحده وشعره وخصائص هذا الشعر ، فالشاعر لا يبقى إلا شعره وأظن أن بشاره الخوري يفخر بأن يكون شاعراً ، وحسبه هذا اللقب العظيم فقد اجتمعت له أدوات الشعر بمخازنها ، واجتمعت له هذه الصور التي تجعل من الفكر والعاطفة والشعور أجساماً حية تراها بعينك ، وتلمسها بيدك ، وتسمعها بأذنك ، واجتمعت لهذه الصور لغة شعرية تتلفت حيناً الى الصحارى الممتدة من وراء لبنان ، وحيناً الى ما وراء البحر ، ولذلك كانت هذه اللغة تشد وترق ، شدة الصحارى ، ورقة ما وراء البحار .

ومن خصائص الشعراء الكبار أن يتفاوت شعرهم إلا قليلاً منهم كالبحريري مثلاً ، فهم يرتفعون حتى لا يجيدوا مجالاً الى الارتفاع ، ثم تراهم وهم في الهضبة ينخفضون وهذا لا يضيرهم في شيء ، لأن في ارتفاعهم وانخفاضهم ما يبدل على أن عبقريتهم أسيرتهم ، وليسوا هم أساراها ، فهم يخضعونها لطبعهم ولا نستطيع أن نخضعهم لمشيئتها ، وسواء اشتمل شعر بشاره الخوري على صور متفاوتة في الحياة وعلى لغة متباينة في الشدة أم لم يشتمل ، إن شعره يروتنا من الهوى ، ويشبعنا من الشباب ، وحسبنا منه هذا الري وهذا الشبع ، ولكن شعره يتضمن

شبتاً أكثر من الهوى والشباب ، فان الهوى لا يخلو في بعض الاحيان من الكآبة ، أما شعر بشاره الخوري فانه صورة الحياة الضاحكة المشرقة ، لقد غمرتنا في هذا العصر وفي عصورنا البعيدة كآبة سوداء كادت نغمى معها قلوبنا ونشل أعصابنا ، وتسد عقولنا ، فاشتدت حاجتنا الى أدب يكشف هذا العمى ويدفع هذا الشلل ويفتح هذه العقول ، حتى نستطيع أن نجاري الادم في ميادينها ، فنكون شبتاً مذكوراً .

انا في حاجة الى مثل هذا الشعر :

من كان من دنياه ينفض راحه فأنا على دنياي أقبض راحي  
حسبنا الشؤم وحسبنا الظمول المحبوء في طيته .



## ثورة الخيام

عبد الحق فاضل

لجنة التأليف والترجمة والنشر

لقد كثر الكلام على رباعيات الخيام في السنين الأخيرة ، ويرى الأستاذ الجليل الدكتور احمد أمين في مقدمته الرصينة التي قدّم بها كتاب : ثورة الخيام ، أن الناس يقبلون على هذه الرباعيات ، لأنها توافق روح العصر من حيث الملل من الحياة والاستعانة على هذا الملل بالانغماس في اللذات ، فأحيت لجنة التأليف والترجمة والنشر أن تضع بين أيدي الناس خيراً كثيراً ، وشراً كثيراً ، ليأخذ كل واحد منها بحسب عقله وطبيعته .

يظهر أن بين الأستاذ عبد الحق فاضل ، صاحب ثورة الخيام ، وبين روح الخيام شبتاً من الانسجام ، وقد أعانه هذا الانسجام على فهم الخيام ، وادراك أسرار نفسه ، فأحاط به أتم إحاطة ، ولم يتعرض للشائع المعروف من أخباره وسيرته ،

وإنما تعرض لما كان له فيه رأي جديد ، أو لما نظر فيه من زاوية جديدة وخالف فيه جمهرة الخياميين على حد تعبيره ، وقد اعتمد في هذا كله على ست نسخ فارسية مختلفة ، فاستخرج منها ما لم تسبق ترجمته الى العربية ، وتوخى الدقة الممكنة ، فجهد في نقل الخيام بأسلوبه وطلالاته ، وتشابيهه واستعاراته ، حتى ينقل الذوق الفارسي والأسلوب الخيامي الى العربية .

ولا ريب في ان الذي يطالع ثورة الخيام يبرُّ على كثير من الجد في هذا الكتاب ، فان صاحبه عمد الى ما نسب الى الخيام من الشعر العربي ، فاطلع على روحه في هذا الشعر ، ثم قابل بين روحه في شعره العربي وبين روحه في شعره الفارسي ، فوجد الانسجام في الروحين ، وفي هذا النوع من العمل غاية في التحقيق .

لقد كشف المؤلف عن أكثر نواحي الخيام ، فتكلم على عقليته وعقيدته ، وشخصيته وفلسفته ، وقال فيه : انه جمع الفلك الى الفقه ، والطب الى قراءات القرآن ، والفلسفة الى علوم اللغة ، والشعر الى الكيمياء ، واللاهوت الى الرياضيات وهو في هذا كله في الطبقة الأولى ، واختص بالفلك والرياضيات . وأضاف الى جلالته هذا العلم روعة الفن ، فداعت رباعياته في الدنيا ذبوع ألف ليلة وليلة .

\*\*\*

هذا ما يتعلق بالكتاب نفسه ، أما الخيام فقد نار في شعره على كل شيء ، نار على المجتمع والدجالين والدين والسماء والدمر والأفلاك ، وقد يجد القارىء في ثورته على بعض الأخلاق الزائفة في رجال الدين ورجال المجتمع شيئاً من الصواب ، لانه يجد شبه هذه الأخلاق في كل دهر . إلا أن المستغرب أن لا يكون دواء مثل هذه الثورات إلا في الخمر :



اشرب الخمر فقد قلنا وقلنا لك الفا

ان توليت توليت فليست لك رجعة !

ان العصر الذي نعيش فيه يختلف عن العصور السابقة ، من حيث التفكير والنظر الى الحياة ، لقد كثر في أدبنا الشؤم ، وشاعت فيه الكآبة ، فنظرنا الى الدنيا من وجهها الأسود الكالح ، ففقد بنا هذا النظر عن العمل ومجارة الأمم السريعة في مشيها ، وانحصرت حياتنا في الشكوى من كل شيء : من السياسة والمجتمع والحياة كلها ، فكانت حياتنا على تعبير هذا العصر سلبية ، ولم تكن ايجابية ، والدنيا في هذا الزمن تغيرت ، فان عصرنا انما هو عصر القدرة ، فالأمم تتسابق في محترعات العلم ، ولا شك في أن شيوع المرح في طبقاتها يعينها على هذا التسابق فلو شاعت فيها الكآبة وكانت هذه الأمم تقضي حياتها في الشكوى ، وفي الشكوى وحدها لأمرع اليها الفناء .

من أجل هذا ان شيوع روح الضجر والشؤم في الشرق كله ، قد يقعد بهذا الشرق عن مجارة الأمم العظيمة ، فنحن بحاجة الى أدب فيه فرح وبشاشة ، وقد تكون البشاشة في غير الخمر ، قد تكون البشاشة في العمل نفسه ، وشهدنا الأمة التي تعمل ويكاد يكون العمل إلهها المقدس ، فهي أمة تفرح وتهش وتبش ، ولم تجعل الكأس دبدبها ، وإنما تأخذ منها بقدر .

وليت روح الخيام كلها من روح هذا البيت :

لا تضيق سعة الدنيا على قلبك فانرح

ان تزيد الرزق أو تنقصه بالكدر . .

ما أشد حاجتنا الى هذا الفرح !

شفيق جبيري

## صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار

تأليف محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي

مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٠ - ١٩٥١

لا تزال أذكر الضجة الكبرى التي أثارها الدكتور طه حسين حين نشر كتابه «في الشعر الجاهلي» ونشر فيه نظريات المستشرقين حيال هذا الشعر وأمكنته عبقريته أن يزرع في نفوس جيلنا بذور الشك حيال أشعار الجاهلية وأخبارها وعاداتها ، وعلى الرغم من مرور ربع قرن على موت تلك الضجة ، فلا تزال في بعض النفوس علايلات من ريب مبعثها الجهل ب حياة عرب الجاهلية وامتزاج الصحيح منها بالموضوع ، والصادق بالزائف .

وأعترف أن الكتاب الثمين الذي وضعه السيد محمد بن بليهد النجدي وأسماه «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار» من الكتب القمينة بتدبير كل ريب ، وبنقل القارئ من غير جهد الى جو الجاهلية في شتى مظاهرها ، ولئن كانت غاية المؤلف من كتابه هذا - كما جاء في مقدمته - «معرفة ما ورد في الأشعار الجاهلية ، وخاصة المعلقات ، من الأدبية والجمال ، والمياه والتلول ، والرياض والبلدان العامرة والدارسة ، ومعرفة ما بقي منها الى يوم الناس هذا على اسمه الأول ، وما اعتدى اسمه شيء من التغيير» - فانه قد تجاوز هذه الغاية ، فأضاف الى جغرافية بلاد العرب ، الموازنة بين حياة الجزيرة العربية الحالية وحياتها الجاهلية ، من حيث أسماء الأماكن ومواطن القبائل ، وطرق المواصلات ، ثم اطلعنا على مقومات حياة البادية التي «لا تتغير الا اذا تغيرت البادية» ، من حروب قبلية وقعت في أيامنا في مثل الأماكن التي وقعت فيها أيام العرب ووقائعها ، ومثل الأسباب والدوافع ، ومن روابط القرابة وحقوق الضيافة والجوار ، ومن عادات الثأر بحيث يتخيل الانسان المجتمع الجاهلي بكلتيه حياً واضحاً ، ويحل الشعراء الجاهلين محلهم الصحيح في مجتمعهم المنسجم .

وضع المؤلف كتابه في أجزاء أربعة ، وتطور منهاجه باتساع مناحي القول ، وتشعب شجون الحديث ، فقد كان يقصد البحث في الأماكن الواردة في المعلقات العشر ، وهو ما أخذه عليه بعض ناقديه ، ولكنه وقد نفّض يده من المعلقات العشر ، جعلها القسم الأول من كتابه ، وبحث في القسم الثاني «أماكن وردت في غير المعلقات لشعراء مختلفين» ، وجعل القسمين في مجلدين ، حتى إذا أنجزهما وجد مجالاً للزيادة ، وألح عليه محبو العريضة أن يستمر في عمله فوضع الجزءين الثالث والرابع ، ورتب فيها البحث بحسب ألفاظ الأماكن الواردة في معاجم البلدان وما هو في حكمها ، مثل كتب ياقوت والبكري والهمداني .

### طريقة المؤلف

اعتمد المؤلف في بحثه طريقتي المشاهدة والاستدلال ، فقد كان يقرأ القصيدة ويدرس مناسبة قولها ثم يعين مواقع الأماكن الواردة فيها ، ويقارن ما جاء في المعاجم مع مشاهداته الشخصية في أنحاء الجزيرة العربية ، ولا يستطيع من يقرأ الكتاب بتدبر ، إلا أن يعجب بالجهد الذي بذله المؤلف لتصحيح أقواله ، ولاستكمال المعلومات التي تنقصه ، فاذا شاء تحديد مكان سوق عكاظ جمع ما قيل بشأنها من نصوص ، ثم قام برحلة استغرقت زمناً طويلاً ، وما زال يطبق معلوماته على الأماكن حتى حدد المكان وزاره مع سمو الأمير فيصل السعود وصحبه ، للتحقق من صحة ما ذهب إليه ، ثم وضع مخططاً للسوق نشره في كتابه (ص ٢١٠ ج ٢) . واذا شاء وصف خطوط المواصلات بين جدة والرياض فالكوبت ، قام برحلة خاصة تحدث عنها في أكثر من أربعين صفحة ووصف فيها الطريق وكأنك تراها : جبالها ووديانها وكثبانها وعلائها ، وما اتصل بها من شعر أو نثر أو خبر ، حتى يصل بك إلى الكويت (١٣٧ ج ٢) ، وإذا أشكل عليه معرفة مكان ولم يستطع أن يبحث عنه بنفسه كلف من يبحث عنه كما صنع حين أراد معرفة جبل «راكس» فأرسل رسولاً خاصاً بنقب عنه

وحدد له المناطق التي يتوقع أن يجده فيها ، وعاد الرسول بعد شهر وأخبره أنه وجد الجبل ووجد كتيب الرمل المجاور له والمسمى «أبرق راكس» (المقدمة) .  
 وآية اخلاص المؤلف وثقته بنفسه أنه نشر في الجزء الثاني من كتابه كل ماورد عليه من النقد ، وجوابه على أقوال ناقديه وتبريحها بالحجة والمشاهدة ، وتلك العمري سنة حسنة قل من يستطيع اتباعها .

هذا الحرص على تحري الحقيقة ، أتاح للمؤلف أن يصحح ماقاله أصحاب المعاجم عن جغرافية جزيرة العرب ، وأن يصحح أخطاءً وقع فيها بعض كبار مؤرخي الأدب في زماننا ، وقد أشار المؤلف الى ذلك اشارات كثيرة في كتابه نكتني بذكر بعضها : قال المؤلف وهو يصف الطريق بين جدة والكويت : «ثم تصل مرآة ، وهي البلد التي كان فيها الاختلاف بين كتاب هذا العصر ، منهم من قال : انها بلد امرئ القيس الكندي الشاعر المشهور ، ومنهم من قال : انها بلد امرئ القيس التيمي ، وأنا مع من قال انها بلد امرئ القيس التيمي ، فاذا كانت الشمس تلتبس على أحد فهذا الموضوع يلتبس علينا ٠٠٠ الى أن يقول : لم يسكن بهذه البلدة امرؤ القيس الكندي ، بل ولم يمر بها في تجولاته ، لأنه لم يذكر من المواضيع موضعاً قريباً منها ولا في جميع نواحيها ، ومن ذكر من أهل المعاجم أو الكتب أن الدخول وحوملا وتوضع والمقراة ومأسلا ودارة جلدجل في اليمامة فقد أخطأ ، بل الموضوع التي مر ذكرها موجودة بأسمائها يرى بعضها من بعض ، وهي في عالية نجد الجنوبية منها ٠٠٠» (ص ١٦٦ ج ٢) .  
 وقال في معرض الكلام على «ضافع» بعد أن ذكر تحبب المعاجم بشأنها : «والكن أهل المعاجم الذين بوردون الشواهد على الأسماء ليس لهم علم بما اتفق منها واختلف» (ص ٨٥ ج ٢) .

وقال في صدد الكلام على (شطب) : «وكان منشأ خطأ الشراح انهم رأوا عبيد بن الأبرص بذكر شطباً وهو أسدي فظنوا أن هذا الجبل واقع في بلاد بني أسد» (ص ٧٣ ج ٢) .

وقال في صدد الكلام على ( كتيبة ) : « أنا أعرف اليوم ستة أجبل صغار في بلاد العرب يسمى كل منها كتيبة ، خامسها هو الذي ذكره امرؤ القيس في أشعاره الا الذي ذكره في معلقته كأنه كتيبة مهبل وآية ذلك انه ذكر الجبال المحيطة به في بلاد غطفان كأبانين وقطن والمجهر » .

### خلاصة الكتاب

ليس من البسير تلخيص هذا السفر « المكثف » ولكن من حق المؤلف علينا أن نضع أمام القارئ صورة مصغرة لما يمثل كتابه من جهد ومشقة وخبرة ، وما يحتوي من ثروة علمية مختلفة الألوان .

### الأخبار الأدبية

لم يكن المؤلف يكتبني بتحقيق أسماء الأماكن ومواقعها ، وإنما كان يضيف الى ذلك ما يتصل بها من شعر أو خبر ، ففي معرض الكلام على « عنيزة » قال : بعث الحجاج رجلاً يجفر المياه في الشجا بين البصرة ومكة ، فقال له : احفر بين عنيزة والشجا حيث تراءت للملك الضليل ، - يعني امرأ القيس - حين قال :

تراءت لنا بين النقا وعنيزة وبين الشجا مما أحال على الوادي

وقال في معرض الكلام على ( وادي الحفر ) : « يعرفه عامة أهل نجد لأنه باق بهذا الاسم ، وقد كان المستمين العباسي أمر والي مكة في زمانه أن يحصي حفظة القرآن من أهل الحفر الذين قصدوا مكة للحج فكانوا احدى عشرة مائة رجل ، وقد خلا اليوم فليس فيه إلا الوحش والطيور » . ( ص ١٣٢ ج ١ ) .  
وقال في معرض الكلام على ( الصمان ) : « قال ياقوت . . . قال المؤلف : الصمان مشهورة عند جميع العرب القاطنين في نجد ، حدودها معروفة وقد قال الأصمعي : اذا ربت الصمان أخذت العرب جميعاً . وفي رواية عن الأصمعي

عن الصمان قال : من تربع الصمان ، وشق في الدهناء ، واصطاف الحمى فقد أدرك المربع وحدوده معروفة ، وقد قلت هذه الرواية للأمر شكيب أرسلان أيام إقامته عندنا في الطائف فقال : كيف ان الأصمعي يحرم الشام من الربيع ، فقلت له ان رجلاً من الأعراب في الشام لما رأى المكاء قال :

الا أيها المكاء مالك هاهنا ألاء ولا شيع فأين تبيض

فخرج الى أرض المكاء واجتنب قري الشام لا تصبح وأنت مريض

فقال لي : ان هذا الاعرابي نجدى وأبطأ مع جيش المسلمين ، فعاف الشام

والإقامة فيها ( ص ٢٠٣ ج ٤ ) .

وقال في معرض الكلام على وهط ( ص ٢٤٦ ج ٤ ) : قال ابن الاعرابي : عرش

عمرو بن العاص بالوهط الف الف عود كرم على الف الف خشبة ، ابتاع كل

خشبة بدرهم فحج سليمان بن عبد الملك فر بالوهط ، فقال أحب أن أنظر اليه ،

فلما رآه قال : هذا أكرم مال وأحسنه ما رأيت لأحد مثله لولا ان هذه الحرة

في وسطه فقيل له : ليست بحرة ولكنها مسطاح الزيب ( وكان زيبه جمع

في وسطه فلما رآه من البعد ظنه حرة سوداء ) . . . .

قال المؤلف : ( وهط ) . . . . « وقد خرجت مع سمو الأمير فيصل الى

موضع ( السد ) الجاور للوهط فرأينا هناك مسجداً قديم البناء ومحيط به مقابر

ووجدنا على نصابها كتابات على كل قبر اسم صاحبه فلان بن فلان السهمي

وعلى النصيبة تاريخ وفاة صاحبها وأكثرهم ماتوا في القرن الثاني والثالث ، فلا شك

ان هذا الموضع يملكه رئيس بني سهم بن هصيص وهو عمرو بن العاص وقبيلته

السهميون أهل تلك المقابر ، فسبحان من يرث الأرض ومن عليها » .

وقال في معرض الكلام على « ركية » ، أرفع موضع في نجد ، قال عمر

ابن الخطاب : لأن أخطى سبعين خطيئة بركية ، أحب الي من أن أخطى

خطيئة واحدة بمكة » .

## اندراس المدن القديمة

وصف المؤلف حادثاً هاماً يقع في جزيرة العرب هو اندراس مدن عامرة واختفاؤها تحت الرمال ، فقال في صدد حديثه عن أبرق الحنان ) :  
 « ابرق الحنان » : وهو كتيب مرتكم ، اذا ارتكمت رماله وتساقت بعضها على بعض من تحريك الرياح سمع له حنين ولا يزال الناس يسمعون ذلك الى هذا العهد ، ولا أشك أن هذه الأصوات التي تسمع فيه ناشئة عن نزول الرمل من أعلاه الى أسفله ، وفي رواية صاحب معجم البلدان : قالوا سمى بذلك لأنه يسمع فيه الحنين ، فان الجن فيه تحن الى من قفل عن ذلك المنهل « منهل يجادره » .  
 هذا كلام أهل الجاهلية ، فأما كلام الأعراب فيقولون : انا نبيت تحت هذا الكتيب ونسمع فيه الأصوات المزعجة المختلفة الجرس ولا نشك أنها أصوات الرمال اذا تمايل بعضها على بعض ، ولا أعرف في نجد كتيباً له حنين وأصوات الا هذا الكتيب ، ثم يقول :

« أعرف أكتيبة مرتكمة في الجنوب الغربي من تاذق وهي أكتيبة ارتكم بعضها فوق بعض ثم زاد هذا الارتكام وسار قليلاً قليلاً وترك مدينة تاذق على شماله وهو عيشي وتاخمه محلة من تلك المحلات يقال لها الشعبية مختلطة بمدينة تاذق ، فعزم أهل تلك القرية ان يحجزوا دينه ، واستصرخوا بأهل المدينة فلم يجد ذلك شيئاً بل ردم ما فيها ودفن القصور والنخيل واضطر أهلها الى أن يرحلوا عنها ، ورأيتها بعد ذلك فاذا القصر الذي طوله خمس عشرة قامة الى عشرين قامة لا يظهر منه غير شرفاته العالية ، واذا النخلة الساقية في الجو لا ترى منها الا أطراف جريدها ، وعلى الجملة فان هذه القرية قد انطمست تحت الرمال ( ص ٧٠ ج ٢ ) .

## أيام العرب

فسح المؤلف في كتابه مكاناً لأيام العرب ، قديمها وحديثها ، ولم يفته أن ينبه على أسبابها ، وعلى وقوعها في الأمكنة الواحدة في القديم والحديث . ففي

صدد الكلام على (سوقة) (ص ١١١ ج ٢) قال : « كان فيه موقعة في الجاهلية بين بني تميم وبني قشير ، وحدثت به وقعة أعظم في أوائل القرن الرابع عشر بين عتبية ومطير ، وكان من عادة العرب في الجاهلية اذا نزل المطر في جهة من الجهات وأخصبت انتقل اليها من لم تحصب منازلهم ، فان منعهم أهل تلك الناحية رعوه رغمًا عنهم واقتتلوا عليه فان شاء أهل الغصب ألا يقاتلوا أذنوا للقادمين أن يجاوروهم ويرعوا معهم على أن يصنعوا ذلك معهم اذا أخصبوا » .

وقال عن (شعب جبلة) : « وكان فيه يوم بين بني عامر وبين بني تميم وهو من أعظم أيام العرب وهو أول يوم سبقت فيه إبل للقتال ، وفي العهد القريب وقع يوم في سنة ١٣٤٨ بين عتبية برقا والروقة ، انهمزمت فيه برقا وانتصر الروقا ، وهم من بقايا بني عامر التي انتصرت على تميم في ذلك الموضع » .

وقال عن يوم النصار (ص ٦٤ ج ٢) وانا أعرف النصار المذكور بقينًا ، كان به ثلاث وقعات في الجاهلية ووقعة في مبتدأ القرن الرابع عشر عظيمة بين عرب نجد .

وقال أيضاً (ص ١٠٣ ج ٢) : « وفي طخفة يوم من أيام العرب المشهور ، وفيه يوم بين العرب المتأخرين في سنة ١٣٤٨ بين حرب وعتبية » .

وبعد أن ذكر طائفة من أيام العرب وأمكنتها ، وفصل وقائمه ، قال : « نحن نقول أن المواضع التي تكون فيها معارك في العصر الجاهلي ثم لا تكون فيها معارك في العصر الحديث أقل من المواضع التي تتكرر فيها المعارك بين القديم والحديث » .

على أنه لم يقته أن يذكر ان هذه المعارك انتهت أيامها بفضل النظام الجديد الذي ساد الجزيرة العربية . قال المؤلف بعد أن ذكر (قصة) التي كانت فيها وقعة بكر وتغلب العظمى في مقتل كليب - والجاهلية تسميها حرب البسوس - : « وأوردنا هذه العبارة وما قبلها ليطلع القارئ على حال العرب في جاهليتهم وقاتلهم وتقاتلهم بينهم ، وأوردنا قصيدة الأخنس البائية لذكره تفرق العرب ومنازلهم



وديارهم وورث هذه الحروب أبناؤهم من بعدهم ففعلوا كما فعل أسلافهم فلم تسكن هذه النعرة الا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر بوجود صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود فأزالها من قلوبهم وألسنتهم بفضته وسياسته الحكيمة» (ص ١٠٩ ج ٤) .

### الحياة الاجتماعية

بتضمن الكتاب ثروة ضخمة من المعلومات عن الجزيرة العربية ، فتكلم المؤلف على عادات أهل نجد ( كالضيف والطب والبطن - فنجان قهوه - والحوى ) وغيرها من العادات العربية وأخبار الصيد والقنص ، وأخبار لصوص العرب وشطارتهم ، وتحدث عن المعارك في نجد ، وختم كلامه عنها بما نصه : « فأما في عهد جلالة الملك عبد العزيز فقد انطمت تلك العوائد جميعاً فلا يحتاج أحد الى ( حوى ) ولا الى ( اخاوة ) ولا الى ( جار ) ولا الى ( عاني ) ولا الى ( علقه ) جميع تلك العوائد قد انقطعت وكلها من الله سبحانه وتعالى ومن حكمة جلالة الملك وتأديبه لمن خالف فانه لا يعرف مثيل لهذا الأمان لا في الأوائل ولا في الأواخر ( ص ١٣١ ج ٢ ) .

### الشعر النبطي

ثم كتب فصلاً خاصاً بالشعر النبطي ، ويعني به الشعر العامي في الجزيرة العربية وقد دل على معرفة واسعة بهذا الشعر وعلى تذوق للشعر العربي القديم اذ ذكر طائفة من الأشعار النبطية وأظهر كيف أخذت معانيها من أشعار جرير والفرزدق والأعشى وغيرهم من شعراء العربية ( ص ١٨٩ ج ٢ ) . وبجته هذا جديد طريف يجدر بنا ان نسوق طرفاً منه ، قال المؤلف :

« يعلم قارىء هذا الكتاب اني امشهدت بأبيات من الشعر النبطي في ذكر بعض المعارك وهي أشعار مستقيمة الوزن كالأشعار العربية فأهل الأشعار العربية عرب على فطرتهم وهؤلاء أعني أهل الأشعار النبطية عرب على فطرتهم حدوا

في كلامهم هذه قوم من أهل البادية كانوا يعيشون كما يعيش العرب في بوادعهم ،  
وأصل مساكنهم البطائح التي بين العراقيين : العراق العربي والعراق العجمي .  
وقد كانوا معروفين فيه باسم النبط أو النبط منذ العصر الجاهلي الى اليوم وقد  
جاء في شعر الأعشى ميمون بن قيس :

وطوفت للمال آفاقه 'عمان فحمص فأوريشلم'

أثبت النجاشي في داره وأرض النبط وأرض العجم

ويروى عن ابن القرية وكان في زمن ولاية الحجاج على العراق أنه كان

يقول : « أهل عمان عرب استنبطوا ، وأهل البحرين نبط استعربوا » وقال

أبو العلاء المعري في إحدى لزومياته :

أين امرؤ القيس والعداري إذ مال من تحته الغبيط'

استعجم العرب في المواصي بمدك ، واستعرب النبط'

ثم قال : وإذا قد عرفت ان طريقة الحياة عند النبط هي طريقة الحياة عند

العرب فلا عجب أن نجد توافقاً عظيماً في المعاني التي ذكرها هؤلاء وهؤلاء فيما

يتفقون به من أشعارهم . ثم ساق طائفة من الأمثلة نختار منها ما يلي :

قال طرفة بن العبد في مطاع معلقته :

لخولة اطلال بيزقة ثممد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقال محمد بن لعبون من شعراء النبط :

هل الدار ياعواد الا منازل شباريت يا عواد خفية رؤومها

يلوح السنافية كما لاح زرقه على خديمي من بقايا وشومها

فأنت اذا تأملت قول طرفة وجدته ذكر الأطلال ، ثم ذكر الآثار وشبهها

بالوشم على اليد ، واذا تأملت قول ابن لعبون وجدته ذكر الأطلال وشبه الآثار

بالوشم على الخد .

قال زهير بن أبي سلمى في معلقته :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن تحلمان بالعلياء من فوق جبرثم

وقال محمد بن لعبون :

تبصر خالي هل ترى من ظعائن<sup>١</sup>      ثقافت على حد الشفا من خرومها  
تدجّت عن الحزْم البياي وقوّضت<sup>٢</sup>      على شاطي الجرعاً تقوّت اعزومها  
انظر تجد زهيراً يسأل خليله هل رأي الظعائن ، وتجد هذا المعنى بعينه  
وبالفاظه في قول ابن لعبون .

قال جرير بن عطية :

ان بالدين غدوا بلبك غادروا      وشلاً بعينك لا يزال معيننا  
وشبه ذلك قول فهيد بن عويد المجاج راعي الاثلة :  
الشيخ شدّ وراح قدم الصلاة      واللي رحل ما بلثفت للمقيمين  
من عاب ما قفّ واوراوار ذات      غدوا بقلبي وأبقوا الدمع بالعينين  
جرير ذكر أنهم أبقوا وشلاً بعينه معيننا ، وابن عويد يقول : غدوا بليبي  
وأبقوا الدمع بالعين .

قال ابن مقرب :

فمن لم بقدها ضامرات الى العدى      نقَد نحو عوج البرى والشكائم  
وشبه ذلك قول ابن عريضة :  
من لا يقود الخيل يم حفيضة      ان قادها والا عليه تقاد  
كلام الشاعرين البطني والعربي معناه واحد ، ان لم تصل العدو في أرضه  
وصلك في أرضك .

قال أعشى قيس راعي منفوخة :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة      للجن في الليل في حافاتها زجل  
وشبه ذلك قول محمد بن لعبون :  
في صحصح كنة فقا الترس مقلوب      طرب به الجنى على فقده الديب  
والمعنيان متطابقان ، ذكر الأعشى أن الأرض كظهر الترس ، وذكر

زجل الجن . والزجل الصوت ، وفي قول ابن لعبون ذكر المهمة وشبهه بالترس ،  
 وذكر أن الجني طرب في هذا المهمة على فقده المذيب ، والمذيب لا يقيم الا قريب  
 ماء . فكانت هذه المفازة الأخيرة أبعد من الماء من المفازة التي قبلها .

### منازل القبائل العربية

وكذلك عرض لمنازل العرب في الجزيرة العربية فقال : « سأني بعض أهل  
 الأدب ، هل بقي من العرب قبيلة في منازلها من العهد الجاهلي الى هذا العهد  
 أجيته . . . . وذكر القبائل التي بقيت في أمكنتها والقبائل التي تزحت عنها ومنازلها  
 في العصر الحاضر » ( ص ١٨٥ ج ٢ ) .

وقال بصدد حديثه عن « جنب » بعد أن أورد ما قاله باقوت بشأنها قال  
 المؤلف : « ( جنب ) الذي في اليمامة قد انقطع ذكره والذي أعرفه الى هذا  
 العهد مصغراً يقال له جنب ماء في شعب من فروع وادي نساح في عرض جبل  
 ترده السفار وقد وردته وقد مر ذكره . وأما جنب فهم بطن يمني معروف  
 بهذا الاسم الى هذا العهد . وهم من عبيدة قحطان وجميع بطون قحطان الموجودين  
 في نجد لا يعرفون ( كهلان ) ولا ( همدان ) ولا ( خولان ) ولا البطون الباقية  
 التي يرون عليها في نسبهم قبل أن يصلوا قحطان وقد رأوا التمسك هذا بالنسب  
 الجامع لهم أهون وأخصر » .

### الجغرافية الاقتصادية

ولم يفته أن يذكر طرفاً من الجغرافية الاقتصادية للجزيرة العربية فتكلم على  
 معادن الملح وأمكنتها ، وعلى معادن الفضة وذكر بعض وقائع تتصل بذلك  
 فقال : « أما معادن الفضة ، في بلاد باهلة فعروفة الى هذا العهد ، معادن فضة  
 وغيرها من نحاس وحديد وذهب ، وقد أمرني وزير المالية عبد الله السليمان  
 أن أكتشف له هذه المعادن فبعثت اليها مندوبين من قبلي على أن يستخرجوا

من كل معدن أجماراً وبكتبوا اسم الموضوع فأحضر واما بقرب من خمسة وعشرين  
طرداً مختلفة الأشكال في لونها وأسمائها ٠٠٠ ( ٢٣٣ ج ٤ ) .

هذه خلاصة غير وافية عما يتضمنه الكتاب من كنوز ، ولقد كان لصاحب  
السمو الملكي الأمير فيصل آل السعود فضل الأمر بتأليفه ، ولعالي السيد عبد الله  
السليمان فضل الاتفاق على طبعه ، وحبذا لو يتاح للمؤلف إعادة طبع الكتاب  
وإعادة النظر بمنهجه ، وبعض أخطاء نحوية يتضمنها الجزء الثالث والرابع ،  
والنظر بالأماكن الواقعة في سورية والعراق ومصر فيزورها ويراجع ما كتبه  
عنها ليأتي ذلك منسجماً مع العناية التي بذلت في تحقيق أسماء الأماكن الواقعة  
في قلب الجزيرة العربية .

الدكتور احمد السمان

### مجمع اللغة العربية

#### معجم ألفاظ القرآن الكريم

( الجزء الأول )

الهمزة والباء والتاء والثاء

هذا عمل من أفضل الأعمال التي تجلت على أبدي أولئك الأعضاء الأجلاء  
لمجمع اللغة العربية بمصر ، فقد دعاهم داعي الواجب الى وضع معجم خاص بألفاظ  
القرآن الكريم - أي تفسير كلماته ، لأنها هي السبيل الى فهم آياته ، فندب  
المجمع لذلك طائفة من أكبر رجاله وأشهرهم اشتغالاً بالعلم ، وخدمة لهذه اللغة  
الكريمة ، وتجد أسماءهم وأسماء الأساتذة المنتدبين من غير أعضاء المجمع ليكونوا  
عوناً لهم في هذا العمل الجليل . وقد عقد المجمع جلسات كثيرة في دوراته  
السبوعية لإنجاز هذا الموضوع ، فكان من ذلك أن طلع الجزء الأول على الصيغة  
التي تمّ الاتفاق عليها في ترتيب هذا المعجم المبارك . وقد ذكر في مقدمته طريقةتهم  
في وضعه ، ومنها أن يذكر بعد كل معنى عدد الآيات التي جاءت فيها الكلمة

بهذا المعنى ، ويكتفى بمثال ، ثم تذكر السور وأرقام الآيات الأخرى ، وينص على المعاني اللغوية كلها ، ويبين نوع الفعل والمصدر ، وتذكر المشتقات التي وردت من هذه المادة . وقد جاء هذا الجزء في مائة وخمس وثمانين صفحة بدأت بلفظ «أبًا» وختمت بكلمة «ثيِّبات» .

وهذا مثال مما ورد ( في ص ٦٩ و ٧٠ ) في تفسير التأويل الوارد في آيات من عدة سور :

«أول الكلام وتأوله : فسرته وبين المراد منه ، والتأويل التفسير ، وتبين ما يؤول إليه الأمر من الكلام» . وأوضح أن لفظ ( تأويل ) ورد سبع مرات في سورة يوسف والكهف . و ( تأويلا ) مرتين في سورتي النساء والإسراء و ( تأويله ) ثمان مرات في سورة آل عمران والأعراف ويونس ويوسف مشيراً الى أرقام الآيات في كل سورة .

أقول : أما ما ورد في سورة الأعراف ( ٢ : ٥٣ ) « هل ينظرون إلاّ تأويله ؟ يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبلُ قد جاءت رسل ربنا بالحق » فالمراد ما يؤول إليه الأمر من وقوع ما أخبر به القرآن من أمر الآخرة . وفي سورة يونس ( ١٠ : ٢٩ ) « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولما بأتهم تأويله » وهو ما يؤول إليه الأمر من ظهور صدقه ، ووقوع ما أخبر به . وفي سورة يوسف ( ١٢ : ١٠١ ) « وعلمتني من تأويل الأحاديث » فتأويلها هو الأمر الوجودي الذي تدل عليه ، وهو فعل لا قول كما في قوله : « هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً » أي هذا الذي وقع من محبوب أبويه واخوته الأحد عشر له .

فتبين من هذه الآيات أن لفظ التأويل قد ورد في القرآن بمعنى الأمر العملي الذي يقع في المآل ، تصديقاً لخبر ، أو رؤيا ، أو لعمل غامض بقصد به شيء في المستقبل كما أوضحه بعض أئمة اللغة والدين .

أناب الله بجمع اللغة العربية أفضل الثواب على اهتمامه بوضع هذا المعجم الكبير ، وأعانه على إتمامه .

## تفسير القرآن الكريم ( الجزء الأول )

تأليف

محمود محمد حمزة ، حسن علوان ، محمد أحمد برانق

فسر القرآن هؤلاء الفضلاء - وهم من أسانذة المدارس والمعاهد ، ومن مفتشي وزارة المعارف المصرية - فسروه بياض الإيمان والوجدان ، إذ ليس لديهم مال ينفقون منه في سبيل الله ، ولا سلطان يدخرون أجره عند الله ( فليكن زاد الدارين ، وذخر الحياتين تفسير القرآن ) كما قالوا ولنعمتاً فعلوا .

يقع هذا الجزء في نحو مائة صفحة بالقطع المتوسط ، وطوبقتهم فيه أنهم يوردون بضع آيات من السورة ، أو بضع عشرة آية منها ، أو أكثر من عشرين آية جملة واحدة ، مشكولة شكلاً تاماً ، ثم يشرحون الألفاظ شرحاً موجزاً جامعاً لمفرداتها ، ويأتي بعده ( مجمل المعنى ) الذي تضمنته آياتها ، وهذا مثال من تفسير « الحمد لله رب العالمين » : ( التناء والشكر لله وحده الذي يدير أمور الخلق ، ويربي عالم الإنسان والحيوان والنبات في الدنيا بالحياة والغذاء والتناسل ، فينحها من نعمه ما يحفظ بقاءها إحساناً منه ورحمة الخ ) .

ومن تفسير « إياك نعبد وإياك نستعين » أنت يارب المستحق أن نخصك بالعبادة ، ونخضع لك باتباع ما أمرتنا به ، وتجنب ما نهيتنا عنه . . . كما أنك المستحق وحده لأن نستعينك على جلب الخير لنا ودفع الضرر عنا ، فلا نلجأ إلا إليك ، ولا نطلب المعونة إلا منك ، ولا نتوسل إليك بشفعاء في تيسير أمورنا ، وشفاء مرضانا ، وقضاء حاجتنا ، لأنك أقرب إلينا من حبل الوريد . ومن « اهدنا الصراط المستقيم » : فدُلنا أيها الإله القادر على طريق الخير ، دلالة تحفظنا من الضلال والخطأ ، ووقفنا إلى السير فيه الخ .

فقد تبين من هذه الأمثلة أن هذا التفسير مدرمي بوضوح للطالاب ما هم في حاجة إلى معرفته من فهم معاني الكلمات وتفسير الآيات تفسيراً يظهر المراد منها ، بل يستفيد منه سائر المسلمين ، لأنه كتب بأسلوب عذب مقبول ،

لا طوبى لمن، ولا قصر نخل. أما ملحوظاتنا على هذا الجزء من التفسير فكما يأتي :  
 ١ - لم تذكر أسماء التفاسير القديمة ولا الحديثة التي أشير إليها في المقدمة بقولهم : ولقد رأينا . . . أن نرجع أولاً إلى المفسرين السابقين والمعاصرين الخ كما أنه لم يُعزَّ شيء إليها مما نُقل منها باللفظ أو بالمعنى .  
 ٢ - لم يُسمَّ كتاب من كتب أسباب النزول ، وقد استُمد منها ما أنزل في شأنه القرآن .

لم يرقم عدد آيات كل سورة مع اسمها في أولها كما هو المتبع ، ولا أعدت حين تفسيرها ، ولم يوضع رقم الجزء المفسَّر ، ولا امم السورة في رأس كل صحيفة ، ولا توجت الصفائف بملخص ما تضمنته من المباحث ، كما جرت عليه كتب التفسير في طبعها الحديث كالكشفاف وتفسير المراغي والمنار ، والأخير هو الذي دلَّ على شتملات الصفائف بالعناوين .

وبعد فإن كتابة هذا الجزء من التفسير بأسلوب شهبي حديث ، هو الذي اقتضانا ذكر هذه الملاحظات ، نجزي الله المؤلفين أفضل الجزاء ، ووقفهم إلى إتمامه بفضله وإحسانه .

محمد بهجة البيطار



### (من صميم الحياة)

اسم كتيب لطيف الحجم ضخيم الفائدة ألفه الأستاذ حمدي عبيد أحد أصحاب المكتبة العربية بدمشق وأودعه نبذاً مقبسة من صميم الحياة الاجتماعية التي يجيهاها كل واحد من البشر ، وأي إنسان يكون سعيداً في حياته من دون (الصبر) و (الاخلاص) و (حب الحق) و يعمل بقوانين (الاقتصاد) ويجنب (الجنل) وسائر المساوي . وفي الكتاب أشياء أخرى من عيون مكارم الأخلاق . وفي خاتمته نصوص خطب وأحاديث أذيع بعضها في إذاعة دمشق ، فيها عظات وعبر . إن فكر وتدر . ويبلغ الكتيب نحو (١٢٥) صفحة حسنة الطبع والحرف والورق فنتني على مؤلفها خيراً ونلت إليها الأنظار .

المصري





# آراء وأنباء

كلمة الدكتور سامي الدهان<sup>(١)</sup>

سيدي معالي رئيس المجمع

حضرات السادة الأعضاء

منذ زمن بعيد ، توافد على الشرق الأوسط كثير من مسلمي البلاد العثمانية في الغرب ، فوجدوا في أفيائه الظل الظليل والمئزر الرحب ، وبلغ بعضهم مرتبة الإمارة والوزارة ، ورتبتي بعض إلى العروش .

وفي منتصف القرن التاسع عشر للميلاد قدم في الوافدين رجل ألباني الأصل ألقب مراسييه في شاطئ بيروت ، وراح يعمل فيها ، حتى اذا استقر به الحال سلك في اللبنانيين ودخل في حياتهم وبنى على واحدة من بيوتهم من أسرة الخوري ، وكان من هذا الزواج « احمد » وقد عرف بالأرناؤط دلالة على الوطن وإشارة إلى الأصل .

وكان « احمد الأرناؤط » يعمل بين البر والبحر فيعاشر أمواج البحر وأنواج السمر ، ويقبض من هذه قوة ومن هذه اطلاقاً . فلما استراح إلى حية من بيروت خطب منه وتزوج فيه ورزقه الله بنين وبنات ، وفيهم « معروف » وولد سنة ١٨٩٢ والقرن التاسع عشر يشارف الاحتضار .

وفي هذه الآونة كانت بيروت تموج بالطلاب وتضطرب باللغات وتهتز بالمتابر ، ففيها مدارس وكليات ، ومعاهد وجامعات ، تختلف إليها الطوائف والمذاهب على ألوانها ومشاربها ، تتنافس في العلم وتتسابق إلى الثقافة ووقع في روع الناس أن هذه المدينة تعيد تاريخها القديم حين كانت تحمل إلى البحر المتوسط كله شعلة الحقوق ودراسة القانون .

(١) القاها في الجلسة التي عقدت لاستقباله في ٤ شباط سنة ١٩٥٤ بعد انتخابه عضواً

في المجمع العلمي العربي .

في هذه الزحمة من نشاط المدارس دخل (معروف) السكينة العثمانية الإسلامية للشيخ أحمد عباس الأزهرى أبي الفتى الأحرار ، وهذه السكينة كانت كمثلاتها قوة في العربية ووقوفاً على الفرنسية وتمرساً بالخطابة وعكوفاً على القريض والكتابة . وكان الشعر واسطة السباق في الحلبة وشارة النبوغ في الشباب ، يدوي في بيروت فيحفظه الصدور وتعيه القلوب .

ولم يتخلف معروف الفتى عن هذا الركب ، فقد وهبه الله لساناً لا فظاً وقلباً حافظاً ، فشارك في القول وخاض في المعركة ، وكانت بيروت تسمع لشكيب أرسلان وخليل مطران واليازجي والبستاني ، تنتشي بقصائدهم وخطيبهم في العرب والعربية ، وتشغل ليلها ونهارها بهذا الجدل المتصل حول الاشتقاق واللغة ، والماعبي والفصيح ، وتعوج على المعاجم وقد غمرت السوق ، طوراً تصدر عن اليسوعية ، وطوراً تطبع في الأمريكيات ، وأحياناً تنبثق من الحكمة والسكينة العثمانية .

في هذا الجو المضطرب بالخطابة والكتابة والشعر نشأ معروف ، فداعب ربة الشعر حيناً من الزمن ، وتعلق بالترجمة ، وردد ذلك على صحبه واخوانه . ولما احتفلت بيروت لتكريم الشاعر معروف الرصافي ، ووقف الجهادية يفتنون ، صعد في أقصى السلم فتى في السادسة عشرة من عمره يفتد قصيدة في الحفل ، فتلفت إليها القوم ، وانظروا الى الفتى نظرة الأسر الى وليده ، بكنتسي بالريش ويتقوى بالريح ويحدق الى السماء ليحقق بجناحيه بين النور . وقرأ الناس ببيروت في صحف : « البلاغ ، والرأي العام ، والاقبال » ترجمات عن الفرنسية في المسرحية والقصة ومقالات في الأدب وقصائد ، فتساءلوا عن هذا الفتى يجمع بين جنبه طموحاً الى عربية محلقة لا تنزل عن خيال الابتداعيين العثمانيين ، ففيها جرح وأسى وبأس ، حتى لقد ظن كثير من أن الفتى طبع على الألم وصرف الى الهم فيما يترجم عن الغربيين ، وخيل اليهم أنه فطر على العروبة فيما يتخيل ويكتب ، أو أنه يلجأ بامبراطورية فسيحة في مملكة القلم ، جناحها الأدب الغربي وقلبها رسالة العروبة .

ورأى الناس كذلك كتباً صغيرة مترجمة بقلم معروف الأرنؤاط لطائفة من الكتاب الفرنسيين أمثال: (فرانسوا كوييه، وتيوفيل غوتيه، واسكندر دوماس، والفريد ده موزه، وجان دارسي، وميشال زيفاكو)، تحمل عنوانات مغرية: (حرب المئة، السثار الأسود، الصيقل الشريف، الطفلان الشربدان، ديانا، عذاب الضمير، تقريع ضمير الملوك، لادام أو كاميليا، الابنة الملعونة، أسرار رومية، عواطف الإخاء، روجه لاهونت، لادام دي مونزو). ورأوا كذلك كتباً صغيرة أخرى لا يتجاوز الواحد منها في الغالب أكثر من ثلاثين صفحة هي: (عمرو بن العاص، الحرب في طرابلس، أدرنة في النار، الجاسوس الياباني، الجريمة السورية، الأخرس القاتل، ابنة البحري، نيوبورك الخفية، تاريخ الأدب في الجيل التاسع عشر، القاهرة، وهي أكثرها روايات وأقاصيص مترجمة لا تحمل اسم المؤلف الأجنبي، ولا تنير في الأدب إلا فكرة النسلية والمطالمة والمحاولة، نُشر بعضها في دمشق وبعضها في بيروت. وكانت هذه الكتب سبيلاً إلى تمرُّس الشاب باللغتين، وحبه للترجمة وعكوفه عليها، والاستفادة من خيالها وأصاليها.

وتلقت الشاب إلى المسرحية، فعمل فيها وشارك في التمثيل فسافر له. وفي بعض أسفاره، صحب سيدة فرنسية إلى المعرة، فلما وقف على قبر أبي العلاء آنذاك استنصر العناية بالقبر، وهزء الشعم إلى الفخر، فقد أخذت المرأة على العرب إهمالهم لسيد الحكمة الشعرية في القرن الخامس، لذلك أنشأ رسالة سماها (فردوس المعري) سنة ١٩١٥، طار فيها على أجنحة الخيال، فطاف بالأولب ووصف آلهة الشعر في اليونان، ثم حط رحاله بالبانتيون في باريس، ونقل لنا قصائد للشعراء الفرنسيين، وسأل عن موقع المعري بينهم وذرف الدمع أمسى حين وازن بين إكبار الغرب لشعرائه وإهمال الشرق لأدبياته.

ولما وقعت الحرب الكبرى وسبق العرب إلى المعركة، حمل الشاب بين المجندين

برتبة معاون ضابط ، ونقل الى استانبول ، وفيها عاش عبثة الأدباء ، فكتب بعد عشرين سنة يسترجع الذكرى بأسلوب شاعري يقول فيه :

« في صيف سنة ١٩١٦ ، ألفت بي حظوظي الى مغاني استانبول ، وأرادني قدري جندياً من جنود الحرب الكبرى التي روعت العالم قاصيه ودانيه ، فارتضيت ما لا يرتضيه العمر الطري الجني ، وفزعت الى منزل صغير في ضاحية (فناربولي) على الشاطئ الوارف في بحر مرمره الهادي ، وصحبت معي الى المثوى الذي اشتمل عليّ كتاب الله وسيرة نبيه ، وقد حملتها معي إلي ساعة سفري ، وأوصتني بالرجوع اليها في محني وكوارثي ، وأمّلت أن أفيء اليها بعد اغتراب ، ودعت لي ولذنين يحاربون وبنافخون » .

سادتي ،

أطلت القول في مسarach الطفولة والشباب ، وألححت عن رضا في ذلك لا كشف عن أثر هذه المواطن فيما خلف معروف الأرنؤوط من آثار أدبية .

فقد كان رحيله الى استانبول ، وطوافه في مفا تن عاصمة البنظيين ، واستسلامه للغربة ، وشعوره بعاطفة الدين هي التي أفتتته بعظمة الفتوح ، وردّته الى شيء من الإيآن حيناً من زمن فاستيقظت فيه فكرة الرواية وتحرك عنده خيال الفخر والاعتزاز .

فالشباب إذاً مدينٌ لينايبع ثلاثة في أدبه هي : المدرسة ، والوالدان ، والرحلة .

أما مدرسته فقد تلقن فيها وتعلم ، فأهدى أول كتبه اليها معترفاً بجحيلها قائلاً : « الى تلك الاتم التي أرضعتني من ثديها لبان العلوم ، الى الام الجامعة بين الاخاء والمساواة والحرية ، الى المدرسة العثمانية مهد المجد والعلم » .

وأما والداه فقد كتب فيها يقول : « فاني لأحب أن تغلت خواطري فيجفوا أودية دمشق وتطير الى ذلك البحر الأزرق الجاثم على قديمي بيروت ، وتفتش في نواحي المدينة التي خلفت فيها طفولتي ومراكض شبابي عن قبور هؤلاء الذين

أحببتهم ، وفي هؤلاء أمي وأبي» . وقال يذكر بد أمه عليه : « يوم كانت أمي تجلس إليّ في ليالي الشتاء لتقصّ عليّ أروع ما عرفته عن حياة سيد قريش وصحبه » . وحنّ الى أبيه في استانبول فقال : « وأروح ناظراً الى صورة لأبي معلقة على الجدار فيؤنسني أن بهذه الصورة عينين شاخصتين إليّ ، وأن فيها رقّةً وعذوبةً ورحمةً ورضاً ، كأنها كانتا ترسلان إليّ في طريق حياتي ذلك النور الأقدس الذي يضيء قلب المغترب النازح ، فيرى العالم الساج في ليل مآسنيه ، كأنما هو قد اكتظ بالضحك ، ونفض عنه أشباح قتلاه .

وأما رحلته فقد بدأت منذ طوّفت عيناه في السماء والماء ، والصخرة والخضرة ، والزهو والنور ، والسحر والطر ، وحين تفتح قلبه للشباب وركضت أحلامه في الصبا ، سواء في بيروت واستانبول أم في العراق ومصر وبوادي الشام . وقد كان خياله يطفح بهذه الصور جميعاً فتسيل على قلبه ، وتكتسي بالظلال والألوان ، وتنضج بالطيب والطر ، فتري فيها الى الزوارق والقوارب تختلج أمام عينيه في بيروت ، وتسمع الأنغام التي كانت تنصبّ في أذنيه وهو في بيته الربيعي باستانبول ، حيث يقول : « إن هذه الليلة الساجية قد ابتعثني على كتابة أول أشعاري في الاسلام ، ففي استانبول على الشواطئ الهادرة ، التي لم تشقها سفن أمير المؤمنين معاوية ، ولم تبلغها سفن مسلمة بن عبد الملك في خلافة أمير المؤمنين الوليد ، فجازتها جيوش محمد الفاتح - ارتجّ الاسلام في قلبي ووأد أنشودة اسمها ( سيد قريش ) وانها لحادثة رائعة أمّتها الله على يدي ، في زمن مسح فيه انتصار القوي الحدود الجغرافية ، واستعبد الأمم الصغيرة ، وطوى حرياتهما ، وفصل بين غايرها وحاضرها » .

وهكذا يعترف الرجل بأثر الرحلة في نفسه ، وقد رأى فيها مشاهد غريبة ومناظر جميلة ، وألواناً مختلفة من ألم وأمل وسعادة وبأس ، فغطّ ريشته فيها وكانت هذه الآثار التي خلّتها شاهداً على رقّة حسه وجميل شعوره ودقيق خياله .

وأروع ما في الرحلة مقامه في استانبول وبقاؤه على 'قرب' من الحرب يسمع  
 أبناءها ويحس أخطارها في عاصمة الخلافة ومركز القيادة ، وقد رأى الغرب  
 فأغراً فاه لابتلاع الشرق وتحطيم تيجانه وإذلال جيوشه وقواده ، بعد الفتح  
 الكبير والسلطان الواسع ، ونظر الى العثمانيين من زاوية الدين والرابطة المذهبية  
 وظنّ فيهم حماة المجد السالف ونتمة التاريخ العربي ، فألمه انكسارهم وهمّة تقلص  
 الدولة العثمانية ، فقال يصف أثر ذلك في نفسه : « ولقد خرجتُ - من الحرب -  
 وأنا أحمل في قلبي كثيراً من الهمّ وكثيراً من الشعر ، فأما الهمّ الذي حملته  
 فلقد سرب الى نفسي من انكسار هذه الأمة التي أحبها ومن اخفاقها في جني  
 ثمار كدحها وجدها » .

ولعل نفس الأرنأوط تأثرت خلال الحرب بالدين ، فلاح له التقى عن  
 سبيل الخوف ، وانصرف عنه الورع حين انقضت سحب الحرب ، فهو يقول  
 واصفاً تلك الحقيبة التي قضاها في قريته قرب استانبول : « من ذلك اليوم الذي  
 لا ينسى ذكره أبناء هذا الجيل المروع ما جفوت محراب القرية خلال صباح  
 وخلال مساء » .

وقد حاول الكاتب من غير شك أن يضع مذكريات حياته يصف فيها  
 هذه الرحلة والمشهد فإذا به يصيها في رواياته ويختفي خلف الشخصيات التي يبدعها  
 قلبه ، ولو أتيح له أن يفعل لنافس روسو في اعترافاته . وقد استفاد من الرحلة  
 والأسفار ثقافة وإطلاعاً ، فبالت نفسه الى التواضع ، وجنح قلبه الى البساطة ،  
 ونظر الى الدنيا من خير وجوها ، وفهمها من أبسط مسالكها ، وضحك لها  
 واستخف بها كما فعل الشعراء العباسيون في عهد الرشيد ، أو كما يفعل شعراء  
 الفرنسيين المتحررين بباريس ، فعشق اللهو ، وأحب الحياة ، وألف الدعاية ،  
 وكان أصدقاؤه يجارون به الغمّ في المقهى ، ويطردون به الحزن في الملهى ،  
 وكانت مجالسهم معه تفيض بالسرور والنكتة ، حتى وكأنه أشعة تبدر ظلمات  
 النفس ، ويريح تعصف بالكدر . والذين يعرفونه يروون له النكت الغربية

وقد وقعت له في صفوف العامة أو قصور الملوك أو بيوت الوزراء أو دوائر الحكومة والصحافة ، في مختلف العواصم العربية ، فقد عُرف الرجل بالضحك الساخر ، والاستخفاف النادر ، والكلم السافر ، وعاش أبدأً في شباب العمر ، يضحك قلبه وبنفج لسانه ، لا يعرف من فصول الحياة إلا الربيع ، ومفاتيح الربيع !

سادتي ،

لعلكم معي في أن المدرسة والبيت والرحلة تعادلت في أدب معروف الأرنؤاط وبدت واضحة في كتبه ، فقد نشأ في عُباب الدعوة للعروبة في بيروت ، وعاش في ريف العاصمة العثمانية على مشاهد فاتنة مبدعة تضطرب بين الحرب والحب والجمال والايان ، فعاد القهقري بذكرياته الي هؤلاء الأجداد الذين أخضعوا الشرق وبلغوا البحر الأسود وملك كسرى .

وانكسر العثمانيون فاحتضنت دمشق ملكاً عربياً ، ونصرت عاهلاً قرشياً ، وضمحت الي مكانها القديم من مجد الخلافة حين كانت ترسل الإشعاع والأمان الي ربوع نائية بعيدة . فاجتمعت كلمة الدعاة الي العروبة في دمشق ، وتقاطر اليها من يسير وراء الصولجان ويمشي خلف السلطان ، وفيهم هذا الشاب معروف الأرنؤاط ؛ فقد أعلن بلسانه ذات يوم أن البيت الهاشمي امتداد لقريش ، وأن ربوع دمشق ظلّ للفساسنة والأمويين ، فأثر أن يمشي في ظل الأجداد كما يقول ، وأن يربق قلبه في مفاخر الأجداد كما يردد ، فسكب روحه في حب دمشق ، وسالت نفسه شعراً حين تحدّث عنها قائلاً :

«أي دمشق ، لقد قرأتُ تاريخك الماضي ، وأصغيتُ وأنا أتحدّثُ الي حماته ورُعاته إلى خفق ألويتك واهتزاز راياتك ؛ ثم رأيتك تجتازين البحار والخلجان والمدن الكبيرة عظيمة كالشمس قوية كالخلود ، ثم رأيتك تُجلبن عن البحار والخلجان والمدن لتمشي في جناتك فما استهواني من هذه الصور المتنافرة غير آلامك وغير جراحاتك ، فأنتِ على ما بك من الألم أشدّ فتوناً من كلِّ

مدن العالم وذلك لأن روحك لم تهرم ، فهي لا تزال فتية كأنها ولدت ليلة أمس » .

لذلك طلق الأرنؤوط بيروت الى غير رجعة ، وسكن دمشق أبد العمر فطن في قلب المدينة بسوق الحميدية ، وراح يعمل في الصحافة ، فأنشأ مع عثمان قاسم ورشدي ملاحس جريدة الاستقلال العربي سنة ١٩١٨ ، ف عاشت شهوراً ولقيت حتفها ، ثم أنشأ مجلة العلم العربي للأدب والشعر عام ١٩١٩ ، وانصرف بعدها الى جريدة جديدة بدأ بها في سنة ١٩٢٠ ، وظل يعمل لها طول حياته .

وفي مكتب الجريدة المتواضع ، أو خضم المقهى بين الترد والدخات كان الكاتب يقضي نهره ولياليه ليظهرها على الناس في أسلوب عربي تحمل في غرستها الشعر الرائع والمقالة الضخمة لأدباء العراق أو كتاب مصر والشام أو شعراء النوبة والنيل ، فتقع فيها على أسماء الأعلام المعاصرين ؛ وفيهم : العقاد والمازني وهيكمل ودياب ، وشوقي ومطران والمجلاني وشكيب أرسلان وشفيق جبري ، ذلك لأن صاحبها يرى الرأي الأدب قبل السياسة والاجتماع ، فكانت وحدها بين الصحف تحمل طابع المجلة الأدبية والجريدة السياسية جميعاً . وكانت هذه الصحيفة خلال ثلاثين عاماً موضع همه ومسرح قلبه ينصرف إليها ويصرفها ، ثم ينصرف عنها لتجبر كتبه وانشاء قصصه التاريخية . وكان الى اهتمامه بقلبه يلتفت الى أولاده الثلاثة فهم خليفته في الأرض وامتداده في الدنيا ، وفيها عدا ذلك كان يقضي ساعاته مع الكتب العربية والغربية لا تفارقه ولا يفارقها يقرأ ويقرأ ثم يكتب وينشئ في كل مكان ولكل مجلس حتى أخرج ملاحظته الكبرى - كما كان يجب أن يسميها - وهي تتكون من أربعة كتب : سيد قریش ، عمر بن الخطاب ، طارق بن زياد ، فاطمة البتول . وقد أظهر بين يديها مسرحية عن الأندلس عنوانها ( ابو عبدالله الصغير ) جعلها للتمثيل المدرسي ، وطبعتها المدرسة الفاروقية بحلب سنة ١٩٢٩ .



وهذه الكتب الأربعة تمثل جهد الكاتب الغنائى والفاصل الابتداعي ، وهي التي أفردته بين الكتاب لزمانه وجعلت له أسلوباً خاصاً ومكاناً حسناً في خيالها وأسلوبها وفي موقعها من الأدب والقصة التاريخية .

وهذه الكتب من طراز متفق تحوم كلها حول التاريخ العربي خلال عصوره الزاهية الأولى ، صورها الرجل في قالب القصة ، فرسم فيها المدن والجبال والأودية على تقلب العصور وفي مختلف الألوان والأخيلة الأدبية ، يريد أن يقرب البعيد وأن يلوّن القريب ، لعل القارئ يلمس العرب على أربعة عشر قرناً بيديه ويسمع حديثهم الرفيع أو كلامهم العادي .

ويمتطي « معروف » الى هذا كله قراءاته المتعددة من كتب المستشرقين ومصادر العرب الأقدمين ، يريد أن يوطئ أكنافها وبذلل اختلافها ، فيسهل ويلين حتى يجنب القارئ أغوار الفكرة وأعمق الفلسفة ، فهو يؤثر الراحة والبساطة وقرب الآفاق ، فيوفق حيناً في القصة ، ويُخفق حيناً .

وهو يدور في كتبه هذه على إكبار العربي ، والتغني بحضارته ومدنيتيه وحرّيته ، فيرى في قصوره نغم الحياة ترقص نشوى ، وأغانى المجد تهتز سكرى ، لا تنقصه الا صرخة الوحدة ، واجتماع القريب الى القريب ، فلما جاء سيد قريش حقق الأمانى وعزز الرابطة فانفضت امبراطورية عريضة ، وكتبت أمجاد خالدة على صفحة الشام وجناب العراق ومصر وافريقية ، جعلها المؤلف مرانع أبطاله ومواطن رواياته ، فعطّر هذه المراجع وكسا التاريخ بثياب القصة .

وقد طوى (الأرناؤط) في سبيل ذلك عشر سنين كانت تأليفه فيها على تفاعل متصل وولادة متتابعة . فقد أظهر سيد قريش سنة ١٩٢٩ ، وهي في ثلاثة أجزاء عرّج فيها على الشام قبل الميلاد فرسم عيشها ونحت قصورها ، وصور العشق فيها والغزل ، ونقل الينا ما وقع بين العرب من حديث وما جرى لهم من معارك ، وُعني بالشعراء الذين توافدوا على الغساسنة أو الذين اجتازوا

بالشام الى قيصر ، فكتب في حسان بن ثابت وزيارته مع أبي سفيان وأميمة ابن أبي الصلت ، تم قصصنا حكاية امرئ القيس ورحلته الى القسطنطينية وسفر ابنته اليها في سبيل الإرث والانتقام . فوصف الطرقات والقصور ، ومرد قصص الهوى والغزل ، وأحصى دقائق القلوب وتلفت الأجياد وهمس العيون ، واتخذ سبيله الى التاريخ الأدبي حينما ينقل عنه ، وحينما الى الاختراع القصصي يستوحى منه ، وكتب خلال هذه الأجزاء الثلاثة سيرة النبي الكريم وما كان من علائم بعثته ورسالته ، وما نقل في التاريخ من أحاديث الرهبان . وفي الكتاب صور نقلها الأرتناوط ، عن مشاهداته كما رآها بنفسه فرسم القسطنطينية وكنائسها القديمة ورسم حوران ودمشق ، وفيه كذلك عرض لمصادر التاريخ والأدب نقل منها جميعاً ، ووازن بينها جميعاً ، فقرأ حينما يترجم عن دوسو ونولدكه وپرسقال وهوار وسديو ، وحينما ينقل عن أبي الفداء وابن الأثير والطبري وكتب السيرة والأغاني والعقد الفريد وكتب الطبقات .

ثم أصدر كتابه « عمر بن الخطاب » سنة ١٩٣٦ في جزءين اثنين ، أولها ليالي شاعر ، والثاني فرسان سيد قريش وأغان عن الثالث والرابع ولكنها لم يصدر . وقد زار الرجل العراق وتعرف الى الأماكن التي كانت ميداناً للصراع في سبيل الحرية بين الفرس وعرب العراق بعد أن زار سهول الأردن وجبال فلسطين ، وتوغل في صحارى سيناء وأشرف على طول التبت في مفاوز سلتع لكتابة الجزءين الأولين . وخرج من ذلك بوصف تدمر وبصرى ومدن شرقي الأردن وفلسطين . ورمم حب شاعر لغتاته ، وطفولة ابن الخطاب وموقعة مؤتة ، واستعان بأساليب اليونان والفرنسيين في الحديث عن الحب وفي قصائد الغزل ، فبلغ الأجواء العالمية في الأدب .

وفي سنة ١٩٤١ أصدر كتابه « طارق بن زياد » وصور فيه إفريقية والأندلس والعرب والبربر والحب والجمال ، وأراق من هذه الخمر على أفواه

الأبطال ما يسكر ، وجعل من هذه الملحمة الأموية لوحة خالدة لجهاد العرب في سبيل العقيدة والايمان والإخاء والانتحاد ، وانقم من الكتاب الأجنب فأصلح ما أفسدوا من حب بين مفيث الأموي وفلوريندا الاسبانية .  
وفي سنة ١٩٤٢ أظهر كتابه « فاطمة البتول » تحدث فيه عن يزيد بن معاوية وموقف الحجاز من البيعة ، ونضال العراق في جانب الحسين السبط ابن فاطمة البتول ، وقد خلف لنا لوحات بارعة عن الأميرة والأم والولد ، نصف لنا الحنين والحب والجزع والوداع الى لوحاته في القتال بين جيش الحسين وجيش شمر بن ذي الجوشن ، وما كان من ضحايا في العرب وبشاعة في القتل ، ووحشية في التنكيل .  
سادتي ،

هذه هي بعض الموضوعات التي طرفها في كتبه قد تقع على مثلها في كتب غربية وشرقية نسدّد الهدف وتبلغ الغاية وتُرضي التاريخ ، ولكنها لن تبلغ من نفوسنا ما تبلغ كتب الأرفناؤط ، ذلك لأن الرجل يمتاز بأسلوبه الفذ ، فهو يكتب على الورق كما يفسكب الربيع على الطيعة فيورق ويزهر وبمطر ويسخر ، ويضحك ويبتسم ويعني ويثشد ، وتشرق من خلال ذلك ألوان زاهية وأنوار مشرقة ، فتقع على حلو اللفظ وضاحك المعنى وعاطر الصورة ومجتمخ الخيال ، تنساب الألفاظ المدوية ، والعبارات الضخمة ، والكلمات المخنارة ، بين السطور ، كما تستبق الفتيات الى عرس فتزغرد ونصفق وترقص وتتنشي وتسكر ، ثم تخلف هذه الموسيقى التي تبدو للسامع عنيفة حيناً هادئة حيناً آخر كالطبيعة نفسها ، أو كالوصوفات عنها ، يصف المعركة فتسمع القعقة والدوي ، ويرمم الليل الساجي فترى الأشباح تسبح في الظلام ، ويصور الحبين فتخس الثغور والصدور والقودود تلتقي وتنفصل ، كأن عصا سحرية قد حركت المشهد وقادت المنظر ، فانصل سحر السماء بالحديث ، وانتقل عطر الزهر الى المرأة ، وحملت الملائكة الى المحبوب فضائل الرجال وخصال الأبطال .

كل ذلك في كلمات 'جمعت' للكاتب و'جمعت' طوع بديه، يصفها ويرصفها  
 لتحلّ في المحل المناسب، وتقع في الموقع الرضي، فلا تكاد تنبوا لفظة إلا في  
 القليل؛ فكأنه يقول الشعر من غير قوافٍ، أو كأنه يرصف الدرّ في  
 السطور من غير أن تحسّ له تصنعاً كثيراً أو تكلفاً مجوجاً. والغريب أنك  
 لا ترى عليه آثار التعب والارهاق فهو يكتب الصفحات كما يكتب السطور،  
 يسيل قلمه بالكتب هداراً كالشلال يُرغى ويزيد عند مسقطه، فإذا سار صفا  
 وسكن، وتقلبت على وجهه صور السماء وظلال الأحياء، ولذلك كتب  
 فنال في الأدباء مرتبة الكاتب المحقق والأديب المسترسل، وقد امتدحه لذلك  
 شاعر القطرين خليل مطران، وقال فيه العالم الأديب الدكتور منير العجلاني  
 يصف «روعة إنشائه المشجون بالعطر والصدى واللون»، وكتب فيه صفيّة  
 الأستاذ الكبير شفيق جبري عميد الأدب في الشام يرسم ذكرى ثلاثين عاماً  
 معه يقول فيها: «كان يجب في فنه الألفاظ الحلوة المرحة الضاحكة،  
 ويحرص على هذا الشكل من اللغة، وما أعرف كاتباً اجتمع له من حلادة الألفاظ  
 ومرح اللغة وبشاشتها ما اجتمع لمعروف الأرنؤوط».

وهل تربدون مني شهادة بالأسلوب ورأياً في الطريقة وبياناً لهذه العبقريّة  
 بعد بيان العميد وشهادة الشاعر والعالم الأديب !!

سادتي ،

عرضتُ طويلاً لهذه الكتب وحللتها في خطوط كبيرة لأبرهن أن الرجل  
 كان أبدأ في تطور مستمر وتقدّم دائم في إنتاجه ، وقد اكتفيت من هذا  
 الروض الجميل ببرعم واحد هو «سيد قريش» فنحنم صاحبه لأجله سنة ١٩٣٠  
 مكاناً بينكم في المجمع ، و كسوتوه بذلك جناحي اقب كان يطير به في آفاق  
 العربية مزهواً معتزاً .

ولقد رأيتكم أنكم كسبتم جندياً في صفوفكم ، ناضل في العريضة الفصحى حتى وقع في الجبال ، وعمل للتاريخ القومي حتى أدمى الرسالة ، وظلَّ يملِّق ويملِّق حتى كات في الخالدين ، فسلك سبيل الكتاب العالمين وعرف ذلك لنفسه فقال أثناء خطبة له في بغداد يشرح فنه وأدبه :

« وإنما أنا كاتب قصة بصانع ذوق عصره كما يقول بعض الناس ؛ ورائد أموات كما يقول بعض ؛ أدخل الى المقابر وأشقّ الحجر الصالح ، وأزيج التراب الغامر ، وأبحثُ عن أولئك الذين طوأم ليلُ الموت في غسقه حتى اذا أطلقتُ على الرُّفات الطحين ، رأيتُ بعينيّ المضيئين المتحركين الى عينيه السادرتين ، وفنشتُ في صورته عن الطيف الذي أحبه فتسرفتُ صوته ، وسكرتُ من لحونه ، أو تقصصتُ أثره ، واستوقفته وتحدثتُ اليه بلغة يعافها الأحياء من الناس ، وتنبو عنها أذواقهم ولا تسيفها أفهامهم ، ذلك الطيف الهالك هو الماضي ، ولستم بناكره ، فانه الجسر الذي جازته قوافل أبنائنا في ذات نهار ، فلعلنا لانعجز عن اجتيازه ، ونحن نشق الطريق الى ذلك الغامض المظلم ، الذي يسمونه المستقبل .

هذا هو فني وذلكم أدبي ، ومن عناصره : الحزن والألم ، والمجد والشهرة ، والحب والحرب ، والشعر والزهر ، والنغم الماتع » .

وهذا تحليل طيب لما وصل اليه الكاتب في فنه ، فقد بلغ منزلة في القصة التاريخية تعلق بها قبله جرجي زيدان في رواياته التاريخية ، وعلق فيها بعمده الدكتور طه حسين في كتابه على هامش السيرة . ولو أتيج للرجل تفرُّغ لزدانا روعةً وجمالاً ، بل لو أتيجت له حياة مديدة لزدانا كتباً وأثاراً كانت في جعبته وراء خياله ، فقد قال في صدر كتابه عمر بن الخطاب : « لئن بقي في الأمل طول ، وفي الأجل فسحة ، فسأكتب كثيراً ، وأصوّر كثيراً ، وأعني كثيراً » ، وقال بعدها : « واني لأرجو الله أن يمدّ في أيامي ، فلعلني

أقول هذا الشيء الكثير على في ، ولعلمني بعد هذا كله أفي الى ظل هذه الأرض الحادبة ، فأستريح اليها بجوار أمي في حفرة تندبها السحب ، وترققها هذه الأزهار التي جمعتها في أسفاري من سيناء ومكة ومن بوادي الشام والعراق ؛ ورحم الله أمي ، فلقد حسرت عن بصري ، وأرتني دنيا محمد رسول الله ودنيا صحبه ، ووهبت لي مجد هذا اليوم الذي أنا فيه .

ولكن هذا العمر كان قصيراً ، وهذا الأجل كان مبتوراً ، فقد توفاه الله في الساعة الثانية من صباح الجمعة في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ عن عمر لم يتجاوز الخامسة والخمسين ، فرقد من دمشق التي أحبها بمقبرة الباب الصغير ، بعد أن عمل على أرضها ثلاثين عاماً ، فكأننا نحتفل اليوم بمرور ست سنوات تماماً على وفاته ، أو كأننا نؤينه ونزيهه بأحسن فضائله وخير ما فيه .

\* \* \*

سيدي معالي الرئيس ،

سادتي حضرات الأعضاء ،

هذه صورة لحياة صانعي أرواها التقليد الجمعي ، فوضعت في تجربة دقيقة ، لأنني رأيت الرجل مرة واحدة لم ألقه بعدها أبداً ، فرحت أقرأ على أوراقه ، وكتبه ، وصحفه ، ومقالات أحبائه ، وتناوت آثاره كما أتناول علماء من الأعلام مررت عليه القرون وانقضت عليه الأجيال ، فكم أتمنى أن أبرا من الخطأ في تحليل حياته ، والحكم على شخصيته وأخلاقه .

ولعل كثيرين منكم يتسحون لهذه الأحكام وهذا التحليل فأنتم تعرفون أكثر مني ما كان عليه من عيش خاص وزكت سائرة ، ولكن هذا كله لا يغير من الخطوط الرئيسية التي رسمتها في تحفظ وبديتها على نصوص وشواهد من أقواله . والميت قد يبعث في الأفواه أحكاماً غريبة كما يقول قاليري ، وقد يجرّك الأحقاد القديمة والأشياء النافذة مما يعلق بحياة أي كائن من الناس

في محيط ضيق كالذي عاش فيه الأرنأوط . ولكنّ التَّغَطُّ يزول ويبقى السحر  
 الحلال ، وفي التراب كثير من مواد حقيرة ، لكنّ فيه الذهب والجوهر .  
 وسواء أوقفتُ عند الجوهر أم وقعت على العرض ، فأنا أدرس المؤلف  
 بلسان الأجيال المقبلة وقد خلف لها كتباً كبيرة وصغيرة ، ومقالات ،  
 وترجمات ، الى جريدة عاشت ثلاثين عاماً ، في بيان متدفق وأسلوب جميل ،  
 فماذا يقولون فيه اذا قسموا أيام العمر على عداد السطور التي كتبت خلال  
 خمسة وخمسين عاماً ؟ ! أظن انهم سيقولون فيه : إنه ما فتر عن الكتابة  
 ولا وهن عن القراءة ، ينظر بعينين نافذتين ويقرأ في لغتين غنيتين ، ويستفيد من  
 أدبين واسعين على خلاف أقرانه وزملائه . اللهم انهم سيحمدون له العصامية ويشكرون  
 له الصبر والدأب ، ويذكرون له براعة الأسلوب وسيجدون فيه خلفاً لخبر سلف .  
 ولعلمهم سينحنون أمام روحه كما ننحني اليوم أمام هذه الأرواح التي خلدت  
 أمجادنا الأدبية وصنعت عبقريتنا الثقافية ، وسيثقلون اليه كما ثقلت اليوم الى  
 الأجداد كما عضنا الزمان وافتقرنا الى المفاخر ، فليس إكبار الآباء من وثنية  
 الأدب وانما هو من واجب الحضارة يُبنى فيها الطارف على التليد والجديد على  
 القديم ، ومجمعكم وقف نفسه على احترام التراث . فسي الى جلاء القديم في  
 ثوب جديد اظهاراً للمجد الموروث والعز المكتسب ، وحثاً للهمم الشابة على القدوة  
 الحسنة . ولهذا كان مجمعكم المعقل الفذ للدفاع عن لغتنا وتاريخنا ، والحصن  
 المتين للحفاظ على آثارنا ؛ قضى كثير في سبيل رضاه ، وقضى كثير قبل أن  
 يبلغ منه مناه ، ولهذا كان تفضلكم بانتخابي عضواً بينكم شرفاً عظيماً لي ،  
 لا يكون في سدة هذا البيت وفي العالمين لحمل أعبائه الكبيرة على أسس من  
 الصبر في العلم ، والجهاد في البحث ، والاخلاص للهدف ، فأشكركم خالص  
 الشكر لهذا التشجيع وأدعو الله أن يبارك في عملكم وأن يأخذ بأيدينا الى  
 النجاح وأن يحقّق بأعمالنا أمل الوطن واللغة والأدب ، والسلام عليكم .

البركتور سامي الدهان

٢٩٥

## كلمة الأديب جعفر الحسيني (١)

زميلنا الكريم ،

عهد إليّ مجعنا العلمي الردّ على كلتك الرقيقة التي أودعتها عاطر الثناء على هذه المؤسسة العلمية الفتية التي دعنتك إليها وعلى ما وجهته من شكر إلى أعضائها لضحكك إلى عداد أمرتهم .

لا يتمّ عزائونا يا صديقي العزيز بنقد أي زميل إلا إذا عوّضنا عنه بخلاف مثله أو خير منه يجي بيننا ذكراه وبواصل مسعاه ، فكنت أياها الزميل الكريم خير خلفٍ لفقيدنا معروف الأرنؤوط تفعمده الله برحمته ، وقد وفيتك بيمينك حقه وأديت نحوه واجب الزمالة ، وكان لحديثك عنه أطيب الأثر في نفوسنا فجزاك الله عنه وعنا خير الجزاء .

إن من عرف الفقيه بالأمس وعرفك اليوم يجد فيك كثيراً من مزايا المرحوم وفضائله العلمية والغيرة على ماضي الثقافة العربية ، فقد التحدّثنا في الغاية وإن اختلفنا في النهج وكلاكما بجانة وكلاكما جوال في آفاق أجداننا الغابرة ، فأنت تعمل لإحياء نفائس تراثنا الدفين في خزائن الكتب ، وكان الفقيه ينبش من ثنايا الكتب مفاخر تاريخ العرب المجهولة فيصوغ من حوادثها ووقائعها بأسلوبه البليغ وخياله المبدع قصصاً يبعثها في دنيا العرب عبرةً وذكرى . فأديتما لوطنكما بعملكما أجل خدمة عليّة وقومية ، وأي غاية أنبل من وصل حاضرنا المكوم بحقيقة ماضينا وعزته .

سادتي ،

يتعدّر على المرء مها سمت مداركه وعظمت مواهبه أن ينطلق في عمله من

(١) ألقاها في الجلسة التي عقدت لاستقبال الدكتور سامي الدهان .



العدم ، بل هو يحتاج كأي صانع بسيط لعدة ومادة ، وعدة المشغل بالعلم هو ذاك التراث الذي خلفه لنا السلف لنتفجع به في يومنا وغدنا .

ان من الجحود أن نزهد بإضينا وأن لا نتطلع الا الى حاضرتنا ومستقبلنا وأن نعرض عن حقائق الماضي ونعلق مصيرنا بأوهام المستقبل . ان المستقبل ياسادتي ليس هو من صنعنا ولا يأتينا بشيء ، ولا يمنحنا شيئاً من عنده بل يتطلب منا في بنائه كل شيء ، ولولا نفحة الحياة التي نستمدّها من معين تراثنا الذي تمثلته نفوسنا وكيفته ظروفنا لما وجدنا من واقعنا ما نفذي به مستقبلنا لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، فمن الاثم إذن أن نتقص قدر ماضينا وتعمل على هدمه بأيدينا ، وأن نصانع القائلين بأن التغني بالماضي والحرص على احيائه حركة رجعية يجدر التحرر منها ، وشر ما بذرته الشعوبية في نفوس فئة من أبنائنا هي فكرة الفصل بين غير أمتنا وحاضرها لإيجاد نور هذا البراس الذي تلمس على ضوءه إحكام بناء مستقبلنا ومشاكلنا . لقد أجمع العالم بأنه لا يوجد أي منافضة بين الماضي والمستقبل ولا يمكن عزل بعضها عن بعض ، فالحاضر هو امتداد الماضي كما ان المستقبل هو وليد الحاضر ، وليس الماضي وهماً وخيالاً بل هو على اتصال وثيق بالحاضر ، والشعوب الناهضة هي التي تجي دائماً بروح تاريخها ، وتاريخ الأمة هو وحدة لا تنجز كما ان الطبيعة البشرية لا تتبدل في فضاءاتها وتقاؤها ، وحوادث التاريخ حافلة بشواهد ما انطوت عليه غريزة الانسان من خير وشر .

سادتي ،

ان كانت الظروف لا تتكرر والأحداث لا تتشابه فان عواملها عند الانسان لا تتبدل ، ونتائجها واحدة في كل زمان ومكان وقد أسفر عنها بعد تجارب طويلة وضع قوانين تاريخية هامة وتقرير قواعد اجتماعية يصعب علينا التنكر لها وخرق حرمتها دون أن نعرض بجمعنا الى التصدع والانهيار ، ولا يمكن توحيد مثلنا العليا والالتفاف حولها وتوجيهها كما يفرضه علينا اخلاصنا

لوطننا ورغبتنا الصادقة في اعلاء كلمته الا بمعرفة ماضينا من جميع نواحيه وعندها نستطيع تقدير عزيمة السلف والاعتزاز بما حققوه من جلائل الأمور بوسائلهم الضعيفة وامكانياتهم المحدودة وفتنثذ ، فمن العجز ان لا نقفني أثرهم ولا نعمل عملهم والوسائل عندنا اليوم متوفرة والامكانيات جاهزة والعزائم ان شاء الله صادقة .

إن أبرز ما ينجلي به زميلنا الجديد الى جانب ثقافته الغربية هو هذا الايمان ، الايمان بعظمة ماضينا والاعتزاز بثقافتنا العربية ، ولذلك رأينا يتحول عن التأليف الى البحث عن المخطوطات العربية القديمة والتنقيب في خزائن كتب الغرب والشرق يحمي نفائسها ، ودأب على تحقيق أنفعها ونشرها خدمة للعلم ووفاء لمؤلفيها . ولا نستغرب منه هذا الاتجاه الذي ارتضاه لنفسه وفضله على سواه وهو من تلاميذ بقية السلف الصالح الشيخ بدر الدين النعساني والشيخ راغب الطباخ من أعضاء مجتمعا رحمها الله ، وهما كما تعلمون من أوسع الناس اطلاعا على تراث السلف وأشدهم غيرة على بعثه ، ولا أريد أن أتوسع بالكلام عن زميلنا الجديد إذ ليس هو بغريب عنا فقد عرفناه جميعنا عاملاً مجداً واطلعنا على انتاجه العلمي الخصب ، وسيرة المرء آثاره ، وآثار زميلنا تغني عن التعريف ، وكان رئيسنا مؤسس هذا الجمع رحمة الله من المعجبين بزميلنا الجديد ومقدراً جهوده ونشاطه العلمي ومتمنياً ضمه الينا وقد جاء انتخابنا له محققاً لرغبة الفقيه ووفاءً لأمنيته . وكان أستاذنا رحمه الله يعتمد الشباب ويعقد عليهم الآمال الجسام ، وكان يحب شباب العمر وشباب العقل والقلب ، وهو الذي عرف كيف يهزم الشيخوخة ويتغلب عليها في جميع أدوار حياته ، ولم تجرد لروحه ونشاطه سبيلاً .

وقد جمع والله الحمد زميلنا هممة الشباب وحكمة الشيوخ .

إني أيها الزميل الكريم أرحب بك باسم مجتمعا العلمي العربي أجمل الترحيب ، وإنك حللت بين زملاء لك عرفوك فقدروك حقق الله آمالنا فيك ، ووفقك الله في رسالتك ونفع بملدك بلادك .

جعفر الحسني

## كلمة الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي (١)

سيدي الرئيس ، سادتي الزملاء ،

لا أزال أذكر منذ عام ١٩٢٢ إذ كنت طالباً في المعهد الطبي ، كلية الرئيس الراحل طيب الله ثراه يوم قدم للترحيب بوالدي رحمه الله ، الذي نزل دمشق آنئذٍ مع رئيس دول الاتحاد بقوله لي : ( سنضم الينا مسعوداً عضواً عاملاً ) . بهذه الحكمة الصادرة من أعماق قلبه الطيب برهن على ما يمكنه من الحب الصادق لأخي عبد الرحمن الكواكبي صديقه العزيز الذي كان يلجج بذكراه دوماً حتى لقد خصه بكلمة ( الدم الطاهر ) فأدى له حق الصداقة بكلمته هذه ، وحق الأخوة بضمه أخاه مسعوداً الى هذا المحنى العلمي النفى بومئذٍ . ولا يزال يرنُّ في أذني : الصدى الموسيقي الرخيم لبيت ختامي من كلمة قرأها عليّ والدي المرحوم ، يوم احتفى هذا المجمع العلمي بضم رئيسنا « الخليل » الجليل اليه وهو :

« قد ضممتك الينا واتخذناك خليلاً »

بهذا الشعور منذ تلك اللحظة - يا سيدي الرئيس وسادتي الزملاء الأجلاء - رأيت في أفق الأمل كوكباً صغيراً ظهر وأخذ يسير ، ويطرد سيره فيرتفع حتى توسط قبة السماء .

فقصت الرؤبة على والدي فقال : يا بني ، لا نقصص رؤيتك على رفقاتك ، وسيكون لك إن شاء الله شأن في مجتمنا بانضمامك الى نجومه السواطع تحت قبته .

(١) القاها في الجلسة التي عقدت لاستقباله في ٢٥ شباط سنة ١٩٥٤ بعد انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي .

كل هذا كان حافظاً لابن صدقكم الى العمل دأباً - من درس وتنقيب ،  
 وتأليف وتعريب ، ونقد وتصويب - على ما يوصله الى أبواب هذا الصرح  
 العلمي الذي توطدت أركانه وبلغ بجهود أعضائه العاملين المخلصين ، أعلى ما يبلغه  
 محقق علمي رسم لنفسه خطته المثلى ؛ ثم الى ما يؤهله يوماً لدخوله بسلام والانضواء  
 تحت لوائه والسير مع أعضائه العظام على سنة التدرج في الرقي ، الى هدفه  
 الأسمى : وقد جعل ربي رؤياي حقاً ، فحققت لي بذلك - ياسادتي الكرام -  
 أمنية طالما عللت بها النفس وقد بلغت والحمد لله ، ولا يبلغها الا ذو حظ عظيم ،  
 يوم صدر قراركم عن قلوبكم الطيبة ، بحض المحبة والرضى ، بضمكم إياي  
 الى أمرتكم . و ( كل من سار على الدرب وصل ) .

سادتي ، لقد انتخبتم في محبة للعلم واللغة فضممتوني اليكم عضواً يبدأ تطوره  
 من اليوم بقلوبكم الحية ، في رواق هذا المجمع العلمي الذي تفخر به سوربة  
 العزيزة ، هذا المجمع الذي أسس يوم أسس لبؤدي واجباً في إحياء العربية  
 وقد كادت تندثر تحت حكم العثمانيين ، وليصل - بجهوته واجتهاداته وانصراته -  
 ما انقطع بين الشرق والغرب بعد تلك الحقبة من الحضارة التي حمل مشعلها  
 العرب في عصرهم الزاهر الزاخر بالماثر فاستضاء به الغرب حتى أصبح بقبسه  
 منبع نور الحضارة في عصرنا هذا .

\* \* \*

لقد جعل لي المجمع الكريم الخيار في انتخاب موضوع الكلمة التي ألقياها  
 على مسامعكم ولقد والله ( حيرني مذ خيرني ) ، فمن لي ( بالخنار لرد المختار )  
 والموضوعات التي يحمل الكلام عليها وافرة ، وأبواب الحديث عديدة ؟  
 هل أحدثكم عن ( الكيمياء ) وما كان لأجدادنا العظام ( أمثال أبي بكر  
 الرازي ، وجابر بن حيان الكوفي ، وابن سينا ، وابن رشد ، وابن الهيثم ) في  
 هذا الباب من الأعمال الجيدة التي جعلتهم بين أهل هذا العلم من الخالدين

يذكرهم الغرب بالثناء والتجديد، والاعجاب والتقدير لأنهم كانوا حقاً بناءً أسس الكيمياء بما قاموا به من بحوثٍ استقرائية وما وضعوه من نظرياتٍ كان الغرب يعتقد أنها لم تولد إلا في زمانه هذا<sup>(١)</sup> .

أم أحدثكم عن (حجر الفلاسفة) ذلك الحجر العجيب الذي يستطيع بمجرد التلامس أن يقاب المعادن الحسيسة ذهباً خالصاً ، احمر وهاجماً كان وما يزال خلاب الأبواب من ملوك وصعاليك ، واعب حتى يقول بعض العلماء أمثال (باكون ، وبويل ، ونيوتن) ، بالرغم من اكتشاف نوعه الآخر (الذهب المائع) ، الغزير النبايع الذي تنسابق للحصول عليه والاستئثار به الشركات الطامعات لا يشبع نهمهم ما بأيديهم منه مهاكثر ؟ أم أذكر تفكهاً للمسامع سير رهط من المحتالين الذين اتخذوا الشعوذة لهم ديدناً ، يقومون بأنواع الاحتيال لسلب أموال الناس وتحويلها الى جيوبهم ذهباً ؟

أم أتكم عن (اكسير الحياة) - في حياة الكيمياء - وأعداد الجهود الجبارة التي يبذلها الاخصائيون الجهابذة في هذا المضمار سعياً وراء ايجاد ما فيه اطالة عمر الانسان وتخليص البشر من صولة أعدائه الجرثيم القتالة ، وانتقاده من مخالب الأمراض التي تفتك به ؟

أم عن أمرار (القبلة الجوهريّة أو الهدرجينية) وهي من موضوعات الساعة ، يحاول الاستكثار منها للتقيل والتدمير ، بدلاً من الانشاء والتعمير من لا يخافون الله ولا يرقبون إلاّ ولا ذمة في صغير وكبير ، ولم يقم موجودها

(١) يقول الفيلسوف درابر الأمريكي في كلامه عن العرب وعلومهم : ( تأخذنا الدهشة أحياناً عندما ننظر في كتب العرب فنجد آراءً كنا نعتقد انها لم تولد الا في زماننا كالرأي الجديد في ترقى الكائنات العضوية وتدرجها في كمال أنواعها ، فان هذا الرأي كان مما يعلمه العرب في مدارسهم وكانوا يذهبون الى أبعد مما ذهبنا اليه فكان هدم عاماً يشمل الكائنات غير العضوية والمعادن . والأصل الذي بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقى المعادن بأشكالها .. الخ ) .

بإيجادها إلا لهدفٍ نبيل هو توفير الراحة والرفاه لآخواتهم (الآدميين) ،  
إذ ما من عالم يعمل في مخبره للبحث العلمي المجرد إلا لما فيه نفع لبني الانسان  
ودره المصائب عنه على قدر الامكان مهيناً له أسباب السعادة والعمران ولا ينتظر  
أجراً على بحثه أو كشفه لأنه انما يطلب العلم لذاته عن هواية ليس غير .

أم أنكم عن (الحياة) وما يكتنف تطوراتها من أسرار أعجزت الباحثين  
عن مفتاحها ، على ما بأيديهم من المشعل المنير ، وأعني به (العنصر النظير)  
الذي يهديهم سواء السبيل في بحثهم العلمي الخطير ؟

أم عن المؤتمرات العلمية التي يعقدها العلماء فيما بينهم لا يفرقون بين أحد منهم  
قومية أو جنسية أو عنصرية - وقد أيقنوا أن الخير في هذا الاتحاد العلمي  
بعد أن كانوا أشتاتاً لا يرجي من عملهم أفراداً خير - ليعرضوا ثمرات أفكارهم  
ونتائج جهودهم ، ولينداولوا الآراء في توحيد مناهج البحث والدرس ولقمة التفاهم  
العلمية أعني المصطلحات ؟

وعلى ذكر المصطلحات العلمية وهو من أهم أغراض مجتمنا العلمي هذا ،  
أرجو أن ينسع صدركم لكلمة لي حول هذا الموضوع :

لقد كان أمر المصطلحات ، ياسادتي ، مدعاة للأخذ والرد الطويلين بين  
فحول اللغة وفطاحل العلم ، كلٌ يتمسك برأيه لا يجيد عنه . فلا اللغويون  
يرضون بمس قواعد اللغة بأذى ، ولا العلماء يقبلون استعمال ما يضعه اللغويون  
من الكلمات الغريبة المستخرجة من بطون القواميس ، وهذا ما كان نصيب الكلمات  
العلمية التي استأثر بوضعها مجمع اللغة العربية الملكي بمصر ، على ضآلة إنتاجه  
في هذه المدة الطويلة .

سادتي ، ماذا يضر اللغويين أن يلجأ العالم الى النحت والاشتقاق وفيها من  
المرونة وسهولة الوصف والاضافة من الكلمة المنحوتة ، ما ليس في غيرهما من  
الأفعال ، وهما الى ذلك يجعلان المجال واسماً في إيجاد كلمات ملائمة للغرض ،

ويزيلان كثيراً من الصعوبات التي تترض المؤلف والمترجم لولاهما لبقيت دائرة المصطلحات العلمية ضيقة جداً ، خصوصاً وبعض قواعد اللغة الموضوعية ، لبس كالجبال الراسيات لا ترعز عن الزوابع والأعاصير ؟ ولنا أسوة حسنة في الجامع العلمية الغربية . فهي تضع وتقرّ في كل يوم - نحتاً واشتقاقاً - عدداً لا يستهان به من الكلمات التي يرددها العلماء ، ويضعها المخترعون لشئ الآلات والأدوات والأجهزة في مختلف الفنون ، والجامع العلمية أنشئت للتيسير لا للتعسير .

ألا ترون معي ، سادتي ، الغبن اللاحق بالعربي الحديث في أحكام اللغويين القاسية ؟ لماذا يمتحون العربي القديم حق النحت والاشتقاق أو التعريب ، ويمنعون العربي الحديث أن ينهج نهجه فينحت هو أيضاً أو يشتق أو يعرب ؟ لماذا يرضون أن يقول العربي القديم : ( ما وَرَدَ ) ، ( ما زَهَرَ ) ، ( مُجْبِرَم ) ، ( حَبْرَمَة ) ، ولا يقبلون من العربي الحديث أن يقول : ( ماغَوَل ) ، ( ماسَلْ ) ، ( مُخْزَلِد ) ، ( خَزَلَدَة ) (١) ؟

لماذا يسمحون للقديم أن يقول : ( بَسْمَلَة ) ، ( حَمْدَلَة ) ، ( حَوْفَلَة ) ، ( تَعْبَقَس ) ، ولا يقول الحديث : ( قَحْمَلَة ) ، ( بَلْمَهَة ) ، ( بَلْسَمَة ) ، ( حَلْمَهَة ) ، ( خَسْفَمَة ) ، ( تَعْبَثَم ) (٢) .

يقبلون من القديم ( زُرْقَم ) ، ( شُبْرُم ) ، بزيادة الميم في آخر الكلمة ولا يستسيغون من الحديث ( تَحْمَانُون ) ، ( تَصْقَرُون ) ، ( تَحْمَضُون ) ، ( تَقْلُون ) ، ( تَحْتُون ) ، ( تَعْوَلُون ) (٣) بزيادة النون !

هذا من حيث النحت والاشتقاق وأما من حيث التعريب والوضع فمجال

1) hydro-alcool ; hydro-mel; oxydo-réducteur; oxydoréduction.

2) carboxylation; déhydratation ; détoxication ; hydrolyse ; désamination; tournesoler.

3) glycémie ; cholémie ; acidose ; alcalose . hémocrinie ; alcoolémie.

الكلام أوسع ، أخشى إن أسهبت فيه بضرب الأمثال وبيان العلال أن يعترىكم الملل ، واليكم بعضاً منها : (تَأَقَلَّمْتُمْ) ، (أَقْلَمْتُمْ) ، (بَرَّ كِنْنَةً) ، (عَزَّ لِنْنَةً) ، (تَمَدَّجَ) ، (مَحْفَظًا) ، (تَرَفِينِ) (١) ، وما كان وزان فَعْلَان : (رَوَّذَان) ، (ذَوَّسَان) ، (مَوَّجَان) (٢) . وهنالك مما يمكن وضعه وزان (مَفْعَلَةٌ - فَعُول - فَعْمُولِيَّة) العدد الكثير : (مَخْمُوتَةٌ) ، (مَعْرِقَةٌ) ، (مَهْمُضَةٌ) ، (مَسْبُوتَةٌ) - (خَلُوص) ، (لَهْجُوب) ، (نَفْوُذ) ، (صَبُوغ) (٣) !

والقياس ، ما أوسع حدوده ! لماذا نكتفي بوضع كلمات معدودات على وزن (فَعَلَّ : رَمَدٌ ، كَلَبٌ) فنجعل الدائرة ضيقة لا تتعدى حدودها دفني القواميس ، ولا نحب توسيعها بالقياس كما هي عليه القواميس فنقول : (قَيْلٌ ، زَرَقٌ) (٤) ، - أو نكتفي بكلمتين على وزن (مَفْعُولٌ : مَكْبُودٌ ، مَمْنُونٌ) فلا نقول قياماً : (مَزْهُورٌ ، مَسْكُورٌ) (٥) ، - أو بكلمتين على وزن (فَعَّالٌ : جُنْدَامٌ ، بُوَالٌ) فلا نقيس به (نُهَامٌ ، رُحَامٌ) (٦) ؛ لأنه لم يسمع عن العرب أكثر من هاتين الكلمتين ، أم لأنه لم يدون في المعاجم غيرهما ؟

فلماذا اتخذت المقاييس إذن ؟ أليست للقياس على الإطلاق دون قصر

أو حصر ؟

ما تقع (التر) إذا اقتصر استخدامه على ثوب الحرير ولم يعم أثواب القطن

1) acclimater (s') ; acclimatation ; dégazolinage ; échantillonner ; encapsuler.

2) mouvement de va-et-vient ; oscillation ; ondulation .

3) coagulant ; sudorifique ; digestif ; hypnotique ; extractible ; inflammable ; perméable ; colorable.

4) éléphantiasis ; maladie bleue .

5) luétique ; diabétique.

6) polyphagie ; métrite.



والصوف والكتان ؟ وما فائدة ( اللتر ) اذا حصر عمله لكيل الماء ، ولم يستخدم  
لكيل الموائع كافة من زيوت وأغوال وألبان ؟

سادتي ، لو أن العربي القديم بعث اليوم حياً من لحدّه ، وشاهد هذا التقدم  
العلمي الهائل بفروعه الجمّة التي لم تكن في عهده ، لما تردد لحظة بيّ وضع  
ما جرى عليه العربي الحديث نهجاً على ما سار عليه القديم سليقةً ، يوم كان  
حياً في زمنه الغابر . فاذا كان هو الجد الهام لم يبين عن التقدم الى الأمام ،  
فهل يلقى بغيره أن يبين عن النسيج على منواله وقد ورث الكثير من سليقته وخلاله ؟  
بقليل من التساهل ، يا سادتي ، وبتنامي كلمات : ( شاذ ، مستحيل ، ثلاثي  
مجرد ، ثلاثي مزبد الخ ) في سبيل المصطلحات بتسع على العلماء مجال التعليم  
والتأليف بلغة عربية مبيّنة وتخلص البيئة التعليمية الحالية من لغة عجيبة  
غريبة دونها غرابية لسان أهل بابل ، وكلنا يعلم ان قافلة العلم تسير السير  
الحثيث وفي كل يوم مخترعات ومكتشفات تعد بالمئات تحتاج الى مصطلحات ،  
ولا يمكن التغلب على هذه الصعوبة وتذليل هذه العقبة إلا بتثل هذا التساهل  
في وضع المصطلحات : مفردات لغة التفاهم العلمية .

\* \* \*

سادتي ، بقضي عليّ حق الزمالة للمرحوم الدكتور جميل الخاني الذي كان  
من أعضاء مجمعنا العلمي أن أشيد بجهود بذلها في موضوع المصطلحات تذكر له  
بالثناء والتقدير أجزل الله ثوابه عدد قطرات اللداد الذي أمده .

لقد حمل العبء الجسيم في هيئة التعليم الشاقة في المعهد الطبي العربي  
( كلية الطب الآن ) وكان أستاذاً للأمراض الجلدية والزهرية وأخلص فيها  
وهو فيها ذو باع ، ولم يأل جهداً في العمل على ما فيه نفع لطلابه . ولما رأى  
أن تدريس مادة الطبيعة التي تبرّع بتدريسها زيادةً عن الأمراض الجلدية  
م ( ١٠ )

والزهريه ، ينطاب أن يكون ضليعاً في الرياضيات لم يتردد لحظة إرضاء لوجدانه الطاهر ، في حضور دروس الرياضيات في الصوروبون بباريس رغم تقدمه بالعمر ، على جهابذة هذا العلم حتى اذا ما عاد مليء الجمعية من تحصيله الجديد جعل يقدمها ثماراً يانعة ، الواحدة تلو الأخرى ، هديةً ثمينةً لطلابه فيستضيفونها ، ولبت كذلك بضع سنين قام بتدريس مادة الطبيعة خير قيام وألف فيها جزأين باسم (القطوف الينعية في علم الطبيعة) لا يزالان الينبوع الفيض يرده كثير من الشباب ، وفيها الكثير من المصطلحات .

ولم يكن رحمه الله أقل اهتماماً في مصطلحات دروسه الأصلية - الأمراض الجلدية والزهريه - وهو الإخصائي الوحيد فيها يومئذ - وما بلغ سن التقاعد حتى آثر الانسحاب من التدريس ليخلو بنفسه وكتبه ومصادره تحقيقاً لرغبة كانت تجيش في نفسه الوثابة وهي إعداد (معجم طبي) بدأ به بالأمراض الجلدية ثم رأى التوسع فيه وجعله عاماً عربياً ، فكان له ذلك عملاً أضناه ، حتى وافاه الأجل المحتوم مكباً على وجهه فوق أوراقه في غرفته ، فلفظ آخر نفس من أنفاسه زفرةً صعدها من صدره المكدود حسرةً على جهوده لم يأمل - لإلهام باطني - أن يدرك ثمارها فودعها مطبقاً عينيه ليرتاح من عناء هذا العالم العاني الذي لا تنتهي أعباؤه ، تاركاً للجيل العتيق مجال العمل للإتمام ما وصل إليه في معجمه الفريد .

\* \* \*

وبعد ، سادتي الزملاء الأجلاء ، هذه هي (السانحة اللغوية) ، ألقيتها على مسامعكم الآن ما توخيت بها إلا التمهيد للبناء والتركيب ، وهي فيما أحسب ، خير من الحديث عن (القنبلة الجوهريه) وما تجبؤه في جوفها من القدرة الهائلة والتي إن أطلقت لم تبق باشعاعاتها المبيته ولم تذر ، وعمما بكون منها من

الخراب والدمار ، وقانا الله وبلاتها وألم الطامعين ، استخدامها للخير لا للشر  
رحمة للبشر .

\* \* \*

أستحيكم عذراً ، اذا شعرت في كتابي ومقاطعتها بايقاع ليس على عذوبة  
الكلام المأنور أو الشعر المنشور ، وهل تنتظرون من قضي جل عمره بين  
ملاح الزئبق والرصاص ، والفضة والنحاس ، والذهب والبلاتين إلا أن تكون  
كلماته على الأذن معدنية الرنين ؟

هذا واسمحوا لي - سادتي الأناضل - أن أخفف هذا الوقع  
(الصادح Dièse) لا (الرخيم Bémol) بتربدي ختاماً على مسامعكم في  
معرض شكركم جميعاً ، قول الشاعر حافظ ابرهيم :

« شكرت جميل صنعكو بدمعي ودمع العين مقياس الشعور  
لأول مرة قد ذاق جفني ، على مذاقه ، دمع السرور »

والسلام عليكم ورحمة الله .

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

## (١) كلمة الدكتور حسني سبح

سيندي الرئيس ، زملائي الأكارم

إن القلب ليطفح بشراً وصروراً وأنا أفف هذه الأسمية مستقبلاً الزميل الجديد والصدیق القديم وقد سمعتم ما ألقاه على مسامعكم من كلم طيب ، وإذا كان للمسك أن تنم عليه رائحته ؛ فقد توضع من قول الرصيف ما دل على ما يتحلى به من غزير علم وأدب في جانب وله في بناء صرح لغة الضاد العلمية على أسس متينة ، مما يجعله في غنى عن الترجمة والتعريف وأن يصبح من نوافل الكلم كل ما يتقال بعده ، ولكن نظام المجمع يحتم أن يستقبل الزميل الجديد من زكاه إبان انتقائه ، أما وقد قبلت التزكية مختاراً فأصبح علي أن أزعج بنفسي في هذا المأزق لزماً .

وبعد ، فإن زميلنا الجديد الدكتور صلاح الدين الكواكبي هو ريب بيت علم وفضل ، وأحد الكواكب الساطعة في أسرة الكواكبي الحلبية ، وقد أنجبت أفاضال الرجال الأعلام أمثال العلامة الشيخ محمد<sup>(٢)</sup> ، وعبد الرحمن الكواكبي ومسعود الكواكبي والدكتور أسعد الكواكبي من أدلي العالم والفضل بمن أدوا إلى الوطن أجل الخدمات . وهو ابن زميل قديم في هذا المجمع لم يسعدني الحظ بالتعرف عليه ، ولا شك ان قدامى الأعضاء يعرفونه كما عرفته دوائر القضاء الطائفة بذكراه الحسنة طيب الله ثراه ورحمه رحمة واسعة .

وإن هذا الشبل ما عرف عنه منذ نعومة أظفاره إلا بجلياً في كل حلبة ، إذ كان أبدأ الأول في جميع صفوف دراسته من ابتدائية واعدادية تجهيزية

(١) ألقاها في الجلسة التي عقدت لاستقبال الدكتور صلاح الدين الكواكبي .

(٢) الامام العلامة الشيخ محمد بن حسن بن احمد الكواكبي مفتي حلب الشهير المتوفى سنة ١٠٩٦ هـ مؤلف (الفوائد السنية في شرح الزوائد السنية) في فروع الفقه الحنفي وهامشه : (ارشاد الطالب إلى منظومة الكواكب) في علم الأصول للكواكبي للذكور الجزء الأول طبعة مصر ١٣٢٢ هـ . الجزء الثاني طبعة مصر ١٣٢٤ هـ .

وعالية ، ولم ينل من الشهادات الا ما كان منها موسوماً بجملته جيد جداً أو على الأعلى على حد التعبير القديم .

وما إن أنهى آخر مراحل الدراسة في هذه البلاد بنوال درجة صيدلي من الدرجة الأولى ، حتى أبت عليه نفسه الطموح إلا المزيد من العلم ، فشد الرحال ميماً وجهه شطر بلاد الغرب وحط عصا الترحال في باريز وعاد الى عهد التلمذة بعد أن قضى فيها ما فيه الكفاية ، وما بعده غيره الغاية كل الغاية ، وحصل على درجة الدكتوراه في الصيدلة وهي على ما أظن أول شهادة بناها لسوري متوجة بجملته جيد جداً أيضاً ، وظلّ في مخابر الكيمياء ومبحث السموم يعمل ويكبد ويجد حتى وجد ، نعم وجد وأبدع واكتشف أمراً جلالاً في بحث السموم جعل اسم صلاح الدين الكواكبي يدوي في الأندية العلمية ، وأن يخلد في الكتب المدرسية التي تدرس هذا الفن في جانب امم أستاذه الذي أقر له بفضل بحثه .

وما أن قضى لبانته حتى حنّ الى العودة الى بلاده فعاد حاملاً لواء الظفر ، ولكن أنسى له أن يجد في ذلك الحين من يقدر علم صلاح الدين الكواكبي وفضله حتى قدره ، فعيّن مساعداً في المخابر ، وعوضاً من أن توسد اليه ما أهل له من تدريس الكيمياء ، أسند اليه العمل في مخبر الجراثيم الذي ظل فيه قرابة ثماني سنوات ، وآث الأوان لترقيته الى وظيفة رئيس مخبر ، غير أن المرسوم الذي أعد لهذا الأمر لم ينفذ لأسباب ، وكان ان استدعته في تلك الآونة مديرية الصحة العراقية ، فسافر الى بغداد أستاذاً لتدريس الكيمياء الحيوية والتحليلية في كلية الصيدلة ، ثم عاد الى دمشق بعد انتهاء عقده مع حكومة العراق ، تاركاً في بلاد الرافدين أطيب الأثر ، واندمج في سلك التدريس في كلية الطب كرتة أخرى ، وأتيح له في هذه المرة أن يتدرج في المدارج العلمية حتى بلغ القمة وأصبح أستاذاً أصيلاً لكرومي الصيدلة والكيمياء اعتباراً من ١٩٤٧ .

وهو يجيد اللغتين العربية والتركية كتابةً وإنشاءً ويحسن الفرنسية ويلم بالانكليزية ، ومؤلفاته في العلوم الكيماوية والأحيائية كثيرة تبلغ بضعة عشر ، وكلها تشهد بطول باعه وتعمقه في البحث ، ولا يكاد ينقضي عليه عام إلا ويتحف خزانه المطبوعات العربية بمصنف جديد ، ناهيك بالمقالات الكثيرة التي دمجها ونشرتها أهميات المجلات العلمية .

وله جولات موفقة في المصطلحات العلمية صنف كراسة فيها طُبعت ست مرات ، واشترك مؤخراً مع الأستاذين مرشد خاطر وحدي الخياط بنقل معجم المصطلحات الطبية للدكتور كارفيل الى العربية باذن من مؤلفه وعدد مصطلحات هذا المعجم ينيف عن ١٤٥٠٠ كلمة .

هذا ، ومن نخفي باستقباله في هذه الجلسة ليتجلى في جانب ذلك بأكمل صفات العلماء من طيب الأحدثنة ودمائة الأخلاق وصدق وتواضع وتقوى وصلاح . والمجمع قد وفق كل التوفيق بضمه الأستاذ الكواكبي الى اعداد أعضائه العالمين وعسى أن يتم بصلاح الدين صلاحه ، فهنيئاً له بهذا العضو الجديد ، وهنيئاً للزميل الكريم على هذه الثقة العالية التي هو أهل لها ، ولئن غاب عنا كوكب فلنا بالكواكبي أحسن عوض والسلام .  
الدكتور حسني سبع

### (بَجَل) أم (يَجَل)

لي صديق كتب لي يوماً من باريس وكان قصدها لنيل (الدكتوراه) ، يسألني من أجل صديق له طبيب افركسي يهني رسالته ، عن معنى كلمة (اليجل) واشتقاقها ومصدرها . وكنت أجيبه بما توصلت اليه بعد التحقيق عن أمر هذه الكلمة . ومنذ مدة وأنا أجد في الصحف بين أخبارها المحلية كلمة (اليجل) هذه ويستعملها أطباء الصحة والاسعاف في بلاغاتهم وتقاريرهم كأنها هي عربية الأصل .

فرايت أن أكشف على صفحات مجلة المجمع العالمي العربي ماخفي من أمر هذه الكلمة تبياناً للحقيقة .

(بجّل) وبقصد بها العامة (الداء الافرنجى أو الزهري) ، مع أنها في الأصل صفة لا اسم كما سترى ، شائعة الاستعمال فيما بين النهرين دجلة والفرات وبين أهل البادية . (بجّل) هذه ليست عربية الأصل البتة ولا من العامي الفصيح . إنما هي فارسية المنشأ . وليس لكلمة الجبل العربية وما يقرب منها لفظاً من الكلمات ، معنى يحمل على الحكم بأن تكون العامية الشائعة الاستعمال مأخوذة عنها محرفة .

فالجبل العربي الأصل هو : (البيتان ، والافتراء) ، ومن معانيه (نعم) ، مثل (أَجَلٌ) ، ويجل بمعنى حسب ، وبجلك بمعنى حسبك وعليه و (حسبك حيث انتهت) . وأما كلمة (الجبل) العامية فهي فارسية المنشأ وتكتب (بجّل) (Pétché) بالباء والجيم المثلثين التحيثيين ومعناها بالفارسية (الإنسان القذر ، الملوث ، المستكره المنظر ، البغيض الخ) ، بما يوافق معنى الكلمة الافرنسية (Haïssable) تماماً .

ومن هنا — على ما أرى — جاء استعمالها لدى العامة المتأخرين للفرس فيما بين النهرين والبادية ، للمصابين بالداء الافرنجى ، لما ينجم عن هذا الداء من الحالة القذرة ، الملوثة التي تدعو للاستكراه والنفور من حامل هذه العلة . والكلمة نفسها انتقلت الى التركية بالمعنى الفارسي تماماً فهي تدر الترك أيضاً تطلق على (الرجل القذر ، الملوث ، المستكره المنظر ، المستوجب النفور منه) . وإذا بحثنا عن معنى كلمة (سيفليس Syphilis) الفرنسية نجدها مأخوذة عن اليونانية (Siphlos) ومعناها (Haïssable) : (المستكره ، المقيت ، المستوجب النفور منه) بمعنى كلمة (بجّل) الفارسية .

فلا مجال بعد هذا أن يبحث عن اشتقاق لها في اللغة العربية وإن كان العامة يقولون (بجول) للمصاب بالزهري ظناً منهم أن (بجّل) اسم (مع أنها في الحقيقة صفة) .

وخير منها كلمة (مزهور) (١) اشتقاقاً من (الزهرى) وهذه من (الزهرّة) النجم المعروف ، وهي عندهم إمّة الحب ولأن المصاب بهذا الداء إنما يصاب به من (الجب الملوّث) .

هذا ما كنت كتبه الى الصديق منذ حين . وفي نشره الآن على صفحات هذه المجلة العلمية ابّضح للحقيقة وفائدة ان يشتغل بالتأليف والترجمة .

الركنور محمد صلاح الدين الكواكبي  
عضو الجمع العلمي العربي

### نصوب أخطاء مطبعية

وقعت في مقالة « فضل الثنائية على المعجمية » للأب مرصحي

صواب	خطأ	صفحة	مجلد ٢٨ جزء ٤
للمعجمية	المعجميه	٥٤٢	
مُشتار	شتار	≈	
بدء	بك	٥٤٧	
سناثر	شعائر	٧٩	مجلد ٢٩ جزء ١
التخميم	التخميم	٨٠	
مفعول	مفعول	٨١	
لدغته الحية	لدغة الحية	٨٢	
سلم	سلم	≈	
في جريبه	في جريد	٨٧	

(١) وضعتها على وزن مفعول وبديل على ألم أو داء يشتكي منه في العضو . مثال (اللكيود ، للمشون) لمن يشتكي كبده او من مثانته . فالزهور : (لصاب بالزهرى او بالداء الافرنجى) .



### ملاحظات على الجزء الرابع من المجلد

استمرت جزء تشرين الأول لسنة ١٩٥٣ للاطلاع على ما نشر لي أو نشر عني فانتهزت الفرصة بتصفح بعض محتوياته فبدت لي الملاحظات الآتية :

ص ٥١٦ - بيت التابفة ( أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا ) . . .  
الذي في الشواهد<sup>(١)</sup> على ما أحفظه ( أمست . . . وأمسى ) .

٥٣١ - بيت الهذلي :

ما ان يمس الأرض إلا جانب منه وحرف الساق طي الحمل  
الذي أحفظه من ديوان الحماسة ( الا منكب ) والحمل خطأ مطبعي صوابه  
( الحمل ) .

٥٣٧ - بحث للأستاذ حسن حسني التونسي - جاء فيه لفظ البيت مؤثماً  
في أفعاله وضمائره المتتابعة . . . وسيأتي ما يكشف اللثام !

٥٣٩ - البحث نفسه - « وأشرف على سيرها وتعليمها حكيماً » بالنصب !

٥٥٢ - « وألغوا كتب قيمة » بغير اشارة نصب !

٥٥٨ - « ويقول ابن عبدون انه يجب على . . . » ليته نقل ( المقول )  
بلفظه لا بمعناه فهو أليق بالبحث .

٥٧٤ - سليمان ظاهر مادة (معن) وجدنا قريباً من المعرة في صغر لنا  
قبل ثلاثين عاماً امواهاً تشبه الاحساء بسمونها (السن) .

٥٩١ - ص ١٥ « أتباع الهوى » بهزة على الألف وهي تنفيذ الجمع مع  
أن المراد المصدر لا الجمع ! ومن المؤلف أن يكون وضع الهزة على الألف  
في المطبوعات العربية فوضى وفيه من اشاعة الخطأ في الضبط ما لا يخفى ! وليت  
(١) والذي في ديوان التابفة ( مطبوعة الهلال ) : أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا .  
(المجمع) .

المجامع تعالج هذه القضية فإنها خرق على اللغة يضاف الى الخروق الأخرى . . .  
ومنها إهمال الياء الأخيرة فنشبهه بالألف المقصورة .

٦٠٠ - « بدليل أنه يذكر أغلاطاً لعامة الأندلسيين مثل قولهم في الدجاجة بالفتح دجاجة بالكسر » أقول نص اللغويون على تثليث الدال<sup>(١)</sup> !

٦٠١ - « وقد توافقنا مع مؤلف الجمانة » أقول ان ( توافق ) من أفعال المشاركة فهو يحتاج الى فاعلين و ( مؤلف ) هنا أحد الفاعلين وصواب التعبير ( توافقت أنا ومؤلف . . . ) أو ( توافقنا نحن ومؤلف ) أو ( وقع التوافق بيني وبين مؤلف ) . . . الا أنت إقحام ( مع ) في أفعال المشاركة قد فشا فشواً لا يرجى تداركه ! وهذه اللهجة من رواسب العجمة !

٦٠١ - « والطعام النبيء بكسر التون . وهم ونحن نفتحها » . أقول : ونحن نكسرهما على الفصحى الكن بشد الياء من دون همز .  
بعده : « العقبان بضم العين والصواب كسرهما » .

٦٠٢ - « كما توهمت عامة تونس كلمة بيت مؤنثة فقالوا بيت حسنة أو واسعة قياماً على بنت وأخت » ! ?

أقول في هذا التعليل نظر ! فأهل بغداد مثلاً يؤنثون الباب وليس في آخره تاء موهمة وأهل الموصل يؤنثون الدكان والبستان والمطر . . . وانما جاء الاختلاف من اختلاف الأقاليم وتأويل سكانها للألفاظ بحسب سلاقتهم ولكن يجب تجنب ذلك لغة الكتابة لا كما مر في بحث الأستاذ التونسي .

٦٠٢ - « لام ( الكالئ ) لام مزحلقة » أقول : الألف من تبرع المبيض أو الطابع ! وقد أجاد الأستاذ في التحليل والتوجيه .

٦٠٤ - « إذ أن السكوت » بفتح أن والصواب كسرهما لتعقب ( إذ ) جملة لامفرد ! بعده :

(١) على أن الفتح أنصح . ( المجمع )

( اذا جاوز الاثنين مرّ فانه 'يَبَثُّ' وتكثير الوشاة قمين )  
 عال الأستاذ تصحيحه هكذا : « فقله بعده وتكثير بالجر لبس له  
 ما يعطف عليه » .

وايسح لي سماحته أن أعلاه هكذا : « لما كان ( قمين ) يحتاج الى متعلق  
 مجرور بالباء تعين كون ياء المضارعة مصحفة عن الباء الجارة .

٦٠٨ - بحث ( الوحدة الاسلامية ) - « وأصله أن المجتهد الخالصي قد هاله  
 ما رأى من تنافر هذه الأمة وتناحرها ٠٠٠ فقدم من الكاظمية الى بغداد »  
 بل أصله أن الخالصي قدم من ايران الى العراق بعد إقامته هناك نحو ربع قرن ٠٠٠  
 ثم تطرق الأستاذ المعلق الى آيات عد رسمها خطأ فأقول ان لكل خطأ  
 عدّه ، نكتة ! أما ( وبل للمصلين ) بغير فاء فالغرض منه رمز الى مثل مشهور  
 لا الاستشهاد بالآية !

وأما ( ولا يفرنك قلب الدين ٠٠٠ ) فقد كانت الواو خارج القوس للعطف  
 على ما قبلها فدخلت القوس في غفلة من المصحح ٠٠٠ لتوجه إليّ سهماً !  
 وأما قوله تعالى ( ومن يعتد حدود الله ) بتأخير التاء فلم تقع ( الجناية )  
 في حدودي ! وقد برئت ذمّي بإشارة ( كذا ) ولست مسؤولاً عن تصرفات غيري ٠٠٠  
 ثم عرج الأستاذ الجليل على كتاب ( الرزية في القصيدة الأزرية ) فبدأ  
 رسمها بتقديم الزاي على الراء والأصل العكس ولا بأس كما قال الشاعر :

خذا درب هرشي أو قفاها فانما كلا طرفي هرشي لمن طريق !

وأما سقوط الواو من ( الاتنصروه ) فداء المطابع لا يقبل الفداء !

وأما ( لست منهم ) من دون ( في شيء ) فليس من الخطأ في شيء ! ؟

على كل نشكر العلامة البيطار على ما تلتطف به .

ولقد اشتهيت التعليق على اقتراحه عقد مؤتمر ولكن خشيت أن يجرح انقلم

فيجري بما لا تحتمله المجلة ! ؟

وفي ص ٦١١ - «خلف ديوان شعر كبير» وحقه (كبيراً) !  
 ٦١٣ - (الشذاة) لنوع من السفن والعالق بذهني من المطالعات (شذاة)  
 فلتراجع<sup>(١)</sup> وأما (الاشتيام) فقد كان العلامة المغربي يبحث عنه ووقفت أنا على  
 اثره ولا أتذكر أين نشرت بحثي ؟ بان الاشتيام على ما تراءى لي كلمة مركبة  
 من (اشت) و (يام) وأن الثانية لغة في (يم) وأن الأولى ما نعينه بالسين ٠٠٠  
 ولتراجع اللغة ٠٠٠ فيكون المعنى (قاعدة البحر) ثم توسّع في استعمالها ٠٠٠  
 ص ٦١٥ - (بعض كتابتها) - أرى نفسي لا تقر إضافة بعض إلى جمع  
 منكر لأن التنكير يعني عنها ولذلك لو حذفناها لم يخل المعنى فهي فضلة !  
 بعده «يعزب صوابه يغرب» وما ندرى المقام لنعلم أيها الصواب ؟  
 ٦٢٠ - «حين كتبت وألقيت» بالبناء للمجهول وهنا أثارته المهزلة شجوني  
 كما أثارتها في أوائل البحث !

٦٢١ - القاضي الأسمد ٠٠٠ بن الخطير «بمهمة ثم معجزة والصواب العكس !  
 أما القضاء فلم أر ما يفيد في الترجمة وأعله جاء من صحبة (القاضي الفاضل) فليراجع .  
 ٦٢٤ - (الشيبي) لا أتذكر أنني صادفت في مطالعتي هذا الاسم لسفينة  
 لكن صادفت (شون) و (شواني) و (شونة) .  
 ٦٢٥ - «والقروس وجسور ورسومها» الظاهر (والجسور) .

٦٣١ - شطر (ومناهم قره القرهات) اقتصر الباحث على قوله «ان في  
 نسخة القاهرة الترهات» وسكت عن (قره) وأرى كتابتها بالتاء .  
 ٦٤٣ - «في السابعة عشر من عمره» لعل التاء سقطت من الجزء الثاني !  
 بعده - بحث العاملي -

«مدرسة لم يطل عمرها بمقاومة الحكومة الحميدية لروحها العربية» أقول :

(١) جاء في التاج في مادة (شذا) ما نصه : والشذا ضرب من السفن الواحدة شذاة  
 عن الليث ، ونقله الزجاجي في أماليه ، قال الأزهرى : ولكنه ليس بمرابي صحيح ،  
 وفي اللصباح : الشذاوات : سفن صفار كالزابذ الواحدة شذاة . (المجمع)

لم يكن في العهد الحميدي روح عداة للعربية كما لم تكن روح عربية ! ؟  
فليُنظر سبب آخر !!

٦٤٨ - « مفتاح للسود والمفص » بالواو وفي عبارات الأطباء بغير واو بعده

أو لا يسئل قط « قط مخصوصة بالمعني في الفصيح » .

٦٥٠ - « من ذلك اكتشافهم مادة » الا اكتشاف لا يتعدى ولكنه شاع

ولا يرجي تداركه !

بعده - ( الميوعة ) لم ترد ولكنها شاعت ولعل ( التميع ) يعني عنها لو أشيع

وللألف دخل كبير !

٦٦٥ - يتنون على الجمع لنشر ( صحيفة همام بن منبه ) ذات الأهمية

العظيمة « ! لم يشر الباحث الى محل نشرها .

وفي آخر الصفحة « ان الامام احمد بن حنبل تدرّسها على عبد الرزاق ٠٠٠ »

وعلي بالامام احمد ( رضي الله عنه ) أنه رحل الى اليمن ومكث فيه مدة طويلة  
للاخذ عن رجل اسمه عبد الرزاق فيما أتذكر كان يثشيع ! فليتني اطاعت عليها ٠٠٠ !

٦٦٨ - كالْمذهب الشيعي الاثني عشري « بالياء في الجزء الأول ولا حاجة

اليها لأن الاعراب جار على ياء النسبة في الجزء الثاني ثم ان نسبة المذهب الى

جعفر مصطلح جديد في ما أرى والمعروف عند المتقدمين ( مذهب الامامية ) والله أعلم !

بعده - « وما كان هذا ليغرب عن علم الأستاذ » بالمعجمة والصواب بالمهملة

والزاي كما ورد في القرآن ( وما يعزب عن ربك ٠٠٠ ) .

٦٧٠ - « الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي » كتبت على هذه الرسالة رسالة

هامية نشرت في عدة حلقات وخطأت نسبتها الى الجريطي ! بل هي لإخوان

الصفاء وقد نصوا عليها في رسائلهم .

٦٧٢ - ( كفر نخاريم ) أنا مرتاب في رسم هذه الكلمة وهي جديرة بالتحقيق

والرسم على ما نستحق .

( بغداد )

محمود الملاح

## مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسين التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٣ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسين التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٤ - رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٥ - المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٦ - تاريخ حكام الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٧ - المستجاد من فعلات الأجراد للقاضي أبي علي الحسين التنوخي : بتحقيق  
الأستاذ محمد كرد علي
- ٨ - كتاب الأثرية لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - البزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٢ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف . جبريالي  
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٣ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٤ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملة الأستاذ خليل مردم بك
- ١٥ - ديوان ابن جيسوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٦ - = = = = (الجزء الثاني) = = = =
- ١٧ - ديوان الواواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ١٨ - تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلد الأولى) بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ١٩ - فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد

٤٠ - تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني

٢١ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الأول ) : بتحقيق الأمير جعفر الحسيني

٢٢ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الثاني ) : بتحقيق الأمير جعفر الحسيني

٢٣ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي ( الجزء الأول ) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢٤ - ( الجزء الثاني )

٢٥ - عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

٢٦ - الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنعراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

٢٧ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين .

٢٨ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم التاريخ ) وضعه الدكتور يوسف العش

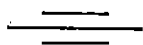
٢٩ - التبصر بالتجارة للباحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

٣٠ - المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي  
٣١ - تكملة إصلاح ما تفلط به العامة للجواليقي  
٣٢ - بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الخنيلي الحلبي

٣٣ - الرسالة النباتية : للأمرير مصطفى الشهابي

٣٤ - المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم

٣٥ - الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني



## فهرس الجزء الثاني من المجلد التاسع والعشرين

صفحة

١٦٦	تفكيرنا الشعري	للأستاذ شفيق جبري
١٦٧	أبوسفيان	للككتور منير العجلاني
١٧٥	أبو الطيب القوي	للأستاذ عز الدين التوخي
١٨٤	الاشتقاق الأصمى (٤)	للأستاذ سليمان ظاهر
٢٠٣	دراسات عن مقدمة ابن خلدون (٢)	للككتور عمر فروخ
٢١٥	دار الحديث العروية	للككتور صلاح الدين المنجد
٢١٩	تاريخ علم الفلك في العراق (٢)	للأستاذ عباس المزاري
٢٣٩	تاريخ لكرة إعجاز القرآن (٧)	للأستاذ نعيم الحمصي
٢٥٢	الكلمات العربية في اللغة الأردنية	للأستاذ مبارك الباكستاني

### التعريف والنقد

٢٦١	المهوى والشباب لبشارة الحوري	للأستاذ شفيق جبري
٢٦٣	ثورة الخيام	للأستاذ شفيق جبري
٢٦٦	صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار	للككتور احمد السمان
٢٧٧	معجم الفاظ القرآن الكريم	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٢٧٩	تفسير القرآن الكريم (الجزء الأول)	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٢٨٠	من صميم الحياة	للأستاذ عبد القادر المغربي

### آراء وأبناء

٢٨١	كلمة الدكتور سامي الدهان في الجلسة التي عقدت لاستقباله	
٢٩٦	كلمة الأمير جعفر الحسيني في الجلسة التي عقدت لاستقبال الدكتور سامي الدهان	
٢٩٩	كلمة الدكتور محمد صلاح الدين الكواكي في الجلسة التي عقدت لاستقباله	
٣٠٨	كلمة الدكتور حسني سح في الجلسة التي عقدت لاستقبال الدكتور محمد صلاح الدين الكواكي	
٣١٠	(بجَل) أم (بَجَل)	للككتور محمد صلاح الدين الكواكي
٣١٢	تصويب أغلاط مطبعية	للأستاذ محمد صلاح الدين الكواكي
٣١٣	ملاحظات على الجزء الرابع من المجلة	للأستاذ محمود الملاح



# مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥٤

٢٩ شوال سنة ١٣٧٣

## مقالة أبي العلاء أو

### مذهب العقل

لأبي العلاء الممري آراء في الدين والحياة والأخلاق ، لو جمعت ونسقت لكانت مذهباً مستقلاً في الأصول والفروع والعبادات وبعض المعاملات ، تشبه مقالات بعض الفرق الإسلامية كالمعتزلة أو الخوارج أو غيرهم من فرق الإسلام .

ودليل أبي العلاء في عقيدته وسائر آرائه العقل وحده ، لا يثق إلا به ولا يعتمد إلا عليه ولا يصدر إلا عنه وكثيراً ما صرّح بذلك ، وقد سمي مذهبه فيما كان بمنقده ويراها «مذهب العقل» وإلى ذلك يشير بقوله :

«وما آدم في مذهب العقل واحداً»

ولم يمنع من دعوة الناس إلى مقالته إلا سوء ظنه بالناس ، واعتقاده أنهم عبيد الأوهام وخصوم الحقائق ، لا دواء لدائهم ، ولا صلاح لفسادهم ، وهو القائل :

لحي الله قوماً إذا جنتهم بصدق الأحاديث قالوا كفر

كم وعظ الواعظون منا وقام في الأرض أنبياء  
فانصرفوا والبلاء باقٍ ولم يزل داؤك العياء

يضاف الى ذلك فقد بصره الذي جعله عاجزاً عن القيام بالأمر التي يعانها  
الدعاة . فاكنتي بندوين آرائه شعراً ونثراً ولم يجادل بها أحداً ، بل تركها للزمان .  
وإن كان أكثر آرائه صحيحاً راجحاً ، فإن في بعضها من شطط العقل  
ما يحاكي في الغلو والإفراط شطحات المتصوفة ، على بعد ما بين المذهبين .

### رأيه في الخالق

أبو العلاء مؤمن بالله وأنه واحد لا شريك له ، عظيم لا حد لعظمته :  
ما قيل في عظم الملك وعزه فأنه أعظم في القياس وأكبر  
يتبرأ من صفه المعطلين وجحود الجاحدين :

إذا كنت من فرط السفاه معطلاً فيا جاحد اشهد أنني غير جاحد  
كما يعجب لضلال الملحدين :

عجبي للطيب ياحد في الخلق من بعد درسه التشریح  
والبشر أصغر من أن يكونوا عبيداً له :

يسمون بالجليل عبد الرحيم وعبد العزيز وعبد الصمد  
وما بلغوا أن يكونوا له عبيداً وذلك أقصى الأمد

وعلاء التوحيد في كل ما قرره من توحيده وتنزيهه ، أعجز من أن يحيطوا بكنهه ،  
أو بقدره حق قدره :

سألتوني فأعيني إجابتيكم من ادعى أنه دار فقد كذب

وحججهم على وجوده أضعف من أن يحتاج إليها العاقل ، واختلافهم في صفاته  
دليل على عجزهم وفضولهم :

فانم لنا خالقٌ حكيمٌ قلنا صدقتم كذا نقولُ

زعمتموه بلا مكانٍ ولا زمانٍ ألا فقولوا

هذا كلام له خبيٌّ معناه ليست لنا عقول

وكتب المناظرة التي وضعوها لم يقصدوا منها الا التنافس في الدنيا :

لولا التنافس في الدنيا لما وضعتُ كتبُ المناظر لا المعنى ولا العمدةُ

### رأيي في العبادة

عبادة الله في رأي أبي العلاء خير ما يفعله الانسان في حياته ، لأنها واجب

لن هو أهل للعبادة ، ولأنها تزكية للنفس الإنسانية الميالة الى الشر ، تنهاها

عن اقتراف الآثام :

ما أحسن الأرض لو كانت بغير أذى ونحن فيها لذكر الله مكانٌ

وأنواع العبادة التي أكثر أبو العلاء من ذكرها وكان يمارسها : التسبيح

والصلاة والصيام ، وبلاحظ ان صلته بالله صلة تعبد وتمجيد وإجلال وإكبار ،

شأن العالم العاقل الذي فكر في جليل قدرة الصانع فعبد خاشعاً ورأى نفسه

أصغر من أن يكون عبداً له ، لا كصلة بعض المتصوفة الذين يتوسلون اليه

بالحب ، فترفع الكلفة بينهم وبينه ويتفزلون به ، حتى يخيل لبعضهم انه يحل بهم .

وأقواله في هذه الأنواع من العبادة كثيرة منها :

اذكر إلهك إن هبت من الكرى واذا هممت بهجعةً ورقار

أسنى فعالك ما أردت بفعله رشداً وخير كلامك التسبيحُ

ترنم في نهارك مستعيناً بذكر الله في المترنات

اركع لربك في نهارك واسجد ومنى أظقت تهجداً فتهجد

صمتُ حياتي الى عماتي لعل يوم الحمام عيدُ

فجدوا ربكم إلى أن تلتظ أمواتها القبورُ  
فكل ما تفعل البرايا إلاّ تقي رهباً بيورُ

وأعجز أهل هذي الأرض غاوٍ أبان العجز عن خمسٍ فرِضتُهُ  
وصم رمضان مخناراً مطيعاً إذا الأقدام من قيطرٍ رمِضتُهُ  
بدعو أبو العلاء الى العبادة على أن تكون خالصةً لوجه الله ، فاذا اتخذت  
وسيلةً للدنيا أو للخداع فتركها أولى ، إذ أن العامي الصادق خير من  
العابد المنافق :

إذا رام كيداً بالصلاة مقيمها نتاركها عمداً إلى الله أقربُ

### رأيه في العالم

عقل الفيلسوف وخيال الشاعر - في رأي أبي العلاء - أعجز من أن يدركا  
عظمة هذا الكون الدال على عظمة الخالق ، فالكون واسع لا يتناهى :  
ولو طار جبريلُ بقية عمره من الدهر، استطاع الخروج من الدهرِ  
وهو في تكوينه ونظامه حادث يجوز عليه الفناء :

وليس اعتقادي خلود النجوم ولا مذهبي قدم العالمِ  
وأن الشمس والقمر والنجوم يكون لها نهاية كما كان لها بداية :

يجوز أن تطفأ الشمس التي وقدت من عهد عادٍ وأذكى نارها الملكُ  
فإن خبتْ في طوال الدهر جمرتها فلا محالة من أن ينقض الفلكُ

وما خلتُ السماك ولا أخاه على خلقها لا يهرمان

وينير الليل وشمس الضحى داما ولكنهاها يهلكان°

وهو لا يستبعد أن يكون في الأجرام العلوية حياة كالحياة التي على الأرض :  
إن لم يكن في سماء فوقنا بشرٌ فليس في الأرض أو ما تحتها ملكُ

وأن من المخلوقات ما لا تراه الأعين :

والله خالقنا اللطيف مكوّنٌ ما لا يبين لسامعٍ أو مبصرٍ  
ولذلك لا ينفي عن قدرة الله إمكان وجود الملائكة :

لست أنفي عن قدرة الله أشبا ح ضياء بغير لحم ولا دم  
أما البشر فهو حادث ، ولكن كيف ومتى ؟

خالقٌ لا يشك فيه قديمٌ وزمانٌ على الأنام تقادمٌ  
جائزٌ أن يكون آدم هذا قبله آدم على إثر آدم  
وبصير الأقوام مثلي أعمى فهلما في هندسٍ تتصادم  
وما آدمٌ في مذهب العقل واحداً ولكنه عند القياس أوادمٌ

### رأيه في الأنبياء والرسل والأديان والكتب المنزلة

هذا العابد الناسك الورع الصائم القائم بأبي عليه استقلاله في الرأي وتحكيمه  
العقل وتفكيره الحر الطليق ، أن يؤمن بكل ما أتت به الأديان إذا لم يقبله العقل :  
كذب الظن لا دليل سوى العقل — مشيراً في صحبه والمساء  
فهو يشك بالنبوات والرسالات شكاً منكراً كما يشك بما نقل عن الأنبياء ، ويخشى  
أن يكون من وضع النقلة والرواة ، ولا يصرح بمصحة الأنبياء :

ارقب إلهك في عسرٍ وفي يسرٍ واترك جدالك في بعثٍ وإرسالٍ

أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنا دياناكم مكرٌ من القدماء

حيلٌ تمنح على الأنايم فأدمع العقلاء مهملٌ

يحدثونك عن رب العلى كذباً وما درى بشؤون الله إنسانٌ

وحيا وهي مذ كانت محبةً أقام داود يتلو ليله الزيرا

وقال أناس ليس عيسى مقرباً فقبيل ولا موساً كم بكليم  
 فقد كذبت على عيسى النصارى كما كذبت على موسى اليهود  
 ولذلك سماه بعضهم بهجاء الأنبياء لما قال إنه لم يهيج أحداً من الناس  
 وشكته منكر أيضاً في الكذب المنزلة :

دينٌ وكفرٌ وأنبياءٌ تقص وفر قانت بنص وتوراة وإنجيل  
 في كل جيلٍ أباطيلٌ يبدان بها فهل تفرد يوماً بالهدى جيل

عقولٌ تستخف بها سطور ولا بدري التي لمن الثبور  
 كتاب محمدٍ وكتاب موسى وإنجيل ابن مريم والزبور  
 ولا تقبل من التوراة حكماً فان الحق عنها في تواري

يتلون أسفارهم والحق يجبرني بأن آخرها مينٌ وأولها  
 صدقت بأعقل فليبعد أخوسفه صاغ الأحاديث إفكاً أو نأولها  
 وأهل الأديان عنده يسرون على غير هدى في دياجير الضلال :

وجاءتنا شرائع كل قومٍ على آثار شيء رتبوه  
 وغير بعضهم أقوال بعضٍ وأبطلت النهي ما أوجبوه

قد ترامت إلى الفساد البرايا واستوت في الضلالة الأديان  
 هفت الحنيفة والنصارى ما همدت ويهود تاهت والمجوس مضله  
 اثنان أهل الأرض ذو عقلٍ بلا دينٍ وآخر دينٍ لا عقل له

وقد فشت عن أصحاب دينٍ لهم نكٌ وليس لهم رياء  
 فألغيتُ اليهائم لا عقولٍ تقيم لها الدليل ولا ضياء

لا تبدؤني بالعداوة منكم فسيحكم عندي نظير محمد  
أبغيت ضوء الصبح ناظر مدلج أم نحن أجمع في ظلام سرمد

### الإسلام

كان أبو العلاء في توحيد الله وعبادته مسلماً مخلصاً، لا يرى مثل الإسلام ديناً يتفق مع العقل في توحيد الله وتزويده وتمجيده :

أفئدة الإسلام ينكر منكر<sup>١</sup> وقضاء ربك صاغها وأتى بها

وإن لحق الإسلام خطب<sup>٢</sup> بفضه فما وجدت<sup>٣</sup> مثلاً له نفس واجد<sup>٤</sup>  
ويعظم من شأن النبي عليه السلام وبنوه ببعض ما دعا إليه من معالي الأمور :

دعاكم إلى خير الأمور محمد<sup>٥</sup> ولبس العوالي في القنا كالسوافل<sup>٦</sup>

حداكم على تعظيم من خلق الضحى وشبه الدجى من طالعات<sup>٧</sup> وأقل

وألزمكم ما ليس بعجز حمله أذا الضعف من فرض<sup>٨</sup> له ونوافل

وحث على تطهير<sup>٩</sup> جسم<sup>١٠</sup> وملبس<sup>١١</sup> وحرم خمر<sup>١٢</sup> خلت أبواب شربها

فصلى عليه الله ما ذر<sup>١٣</sup> شارق<sup>١٤</sup> وما فت<sup>١٥</sup> مسكاً ذكره في الحافل

ويظهر جلياً تفضيله الإسلام قوله في مسلم تنصر بغية عرض الدنيا :

تنصر من بعد الثلاثين حجة<sup>١٦</sup> وكم لاح شيب<sup>١٧</sup> قبلها في المفارق<sup>١٨</sup>

وفارق دين الوالدين بزائل<sup>١٩</sup> ولولا ضلال<sup>٢٠</sup> بالفتى لم يفارق<sup>٢١</sup>

فواجباً من أزرق العين غادر<sup>٢٢</sup> أفاد فالت نفسه للأزرق

مخاريق تبدو في الكنائس منهم بلحن<sup>٢٣</sup> لم يحكي غناء مخارق<sup>(١)</sup>

وحسبك من عار<sup>٢٤</sup> يشب وقوده سجدك للصلبان في كل شارق

(١) مخارق من المذنبين<sup>٢٥</sup> للشهورين .

وما حزن الإسلامَ مغداك زارياً عليه ولكن رحمت راحة فارقي

تركت ضياء الشمس يهديك نورها وتبعت في الظلماء لمحة بارق

وكان يستحسن من فروض الإسلام الصلاة والصيام وقد سبقت الإشارة إليهما في فصل العبادة ، ويستحسن الزكاة ويحث عليها :

زكوا على مذهب الكوفي<sup>(١)</sup> أرضكم وخالفوا رأيه في مسكر طبخا

خذوا سبيري فمن لكم صلاحٌ وصلوا في حياتكم وزكوا

ففض زكاة مالك غير آبي فكل جموع مالك بنفضته  
كما كان يستحسن كثيراً تحريم الخمر ، وأقواله في ذلك أكثر من أن يشار إليها ، وسنفرد لها فصلاً خاصاً .

ولكنه كان يناقش الإسلام في بعض أحكامه ، ويشك في بعضها ، وينتقد بعضها . من ذلك أنه لم تظهر له حكمة الحج واجتماع المسلمين في صعيد واحد كل سنة ، ولم يدرك من منافع الحج ما وراء المناسك الظاهرة :

ما الركن في قول ناس لست أذكرهم إلا بقية أوثان وأنصاب

وما حجي إلى أحجار بيت كؤوس الخمر تشرب في ذراها

أرى عالماً يرجون عفو ما يكهم بتقبيل ركن واتخاذ صليب

فغفرانك اللهم هل أنا طارحٌ بمكة في وفد ثياب سائب

وكان يشك بالخشع في كثير من شعوره :

زعموا أنني سأرجع شرحاً كيف لي كيف لي وذاك التامبي

وأزور الجنان أحيى فيها بعد طول الممود في الأرماس

(١) يريد بالكوفي أبا حنيفة ومذهبه أن الزكاة تجب في كل ما تنبت الأرض ما عدا الحشيش والحطب والتصب .



أيما طارق أصابك باطا رق حتى مساك لاني مامي

لو كان جسمك متروكاً بهيبته بعد التلاف طمعنا في نلافه  
كالدن عطل من راح تكون به ولم يحطّم فمادت مرة فيه  
لكنه صار أجزاءً مقسمة ثم استمر هباءً في سوافيه

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهةً وحق لسكان البسيطة أن يبكوا  
تخطمنا الأيام حتى كأننا زجاجٌ ولكن لا بعاد لنا سبك

خذ المرأة واستخبر نجومًا تمر يطعم الأري المشور  
تدل على الحمام بلا ارتياب ولكن لا تدل على الذشور  
على أن هذا الشك المضطرم قد تهب عليه نفحة من برد اليقين فيقول :  
بحكمة خالتي طي ونشري وليس بمعجز الخلاق حشري

قال النجم والطيب كلاهما لا تحشر الأجساد قت البكا  
إن صح قولكما فلت يجامر أو صح قولي فالخسار عليكما  
وكان يشك في عذاب القبر وسؤال الملكين :

إذا حرق الهندي بالنار نفسه فلم يبق نخض للتراب ولا عظم  
فهل هو خاش من تكبير ومنكر وضغطة قبر لا يقوم لها نظم  
ويشك كذلك باللائكة والجن :

قد عشت عمرًا طويلاً ما علمت به حساً يحس الجني ولا ملك

فاخش الملك ولا توجد على رهب إن أنت بالجن في الظلماء حشيتنا  
فإنما تلك أخبارٌ ملفقةٌ خدعة الغافل الحشوي حوشيتنا

ما صح عندي أن ذات خلاخل تقفي من الجن الغواة بتابع  
وكثيراً ما ينتقد أحكام الشريعة :

إن الشرائع ألفت بيننا إحنًا وأورثتنا أفانين العداوات  
وما أبيت نساء الروم عن عرضٍ للعرب إلا بأحكام النبوات  
تناقض ما لنا إلا السكوت له وأن نعوذ بمولانا من النار  
يدٌ بنجمن مئين عسجدٍ فديت ما بالها قطعت في ربع دينار  
والأثم بالسدس عادت وهي أرف من بنت لها النصف أو عرس لها الربع  
وكان لا يرى الجهاد :

قد ادعى النسك أقوام بزعمهم وكيف نسك غوي رحمه ورس  
فإن ترشدوا لا تخضبوا السيف من دم ولا تلمزوا الأميال صبر الجرائح  
وبتهم المجاهدين بأنهم لا يبغون من جهادهم إلا الغنائم :  
عرض القوم متمعة لا يرفون ن لدمع الشماء والخفساء  
وكان لا يشق بالقل ويظعن على ما يرويه الرواة :

كل الذي تروون عن مولاكم كذب أناكم عن يهود يخببر  
وأحاديث خبرتها رواية وافترتها للمكسب القدماء  
تلوا باطلاً وجلوا صارماً وقالوا صدقنا فقلتم نعم  
أفيقوا فإن أحاديثهم ضعاف القواعد والمدعم  
زخارف ما ثبتت في العقول سمى عليكم بين المعم  
وكان لا يجيد في جميع الفرق والمذاهب الإسلامية ما يقنع به عقله :

أرجوا أو اعتزلوا فإني عن مقامكم بمعزل  
ومعتزلي لم أوافق ساعة أقول له في اللفظ دينك أجزل  
أريد به من جزلة الظهر لم أرد من الجزل في الأقوال تلوى وتجزل

جهت أقاضي الري أكثر مائماً بما نصه أم شاعرٌ بتغزلٍ  
وأعلم انت ابن المعلم هازلٌ بأصحابه والباقلاني أهزل  
وكم من فقيهٍ خابطٍ في ضلالةٍ وحجته فيها الكتاب المنزل

أجاز الشافعي فعال شيءٍ وقال أبو حنيفة لا يجوزُ  
فضلُ الشيب والشبان منا وما اهدت الفتاة ولا العجوزُ  
وينفر عقلي مغضباً إن تركته سدى واتبع الشافعي ومالكاً

خير لعمرى وأهدى من إمامهم عكاز أعمى هدته إذ غدا السبلا

إنما هذه المذاهب أسبا بٌ لجذب الدنيا إلى الرؤساء  
كالذي قام يجمع الزنج بالبصرة والقرمطي بالأحساء

ويقول في المهدي الذي ينتظره الشيعة :

يرتجي الناس أن يقوم إمام ناطق في الكتيبة الخرساء  
كذب الظن لا إمام سوى العقول مشيراً في صبحه والمساء

### القضاء والفر

أكثر ما قاله أبو العلاء في هذا المعنى يدل على الجبر ، وأن الإنسان  
أتى الى هذه الدنيا مجبراً وسيرحل عنها مجبراً ، وأنه لا خيرة له فيما قضاه الله :  
قضى الله فينا بالذي هو كائن فتمّ وضاعت حكمة الحكماء

وهل أوم غيباً في غباوته وبالقضاء أتمه قلة الفطن  
ويفتتح مقدمة اللزوميات بقوله : « قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان  
الضريبر رهن المحسبين وإنما قال بقضاء لا يشعر كيف هو ، كان من سوائف  
الأقضية أني أنشأت ..... »

والشواهد على ذلك كثيرة جداً ، ولكنه إزاء ذلك ينكر على من يرتكب الذنوب ويزعم أنه مجبر قال :

كيف احتمالك والقضاء مدبرٌ تجني الأذى وتقول إنك مجبرٌ

ففي هذا البيت مع ما تقدمه رأيان مختلفان ، بين الجبر وعدمه ، فبيننا هو بقول ان كل ما هو كائن بقضاء الله ، يعود وينكر على من يجني الأذى زاعماً أنه مجبر ، فكيف نوفق بين هذين الرأيين ؟ الذي يظهر أن أبا العلاء يثبت القدرة المطلقة والأمر كله في الخلق والتدبير لله ، وذلك أدنى الى الجبر ؛ أما الشرور التي يرتكبها البشر فإنه ينزه الله عنها ، فكأنه يقول بالجبر إلا في عمل الشر ، وهكذا فقد جمع بين الرأيين ، ولعل أحسن تفسير لذلك قوله :

لا تعش مجبراً ولا قدرياً واجتهد في توسطٍ بين بيننا

خليل مردم بك

( يتبع )

## المدينة العادلة

إذا ذكر ابن سينا ذكر معه التفاؤل ، والاقبال على الحياة والميل الى النهوض بأعباء السياسة والتعرض لنقلباتها . فقد كان يشتغل بتصريف أمور الدولة في النهار ، ويعكف على التدريس والتأليف في الليل حتى بلغ من أسباب الدنيا كثيراً مما لم يبلغه غيره من رجال الفكر . ومن عرف أن هذا الفيلسوف العظيم كان يستمد آراءه السياسية من الفلسفة اليونانية تارة ، ومن الشريعة الاسلامية تارة أخرى ، وأنه كان بالاضافة الى ذلك وزيراً خطيراً وطيباً حاذقاً تمهي له الحياة العملية كثيراً من الملاحظات والتجارب وتضطره في الوقت نفسه الى المحافظة على التقاليد ، لم يجب لتقيده في وصف المدينة العادلة بشروط الحياة الواقعية .

ان المدينة العادلة التي تصورها ابن سينا هي المدينة التي يسن فيها رئيسها للناس سنناً « تعرفهم بأن لهم صانعاً واحداً قادراً ، وأنه عالم بالسر والعلانية ، وأن من حقه أن يُطاع أمره . وأنه قد أعدّ لمن أطاعه المعاد المسعد ، ولمن عصاه المعاد المشقي »<sup>(١)</sup> . وحاجة هذه المدينة العادلة الى رئيس صالح يسن السنن بالعدل ، ويدبر أحوال الناس على ما تنظم به أسباب حياتهم أشد من حاجة البدن الى الغذاء . فان الانسان كما يقول أرسطو مدني بالطبع لا يستطيع أن يعيش منفرداً من غير شريك يعاونه على ضروريات حاجاته<sup>(٢)</sup> ،

(١) الشفاء ، فصل في اثبات النبوة وكيفية دعوة النبي الى الله تعالى وللمعاد اليه . النجاة ، ص ٣٠٤ ، طبعة القاهرة ١٩٣٨ . راجع أيضاً مجد يوسف موسى ، الناحية الاجتماعية والسياسية في فلسفة ابن سينا ، ص ٩ .

(٢) الشفاء ، الفصل نفسه . النجاة ، ص ٣٠٤ .

فلا بدءٌ إذن في وجود الناس وبقائهم من المشاركة والمعاملة ، ولا بدءٌ في هذه المعاملة من أن تكون على أساس سنة وعدل ، ولا بدءٌ للسنة من رئيس صالح يدبر الناس ويصالح أمورهم . ووجود هذا الرئيس الصالح واجب في العناية الإلهية ، لأن العناية كما يقول ابن سينا : « هي إحاطة علم الأول بالكل وبالواجب أن يكون عليه الكل حتى يكون على أحسن النظام »<sup>(١)</sup> فلا يجوز إذن أن تقتضي العناية الإلهية هذا النظام الكلّي ، ولا تقتضي في الوقت نفسه وجود نبي يشرع للناس نظاماً عادلاً . فكما أن لكل فلك من الأفلاك عقلاً مديراً يصدر عن العقل الذي فوقه ، فكذلك يجب أن يكون للمدينة العادلة نبي يدبر أمرها بما يوحى إليه . وكما أن لكل فلك من الأفلاك عقلاً يصدر عنه عقل آخر تحته ، فكذلك ينبغي أن يكون لكل نبي خليفة يحفظ السنة بعده . وإذا كان الإنسان الفاضل بالخواص النبوية بكاد أن يكون رباً إنسانياً تحمل عبادته<sup>(٢)</sup> ، تخليفته الذي في الأرض يشبه العقل الأول ، كما أن ملوك الأفاليم يشبهون العقول المفارقة . وهكذا تحتذي المدينة العادلة في نظامها نظام الوجود ، كالمدينة الفاضلة التي أشار إليها الفارابي ، ولكنها لا تضرب بشروط الحياة الواقعية عرض الحائط ولا تهمل ما تشتمل عليه النفس الانسانية من قوى فاعلة ومنفعة . فاذا قال ابن سينا كما قال أفلاطون ان المجتمع مؤلف من ثلاث طبقات هي : طبقة المديرين ، وطبقة الحفظة ، وطبقة الصناع<sup>(٣)</sup> . فإن السبب في ذلك يرجع الى اشتغال النفس الانسانية على ثلاث نفوس هي : النفس العاقلة ، والنفس الحيوانية ، والنفس النباتية . وهذا التقسيم الثلاثي الذي أولع

(١) الاشارات ، ص ١٨٥ ، من طبعة لندن . النجاة ص ٢٨٤ .

(٢) الشفاء ، فصل في الحنيفة والامام ووجوب طاعتها والاشارة الى السياسات والماملات والأخلاق .

(٣) الشفاء ، فصل في عقد المدينة وعقد البيت وهو النكاح والسنن السكونية في ذلك .

به ابن سينا تجده في مراتب الناس كما تجده في مراتب الوجود ، لأن الفيض عنده يقتضي أن يصدر عن كل عقل ثلاثة أشياء هي : العقل ، والنفس ، والملك ، كما يستلزم أن تكون الموجودات ثلاثة أقسام : الواجب بذاته ، والواجب بغيره ، والممكن بذاته . وأن يكون للحكيات ثلاثة أنماط في الوجود : وجودها في علم الإله قبل الكثرة ، ووجودها متكثرة في الاعيان ، ووجودها في العقل الانساني بعد الكثرة . فالموجودات ثلاثة ، والنفوس ثلاث ، والفضائل ثلاث ، وطبقات المجتمع ثلاث ، تدل كل طبقة من طبقاته على قوة من قوى النفس أو على مرتبة من مراتب الوجود .

فلا فرق اذن في نظر ابن سينا بين المدينة المثالية والمدينة الواقعية ، بل النظام الواقعي الذي يتكلم عنه يتفق في النهاية ونظام الوجود . ومن تذكر رأيه في فيض العالم عن المبدأ الأول ، وكلامه عن العقل الفعال وفيض الصور عنه على العالم الأسفل ، وكلامه عن الوجود كيف ابتدأ من الأشرف فالأشرف حتى انتهى الى الهوى ، لم يعجب لاتفاق نظام المدينة العادلة ونظام الكون ، فكأن في كل شيء محسوس صورة من عالم الإله ، وكأن كل نظام واقعي منسوج على منوال النظام المثالي . وسواء أكان الوجود طبيعياً محسوساً ، أم عقلياً مجرداً ، فإن القانون الكلي المسيطر عليه قانون حتمي يوحد بين المثل الأعلى والواقع ويجمع بين الألوهية والانسانية .

فليس من الخير إذن تبديل هذا النظام مادام مصبوغاً بصيغة الإله ، كما انه ليس من الحكمة إبطال طبيعة النار المحرقة مادام نفعها أكثر من ضررها (١) . وأي نظام هو أحسن من نظام يغلب فيه الخير على الشر ، لا بل أي مجتمع هو أفضل من مجتمع وطدت الشريعة الإلهية أركانه ، وثبت العقل دعائمه ؟

(١) النجاة ص ١٨٧ و ١٨٩ .

وإذا علمنا ان الشريعة والحكمة في نظر ابن سينا متفتتان أدر كنا ان الانسان إنما يصل الى السعادة بطريقتين أحدهما طريق الشريعة والآخر طريق الحكمة . فالعالمى بواجب على العبادات ، ويخضع للأحكام الشرعية والوضعية ، والفيلسوف ينصرف بفكره الى السعادة الروحية المحضة . وإذا جاز للفيلسوف المهتم أن يتحرر من بعض القيود الاجتماعية فإنه لا يجوز للجمهور الناس أن يخالفوا النظام الدينى ولا أن يثوروا عليه ، ولا أن يتعرضوا للمدن الأخرى التي لها سنة مثل سنتهم .

ولكن اذا أوجب التصريح في وقت ما بأن لا سنة غير السنة النازلة ، وكان هناك مدينة حسنة السيرة يصرح أهلها بأن هذه السنة وإن كانت محدودة ، فإنه ليس من حقها أن تعمّ المدن كلها فحينئذٍ يجب أن يؤدب أهل هذه المدينة المخالفة حتى لا يستولي على السنة بامتناعهم عنها وهن عظيم . وكيف لا يؤدبون «وقد امتنعوا عن طاعة الشريعة التي أنزلها الله تعالى»<sup>(١)</sup> ، فان هلكوا كان في هلاكهم فساد لأنفسهم وبقاء للسنة ، وان رؤيت مسألتهم فرضت عليهم جزية أو ألزموا بدفع غرامة .

فالمدن إذن ثلاث : مدينة ضالة يجب دعوتها الى الحق ، ومدينة ذات سنن مخالفة تكذب صاحب السنة الكريمة ، ومدينة ذات سنة أنزلها الله تعالى . وهذه المدينة الأخيرة هي المدينة العادلة .

وابن سينا يرمم للانسان في هذه المدينة برنامجاً مفصلاً يقوم على تنزيه النفس وتكميل قوتها النظرية باكتساب المعرفة حتى تعرف ما فوقها ، وتتصل بالعقل الفعال ، وتصبح عالماً عقلياً مجرداً ، كما يقوم على تكميل القوة العملية بالفضائل ، وعلى طاعة الشريعة التي أنزلها الله تعالى . وعلى هذا النحو يكون الثواب في

(١) الشفاء ، فصل في الخليفة والامام ووجوب طاعتها والاشارة الى السياسات والمعاملات والأخلاق .



الآخرة متناسباً مع الدرجة التي بلغتها النفس من المعرفة كما يكون متناسباً مع صفاء جوهرها من كدورة الطبيعة .

ولذلك كان العامي أحق الناس باتباع الأخلاق والعادات التي سنّها الشارع حتى يتعود الأفعال الجميلة بتكرارها مراراً كثيرة ، وزماناً طويلاً على أساس التوسط بين الأخلاق المتضادة . ولذلك أيضاً كان الفيلسوف أحق الناس بسلك طريق المعرفة حتى يدرك المعقولات ، ويجمع بين العلم والعمل ، وينظم سلوكه وفقاً لنظام الوجود . فاذا أباح الفيلسوف لنفسه شرب الخمر شربها تشفياً وتداوياً لا تلهياً<sup>(١)</sup> ، وإذا عرضت له لذة استعملها على الوجه الذي توجبه الحكمة لإصلاح الطبيعة وبقاء الشخص والنوع . ومتى صادف نفسه قدمات الى جهة النقصان جذبها الى جهة الزيادة ، ومتى صادفها قدمات الى جهة الزيادة جذبها الى جهة النقصان<sup>(٢)</sup> .

ومن واجب أصحاب السياسات الجيدة أن يجعلوا أهل المدن اختياراً بما يعودونهم من أفعال الخير ومن واجب الفيلسوف ان يقاوم أصحاب السياسات الرديئة الذين يجعلون أهل المدن أشراراً بما يعودونهم من أفعال الشر<sup>(٣)</sup> . فاذا وجد الفيلسوف ظلاماً لا يستطيع دفعه هرب الى مدينة غير مدينته ، وإذا أخذ وسجن عمل على الخروج من السجن ، فهو لا يعين ظلاماً على مظلوم ، ولكنه لا يرضى بأن يظلم كما ظلم سقراط . وهو لا يؤيد من خرج على السنة فادعى الخلافة بفضل قوة أو مال ، بل يدعو أهل المدينة العادلة الى قتاله وقتله<sup>(٤)</sup> ، وكل من كان قادراً على قتل هذا الخارجي ولم يفعل فقد كفر بالله وأحل دمه . فلا قربة

(١) تسم رسائل في الحكمة والطبيعات ، الرسالة التاسعة في علم الأخلاق ، ص ١٥٥ .

(٢) تسم رسائل ، الرسالة الثامنة في العهد ، ص ١٤٨ .

(٣) تسم رسائل ، الرسالة الثامنة في العهد ، ص ١٤٧ .

(٤) الشفاء ، فصل في الخلية والامام . محمد يوسف موسى ، الناحية الاجتماعية

م (٢)

والسياسية في فلسفة ابن سينا ، ص ٢٢ .

عند الله بعد الايمان بالذي أعظم من ائتلاف الظالم المتغلب . وان وجد الحكيم ان المتولي للخلافة قد ، في بنقص في عقله وسياسته ، وان الذي خرج عليه أكمل منه سياسة وأعظم عقلاً حكم بأن مصلحة المدينة العادلة تقتضي توسيد الحكم الى الخارجي دون الخليفة ، وان وجد أن أحدهما أعقل والثاني أعلم حكم بتوسيد الحكم اليهما معاً . لأن من شرط الخليفة في المدينة العادلة أن يكون أصيل العقل ، مستقلاً بالسياسة ، شجاعاً ، عفيفاً ، حسن التدبير عالماً بالشريعة ، وان يكون استجلافه من جهة اللسان بنص أو باجماع من أهل السابقة (١) .

وابن سينا يضع لهذا الخليفة برنامجاً سياسياً شبيهاً بالبرنامج الذي وضعه (فيلون) اللدوق (دوبرغوفني) ، فيدعوه الى تأمل ما يجري عليه تدبير العالم من الحكمة وحسن اتقان السياسة وبوصيه بالاشراف على المبادات والاجتماعات العامة والاشترك في المعاملات التي تبني عليها أركان المدينة ، ويطلب منه أن يحول دون وقوع الخيف في المعاملات المؤدية الى الأخذ والعطاء ، وان يدعو الناس الى معاونة الناس والذب عنهم ورقابة أموالهم وأنفسهم ، ومقاولة الأعداء وإفنائهم . ومما يجب أيضاً على الخليفة أن يصون الشريعة بمقاومة الناس على ارتكاب المعاصي الداعية الى فساد نظام المدينة مثل الزنا والسرققة ومواطأة الأعداء ، ويشترط في هذه العقوبات أن تكون معتدلة لا تشدد فيها ولا تساهل ، كما يشترط في ضبط المدينة أن يرتب المدبرون والصناع والحفظة ترتيباً صالحاً ، وأن يكون لكل منهم رئيس تحته رؤساء بلونه الى أن ينتهي الأمر الى افناء الناس . فلا يكون في المدينة بطالة ولا انسان معطل ليس له مقام محدود . ويجب أيضاً أن يكون في المدينة مال مشترك يؤخذ من الأرباح المكتسبة والطبيعية لإتفائه على المصالح العامة وعلى الحفظة الذين لا يشتغلون بصناعة ،

(١) الشفاء ، فصل في الخليفة والامام ، يقول ابن سينا : « الاستخلاف بالذم أصوب » .

وعلى الشيوخ والمقعدين الذين حيل بينهم وبين الكسب بأمراض وزمانات ، فان قوت هؤلاء لا يجحف بالمدينة . وكما انه يجب تحريم البطالة فكذلك يجب تحريم الصناعات التي تنتقل فيها الأموال والمنافع من غير مصلحة بازائها مثل القمار فإنه يكسب ربحاً من غير منفعة البتة ، ومثل السرقة واللصوصية والقيادة فانها تدعو الى أضرار المصالح والمنافع ، ومثل المراياة فانها طلب زيادة كسب من غير حرفة تحصله ، ومثل الزنا الذي يدعو الى الاستغناء عن أفضل أركان المدينة وهو الزواج (١) .

وهنا نجد ابن سينا يشدد في أمر الزواج فيشترط فيه أن يكون ظاهراً علنياً ، حتى لا يقع خلل في انتقال الموارث ، وأن يكون ثابت الدعائم فلا تقع الفرقة بين الزوجين لأقل سبب .

ومن أجل ذلك أيضاً يرى أن لا يكون الطلاق بيد المرأة لأن المرأة في نظره واهية العقل ، مبادرة الى طاعة الهوى والغضب . فمن حق الرجل أن يملكها ، وعليه أن يصونها ويكفيها حاجتها ، وليس من حقه أن تملك الرجل ولا أن تكون من أهل الكسب .

وكما أن المرأة أكثر انخداعاً وأقل للعقل طاعة ، فكذلك الناس منهم من يكون بعيداً بطبعه عن تلقي النصيحة كالذين نشأوا في الأقاليم الشمالية والجنوبية ، ومنهم من يكون حسن المزاج كالذين نشأوا في الأقاليم المعتدلة الشريفة (٢) .

ولسنا في حاجة الى القول ان رأي ابن سينا في المرأة وفي تفاوت طبائع الناس انما يرجع الى تأثير آرسطو من جهة والى تأثير التقاليد الاجتماعية المحيطة به من جهة أخرى . فهو لم يخالف في ذلك آراء أهل زمانه ، ولم يفكر في نظام اجتماعي مختلف عن النظام المألوف . ومن عرف أنه كان وزيراً ، وانه كان

(١) الشفاء ، فصل في عقد المدينة وعقد البيت .

(٢) الشفاء ، فصل في الخليفة والامام .

عليه أن يدبر أمور الدولة ، لأن يبدل نظامها ويقبأ أوضاعها لم يعجب لتمسكه بجبل الأوضاع الاجتماعية الراهنة . وكيف يفكر في تبديل هذا النظام وهو نظام إلهي ثابت رتبت أوضاعه كترتيب الموجودات ، لا بل كيف ينصور عالماً على غير هذا النمط من الوجود والخير فيه مقتضى بالذات . إن المجتمع الانساني لا يصبح كاملاً الا اذا عمل كل فرد من أفرادها على اكتساب الكمالات الخاصة به . وأول هذه الكمالات أن يعلم الانسان أن له عقلاً هو السائس ونفساً أمارة بالسوء كثيرة المعاييب ، فاذا ثقف عقله وهذب نفسه استطاع أن يبلغ غايته ، ولكنه اذا اتبع المذات الخسيسة وانغمس فيها عجز عن إدراك السعادة . وليس اكتساب هذه الكمالات الانسانية خاصاً بفئة من الناس دون غيرها ، بل المديرون والحفظة والصناع في هذا الأمر سواء « ويحتاج أصغرهم شأنًا » ، وأخفهم ظهراً وأرقهم حالاً وأضيقهم عَطناً ، وأفلمهم عدداً من حسن السياسة والتدبير ، ومن كثرة التفكير والتقدير ، ومن قلة الاغفال والاهمال ، ومن الانكار والذأنيب والتعنيف والتأديب والتعديل والتقويم الى ما يحتاج اليه الملك الأعظم ، بل لو قال قائل ان الذي يحتاج اليه هذا من التيقظ والتنبه ومن التعرف والتجسس والبحث والتنقيب ، والفحص والتكشيف أو من استثمار الخوف والوجل ومجانبة الركون والطأينة ، والاشفاق من انفتاق الرتق واختلال السد أكثر ، لأصاب مقالاً . لأن الفدء الذي لا يظهر له ، والفرد الذي لا معاخذ له أحوج الى حسن العناية ، وأحق بشدة الاحتراز من المستظهر بكفافية الكفاة ورفد الوزراء والأعوان ، ولأن المدم الذي لا مال له يحتاج من ترقح العيش ومرة الحال الى أكثر مما يحتاج اليه الغني الموسر» (١) .

فلا غرو اذا حسنت أخلاق الفقراء وصامت أخلاق الرؤساء ، لأن الناس

(١) ابن سينا ، كتاب السياسة ، ص ٤ . من مقالات فلسفية قديمة لبعض مشاهير فلاسفة العرب طبع بالمطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١١ .

يكتمون عن الرؤساء عيوبهم ويفشونهم بالثناء الكاذب . ويفرونهم بالتقريظ الباطل ، وليس كذلك حال من دونهم من السوق ، فان أعداءهم يعيرونهم بالمعائب والمثالب ، كما أن أصدقاءهم ينيهونهم على عيوبهم فيصلحون أخلاقهم ويصبحون أقل استرسالاً من الرؤساء .

وابن سينا لا يوجب على العامة ملوكاً كانوا أو سوقة أن يتعلموا الفلسفة وأن يرتقوا بعقولهم الى تصور حقيقة الله كالعلم بأنه غير مشار اليه في مكان ، وانه غير منقسم بالقول ، وانه ليس خارج العالم وداخله ، فان عامة الناس لا يمكنهم أن يتصوروا هذه الأحوال على وجهها ، ولا ان يدركوا حقيقة التوحيد والتنزيه ، وبكفيتهم من معرفة الله أن يصدقوا بوجوده ، وان يلمعوا انه واحد حق لا شبيه له <sup>(١)</sup> ، وان ينصرفوا بعد ذلك الى تطبيق الأحكام الشرعية والاشتغال بالأعمال الدنيوية . فان الحقيقة في نظر ابن سينا يجب أن يضمن بها على غير أهلها ، وأن تصان عن المتبدلين والجاهلين ، قال : « فان وجدت من تثق ببقاء سريره ، واستقامة سيرته ، وتوقفه عما يتسرع اليه الوسواس ، وبنظره الى الحق بعين الرضى والصدق فإنه ما يسألك منه مدرجاً مجزءاً مفرفاً . . . وعاهده بالله وباليمان لا مخارج لها ليجري فيما تؤتية مجراك ، متأسياً بك ، فان أذعت هذا العلم واضعته فالله بيني وبينك ، وكفى بالله وكيلاً » <sup>(٢)</sup> .

فليس من مصلحة المدينة العادلة أن يشتغل الناس جميعاً بمثل هذه المباحثات والمقاييسات ، لأن ذلك قد يوقعهم في آراء مخالفة لصالح المدينة ، فتكثر فيهم الشكوى ، وتزداد بهم الشبه ، ويصعب على السائس ضبطهم . فينبغي ان رام أن يكشف الناس بالحقائق الإلهية ، أن لا يكلمهم عنها إلا برموز وإشارات من الأشياء المألوفة عندهم ، وان لا يضرب للسعادة والشقاوة إلا أمثالا مما

(١) الشفاء ، فصل في اثبات النبوة وكنية دعوة النبي الى الله تعالى وللمعاد اليه .

(٢) الاشارات ، ص ٢٢٢ ، من طبعة لندن .

يفهمونه وبتصورونه . وأما الحق في ذلك فلا بلوح لم منه الا أمراً بجملاً .  
فما كل يبسر له في الحكمة الإلهية (١) .

وقد جعل الله الناس في عقولهم وآرائهم متفاضلين كما جعلهم في أملاكهم  
ومنازلم ورتبهم متفاوتين . ولو كان الناس جميعاً ملوكاً لتفانوا عن آخرهم .  
ولو كانوا كلهم صوفةً لملكوا بأسرهم ، كما أنهم لو استوتوا في الغنى لما مهن  
أحد لأحد . ولو استوتوا في الفقر لما اتوا ضرراً وملكوا بؤساً . وذو المال  
الغفل من الأدب اذا تأمل حال العاقل المحروم ظن أن المال الذي وجده مغير  
من العقل الذي عدمه . وذو الأدب المعدم اذا تفقد حال المثري الجاهل لم يشك  
في أنه فضل عليه وقدم دونه . وكل ذلك من دلائل الحكمة وشواهد لطف  
التدبير وامارات الرحمة والرأفة (٢) .

ان نظام المدينة العادلة في نظر ابن سينا يستلزم تفاوت الناس في  
مراتبهم وصفاتهم كما يقتضي أن تكون الثقافة خاصة بفئة معينة من الناس  
هي النخبة المختارة من الشعب . فالمرأة غير مساوية للرجل ، والعروق البشرية  
الناشئة في الأقاليم المعتدلة أكل من العروق الناشئة في الأقاليم الشمالية والجنوبية .  
والنظام الاجتماعي الذي سنته الشريعة لا يختلف عن نظام الخير الذي أفاضه  
الله على الوجود .

فينبغي للانسان اذا رام أن يكون سعيداً أن يتقيد بهذا النظام وأن يعمل  
على سياسة نفسه وسياسة أهله وولده سياسة عادلة . واحق الناس وأولام بتوطيد  
أركان النظام الاجتماعي الملوك ومن يليهم من الوزراء والرؤساء والولاة . فان  
المدينة العادلة لا تستطيع البقاء الا اذا كانت جميع القوى العمياء التي تحمل

(١) الشفاء ، فصل في اثبات النبوة وكيفية دعوة النبي الى الله تعالى وللمعاد اليه .

(٢) ابن سينا ، كتاب السياسة ، ص ٣ . من مقالات فلسفية قديمة لبعض

مشاهير فلاسفة العرب ، بيروت ١٩١١ .

على تقويض أركان المجتمع ، بل النظام الاجتماعي العادل لا يقوم إلا على أساس مزدوج من الدين والفلسفة ، فما بأمرنا به الدين توضحه الفلسفة ، وما تبرهن عليه الفلسفة بأمر به الدين .

تلك هي آراء ابن سينا في المدينة العادلة . وهي مستمدة من آراء أفلاطون في كتاب الجمهورية . ومن آراء الفارابي في المدينة الفاضلة . فابن سينا قد استمد من أفلاطون قوله باشتال المدينة العادلة على ثلاث طبقات هي طبقة المديرين وطبقة الحفظة وطبقة الصناع ، كما أخذ عنه قوله بانقسام النفس الانسانية الى ثلاث قوى ، وهو قد استمد من الفارابي قوله بترتيب أعضاء المدينة العادلة على صورة شبيهة بترتيب الموجودات واتصالها بعضها ببعض كما قلده أيضاً في قوله ان للمدينة العادلة نظاماً من حقه أن يعم المدن كلها . والفرق بين ابن سينا وأفلاطون ان ابن سينا لم يقل بالشيوعية في النساء والمال ، كما قال بها أفلاطون ، بل تشدد في أمر الزواج وعده ركناً من أركان المدينة العادلة كما اعتبر الملكية الفردية القائمة على المال الموروث أو الموهوب أو المكتسب دعامة أساسية في المعيشة . والفرق بين ابن سينا والفارابي ان ابن سينا لم يتصور مدينة خيالية كالمدينة الفاضلة التي تصورها الفارابي ، بل تصور مدينة واقعية يسكن فيها رئيسها للناس أحكاماً عملية يوجب عليهم اتباعها في عباداتهم ومعاملاتهم . وهذه الأحكام العملية التي يشير إليها ابن سينا في المعاملات والعقوبات والزواج والطلاق وتحرير بعض الصناعات ، وولاية الخليفة مستمدة كلها من الشريعة الاسلامية . فهو قد تأثر بأفلاطون وأرسطو والفارابي كما تأثر بأراء أهل زمانه ، ولكنه كان أرفق بالشيوخ والمفكرين المحتاجين الى عون الدولة من أفلاطون وأرسطو اللذين يقولان بقتل الميئوس منهم لعجزهم ومرضهم ، كما كان أميل الى حرية الفكر من بعض العلماء الذين ينعون الاجتهاد . ولعل لأمرته الاسماعيلية وليئته الاجتماعية أثراً في كلامه عن الخلافة ، والمدن الضاللة ، والمدن المخالفة ،

وفي قوله بتبديل الأحكام في المعاملات بتبديل الأزمان . وإذا قال ان أكثر الناس لا ينزجرون بأنفسهم لما يخشونه في الآخرة ، وانهم انما احتاجوا الى الواع الخارجى لأن فعل الخير لا يحاط قلوبهم فهو انما يحكم بذلك حكماً مستنداً الى الواقع والتجربة . ومن قارن بين آرائه وآراء الفارابى في المدينة الفاضلة وجد آراءه أقل انطلاقاً وتحرراً من آراء سلفه . ولكنه كان على كل حال مترجماً صادقاً لروح عصره . ومن عرف انه كان طبيباً حاذقاً يعرف كيف تحفظ صحة البدن اذا كانت حاصلة ، وكيف تكتسب اذا لم تكن حاصلة ، وانه كان من عليه الوزراء بهم ان يحفظ نظام الدولة لأن يبدله ويفيره لم يعجب لتقيده بتقاليد زمانه . وليس هذا التقييد بفادح في فلسفته ، لأن هذه الفلسفة تؤمن بالعقل وتتغافل بالخير وتقول بتأزبه النفس عن الهيئات الانتقادية حتى تحصل لها ملكة الاستملاء وتنطبع فيها هيئة الجمال ، وتندرج في اللذة الأبدية .

صميل صليبا



فهرست مؤلفات

محيي الدين بن عربي

(٥٦٠ - ٦٣٨ هـ)

بإلم

عني بتحقيقه

كوركييس عواد

١ - تمهيد

هذه رسالة صغيرة من تأليف الشيخ محيي الدين بن عربي ، المتوفى سنة ٦٣٨ هـ ،  
عُثرتُ عليها في بغداد ، فوجدتُ في نشرها فائدةً للقراء ، لما تضمنته من أسماء  
طائفةٍ كبيرةٍ من مؤلفاته لم يرد ذكرُ كثيرٍ منها في سواها من المراجع .  
تقوم هذه الرسالة من ١٧ صفحة صغيرة ( ٢١ x ١٤ سنتيمترًا ) ، في كل  
منها ١٧ سطرًا . وهي نسخة حديثة ، كُتبت سنة ١٣٢٧ هـ عن نسخة عتيقة  
. وُرخت في سنة ٦٨٩ هـ ولم أقف عليها كما اني لم أقف على نسخة ثانية للرسالة .  
وقد وضعتُ للرسالة تعليقاتٍ ، أشرتُ فيها الى ما طبع من هذه التأليف .  
والى ما يُعرف لبعضها من نسخٍ خطية انبثت في خزائن كتب الشرق والغرب ،  
فذكرتُ اسم الخزانة على وجه الاختصار ، وعيَّنت رقم المخطوط فيها ، ولم يفتني  
أن أضع أرقامًا متسلسلة لجميع هذه التأليف .  
ومراجعة ما في يدي من مصادر ، عُثرتُ على أسماء . مؤلفاتٍ كثيرة لابن عربي ،  
لم يذكرها هو في رسالته هذه . فجمعتُ ما أتيج لي الوقوف عليه من أسماءها ،

وجعلته كله في «مستدرک» بلى الرسالة ٤ حوى ذكر ٢٧٩ من تأليف ابن عربي .  
وبما ان الرسالة نفسها اشتملت على ذكر ٢٤٨ كتاباً ، كان مجموع ما انتهى اليها  
من أسماء مؤلفات ابن عربي ٥٢٧ كتاباً ورسالة .

## ٢ - تحقيق الرسالة

وقد رجعتُ في تحقيق هذه الرسالة ٤ الى «تاريخ الأدب العربي» للعلامة  
المستشرق بروككن<sup>(١)</sup> . فان له فضل السبق الى التنويه بنحو ٢١٧ كتاباً من  
مؤلفات ابن عربي وتعيين مظاهرها . كما رجعتُ الى كثير من المصنفات الأخرى ،  
ولا سيما فهارس الكتب العربية التي لم أجد بروككن قد رجع اليها في كلامه  
على تأليف ابن عربي . وهذه الفهارس هي :

- ١ - الكشف عن مخطوطات الأوقاف ببغداد : الدكتور أسعد طلس  
(نشرته مديرية الاوقاف العامة . بغداد ١٩٥٣) .
- ٢ - مخطوطات الموصل : الدكتور داود الجليلي (بغداد ١٩٢٧) .
- ٣ - فهرس الكتب العربية الموجودة في دار الكتب المصرية (الجزء الاول .  
القاهرة ١٩٢٤) .
- ٤ - فهرست المكتبة الأزهرية (الجزء الثالث . القاهرة ١٩٤٧) .
- ٥ - الفهرس التمهيدي للمخطوطات المصورة في الادارة الثقافية بجامعة الدول  
العربية (١٩٤٨) .
- ٦ - فهرست المكتبة التيمورية في القاهرة .
- ٧ - برنامج المكتبة الخالدية العمومية بالقدس (القدس ١٩٠٠) .
- ٨ - فهرس الخزانة الظاهرية في دمشق (دمشق ١٢٩٩ هـ) .

C. Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur ( Suppl , I, Leiden. (١)  
1937; pp. 790 — 802 ).

- ٩ - خزائن الكتب في دمشق وضواحيها : الخزانة الظاهرية : الحبيب زيات  
القاهرة (١٩٠٢) .
- ١٠ - فهرست المكتبة الزامية - بنزرت ( مطبعة النهضة - تونس ١٣٥٠هـ ) .
- ١١ - فهرست كتابخانه مجلس شوارى ملي - طهران : ليوسف اعتصامي ( طهران  
١٣١١ ش ق ) .
- ١٢ - فهرست كتابخانه آستانة قدس ( مكتبة المشهد الرضوي في ايران ) .
- ١٣ - فهرست الخزانة الآصفية في حيدر اباد ( طبع على الحجر في حيدر اباد ) .
- ١٤ - تذكرة النوادر من المخطوطات العربية : للسيد هاشم الندوي ( حيدر اباد  
١٣٥٠هـ ) .
- ١٥ - المخطوطات العربية في دور الكتب الأميركية : لكورد كيش عواد  
( بغداد ١٩٥١ ) .
- Catalogue of the Arabic Books and Manuscripts in the — ١٦  
Library of the Asiatic Society of Bengal. By Shamsu-  
l-Ulama Mirza Ashraf 'Ali. ( Colcutta 1904 ).
- Sbath ( p. ), Al-Fihris ( 1 pt. Le Caire 1938 ). — ١٧
- Browne ( E. G. ), A Descriptive Catalogue of the — ١٨  
Oriental Mss belonging to the Late E. G. Browne.  
( ed by R. A. Nicholson. Cambridge 1932 ).
- Mingana ( A. ), Catalogue of the Arabic Manuscripts — ١٩  
in the John Rylands Library , Manchester  
( Manchestre 1934 ).
- Catalogue of Arabic Manuscripts of Oriental Public — ٢٠  
Library at Bankipore ( Sufism ).
- Arberry ( A. J. ), A Second Supplementary hand - list — ٢١  
of the Muhammadan Manuscripts in the University  
and Colleges of Cambridge. ( Cambridge 1952 ).
- Gottschalk ( H. L. ), Catalogue of the Mingana Collection, — ٢٢  
Birmingham. ( Vol. IV, Islamic Arabic Manuscripts.  
Birmingham , 1950 ).

هذا الى ما وقفتُ عليه من مجاميع المخطوطات العربية في العراق ، مما لافهارس لها مطبوعة ، أذكر منها مخطوطات « خزنة المتحف العراقي » و « خزنة المحامي عباس الزاوي » و « خزنة المدرسة القادرية » و « خزنة عواد » و « خزنة يعقوب مركبس » وكلها في بغداد . وكذلك ما تبسر لي الوقوف عليه من المخطوطات العربية في الخزانة الامير كية ، وذلك كله مفصّل في كتابنا عنها ، وما رسالتنا المذكورة في الرقم ١٥ من ثبت مراجعنا الاختارات منه .

### ٣ - ترجمة ابن عربي

ولسنا في حاجة الى الاطالة في ترجمة ابن عربي ، فقد وردت في جملة كبيرة من المراجع المطبوعة والمخطوطة . ونقتصر في هذا المقام على ذكر الملامح الآتية من ترجمته . وللمتزيد أن يرجع الى ما سنذكره من مراجع عنه . هو محيي الدين أبو بكر محمد بن علي الخاتمي الطائي الأندلسي ، المعروف بابن عربي (وقيل ابن العربي ، بإدخال ال التعريف) ، أحد أئمة الصوفية ، وقد عُرف بالشيخ الأكبر .

وُلد سنة ٥٦٠ هـ في مرسية من مدن الأندلس . وفي عام ٥٦٨ رحل الى اشبيلية وأقام فيها نحواً من ثلاثين سنة ، ودرس الحديث والفقه في هذه المدينة وفي مدينة سبتة . ثم زار تونس . وفي سنة ٥٩٨ نزع الى ديار المشرق ولم يعد منها الى وطنه . فزار مكة وبغداد والموصل وحلب وآسية الصغرى ، وكانت شهرته تسبقه الى كل مكان يجلُّ فيه . واستقرَّ به المقام أخيراً في دمشق ، وفيها توفي سنة ٦٣٨ ودفن بسفح جبل قاسيون .

ولم يبلغ أحد من المتصوفة ما بلغ ابن عربي من بُعد الصب في ماصته وألفه . وقد أحدث بعض كتبه ضخمة كبيرة بين المفكرين والمؤلفين وذهبوا في أمرها مذاهب متباينة . فمنهم من كفره وسفّه آراءه ، ومنهم من انتصر له

ورأى فيه القدوة المثلى في هذا الضرب من التأليف . ومنهم من وقف بين هذا وذاك .

وقد أحرز غير واحد من تأليفه شهرة خاصة : ولا سيما كتبه « الفتوحات المكية » و « فصوص الحكم » و « ترجمان الأشواق » و « ديوان شعره » .  
فقد أقبل عليها جماعة من المؤلفين ، يتدارسونها شرحاً وإيضاحاً وتعليقاً .  
وينبغي لنا أن نتميز بينه وبين ميمية القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي الأندلسي ، المتوفى سنة ٥٤٣ هـ .

#### ٤ - المراجع عن ابن عربي

- وهي كثيرة ، في وسعنا جعلها في أربعة أبواب :
- الاول : الكتب والرسائل القديمة الموضوعة فيه .
  - الثاني : ترجمته في كتب التراجم القديمة .
  - الثالث : ترجمته في المصادر العربية الحديثة .
  - الرابع : ترجمته في المصادر الانجليزية .

#### أولاً : الكتب والرسائل القديمة في ابن عربي :

- ١ - تسفيه الغيبي في تنزيه ابن عربي<sup>(١)</sup> : لابراهيم الحلبي المتوفى سنة ٩٥٦ هـ .  
ردّ فيه على جلال الدين السيوطي في رسالته المسماة « تنبيه الغيبي » .
- ٢ - تنبيه الغيبي بثرثة ابن العربي<sup>(٢)</sup> : لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ .
- ٣ - تنبيه الغيبي في تنزيه ابن عربي<sup>(٣)</sup> : للسيد علي بن ميمون المغربي المتوفى سنة ٩١٧ هـ .

(١) الأزهر ٣ : ٥٥١ - ٥٥٢ ( نسختان ) برنتم ٢٠٠٥ (٩) .  
(٢) دار الكتب ١ : ٢٨١ . الأزهر ٣ : ٥٥٣ وعنوانه « تنبيه الغيبي في تحظية ابن العربي » .  
(٣) كشف الظنون ٦ : ١٤١ طبعة فلوجل .

- ٤ - الدر الثمين في مناقب الشيخ محيي الدين <sup>(١)</sup> : لأبي الحسن علي بن ابراهيم  
ابن عبد الله بن ابراهيم بن يوسف القاري البغدادي ( المائة التاسعة للهجرة ) .
- ٥ - درر السر الخفي في ذكر من رد تعريف الصوفي <sup>(٢)</sup> : وهي رسالة في بيان  
حال الشيخ محيي الدين بن عربي ، والكلام على أحرف لفظة « صوفي » .
- ٦ - الرد المتين على منتقضي الشيخ محيي الدين <sup>(٣)</sup> : لعبد الغني النابلسي المتوفى  
سنة ١١٤٣ هـ .
- ٧ - الرد المتين عن الشيخ محيي الدين <sup>(٤)</sup> : للشيخ ابراهيم المدني (؟) .
- ٨ - رسالة بامم الملك الناصر ، في الرد على المعترضين على الشيخ محيي الدين  
ابن العربي : للفيروزابادي <sup>(٥)</sup> .
- ٩ - رسالة في تكفير ابن العربي <sup>(٦)</sup> .
- ١٠ - رسالة في الدفاع عن ابن عربي <sup>(٧)</sup> : لبعضهم .
- ١١ - رسالة في الرد على ابن عربي <sup>(٨)</sup> ( في موضوع الوجودية والحلولية ) :  
لابن طورخان .
- ١٢ - السر الختبي في ضريح ابن العربي <sup>(٩)</sup> : لعبد الغني النابلسي .
- ١٣ - فنوى في حق الشيخ ابن عربي <sup>(١٠)</sup> .

- (١) بانكيبور ١٢ : ٧٥٠ .
- (٢) دار الكتب ١ : ٢٩٦ .
- (٣) دار الكتب ١ : ٣٠٠ . مكتبة البلدية بالاسكندرية ( تصوف ٤٢ ) .
- (٤) الاسكندرية ( تصوف ٤٢ ) .
- (٥) حبيب زيات : الخزانة الظاهرية ، ص ٥٠ .
- (٦) الفهرس التهديدي ١٥٤ .
- (٧) الأوقاف ببغداد ٤٩٠٨ (٢) .
- (٨) خزانة الزاوي ببغداد .
- (٩) دار الكتب ١ : ٣١٦ .
- (١٠) خزانة قانج ( استانبول ) ٥٣٧٦ (٣) .

- ١٤ - فر العون من مدعي امام فرعون <sup>(١)</sup> : لعلي القارى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ .  
 ١٥ - القول المبين في الردّ عن محيي الدين <sup>(٢)</sup> : لعبد الوهاب الشعرائي المتوفى  
 سنة ٩٧٣ هـ .  
 ١٦ - الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر <sup>(٣)</sup> : للشعرائي .

### ثانياً - ترجمة ابن عربي في كتب التاريخ والتراجم القديمة

- ابن الأثير : التكملة لكتاب الصلة (١ : ٣٥٦ : ١ : رقم ١٠٢٣ ؛ مدريد ١٨٨٦) .  
 • ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٦ : ٣٢٩ - ٣٣٠ : طبعة دار الكتب) .  
 • ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان (٥ : ٣١١ - ٣١٥ : رقم ١٠٣٨ ؛  
 حيدر اباد ١٣٣١ هـ) .  
 • ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات (٢ : ٣٠١ - ٣٠٤ ؛ بولاق ١٢٨٣ هـ) .  
 • ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب (٥ : ١٩٠ - ٢٠٢) .  
 • ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ( كتاب اللام والميم .  
 طبع لاهور سنة ١٩٤٠ . ص ٤١١ - ٤١٢) .  
 • ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ (١٣ : ١٥٦) .  
 • أبو شامة : الذيل على الروضتين ( ص ١٧٠ ؛ القاهرة ١٩٤٧) .  
 • الخونساري : روضات الجنات ( ص ٦٣٢ - ٦٣٧ = ص ١٩٣ - ١٩٨  
 من الترقيم الجديد المستعمل في أواخر الكتاب . طبع حجر في ايران سنة ١٣٠٦ هـ) .

(١) خزنة الزاوي ببغداد .

(٢) دار الكتب ١ : ٣٤٣ : جامعة يابل باميركا ٢٦٦ (٢) .

(٣) 'طبع على الحجر في القاهرة سنة ١٢٧٧ هـ . ومنه نسخ خطية في :  
 دار الكتب ١ : ٣٤٤ ( ٤ : نسخ ) الأزهر ٣ : ٦١٧ ( ضمن بحرمة ،  
 ص ٥٠ - ٦٥ ) وخزنة الزاوي ببغداد والحلدية بالقدس ( تصوف ١٢ )  
 وكبردج ( Arberry ) ٣١٠ (١) .

الذهبي : ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٣ : ١٥٨ - ١٠٩) الرقم ٩٧١ ؛  
القاهرة : ١٣٥٠ هـ) .

سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان (٨ : ٤٨٧) طبع شيكاغو ١٩٠٨ = ٨ ؛  
٧٣٦ حيدر اباد ١٩٥٢) .

الشعراني : الطبقات الكبرى (١ : ١٦٢ ؛ القاهرة : ١٣٥٥ هـ) .

الشعراني : اليواقيت والجواهر (ص ٦ - ١٤ ؛ القاهرة : ١٣٠٦ هـ) .

الصفدي : الوافي بالوفيات (القسم المخطوط . مادة : محمد بن العربي) .

المقري : نفح الطيب (١ : ٣٩٧ - ٤٠٩ ؛ القاهرة : ١٣٠٢) .

### ثالثاً : ترجمته في المصادر العربية الحديثة

البرهان الأزهر في مناقب الشيخ الأكبر : لمحمد رجب حلي (القاهرة : ١٣٢٦ هـ) .

تاريخ آداب اللغة العربية : لجرجي زيدان (٣ : ١٠٠ : طبعة سنة ١٩٣١) .

تاريخ فلاسفة الاسلام : لمحمد لطفي جمعة (ص ٢٧٥ - ٣٠٣ ؛ القاهرة : ١٩٢٧) .

دائرة المعارف : لبطرس البستاني (١ : ٥٩٨ - ٦٠١) .

دائرة المعارف الاسلامية (١ : ٢٣١ - ٢٣٧ : الترجمة العربية) .

دائرة معارف القرن العشرين : لمحمد فريد وجدي (٦ : ٣٠٨ - ٣١٢) .

عقود الجواهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فائداً فأكثر : لجليل العظم

(بيروت : ١٣٢٦ هـ ؛ ص ١٣ - ٣٩) .

الفتوحات المكية لابن العربي (آخر المجلد الرابع من طبعة بولاق : ١٢٧٤ هـ ؛

ص ٦١٢ - ٦١٩) .

فلسفة الأخلاق في الاسلام : لمحمد يوسف مومي (الطبعة الثانية . القاهرة

: ١٩٤٥ ؛ ص ٢١٥ - ٢٩٤) .

الكنى والألقاب : للقمي (٣ : ١٣٦ - ١٣٨ ؛ صيدا : ١٣٥٨ هـ) .



- محيي الدين بن عربي : لطفه عبد الباقي مرور ( نشرته مكتبة الخانجي - القاهرة ، بدون تاريخ ؛ ٢٢٨ ص ) .
- معجم المطبوعات العربية والمصرية : ليوسف اليان سر كيس ( ص ١٧٥ - ١٨٠ ) .
- من أين استقى محيي الدين بن العربي فلسفته التصوفية ؟ : للدكتور أبو العلا عفيفي ( مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية ، المجلد الأول . الجزء الأول . مايو ١٩٣٣ ) .

### رابعاً : ترجمته في المصادر الأفرنجية

- Afifi ( A. E. ) ., The Mystical Philosophy of Mubiy-ed-Din Ibn al - Arabi ( Cambridge university Press, 1939 ).
- Asin Palacios ( Miguel ) , La Psicologia segun Mohidin Abenarabi ( Actes du XIV<sup>e</sup> Congrès international des Orientalistes, Alger 1905 (Vol. 3, Paris 1907; pp.79-150 ).
- Brockelmann ( C. ) , G. A. L. ( Suppl. I<sup>e</sup> pp. 790 - 802 ).
- Husaini ( S. A. Q. ) Ibn Al-Arabi : The Great Muslim Mystic and Thinker ( 1931 ).
- Nicholson ( R. ) , The Lives of Umar Ibnu 'l-Farid and Ibnu'l-Arabi ( JRAS , 1906 ; p. 197 FF . ) .

### ٥ - فهراس تصانيف بعض الكُتبة الأقدمين

وما يحسن بنا الإشارة إليه ونحن ننشر هذه الرسالة ، ان هنالك فهراس لمؤلفات غير واحد من كبار المؤلفين الأقدمين ، منها ما صنفوه هم أنفسهم ، ومنها ما وضعه غيرهم لها . وسنذكر منها في هذا المقام ، ما وقفنا عليه مطبوعاً ، وقد أوردناه بحسب سني وفيات أصحاب تلك التصانيف :

- ١ - رسالة أبي الريحان البيروني في فهرست كتب محمد بن زكرياء الرازي ، ويلها رسالته في فهرست مؤلفاته هو الى تمام سنة ٤٢٧ هـ . نشرها سخوفي مقدمة « الآثار الباقية على القرون الخالية » للبيروني ( ص ٣٨ - ٤٩ ؛ لبيسك ١٩٢٣ ) .
- ثم أعاد نشرها ماسنيون وهول كراوس في باريس . م ( ٣ )

- ٢ - فهرست مؤلفات الشيخ الرئيس ابن سينا : فيه ذكر ٩٥ كتاباً . وقد طبع ضمن كتاب « سيرة الشيخ الرئيس ابن سينا وفهرست كتبه وذكر أحواله وتواريخه » (الأصل العربي مع ترجمة فارسية ، بتحقيق سعيد نفيسي . طهران ١٩٥٢) .
- ٣ - ذكر ما وقع لسبط ابن الجوزي بالشام من أسامي فهرست مصنفات ابن الجوزي ومجموعاته ومنقولاته ومؤلفاته (مرآة الزمان ٨ : ٣١٣ - ٣١٦ شيكاغو = ٨ : ٤٨٣ - ٤٨٩ حيدر اباد . وفيه ذكر مائتين وثيقاً وخمسين كتاباً) .
- ٤ - فهرست مؤلفات ابن عربي : له . وهو هذا الذي نشره اليوم .
- ٥ - أسماء مؤلفات ابن تيمية : لابن قيم الجوزية . نشرها الدكتور صلاح الدين النجيد (دمشق ١٩٥٣ مطبوعات المجمع العالمي العربي بدمشق) وقد عدت منها ٣٤١ مؤلفاً .
- ٦ - الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون : لابن طولون الدمشقي ، المتوفى سنة ٥٩٥٣ هـ (دمشق ١٣٤٨ هـ) في الصفحة ٢٦ - ٤٨ أسماء مصنفاته مرتبة على الحروف .
- ٧ - فهرست مؤلفات جلال الدين السيوطي : مؤلف مجهول . نشره فلوجل في كشف الظنون (٦ : ٦٦٥ - ٦٧٩) وعددها ٥٠٤ كتب .

## معنى الرسالة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٢]

قال الشيخ الإمام الأكل الأوحى الفرد الراشح الأجد ، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن العربي الطائي الحاقمي الأندلسي ، رضي الله عنه : الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد : فإنه سألتني بعض الاخوان ، أن أقيّد له في هذه الأوراق ، جميع ما صنفته وأنشأته في طريق الحقائق والأمرار على طريق التصوف وفي غير هذا الفن ، فقيدت له ، وقّته الله ، في هذا النهي ، ما سألت . إلا أن بعض هذه الكتب التي أنا ذاكرها هنا إن شاء الله تعالى ، وهي قليلة ، منها كتبٌ أودعتها عند شخص لا أمره طراً ، فلم يردّها عليّ ذلك الشخص الى الآن . وكل ما بأيدي الناس اليوم ، إنما هو مما لم نودعه عنده ، فمنها ما كمل ومنها ما لم يكمل وهو القليل . وما قصدت في كلّ ما ألفتُه مقصدَ المؤلفين ولا التأليف ، وإنما كان يردّ عليّ من الحق تعالى موارد تكاد تحرق فؤادي وتفتت أكبادي ، فكنتُ أتشاغل عنها بتقييد ما يمكن منها ، فخرجت مخرج التأليف لا من [٣] حيث القصد . ومنها ما ألفتُه عن أمر إلهي أمرني به الحق في نومٍ ومكاشفة .

وأنا أبتدي بذكر الكتب التي أودعتها ، وليست بيدي اليوم ولا بيد غيري فيما أظن ، فإني ما اطلمت لها على خبر من ذلك الوقت الى الآن . ثم أذكر الكتب التي بأيدي الناس اليوم ، والتي بيدي وما خرجت الى الناس لانتظاري في إظهارها ما عودني به الحق من صدق الخاطر الرباني وهو الأمر الإلهي والذي عليه العمل عندنا . وبالله أستعين ، وهو نعم المعين .

## فصل

## في ذكر الكتب المروعة

فمنها في الحديث :

- ١ - اختصرتُ المسند الصحيح لمسلم بن الحجاج ، لنفسي .
- ٢ - وكذلك اختصرتُ مصنفَ أبي عيسى الترمذي .
- ٣ - وكنتُ ابتدأتُ كتاباً سمّيته « المصباح في الجمع بين الصحاح » .
- ٤ - وكذلك ابتدأتُ في اخضرار الحلبي لابن حزم الاندلسي <sup>(١)</sup> .
- ٥ - وكتاب الاحتفال فيما كان عليه رسول الله ﷺ من سنن الأحوال .

\* \* \*

وأما ما كان منها من علوم الحقائق في الطريق الصوفي ، فمن ذلك :

٦ - كتاب الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل : أكلتُ منه الى قوله تعالى : « وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح » <sup>(٢)</sup> ، وجاء بديعاً في شأنه ، ما أظن على البسيطة من نزع في القرآن ذلك المتزع . وذلك اني ربتُ الكلام فيه على كل آيةٍ على ثلاث [٤] مقامات : مقام الجلال أولاً ، ثم مقام الجمال ، ثم مقام الاعتدال وهو البرزخ من حيث الورث الكامل المحمدي فهو مقام الكمال . فأخذ الآية من مقام الجلال والهيبة وأتكلم عليها حتى أردتها لذلك المقام بألف إشارة وأحسن عبارة . ثم أخذها بعينها وأتكلم عليها من مقام الجمال وهو يقابل المقام الأول حتى أردتها كأنها إنما أنزلت في ذلك المقام خاصة . ثم أخذ

(١) المخطوط : ابن حزم الفارسي ، وهو وم . وقد ذكر الحاج خليفة ( كشف الظنون : ٥ : ٤٢٩ ) في كلامه على « الحلبي في الخلاف المالبي » لابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ، انه في ثلاثين مجلداً ، وان ممن اختصره : محيي الدين ابن عربي ، وسماه « الحلبي في مختصر الحلبي » ، قال : وهو من أحسن المختصرات مع الاطاعة .

(٢) سورة الكهف : ٥٩ :

تلك الآية بعينها وأتكم عليها من مقام السكالم بكلامٍ لانسبة [بينه و] (١)  
 بين الوجهين المتقدمين . وفي هذا المقام أتكم عليها وعلى ما فيها من أمرار الحروف  
 والكلمات والحروف الصغار التي هي الحركات والسكون الحي والسكون الميت ،  
 إن كان فيها من ذلك شيء ، والنسب والاضافات والاشارات وما أشبه ذلك .  
 فاذا فرغت من ذلك انتقلتُ الى الآية التي تجاورها . وما فيه كلمة لأحدٍ أصلاً ،  
 إلا إن كان استنهاد فيمكن قليل .

٧ - وكتاب الجذوة المقتبسة والخطرة المختلصة .

٨ - وكتاب مفتاح السعادة في معرفة المدخل الى طريق الارادة .

٩ - وكتاب الثلاثات الواردة في القرآن : مثل قوله تعالى : « لا فارض  
 ولا يكبر عوان » (٢) . وقوله تعالى : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها  
 وابتغ بين ذلك سبيلاً » (٣) .

١٠ - وكتاب المسبغات [٥] الواردة في القرآن : مثل قوله تعالى : « خلق

سبع سموات » (٤) . وقوله تعالى : « وسبعة اذا رجعتن » (٥) .

١١ - وكتاب الأجوبة على المسائل المنصورية : وهي نحو مائة سؤال

سألني عنها صاحبٌ لي اسمه منصور .

١٢ - وكتاب مبايعة القطب في حضرة القرب : يحتوي على مسائل جملة

من مراتب الأملاك والمرسلين والنبين والعارفين والروحانيين ، ما سبقت في  
 علي اليه .

(١) الزيادة لنا .

(٢) سورة البقرة ٦٧ .

(٣) سورة الاسراء ١٠٩ .

(٤) سورة الطلاق ١١ . سورة للملك ٢ .

(٥) سورة البقرة ١٩٥ .

- ١٣- وكتاب مناهج الارتقاء<sup>(١)</sup> الى افتراض أبنكار البقاء الخدرات بيجيات اللقاء : يحتوي على ثلاثمائة باب ٦ في كل باب عشر [ة] مقامات ٦ فهو متضمن ثلاثة آلاف مقام .
- ١٤- وكتاب كُنْه ما لا يدّ للمريد منه<sup>(٢)</sup> .
- ١٥- وكتاب المحكم في المواعظ والحكم وآداب رسول الله ﷺ .
- ١٦- وكتاب الحلي في استنسن [كذا] الروحانيات الملاّ الأعظم .
- ١٧- وكتاب كشف المعنى عن سرّ أسماء الله الحسنى<sup>(٣)</sup> .
- ١٨- وكتاب شفاء العليل في إيضاح السبيل : في الموعظة .
- ١٩- وكتاب عقلة المستوفز<sup>(٤)</sup> : في أحكام الصنعة الانسانية وتحسين الصنعة الايمانية .

٢٠- وكتاب جلاء القلوب في أسرار علام الغيوب : اتفق في هذا الكتاب بحجية ، وذلك اني لما وضعته ، أخذ كل واحدٍ من إخواننا كراسة أو اثنتين

- (١) في دار الكتب المصرية (١ : ٣٦٥) مخطوطة بعنوان « مناهج الارتقاء » لابن العربي ، فلم لها هي .
- (٢) « طبع مع « الرسالة الدينية » للغزالي (القاهرة ١٣٢٨ هـ) . ومنه نسخ خطية في : الظاهرية (حبيب زيات ، ص ٥٠) دار الكتب ١ : ٣٤٩ (نسختان) الاسكندرية (تصوف ٤١) باتنا (الهند) ١ : ١٤١ ، ٢ : ٤١٠ و ٤١٢ المكتب الهندي في لندن ٦٦٠ برلين ٢٩٠٠ غوطا ٩١٤<sup>(١)</sup> برمنكهام ٦٦٤ .
- (٣) المتحف العراقي ٦١٨ . ولها شرح في جامع السلطان اويس بالموصل (مخطوطات الموصل ، ص ٩٥ الرقم ٥٤)<sup>(٤)</sup> .
- (٤) وفي بعض النسخ : العقلة المستوفزة . وقد نشرها للاستشرق زيرج H. S. Nyberg في ايدين سنة ١٩١٩ وممها إنشاء الدوائر و « التدبيرات الالهية » . ومن العقلة نسخ خطية في : القادريه ببغداد ، وخزانة الغزالي ببغداد ، دار الكتب ١ : ٣٣٢ (٣ نسخ) الفهرس التهديدي ١٣٩ مكتبة للشهد الرضوي ٤ : ٢٠٧ الرقم ٨٩٥ آصفية (تصوف ٤٨) بانتكيبور (الهند) ٨٨٩ باتنا ١ : ١٣٧ عمومية (استانبول) ٣٧٨٠ فاتح ٢٦٣٠<sup>(٤)</sup> ٥٣٧٦ الاسكندرية (تصوف ٣٤) فنون (استانبول) ١٥١<sup>(٢٠)</sup> للمتحف البريطاني ٨٨٦<sup>(٢٤)</sup> برلين ٢٩٢٣ - ٢٩٢٤ جون ريلندز ١٠٦<sup>(٢٥)</sup> .

ليطالعها ، وبها صدر الكتاب . فكان في نحو عشرين ورقة . فخرجنا ليلة خارج البلد مع جملة من أصحابنا ، فعدنا في ربوة نطالع فيه ، وكان من أبداع الموضوعات . فلما فرغنا من قراءته ، وضعناه في الأرض ، فاخْتُطِف من وقته ، فما أدري : اخنطفه جنٌّ أم بشر عن يحتجب عن الابصار ، وما عرفت له خبراً الى الآن . وأما بقية الكتاب ، فما جمعته بعد ذلك . ولما رده اليّ وكلّ من كان عنده [٦] منه شيء ، فتلف ، فهذا [ ما ] كان من شأنه (١) .

- ٢١ - وكتاب التحقيق في شأن السرّ الذي وقر في نفس الصديق .
- ٢٢ - وكتاب الاعلام بشارات أهل الالهام والافهام في شرح الاعلام (٢) .
- ٢٣ - وكتاب السراج الوهاج في شرح كلام الحلاج (٣) .
- ٢٤ - وكتاب المنتخب في مآثر العرب .
- ٢٥ - وكتاب نتائج الأفكار في حدائق الأزهار .
- ٢٦ - وكتاب الميزان في حقيقة الانسان .

\* \* \*

فهذه أسماء الكتب المودوعة ، وما أدري خرج عن ذكري منها شيء أم لا ، فان العهد يقام (٤) والخطاط غير مصروف لما كان في الزمان الماضي حذراً من فوت الوقت .

( يتبع )

—————

- (١) في هذه البارة ارتباك .
- (٢) طبع ضمن « مجموعة الرسائل » لابن العربي ( حيدر اباد ١٣٦٣ هـ ، ١٠ ص ) وهو خامس ما في المجموعة . ومنه نسخ خطية في : برلين ٢٩٤٤ للمكتب الهندي ١٩٥٥ (١) [ : المكتبة الالهامية في الرد على الفلسفة ] تذكرة النوادر ٢٧٣ .
- (٣) امله « كلمات الشيخ والحسين الحلاج » للذكور في تذكرة النوادر ٣٥٢ .
- (٤) كما في الأصل ولعلّ الصواب : تقادم . ( الجمع )

# رعاية الطفولة والأمومة

في قانون ابن سينا

ان عبقرية ابن سينا التي أتحفت العالم منذ عشرة قرون بكتاب « القانون في الطب » لهي جديرة بالدهشة والإعجاب . وان المرء ليقف مدهوشاً عندما يعلم أن نبي لم يجاوز السادسة عشرة من عمره قد قرأ أكثر علوم عصره بما فيها الفلك والرياضيات والفلسفة والطب حتى أخذ « فضلاء الطب » على حد تعبيره يقرؤون عليه هذا العلم . فهو لم يكن طبيباً في هذه السن فحسب بل كان أستاذاً في الطب بتمهد المرضى ووبرع في علاجهم وبقرئ التلاميذ ما اقتبس من مطالعته وما استنتج من تجاربه . وما هي إلا سنوات فلانل حتى تألق نجم ابن سينا ولمع اسمه في تاريخ العرب والشرق فأضحى طبيب الملوك والأمراء وسيد الفلاسفة والحكام وأصحاب الفكر .

وبكفي القانون فخراً أنه ترجم بكامله الى عدة لغات أجنبية . وفي هذا الكتاب الضخم الذي يقع في خمسة أجزاء نرى طب العرب الى جانب طب ابقراط وجالينوس ونرى تجارب ابن سينا ومشاهداته الى جانب آراء الفرس والهنود ونظرياتهم .

وقد نال القانون من الشهرة والرواج ما لم ينله كتاب غيره في الشرق والغرب مما دعا الى عدم الاكتفاء بترجمته بل عمد الى شرحه والتعليق عليه . ومما تعددت الدراسات الموسوعة « القانون في الطب » فانها ان تفحصها حقها لالأن الحقائق العلمية التي احتوتها هذه الموسوعة ما زالت تعتبر كذلك بل لأنها انما ترمز اليوم الى الشأن العظيم الذي أحرزته العلوم العربية والى روح التجديد



والابتكار اللذين اتصفت بهما هذه العلوم والى القوة المعنوية التي تضمنتها فجعلتها مرجعاً يعتمد عليه العالم العلمي عدة قرون .

ولقد أتى الكثيرون على دراسة نواحٍ متعددة من هذا المؤلف الخالد العظيم ورأيت أن أضيف الى هذه الدراسات دراسةً أخرى في نطاق اختصاصي وهي: المتعلقة بتربية الطفل والتوليد وأمراض النساء .

لا بد ان يطالع الفصول الخاصة بهذه الفروع قبل أن يحكم على قيمتها ، من أن يعتبر ظروفها كثيرة منها ان العرف والدين في زمن ابن سينا كانا يحولان دون أن يستطيع رجل ملاحظة ما يعرض للجهاز التناسلي في المرأة من حالات طبيعية أو مرضية ، وأكثر ما كان يعرف حول هذا الموضوع يستند الى رواية قابلات توارثن المهنة ، فاذا وجدنا في كتاب القانون كثيراً من المعلومات الصحيحة الدقيقة بالرغم من ذلك فلأنها من ثمرة ذلك العقل الواسع الذي استطاع من خلال هذه الحجب والستائر الكثيفة أن يستقرى الأضواء منها ويمحص فيها ويقرر الصحيح منها وينبذ التافه وهو أمر حريٌّ بالأكابر والإعجاب .

فابن سينا وغيره من أطباء عصره لم يمارسوا أعمال الولادة بأنفسهم بل كانوا يرشدون القابلات الى ما يجب عمله والقابلات هن اللواتي كنَّ يقمن بالعمل وذلك هو السبب في التباين الواضح في كتاب القانون بين ضالة تعاليم الولادة الجراحية وبين اتساع البحث في تعاليم الطببة والوصفات المختلفة في معالجات شتى العوارض الطارئة على حالة الولادة .

أما النواحي التي لم تكن ظروف العرف والدين تمنع من ملاحظتها ومراقبتها فقد خلق ابن سينا في وصفها وتبويبها والتعمق في دراستها وهو ما شهد له به مؤرخو الطب في الغرب من قدماء ومعاصرين فقد قال « دوفرين Devraigne » في كتابه ( تاريخ فن التوليد عبر العصور ) في الصفحة ٣٢ : ( إن من أهم

ميزات ابن سينا في كتابه « القانون في الطب » التنظيم والوضوح اللذين تتحلى  
 بها دراساته . فتعالجه المتعلقة بالعباية بالوليد وبالإرضاع والفظام جيدة جداً  
 كما ان حفظ صحة الحامل موصوفة وصفاً حسناً ) .  
 ولا أدل على ذلك من مقاطع ننتخبها فيما يلي :

يبحث التعليم الأول من الجزء الأول من القانون في « التربية » ويشتمل  
 الفصل الأول من هذا التعليم على « تدبير المولود كما يولد الى أن ينهض »  
 وفيه سرد مسهب للعباية الواجب توفيرها للمولود حديثاً : يقول ابن سينا :  
 « وأما المولود المعتدل المزاج اذا ولد . . . يجب أن يبدأ أول شيء بقطع  
 سرته فوق أربع أصابع وتربط بصوف نقي فتل فتلاً لطيفاً . . . وتوضع عليه  
 خرقة مغموسة بالزيت . . . » .

ثم يذكر غسل جسمه وإلباسه والتقطير في عينيه وتنظيف منخره فيقول :  
 « يبادر الى تمليح بدنه بماء الملح الرقيق لتصلب بشرته وتقوى جلده . . .  
 ثم يغسله بماء فاتر وتقي منخرية . . . وتقطر في عينيه . . . واذا أردنا أن نحمطه  
 فيجب أن تبدأ القابلة وتمس أعضاءه بالرفق . . . ثم تفرش بدبه وتلصق ذراعيه  
 بركبتيه وتعجمه أو تقلنسه بقلنسوة مهندمة على رأسه وتنومه في بيت معتدل  
 الهواء ليس يبارد ولا حار . . . ويجب أن يكون إحمامه بالماء المعتدل صيفاً  
 وبالماء الى الحرارة الغير اللاذعة شتاءً . . . وقد يجوز أن يغسل في اليوم مرتين  
 أو ثلاثة . . . ثم تشفه بخرقة ناعمة وتمسحه بالرفق ثم . . . يعضب سيف خرقة  
 ويقطر في أنفه الزيت العذب » .

واذا انتهى من تهئية المولود الطفل تكلم في الفصل الثاني على طريقة إرضاعه  
 وعلى اللبن ومزاجه وقيمه الغذائية ونقتطف من هذا الفصل السطور الآتية  
 لقيمتها العلمية :

أما « كيفية إرضاعه وتغذيته فيجب أن يرضع ما أمكن من لبن أمه فانه أشبه الأغذية . . . بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم . . . فهو أقبل لذلك وآلف له حتى أنه صح بالتجربة ان القائم حثمة أمه عظيم النفع جداً في دفع ما يؤذيه . . . فان منع عن إرضاع لبن والدته مانع من ضعف أو فساد لبنها أو ميله الى الرقة فينبغي أن يختار له مرضعة على الشرائط التي نصفها : بعضها في سنها وبعضها في سميتها وبعضها في أخلاقها وبعضها في هيئة ثديها وبعضها في كيفية لبنها وبعضها في مقدار مدة ما بينها وبين وضعها وبعضها من جنس مولودها واذا أصبت شرائطها فيجب أن يجاد غذاؤها فيجمل من الحنطة . . . ولحوم الخرفان والجداء والسحك . . . وأما شرائط المرضع فسنذكرها ونبدأ بشرطة سنها فنقول : إن الأحسن أن يكون ما بين خمس وعشرين سنة الى خمس وثلاثين سنة فان هذا هو سن الشباب وسن الصحة والكمال . . . وأما في شريطة سميتها وتركيبتها فيجب أن تكون حسنة اللون قوية العنق والصدر واسعته . . . متوسطة في السمن والمزال ، لحمانية لاشحانية . . . وأما في أخلاقها فان تكون حسنة الأخلاق محمودتها بطيئة عن الانفعالات النفسانية الرديئة من الغضب والغم والجنون وغير ذلك . . . فان جميع ذلك يفسد المزاج وربما أعدى بالرضاع . . . وأما في هيئة ثديها فان يكون ثديها مكثراً عظيماً وليس مع عظمه بمسترخ . . . أما التدبير المأخوذ من مدة وضع المرضع فيجب أن تكون ولادتها قريبة لا ذلك القرب جداً بل ما بينها وبينه شهر ونصف أو شهران . . . وأن تكون ولادتها لذكر وأن يكون وضعها لمدة طبيعية . . . وألا تكون أسقطت ولا كانت معتادة الاسقاط . . . »

انه لا يمكن التعبير عن هذه التواصي والشروط والتدابير بأصرح ولا بأدق ولا بأبلغ مما عبّر به ابن سينا ، واذا رجعنا الى أوسع المؤلفات الحديثة لانجد فيها أكثر من ذلك حول هذا الموضوع . . . ويتابع ابن سينا قوله في المرضع :

«يجب أن تؤمر الممرض برياضة معتدلة وتغذي بأغذية حسنة الكيموس .  
وإذا عرض للمرضعة مزاج رديء أو علة مؤلمة أو إسهال كثير أو احتباس  
مؤذٍ فالأولى أن بتولى إرضاعه غيرها الى أن تستقل . وكذلك إذا أحوجت  
الضرورة الى سقيها دواء له قوة وكيفية غالبية» .

ولا بد للدين من أن يظهر تأثيره في تعاليم ابن سينا وفي ذلك يقول :  
«المدة الطبيعية للرضاع سنتان» . ثم يتكلم عن الفطام فيقول : «وإذا اشتهى  
الطفل غير اللبن أعطي بتدرج ولم يشدد عليه ثم اذا جعلت ثناباه تظهر نقل  
الى الغذاء الذي هو أقوى بالتدرج من غير أن يُعطي شيئاً صلب المضع» .  
ويوافق هذا المبدأ ما نجده في كتب الغربيين من أن أول غذاء للطفل يُعطي له  
حين يزوغ أول سن - Premier repas - Première dent - ويتابع قوله :  
«ثم اذا فطم نقل الى ما هو من جنس الاحساء واللحوم الخفيفة ويجب أن  
يكون الفطام بالتدرج لا دفعة واحدة» .

ومن النصائح التي نجدها في القانون ما لم يلفت النظر اليه الا حديثاً جداً .  
فقد كان الرضيع حسب العادات الموروثة يحمل على الجلوس والانتصاب والمشي  
حماً منذ الأشهر الأولى بعد ولادته للاعتقاد بأن في ذلك تربيته لازماً لا يمكن  
بدونه أن يبلغ الطفل مرحلة التحرك . وقد أبانت الأبحاث التربوية الحديثة  
أن بين قيام الطفل بحركات الحبو والانتصاب والمشي وبين نمو جهازه العصبي  
النجاعي الدماغى ارتباطاً وثيقاً ، فلا يتمكن الطفل من المشي الا متى تم نمو جهازه  
العصبي ، فاذا كان ذلك استطاع الطفل القيام بتقليد من حوله سريعاً ولو لم  
يكن سبق له أن حبا أو انتصب ، هذا علما ما يمكن أن يصيب الطفل من  
أذى فيما اذا أرغم على الوقوف والتحرك قبل أن يكون جسمه قد استعد الى  
ذلك . وفي هذا المعنى يقول ابن سينا :

« فاذا أخذ ينهض ويتحرك فلا ينبغي أن يمكن من الحركات العنيفة ولا يجوز أن يحمل على المشي والقعود قبل انبعائه اليه بالطبع فيصيب ساقيه وصلبه آفة » .  
ويتابع ابن سينا حديثه في الفصل الثالث « في الأمراض التي تعرض للصبيان وعلاجاتها » .

وفي الرابع « في تدبير الأطفال اذا ما انتقلوا الى سن الصبا » .

أما عن أمراض النساء والتوليد فيفرد ابن سينا في الجزء الثالث من قانونه الفن الحادي والعشرين للبحث « في أحوال أعضاء التناسل » ويحتوي هذا الفن فصلاً كثيرة متشعبة يتكلم فيها عن مختلف الأمراض التي تعرض للرحم وأسبابها وأعراضها وعن الحامل وتطور حملها وما يعتبرها في الحمل والوضع ، وهي مقالات شاملة نلمس فيها كثيراً من الأفكار العلمية التي يثبت صحتها الطب الحديث اليوم بما فيه من رقي واكتشاف .

في الفصل الأول من المقالة الأولى نجد هذا الوصف التشريحي الدقيق للرحم :  
« ان آلة التوليد التي للاناث هي الرحم . . . وليس يستتم تجويفها إلا عند استتمام النمو . . . لأنه يكون قبل ذلك معطلاً لا يحتاج اليه . . . وموضعها خلف المثانة . . . ومن قدام المعى وطولها المعتدل في النساء ما بين ست أصابع الى أحد عشر اصبعاً وما بين ذلك . . . والرحم تفلظ وتثخن وكأنها تسمن وذلك في وقت الطمث ثم اذا ظهرت ذبذبت وييست ، ولها أيضاً ترفق مع عظم الجنين وانسائها بحسب انبساط جثة الجنين » . « ورقبة الرحم عضلية . . . وفيها مجرى محاذبة لقم الفرج ومنها تلبع المنى وتقذف الطمث وتلد الجنين »  
وتكون في حالة العلق في غاية الضيق . . . ثم تنسع باذن الله تعالى فيخرج منها الجنين » .

وفي هذه المقالة نفسها وبعد أن يصف ابن سينا وضع الجنين في أحشاء أمه وأنه « تحيط به أغشية ثلاثة » ينتقل الى الكلام على الخصائص التشريحية

والفيسيولوجية التي تميّز الجنين فيقول : « ان الشريان والوريد الناقلين من القلب والرئة لما كان لا يذتفع بها في ذلك الوقت في التنفس منفعة عظيمة صرف نفعها الى الغذاء فجعل لأحدهما الى الآخر منفذ يفسد عند الولادة . وأن الرئة انما تكون حمراء في الأجنة لأنها لا تنفس هناك بل تغتذي بدم أحمر لطيف . . . » وفي ذلك شرح دقيق وبلغ لآلية الدوران وآلية التنفس أثناء الحياة داخل الرحم « والمنفذ » هنا ليس الا القناة الشريانية بين الوتين والشريان الرئوي وينسب اكتشافها زوراً الى بوتال «Canal arteriel de Botal» الذي عاش بعد ابن سينا بمئات السنين !

وبعد هذه المقدمة التشريحية بأخذ الشيخ الرئيس بالبحث في آلية الولادة وكيف يخرج الجنين فيقول : « وخروج الجنين انما يتم بانشقاق الأغشية الرطبة وانصباب رطوبتها وازلاقتها اياه . وقد انقلب على رأسه في الولادة الطبيعية لتكون أسهل للانفصال . وأما الولادة على الرجلين فهو اضعف في الولد فلا يقدر على انقلاب » وبمالم يحدث هذا الانقلاب في الأحوال العادية فيضيف : « ويعين على الانقلاب ثقل الأعالي من الجنين وعظم الرأس منه خاصة . . . »

وفي تصنيف أمراض الرحم دلالة على تفكير نقاد مميز وعلى روح سرورية تتجلى في تقسيم أمراض الرحم الى أمراض خاصة وأمراض بالشركة :

« تعرض للرحم جميع الامراض المزاجية والآلية والمشاركة ، وتعرض لها أمراض الحمل مثل أن لا تحبل أو أن تحبل وتسقط أو لا تسقط بل يعسر ويعضل ويموت فيها الولد . وبعرض لها أمراض الطمث من أن لا تطمث أو تطمث قليلاً أو رديئاً أو في غير وقته أو بفرط طمثها . وتكون لها أمراض خاصة وأمراض بالشركة بأن تشارك هي أمراض أخرى وقد تكون عنها أمراض أعضاء أخرى بالشركة بأن تشاركها الأعضاء الأخرى . . . واذا كثرت الأمراض في الرحم ضعفت الكبد » .

أما الفصل الذي يبحث « في العقر وعسر الحبل » فهم حقاً وفيه من المعلومات ما لا يختلف قليلاً أو كثيراً عما نعلم من ذلك اليوم ، فهو جدير إذن بدراسة مفردة مفصلة لا يتسع لها المجال هنا .

وقد صنف أسباب العقم في القانون الى أسباب في الرجل وأسباب في المرأة : « سبب العقر إما في مني الرجل أو في مني المرأة وإما في أعضاء الرحم وإما في أعضاء القضيب وآلات المنى أو السبب في المبادئ كالنغم والخوف والفرع وأوجاع الرأس وضعف الهضم والتخمة . وإما خلط طارىء » .

ويسترعي الانتباه بصورة خاصة بحث ابن سينا في جنس المنى إذ يقول : « أما السبب الذي في المنى . . . فهو جنس المنى الذي لا يولد : منى الصبي والسكران وصاحب التخمة والشيخ ومنى من يكثر الباء ومن ليس بدنه بصحيح » . ويستدل من ذلك ان الطبيب الرئيس قد كان يعلم قبل عصر المكبرات والمجاهر أن قيمة المنى بوجود جوهر خاص فيه — وهو ما نسميه اليوم الحيوان المنوي « Spermatozoïde » — وان هذا الجوهر يتأثر في قابليته للتلقيح من حالة البدن العامة ، كما يقبب قبل البلوغ وفي الشيخوخة .

ويبلغ ابن سينا بعد ذلك في تعداده لأسباب العقر الناشئة عن المنى قوله : « وقد يكون السبب في المنى أن يكون منى الرجل مخالف للتأثير لما في منى المرأة . . . فلا يحدث بينهما ولد ولو بدل كل مصاحبه أو شك أن يكون لها ولد » .

وفي ذلك برهان آخر على روح التقدمية العلمية التي أصاب منها ابن سينا قسطاً وافراً ، فهو يعتقد أنه لحصول الحمل يجب أن يكون هناك توافق تام بين منى الرجل ومنى المرأة — ويقصد بمنى المرأة مفرزات عنق الرحم فيها — فإذا كان كل شيء فيما عدا ذلك طبيعياً واختلف التلاؤم بين هاتين البيئتين من الناحية الفيزيائية الكيميائية لم يحصل الحمل ، وهو ما ندعوه بلغتنا الحديثة بعدم

التوافق الخلطي « Incompatibilité humorale » وبنجم عنها ألا يستطيع الحيوان المتوي البقاء حياً في أخلاط المرأة وتلك معلومات فيسيولوجية حديثة .

ثم يتابع ابن سينا البحث في اسباب العقم فيعدد أسباباً كثيرة ما زالت حتى يومنا هذا مدرسية غير مختلف عليها وان اختلف التعبير ، وبلاحظ في سردها تسلسل منطقي واضح جلي : فبعد اختلافات مني المرأة يذكر ضعف القوة الجاذبة للمني ثم يبحث في العوائق الآلية في عنق الرحم من تشنج ( انقباض ) أو تضيق لندوب أو انسداد ، ثم ينتقل الى الأسباب في جسم الرحم ، ولا ينسى سبباً هاماً هو انقطاع الطمث ، دون أن يشير الى أنه ناجم عن ضعف المبيض :

« وأما السبب الذي في الرحم فأما سوء مزاج مفسد للمني ... أو مضعف للقوة الجاذبة للمني ... أو مانع إياه عن الوصول لانضمام مني الرحم ... أو التهام من قروح أو لحم زائد ثؤلولي ... أو يعرض للمني في الرحم الباردة الرطبة ما يعرض للبذر في الأراضي التربة ، وفي المزاج الحار اليابس ما يعرض في الأراضي التي فيها نوره مبهوثة ، وإما لانقطاع المادة وهو دم الطمث ... وإما لميلان فيه ( أي في الرحم ) ، أو انقلاب ... أو لشدة هنزال في البدن ... أو آفة في الرحم من ورم وقروح ... وزوائد لحمية مانعة ... » .

وبعد أن يفرغ من ذكر الأسباب في المرأة ينتقل الى الأسباب في الرجل فيحيط بها إحاطة جامعة مانعة إذ يقول : « وأما السبب الكائن في أعضاء التوليد فأما ضعف أوعية المنى ... أو ضعف قوتها المولدة للمني ... وكذلك من يعين برض خصيته ... أو يشرب الكافور الكثير . وأما الكائن بسبب القضيب فمثل أن يكون قصيراً في الخلق أو لسبب السمن من الرجال ... أو لاعوجاج القضيب أو لقصر الوتر ، فيتخلل القضيب عن المحاذاة فلا يزرق المنى الى رحم » .

وفي ذكر الحمل التوأمي يشير ابن سينا الى أن « سببه كثرة المنى وانقسامه



الى اثنين فيما بعده . . . وسلامة ولدي المتشم غير كثيرة وقلما يكون بين التوأمين أيام كثيرة فانها في الاكثر من جماع واحد وفي القليل ما يعاقب جماع على حمل « وذلك ما ندعوه اليوم بالإلقاح على الإلقاح « Superfécondation » والإلقاح على الحمل « Superfoetation » .

وبأتي بعد ذلك ذكر «علامات ضعف الجنين» و«علامات ضعف المولود» . وفي مطلع المقالة الثانية التي تبحث «في الحمل والوضع» يضع ابن سينا التدابير الكلية للحوامل ، مشيراً بشكل خاص الى وجوب مكاتحة الإمساك بالمليينات لا المسهلات والاعتناء بالحمية والابتعاد عن اضطرابات المدة والى ضرورة القيام برياضة معتدلة ، وكل ذلك طبعاً ، كما نفسره اليوم ، لوقاية الحامل من الانسبامات الذاتية الحولية التي يكون لطرز اغتذاء الحامل أثر كبير في ظهورها : يقول ابن سينا في فصل «تدبير كلي للحوامل» ، «يجب أن يعتنى بتليين طبيعتهم دائماً بما يلين باعندال . . . وأن يكثرن الرياضة المعتدلة والمشى الرفيق من غير إفراط فان المفرط يسقط . . . ويجب ألا يُبد من الحمام بل الحمام كالحرام عليهم إلا عند الاقرب . . . ويجب أن يتجنبن الحركة المفرطة والوثب والضرب والسقطة والجماع خاصة والامتلاء من الغذاء والغضب ولا يورد عليهم ما بغمهم ويحزنهم وبعدهن جميع أسباب الإسقاط وخصوصاً في الشهر الأول . . . ويجب أن يدثر ما تحت الشراسيف منهن بصوف لينة وأغذيتهم الخبز النقي بالأسفيداباجات والزيرباجات ويجنبن كل حريف ومر . . . ويجب أن تشتد العناية بمعدتهن» . ولا تزال جميع هذه النصائح في يومنا الحاضر أساساً متيناً لحفظ صحة الحمل . أما أسباب الإسقاط وعلاماته فما يستدعي الاهتمام منها جملة وردت في فصل «حفظ الجنين والتحرز من الاسقاط» تشير الى رأي ابن سينا في موضوع يدور حوله نقاش طويل بين علماء اليوم لمعرفة ما اذا كانت الأسباب المرضية الطارئة

كافية لإسناد حصول الإسقاط اليها وحدها ، ولهذا الأمر قيمته في القضايا الطبية الشرعية ، وهذه الجملة هي :

« الجنين تعلقه من الرحم كتعلق الثمرة من الشجرة فإن أخوف ما يخاف على الثمرة أن تسقط ، هو إما عند ابتداء ظهورها وإما عند إدراكها ، كذلك أشد ما يخاف على الجنين أن يسقط هو عند أول العلق وقبيل الأقواب فيجب أن يتوفى في هذين الوقتين الأسباب المذكورة للإسقاط » . فعلى رأي الشيخ الطبيب أن الأسباب الجوهرية كائنة في نفس حصول الحمل وما الرضوض الطارئة إذن إلا أسباب مساعدة فقط .

وفي فصل « تدبير الإسقاط وإخراج الجنين الميت » ذكر بعض استطببات الإسقاط المحرض للدوائي ولبعض الوسائط المستعملة في تجريض الخاض ، وهي لا تجلو من الطرافة وحسن توجيه النصح والإرشاد لذلك نورد منها المقاطع التالية :

« انه قد يحتاج الى الإسقاط في أوقات منها عندما تكون الحبل صبية صغيرة يخاف عليها من الولادة الهلاك ، ومنها عندما تكون في الرحم آفة وزيادة لحم يضيق على الولد الخروج فيقتل ، ومنها عند موت الجنين في بطن الحامل . واعلم انه اذا تعمست الولادة أربعة أيام فقد مات الجنين فاشتغل بحياة الوالدة ولا تشتغل بحياة الجنين بل اجتهد في إخراجهم . والإسقاط قد تفعله حركات وقد تفعله أدوية . والأدوية تفعل بأن يقتل الجنين وبأن تدر الحيض بقوة وقد تفعله بالآزلاق . . . . . ومن التدبير الجيد في ذلك (أي الإسقاط) أن يدخل في فم الرحم من الحبل كاعغد مفتول أو ريشة أو خشبة مبربة بقدر حجم الريشة من أشنان أو سذاب أو عمرطينا أو مرخس فانها تسقط لا محالة وخصوصاً اذا لطخت بشيء من الأدوية المسقطة كالقطران . . . ونحوه » . وبعد أن يعدد الأدوية المسقطة المفردة منها والمركبة يذكر طريقة الزرق لداخل الرحم فيقول :

« يجب أن تكون الزرقة مثلثة الطرف طويلة العنق بقدر طول قرن الرحم

من المرأة المعالجة وبحيث تدخل في الرحم وتحس المرأة انها قد صارت في فضاء داخل الرحم فيزرق فيها ما يقتل وما يزاق وما يخرج » .

ثم يذكر في هذا الفصل الأعمال اليدوية والآلية التي يجب أن تقوم بها القابلة لإخراج الجنين الميت وتقطيعه بالحدب إذا عسرت ولادة المرأة .  
وفي هذه المقالة فصول ممتعة أخرى تدل على اتساع أفق المعلومات الاختصاصية في ذلك العهد منها الفصل في الرحا « Môle hydatiforme » حيث يتحدث ابن سينا بإيجاز بليغ عن الأعراض والصفات التشريحية المرضية لهذه الآفة فيقول : « أنه ربما تعرض للمرأة أحوال تشبه أحوال الحبالى من احتباس دم الطمث وتغيير اللون وسقوط الشهوة وانضمام في الرحم . . . ويعرض انتفاخ الثديين وامتلاؤهما وربما عرض تورمها ، وتحس في بطنها بحركة كحركة الجنين وبحجم كحجم الجنين . . . وربما عرض لها الاستسقاء وانتفاخ البطن ولكن الى صلابة لا الى طليقة . . . وربما عرض طلق ومخاض ولا يكون مع ذلك ولد بل ربما كان السبب فيه تمداً وانتفاخاً في عروق الطمث ولا تضع شيئاً وربما وضعت قطعة لحم لها صور لا تضبط أصنافها . . . وهو بعينه المسمى مولى ولا يقال لغير ذلك مولى . . . »

ومنها أيضاً الفصل في عمر الولادة وهو يضم الأسباب الأساسية في هذا الاختلاط منظمة مبرّبة كأحسن ما يوجد في أحدث كتبنا اليوم ، وخاصة ما يتعلق بالأسباب في الحبلى : وفيما يلي مقطع من هذا الفصل : « عمر الولادة إما أن يكون بسبب الحبلى أو بسبب الجنين أو بسبب الرحم أو بسبب المشيمة أو بسبب المجاورات والمشاركات وإما بسبب وقت الولادة وإما بسبب القابلة وإما بأسباب يادية . أما الكائن بسبب الحبلى فان تكون ضعيفة قاست أمراضاً وجوعاً أو كانت جبانة أو غير معتادة للحمل والوضع بل هو أول ما تلد فيكون فزعها أكثر ووجها أشد ، أو عجوزاً ضعيفة أو تكون كثيرة اللحم أو شديدة السمين

ضيقة المآزم لا يبنسط مأزماً ولا تقوى على تزجر وعصر شديد للرحم بمضلات البطن أو تكون قليلة الصبر على الوجع أو تكون كثيرة الثقب والتلثل . . . .» .  
أما المقالة الثالثة فتبحث « في سائر أمراض الرحم سوى الأورام وما يجري مجراها» وفيها وصف شامل دقيق لما كان يعرف حينذاك عن أحكام الطمث وسيلانات الرحم والنزوف وفيها إسهاب في تعداد الصفات الطيبة من أظلية وحمولات وأبجزة وعلاجات مسهلة منقية أو فصادة وغيرها .

وأما المقالة الرابعة والأخيرة فتشمل على « آفات وضع الرحم وأورامها وما يشبه ذلك» وفيها فصل موجز جيد « في تنوء الرحم وخروجهما وانقلابها» وهو السقوط التناسلي « Prolapsus génital» وفصول أخرى متممة عن « ميلان الرحم واعوجاجها» وغير ذلك وأم هذه الفصول دون شك هو « الفصل في اختناق الرحم» أي الهستيريا « Histérie» ففيه الأعراض موصوفة بشكل كامل ودقيق ، وفيه الأسباب والظروف السريرية التي يشاهد فيها هذا العارض وفيه التشخيص التفريقي والصفات الطيبة الحسنة . ولا نجد بدأ من إثبات بعض المقاطع من هذا الفصل نظراً لقيمتهما الخاصة :

« هذه علة شبيهة بالصرع والغشي ويكون مبدؤها من الرحم . . . . وقد قال بعض علماء الأطباء أنه لا يعرف سبب الاختناق ، ولكن السبب فيه إذا حصل هو أن يعرض احتباس من الطمث أو من المني في المقلات أو المدركات أول الإدراك والأبكار والايامى . . . . وقد تكون لهذه العلة أدوار وقد يعرض كثيراً في الخريف وربما كانت أيضاً أدوارها متباطئة وربما عرضت كل يوم وتواترت قليلاً قليلاً ، وإنما لا يعرض مثله حين الولادة وأصعب اختناق الرحم ما أبطل النفس في الظاهر وإن كان لا بد من نفس ربما يظهر في مثل الصوف المنفوش الملق أمام التنفس فيبطل أيضاً الحس والحركة ويشبه الموت ، ويتلوه الصعوبة ما لا يبطل النفس . . . . والدرجة الثالثة ما يحدث تشنجاً وتمدداً وغثياناً من غير أذى في العقل والحس» .

«واذا قرب دور هذه العلة عرض ربو وعسر نفس وخفقان وصداع ... وضعف رأي وهتة وكسل ... وصفرة لون وتغيره مع قلة ثبات على حالة ... فاذا ازداد فيها حدث سبات ... واحمر الوجه والعين والشفة وشخصت العينان وربما تغمضتا فلم تفتحا وضعف النفس جداً ثم انقطع في الاكثر ... ويعرض تحريق الأسنان وقمةتها وحركات غير إرادية ... وينقطع الكلام ويعسر فهم ما يقال ثم يعرض غشي وانقطاع صوت ... وتظهر على البدن نداوة غير عامة بل يسيرة» .

«وأما الفرق بينه وبين الصرع وإن تشابها في كثير من الأحكام وفي العروض فقد يفرق بينه وبين الصرع ان العقل لا يفقد جداً ودائماً بل في أحوال شدته جداً . واذا قامت الخنثقة حدثت بأكثر ما كان بها الا أن يكون أمراً عظيماً متفاقماً ، والزبد لا يسيل سيلانه في الصرع الصعب الدماغى ... وأما الفرق بينه وبين السكته فذلك أظهر فكيف والحس لا يبطل فيها في الاكثر بطلائاً تاماً ولا يكون غطيظ» .

وبعد فهذا نزر يسير مما استخلصته في مطالعاتي لقانون ابن سينا ولا سيما في الأبواب المتعلقة برعاية الطفولة والأمومة ، وفيها كما رأينا ما يدل دلالة واضحة على سلامة التفكير وسعة الاطلاع وروح العلم والتجربة والمشاهدة وعمق الاستنتاج ، فلا عجب أن يظل القانون بعد هذا ، المرجع الطبي الوحيد في أقطار الأرض كافة خلال ثمانية قرون .

شوكت القنواي

# جولة لغوية في كتاب النبات

لدؤبي حنيفة الدينوري

- ١ -

هذا الكتاب من أشهر كتب النباتات وأوثق مصادرها في نفوس الباحثين النباتيين . ولا سيما أرباب المعاجم العربية : فقد كانوا اذا وصفوا نباتاً في معاجمهم ، أو أرادوا التعريف به ، والكشف عن حقيقته ، لجأوا ( الى أبي حنيفة ) واستندوا الى ما قاله عنه في كتابه المذكور : فأنت ترى لسان العرب مثلاً قائماً يذكر نباتاً إلا نقل نص ما قاله الدينوري فيه . وزاد من قيمة هذا الكتاب ، والاهج به ، فقد نسخته سوى فقرات منه مبعثرة هنا وهناك في كتب اللغة ودواوينها كما قلنا ، وسوى ورقات لا تُجاوز الحُسين عُثر عليها في مكاتب المدينة المنورة ، وكان كلما تقادم الزمن على فقده ، وتواصف الحاجة اليه ازداد حرص العلماء وهواة الكتب على البحث عنه . وكان أكثرهم رغبةً وعنايةً بأمر البحث الدكتور يوسف المش . واتفق أن أوفدته لجنة الثقافة في جامعة الدول العربية الى الآستانة لتصوير المهم من مخطوطاتها فوفق الى العثور على قسم من ذلك الكتاب وهو الجزء الخامس من أجزاءه الثمانية في مكتبة جامعة الآستانة ، وقد كتبت نسخته سنة ( ١٣٤٥ هـ ) فأخبر الأستاذ المش بهذا الظفر المستشرق الألماني الأستاذ ريتز ، فبادر هذا الى أخذ صور فوتوغرافية عن ذلك الجزء ، وجعل يهبوها للنشر ، كما أخذ الدكتور المش نسخة أخرى باسم جامعة الدول ، وبادرت إدارة مجمعنا العلمي فأخذت عنه نسخة ثالثة . وبعد أن أعد الأستاذ ريتز نسخته للنشر والطبع وكل أمر ذلك الى تليذه

المستشرق (ب : لوين) فطبع قسماً من مصورة ريتز في مطبعة (ليدن) سنة ١٩٥٣ م . وقد أهدى الى مجمعنا نسخةً من ذلك المطبوع .  
 هذا شيء من خبر ذلك الكتاب . أما وصف الكتاب في نسخته الأصلية التي عُثر عليها في مكتبة الآستانة فقد خصّه الأمير مصطفى الشهابي بمقالٍ ممتعٍ ٤ نشره في مجلة المجمع (مجلد ٢٦ ص ٣٤٦) بعنوان (أبوحنيفة الدينوري والجزء الخامس من كتاب النبات) أودعه كل ما يتناهى القارىء من أمر ذلك (الكتاب) سواءً أكان من جهة التعريف بؤلفه (الدينوري) أم من جهة التعريف بالكتاب نفسه ووصف غزارة فائدته العلمية والزراعية ٤ وبيان طريقة المؤلف في إيراد بحوثه ٤ ومرد مسائله ٤ ولما أُلقيت اليّ النسخة الليدنية المطبوعة لأجل الكتابة عنها لم أجد حاجةً الى إسهاب القول في الكلام على الكتاب وعلى مؤلفه بعد أن كتب الأمير عنه ما كتب ٤ فسأقتصر في مقالتي هذا على جولة لغوية بين أسطر النسخة المطبوعة ٤ باسقاطاً تحت نظر القارىء : ١ - وصفها :  
 ٢ - أغلاطها . ٣ - نموذجات من نوادرها وفرائدها .

\* \* \*

### ( وصف المطبوع )

تقع في نحو ٢٩٠ صفحة بما في ذلك مقدمتها باللغة الانكليزية البالغة خمسين صفحة ونيقياً . وبلي ذلك فهارس مختلفة في أسماء النباتات الواردة في الكتاب ٤ وأسماء الشعراء والرواة وسائر الأعلام ٤ وفهرست لمواضيع الكتاب وقوافي أشعاره ٤ وبلي ذلك استدراقات وصورة نموذجية من صفحات النسخة الأصلية للكتاب .

وقد قدم الناشر لمطبوعته تجهيد موجز عقبه ببيان مفصل في أسماء المصادر التي استند اليها في تصحيحاته وتعليقاته على الكتاب ٤ فهو يشير بحرف (ص)

الى المخصص و ( ل ) اللسان و ( ت ) التاج الخ . وهناك مصادر ذكرها بأسمائها ،  
 وبؤسفنا أن الناشر لم ينشر مضامين النسخة الأصلية كلها وإنما اكتفى بنشر  
 نحو ثلثيها ( من ص ٧٥ الى ص ٢٣٧ ) وهو آخر الكتاب . أما نك الكتاب  
 الذي لم ينشر فقد تضمن ثلاثة بحوث : (١) صفة القيسي ، ومن أي الأشجار  
 تصنع ، وما يتعلق بالقيسي من حيث حليتها وزينتها . (٢) النبل والسهم وأنواعها  
 وأوصافها ، وما يتعلق بها . (٣) ( القيدح ) وهو الخشبة التي تُبرى ويركَّب  
 فيها النصل الحديد وشؤونه . هذا ما تركه الناشر من الكتاب ثم يبتدىء المطبوع  
 منه الذي يتضمن أسماء ( أعيان النبات ) مرتبةً على حروف المعجم من المهزة  
 الى تمام حرف الزاي ، وبه يتم الجزء الخامس المطبوع ، ويتلوه السادس المفقود  
 الذي يبتدىء بحرف السين .

وعناية الناشر واضحة تمام الوضوح في مطبوعته : من جهة الورق والحرف  
 والتصحيح البالغ ، حتى أن القارئ لا يكاد يثر على غلطة مطبعية سوى ما جاء  
 في أصل النسخة المخطوطة . ولم يأل الناشر جهداً في الرجوع الى المصادر المختلفة في  
 تصحيح الكتاب ، واختلاف عباراتها ، معلقاً ذلك في ذيل الصفحات تعليقاً  
 دقيقاً وافياً بالحاجة وشافياً لغلة القارئ ، كما هي عادة المستشرقين في معظم  
 ما ينشرونه من الآثار والأسفار .

\* \* \*

### ( أَعْرَطُ الفَسْحُ )

لا يحسن أن نسب هذه الأغلاط الى النسخة المطبوعة ما دامت النسخة الأصلية  
 المصورة التي بين أيدينا والتي كنا نرجع اليها في تلك الأغلاط ، فنجد معظمها  
 فيها ، ومن ذلك علمنا أن الناشر أدى الأمانة بـجَـرَها وُبـجَـرَها اللهم إلا  
 القليل الذي عثرنا عليه ، وسننبه اليه مع الأغلاط المطبعية التي ذهل عنها المصحح .



[ص ٣ : ] ذكر المؤلف أن لشجر الأراك ثمراً فيه حراوةٌ على اللسان ، وحراوة بالواد كالحرافة بالفاء ، كلاهما صحيح . والمراد بها ما يشعر به اللسان من لدغ خفيف ، كحرافة الخردل المسمى بالحُرْف ، ومن اسمه جاءت كلمة الحرافة ، والوصف منه حَرَبِف بالتشديد . غير أن المؤلف عاد فذكر في سطر ١٨ أن في طعم الأراك (حروفة) كذا بالفاء لكن على صيغة (فُعولة) لا (فمالة) كما هو المذكور في كتب اللغة : فمن المالح والحامض يقال مُلوحه وُحموضة لا ملاحه ولا حموضة ، أما من (الحرف) و (المُر) فيقال حرافة وسرارة ، لا حروفة ولا مسرورة . ولعل المؤلف اطلع على صحة (حروفة) أو هي لهجة عامية في زمانه ناسخ في استعمالها ، كما نسمح نحن اليوم فنقول (سِفِ طعمه مسرورة) وعاد المؤلف فكرر (الحروفة) في ص ٣٦ و ص ١٧٤ .

[ص ٤ سطر ٤] قوله : (الماء الواسل من ذِرتي البعير) يريد بالماء العرق . ولا معنى للواسل هنا فصوابه الواشل بالشين المعجمة ، من وشل الماء قطراً قليلاً قليلاً ، ومنه الوشَل للماء القليل المتخبط من جبل .

[ص ١٠ س ٧] قوله : (إذا بدا بلجها) بالجميم صوابه بلجها بالخاء المهملة .

[ص ١٣ س ٦] قوله : (ذُزَى) صوابه (ذرى) بالراء المهملة .

[ص ١٣ س ١١] قوله : (ليس للأثل وراق) صوابه (ورف) بالفاء :

وَرَفَ الظل ورفاً وورقاً امتد واتسع . بدليل أن المؤلف قال بعد سطر (وورقه هدب طوال دقاق) فقد جعل له ورقاً ، غير أن ورقه لما كان دقيقاً مستطيلاً هدباً (أي لا عرض له) جعله لا ظل له وقال (ليس للأثل ورف) .

[ص ٢٢ س ١٠ و ص ٣٦ س ٣] قول رؤبة (ما اخضر الآلاء والآس)

أصله وصوابه (يخضر ما اخضر الآلاء والآس) : فالآلاء مقصور بجذف همزته وهو من جموع (الآلاء) تُقصر لضرورة الشعر ، ومدّه غلط يُخرج الشعر عن وزنه .

[ص ٣٦ س ٦] قوله: (فطرخ النمرة) صوابه: فطرح المحزمة . وفي اللسان فطرح الألف .

[ص ٣٧ س ١٣] قوله: (أم لجوجاً معشماً) صوابه مغشماً بالعين المعجمة .  
والغشم من يركب رأسه فلا يثنيه شيء . عما يريد .  
[ص ٤٢ س ٨] قول الشاعر :

(فما راعني إلا زهاء معانقي فأبي عتيق بات لي لا أبا ليا)

البيت لأعرابي يصف ليثته في مضاجعة ذئب ، وفي الأصل (زهاء) بالهاء آخره لا المحزمة ، وهو الصواب . وزهاء الشيء بالمحرز شخصه بقول إن زهاء الذئب أي شخصه بات معانقاً له . فيكون الشاعر قد قصر (الزهاء) وأضافه إلى الضمير . وقوله (عتيق) بالياء صوابه (عتيق) بالنون من المعانقة .

[ص ٤٣ س ١٦] قوله: (والصقّر اذا غضّ بالشرسوف) صوابه (اذا غضّ) يقال (غضّ على شرسوفه الصقّر) اذا جاع . والصقّر دودة في البطن ترعم العرب أنها تمضّ على غضروف الضلع في البطن . وقد نفي النبي (ﷺ) هذا الزعم .

[ص ٥٣ س ٧] قوله: (برمة السليم أطيب السلم ريحاً) السليم شجر ، وبرمته زهرته . فقوله (أطيب السلم) صوابه (أطيب الزهر أو أطيب البيرام ريحاً) والبيرام جمع برمة . وانظ (السلم) بفتحين لا بكسر فتفتح كما في المطبوعة .

[ص ٧٠ س ١٥] قول الأعرابي (نكتز من الثين في الجباب) جمع 'جب' بالجيم . والجب البئر فيه الماء ، وهو لا يصلح لأن يكتز فيه الثين . فصوابه (الجباب) بالحاء المهملة جمع 'جب' وهو الخاوية كما في الصحاح .

[ص ٧١ س ٤] قوله: (فلماذا أجف) صوابه جف ، أي لم يمد رطباً . فهو ثلاثي لا مزيد .

[ص ٧٦ س ٥] قوله : (وفي الثغرة - اسم عشب - ملحمة قليلة) قوله ملحمة خطأ صوابه (ملحة) كما في الأصل . على أن ما في الأصل فيه نظر لأن المراد بالملحة الملوحة القليلة . والملح لا يؤث بالتاء . وإنما هو مؤنث بطبيعة لفظه . فإذا صغر ظهر فيه التأنيث بالتاء ، فيقال مَلِيحَةٌ كما يقال في تصغير شمس شميسة . فأرى أن يكون الصواب هنا (مليحة) كأنه قال شيء من ملوحة . أما (الملحة) فمعناه البياض غير الخالص ، ومنه الكباش الأماح .

[ص ٧٧ س ١٧] قوله : (إلا أنه أضخم ضمماً) صوابه أضخم حملاً أي جرمياً . [ص ٧٨ س ٩] قوله : (وله ثمرة حب كثير) صوابه (وحب كثير) كما في الأصل .

[ص ٨٤ س ٦] قوله : (واذا غمز (أي شجر الثرمان) انثى كما ينثي الحوض) صوابه أن يكتب كما في الأصل هكذا (انثى كما ينثي) بالهمز على أننا لو سهلناه بحذف الهمز كان الأصوب أن يكتب بالألف أيضاً (انثا) ومعناه انشدخ بنحو فأس .

[ص ٨٥ س ١٣] قوله : (قال الأخطل يصف الحجر ويذكر سدّ رؤوسها بالجفن) ضمير رؤوسها يعود إلى الحجر ، والحجر لا تُسدّ رؤوسها بنبات الجفن ولا نبات الغار ، وإنما تُسدّ بها رؤوس خوابيها وأوانبها ، كما أشار (اللسان) إلى ذلك حين قال : قال الأخطل يصف خاية خمر وهو قوله :

(آلت إلى النصف من كفء أترعها عالج ولثعها بالجفن والغار)  
وكان المؤلف (الدينوري) إنما فهم من (الكفء) أنها اسم للخمرة . وهو كذلك في كتب اللغة ، فأرجع إليها ضميري (أترعها) و (لثعها) فقال : (يذكر الأخطل سدّ رؤوسها بالجفن) . ولم يعجبني أنا هذا ووقفت حائراً في أمر إرجاع الضميرين المذكورين إلى (الكفء) بمعنى الخمرة . وقلت في نفسي إن الخمرة لا تُترع ولا تلتقم ، وإنما الذي يُترع ويُياثم خابيتها ودنياها . فرجحت

أن تكون (الكفاء) بمعنى الخاية لما أن لونها أيضاً فيه كلفة (أي سواد الى حمرة) ثم رأيت ما أبد رأيي : وهو ما ذكره صاحب أقرب الموارد (في الذبل) فانه قدس (الكفاء) بالخاية . ومثله الصالحاني اليسوعي فإنه فسرها بها أيضاً في تعليقه على ديوان الأخطل (ص ٩٨) غير أن رأيي ورأيها انما اعتمدنا فيه ظاهر كلام الأخطل ، لا كذب اللغة ، والا فان (الكفاء) فيها هي الخمرة لا خايتها ، فالكفاء بمعنى الخاية كلمة وردت في شعر الأخطل وليست من اللغة في شيء .

[ص ٩٣ من ١٤ و ص ٢٠٠ من ٥ : ] قول الأسيدي في وصف الظلم :

(أصكُ صعلُ ذوِ جِرانٍ شاخصٍ وهامةٍ فيها كَجِرو الرمانِ°)

كذا في الأصل ولعل صوابه :

(أصكُ صعلُ شاخص الجِرانِ وهامةٍ فيها كَجِرو الرمانِ°)

وأصل معنى الجران مقدم عنق البعير : فيظهر أن الشاعر استعاره للظلم . والشاخص البارز الناقئ . وقد علق الناشر على البيت قوله : (والبيت في المعاني الكبير ٣٤٥ ص ٤/١٢) فليراجع .

[ص ١٠٢ من ١٤ : ] قوله : (وقال بعض أعراب عَمان : الدفلي شيء) كذا

في الأصل . وفي الكلام نقص يظهر تمامه مما جاء في (اللسان) ونصه (قال (أي أبو حنيفة) ونور الدفلي مشرب ولا يأكل الدفلي شيء) فالساقط هو جملة (ولا يأكل) وقوله شيء يريد به من الناس والدواب وذلك لشدة مرارته .

[ص ١٠٨ من ٩ : ] قوله : (وللخوذان ورقة مدورة كأنها رُويجة) كذا في الأصل

أي بضم راء (رُويجة) وفي اللسان بفتحها . وكذا في التاج . فقد قال

(الرويح كجوه) وهو درهم صغير خفيف يتعامل به أهل البصرة . فارسي دخيل .

[ص ١١٠ من ٤ : ] وصف الحوآء بأنه نبات يتسطح على الأرض ويلصق بها .

فضرب مثلاً للرجل يلزم بيته (واذا أراد الجمل أكل الحوآء احتاج أن يتشفه

بثناياه فيكشر عنها كما يكشر المتبسم ولذا قال الشاعر ( كما تبسم للحواة  
الجل ) ٥١ . قوله ( بتشفه ) خطأ إذ الانتشاف إزالة الوسخ عن الشيء مسحاً  
وصوابه بنشه من دون فاء .

[ص ١١٧ س ٣] قال : ( ونبات الحليّ سنبل يسنبله ) ستنبّل الزرع  
إذا خرج سنبله فهو فعل لازم فصواب ( يسنبله ) ينسله بدليل قوله بعده ( ثم  
يطير ذلك النسبل إذا يبس ) وفي اللسان ( النّسال سنبل الحليّ إذا يبس وطار ) .  
[ص ١٥٦ س ١] قوله : ( خزوفة ) بالزاي خطأ مطبعي صوابه ( خروفة )  
بالراء المهملة .

[ص ١٥٨ س ١] قول عدي :

( وعلى الأحجاج ألوان الفنا وخزاي الروض بعلوها الزهر )

صواب ( الفنا ) بالثاء ( الفنا ) بالنون جمع فناة ، وهو شجر ذو حَبٍّ أحمر تتخذ  
منه القلائد كما في اللسان . وعدي إنما يصف ما يناط على الموادج من العيون  
والتهاويل كما هي عادة العرب في تزيين ظعائن نسائهم .

[ص ١٥٩ س ١] قوله : ( ترتفع قدر الذراع ) صوابه ( يرتفع ) لأن ضميره  
يرجع الى نبات الخذراف نفسه لا الى وريقته الصغيرة .

[ص ١٦٧ س ٢] قوله : ( أخبرني شيخ من البصريين قال بالبصرة خرّوب  
شأم الخ ) . هذا القول ليس هنا محله وإنما محله في الكلام على الخرّوب فذكره  
هنا سهو .

[ص ١٦٧ س ١١] قوله :

عَفَّتْ غير نَوْي الدار ما إن تبينه وأقطع طفي قد عَفَّتْ في المعافل

صواب ( عفت ) عفا لأن ضميره يرجع الى الطلل المذكور في البيت قبله كما  
في اللسان . وراويّة ( اللسان ) ( في المناقل ) قال هو جمع منقل وهو الطريق  
في الجبل . ولكن رثاث الطنفي وهي ( الحصر ) لا تكون في طرق الجبال .

ويروى (في المنازل) وهي أحسن من الأولى وأحسن منها (في المعامل) إذا أريد منها حيث تعقل الإبل في أعطانها . وهكذا الطفي أي الحصر البالية ليس لها مطرح سوى أعطان الإبل ومباركها .

[ص ١٦٩ س ١٤:] وصف المؤلف زهر الدفلي بأنه (مشرب حسن) ومعنى المشرب في الألوان أن لا يكون اللون خالصاً بل يضرب الى لون آخر وخاصة في الحمرة . فزهر الدفلي (مشرب) أي أشرب بياضه حمرة . على أننا نسميهم أحياناً كثيرة بقولون في الألوان (مشرق) فالكربل مثلاً (نبات له نور أحمر مشرق) أي زاهي جميل . فهل يكون صواب مشرب (مشرق) لتأكيده بكلمة (حسن) التي جاءت بعده ولأن زهر الدفلي ليس كله مشرباً بحمرة : فان بعضه أبيض خالص ، فينبغي أن يقال مشرب بحمرة لأن يقتصر على (مشرب) وحدها بخلاف (مشرق) .

[ص ١٦٩ س ١٥:] قال: (والدفلي للحافر ممّ نخار) أي أنه 'ميمت ذوات الحافر من الدواب إذا أكتته . وقوله (نخار) قال ناشر الكتاب إنه في الأصل بضم النون . ولم يجد هذه الكلمة في كتب اللغة التي لديه . وقد تأملت ضمة النون فلم أجدها ضمةً خاصةً إذ ربما كانت فحمة . وتكون الحاء مشددة فتصبح صيغتها (فعمال) للمبالغة في النحر . والنحر إزهاق روح الحيوان بإصرار السكين على منخره . فيكون معنى نخار قتال كما يقولون أحياناً . ويكون المؤلف نقل النحر من معنى القتل بواسطة قطع الأوداج الى القتل مطلقاً بأي واسطة كانت ولا نعلم إن كان هذا فعلة المؤلف من عند نفسه أو أنه من الدارج في لهجة أهل زمانه . ويكون زمانه كزماننا حين نستعمل نحن اليوم فعل الانتخار بمعنى قتل المرء نفسه بأية واسطة كانت : كأن يلقى نفسه في بحر أو من شاقق أو يتناول 'ميم' قاتل . وأذكر أن صاحب المقتطف نشر بحثاً بعنوان (انتخار عقرب) وقال إنهم حبسوها ضمن إناء بلور فخاصت للخروج ولما يشتد لدغتها نفسها لدغاً دراكاً حتى ماتت متخورة .

[ص ١٢٠ س ١] قال الشاعر: ( كأنه علق نخبير ) يصف لون السدبيل وهو ثوب الزينة يلقى على هودج الظعائن - يصفه بالحمرة الشديدة وقال كأنه علق أي دم وان ذلك الدم نخبير . ولا معنى لنخبير إلا منخور فيكون قد وصف الدم بأنه منخور نساخماً . ولا بأس بهذا الوصف لولا أن يكون غيره أحسن منه وهو أن تكون ( نخبير ) محرفة عن ( نخبير ) بالهاء بمعنى امم الفاعل يقال نهر الدم إذا سال بقوة كأنه يقول : علق جاري .

[ص ١٨٠ س ١٣:] وصف نبات ( الذؤنون ) وقال إنه أشبه شيء بالهلثيون وضبط الهليون بالشكل بفتح الهاء وسكون اللام وضم الياء كما في الأصل وهو خطأ صوابه كسر الهاء وسكون اللام وفتح الياء . ومثله في ذلك صِهْيَوْنٌ وِشْمَعَوْنٌ . وقد نهبنا عليها ثلاثتها في كتابنا ( عثرات اللسان ) .

[ص ١٨٦ س ٥:] وصف نبات ( الفرفخ ) وهو الرجلة ( أي البقلة الحقاء )

وجمل ( الفرفخ ) بالهاء المهمله كما في الأصل . وهو خطأ وصوابه الفرفخ بالحاء المعجمة وأصله فارسي . ثم استشهد بقول ( المعجاج ) : ( ودستم كما يداس الفرفخ ) بالحاء . وصوابه بالحاء كما قلنا : إذ أن ثمة البيت هكذا ( يؤكل أحياناً وحيناً يشدخ ) .

[ص ١٨٧ س ١] قوله : ( وهدهبه أن ورقه طوال دفاق ) كذا في الأصل والعبارة محرفة وصحتها تستخرج مما قاله ( اللسان ) نقلاً عن أبي حنيفة نفسه قال : ( قال أبوحنيفة وله هدب طوال دفاق ) فزاد الناسخ بعد كلمة الهدب كلتي ( أي ورقه ) تفسيراً للهدب ثم حرفت ( أي ) إلى ( أن ) فأصبحت الجملة ( وهدهبه أن ورقه طوال دفاق ) وصوابه ما ذكرنا .

[ص ١٨٨ س ١١] قوله : ( وفي دخان الرمث غبرة ولذلك شبه به لون الدخان ) كذا في الأصل وصوابه ( شبه به لون الدب ) فقد قال بعده مستهداً بقول كعب بن زهير في صفة الدب ( كأن دخان الرمث خالط لونه ) .

[ص ١٩٠ س ١٢] قول الراجز: وهو (هميان بن قحافة) والرمثُ بالصرمية الخ بالرفع خطأ صوابه (والرمثُ) بالنصب لأنه معطوف على (روضاً) في البيت قبله وهو: (ترعى من الصمَّان روضاً آرجاً والرمثُ بالصرمية الكناجفا)  
(مثل الشيوخ أحرمت حواججا)

يصف ناقته فيقول إنها ترعى في (الصمَّان) روضاً آرجاً ذا رائحة طيبة وترعى نبات الرمث في الصرمية (أي الرمل) الكنافج (أي الكثير المكتنز السنابل) وقوله (مثل الشيوخ الحواج) راجع الى (الرمث) يشبهه بالحجاج فإن الرمث اذا اخضرَّ قبل في وصفه إنه قد أبقل وهو بأقل وبعد اخضراره بدرك وفي وقت إدراكه هذا يبيضُ فيقال: إنه قد حَتَطَ فهو حانط (ولعله من الحنوط الذي يضمخ به الميت) فنافقة هميان ترعى شجيرات الرمث في زمن ابيضاضها منذ تكون كالشيوخ الحواج بثياب الإحرام البيض .

[١٩٣ س ٩] قوله: وقد ذكرنا الرياحين في باب النبات الذَّفير (والزهر) الذَّقر اشتداد رائحة الشيء سواء أكانت طيبة أم خبيثة . ويظهر أنهم عادوا يخصُّوا به النبات المتن كما يلمح من قول المؤلف في قوله (باب النبات الذَّفير) فإنه إنما يريد ذا الرائحة الخبيثة من ضروب النبات . ولا سيما انه عطف عليه (الزهم) وفي اللغة (الذفراء) امم لبقلة خبيثة الرائحة لا تكاد المواشي تأكلها . وهذا بدعم ما قلنا من أن (الذفر) إذا وصفت به النباتات أُريد منه خبث الرائحة كما خصَّ العرف في لهجتنا الدارجة (الذَّقر) برائحة الطعام الالتمس فإنها طيبة ذكية ولا سيما في مشام الجياح . أما قوله (الزهر) بالراء فقد علق عليها ناشر الكتاب قوله (إنها غير واضحة في الأصل) . لكن أرجح أن تكون (الزهم) بالميم ففي اللسان (الزهومة الریح المنقنة) وبؤيده عطفه على الذَّفير .

[ص ١٩٣ س ١٦] قوله: (يريد باليهودي نخل خيبر) فيه إيهام من حيث يظن أن المراد بكلمة (اليهودي) النخل نفسه . وكان الأظهر أن يقول يريد



باليهودي نخل اليهودي كما قال صاحب اللسان : فقول الشاعر ( وهو كثير  
عزّة ) ( كاليهودي من نطاة الرقال ) 'حذف منه المضاف . وتقديره ( كنخل  
اليهودي من نطاة الرقال ) يصف الشاعر الطعائن التي رفعها السراب الى عينيه  
تغيب اليه أنها نخلات يهودي من فلاحي ( النطاة ) . والنطاة مزرعة ذات ماء  
في خيبر اشتهرت بسوق نخلها وانطياده صُعُدًا في السماء . ويسمى هذا النخل  
الباسق رقالاً واحده رقلة .

[ ص ١٩٥ س ٨ قوله ] : ( الورق الذي يتجدد آخر الفيظ برد الليل يسمى  
الربيل ) صوابه يبرد الليل وهو كذلك في الأصل أي انه يكتفي في نموه بتأثير  
رطوبة برد الليل .

[ ص ١٩٨ س ١٣ قوله ] : ( كل شجرة دوحة واسعة صافية الظل فهي ربوض )  
صوابه ضافية الظل بالضاد المعجمة أي سابعة الظل . والسبوغ في الظل :  
الامتداد والسعة . ويحتمل أن يكون قوله ( واسعة ) مقدمة عن تأخير ويكون  
محله بعد ضافية تفسيراً له .

[ ص ٢٠١ س ٩ قوله ] : ( يذاف بها ورس ) بالدال خطأ صوابه ( يذاف )  
بالدال المهمل كما هو في الأصل ومعنى ( يذاف ) يخلط .  
[ ص ٢٠٥ س ١٣ قوله ] :

( على الزرع تمشي خيلنا وركابنا فما وطئت ألقته بالدكادك )  
قوله ( ألقته ) هكذا ضبط في الأصل بناء الخطاب وتابعه الناشر .  
وصوابه ( ألقته ) بضمير نون النسوة الراجع الى الخيل والركاب يعني أن  
ما وطئته خيولنا من ذلك الزرع مرسته ودعكته بجوارها حتى جعلته لاصقاً  
بالدكادك . وأخطأ الناشر في تفسير الدكادك حين قال ( الدكادك اسم موضع ؟  
في بلاد بني أسد ولعل الشاعر منهم ) فالقول بأن الزرع الذي مرسته الخيل  
بسنابكها قد ألقى بذلك الموضع في بني أسد تخيل بعيد . وإنما الدكادك هنا

جمع دكك أرض فيها غلظ . فالشاعر يصف شدة وطء خيولهم وأنها مرست  
الزرع حتى تلاثى واختلط بما تحته من الأرض الغليظة . واهل دكادك بني أسد  
هو الذي عناه تميم بن نوبرة في رثاء أخيه مالك حين قال :

( وقالوا أتبي كل قبرٍ رأيتَه      لقبرِ ثوى بين اللوى فالدكادك )

( فقلت لهم إن الأُمى يبعث الأُمى      دعوني فهذا كله قبر مالك )

[ ص ٣٠٧ س ١ ] قوله : ( ويقال أخذ النبات زُخاريه إذا تفتحت أنواره

واتقى بهجته ) كذا في الأصل وقد وقفت عند كلمة ( واتقى ) أقول : أهي محرفة

عن ( انتخى ) إذا تعاضم وتكبر ؟ أوهي من بدبع القول وبلغ الكم على معنى

أن حُسن النبات وجماله يقيه من مدّ الأيدي إليه هيبته له ، وضناً به أن يتشوه

على حد قولهم ( الشجاع موقسى ) نقيه شجاعته من الإقدام عليه فيطول عمره .

المصري

( البقية في الآتي )

## مقدمة المرزوقي

لشرح الحماسة أبي تمام

### شرح هذه المقدمة وضبطها

واقفاني الجزء الأول من المجلد السابع والعشرين الصادر في ربيع الثاني سنة ١٣٧١ لمجلة المجمع العلمي بدمشق فاذا من أحسن ما حواه مقدمة دمجها الإمام البليغ أبو علي المرزوقي<sup>(١)</sup> لشرحه على ديوان الحماسة اختيار أبي تمام . وهي مما نشر وصحح وحقق الأستاذ الدكتور شكري فيصل فلما رأيتها تحدثت نفسي بالشكر لشكري فيصل ، على نشره مثلها ومثلته كالمهتد بيد صيقل . فانها خير رائد لمنتجع روض الفصاحة ، وأبصر مقدمة لجفيل البلاغة ، تفتح لمقتنبيها ما استعصمت به خفايا النكت من الصياحي . وتمكين بيد متقنها من جواد السبق أجفل النواصي ، إذ كانت قد أحاطت بما قد الأدب ، وتماطت بمحجبتها أفنانه فتدلى يانع ثمره واقترب . وقد كنت قدما اهتمت بتدبرها عند اقراي ديوان الحماسة بجامع الزيتونة بتونس منذ عام ١٣٢٦ فقدرت قدرها . وتبينت نفاستها في صناعة الأدب وخطرها ، ثم طواها الذهن بسط مسائل أخرى ،

(١) هو احمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الاصبهاني توفي في ذي الحجة سنة ٤٢١ ترجمه ياقوت في إرشاد الأريب وقال إنه أخذ عن أبي علي الفارسي وذكر له كتباً منها شرح الحماسة قال وهو يتفصح في تصانيفه كاتب جني وكان معلم أولاد بني بويه باصبهان . قلت لم ألق على وجه نسبة المرزوقي واحسب أنها نسبة الى أحد أجداده . وهو مهود من أئمة الأدب وبلاغة العربية ولعمد الدين الثغزاني عناية بنقل كلامه في كتبه في بحث البلاغة مثل شرح المتاح والمطول ويحليه بالامام المرزوقي .

وثنى عنان طرّفه فأطلق له في ميادين فسيحة وأجرى . فاذا بهذه النشرة تطالعنيها مطالعة الخريذة ، تيسم الى الصب فنردّ محبته الرثة جديدة ، أو كالظبي ينفر عن مراعاة ربربه ثم ينيلها عطفة وجيده (١) ذلك هنرّ من عطفي وحرّك سواكني الى مراجعة عهدٍ مضى . فأصدّق عزماً قديماً وغرضاً ، هو العزم على أن أطلق على هذه المقدمة القيمة ، وأمرح اليها جواد الدهن وأسوّمه . فانها جديرة بشرح ينشر مطايعها الوفيرة الأغراض ، ويصدّق شيم من اتبع صوب بروقها المتكررة الايماض ، إذ هي من قبيل اللمحة الدالة ، والخريذة الملتحفة غير المتجالة ، فهي خليقة بفسّر كثير من معانيها إذ كانت مفرغة في دقة صياغة ، ولو أخذت على غرّها لم يدرك غورها سوى الراسخين في البلاغة ، فعنيت بتوضيح دقائقها ، واكتفيت في بعض المواضع بالحوالة على كتب الأدب .

ومن غريب الاتفاق اني حين حلت بالأستانة في أواخر العام (١٣٧٠) لحضور المؤتمر الثاني والعشرين للمستشرقين ورأيت خزائن كتبها الثرية كان مما لفت نظري نسخة تامة من شرح المرزوقي في مكتبة كوبربلي باشا تحت عدد ١٣٠٨ وهي نسخة عتيقة نسخت سنة ٦٧٦ ذات ٤٣٠ ورقة في القالب الربعي وقد حصلت منها على شريط فتغرافي . ولم يكن عندنا بخزائن تونس إلا نسختان من جزء أول ومن تجزئة خمسة حوتها مكتبة الجامع الأعظم عدد ٤٥٣٤ وعدد ٤٥٣٥ . ورأيت الأستاذ الناشر قد بذل الجهد في تحقيق مختلف نسخها فاعتمدت نسخاً أربعمائة وأثبت ما بينها من اختلاف وقد رأيت أن أضمّ الى ذلك ما خالفت فيه النسختان التونسيّتان ونسخة الأستانة استكمالاً للضبط ، والى القارىّ تعليقتنا على هذه المقدمة بتفسير غريبها ، وتبيين مقاصدها وتقريبها .

(١) ذلك قبل أن يصل إلينا الجزء الأول من شرح المرزوقي طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٧١ التي اعتمدت نسخة الأستانة .

قال الإمام المرزوقي : ( وبعد فانك جاريتني - أطال الله بقاءك في أشمل سماعة وأكمل سلامة - لما وجدته أقصر ما استفضله من وقتي واستخلصه من وكري على عمل شرح الاختيار المنسوب الى أبي تمام حبيب بن أوس الطائي المعروف بكتاب الحماسة - أمر الشعر وفنونه ) .

الخطاب موجه الى الذي سأله تحقيق ما تضمنته هذه المقدمة ويظهر ان هذا المخاطب هو أيضاً قد سأله شرح اختيار أبي تمام أو انه حرّضه على إتمامه لأن المؤلف قال في خاتمة الشرح<sup>(١)</sup> : « قد سهل الله وله الحمد تعالى جده بلوغ المنتظر من تميم شرح هذا الاختيار والله بمنه وطوله ينفعك وإيانا به ويعينك على تفهمه الخ » .

وقوله جاريتني هكذا ثبت في جميع النسخ ومعناه حادثني فيه قال في لسان العرب وجاراه الحديث وتجاروا فيه اه . فاستعيرت الجارة تمثيلاً لحال المتحدثين بحال الفارسيين يجربان ومن هذا القبيل قولهم تساجلا الشعر وتسايروا الجادلة وقد أعاد المؤلف هذا اللفظ في خاتمة الشرح إذ قال : فإنني لم أدركه إلا بمجاراة شيوخ الصناعة فيه » .

وذكر الأستاذ الناشر في التعليق على هذه العبارة : ان الأستاذ محمد أحمد خلف غير عبارة جاريتني فجعلها « جازيتني » واعتل لذلك بأن المؤلف قال بعد صفحات « أمنا من المجاذبين » وهو تغيير يخالف النسخ كلها ولا داعي اليه إذ لا يتعين أن يكون المؤلف ملتزماً بعبارة واحدة في كلامه كيف وهو من المتفتنين ولأن لقوله « المجاذبين » فيما بعد معنى يناسب سياق الكلام هناك وسدبته في موضعه وكلا الأمرين الجارة والمجازبة من شؤون محاورات أهل العلم قال الزمخشري في ديباجة الكشف في وصف العالم المفسر « قد رجع زماناً ورجع اليه » .  
ورّد ورد عليه » .

(١) عن نسخة الأستانة .

وقول المؤلف (أفصر) بهزة مفتوحة وبضم الصاد أي أرد وأحبس ويتعلق به قوله (على عمل شرح) و (الوكد) بفتح الواو وسكون الكاف هو الهم والقصد وقوله (أمر الشعر) كذلك ثبت في أكثر النسخ وفي نسخة ذكرها الناشر «في أمر الشعر» وهي الأولى وعلى ما في معظم بقية النسخ يكون أمر الشعر منصوباً على نزع الخافض .

(وأبوتام) من شعراء الدولة العباسية في خلافة المعتصم امتاز بطريقة ابتكرها في الشعر وهي طريقة تدقيق المعاني وتكثيرها ولو أداه ذلك الى شيء من الخفاء في استفادتها من اللنظ . وأخذ عنه البحري وتوفي بالموصل سنة ٢٢٨ وقيل سنة ٢٣١ وقيل سنة ٢٣٢ وديوانه مشهور . وجمع ديوان الحماسة وهو واضح الشهرة في الأدب العربي جمع فيه قطعاً للشعراء غير المشهورين . وله اختيار ترجمه بالقبائلي ، اختار فيه قطعاً من محاسن أشعار القبائل . وله الاختيار القبائلي الأكبر ، اختار منه من كل قصيدة ، وله اختيار الشعراء الفحول واختيار على طريقة ديوان الحماسة صدره بباب الغزل .

قال المؤلف : (وما قال الشعراء في الجاهلية وما بعدها وفي أوائل أيام الدولتين وأواخرهما من الرفعة به) ترتيب هذه الفقرات في أكثر النسخ كما رأيت هنا ، وفي نسخة واحدة من النسختين بتونس مغايرة لهذا إذ وقعت فقرة «من الرفعة به» عقب فقرة «وما نال الشعراء» وذلك أحسن مما في النسخ الأخرى ووقع قوله «وفي أوائل» في إحدى نسختي تونس مجرداً عن واو العطف وهو أحسن إذ يكون قوله في أوائل الدولتين حالاً من قوله وما بعدها أي بعد الجاهلية فيكون عصر النبوة وعصر الخلفاء الأربعة غير داخل . وأما النسخ التي فيها إثبات الواو فهي تقتضي أن يكون المراد بما بعد الجاهلية مدة زمن صدر الاسلام وليس للشعراء في صدر الاسلام رفعة بل كان الشعراء قد هجروا الشعر مثل لبيد ابن ربيعة العامري إلا أن يكون المقصود الشعراء الذين ذبوا عن رسول الله ﷺ مثل حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة .

وقوله : « وأواخرها » وقع في احدى النسختين التونسيين وأواخرهما بالثنائية والمراد أواخر مجموعهما أي أواخر الثانية منها ( إذ كان الله قد أقامه للعرب مقام الكتب لغيرها من الأمم ) .

أراد بالكتب كتب العلوم والتاريخ لأن العرب أمة أمية امتازت بالفطنة في السجية فكان شعرها ترجمان ذكائها ودبوان آرائها ( فهو مستودع آدابها ومستحفظ أنسابها ) وقع في نسختي تونس ونسخة الأستانة عقب هذا جملة لم تثبت فيما نشر الدكتور شكري وهي ( ونظام فخارها يوم النغار ) وموقع هذه الفقرة حسن لما في إثباتها من تعادل الاقسام في الترتيب ( ودبوان حجاجها عند الخصام ثم سألتني عن شرائط الاختيار فيه وعمما يتميز به النظم عن النثر وما يحمد أو يذم من الغلو فيه أو القصد وعن قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها ) وفي احدى نسختي تونس « لها أو عليها » وهما أظهر ( حتى تصير جوانبها محفوظة من الوهن وأركانها محروسة من الوهي إذ كان لا يُحكّم للشاعر أو عليه بالإساءة أو بالإحسان إلا بالفحص عنها وتأمل مأخذه منها ومدى شأوه فيها ) المدى الغاية . الشأو أي انتهى ما سبق فيه شاعر غيره من الشعراء .

( وتمييز المصنوع مما يحوكه من المطبوع والآتي المستهل من الأبي المنسكر ) .  
 سيأتي للمؤلف ذكر المصنوع والمطبوع بعد ذكر الأبواب السبعة التي هي عمود الشعر ونشرحه هنالك ، الآتي ما يجلبه الساقى الى أرضه من السيل أو النهر بأن يحفر له حفيراً يجري فيه الماء قال النابغة يذكر جارية ضربت في الارض حفيراً بالمسحاة لصرف الماء عن بيت أهلها :

خَلَّتْ سَبِيلَ أَيْيٍ كَانَ يَحْبِسُهُ      وَرَفَعَتْهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالْتَقَصَدِ

والمؤلف أراد بالآتي السهل ولذلك أتبعه بوصف المستهل وصفاً كاشفاً وقد أتبعه فيما يأتي بوصف السمع في صفحة ٨٨ سطر ٦ من النشرة .  
 والآتي فمبيل من أمثلة المخالفة وأصله الرجل المتعاصي غير المطواع وقد استعاره

المؤلف للكلام الذي يبدو عليه التكلف ولذلك أتبعه بوصف المستنكر والمستكرة وأتبعه فيما يأتي بوصف الصعب (١) .

( وقضيتَ العجب كيف وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق في اختيار المقطوعات أنقى مما جمعه . ولا في اختيار المقصّـدات أوفى مما دوّنه المفضّل وتقدّمه . وقلتَ إن أبا تمام معروف المذهب فيما يقرضه . مألوف المسلك لما ينظمه . نازع في الإبداع إلى كل غاية . حامل في الاستعارات كل مشقة . متوصل إلى الظفر بطوبه من الصنعة أين اعتسف وبما عثر . متعافل إلى توغير اللفظ وتعميض المعنى أنسى تأتسى له وقدر . وهو عادل فيما انتخبه في هذا المجموع عن سلوك معاطيف ميدانه . ومرئض ما لم يكن فيما يصوغه في أمره وشأنه . فقد فليته فلم أجد فيه ما يوافق ذلك الأسلوب الاليسير . ومعلوم أن طبع كل امرئ إذا ملك زمام الاختيار يجذبه إلى ما يستلذه ويهواه . ويصرفه عما ينفر منه فلا يرضاه ) .

قضيت العجب كلمة جرت مجرى المثل معناه تعجبت العجب القوي لأنه إذا تعجب عجباً قوياً فكأنه قضاه أي أدّاه وأتمه ومنه قضى وطراً ، قال الحريري في المقامات : « وقضيتُ العجبَ مما رأيتُ » . والمقطوعات القطع من الشعر المختارة من قصائد أو التي نُظمت من أول الأمر قطعاً قصيرة من الشعر وتسمى مقاطيع جمع مقطوع وتسمى قطعاً جمع قطعة وهي ما كان من الشعر أقل من ستة عشر بيتاً . ووصف ديوان الحماسة بذلك باعتبار غالبه وإن كان قد يوجد فيه ما يزيد على ستة عشر بيتاً من قصائد كاملة أو بعضها . والمقصّـدات جمع المقصّـدة وهي القصيدة وجمعها قصائد واسم الجمع قصيد وقد يطلق القصيد على القصيدة باعتبار الجنس . والقصيدة طائفة من الشعر زائدة على خمسة عشر بيتاً وهذه الأسماء مشتقة من القصد لأن قائلها قصدها واعتمدها فأما المقصدة فلأن

(١) انظر صفحة ٨٨ سطر ٧ من النشرة .



الشاعر جعلها قصيدة وما دون القصيدة يسمى قطعة . والذي دونه المفضل هو الديوان المعروف بالفضليات يشتمل على مائة وأربع وعشرين قصيدة اختارها إجابة لرغبة أبي جعفر المنصور لفائدة ابنه المهدي وجامعها هو المفضل بن محمد ابن يعلى الضبي الكوفي الراوية اللغوي توفي سنة ١٦٨ وعلى الفضليات شرح للمرزوقي ذكره ياقوت . وقوله « الى كل غاية » أي الى غايات كثيرة فان كلمة كل تستعمل في الكثرة للمبالغة دون قصد الشمول كقول النابغة :

بها كل ذبال وخفساء ترعوي الى كلِّ رَجَافٍ من الرمل فارد

وفي القرآن : « جاءم الموج من كل مكان » ووقع في نسخة الأسنانة « أكل » عوض كل وهي ظاهرة . وقوله فقد « فليته » وقع في احدى النسختين التونسيتين قلبته بقاف ثم لام مشددة وهي أحسن استعارة من فليته لأن الفلي كلمة مرذولة يبنو الأدياء من استعارتها كما سيأتي . والتاء مضمومة وهي تاء المتكلم حكاية لقول المخاطب المحكي أننا بقوله : « وقلت ان أبا تمام الخ » والأسلوب الطريقي وهو في الاصطلاح الطريقة المخصوصة من الكلام البليغ كقولهم في الالتفات انه انتقال من أسلوب الى أسلوب أي من طريقة الخطاب الى طريقة الغيبة مثلاً . وقولهم الأسلوب الحكيم هو تلقى المخاطب بغير ما يترقب .

( وزعمت بعد ذلك أجمع أنك مع طول مجالستك بجهاذة الشعر والعلماء بمعانيه والمبرزين في انتقاده لم تقف من جهتهم على حد بوديك الى المعرفة بجيده ومتوسطه ورديته حتى تجرد الشهادة في شيء منه وتبت الحكم عليه أوله أمنا من المجاذبين والمدافعين ) . المجاذبون أصحاب المجازبة وهي مفاعلة من الجذب للشيء أي إدنائه باليد لأخذه فالجاذبة أن يجذب كلا الشخصين شيئاً واحداً كلاهما يطلب أخذه لنفسه والمراد بها هنا تمثيل للمحاجة والاستدلال فكل يظهر ان الحق في جانبه . وأما المدافعة فهي مفاعلة أيضاً وهو إبعادك الشيء عن جهة ما فالمدافعة مراد بها إبطال دليل الخصم عند المناظرة فمن المدافعة المنع المجرّد والمنع بالاستند في

قواعد الجدل وبقية الاعتراضات على الأدلة وكأيا راجعة الى المنع . واعلم ان المؤلف قد بين المجازبة في آخر هذا الشرح<sup>(١)</sup> بقوله « لا أنسى مجازباتي فيهما متى كان في القول إمكان وللتحصيل ارساد ولسهم النضال تسديد وفي قوس الرماه منزع » . وهنا يظهر من حسن وقع لفظ المجازبة ما لا يظهر في تغيير قوله في صدر الديباجة « فانك جاريتني » إذ لم يقل « جازبتني » كما قدمناه هنالك . ( بل نعتقد ان كثيراً مما يستجيزه زيد يجوز أن لا يطابقه عليه عمرو ) . الذي في النسختين التواصيتين ونسخة الأستانة يستجيزه بدال عوض الزاي وهي أحسن معنى ولفظاً .

ومعنى « لا يطابقه » لا يوافقه مأخوذ من الإطباق وهذه المادة تؤذن بالمساواة ومنه الطبقي وهو غطاء الإبناء لأنه يجعل بمقداره ومنه أيضاً الانطباق . ( وانه قد يستحسن البيت ويثني عليه ثم يستهجن نظيره في الشبه لفظاً ومعنى حتى لا يخالفه فيعرض عنه إذ كان ذلك موقوفاً على استخلاء المستحلي واجتواء المجتوي ) . « الاجتواء » بالجيم افتعال من الجوى وهو الداء الباطني والمراد بالاجتواء هنا الكراهة ونفور الطبع وأصله عدم ملائمة الجو للساكن فيه وفي حديث النفر من عككل وعربينة « أنهم اجتؤوا المدينة » أي استوخموا جؤوا وهؤوا إذ كانوا من أهل بادية وصيفة الافتعال هنا للمطابقة .

( وانه كما يرزق الواحد في مجالس الكبار من الإصغاء اليه والاقبال عليه ما يحرم صنوه وشبيهه مع أنه لا فضيلة لذلك ولا تقيص لهذا إلا ما فاز به من الجلد عند الاصطفاء والقسّم ) . أي وان ذلك يشبه ما يرزقه الشخص من الاصغاء اليه . وقوله ما يحرم صنوه كذا في جميع النسخ وهو من حذف عائد صلة الموصول إذ كان منصوباً بفعل وهو كثير فالنقدير ما يحرمه . والجلد بفتح الجيم الحظ واليخت ، والقسّم بفتح القاف وسكون السين مصدر بمعنى أمم المفعول

(١) عن نسخة الأستانة .

وهو ما يقسم للمعطى بفتح الطاء من العطاء قال الأعشى: «ويقسم أمر الناس يوماً وإيلة» والقسم في كلام المؤلف معطوف على الاصطفاء . والمعنى أنك تتوهم أن سبب التفاضل بين البلغاء تابع لميل الأعيان الى بعض البلغاء دون بعض بسبب اجتناب المائل الممال إليه اجتناباً ناشئاً عما للممال إليه من البخت الذي قدره الله له . والمقصود من كلام المؤلف إبطال أن يكون التفاضل خلتياً عن أسباب حقيقية وأنه ليس لأسباب وهمية وإنما احتاج إلى إبطال هذا الوهم لأنه جاش في نفس المخاطب ولأنه شاع بين ضعفاء العقول وقاصري الصناعة إذا خانتهم المقدرة أن يمتلوا لخيبتهم بأنهم حرموا البخت وأن تفوق من سواهم عليهم لأجل أن المتفوق مجتود . ومن هذا القبيل حال المشركين حين عجزوا عن معارضة القرآن فانهم قالوا هو سحر .

محمد الطاهر ابن عاشور

(تونس)

يتبع :

# تاريخ علم الفلك في العراق

وعلاقته بالأقطار الإسلامية والعربية

(في العهد العثماني)

من سنة ٥٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م إلى سنة ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م

- ٣ -

## العهد الإيراني والفلك

من سنة ٥٩١٤ هـ - ١٥٠٨ م إلى سنة ١١٦٠ هـ - ١٧٤٧ م

دخل الإيرانيون بغداد في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٥٩١٤ هـ - ١٥٠٨ م ودام حكمهم إلى ٢٤ جمادى الأولى سنة ٥٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م وبعدها وبسبب المجاورة وزيارة العتبات أو الإقامة فيها ، لم تنقطع ثقافتهم عنا ولا تأثر ثقافتنا عليهم . اتصلوا بحروب عديدة معنا . وكذلك رعوا التجارة كثيراً . والعراق طريق الحج . والجاليات الإيرانية كثيرة . وبعضها تمكن في بلادنا ، والزيارات للعتبات متوالية .

كل هذه الصلات مكنت الثقافة ووثقتها . ولا تزال كتب الطوسي في الفلك معروفة وكذا مؤلفات قطب الدين الشيرازي وآخرون نرى مؤلفاتهم متنافلة لتقوية المعرفة . والمؤلفات الجديدة الخاصة بهذا العهد قد انتشرت وشاعت مثل (حاشية مير أبو الفتح) على شرح أشكال التأسيس لفاضي زاده كما شاعت مؤلفاته في آداب البحث . وتوفي سنة ٩٧٦ هـ - ١٥٦٨ م .

وانتشرت مؤلفات إيرانية أخرى من أهمها (تشریح الأفلاك) للبهاء العالمی المتوفى في ١٢ شوال سنة ١٠٣١ هـ - ١٦٢٢ م ، والصفیحة في الاضطراب

وخلاصة الحساب له . وهكذا تقويم المحسنين لمحسن الفيض المتوفى سنة ١٠٩١ هـ -  
 ١٦٨٠ م وكتاب قبلة الآفاق لرضي الدين محمد القزويني المتوفى سنة ١٠٩٤ هـ  
 إلا أن هذه لم تولد نشاطاً علمياً وان كان تداولها عندنا العلماء بالتعليق والتحقيق  
 على بعضها . دامت العلاقة في هذه الأيام ما عدا أيام الحروب في عهد الشاه  
 عباس الكبير ، وأيام نادرشاه فانها تضعفت كثيراً .

استمر العمل بالمولفات الفلكية في التدريس من أيام الخواجة الطوسي . ولا تزال  
 مؤلفاته سائدة . والحالة الاستمرارية غير منقطعة بالرغم مما اعتور البلاد من  
 أحوال حربية .

وفي هذه المهود من سنة ٩١٤ هـ - ١٥٣٤ م لم يظهر تقدم في هذا العلم  
 لا في إيران ولا في الأقطار الأخرى ، وإنما نرى العمل المدرسي أو تكرار  
 ما قيل باختصار أو توسع جزئي أو كلي لبعض المطالب . فيصح أن يقال فيه  
 انه معاودة المعرفة القديمة .

وان هذا العلم في إيران دام ولم ينقطع . وظهر علماء اشتغلوا في خدمته  
 وداموا قواماً عليه وان لم يتقدم ، كما هو الشأن أيام المغول أو أيام أولوغ بك .  
 فلا نجد (رصداً) ولا اهتماماً .

ومما بهم ذكره أن شوهد اسطرلاب في خزانة كتب لندن عمل باسم  
 حسين شاه الصفوي وهو جميل للغاية ومتقن . وحسين شاه هذا ولي سنة  
 ١١٠٥ هـ - ١٦٩٤ م ودامت سلطنته الى سنة ١١٣٥ هـ - ١٧٢٢ م . وفي هذه  
 الحالة لم ينقطع عمل الاسطرلاب في اتقانه الى أيام حكمه .

وفي عهد الصفويين الى آخر أيام نادرشاه ظهرت مؤلفات برعاية الدولة تارة  
 وبدون رعاية تارة أخرى .

وكان التأليف باللغتين العربية والایرانية . وانتشرت مؤلفاتها . ولم نجد من  
 كتب في الفلك فغير المجري المؤلف لنعرف مقدار توغل هذا العلم في أوساطهم .  
 ومن اشتهر في ایران بالفلك :

١ - البرجندي (البرجندي) :

من علماء الفلك في القرن العاشر . ذاعت مؤلفاته في إيران وبلاد الترك  
العثمانيين . وهو عبد العلي بن محمد بن حسين البرجندي الحنفي . ومن مؤلفاته :  
١ ) شرح التذكرة في الهيئة . للخواجه الطوسي . وفي هذا الشرح دفع  
بعض الاعتراضات الموجهة على الريحاني في كتاب التفهيم . وأزال ما عترض به  
أبو المحامد في كفاية التعليم .

٢ ) شرح بيست باب . وهو أصل ولم يكن شرح كتاب الطوسي .  
شرحه ملا مظفر الجنايزي ( گنابادي ) وطبع في ايران .  
٣ ) شرح تحرير المحسني .

٤ ) شرح الزيج الجديد السلطاني . شرح به زيج أولوغ بك . ألفه سنة ٩٢٩ هـ .

٥ ) حاشية على شرح قاضي زاده على ملخص الجفجفي .  
٢ - مير أبو الفتح :

هو تاج الدين محمد بن سعيد الحسيني السعيدني الأردبيلي المعروف بـ (مير  
أبو الفتح) من تلامذة المولى عصام الدين المنوفي سنة ٩٤٣ هـ - ١٥٣٦ م .  
حصل العلم في ماوراء النهر . وله مؤلفات عديدة منها حاشية على آداب البحث  
وحواش أخرى عديدة . وفي الفلك :

١ ) حاشية على قاضي زاده في شرح أشكال التأسيس . وهي من كتب الدرس .  
توفي باردبيل سنة ٩٧٦ هـ - ١٥٦٨ م ودفن هناك <sup>(١)</sup> .

٣ - ملا مظفر الجنايزي ( گنابادي ) :

هو ملا مظفر بن محمد قادم النجم . وكان أبوه من المتجمين في بلاط الشاه  
عباس الكبير ، لازم ركابه . ومن مؤلفاته :

١ ) شرح بيست باب . للبرجندي . وطبع هذا الشرح في ايران سنة ١٢٧٦ هـ .

(١) أحسن التواريخ نقلًا من دانشمندان آذربيجان . وفي كشف الظنون  
انه توفي سنة ٩٥٠ هـ والصواب ما ذكرنا .

- (٢) كتاب قديمات النجومين . فارسي ألفه سنة ١٠٣١ هـ وكان قد مضت عليه ٢٥ سنة وهو في بلاط الشاه ، وطبع في طهران سنة ١٢٨٤ هـ على الحجر .
- (٣) مقياس البلدان . في جداول الطول والعرض للأقاليم والبلدان ، واستخراج خط نصف النهار وسمت القبلة .
- ٤ - الخاخلي :

هو حسين الحسيني الخاخلي من تلامذة ميرزا جان الشيرازي . وله رسالة في معرفة أوقات الصلاة وسمت القبلة . أولها : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد سيد الأولين والآخرين . . . . بين فيها أوقات الصلاة . استند الى ما جاء في (شرح الوقاية) لصدر الشريعة من فقهاء الحنفية . شرح ذلك شرحاً وافياً واعتمد قواعد علم الفلك واستعان بالاسطرلاب . . . . وفصل البحث .

أتمّ تأليفها في غرة شعبان سنة ١٠٠٦ هـ - ١٥٩٨ م . وعندني مخطوطتها . وله (تشریح فلك الخاخلي) . منه نسخة في خزانة برلين ومنها : رسالة دائرة الهندية . عندني نسختها . وهي من نوع سمت القبلة .

وتوفي سنة ١٠١٤ هـ وله مؤلفات عديدة بالفارسية والعربية<sup>(١)</sup> .

٥ - البهاء العاملي :

من جبل عامل في الشام . وهو بهاء الدين بن الحسين بن عبد الصمد العاملي المعروف بـ (البهاء) . من علماء الشيعة في ايران . ولد في ١٣ ذي الحجة سنة ٩٥٣ هـ في بعلبك . وفي تراث العرب العالمي عدّه من (آمل) وليس بصواب . انتقل والده الى بلاد المعجم وهو صغير ، فاشتهر ، وكانت وفاته في ١٢ شوال سنة ١٠٣١ هـ - ١٦٢٢ م وهو الصواب . نال مكانة مقبولة في ايران واشتهر بالعلم . ومؤلفاته كثيرة . وبهنا ما يتعلق بالهيئة منها . وغالبها مدرسية . راجت كثيراً . وهي متأثرة بالخواجة الطومبي<sup>(٢)</sup> .

(١) « پارس » لسنة ١٢٦٩ هـ - ١٣٢٩ - ش ص ١٤ .

(٢) ترجمته في الفوائد الرضوية ج ٢ ص ٥٠٢ - ٥٢٠ ، وفي خلاصة الأثر ، وفي

الصلاح ، وفي تراث العرب العلمي ص ٢٤٤ .

ومن مؤلفاته :

١ - رسالة تحقيق جهة القبلة : كتبها باللغة العربية . أولها : أما بعد الحمد والصلاة فيقول . . . . . وعندني مخطوطها موضحة بأشكال فلكية . كتبت في أواخر رجب سنة ١١٧٨ هـ .

٢ - خلاصة الحساب . أوله : سبحان من لا يحيط بجميع نعمه عدد . . . . . قدمه الى أبي غالب السلطان حمزة بهادرخان .

وعليه حاشية للمائي الجلي وهو عمر بن احمد . ويعرف بابن المائي وابن الجلي أولها : يامن عجز عن جميع تضاعف نعمه أفلام أفهام العقلاء . . . . . عندي نسختان منه . ومن شروحها :

١) حلّ الخلاصة لأهل الرياسة . لرمضان أفندي ابن أبي هريرة الجزري القادري أولها : أحمدك يامن أعداد نعمه لا تحصى . . . . . عندي نسخة بخط سليمان السويدي بتاريخ ٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٥ هـ وأخرى قال في آخرها على يد مؤلفها . . . . . برقم ٢٣٧ .

٢) تحفة الطلاب في حلّ خلاصة الحساب لعبد الرحمن بن عبد الله الجلي<sup>(١)</sup> المشهور بـ ( كاك جلي ) ابن محمد بن ابراهيم بن حسن . أولها : الحمد لله الذي لا يحصى عدد نعمه . . . . . منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة من كتب الأستاذ السيد نعمان خير الدين الأتومي . وسماه ( تحفة الطلاب في حل خلاصة الحساب ) . كتبه سنة ١١٨٦ هـ .

٣) شرح خلاصة الحساب . للطف الله المهندس ابن الأستاذ أحمد العمار . أولها : الحمد لله الواحد الفرد الصمد الخ .

٤) شرح خلاصة الحساب بالفارسية . سماه ( موضع الخلاصة ) . وذكر أنه من تلامذة المؤلف . أوله : الحمد لله رب العالمين . . . . .

(١) النسبة الى قرية ( جل ) من كوي سنجنق وهو والد الملا عبد الله الجلي ، وحفيده الملا محمد الجلي وتوفي نحو سنة ١٣٦٥ هـ . والجل لفظة مستعملة عندنا . وتعني أن هذه القرية يوجد فيها الجل فسميت بهذا الاسم .



ونظم خلاصة الحساب عز الدين محمد الحسني سنة ١١١٨ هـ وسماه (نظم الحساب) وأوله :

الحمد لله القديم الواحد حمداً يشق قلب كل حاسد

وقال الناظم في تاريخ النظم سنة ١١١٨ هـ :

بلطف هادي الوري شرحت نظم الحساب

ومستأرخ قال ما اسم الكتاب قلت له هاك نظم الحساب

١١١٨

وشرح هذا النظم (محسن بن محمد طاهر) وكان معاصراً للناظم شرحه في أوائل جمادى الأولى سنة ١١٢٨ هـ كما صرح بذلك . وأوله : الحمد لله الأحد الذي قسم بين عباده ضروب نعمائه . . . وسمى هذا الشرح (رشح السحاب في شرح نظم الحساب) ومن هذا الشرح نسخة في خزانة الآثار ببغداد . وأعتقد أنها النسخة الأصلية .

٣ - بحر الحساب . لم يشتهر اشتهار سابقه . وهذا الكتاب ورد في كتاب الدررمة .

٤ - تشریح الأفلاك . أوله : ربنا ما خلقت هذا باطلاً . . . وهو كتاب مدرسي شائع منتشر . عندي جملة نسخ مخطوطة منه . ولعلمائنا اشتغال عليه بالشرح والتعليق . حل محل الملخص والتذكرة نوعاً وربما تغلب عليها وعلى الفتحية والزبدة .

وعليه حاشية صدر الدين محمد بن الصادق الحسيني سماها ( تفریح الادراك في توضیح تشریح الأفلاك ) . منها نسخة في خزانة برلين ج ٥ ص ١٢٢ . وعليه شروح :

(١) التصريح على التشریح . لإمام الدين لطف الله اللاهوري ثم الدهلوي . ألفه سنة ١١٠٣ هـ - ١٦٩٢ م . طبع في دهلي سنة ١٣١١ هـ . م (٦)

٢) شرح تشریح الأفلاك . للسيد عبد الله الفخري الموصلی كاتب ديوان الانشاء ببغداد المتوفى سنة ١١٨٨ هـ . منه نسخة في خزنة الأوقاف العامة من كتب السيد نعمان خير الدين الألومي .

وعلى هذا الشرح حاشية للشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله السويدي المتوفى سنة ١٢٠٠ هـ . أولها : سبحانك ما أجل صفاتك . . . وأطرى فيها السيد عبد الله الفخري . والظاهر أنها بخطه . لأنها في حالة مسودة . منها نسخة في خزنة الأوقاف العامة بين كتب الألومي .

٥ - الصفيحة في الاسطرلاب . أولها : ارتفعت درجات جبروتك . . . منه نسخة نقلت من خط مؤلفها . في خزنة دار الآثار ببغداد . وعندني نسخة كتبت سنة ١١٠٦ هـ . وعليها :

١) سوانح القرية في شرح الصفيحة ، للسيد عبد الله الفخري المذكور منها نسخة في خزنة الأوقاف العامة ببغداد بخط الأستاذ أبي التناء وأخرى أيضاً .  
٢) رسالة في كيفية العمل بالصفيحة . له في الخزنة المذكورة .

٣) نفس الصفيحة . وهو شرح عليها . تأليف أحمد بن محمد بن خضر البغدادي . قدمه الى الوزير داود باشا . بخط مؤلفه كتب سنة ١٢٣٨ هـ . منه نسخة في خزنة الأوقاف العامة ببغداد بين كتب الأستاذ السيد نعمان خير الدين الألومي .

٦ - رسالة في الاسطرلاب . فارسية . وهذه مختصرة من (بيست باب) للخواجه الطوسي . نقلها الداغستاني الدمشقي الى العربية . ولم يصرح بالنقل كما أن الهاء لم يذكر اختصاره من الخواجه . ولعل الرسالة الفارسية المسماة بـ (تحفة جاتي) كتبها ميرزا حاتم بك اعتماد الدولة الأوردباري وزير الشاه عباس الأول المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ وتشتمل على ٧٠ باباً . وأولها :

وبعد چون درين وقت الخ . منها نسخة في خزنة المجلس .  
وعندي مختصر في الاسطرلاب فارسي . أوله : باب أول در بيان حد

اسطرلاب الخ . كتب سنة ١٠٠٤ هـ وهذه النسخة مؤرخة سنة ١١٠٧ هـ .

٧ - رسالة في نسبة أعظم الجبال الى قطر الأرض .

٨ - رسالة في أن أنوار صائر الكواكب مستفادة من الشمس .

٩ - رسالة في حل اشكالي عطارد والقمر .

١٠ - حواش على الزبدة . للخواجة الطوسي .

١١ - حواش على تشریح الأفلاك .

١٢ - حواش على التذكرة . للخواجة الطوسي .

ذكرنا مؤلفاته وما جرى عليها من شروح وتعليقات لنعلم درجة صلته بعلمائنا

فلم نر من اكتسب مكانته في الأوساط العلمية في أقطار عديدة .

٦ - محمد مؤمن السمناني :

وله رسالة في ( مسائل حسابية ) فرغ من تسويدها ليلة الثلاثاء ٢٢ جمادى

الآخرة سنة ١٠٤٧ هـ وذكر أنه ( محمد مؤمن بن محب علي الصحاف السمناني ) .

قال في مقدمتها : « سأني بعض الأصدقاء أن أكتب لهم مسائل حسابية

في معرفة ما يحتاج اليه المحاسب في بعض أعماله ويعينه على استخراج المحمولات

العددية بطريق الجبر والمقابلة فكتبت هذه الرسالة ... » ١٠ هـ .

٧ - محمد باقر بن زين العابدين اليزدي :

مرّ أنه كتب حاشية على اكرماناولاوس عند الكلام على الخواجة الطوسي ،

وعلق على رسائل أخرى للطوسي . وله أيضاً :

١ - عيون الحساب . أوله : الحمد لله على ما أولانا من ضروب نعمه

المتضاعفة الخ . ومنه نسخة في المجلس .

وكان هذا الأستاذ حياً سنة ١٠٤٧ هـ وكان من مشاهير الرياضيين أيام

عباس الثاني شاه ايران .

٨ - ملا محسن الفيض :

هو محمد بن مرتضى ويعرف بـ ( محسن الفيض ) الكاشاني من تلاميذ الشيخ

البهائي والملا صدرا غلب عليه الغلو في تصوفه بما أخذ من الملا صدرا ، وتأثر بذلك كثيراً ... وله من المؤلفات في التنجيم .

١ - غنية الأنام في معرفة الساعات والأيام . وهذه الرسالة في تعيين الأيام والأوقات وساعات السعد والنحس وما ورد عن الأئمة من أخبار في ذلك . كتبها باللغة العربية . رتبها على مقدمة ومقالتين وخاتمة . أتمّ تأليفها في أوائل ذي القعدة سنة ١٠٢٥ هـ . وأولها : الحمد لله الذي كوّر الليل على النهار وكوّر النهار على الليل ... منها نسخة في خزانة المشهد الرضوي <sup>(١)</sup> .

٢ - تقويم المحسنين . ويحوي ما ورد عن الأئمة من المأثورات في أوقات السعد والنحس . وهذه الرسالة تشتغل على مقدمة وفصل وخاتمة وتكملة ونصيحة . سماها (أحسن التقويم) أيضاً . طبعت في بومبي في مطبعة الاسلام في شعبان سنة ١٣٠٢ هـ <sup>(٢)</sup> .

٣ - معيار الساعات . وهذا قريب من الغنية الا أنه فارسي <sup>(٣)</sup> . توفي سنة ١٠٩١ هـ - ١٦٨٠ م <sup>(٤)</sup> .

٩ - رضي الدين القزويني :

هو رضي الدين محمد بن الحسن القزويني . وترجمته في الفوائد الرضوية . قال : عالم جليل ، وفاضل نبيل ، ومتكلم ماهر ... وعدّه له مؤلفات كثيرة وفي الفلك منها :

١ - قبلة الآفاق <sup>(٥)</sup> . بالفارسية . كتبه في ١٩ ذي القعدة سنة ١٠٩٤ هـ . أوله : اللهم كما وليت نبيك قبلةً يرضاه أنزل عليه وآله من الصلوات أزكاهما ... ينقل أقوال الفقهاء ، ويورد نصوصاً من رسالة (تحقيق جهة القبلة) للشيخ البهاء العاملي .

(١) المشهد الرضوي ج ٥ ص ١٢٥ .

(٢) كذا الرضوي ج ٥ ص ٢٥١ .

(٣) الفوائد الرضوية ج ٢ ص ٦٣٦ .

(٤) ترجمته في الفوائد الرضوية وفي فهرس الخزانة الرضوية في المجلد الرابعم  
وكتب هديدة .

(٥) الفوائد الرضوية ج ٢ ص ٤٦٤ وروضات الجنّات .

١٠ - أحمد بن محمد المهدي :

هو الشريف الخاتون آبادي وله :

١ - رسالة في التقويم . أولها : أحمدك يا من الشمس والقمر ...

ألفها أثناء سفره وحين زيارته مشهد الامام الحسين في كربلاء . فرغ منه في أواخر ربيع الأول سنة ١١٢٦ هـ . عندي مخطوطة منه كتبت في الحرم سنة ١٢٩ هـ .

وهذه المؤلفات صنفة كاشفة عن حالة علم النلك وعلمائه في إيران حتى وفاة نادر شاه سنة ١١٦٠ هـ . وكل ما علمناه مدرسي أو مطروق من آخرين . والتبديل جزئي لم يغير في ماهية العلوم . والرصد وقف عند أولوغ بك بل وقف أو جمد في إيران ، ولم يتكون رصد في هذه الديار ، لتتحقق مقدار التقدم والاصلاح في الأزياج .

والملاحظ أن أرساد الهند كانت عمدة ايران . وعليها يعول الايرانيون . مرة بنا ذكرها في أخلاق أولوغ بك عند ذكر ( زيجه ) . ولم ينقطع علماء ايران من العلاقة بها . وتوجه اتصالنا بالترك العثمانيين أكثر . هذا . في حين أننا نرى الغرب قطع شوطاً في علم البحار والعلوم الفلكية ، واتخذ أرساداً عديدة ومتقنة لتحقيق ما حدث من تحول أو تبديل سواء في الآلات أو في الطريقة الرياضية التي سلكوها . فكان ذلك نتيجة الدوام في خدمة هذا العلم من جراء علاقته في الحياة ...

عباس الزاوي

(بغداد)

يتبع :

## رسالة حي بن يقظان

مع شرحها لابن سينا

نمبر:

بين النوادير التي انفق لي الوقوف عليها في رحلتي الى اكسفورد ، مجموع في مكتبة بودليانا ( عدد ٥٣٤ ، هنت ) يحتوي على بعض كتب ورسائل فلسفية ، منها كتاب النجاة للفيلسوف العظيم أبي علي بن سينا ( المتوفى سنة ٣٧٠ هـ - ٩٨٠ م ) ، وهو أقدم وأجمل خطأ ' كتب في مستهل ذي الحجة سنة ست وستين وأربعمائة <sup>(١)</sup> ، ومنها كتاب المباحثات له <sup>(٢)</sup> ، وبتلوه شرح رسالة حي بن يقظان منسوبا الى الشيخ أيضا ، وهما بخط نسخي عتيق ، لا يختلفان فيما بينهما في شيء من مشاققة الخط وطرادة المداد ، حتى كأنها رضيعا لبان وأثرا قلم وبنان . وإنما يخجلوان من كل نقط وشكل إلا في مواضع يسيرة لا يمتد بها . وقد كتبت نسخة المباحثات في سنة أربع وثلاثين وستمائة <sup>(٣)</sup> . أما الشرح لحي بن يقظان فبقي كالحلو العاطل ولكن مما لا يتطرق اليه أدنى

(١) مخطوط بودليانا ، عدد ٥٣٤ هنت ( Ms Hunt ) ، الورقة ٢٥٦ ب : « تمت الالهيات من كتاب النجاة من كلام الامام الأرحم أبي علي الحسين بن عبد الله ابن سينا رضي الله عنه ، وفرغ من نسخة نصر بن منصور بن عدنان ... عشية ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من مستهل ذي الحجة سنة ست وستين وأربع مائة ، وهو يسأل الله تعالى أحسن الترفيق والمعاقبة في الدنيا والآخرة بتمه وطوله انشاء الله وهو حسبا وزم الوكيل » .

(٢) نفس المباحثات في هذا المجموع أطول وأكمل من النسخة التي نشرها الدكتور عبد الرحمن بدوي في مجموعة « أرسطو عند العرب » ( ص ١١٩ - ٢٤٩ ) ، القاهرة ١٩٤٧ م .

(٣) جاء في الورقة ٨٧ الف من المخطوط هكذا : « تم للمباحثات بحمد الله تعالى وحسن توفيقه في شهر ذي الحجة سنة أربع ( المخطوط : أربعة ) وثلاثين وست مائة » .

رب ان اللاحق يرجع بتاريخه الى السابق بحكم المشابهة الخطية بينهما - وعند  
جبهة الخبر اليقين .

استغرق الشرح نحو ٢٢ ورقة في المجموع ، يتبدى من ورقة ٨٨ ب الى  
ورقة ١١٠ ب ، والمقاس للخط «  $\frac{1}{4}$  »  $\times$  «  $\frac{1}{4}$  » وفي كل صفحة ٢٣ سطرأ ،  
إلا أن الأوتة والأخيرة فبيها ٢١ و ١٦ سطرأ على الترتيب .

وما أنذا أقدم نسخة الشرح من المجموع للقراء والباحثين واثقا انها أم  
ما احتوى عليه المجموع . واشتدت بها عنايتي باعتبارين ، أولاً : إنها منسوبة  
للشيخ الرئيس . وجل ما كنا نعرف عن الشيخ أنه كتب نفس القصة فقط ،  
ثم إن تلميذه الحكيم ابن زبله <sup>(١)</sup> شرحها في تأليف معروف ، وكذا عمل لها  
الفقيه أبو عبيد الجوزجاني <sup>(٢)</sup> شرحاً آخر ، وما سبق لنا علم بأن الشيخ نفسه

(١) كنيته ابو منصور واسمه الحسين بن طاهر بن زيلة (تمة صوان الحكمة  
ص ٩٢ ، ودرة الأخبار ، طبع طهران ص ٥٨ بحواله تاريخ علوم عفتي  
در تمدن اسلامي تا اواسط قرن بنجم ، ج ١ ، تأليف الدكتور ذبيح الله  
صفا ، طبع طهران ١٣٣١) . أو حسين بن محمد بن عمر بن زيلة (أول  
رسالة الكافي في الموسيقى الموجودة في المتحف البريطاني ، راجع جوار مقاله  
ص ٢٥٣ ، كشف الظنون ، طبع المانيا ج ٣ ، عدد ٦١٥ ، ص ٢٩٢) .  
الاصفهاني ، وكان ابن سينا يحاطبه بـ « الشيخ الفاضل » في رسائله :  
« فأما كتاب الاشارات والتبهايات فان النسخة لا تخرج منها إلا مشافهة مواجبة . . . .  
فانه لا يمكن أن يطلع عليها إلا هو والشيخ الفاضل ابو منصور بن زيلة » ،  
أرسطو عند العرب ج ١ ص ٢٤٠ .

(٢) اسمه عبد الواحد كان في الخواص من تلاميذ الشيخ ابن سينا ، شديد الملازمة له ،  
مع ذلك طابوه بقلة البضاعة . ولم ننف عن نسخة شرحه على خبر يذكر  
غير ماورد في كتب التراجم ، راجع تمة صوان الحكمة ص ٩٤ رقم ٥١  
وترجمة التمة بالفارسية ص ٦٧ رقم ٤٩ ، وترجمة كتاب الزهراء الشهرزوري  
بالفارسية ( الورقة ال- ١٨٧ الف ) ، نسخة المجمع الاسبوي كالكتنا ، عدد ٢٧٤ ،  
كثبت في سنة ١٠٣٣ هـ ، وقد عملها مقصود على التبريزي برسم السلطان  
جوانكرادشاه في سنة ١٠١٤ هـ . وانظر ماكتب عن الفزويني في حواشي  
جوار مقالة ، طبعة تذكاري غب (محفوظ للمصومي) . راجع أيضاً ، تاريخ  
علوم عفتي در تمدن اسلامي تا اواسط قرن بنجم ، تأليف الدكتور ذبيح الله  
صفا ، ص ٢٨٩ .

عني بتفسير قصة حي بن يقظان - وثانياً : بما أني وجدت النسخة أحفل وأشمل بالنسبة الى الشرح المعروف المطبوع .

نعم قد خلت قائمة الكتب المنسوبة الى ابن سينا عن شرحه لرسالة حي بن يقظان فلم يذكره واحد من أصحاب التراجم كالبيهقي (م ٥٦٥ - ١١٦٩ م) والقفطي (م ٦٤٦ - ١٢٤٨) وابن خلكان (م ٦٨٠ - ١٢٨٢) وأمثالهم ولا ذكره طاش كبرى زاده (م ٨٩٦٨) ولا الحاج خليفة (م ١٠١٧ - ١٦٠٩) <sup>(١)</sup> . غير أنني لا أتردد في القول بأن النسخة السابق ذكرها هي تأليف للشيخ الرئيس ، ولا عجب ان كان الزمان سحب عليه ذيل النسيان - وعندي على ذلك ما جاء في أول النسخة الخطية نصاً :

« قال الشيخ الرئيس الأوحده الفيلسوف أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، قدس الله لطيفه ولقائه أحسانه » .

وبليه في سطر قوله :

« وبعد فان إصراركم معشر إخواني : على اقتضائي شرح قصة حي بن يقظان هزم لجاحي في الامتناع وحل عقد عزمي في المماطلة والدفاع ، فانتقدت لمساعدتكم وبالله التوفيق » .

وقد جاء هذا الخطاب الآنف على بُعد عن نص القصة فان القصة بتبديء بقوله : « إنه قد تبسرت لي حين مقامي ببلادي برزة برفقائي إلى بعض المنزهات المكتنفة لتلك البقعة » .

وأضف الى ذلك أن عبارات المتن (القصة) كتبها الناسخ في سطور قصيرة بالنسبة الى عبارة الخطاب السابقة الواضحة الدلالة بطرازها وأسلوبها على أنها لا بد أن تكون من الشرح ولا تكاد تندمج في عبارات المتن ، مع أن المتن في كل من نسختي المتحف البريطاني وخزانة لايدن يتبديء بها .

(١) تمة صوان الحكمة ، طبعة محمد شفيق من ٤٧ . أخبار الحكماء ، ليرسك ، ص ٤١٨ و ٤٢١ . وفيات ج ١ ص ٤٢٢ ، طبعم مصر . مفتاح السعادة ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٥ ، طبعة حيدر اباد - الهند . كشف الظنون ج ٣ ص ٣٩٣ .



أما رسالة حنّ بن يقظان فقد طبعت في مصر مراراً ، وقد نشرها محيي الدين صبري مع شرح مختار في مجموعة «جامع البدائع» (ص ٩١ - ١١٣) ١٩١٧٠ .  
وتقدمه ميخائيل بن يحيى المهرلي بنشر الرسالة من باريس مع درسها التحليلي باللغة الفرنسية وتفسيرها المسمى بـ «شرح مختار» تحت عنوان : *Traité mystiques* :  
d'Abu Ali al Hossain ben Abdallah ben Sina ou d'Avicenne.  
لايدين ١٨٨٩٦ م . ولا فرق بين هاتين النسختين المطبوعتين ، والشرح غير معزوّ في كليهما . ولعل المهرلي لم ينسب الشرح لابن زبلة مع أنه منسوب له في نسخة المتحف البريطاني<sup>(١)</sup> لأنه وجد الشرح منسوباً لابن سينا في نسخة بودليانا ، فرأى الاحتياط في عدم نسبة الشرح الى ابن زبلة .

وقد ظهرت بمخطوط ثالث اشرح حنّ بن يقظان ، وهو شرح مختصر منسوب لابن زبلة ، عنوانه هكذا «مختصر في تفسير معاني رسالة حنّ بن يقظان من تعليق ابن زبلة صاحب شرح الشفاء» . راجع ضميمة فهرس المخطوطات الفارسية بمكتبة الجمع الآسيوي ، بغالاه ، كالكتنا ، ج ١ ، ص ٢ و ١٧٥ عدد ٨٧٥ (٣)<sup>(٢)</sup> .  
وعند المعارضة ظهر لي أن هذا الشرح المختصر وأيضاً الشرح المطبوع في الأصل ليقظان من شرح طويل ، فنصّ الشرح المختصر ، وإن كان مختلفاً من الشرح المطبوع يسير ، موجود كاملاً في مخطوط بودليانا ، كما أن نص الشرح المطبوع أيضاً موجود مندرج كاملاً في مخطوط بودليانا . ولا بدع إن كان ابن زبلة اختصر شرح الشيخ بمعنى أنه حذف التفاصيل والأمثلة واقتبس العبارات الضرورية للشيخ فأثبتها في تأليفه ولم يغيرها . فقد كان اختصر هكذا قسم الطبيعيات من كتاب الشفاء أيضاً ، وهكذا اختصر الشيخ نفسه كتاب النجاة من كتاب الشفاء .

(١) راجع فهرس المخطوطات بالمتحف البريطاني :

Cata. Cod. Mss Or. Mus. Br. Vol. ii p. 448 , No. 978 po 16 sq.

(٢) والشرح في المجموع من ورقة ٩٠ ب - ورقة ٩٣ . راجع :

Catalogue of Persian Mss in the Asiatic Society of Bengal, Supplement

I. II p. 87, No. 875 (3).

وأما نسبة الشرح الى الشيخ الرئيس فانه جاء في أول المجموع المحفوظ في بودليانا ، ثبت المحتويات بخط حسن قديم يختلف من خط الرسائل ، وقد ورد في هذا الثبوت ما يلي :

«رسالة حي بن يقظان مع شرحها له ( لابن سينا ) أيضاً» ( ورقة ١ الف )  
ثم جاء في الورقة الثانية منه بخط «التعليق» ما لفظه :  
« وفيه رسالة حي بن يقظان مع شرحها كلاهما لابن سينا »  
فلا يبقى مجال للشك في أن الشرح السابق ذكره تأليف للشيخ الرئيس نفسه .

\* \* \*

كذب ابن سينا قصة حي بن يقظان في قلعة نردوان ( فردجان ) قرب همذان ، وقد حبسه بها تاج الملوك ، حاكم همذان ، وكان اتهم الشيخ بمكاتبته علاء الدولة ، حاكم اصفهان مرراً <sup>(١)</sup> . وقد حازت هذه القصة - مع قصرها - أهمية كبرى في تاريخ الفلسفة في الإسلام . فانها أول قصة أنشئت في الإسلام لإيضاح المطالب الفلسفية . وقد أثبت الشيخ فيها ، كما أثبت في رسالة الطير له أن الأرواح الانسانية لها علاقة خاصة مع العقل الفعال ، ثم بواسطته مع الحضرة الألوهية . والعقل الفعال هو الروح القدس في فلسفة الفارابي وابن سينا وابن باجة وغيرهم من سائر الفلاسفة المسلمين <sup>(٢)</sup> .

بناءً على هذه الفكرة ذهب ابن سينا الى أن العقل الانساني له أن يصل الى حضرة الحق ، فالعقل موهبة من الله تعالى قد أفيضت على الأرواح الانسانية . وقال في تذييره « للملائكة الأرضية » مانعه : « ونعني بالملائكة كل جوه عقل مدرك للعقول ، والملائكة الأرضية هي النفوس الناطقة العاقلة البشرية »

(١) البيهقي : تمة صوان الحكمة ، ص ٥٠ . ابن أبي أصيبعة : طبقات ج ٢ ص ١٩ . القفطي : لبيك ص ٤٢١ .

(٢) السياسة المدنية ص ٣ . تسم النفس من كتاب النجاة ، ترجمة الدكتور فضل الرحمن ، ص ٢٦ بالانكليزية . ابن باجة : مخطوط بودليانا ، بوكك (Pocock) ٢٠٦ عدد ، ورقة ١٣٦ ب . عن نص الشرح ص ٣٣ .

فكان الشيخ فسم الملائكة بين السمائية - أي النفوس التي تسبح بكرةً وعشياً - والأرضية أي النفوس البشرية .

وبمناسبة المقام نقص عليكم ملخص ما تحتويه الرسالة :

« الراوي يخرج مرةً الى منتزهٍ قريبٍ مع رفقائه . فصادف هؤلاء النفس شيخاً في زي الشباب ، فالتفتوا اليه وبدأوه بالتحية . ثم سألوه عن اسمه . فقال الشيخ : اسمه حيّ بن يقظان ، وقد شرح ابن سينا ما كنى عنه بهذا الاسم فقال : « حيّ » ، أراد به ما جبل عليه من العقلية المجردة وصدور ما بعده عنه ، إذ كان معنى الحيّ ما يتعلق بالحس والحركة ، فجعل الحس مشاراً به الى العقلية وجعل الحركة مشاراً بها الى وجود ما بعدها عنه » .

« وابن يقظان ، دلّ بقوله على أن وجوده ليس هو بذاته بل من غيره ، إذ كان وجود الابن بوجهٍ ما عن الأب . وإن ذلك القبر الذي وجوده عنه هو أجلّ حالاً منه . إذ كان أجلّ أحوال الحيّ أن يكون يقظاناً . إذ الحيّ يحتمل أن يكون نائمًا وأن يكون يقظاناً . وحال اليقظة منه أجلّ من حال النوم ، إذ النوم أشبه بالقوة ، واليقظة أشبه بالفعل . فدلّ بذلك على أنه كامل على الاطلاق لا يشوبه ما بالقوة بوجه من الوجوه » .

« وكذلك سألوه عن أحواله فقال : هو مشغوف بسياحة الأقاليم وتطواف الأرضين لتجصيل العلم ، ووجهه الى أبيه الذي هو حيّ ، سبحان من لا ينم ! ثم خاضوا معه في العلوم وسألوه عن علم الفراسة ( وجاء في الشرح : أي علم المنطق ، وسماء علم الفراسة إذ كانت هي معرفة الأمر الخفي الغير المعلوم من أحوال الشيء بتوسط أشياء ظاهرة من أحواله ، كذلك علم المنطق يتوصل به من أشياء ظاهرة هي المقدمات الى أشياء خفية هي المطلوبات والنتائج ) .

فتمجّب الراوي من إصابته فيما أجاب ، ثم جعل الشيخ يصف لهم - مثل

أفلاطون<sup>(١)</sup> - أحوال الخدم مع المخدم والرفقة مع الرئاس وكيف ينبغي أن  
 يدبّر أمرهم بنعامهم على حالة متوسطة بين السلامة والابتلاء .  
 ثم أخبرهم الشيخ عن كل واحد من الأقاليم ووصف لهم الأقاليم الأرضية  
 المادية والسمائية الروحية حتى أقاليم الملائكة . ومال الى وصف أبيهم الذي هو  
 أدنهم منزلة من الملك ، وهو العقل الفعال الذي هو المبدع الأول ، ثم وصف  
 الملك الذي هو أبعدهم مذهباً . ولما ذكر الملك توجه إليه ودعا المخاطب الى  
 الاتباع بقوله : « وإن شئت اتبعني اليه » ، وهنا انتهت الرواية .

\* \* \*

قد انتج الشيخ برسائه هذه ، طريقة مبتكرة في تحرير رموز الفلاسفة على  
 طراز التمثيل الآخذ بأعماق القلوب ، وقد ازداد المتأخرون شغفاً بهذا المنهاج  
 القصصي حتى نرى بعد ما مضى زهاء قرن ونصف على رسالة الشيخ ، ان ابن الطفيل  
 الأندلسي ( م ٥٨١ هـ - ١١٨٥ م ) قد أنشأ قصةً بدبعةً ، يشرح فيها المسائل  
 الفاسفية على منوال الشيخ الرئيس - ويثبت فيها أن رجلاً عاقلاً يمكن له الاهتداء  
 الى الحق الأوحى الصدق بدون وحى ظاهر يأتيه أو مذهب منزل يؤمن به -  
 وكان ابن الطفيل لم يشارك الشيخ في إنشاء الرسالة فقط بل شاركه أيضاً في  
 اختيار الاسم لرسالته ، فقد سماها بقصة حي بن يقظان ؛ ولما جاءت رسالة  
 ابن الطفيل فوق اختها في سهولة البيان وعذوبة اللسان علا قدرها وانتشر ذكرها ،  
 وكانما هي أبرز برسالة ابن سينا المتقدمة . غير أن ابن الطفيل نفسه يعترف  
 علناً بفضيلة الشيخ حيث يقول في أوّل تأليفه انه تصدى فيه لتفسير المطالب  
 الحكيم التي أودعها الشيخ في رسالته ؛ فيها كم نص العبارة للأندلسي<sup>(٢)</sup> :

(١) أفلاطون : فيدروس ،

Phaedrus 246 A B, 247 B, 253 C - 254 E, 255 E - 256 A

(٢) راجع رسالة حي بن يقظان ، طبعة غوثيه ( L. Gauthier ) .

« سألت أبا الأرخ الكريم ! ٠٠٠ أن أبث اليك ما أمكنتني بشه من أمرار الحسكة المشرقية التي ذكرها الشيخ ابو علي بن سينا ٠٠٠ »  
 وليست هذه الكلمات من ابن الطفيل إلا شذوفاً بذكر الشيخ واعترافاً بعلو منزلته .  
 وكان من لمج بطريقة الشيخ الرئيس ، شهاب الدين السمروردي الشهير  
 بالشيخ القتيل<sup>(١)</sup> وله تأليف كثيرة ما عدا حكمة الاشراف ، منها رسالة بامم  
 حي بن يقظان له أيضاً .

والرسائل الثلاث المعلومة بامم حي بن يقظان قد نشر الأستاذ أحمد أمين  
 مجموعها بمناسبة المهرجان الألفي لابن سينا .

وكانت رسالة حي بن يقظان لابن سينا من النصوص المختارة عند المتصوفين  
 أيضاً . فقد اعتمى بتفسيرها الشيخ المقدسي أبو البقاء ، وسمى هذا التفسير بجواهر  
 البيان وجواهر التبيان<sup>(٢)</sup> . وكذا شرحها عبد الرؤوف المناوي الشافعي<sup>(٣)</sup> .  
 وقد كانت رسالة ابن سينا ذائعة الصيت بين الفلاسفة العبرانيين أيضاً ،  
 ولها أثر واضح على أدب اللغة العبرية كما نشاهد ذلك في منظومة «حي بن مقيط»  
 (Khay b. Maqiz) لابن عنزرا<sup>(٤)</sup> اليهودي (م ١١٨٤ م) وكانوا ترجموا

(١) نبذة من أحواله في ملحقات تمة البيهقي (الترجمة الفارسية ص ١١٩ طبعة  
 الدكتور محمد شنيغ) ، وله ترجمة ضافية في كتاب الزهدة للشهرزوري  
 (الترجمة الفارسية للتبريزي ، الورقة ٢٢٠ ب - الورقة ال ٢٣٠) وفيها اسم  
 « أبو الفتح يحيى بن اسركا » وفي نسخة من كتاب الزهدة « يحيى بن أميرك » ،  
 (راجع فهرست الملورددت عدد ١٠٠٥٥) .

(٢) بروكلمان : Geschichte Der Arabischen Litteratur, Suppl. I P.817.

(٣) الشيخ عبد الرؤوف محمد بن تاج العارفين المناوي ، توفي بالقااهرة سنة ٩٥٢ هـ -  
 ١٥٤٥ م . وله شرح القصيدة النسبية لابن سينا المسمى بزهوة الأطباء  
 « مخطوط بودليانا ، رقم مارش ٣٥ ( Bod. MS Marsh 35 ) » . بروكلمان :  
 Geschichte. Vol. II ص ٣٠٦ .

(٤) راجع : Diwan des Abr. ibn Ezra mit Seiner Allegorie Hai b. Makiz ,

herasgeg. von Dr. gac Egers, Berlin, 1886.

الرسالة مع شرحها لابن زبلة باللغة العبرية . وقد نشر البروفيسور دي كافمان هذه الترجمة قديماً في سنة ١٨٨٦ م من برلين . ولكنها كانت كما يقول المهرني<sup>(١)</sup> ، مشحونة بالأغلاط غير مفيدة في تصحيح وإصلاح النص العربي . وفي القرن الثالث عشر الميلادي كتب ابن النفيس المصري ( م ٦٨٧ هـ ) « كتاب فاضل بن ناطق » ، يعارض به رسالة حي بن يقظان للشيخ ، وتصدى ابن النفيس في كتابه الدفاع عن تعاليم الاسلام وعلى الخصوص عن النبوة ، والقوانين الإلهية ، وعن مسئلتني الحشر وحدث العالم ، يوجد مخطوط وحيد من كتابه في مكتبة عاشر افندي باستامبول<sup>(٢)</sup> ، ( رقم ١٤٦٤١ ) .

\* \* \*

هذا ولم يتفق للمهرني أن يعارض نسخة شرحه المختار على مخطوط بودليانا مباشرة ، فكأن بذلك أحد أصدقائه با كسفورد ، فلا عجب ان كان مع اطلاعه على هذه النسخة لم ينتبه لأهميتها وبقيت الحقيقة مستورة عن عيون الباحثين حتى الآن . فلما تبين أنها تشتمل على زيادات غير قليلة وهي أتم نعماً وأدق بالمرام معنى جعلت أنفحص عن نسخ أخرى من هذا الشرح فلم أظفر بأية نسخة ما عدا مخطوط من الشرح المختصر لابن زبلة الموجود في كلكتا ، فكففت بنقله أخي العزيز أبا محفوظ الكريم المعصومي حرسه الله ، فأرسل إلي بالنقل بعد أن عارضه على الأصل . وقد ساعدني هذا المخطوط ( النقل ) الى حد كبير في تصحيح نسخة بودليانا ، كما وجدت فيه عبارات كثيرة سقطت من مخطوط لندن ، وقد نبتت عليها في مواضعها .

وكذلك مخطوط بودليانا سقطت منه عبارة طويلة عن نص القصة وشرحها معاً

(١) انظر حي بن يقظان ، طبعة للمهرني ، ص ٩ ( مقدمة ) .

(٢) راجع مجلة ( Isis ) ، مدير سارتون ( Sarton ) المجلد الـ ٢٣ ، ص ١٠٨ ، بالتيسور ، اميركا .

وهي توجد في الطبعتين وفي مخطوط كالكتنا أيضاً ، فوضعها في محلها تعويلاً على النسخ الثلاث .

وكان المخطوط كثير الأغلاط فعنت باصلاح ما فسد وأفرغت الجهد في تصحيح ما تصحّف . وقد أثبت القراءات المتروكة في الهامش ، واخترت صورة القوسين المحيطة ( ٠٠٠ ) بمبارات المتن تمييزاً لها عن الشرح ، والألفاظ التي ملأت بها الفراغ وضممتها بين العكفين رسمها هكذا < ٠٠٠ > .

جامعة داکة ، الباكستان الشرقية محمد المدعو بصغير حسن المعصومي  
الأستاذ بقسم العلوم العربية والاسلامية

\* \* \*

### شرح الرموز

- ب : مخطوط شرح حي بن يقظان لابن سينا ، بمكتبة بودليانا ، أكسفورد .  
ص : رسالة حي بن يقظان مع شرح مختار ، التي نشرها محيي الدين صبري في مجموع « جامع البدائع » ( ص ٩١ - ١١٣ ) بمصر .  
ك : مخطوط الشرح المختصر لابن زبلة ، بمكتبة المجمع الآسيوي بكالكتنا .  
ل : مخطوط رسالة حي بن يقظان بمكتبة ليدن ، نقلاً عن نسخة المهرفي .  
م : مخطوط الرسالة وشرحها لابن زبلة بمكتبة المتحف البريطاني .  
هـ : رسالة حي بن يقظان مع شرح مختار ، التي نشرها المستشرق المهرفي بباريس سنة ١٨٨٩ ، وقد عارض نسخته على نسخ ليدن ولندن وبودليانا .

\* \* \*

(ورقة ٨٨ ب) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الرئيس الأجل الأوحده ، الفيلسوف أبو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا ، قدس الله لطيفه ولفقاه إحصانه .

وبعد فإن إصرارك معشر<sup>(١)</sup> إخواني على اقتضائي شرح قصة حي بن يقظان هزم لحاجي في الامتناع ، وحل عقد عزمي في الماطلة والدفاع ، فأثقت لمساعدتكم وبالله التوفيق :

(إنه قد تبسرت لي حين<sup>(٢)</sup> مقامي بيلادي برزة برفقائي الى بعض المنتزهات المكتنفة لتلك البقعة) .

قال المفسر : قوله تبسرت ، دليل على أن الأمور كلها متعلقة بتيسير الله تعالى إياها وإنه ما لم يتيسر من الجنية العالية شيء لم يخرج الى الوجود .

وقوله حين مقامي بيلادي : أي وقت إقامتي ، وبلادته بدنه وأعضائه التي هي محل<sup>(٣)</sup> قواه ، ودل بذلك على الوقت الذي كان فيه مباشراً لأحوال البدن ، مقتصرأ عليه لم ينبعث<sup>(٤)</sup> فيه إلى ملاحظة الأمور العقلية .

برزة أي نهضة وانبعاث<sup>(٥)</sup> نحو ما يذكره .

وقوله برفقائي ، يريد بهم قواه التي هي له في البدن ، وأراد ههنا ما يحتاج الى الاستعانة به من حملتها<sup>(٦)</sup> خاصة فيما هو بصدده ، وذلك كالتحويل والوهم وما قبلها<sup>(٧)</sup> من القوى المدركة من الحواس الظاهرة والحس المشترك .

والمنتزهات هي الأمور < البعيدة ><sup>(٨)</sup> عن الأحوال التي كانت فيها من قبل وهي مع ذلك تستلذ تأملها والنظر اليها وفيها ، وهي المتعلقات .

المكتنفة لتلك البقعة : أراد قربها مع ذلك لقوة العقل ومتاخمتها إياها إذ المتعلقات مكتنفة بوجه بقوة .

( يتبع )

(١) ل و م : معاشر . (٢) ك : حال . (٣) ك : حال .

(٤) ك : لم يلبث عنه فيه . (٥) ب : انبعاثا . (٦) م ه و ص : عملتها .

(٧) في سائر النسخ سوى ك : وما قبلها . (٨) غير موجود في ب نقط .



# تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

- ٨ -

٢ - المراكشي :

يتكلم المراكشي - الذي قال صاحب الكشف في مادة ضياء إنه كان حياً في سنة ٨٢٧ هـ - على الإعجاز في كتابه «شرح المصباح» وذكر رأيه السنيوطي فقال : «قال المراكشي في شرح المصباح : (الجهة المعجزة في القرآن تعرف بالتفكير في علم البيان وهو كما اختاره جماعة في تعريفه ما يجتري به عن الخطأ في تأدية المعنى وعن تعقيده ويعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال لأن جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه وإلا لكانت قبل نزوله معجزة ولا مجرد تأليفها وإلا لكان كل تأليف معجزاً ولا إعرابها وإلا لكان كل كلام معرب معجزاً ولا مجرد أسلوبه وإلا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً والأسلوب الطريق ولكان هذان مسيئمة معجزاً ولأن الإعجاز يوجد دونه أي الأسلوب في نحو «فلما استئسوا منه خلصوا نجياً» «فاصدع بما تؤمر» ولا بالصرف عن معارضتهم لأن تعجبهم كان من فصاحته ولأن مسيئمة وابن المقفع والمعري وغيرهم قد تعاطوها فلم يأتوا إلا بما تمجده الأسماع وتنفر منه الطباع ويضحك منه في أحوال تركيبه ومنها - أي بتلك الأحوال - أعجز البلغاء وأخرس الفصحاء فعلى إعجازه دليل إجمالي وهو أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها أخرى ودليل تفصيلي مقدمته التفكير في خواص تركيبه ونتيجة العلم بأنه تنزيل من المحيط بكل شيء علماً» .

فالمرآكشي لا يخرج في رأبه هذا عن رأي صاحب الطراز ويشار كهما في هذا الرأي أكثر المتأخرين إلا أنه بقيد ما بقصد به علم البيان أكثر من صاحب الطراز فهو يخرج فصاحة الألفاظ هنا من حيز الإمعاز بينما يثبتها هذا . والذي يهجه من البيان صحة التأدية والوضوح ومراعاة مقتضى الحال وتحديد الكلام بينما نرى أن مفهوم البلاغة والفصاحة في نظر صاحب الطراز كان أوسع . ونراه يفتي الصرفة التي قال بها الأصهباني إلى جانب البلاغة .

### ٣ - السيوطي :

يطبل السيوطي الكلام على الإمعاز في كتابه الإيقان ( ج ٢ ص ١٩٦ وما بعدها ) ويأخذ أقوال من تقدمه من مصادرها ويضم بعضها إلى بعض دون أن يتعرض لها أو لاكثرها بنقد كافٍ فالصرفة إلى جانب القول بالبلاغة إلى جانب القول بالإخبار عن المغيبات . . . فلا ندري ما يأخذ به منها وما يدع وكأنه لا يرى ضرورة لاكثر من عرضها .

ونرى له رأياً في الإمعاز يعرضه بتفصيل ويستشهد عليه بالآيات والأحاديث وآثار السلف أثناء كلامه عن العلوم المستنبطة من القرآن وهو أن القرآن مصدر لجميع العلوم : دينية وديوية وهنا نراه يتوسع فيما جاء به الغزالي قبله من آراء وأخبار في هذا الشأن وقد رأينا الزركشي يقول بها أيضاً كما رأينا الشاطبي ينكرها أشد الإنكار .

يبدأ السيوطي في الإيقان بنقل كلام ابن العربي في معنى المعجزة والإمعاز ثم كلام العسقلاني ( ٨٥٢ ) في كتابه فتح الباري وهو لا يخرج عن كلام ابن العربي الذي رأيناه آنفاً ثم يورد آيات التهدي وترتيبها بحسب النزول . وترتيبه الذي يذكره بوافق التدرج في التهدي من الأكل إلى الأقل ، وقد رأيناه ، ثم يذكر حال قریش وأقوالهم بعد هذا التهدي وحدث الوليد بن المغيرة حين سمع القرآن ثم قال فيه « إنه سمر بوثر » ثم رأي الجاحظ في المعركة الكلامية

والعملية بين العرب والقرآن ووصفه الموجز لها ثم بتكلم عن التحدي فيه ما هو  
أهو الكلام القديم الذي هو صفة الذات ، فيكون العرب قد كلفوا ما لا يطاق  
وبه وقع عجزهم . ويردّ هذا الرأي لأن ما لا يمكن الوقوف عليه لا يتصور التحدي به ،  
أم هو الدالّ على القديم أي الألفاظ وهو رأي الجمهور الذي يراه السيوطي  
صواباً ثم يذكر رأي النظام في الصرفة ويردّه بما ردّه به سابقوه من النقد  
ثم يذكر أقوالاً عدة يقول إنه لا يعتدّ بها كالقول بأن الكل قادر على  
الإتيان بمثله وإنما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا إليه به والقول  
بأن العجز وقع من معاصري النبي وأما من بعدهم ففي قدرتهم الإتيان بمثله .  
ثم يذكر القول بأن وجه إعجازه ما فيه من الإخبار عن الأمور المستقبلية وأن  
ذلك لم يكن من شأن العرب وقول آخرين بأنه ما تضمنه من الأخبار عن  
قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها والقول بأنه ما تضمنه  
من الإخبار عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله :  
« إذ همت طائفتان منكم أن تنشلا » « ويقولون في أنفسهم لولا بعدنا بنا الله » .  
ثم ينتقل الى ذكر خلاصة رأي القاضي أبي بكر البانلاني في وجه الإعجاز  
ثم قول الإمام نجر الدين الرازي ثم قول الزمكاني ثم ابن عطية ثم حازم القرطاجي  
ثم المراكشي ثم الأصبهاني ثم السكاكي ثم رأي بندار الفارسي كما يرويه أبو حيان  
التوحيدي ثم الخطابي ثم ابن مرفقة ثم الزركشي ثم الرمثاني ثم القاضي عياض  
ويختتم باختلاف العلماء في مقدار المعجز وفي الذين تحداهم القرآن أم الإنس فقط  
أم الإنس والجن أم الإنس والجن والملائكة وبذكر قولاً مطولاً للغزالي في معنى  
قوله تعالى : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » ، ومنه  
قول الغزالي بأن القرآن مسوق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق الى الله تعالى  
وصرفهم عن الدنيا الى الدين ثم يذكر السيوطي في آخر فصل الإعجاز ما بين  
جمال ألفاظ القرآن فيورد ألفاظاً في القرآن خفيفة على النطق ، موسيقية في

السمع ، ويقارنها مع مرادفاتهما في اللغة لبيان حسن الانتقاء في ألفاظ القرآن وهي ملاحظة موسيقية بحسب تقدر له وتذكرنا بكلام ابن الأثير في المثل السائر على بعض طرق القرآن في تجميل الألفاظ حينما يقارن بين استعمال المنهجي لكلمة تؤذي في شعره وبين استعمال القرآن والحديث لها الى جانب غيرها من الكلمات .

\* \* \*

### القرن الثالث عشر

أخطى بعد السيوطي سنين طويلة ساد فيها الجور والجهل في ظل الحكم التركي لأصل الى الأومسي (١٢٢٠) .

#### الألومي :

يتكلم الألومي في مقدمة تفسيره أثناء تفسير آيات التحدي على الإعجاز فيذكر في المقدمة وجوه الإعجاز التي قال بها العلماء من إعجاز في الأسلوب وفي النظم من حيث المقاطع والفواصل ومن إعجاز بالبلاغة والفصاحة والإخبار عن الغيب والصرفة والكلام القديم ويذكر حجج أصحابها والردود الناقضة لها بما لا يخرج عما ذكر في الطراز ثم يذكر رأي علي الآمدي وهو أن الإعجاز بحسب القرآن وبالنظر الى قسّمه وبلاغته وإخباره عن الغيب ثم يقدم رأيه الخاص في الإعجاز وهو « أن القرآن بحسبته وأبماضه حتى أقصر سورة منه معجز بالنظر الى نظمته وبلاغته وإخباره عن الغيب وموافقته لفضية العقل ودقيق المعنى وقد يظهر كلها في آية وقد يستتر البعض كالأخبار عن الغيب ولا ضير ولا عيب فما بقي كاف وفي الغرض واف » .

ويدل على رأيه بما ذكره السيوطي من أقوال العلماء الذين أخذوا بهذا الرأي وهو ينقل ما ذكره السيوطي بالحرف تقريباً . ويتم كلامه في المقدمة بأن المشهور عند الناس أن إعجازه في نظمته وبلاغته لأن التفاوت فيها واضح جداً ثم يورد

الحجة على أن الإخبار بالغيب والموافقة لقضية العقل ودقيق المعنى يمكن أن يعبر عنها بلغة القرآن وغيره فليس في ذلك إعجاز - « فاللغة العبرية عبرت عن نفس المعاني مثلاً » - فيكون رأيه النهائي إذن في المقدمة أن إعجاز القرآن في نظمه وبلاغته قبل ما عداهما وأضعف الآراء عنده الصرفة .

ورأيه فيما عدا الصرفة ينطبق كل الانطباق على رأي الأصبهاني في تفسيره إلا أن الأصبهاني جمع بين الصرفة والقول بالنظم والبلاغة وهما تقيضات وقد سلم قول الألومي من تناقضها .

وفيما عدا المقدمة بتكلم الألومي على أمور تتعلق بالإعجاز عند تفسيره آيات التهدي فيقول في تفسير آية « فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » في سورة الطور إن قريباً كانت تدعى أهل الأحلام ويقرّ لها بالفضل في العقل وبورد قول الجاحظ في هذا وهو يرفض هذه الحمزة لقريش لأنهم في ردّهم على النبي وقعوا في التناقض فقالوا كاهن وشاعر وذلك منه ينطلب العقل وقالوا مجنون وهو قول يناقض الأول وبذكر في تفسير آية : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن الخ » في سورة الإسراء أن تحدي القرآن لم إنّما جاء لأنهم ادّعوا أن في استطاعتهم أن يأتوا بمثل ما جاء به النبي ولأنهم طلبوا منه معجزات حسية كمعجزات غيره من الأنبياء ثم يقول إن التحدي بعشر سور وقع قبل التحدي بسورة وذلك أثناء تفسيره آية « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات الخ » في سورة هود وهنا نراه يرد على القول المنسوب إلى ابن عباس وهو أن التحدي كان بعشر سور معينة هي العشر الأولى من ترتيب القرآن الحالي فينتبه بأن سورة هود مكية فكيف تحيل العرب على معارضة عشر سور مدنية لم تنزل بعد ثم يذكر ترتيب التحدي في نظر ابن عطية والمبرد وقد ذكرته قبل في الكلام على ترتيب آيات التحدي وخبر ابن الضريس عن ابن عباس القائل بأن التحدي وقع أولاً بسورة مثل القرآن في البلاغة والاشتمال على المغيبات

والأحكام وما شاكلها فلما عجزوا بتحدهم بعشر صور مثله في النظم وإن لم تشمل على ما اشتمل عليه وقال إن هذا الرأي ضعفه صاحب الكشف لأنه لا يطرد في كل سور القرآن ولأن السورة ولو كانت متقدمة النزول إلا أنها لما نزلت على التدرج جاز أن تتأخر تلك الآية عن هذه ولا بنا في تقدم السورة على السورة ثم بذكر تأييد الشهاب لرأي المبرد .

ويقول في تفسير آية التهدي في سورة البقرة « وإن كنتم في ريب مما نزلنا الخ » مامناه أن إعجاز القرآن حجة لرسالة النبي وما عدا ذلك من الآراء خطأ فهو يقول : « بعد أن قرّر أمر التوحيد عقّب بإثبات رسالة النبي من حيث إعجاز القرآن وفي التعقيب إشارة الى الرد على التعليلية الذين جعلوا معرفة الله تعالى مستفادة من معرفة الرسول والحشوية القائلين بعدم حصول معرفته سبحانه إلا من القرآن والأخبار » . وهنا نرى مذهبه الإشاري في التفسير وقوله الضمني بإعجاز القرآن العلمي الغيبي وإلا فكيف يرد القرآن على فرقتين عن طريق الإشارة أو عن طريق التصريح ولم تكونا قد وجدنا حين نزوله ثم نرى أن هاتين الفرقتين تعاكسان رأي السنة في أن إعجاز القرآن حجة الرسالة لا العكس .

\* \* \*

### القرن الرابع عشر

#### ١ - النزعة العلمية :

نلاحظ بعد زمن الأومى قوة النزعة العلمية في تعليل إعجاز القرآن فقد رأينا كيف قال بها الغزالي وحاولها الفخر الرازي في تفسيره وقال بها السيوطي ولكنها لم تشتد أبداً اشتدادها في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين وأترك الكلام لأستاذي أمين الحلوي ليتحدث عنها قال ( التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم ، الحلوي ص ٢٠ ) : « واستقرت هذه النزعة

في التفسير العلمي وأصبحت فيما يبدو وجهاً من تعليل إعجاز القرآن أو ييات صلاحية الإسلام للحياة وإذا كان هذا التفسير قد ظهر في مثل محاولة الفخر الرازي ضمن تفسير القرآن فقد وجدت بعد ذلك كتب مستقلة في استخراج العلوم من القرآن وتنبع الآيات الخاصة بمختلف العلوم وراجت هذه الفكرة في العصر المتأخر فترى كتاب ( كشف الأسمرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية ) لمحمد بن أحمد الاسكندراني الطيب من أهل القرن الثالث عشر الهجري وكتاب ( تبيان الأسمرار الربانية في النبات والمعادن والخواص الحيوانية ) له أيضاً وقد طبع الأول في القاهرة سنة ١٢٩٧ هـ والثاني في الشام سنة ١٣٠٠ هـ ورسالة فكري باشا وزير المعارف المصرية سابقاً في مقارنة بعض مباحث الهيئة بالوارد في النصوص الشرعية ( طبعت بالقاهرة سنة ١٣١٥ هـ ) .

ونحاز الى الفكرة من رجال الاصلاح الاسلامي السيد عبد الرحمن الكواكبي فاستخرج من القرآن مكتشفات حديثة يقول إنه ورد النصريح أو التلميح بها في القرآن منذ ثلاثة عشر قرناً وبقيت خافية لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن . وتعرض الأديب المصري مصطفى صادق الرافعي لها في كتابه ( إعجاز القرآن ) وهو يجنح الى احنواء القرآن على جمل العلوم وأصولها إذ ينقل كلمة السيوطي في الاتقان حول أخذ الباحثين علومهم منه ويعلق على استخراج علم المواقيت من القرآن فيقول : « وإذا أطلق حساب الجمل في كلمات القرآن كشف منه كل عجائب العصور وتواريحها وأسرارها ولولا أن هذا خارج عن غرض الكتاب لجئنا منه بأشياء كثيرة من القديم والحديث » ( ص ١٥١ من إعجاز القرآن ) . ويشير الرافعي الى استخراج محدثات الاختراع وغوامض علوم الطبيعة من القرآن ؛ وأكثر من جمع في هذا وأطال المرحوم الشيخ طنطاوي جوهرى في تفسيره ؛ وما يتصل بهذا من قرب ماظهر من مؤلفات علمية عني أصحابها عناية خاصة

بهذا الجانب وتوخوا هذا التطبيق كحاضرات المرحوم الأستاذ محمد توفيق صدقي في سنن الكائنات وما أشبهها .

وترجع هذه الفورة في التفسير العلمي الى رد الفعل الذي أحدثه الاتصال بأوروبا وامتزاج الثقافة العربية الإسلامية التي كانت نائمة بالثقافة الأوروبية الناصجة وما بهر العلماء من علوم ومخترعات حديثة فحاولوا أن يرجعوا الى تراثهم الاسلامي العربي يستنبطون منه أصول هذه العلوم وخشوا إذا هم لم يفعلوا أن يبدو القرآن ضئيلاً في أعين متبعيه وأنصاره وأن تنزعزع العقيدة فيه من قلوب الناس أمام ما يرونه من معالم المدنية الحديثة فحاولوا أن يبينوا أن القرآن احتوى هذه العلوم وأشار الى هذه المخترعات قبل أن يعرفها أهلها أنفسهم بثلاثة عشر قرناً واستفادوا في هذه الناحية من الكلمات والجل التي يمكن أن تتحمل تأويلات واسعة وما في طبيعتها من إمكان اتساع الخيال .

## ٢ - الشيخ محمد عبده :

وللإمام المصلح الشيخ محمد عبده ( ١٩٠٥ ) كلام في الإعجاز أوردته في كتابه « رسالة التوحيد » ( ص ٩٦ ط بيروت ) وهو يرى أن القرآن معجز من عند الله لأنه صدر عن نبيٍ أميٍ ولأنه يخبر عن الغيب ولتقاصر القوى البشرية دون مكائنه فيقول إنه اذا اعترض معترض بأن العجز حجة على من معجز لا على غيره من الناس فقد يجرد هؤلاء الى إبطاله أقرب سبيل ، رُدَّ عليه بأن العجز هنا هو غير العجز في حالة إخمام الدليل فإن إعجاز القرآن برهن على أمر واقعي وهو تقاصر القوى البشرية دون مكائنه . وإعجاز القرآن يقوم عنده على بلاغته وليس في رأيه جديد وما هو إلا اختصار لرأي الباقلاني .

نعيم الحمصي

( يتبع )



## التعريف والنقد

### محاضرات المجمع العلمي العربي

(الجزء الثاني)

أذكر أن المحاضرات لما شرع فيها مجتمعا من أوّل نشأته كانت الغاية منها تثقيف الجماهير من الناس ، وقد كانت هذه الجماهير شديدة الميل الى الاطلاع والمعرفة فكانت قاعة المحاضرات تفيض في كل أسبوع بجاعات المستمعين من شباب وكهول وقد كانت موضوعات المحاضرات مناسبة لأذهان المستمعين لا ترتفع عن مقدرة هذه الأذهان ولا أنسى موضوع محاضرة من المحاضرات فقد كان هذا الموضوع : فوائد المطالعة ولتصور القاري موضوعاً مثل هذا يلقى في قاعة مجمع علمي ولكن الحالة الفكرية العامة كانت من أربع وثلاثين سنة تستوجب مثل هذه البساطة واستمرت محاضرات المجمع العلمي حيناً من الدهر لا بأس به وقد جرى مرة بيّني وبين أستاذنا الرئيس فعمده الله برحمته حديث في هذا الشأن فقد كان كثير الرغبة في تثقيف الناس ، قلت له : ان المجمع العلمي ليست الغاية منه هذا التثقيف فان للتربية والتعليم قواعد حديثة تقرّب العلم من عقول النشء ومحاضرات المجمع العلمي جعلت للخاصة وللخاصة الخاصة فلا يحسن أن يلقى في المجمع في السنة أكثر من محاضرة أو محاضرتين إلا أن الزمن هو الذي يفعل فعله في معظم الأحيان فقد أخذ عدد المستمعين يقل حتى انقطع الناس عن المجيء الى قاعة المحاضرات ووقفت محاضرات المجمع العلمي العربي وانصرف المجمع حينئذ الى خصائص أعماله .

وكيف كانت الحال فقد بقي من تلك المحاضرات ميراث فكري ذو شأن

وهذا الجزء الثاني من هذا الميراث وفيه موضوعات جلييلة تدل على عظم أمره  
 وإذا كنت لا أحتاج إلى التخصيص فإن محاضرات مجمعنا على وجه عام تشتمل  
 على موضوعات عالجاها أصحاب الاختصاص ولا يسهل على كل واحد منا الخوض  
 فيها وهذه الموضوعات متباينة الآفاق فيها شيء من التاريخ والأدب والعلم والتراجم  
 والنن كتبها رجال المجمع وهي على كل حال تصلح لأن تكون مرجعاً  
 من المراجع .



### مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي

شكري فيصل

هذه هي الرسالة التي قدمها الدكتور شكري فيصل لأكاديمية الآداب في جامعة  
 فؤاد الأول للحصول على درجة «الماجستير» وفي التصدير الذي صدر به المؤلف  
 رسالته يقف القارئ على مخالفة الأستاذ المشرف عليها لرأي صاحبها ويظهر أنه  
 كان عتيقاً في هذه المخالفة ولكنني أعتقد أن بين الأستاذ وبين طلابه صلة  
 روحية فقد يخالف الطالب آراء أستاذه وقد يخالف الأستاذ آراء طلابه وفي  
 هذين النوعين من المخالفة طرز من حربة الرأي وينبغي أن تنبت هذه الحربة  
 قبل كل شيء في الجامعة حتى تنمو بعد الجامعة في حياة الأمة كلها وحتى تذوق  
 هذه الأمة لذة الحربة .

لا بد للقارئ من تتبع قراءة الرسالة حتى يتحقق عنده ما فهم صاحبها من  
 أنها كل متكامل بفضي بعضه إلى بعض ويتم بعضه بعضاً ولكن على الرغم من  
 رغبة المؤلف في نظرتة إلى رسالته من هذه الناحية ، ناحية وحدتها المتكاملة  
 لا مندوحة لي عن الإشارة إلى أقسامها حتى يكون له رأي عام في هذه الأقسام  
 والفصول التي شاع فيها تمحق في الدراسة وجهد في الاستقصاء واستقلال في الرأي .  
 اشتمت الرسالة على ثمانية أقسام حسي ذكرها في هذا المقام وهي : النظرية

المدرسية وفي سبيل نظرية جديدة ونظرية الفنون الأدبية ونظرية الجنس ونظرية الثقافات ونظرية المذاهب الفنية والنظرية الإقليمية ومنهج جديد ، وقد بين المؤلف في كل مذهب من هذه المذاهب ما يقوم عليه ثم رده ووضّح وجوه رده على اني أرى أن أكثر هذه المذاهب يدخل بعضها في بعض فكيف يستطيع الناقد مثلاً إذا مرّ بنص لابن المقفع يظهر عليه أثر فارسي دون الإشارة الى هذا الأثر أم كيف يستطيع أن يمرّ بنص للمتنبي يستفيض فيه أثر بدوي دون التفسير لهذا الأثر فأكثر مناهج الدراسة الأدبية في أدبنا لا يستغني بعضها عن بعض .

أما المنهج الجديد الذي يدعو اليه الدكتور شكري فيصل فسبيله قسمة الشعراء والأدباء قسمة مدارس ومذاهب لا قسمة عصور وفنون وأقاليم ومن جملة الغايات التي توخاها في نهجه الجديد فهم الأدب بمعناه العام وإقامة الدراسة الأدبية على هذا الفهم لأسباب كثيرة أولها مجاوزة الأدب اللفظي الذي خمدت فيه القوالب والمزاوجة بين الأدب والفكر حتى يضمن للدراسة الأدبية المتعة والفائدة ويضمن للدارسين اللذة والثقافة .

أرجو أن أكون قد تمكنت في هذا العرض الوجيز من التعريف بمحتويات مناهج الدراسة الادبية في الأدب العربي ، واذا كنت ارى أن أكثر هذه المناهج متشابكة متداخلة فاني أرى من جهة ثانية أن دراسة الأدب قائمة على دراسة النص نفسه سواء أكان هذا النص شعراً أم كان هذا النص نثراً ، قد يجوز أن يكون للأدب العربي تاريخ تعرف به أوائله وأطواره وانقلاباته والمؤثرات فيه وما شابه ذلك ولكن الذين يعنون بهذه الأمور كلها لا يفتنون على ما اعتقد عن واجب فهم النص والإلمام بطواهيره وبواطنه والوقوف على أسراره وخصائصه وانتي أجد في هذا النحو من دراسة النص ضبطاً لمنطق التفكير وتفاعلاً الى باطن صاحبه بحيث ينكشف مزاجه الهادي أو الثائر وطبعه الرقيق أو الغظ

وروحه الناعمة أو الخشنة فالنص يعين على فهم روح صاحبه أكثر من ترجمته نفسها وقد يجوز أن يكون الأمران متلازمين يتم بعضها بعضاً فإذا كان الطالب لا يهتدي الى هذه الأمرار التي ذكرتها في دراسة الأدبية ولا يذوق لذتها أو ينعم بروعتها فما فائدته من كثرة المناهج وإني أظن أن المنهج الذي يفضي بالطالب الى فهم النص على حقيقته إنما هو المنهج القومي ولما بنى الدكتور شكري فيصل منهجه الجديد على فهم الأدب بمعناه العام قد أدرك هذه الحقيقة الإدراك كله وهذا ما يجعلني أقدر مجهوده وبجته وتدقيقه حتى القدر .

### الفلسطينيات

#### سليمان ظاهر

هذه فصائد أفصح فيها سليمان ظاهر عن عطف كرم على فلسطين وإذا لم تستثر نكبة فلسطين قرائح شعراء العرب فلست أدري أية نكبة تستثير هذه القرائح وقدبما أشار التاريخ الى مصيبة الأندلس ووصف الشعراء هذه المصيبة ولكننا لم ندرك فدحها الإدراك كله إلا لما شهدنا في هذا العصر نكبة فلسطين ، وإذا تعرضت لهذه الفكرة في مثل هذا المقام فلم أتعرض لها إلا لصلتها بالشعر الذي أتكلم عليه فقد جعل الشعر في المصائب القومية لاستثارة العزائم حتى لا تنام هذه العزائم عن حقوقها ولكنني أستحسن في كارثة مثل كارثة فلسطين أن لا يقتصر الشاعر على التنديد بالعدو الذي اغتصب حقاً ميبناً وإنما يلزمه أن يتدب بالذين تهادنوا بقضية فلسطين اتقياداً الى المطامع والآهواء والتزعات ، أما الدفاع عن فلسطين باللغة الشعرية وحدها فهو لا يعيد إلينا حقاً مضاعفاً وإنما غاية اللغة الشعرية في مثل هذه الحال أن تحرك الهمم النائمة وإذا كان من الصواب أن يشير الشاعر الى أخلاق اليهود من عهد موسى كالسكر والحيلة والشر والحمازي وغير ذلك فمن الصواب أيضاً أن يشير في الوقت نفسه الى تقصير العرب في

الدفاع عن فلسطين فالرندي في رثاء الأندلس لم يقتصر على تصوير المصيبة وحدها وإنما ندد بالذين ناموا عن نصرة المسلمين :

ياراكيبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال سبق عقبان

وراتعين وراء البحر في دعة لهم بأوطانهم عز وسلطان

ونحن أيضاً في نكبة فلسطين نجد كثيراً من الراتعين في دعة لا يهتمون بقضية فلسطين إلا بالسنتهم أما قلوبهم فأنما في شغل شاغل عنها فلا بأس بأن يشير الشعراء الذين يبكون على فلسطين الى هذه الفئة .

وفي كل حال ان صاحب الفلطينيات سليمان ظاهر قد قام بواجبه فقد هنأته النكبة فأفرغ نتائج هذه الهزة في شعر كريم .



### لبلى العفيفة

#### عادل الغضبان

- اقرأ - دار المعارف بمصر

إذا كانت للروايات قواعد حديثة وضعها هذا العصر ، عصر التحليل والتركيب فان رأس خصائص الروايات في معتدي مهارة أصحابها في حبس خواطر القراء من أول الرواية الى آخرها فان الروائي الذي يستطيع أن يجعل تنبه القارئ معلقاً بتتابع حوادث روايته من المبتدأ الى المنتهى إنما هو الروائي البارع .

ولقد شعرت وأنا أقرأ رواية : لبلى العفيفة بكثير من تعلق الذهن بحوادثها فكنت في كل فصل من الفصول وفي كل حادثة من حوادث عقدها أسأل هذا السؤال : ماذا يجري بعد هذا الفصل ، أو بعد هذه الحادثة وهو السؤال هو الذي جعلني أذوق لذة الرواية .

خطب لبلى بنت الكيز ابن عمها البراق فلم يوافق أبوها على هذا الزواج ثم خطبها ملك اليمن وغمر أباهما بالتحف والمكارم فرفض الكيز بالزواج ، ولكن لبلى

علفت بابن عمها وعلق ابن عمها بها من الصغر فتنازع ليلى عاملات : الوفاء لابن عمها والالتقياد الى أبيها فغلب عليها الالتقياد الى مشيئة أبيها وبقي قلبها مع ابن عمها ، وبينما أهلها ورسول ملك اليمن سائرون بها الى اليمن إذ خطبها فرسان وذهبوا بها الى ملك فارس لتكون في جواربه ، فكان من حسن حظها أن الملك لم يبين بها وإنما جعلها في قصر خاص وأمر بأكرامها إلا أنها عذبت في هذا القصر أشد تعذيب وراودها كاهن المملكة عن نفسها فنجت من ضرارته ثم علم ابن عمها بأمرها فأنتقدها من الأمر وعاد بها الى أهلها وكان أبوها الكبير قد وعد البراق أن يزوجه إياها تكفيراً عن سيئاته فزفت ليلى الى ابن عمها وانتهت هذه الحياة التي ملئت بأساً ووحشة وقلقاً وعذاباً وخوفاً بسعادة فيها كثير من الأمل والأنس والسكينة والراحة والأمن .

هذه خلاصة ليلى العفيفة بوجه التقريب ليس في هذه الرواية شيء من التعقيد إنها بسيطة وبساطتها تشبه حياة البادية التي جرت فيها ، فما مثل حب ليلى إلا كمثل حب البادية النبي الطاهر ، أما المرأة في عصرنا فان ههنا الحصول على العقود والأساور والخواتم والقروط والسيارات والتتبع بالسهرات والسفريات وسواها أطلق قلبها بزوجها أم لم يعلق إن الزواج في نظرها إنما هو سبيل إلى إرضاء نفسها من حيث المطاعم لا غاية الى سعادة بيتها .

فالرواية بسيطة في موضوعها ، بسيطة في مغامراتها ، مغامرات حب البادية التي بلازمها الغزو والكر والفر وما شابه ذلك ، بسيطة في أكثر نزعاتها وأفكارها وأخلاقها وطبائعها ولقد ظهر هذا النوع من البساطة في موطن من مواطنها من أبلغ المواطنين وهو المقطع الذي آثرت فيه ليلى حربة البادية على سجن القصور . ولقد تجلّى مثل هذه البساطة في معتقدات بعض أبطالها كسؤال الآبار عن الأحياء أو كاعتقاد أن شجر الخلاف سبيل القطيعة ورمز الهجرة أو كالطير من الكلب الأبر ، راعي الأستاذ عادل الغضبان هذه الأمور كلها حتى

لا تخرج روايته البارة عن حدّ الإمكان وكما ظهرت مهارته في هذه المراجعة فقد ظهرت أيضاً في تصوير طائفة من حالات النفس في قلقها مرةً وفي استقرارها مرةً ، في فرحها حيناً وفي حزنها حيناً ، وهذا ما تفتقر إليه الروايات ، لابل هذا دم الرواية وروحها .

والى هذه البراعة في تركيز الرواية وترتيب حوادثها وتدرج هذه الحوادث تضاف البراعة في لغتها وفنها فان الأستاذ عادل الغضبان لم يغفل عن ألفاظ البادية التي تمثل ما كلفها كالبريك والبسيطة والسخينة أو تمثل ملابس ملوك الحضرة كالديباج المعصب بالذهب أو الأردية المخططة بسهام الفضة أو الدهقس والحريز أو تمثل نباتها كالشيخ والقيصوم والعرار .

وإذا كان من خصائص الوصف لجوء الكاتب الى الوضوح أي الى استعمال الألفاظ الخاصة بصفة من الصفات فقد نجد في رواية الأستاذ الغضبان الشيء الكثير من هذا الطراز مثل عقص الشعر وثغاء الغنم وغير ذلك وقد تغلب على الأستاذ صاحب ليلي العفيفة نزعة الرومانطيقية في بعض المواطن فتبعد به عن لغة البادية كاستعمال بسمة الفجر وذهب الأصيل المصريح بجراحات الأبطال الى غير ذلك من اللغة الشعرية التي هي ألصق بقصور الحضارة ولكن سرعان ما يرجع به ذوقه الى الخيال المصقول كتشبيه الحياة الجافة بالهشيم والحياة الكالحة بالظلام والحياة الكدرة بالماء الأسن وقد يهديه هذا الذوق السليم في كثير من الأحيان الى طائفة من الألفاظ تغنيه عن كل تشبيه كقوله : بتايسون على ظهور الإبل فان هذا الفعل صورة شعرية بنفسه أو الى مطابقة الصفات للموصوفات وهذا ما لا يهتدي اليه كثير من الكتاب والشعراء فان أكثر صفاتهم التي يستعملونها في كتابتهم وشعرهم عامة تطلق على كل موصوف لا على موصوف بعينه .

وإذا شاء القارئ أن ينعم بطائفة من المقاطع التي تجت فيها البلاغة فلينعم بالمقطع الذي خلت فيه ليل العنيفة إلى رهبها في غمرة عذابها وبأسها بعد أن نجت من الكاهن الضاري ، على أن اتقان هذه الرواية قد يقطع على القارئ سبيل الفطنة إلى محاسن اللغة والفن فيها فإن تركيز حوادثها واتقان لغتها قد مشيا جنباً إلى جنب فيكاد القارئ يمار في الإعجاب بإتقان الرواية وإتقان لغتها وفنها في وقت واحد فيفرغ من القراءة ونصب ذهنه صورة هذين الاتقانيين .

شفيق جبري

\*\*\*\*\*

### الشاعر القروي

هو رشيد بن سليم الخوري البرباري <sup>(١)</sup> الكسرواني اللبناني العربي القومي .  
 يصور نفسه في مقدمة ديوانه فيقول في « شعوره الوطني » : « أمي أنا مكترأ ووطني أنا مكترأ ، إذا اقتطع ذئاب الاستعمار منه قطعة فكأنما أكلوا جارحة من جوارحي ، وإذا هدروا عربياً في لبنان أو تطوان ، فكأنما شربوا نغمة من دمي . وكان كل بلد قوي من بلادي ، ساعدي مفتولاً . وكل شعب حامل فيها ، زندي مشلولاً . بل ما أعد نفسي إلا خلية في جوف أمي ، أنا واحد من سبعين مليوناً من العرب ، كل واحد منهم أنا . فينبغي أن أحبهم سبعين مليون ضعف حيي لنفسي . من افتداهم فكأنما أحياني سبعين مليون مرة ، ومن خانهم فكأنما قتلتني مثلها . ولذا تراني أصب جامات غضبي على الظالمين وصنائع الظالمين والصابرين على الظلم ، بعنف من يدرأ الموت والعار لا عن نفسه فحسب ، بل عن سبعين مليون نفس كنفسه محشورة فيه : وعلى قدر الشعور يكون الألم . ومن فقد الغيرة أنكر الغضب ، وما استكثر اللعنة إلا من استقل الخيانة . وما يامر السفاحين ، إلا من استهان بدماء قومه ، فحسبها ماء كدمه » .

(١) نسبة إلى البربرة وهي قرية من أعمال قضاء كسروان .



وفيها يقول : « ولعمري أبة قيمة وأي سرور وأي فال يجد المتبحرون بانسانيتهم المتخدره ، في عالم لاحرية ولا حق ولا عدالة فيه ؟ واثن زعموا أن الانسانية أولى بالتقديم ، فليورثوها أموالهم من دون أبنائهم - إن كانوا صادقين ! » . ثم يقول : « ويقولون فشات العروبة . قولوا : بل عوّقت عن النصر الى حين ، ثم كان المؤتمرون هم الفاشلين . من سار على نور العروبة لم يضل ، ومن عمل بوحيتها لم يضر » .

إلى أن يقول في « لغة العروبة » : « هي هذه اللغة الخصبه الخلاقة المطواع ، لغة أهل الجنة ، اللغة التي اتسعت لرسالة الرحمان ، اللغة التي بلغت فصحاها ألسنة أفضاذا الأدب العربي ، وألفت بين قلوبهم في كل قطر مبحق ، والتي يتناشد ألمانها بالابل الشعر من الخليج الفارسي ( وحبذا لو قال : الخليج العربي كما هو في الواقع ) الى المغرب الأقصى ، الى كل معترب قذيف . فتتجاوب قلوبهم أصداءها ، وتعلو على كل صوت شعوبي تكبير . بها التفاهم ، وبها الألفة ، وبها الوحدة . فيها القوة ، فالهيبه ، فالسلم ، فالنعيم المقيم . كل عادل الى العامية عنها مبشر بها دونها ، إنما هو كافر بكم وبها أيها العرب ! دساس عليها وعليكم ، كأند لها ولكم ، عامل على قتلها وقتلكم . ففعلّحوا القرآن والحديث ونبهج البلاغة في كل مدارسكم وجامعاتكم ، لتقوم بالفصحى ألسنتكم وتتقوى ملكاتكم ، ويعلو بفسحكم ، وتزخر صدوركم بالحكمة ، وتشرق طروسكم بساخر البيان » .

\* \* \*

هذا هو الشاعر القروي ، الذي أخرج ديوانه في قرابة الف صفحة ، جيد الورق والطبع ، حسن الترتيب والتبويب . يضم سبعة دواوين هي « البواكير » و « الأعاصير » و « الزمام » و « المحافل والمجالس » و « زوايا الشباب » و « الموجات القصيرة » ثم « الأزهير » . وشاعر هذه نزعة القومية ، وهذه روحه العربية ، أنراه يقول غير ما قاله شاعرنا :

م (٨)

اقرأ قصيدته في عيد الأضحى :

نحن والإسلام في الأضحى سواء  
 بمصائبكم تربي أخاها  
 قد تقاسمتنا الضحايا بالسوبه  
 مثلما تبكي أخاها الخازنيه  
 عدلوا المعنى قليلاً بلتشم  
 إن بـ (المعظمة<sup>(١)</sup>) أعلى مثل  
 للفدى نفسه النفس الأبيه  
 مستريحاً في ظلال الأبدية  
 بامعياً مجدنا الضائع نم

وله في عيد استقلال لبنان :

تروي بدجلة مدمعي وفراته  
 حسب الحزين عليك أنك مائت  
 باموطناً لم يبق غير رفاته  
 قد عيئت أحبابه لماته  
 شقوا له الأعلام من أكنانه  
 أعلام إذلال كأن خفوتها  
 في جوه لطم على وجناته  
 تذكر لهم لبنان في صفحاته  
 يكفيه عيث بنيه في آياته  
 لم يشهروا سيفاً بوجه عداته  
 لا تخبر الأحفاد أن جدودهم  
 لا تمح رمم الجدد ولا

\* \* \*

لهي على صنين تجفوه العلى  
 هام الدليل أمام عن غزاته  
 لهي على الجبل الأشم مطأطأ

\* \* \*

قالوا أتعشقه وهذي حاله  
 العيش حلوا في سبيل رقيه  
 يا حبذا وطني على حاله  
 والموت أحلى في سبيل حياته

\* \* \*

(١) يريد الشهيد يوسف المعظمة رحمه الله .

وهذه مقطوعة من قصيدته « هنا وهناك » قالها أيام الحرب العالمية الأولى :

قالوا النوائب للأضداد جامعة  
فنيّ وشنق<sup>١</sup>، وتجويع<sup>٢</sup> وأوبئة<sup>٣</sup>  
قوم<sup>٤</sup> إذا قعدوا في منصب<sup>٥</sup> شمشوا  
إذا تولوا على أحبابهم ضربوا  
جور<sup>٦</sup> على ذاء، وتعفير<sup>٧</sup> الجبين لذا  
من لا يجر<sup>٨</sup> كهم ظلم يجوتهم

وله من قصيدة في فيصل بن الحسين :

وسهك لم ترسله الا مسددا  
وكنت لأشقات البلاد موحدا  
وكنت لأجل المجد في المال زاهدا  
وكم خضت لاستقلال شعبك لجة<sup>١</sup>  
بعين المنى لم تلق مرصاة مطمح<sup>٢</sup>  
مشيت له تستطي<sup>٣</sup> البرق مركبا  
أرح كيدا حملتها كل فادح<sup>٤</sup>  
طعام<sup>٥</sup> على مض<sup>٦</sup> وشرب<sup>٧</sup> على قذى  
تصبرت حتى الصبر كاليأس قاتل  
خيانة<sup>٨</sup> أحلاف<sup>٩</sup> وإخلاف<sup>١٠</sup> ساسة<sup>١١</sup>

ومن قوله :

ياسيد الدين هل يدعى معلمك  
لقد رحمت<sup>١</sup> ثعابين اليهود ألا  
عيسى ابن مريم أم موسى وهارونا  
فارحم خرافك واحسبهم ثعابيننا

(١) اشارة الى مارشمون الاشوري الذي أعلن الثورة وفضل غائب عن الراق .

فلا تُبِحَ أيها الراعي مساكنهم      وكن رحيماً إذا كانوا مساكيننا  
قال المسيح لنا حبوا أعدائكم      لكنه لم يقل حبوا الشياطينا  
الدين قبلتنا لكن تجارتكم      بالدين تكوهنا أن نكره الدينا  
ويخاطب «شباب العرب» فيقول فيما يقوله لهم :

عش للعروبة هاتفاً      بجيانتها ودوامها  
وامدداً بين الحب      يا لبنانها أشامها  
انظر الى آثارها      تنبتك عن أيامها  
هذا التراث بيتٌ      معظمه الى إسلامها  
مالي أراك برئت من      دمها ومن أوطانها  
أنسيت أنك ليث      نهضتها ونسر بيانها  
أتقول لست من الشام      وأنت في أحضانها  
أنهد ناطحة النجوم      وأنت من أركانها

هذا غيض من فيض ، من هذه الروح العربية الصافية المخلصة الوثابة ، التي  
أوحت الى هذا الشاعر القومي المبدع بهذه الآيات البينات ، وحبذا الحكومات  
العربية لو قدرت له جهده ، فافتتت هذا الديوان بالملئات تدرسه في مدارسها :  
جزى الله الشاعر القروي عن أمته ووطنه خير ما يجزي عباده المخلصين .

عارف النسكري

## رسالة الرهري

نظم الشيخ محمد سعيد صفر المدني ، ومعها ترجمته ،  
ومقال في حكم قتال الكفار للامام ابن القيم

أما الأرجوزة فتبلغ نحو مائة وسبعين بيتاً ، وهي داعية الى الاتباع ، ناهية  
عن الابتداع في الدين ، ناعية على التقليد المميت للعقل والعلم ، وشعرها الماء  
الزال سلاسةً وعذوبةً . وأما مقال ابن القيم المنقول عن كتابه (هداية الحيارى)  
فنعرف قيمته من قوله فيه : فلما بعث الله رسوله (ﷺ) استجاب له وخلفائه  
بعده أكثر الأديان طوعاً واختياراً ، ولم يكبره أحداً قط على الدين ، وإنما  
كان يقاتل من يجاربه ويقاتله ، وأما من سألته وهادته ، فلم يقاتله ولم يكبره  
على الدخول في دينه إمتثالاً لأمر ربه سبحانه حيث يقول : ( ٢ : ٢٥٦ )  
« لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » وهذا نفي بمعنى النهي ، أي  
لا تكبروا أحداً على الدين .

هذا وقد وقعت أغلاط يسيرة ، لا يستقيم معها الوزن ، ونحن نصححها ،  
ونعهد بمراجعة أصلها الى مخرجها الأستاذين حمزة والصنيع ، في الحجاز :  
ص ٣ خمس رسائل . ص ٦ ومسند أحمد . ص ٩ قدم . . . قول .  
ص ١١ بلى تبركا و . . . في الاقتدا . ص ١٤ (حتمًا) واعتمد . ص ١٨  
كذلك إبقا . . . فقد أضع .

والمؤلف من كبار الدعاة الى السنة في القرن الثاني عشر ، كما ترى في ترجمته ،  
وقد طبعت هذه الرسالة ووزعت على نفقة الأستاذ الحسن الشيخ محمد نصيف ،  
أتاب الله الجميع خيراً .

## تفسير جزء ( قد سمع )

## لمدارس المرحلة الأولى

تأليف : محمود محمد حمزة . حسن علوان . محمد احمد برانق

هو تفسير مدرسي يجمع تفسير الجزء الأول الذي وصفناه وبترتيبه <sup>(١)</sup> ، لا يزيد ولا ينقص ، وهو موافق لأذواق الطلاب ومداركهم ، ويقع بنحو تفسير ( جزء عم ) للإمام الشيخ محمد عبده ، ودون النصف من تفسير الأستاذ المغربي ( الجزء تبارك ) ، ولا غرو فذاتك التفسيران قد جعلنا مرجعين لأستاذة التفسير ، وهذا مرجع الطبقات محصله وطلابه ؛ وقد أبدينا ملحوظاتنا فيما كتبنا على تفسير الجزء الأول ، ولم نرَ في تفسير هذا الجزء ما يقتضي أن تبدل أو تعدل ، وإنما يزداد عليها هنا أن لا نطلق عليه تعالى ولا نسند اليه من الأسماء والأفعال إلا ما ورد مصداقه في الكتاب أو السنة ، ومثاله ما جاء في تفسير آية « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » من سورة التحريم ، فقد كتب تحت عنوان ( مجمل المعنى ) مانصه ص ١٠٧ :

( يطلب الله تعالى الى المؤمنين أن يحافظوا على أنفسهم ) الخ ٠٠ ( ويطلب الله ذلك ليحفظوا أنفسهم من نار يوم القيامة ) وفي إسناد الطلب منه سبحانه إلى عباده ضعف في التعبير ، وقصر في التفسير ، لأن الآية جاءت بالأمر الجازم الذي لا هوادة فيه « قوا أنفسكم وأهليكم نارا » فلو قيل : أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمحافظة على أنفسهم وأهليهم الخ لكان أدل على منطوق الآية الكريمة . وقد أورد حديثان في معنى الآية الكريمة ، ولم يذكر من خرجها من أصحاب الصحاح أو السنن ، ولا درجتها من الصحة أو الحسن ، ولا من رواها من أصحاب النبي الكرام ، عليه وعلى آله الصلاة والسلام .

محمد بن محمد البيطار



(١) جاء وصف الجزء الأول في الصفحة ٢٧٩ من الجزء الثاني من المجلد التاسع والمشرى .



الأستاذ أحمد أمين

# آراء وأنباء

الاستاذ أحمد أمين

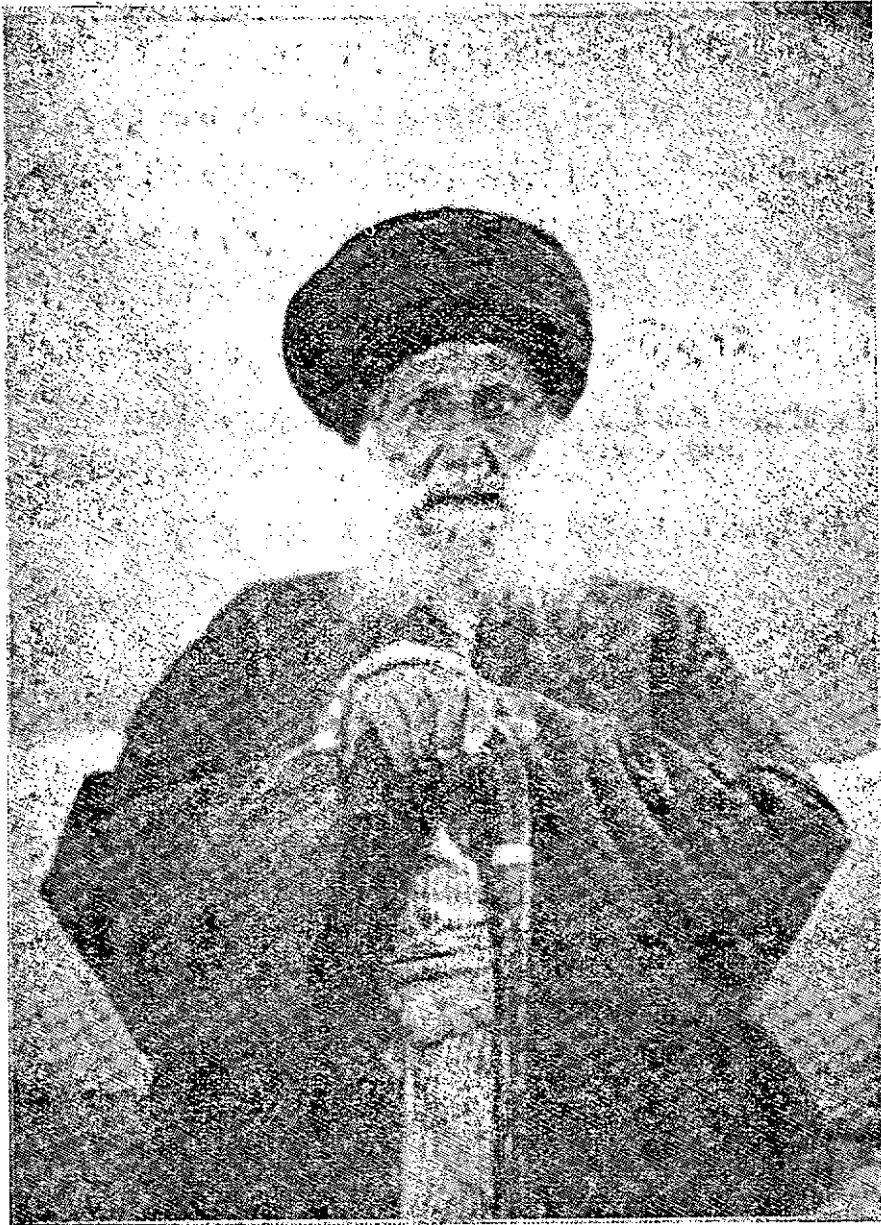
نعت أنباء القاهرة في ٣٠ أيار سنة ١٩٥٤ العلامة المرحوم أحمد أمين أحد أعضاء المجمع العلمي العربي ، فكان للنبا وقع شديد على النفوس : في العالمين العربي والإسلامي . ذلك ان المرحوم شخصية فذة في هذا العصر جمع الى سمة العلم براعة الأدب ، وعرف بأصوله السهل البليغ وإنتاجه الضخم المتنوع . وقد خلف من آثاره ثروة عظيمة للثقافة العربية .

ولد أحمد أمين في أول يوم من تشرين الأول عام ١٨٧٨ في مدينة القاهرة من أبوين متوسطي الحال ، وكان أبوه مشغولاً بجمع الكتب واستنساخها بخطه ، فوضع ابنه في مدارس القرآن والمدارس الرسمية ثم أدخله الأزهر ومدرسة القضاء الشرعي ، فخرج بها قاضياً وتعلم الانكليزية وتقبلت به الاحوال فكان مدرساً وقاضياً ، واشتهر ببحوثه الأدبية ومقالاته الممتعة . وفي عام ١٩٤٧ انتخبه المجمع العلمي العربي عضواً ، وفي عام ١٩٣٦ عين مدرساً في كلية الآداب بالجامعة المصرية ، وانتخب عام ١٩٣٩ عميداً لكلية الآداب ، وانتدب عام ١٩٤٥ مديراً للإدارة الثقافية بوزارة المعارف ، فأنشأ تلك المؤسسة الجليلة ( الجامعة الشعبية ) لتعليم الكبار من أبناء الشعب . وكان آخر المناصب التي شغلها بعد إحالته على التقاعد منصب مدير الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، كما كان آخر لقب علمي ناله عام ١٩٤٨ لقب الدكتوراه الفخرية مع جائزة فؤاد الأول . كان المرحوم مثلاً صالحاً لرجال الفكر المنتجين المواطنين ، فقد أشرف



على لجنة التأليف والترجمة والنشر أكثر من ثلاثين عاماً ، وساهم في مجلة الرسالة ، وأدار مجلة الثقافة بنفسه ، حتى بلغت المقالات التي نشرها في المجلات والصحف والاذاعة سبعة مجلدات جمعها في (فيض الخاطر) ؛ وله من التأليف المشهورة : فجر الإسلام ، وضحي الإسلام ، وظهر الإسلام ، وشارك الأستاذ زكي نجيب في كتابي قصة الفلسفة اليونانية ، وقصة الفلسفة الحديثة ، وله قصة الأدب في العالم . وحقق ونشر مع عدد من الأفاضل عدداً غير قليل من الكتب المشهورة كالإمتاع والمؤانسة ، والحوامل والشوامل ، والبصائر والدخائر لأبي حيان التوحيد ، والعقد لابن عبد ربه ، وكثير غيرها .

يضاف الى كل ما تقدم اشتراكه في المؤتمرات الثقافية العربية والعالمية ، وعمله الثمر في دار الكتب وجمع اللغة العربية في القاهرة وغيره . حتى أصبح المرحوم علماً من أعلام الجيل مردداً ذكره في كل بقعة عربية .  
وها هو ذا اليوم يفارق الحياة الدنيا بعد أن ترك تراثاً لا يبلى من طيب الأثر والذكر .



السيد حسن الؤمين الحسيني العاملي  
(توفي في الخامس من رجب سنة ١٣٧١ الموافق ٣٠ آذار ١٩٥٢)

## بعض مؤلفات السيد محسن الزمّين

(وقد أهداها الى الجمع سنة ١٣٦١)

- لواعج الاثنجان (فرغ من تسويده سنة ١٣٣١ والطبعة الثالثة بصيدا ١٣٥٣) .
- افئاع اللائم على إقامة المآتم (طبع ١٣٤٤ بصيدا) .
- الرحيق المختوم في المنثور والمنظوم ١ و ٢ (١٣٣٢ الأول و ١٣٤٨ الثاني) .
- أبو فراس الحمداني (١٣٦٠ = ١٩٤١) .
- معادن الجواهر ونزهة الخواطر ١ و ٢ و ٣ (فرغ من تببيض الأول تببيضاً ثانياً سنة ١٣٤٨) .
- كشف الارتباب في أتباع محمد بن عبد الوهاب (انتهى منه أواخر ١٣٤٦) .
- أعيان الشيعة ظهر منه ٣٥ جزءاً (الأول قسماً فرغ من تسويد الثاني بشقرا عام ١٣٥٤) .
- الدر النضيد في مرآة السبط الشهيد (انتهى من جمعه وطبعه للمرة الأولى سنة ١٣٣١) .
- الدر الثمين في أم ما يجب معرفته على المسلمين (في الفروع) الطبعة الرابعة بدمشق ١٩٤٧ .
- العلوياث العشرون (جمعه وشرحه سنة ١٣٦٦) دمشق .
- تبصرة المتعلمين في أحكام الدين (للحسن بن المطهر الحلي وهي بشرحها مطابقة لفتوى السيد محسن أعيد طبعها بدمشق ١٣٦٦ = ١٩٤٧) .
- أبو نواس (١٣٦٦ = ١٩٤٧) .
- دعبل الخزاعي (طبع ١٣٦٨) دمشق .
- الصحيفة الخامسة السجادية (فرغ من جمعها أواخر ١٣٢٣ وطبعت ١٣٣٠) .

- البرهان على وجود صاحب الزمان (بيضا ١٣٢٨ بدمشق بعد نظم بعضها قبل عشر سنين في النجف) .
- رسالة التزييه لأعمال الشبيه (فرغ من تسويدها ببيروت ١٣٤٦ وطبعها بصيدا ١٣٤٧) .
- عجائب أحكام أمير المؤمنين (فرغ من جمعه ١٣٦٤) دمشق .
- الدررة البهية في تطبيق الموازين الشرعية على العرفية (فرغ منها مفتتح ١٣٣٠ وطبع ١٣٣٢) .
- كاشفة القناع عن أحكام الرضاع (فرغ منها ١٣٢٨ بدمشق وطبعها ١٣٣١) .
- ضياء العقول في حكم المهر إذا مات أحد الزوجين قبل الدخول (دمشق ١٣٢٩ وطبع ١٣٣٢) .
- نقض الشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله بن فاطمة التركستاني (آخر كتيبه ١٣٧٠ = ١٩٥١) .

## كلمة الدكتور هاشم هاشم (١)

سيدي صاحب المعالي والرياسة ، سيدي صاحب الدولة ،  
سادتي أجلاء الأساتذة ،

ابن أصدق في أداء الحمد من صوت امرئ لا يرى لنفسه عنواناً على فضل  
مثل ظفريه بأصواتكم ؛ فليكن هذا الصدق وحده شفيع صاحبه إليكم إن  
عني بيانه تلقاء الثناء على كرمكم ، وقصّر لسانه عن اللبج بشكركم . إني  
كلما رجعت البصر فيما أوليتموني من شرف سام بدعوتي إليكم - لمزاملتكم  
أبد الدهر فأنتم أهد الدهر مخلّدون - كبر على نفسي مبلغ اجترائها . ولولا  
بد رفيقة محسنة بسطت إليّ منذ عامين لنشدّ أزري في قرع بابكم ، وخيالة  
جيبية أنيرة أراها تطلّ عليّ من وراء الغيب وهي تطيف بجمعكم في هذا  
الأسبوع الذي حال فيه الحول على اتفاله إلى الملاء الأعلى (٢) ، لما ظننت أن  
في وسعي الاستئذان عليكم والجلوس بين يديكم .

إن لهذه القاعة في خاطري صورةً فريدة : فقد نعمت فيها ، نصحي ربيع  
ضاحك (٣) ، بجلوس أنيس طوبل مع علامة الشام الكبير المرحوم محمد كرد علي .  
ولما انصرفت على التفتية ، لم أجد ما أدونه عنه في مذكري غير قولي : «رجل  
ملء العين والنفس !» . . . لطالما ملأ هذا الشيخ الشاب عيني ونفسي بجمال  
جليل أثناء اختلافي إليه في التادر ، ولكنني مارأيت له كيومئذ خدّين أنضر

(١) ألقاها في الجلسة التي عقدت لاستقباله في ٢٥ آذار سنة ١٩٥٤ بعد انتخابه عضواً  
حاملًا في المجمع العلمي العربي .

(٢) نمي الأستاذ الجليل أول رئيس لأول مجم علمي في الشرق العربي يوم الخميس ثاني

نيسان ١٩٥٣ = ١٧ رجب سنة ١٣٧٢ .

(٣) أول أيار ١٩٥٢ .

حرة ، ولا ناظرين آلى لمة ! ولطالما أصغيت في الثوبات الى محاضراته ؛  
ولكني ما أحسست له كذلك الساعة نبرة أوقع في السمع ، ولا حديثاً أشهى  
الى القلب ، ولا سحرأ أخب للب ! وُخيل إلى - وهو بكرمى بلفيفة تبغ  
مذهبة ويُغربي بصرف دخانها صوبه - أن حجاباً رُفِع شدماً وقف بي التهب  
دونه ، وأن جواً من عطفٍ ودودٍ نبيل أخذ يلفشي جهوداً ودعة ، فأطمئن  
وُيسرني عني كما « ذهب عن إبراهيم الروح » . رحمه الله ! كان مما كاشفني  
به من طيبته إذ ذاك عزمه على أن يزجني إلى حلقنكم الحصيصة الرصينة فتية  
يضعون عصارة همهم في سراج العلم الذي أوريتم ناره وأعلتيم مناره ، ويهون  
وقدة حماسهم لإذكاه شعلته التي أمدتها شيخوختكم الوقورة بزيت الحكمة  
والكياسة والفضل .

أعتذر من الاعتراف لكم ، سادتي ، أن قد شاع حينئذ في مرتي  
غرور عذب ؛ ولكن أمنية الطامع لم تبلغ بي - وأنا من هذا على أتم الوثوق -  
حدّ الشوف إلى مقعدٍ كان يقبوضه قبلي إمام جهيد ومجتهد فحل مثل رصيفكم  
الراحل السيد محسن الأمين العاملي رضي الله عنه وطيب ثراه . فلما شتم ،  
باقتراعكم المفضل ، أن تحلوا الخلف محل السلف - على ما يبدو لديها من فارق  
الزعة وتباين القدر - لم أتبين سائقاً يجدو بكم على ما صنعتم غير الاستسك  
برضيه أرجو ألا أكون مخطئاً في استخراج مغزاه : وهو تكريم الأمانة للفكرة ،  
وتمجيد الوفاء للعقيدة مذ تستهويان قاب من آمن بها عن إخلاص ووعي وبصيرة ،  
فلا يصرفه عن « التزامها » صارف ولا يجد عن الصدع بها محيداً . وأحسب ،  
سادتي ، من نافلة القول أن أقرر لكم أن حب آل محمد ( ﷺ ) هو - فيما  
يتصل بتلك الحياة الثنية الخصة النياضة الصالحة التي قضاها زميلكم العظيم -  
نقطة البداية وغاية الغاية . فائدنوا لي مادام عليّ أن أستشير أمامكم ذكراها ،  
أن أفق أمامكم أجيل الطرف في بعض حناياها ، واغفروا لي إن عشت العين  
الكليّة عن إدراك السنى اللألاء الذي تشعُّ به مزايابها .

يشاء القدر أن يولد زميلكم منذ نحو قرن<sup>(١)</sup> بشقرا هونين (من أعمام<sup>٢</sup> مرجعيون) في جبل عاملة ذلك الذي يُقال إن المَشِيح الأول أبا ذر الغفاري اتخذهُ ملجأً بعد أن أخرجه معاوية إلى القرى . ويشاء البيخ السعيد أن يتصل نسبه بالحسين «السبط الشهيد ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ﷺ) وبضعتهُ» . فكيف ، والعرق دساس ، لا يفعل الدم النبيل الذي تمورُ به شرايين نابغةٍ كمثلهُ في صوغ وجوده على النحو الذي صيغ فيه ؟ ولم لا يُهيب به هذا الدم إلى موالاة ما اتصل ولم يتراخ من سلسلة الشرف والمعرفة والرياسة ؟

لقد سمع من ذويه ، وهو في غضارة السن ، أن مما من الله به على العشيرة عدم انقطاع العلماء والفضلاء منها في القديم والحديث . أليس فيما رووا له أنه منحدر من صلب «ذي الدمة» (المدفون بالحلة السيفية) الذي لم تجف عبرته من خشية الله ؟ أو ليس ذلك الزاهد النبي هو ابن زيد الشهيد ؟ أو ليس زيد<sup>٣</sup> هذا بولد الإمام زين العابدين الذي بلغ من جلالاته أن مسلم بن عقبة ، بعد وقعة الحرّة ، نكص عن أخذ بيعته ليزيد إلا على أنه «أخوه وابن عمه» على حين بايع فيها أهل المدينة على أنهم «عبيد رقب ليزيد» ؟ أو ليس هو الذي تهيّبه خمسة من خلفاء بني أمية فلم يجسروا على التعرّض لمدرسته التي أقامها في داره لتكون خلال خمس وثلاثين سنة ينبوع الحديث والعلم والرواية لأمثال الزهري وسفيان بن عيينة ونافع والأوزاعي ومقاتل والواقدي ومحمد بن اسحق وكثير من الصحابة والتابعين ؟ ثم ألم يكن أجداد مترحنا الأقربون بعد نزوحهم من العراق موضع التقديم والتجلة في قومهم حتى لكانوا أصحاب المنزلة الرفيعة عند أمراء بلاد بشارة الممتدة من البيطاني إلى تخم صغد والمترامية بين شاطئ البحر الشامي

(١) يقول عن نفسه : « كانت ولادتي في حدود سنة اثنتين وثمانين بعد الألف ومائتين »  
 وراجع ص ١٣٤ من الرحيق المختوم . وهذا ما يوافق سنة ١٨٦٥ ميلادية .

إلى الأردنّ وطرف البقاع ؟ هذا مسجد قريبه الجامع يعيد عليه رمم بانيه جدّه  
 جدّه الوجيه الفقيه المتقن السيد موسى بن حيدر المكفي بأبي الحسن فيؤخذ برآه  
 وهو بؤم الأمير الجليل ناصيف بن نصار في صلاة الجمعة ووراءه خلق لا يحصى  
 من أهل الأصقاع المجاورة . وهذا أبو جدّه الأذى عمدة الرؤساء السيد محمد  
 الأمين يروى له عنه أن والي عكا أحمد الجزائر لم يجد أحداً سواه يفاوضه  
 على عودة أهل البلاد الذين فرّوا في وجهه لما نهب مالم واستصفي عقارهم وأحرق  
 خزائن كتبهم . لكان في بالصبي وهو يستمع الى خبير الشيخ الصافي الفخيزة ( الذي  
 وضع ابنه زهينة على وعد قطعته ومع ذلك لم يسلم من أذى الجزائر ) تفورق  
 عيناه بالدمع اغدر الطاغية بالذي ما نكث له بعهد ، ولكنه لا يلبث أن تشرق  
 أساريره بشراً ويشمخ عمرينه فخراً منذ يعلم حسن نلطف الفتى الطليق للوالي  
 ونجاحه في فك إيسار والده الذي جزي بنفيه إلى دمشق جزاء سينمّار . . .  
 إن هذا الفتى النبیه الجري هو السيد علي جدّ السيد محسن . وأهل الحفيد  
 الصغير كان بداخله زهو بالغ من سيرة الشاب الهام المقدم . ألم يتلحح من ثنابا  
 تلك السيرة وجه صاحبها الرائع فيتعرف فيما يطالعه منه ما ورثه من محابيل التجارة  
 وبعده النظر والحزم ؟ أو لا يراه - في دماس الخنة - يضرب مجديد بصره في  
 حاشية الجزائر فيتخير لصدائقه أميراً مصرياً يعقد به أواصر المودة ويتساقى معه  
 في مكتبه رحيق المعرفة ، حتى اذا دار بالجزائر وبخليفته سليمان الدهر ألفاه  
 - في شخص عبد الله باشا - مقتعداً سريراً عكا فيفد عليه ويجد عنده الحظوة  
 والرعاية ؟ أما الحظوة فأعظم بها بادرة يوم أعلى الصديق كعب صديقه في الفقهاء :  
 أن كان له الفلتج عليهم في إيجاد مخرج ليمين كادت تحرم على الأمير زوجة  
 حبيبة ! وأما الرعاية فناهيك بالصوآنة ضيعةً وافرة الغلة زهيدة الخراج يقطعها  
 الصديق صديقه ؛ وليس من ذنبه بعد ذلك ان جاء الحساد على وعر في الصدر  
 مكنون - بدسوس السمّ للحنعم عليه في قهوة البن ، وأكبادهم تتلظى موجدة  
 وكيداً ! . . .



في ذلك الجو المليء بالآسي والمفاخر والمحامد ديناً ودنيا ، تفتتح بحيلة السيد محسن بن السيد عبد الكريم : أتتني تلفت ذهن الغلام اليافع لم يبصر إلا مواكب « الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » ! فيم أذن لا يجتذبه نداء منادهم وقد قرع سمعه من أغوار التاريخ ؟ وعلام لا يتخذ معدته فيغذ السير للحاق بركبهم والوقوف في صفهم ؟ ألا ليشرع إلى مدارس ناحيته فلينكب على كتاب الله وحديث رسوله ، وليجهز نفسه بعلوم الآلة التي قيل لها إنها لها بمثابة المفاتيح . هذا هو بتأبط ابن الناظم والرضي والجاربردي والملا جامي والدسوقي والدماميني والشيرواني وأمثال تلك المتون والشروح الصارمة فيضي فيها نظراً وتمليقاً واستخلاصاً (١) . وها هو ذا يجود الذكر الحكيم فيرتل خاشعاً قوله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » ويقف طويلاً عند قوله : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » . ثم ها هو ذا يفتح تفسير الطبري فينال من نفسه مارواه من قول إمام الهدى في علي كرم الله وجهه : « إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم » ، وينظر في مستدرک الحاكم فتتهز جوائحه لما خوطبت به فاطمة : « ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين فذاك أبي وأمي ؟ » فإذا قرأ في خطبة الوداع : « إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي » ، استبان له الدرب ، ونذر حياته للسلوك فيه على هدى الكتاب العزيز وهو العيتر الطاهرة :

« حبي لآب المصطفى خالط لحبي ودمي »

... ..

« هذا لساني دائب في نصرهم وقلبي »

« حتى توارى في ضربتي بعد موتي أعظمي »

(١) كتب في أثناء ذلك مؤلفاً في النحو ومنظومة في الصرف وحاشية على « لنطول » وأخرى على « المعالم » ، وأبدأ في جمع كتابه « معادن الجواهر في علوم الأوائل والأواخر » على نحو الكشكول . (٩) م

ولكن آفاق شقرا وتبين وهونين ومجد لسلم أضيى من أن تنسع لمطامع  
الشاب النابه . وهذه نسائم مُمرّ من رأى والكاظمية وكربلاء والتجف الغرورى  
ثم رُخاء قلبه فتهيج الشوق فيه وتبته أمل ساكنها الأبرار في حواره بين  
ظهرانهم . ما بال الرجل الشخيص الأيّد لا يهجم إذن على شدة الرحال اليهم ،  
ولو فتّ في عضده أب هريم أضرّ بهينه الزمان ، مادام قد استجار الله  
بذات الرقاق ؟ إليكم السيد بنحدر الى صيدا فبيروت ، ويركب البحر منها  
الى الاسكندرون ليُلوي على حلب ويخرج عنها الى البادية فالفرات فبغداد ،  
وبلتي العصا أخيراً في التجف الأشرف . لكأني به - وقد بلغ الحمى إذ ذاك -  
يستخفه وجدّ شديداً وهو يصني إلى هاتفٍ يحمل له نشيد مهيار :

أمرر على جدّ الحسب ن فقل لأعظمه الزكيه  
أعظماً لازلت من وطفاء ساكبة رويه  
وإذا أنحت بقبره فأطل به وقف المطيه  
وابك المطهر للمطهر والمطهرة النقيه  
ككاء ناكله أنت يوماً لواحدنا المنيه

نعم إنه لبستجيب فيبيكي طوبلاً إذ يذكر فاجعة العطش ، وينظم من المرثي المشجية  
(في الحسين وأمه وأبيه وبنيه) ما يملأ ديواناً كاملاً . ثم إنه ليُطيل وقف مطيته  
عشر سنواتٍ وثيقاً كي بكرع ويعبّ وينهل ويعلّ من سلاف المعرفة «موجئاً»  
إلى تحصيل العلم - كما يقول - همه أعلى من الضّراح<sup>(١)</sup> وعزيمة أمضى من  
بيض الصّباح ! ...

في هذا الطور من حياة زميلكم تغنى بضاعته ماشاء الله أن تغنى ، وتطول  
بأه في الدراية والنظر . إنه لا يكفى أن يقرأ المنطق والفرائض والأصول

(١) في الفاموس المحيط : الضّراح كغراب البيت المعمور في السماء الرابعة [ كذا

ولله تحريف «السابعة» ] .

- سطحاً وخارجاً - على أيدي مشيخة أعلام كالهمداني والحراساني والأصفهاني  
ومحمد طه نجف وغيرهم من أئمة العرب والعجم . بل هو يشرع في التأليف  
- على كثرة المهوم والعيال - فيجبر مجلدات في الفقه والتوحيد والأخلاق ما  
ويجمع كتباً في التاريخ والحديث والجدل ، حتى يطبق أسانذته على أنه « ترقى  
من حضيض التقليد الى أوج الاجتهاد » .

يبد أن لو اعج الشوق الى الديار تبرح بزميلكم قبل أن يهدف الى الأربعين ما  
فلا ضير عليه وقد نال بغيته من دار هجرته ، أن يرجع الى الوطن حاملاً معه  
مشعل دعوته . ولأمر ما يهزم أن تكون عاصمة تلك الدعوة دمشق . مذاك  
يتخذها سكناً لا يبرحه اللهم إلا للحج أو منسك أو إقامة يسيرة في مسقط  
رأسه <sup>(١)</sup> . ومنذ ذلك تستعد هذه المدينة السمحة لشهود نشاط شيعي منقطع  
النظير . فكان الزمان شاء لبني هاشم - خلال خمسين سنة كاملة - أن يعيدوا  
مع بني عمهم من ولد مروان حساب النقص في دار أموية ! . . .

\* \* \*

لست أقوى ، سادتي ، على تناول هذا النشاط الهائل في تفصيله ولا بجملة .  
وبحسبكم لتصور الحرج الذي داخني من هذا الشأن أن تعلموا أن مجموعكم  
- زاده الله بسطة في العلم - بعث لي من أجل إعداد هذه الكلمة بسبعة وخمسين  
مجلداً <sup>(٢)</sup> من مؤلفات الشيخ . . . أذكر أن قد ورد يومئذ على البال موقف

(١) من شعره الحسن في ذكرى دمشق قوله ( الديوان ج ١ ص ٩٨ ) :

لله أبي بجلق ، والصبأ غض ، وعودي للنوى مالانا !  
كم في رياض الزبيرين ودمر سرأي يروق فيطرد الأحزاننا !  
حبت الحائل فاضرات ، بينها بردى تسيل مياها فغدرانا .  
أرض يريك الخلد شاذروانها أرايت مثل الخلد شاذروانا ؟

(٢) جاء في ترجمته التي كتبها بخط يده والتي هي محفوظة في خزنة المجمع العلمي العربي  
أنه « ألف في أنواع العلوم ما يزيد على مائة وعشرين مجلداً أكثرها مطبوعة »  
(راجع الجزء الرابع من المجلد السابع والعشرين للجنة تشرين الأول سنة ١٩٥٢) .

جان بول سارتر الفيلسوف الفرنسي المعاصر إذ أجمعت عن تلخيص مذهبه «الوجودي»  
للمجلة «لابف» في مقالٍ مُقتَضَبٍ طلبته إليه . ولكن هل من سبيلٍ للإحجام  
عن تلبية طلبتكم ؟

تسمحون لي إذن ، أيها السادة الأأخوض في جزءٍ كبيرٍ من ذلك التراث ،  
وأن أكتفي فأقول فيه ما قيل في كتب حجة الإسلام الغزالي من أنها : لو  
وُزعت على أيام عمره ، لأصاب كل يوم منها عدة كرايس ! بيد أنني إن  
اضطرت للمرور سريعاً بذلك المجاميع اللطيفة<sup>(١)</sup> التي ضمها فيها المؤلف طرفاً إلى  
طرف بعض الأخبار المتصلة بعلم مذکور أو حادثة شهيرة - مها تحتل تلك  
الأخبار من نقد - فما يليق بي أن أتجاوز عن كتب ثلاثة تعكس إلى حدٍ  
كبير لمعة من طراز تفكيره .

وأحب أن أقدم الكلام على آخر هذه الكتب عهداً في تاريخ حياته أعني  
كتاب «نقض الشيعة»<sup>(٢)</sup> . لما خاض موسى جاز الله التركستاني في «نقد  
عقائد الشيعة» ، برز له زميلكم - رحمه الله - بدرأ مطاعنه الجارحة . وكان  
لابد ، لدفع ما ألتصق بالمذهب من تهم ووصمات ، أن يجيء الكتاب على الأسلوب

(١) مثل رسائله المعنونة : «الدر النضيد في مرآتي السبب الشهيد» (١٣٣١ =  
١٩١٣) ، «أبو فراس الحمداني الأمير العربي الشاعر المشهور» (مطبعة  
ابن زيدون بدمشق ١٣٦٠ هـ = ١٩٤١ م) ، «أبونواس» (مطبعة الاتقان  
١٣٦٦ = ١٩٤٧) ، «دعبل الخزاعي» (الاتقان ١٣٦٨) وفيها كلام  
طويل عن تائيته الكبرى الشهيرة في أهل البيت ، وكذلك «عجائب أحكام  
أمير المؤمنين عني بن أبي طالب عليه السلام وقضاياها ومسائله» (الاتقان  
١٣٦٦) الخ ... على أنه يجب أن يُخصَّ بالدكر كتابه : «لواعج الأشجان  
في مقتل الإمام الحسين» (عدة طبعات - لاسيما الثالثة - بصيدا ١٣٥٣)  
وهو مجموع من مصادر تاريخية متفرقة كالطبري وأبي الفرج الجوزي والسمرودي  
وابن نجا والصدوق وغيرهم ، ومندبل بكتاب «أصدق الأخبار في قصة  
الأخذ بالنار» .

(٢) مطبوع بدمشق (ابن زيدون ١٣٦٠ = ١٩٥١) .

الجدلي<sup>(١)</sup> . وأنتم تعرفون ما ربما انطوى عليه هذا الأسلوب من « منطلق المواطنف » الذي يجعله الميزانيون مرادفاً لـ « تمويهات الفرض والهوى » (أرجو أن تغفروا عن هذه الإشارة ، فالتعبير لمنطقة « بورروبال ») . والحق أن ذلك الكتاب - على الرغم من هذا التحفظ - ليروع قارئه بإيمان المجتهد الكبير وسعة إحاطته وقوة حجته ودامغ برهانه . حتى إنه ربما قاده لإعادة النظر في مواقف كان في نفسه منها شيء كأمس « التلاعن والتطاعن » و « عصمة الامام » و « التقيية » و « نكاح التمتع » وما الى ذلك . وأشهد أن المرء ، في كثير من المواضع التي يبدو عليها أن ظاهر الحق في جانب الخصم ، لا يلبث أن يخرج ميالاً الى العكس بعد سماع الرد .

(١) كان السيد - رحمه الله - طويل الباع في الجدل . حتى ربما خاض في خصومات المعتزلة والاشاعرة وأبدى رأيه البارح في معضلات فلسفية كنتك التي دارت عليها المناظرة بين الأشعري والجبائي في وجوب الأصلح على الله ( راجع معادن الجواهر ج ٢ ص ٢٠ - ٢١ ) . ومن ذلك أيضاً ما جرى له مع نقيب الأشراف بمصر وذكره في رحلته الحجازية : فقد عجب السيد محسن لأهل السنة حين يتعمون أصول الفقه مع أن باب الاجتهاد عندهم مسدود ! وأنكر عليه التقييد ، وجرت بين الرجلين مساجلة . فلما أقام السيد الحجة عليه وبسط شروط الاجتهاد المطلوب توفرها في المجتهد ، قال له الخصم : ولكن من شروط الاجتهاد تسليم أهل المصر لصاحبه . فسكنت كله الفصل جوابه له : « لو أن نبياً أرسل الى قوم فكذبوه ، اكان يقدر ذلك في نبوته ؟ ولو أن اهل مصر سدوا باجتهاد رجل وهو لويس بمجتهد ، اكان ذلك يجعله مجتهداً ؟ فسكت » (المصدر نفسه ص ٣٠٣) . ونحن نظن أن هذا من الأساليب الخطابية . واقد كان في وسع الخصم أن يجيب عن مثل هذا الاستنهام الانتكاري بالايجاب وهو مطبق كل الاطشنان . وإلا فاللميار في أهلية الرجل للاجتهاد إن لم يكن تسليم أهل الاختصاص له بذلك ؟ ومم ذلك ، نرجو ألا يحتمل استدراكنا هذا على محل الانتصار للذين أوصدوا باب الاجتهاد إبصاداً نهائياً بعد اللذاهب الأريية : فاتخاذ موقف مثل هذا ابعده من ان يرد لنا على بال . كيف لا ونحن ممن لا يشكر « الرأي » و « القياس » و « الاستحسان » و « المصالح المرسة » . وهي جميعاً اوسع من « الاجتهاد الضيق » الذي هو مقصور على « الاستنباط من أدلة الشرع » الروية .

فأما الكتاب الثاني فهو « كشف الارتباب في أشياخ محمد بن عبد الوهاب »<sup>(١)</sup> ، وهو كما يتجلى من عنوانه مخصص لمناقشة المسائل التي يقوم عليها مذهب السلفية الوهابية كتحریم البدعة ، وهدم القبور ، وإنكار الشفاعة والاشفاعة والتوسل والخلف بغير الله والنذر والتبرك والتدخين والاجتهاد وغير ذلك من الأمور المشهورة . ولقد يعجب الناظر في هذا الكتاب لكبرى البوائق يرمي بها السيد خصومه مُذْ يُنقل له عن مصادر - موثوقة أو غير موثوقة - مثل قول إمام مذهبهم : « الربابة في بيت الخاطئة أقل إثمًا من ينادي بالصلاة على النبي في المنائر ! » . ولقد بداخله الدهش لتشبيه الوهابيين بالخوارج « من ثلاثة عشر وجهًا<sup>(٢)</sup> » ! ولكنه ان يحتاج إلى عناية كبيرة في كشف السر ، إن هو التفت إلى المقدمة فطالعته بالمقطع التالي : « الحمد لله . . . وبعد ، فلما ضعفت شوكة ملوك الإسلام ، وكان من ذلك استيلاء الوهابيين من أعراب نجد على . . . الحرمين الشريفين وهدم مزارات المسلمين ومنها قببة أهل البيت عليهم السلام . . . وقباب مواليد النبي ( ﷺ ) . . . وجعل قبور عظماء المسلمين . . . معرضة لدوس الأقدام ووقوع القذارات وروث الدواب والكلاب . . . فأحرقوا بذلك قلوب المؤمنين . . . جئت بهذه الرسالة . . . » .

وأما الكتاب الثالث الذي بعد واسطة العقد في تأليفه والذي أعتقد أنه من الأوابد الخوالد الشوارد في تراثنا الاسلامي فهو « الذريعة في أعيان الشيعة » . لقد كان في مشيئة السيد أن يجعل من معلته تلك مرجعًا تاريخيًا لفرق الشيعة

(١) انتهى منه بشفرة سنة ١٣٤٦ . وقدم له بتاريخ الوهابية نقلًا عن مصادر : بعضها غير حيادي كآحمد بن زيني دحلان ( خلاصة الكلام في أسراء البلد الحرام ) ، وبعضها معتدل - بشهادة السيد المرحوم ( راجع ص ٩ ) - كعمود شكري الألوسي ( تاريخ نجد ) ، واستمد كذلك من مصادر أخرى كرفاعة بك ناظر مدرسة الألسن ( جغرافيته المترجمة عن ملطبرون ) وتاريخ الجبوتي الخ . . . (٢) راجع للمقدمة ص ١٤ .

في الدول الإسلامية ، ولعائدها في الأصول والفروع . غير أنه آثر أن يجتري باستقصاء أخبار الإمامية الاثني عشرية : علماءها ، ومتكلميها ، وأصوليها ، وفنائها ، ومحدثيها ، ومؤرخيها ، ونسأبيها ، وجغرافيتها ، ومنطقيها ، ومنجميها ، وأطبائها ، ونحويها ، وصرفيها ، وبيانيها ، وشعرائها ، وعروضيها ، وأدبائها ، وكتابها ، ومصنفها في فنون الإسلام في كل عصر . على أنه لم ير أن يحشد بين أولئك من لم يُقل في حقه إلا عبارة مختصرة كقولهم : ثقة ، أو عين ، أو صدوق ، أو له كتاب ، أو لا بأس به ، أو ضعيف ، أو من رجال أحدم عليهم السلام ، أو عالمٌ فاضلٌ معاصر ، أو عالمٌ صالح ، أو يروي عن فلان أو يروي فلان عنه ، أو نحو ذلك .

ليس من المبالغة ها هنا أن يقال عن السيد محسن - رضوان الله عليه - أنه ارتفع بهذا المؤلف الى مصاف أكابر الرجالين في تاريخنا كابن عبد البر ، وابن حجر العسقلاني ، وابن سعد وأضرابهم من أمثال الخطيب البغدادي وابن عساكر وياقوت الحموي وابن خلكان والصفدي ومن الهم . ولئن كان فيه مستقصياً متنبهاً محققاً إلى الغاية التي تنوء بالوسع ، فإن أصالته ومبزه - على حسب ما أظن - في انتصاره الوفي لفضلاء أهل البيت ، وإشارته المنصفة الى ما نالهم من ظلم ونسبة باطلة ، ثم في حملته الجريئة على من عرّض لهم بالوقعة أو التحامل .

تراء إذا ذكر قومٌ أن أبا العيناء ادعى خطبة الزهراء بعد أن منعها الصديق ذكاً ، أو أن « نهج البلاغة » هو للشريف الرضي ، لم يحجم أن ينجح على النقيض ثم يقرر : « هذا باطل لا يلتفت إليه بعد رواية الثقة لهم وتصحيحهم إياه »<sup>(١)</sup> . فاذا ما فرط من ابن قتيبة بسياق رده على الجهمية والمشبهة كلام فيه إشارة الى « علم الغيب الأئمة » لم يملك السيد بعد إقامة الأدلة على الأمر أن يختم له بقوله : « لكن العداوة وإفراط الجهل والغباء والتعصب للباطل أدت

(١) راجع مواضع مختلفة في أعيان الشيعة ، الجزء الأول :

الى هذه الافتراءات»<sup>(١)</sup> . وإذا نددت من ابن حزم تعاليمت<sup>٢</sup> نائية في قضية «رد الشمس على علي» ذهب يسوق اليه البراهين المروية في أكثر من ست صفحات متتالية ثم رد<sup>٣</sup> عليه السهم الى النحر بقوله : «أفيكون في صفاقة الوجه وصلابة الخدّ وعدم الحياء والجهل والتعصب والجرأة على الله ورسوله وأهل بيته أكثر من هذا؟»<sup>(٢)</sup> . وإذا جرى للرافعي في «إنجاز القرآن» لغو غير مهذب في حق «الرافضة» ، لامة السيد لوماً عنيفاً على «اتقاد نار العداوة والعصية في قلبه الذي أنطق لسانه بالفحش وأخرجه الى سوء القول» ، وكذلك فعل بالدكتور أحمد أمين وبالأستاذ محمد ثابت المصري طوال مائة وثلاثين صفحة مرصوفة من كتابه<sup>(٣)</sup> . ومن الطريف أنه لما عتب على أستاذنا المغربي لأنه لم يقرظ كتبه غير المتصلة بالأدب والشعر ، لم يجحد بدأً من أن ينهي كلامه بالنافحة الشديدة عن الشيعة ، والتعريض الساخر - على طريقة إياك أعني - بمذهب الحشوية قال : «ولم يدخلوا في معتقداتهم<sup>(٤)</sup> أن الله ينزل كل ليلة جمعة إلى سطوح المساجد<sup>(٥)</sup> ، ولا أن النبي رآه ليلة المعراج يعني رأسه ، ولا أن العبد مجبور على أفعاله ومثاب<sup>٦</sup> ومعاقب<sup>٧</sup> على ما أجبر عليه»<sup>(٦)</sup> . ولعلمكم ، سادتي ، أغضبتم زميلكم ذات مرة إغضاباً شديداً حتى دفعتموه لأن يقول عن مجلتكم ما ليس من الأناقة في هذا المقام إعادة روايته بسمع منكم<sup>(٧)</sup> . وحسبي في

(١) ص ٨٦ ج ١/١ .

(٢) ص ١١٤ المصدر نفسه .

(٣) ص ١٣٣ - ٢٦٤ .

(٤) الضمير راجع للشيعة .

(٥) وفي موضع آخر زاد : «راكباً على حمار بصورة غلام أمرد ... في رجله

نملان من ذهب» .

(٦) ص ٣٥٦ ج ١ قسم ٢ .

(٧) أثناء إلقاء الخطاب ، أصر الأستاذ الجليل للمغربي على ذكر النص ، فسرنا له ما جاء

في ص ٢٦٠ بشيء من الاقتضاب .



الاعتذار لساني أن أقول: لم يكن في حياته - غفر الله له - من دمٍ مسفوح .  
ولكن في إهاب هذا الشيخ الجبار ذي الهامة الهرقلية نفساً كنفوس أولئك  
«التوابين» بعين الوردة الذين استماتوا في صفوف سليمان بن صرد والمسيب  
الفزاري ثاراً لدم الحسين !

\* \* \*

وبعد ، أيها السادة ، فإن أسفي شديد لأنني لم أسعد ببقاء زميلكم والتعرف عليه  
عن قرب حتى أجلو لكم خصائص خلقه وشخصيته . ولكن أصدقائه وتلامذته <sup>(١)</sup>  
يرسمون له صورة تستهوي الأفتدة في بساطتها وسموها على السواء .

لقد أشادوا بما عرفوا فيه من تواضع وزهد بالجاه وعزوف عن المزية واحتقار  
للمظاهر الباطلة الغرارة . ذكروا أنه ما بالي قط متاع الحياة الدنيا فاجتزأ بما  
يسدُّ البطنة ويقوم بالأود : كان يسعى لشأنه بنفسه ، وبياثر بيده تهيئة  
طعامه غير حافل برفاهية مأكلٍ أو مشربٍ ، ولا ملتفت إلى زينة في شارة  
أو كسوة . . . كذلك شأن العظماء ينكرون ما أسماه نيشه «فلسفة الحياطين»  
فلا يؤمنون أن الثوب يخلق الراهب ، ولا أن الزنار المفضض خير من  
الذكر الحسن ! ..

ولقد صوروا ما رأوا فيه من ورع وتقوى وعفة يدٍ ولسانٍ ، وشهدوا أن  
«الآلاف ذهباً كانت ترد عليه فما يمسيها ويحوّلها للحال إلى وجوه الخير» بل ربما  
أنفق ماله على تأسيس المدارس <sup>(٢)</sup> ووقفها في عصرٍ أذل فيه الحرص أعناق

(١) نخص بالذكر والشكر الأستاذ الأديب وجيه بيضون ، والسادة : ديجي نظام ،  
الشيخ علي الجبال ، الشيخ أحمد صندوق والفتاحين على المدرسة المحسنية التي تضم  
خزائن مكتبة المرحوم .

(٢) اشترى المدرسة العلوية بدمشق ووقفها على تعليم أطفال الشيعة الجعفرية سنة  
١٣٢١ هـ . ثم سمي بعد نحو عشرين سنة ، في وقت مدرسة أخرى لتعليم  
البنات بدل ثمنها المحسن الكبير الحاج يوسف بيضون من خالص ماله وأوصى  
بما يقوم ببنفقاتها .

الرجال ... كذلك شأن الزُّهَّد الأصفياء أذكى النفوس بحقرون الاستكثار  
ويأنفون من التكالب على الرزق ، لأنهم لا يقيسون الفضل بذلك المقياس العجيب  
الذي حدثنا عنه يوماً أحدُ عمداء العلم وأسماء «مقياس عدد الاصفار» !

ثم هم أطبقوا على جودة رأيه وشجاعة قلبه وثبات جنانه وتحرره من العصبية  
والجمود ونهوضه بما يمتقد أنه حق .. كذلك شأن الروحانيين المخلصين لا يدارون  
في فكرتهم ولا يداجون ولا يصانعون ولا يتلمسون مجداً رخيصاً قائماً على تملُّق  
العامة واسترضاء الدماء . ذلك بأنهم أدركوا مرةً تلك الحكمة العسجدية  
المنقوشة في صدر تريبستان وايزوات والتي تصاح شعاراً للمثاليين جميعاً من كل  
جلدة : «مالا يقدر عليه السَّحَرَة ، فباستطاعة القلب أن يأتي به بقوة  
الحب والبطولة» !

سادتي ،

رحم الله زميلكم ما أروع سحر الانسجام في علمه وعمله ! ألم يكن ذا قلب  
كبير يفيض بالبطولة وبالحمية ؟

الركنور صكمتها هاشم



## كلمة الأستاذ شفيق جبري (١)

سيدي الزميل .

لما عهد إليّ أن أستقبلك في مجمعنا أصابني ما أصاب ابن المقفّع على تراخي المسافة بين بلاغته وبين حصّري ، فقد أمسكت القلم وحاولت نثر أفكاري على الورقة فازدحت الأفكار في صدري فوقف القلم لتحيرّهُ ، فلم أدر كيف أبدأ وكيف أنهي . لقد شعرت بشيء من تلبّك الأمر ، ولم ينشأ هذا التلبّك عن جهلي ببياناتك وإنما نشأ عن معرفتي بهذه الحياة ، ولو لم تتوثق أسباب الصداقة بيني وبينك من ربيع قرن لاستطاع القلم أن يجول مجاله دون شيء من التحيرّ ولكن العلم بمزاجك وأخلاقك قيّدني بعض التقييد فلم أستطع أن أمضي القول في هذا المزاج وفي هذه الأخلاق وفي أدبك وفلسفتك من غير أن أزن الكلام وزناً دقيقاً ، فقد وهب الله لك حساً رقيقاً فلزمني أن أراعي هذا الحسّ حتى لا تنفّلت مني كلمة تهزّ شعورك ، لقد خبرت هذا الشعور في الماضي وإن الذي ينظر إلى ظاهر بنيانك القويّ يستغرب الاستغراب كله أن يكون من وراء هذا الظاهر باطن ناعم ليّن ، تهيجه أقل إشارة ، من أجل هذا كله استصعبت الكلام عليك وتمنيت أن يتولى هذا الكلام غيري من الأساتذة ، ولو كان لي رأي في استقبال رجال المجمع لأشرت على مجمعنا بأن يكفّ كل طارئ عليه أن يقدم نفسه ، فإن الانسان أعلم بدخائله وأرجو أن تصل البشرية في يوم من الأيام إلى أفق يعينها على كشف دخالها دون شيء من التقييد .

ولست أدري لماذا أخاف هذا الخوف ، أفلا أجد فيك يا سيدي من كمال

(١) ألقاها في الجلسة التي عقدت لاستقبال الدكتور حكيم هاشم م .

الخلق ما يضمن لي مساحتك إذا بدرت مني بادرة تستغضبك ولم أشهد بهذا الكمال وحدي وإنما شهد به كل الذين خالطوك ومازجوك ولكنهم شهدوا به ولم يعرفوا مصدره ، لم يعرفوا أنك دريتسه عن أب أجمع اخوانه على محاسنه إجماع إخوانك على محاسنك وعن جد أطبق أصدقائه على استقامته إطباق أصدقائك على استقامتك ، وإذا كنت لا أشك في قانون الإرث سواء أصح هذا القانون في نظركم معاشر الفلاسفة أم لم يصح ، إذا كنت لا أشك في قانون أنت وإخوانك الفلاسفة أدري مني ببيان الرأي فيه فإني أقول ان الانسان ابن أبيه وان يكن في الوقت نفسه ابن تربته وبيئته ومجتمعه وغير ذلك ، والناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ولا ريب في أن معدنك من أكرم المعادن وهذه نعمة الله عليك فاحمد الله في كل طرفة عين .

وكأنك ياسيدي لم تشأ أن تقتصر على كمال الخلق وحده فأحييت أن تضيف اليه كمال العقل ، فلم تقنع بدرجة واحدة من التحصيل ويتوع واحد من المعرفة وإنما تدرجت في مراتب العقل حتى بلغت فيها المبالغ ، علمت نفسك الكثرة والاقدام في هذه المراتب كما علمت عصاماً من قبلك مثل هذا الكثرة ومثل هذا الاقدام ، إنك لم تشبع من التحصيل ولم ترو ، لقد ضاقت دمشق الشام بأفاق عقلك فدفعتهك همتهك الى ما وراء البحار فقصدت الى أشهر جامعة في فرنسا وعكفت في « السوربون » على دراسة مادة لا أدري هل بين مزاجك وبينها شيء من التماسب وأعني بها الفلسفة وما زالت تنبسط فيها حتى حصلت على أعلى شهادة وأقواها .

لا أعلم كيف قضيت السنين الطوال في باريس وكيف كان أثر هذه المدينة الفتانة في مزاجك وتفكيرك فأنا أعرف شباباً مثلك دخلوا باريس ثم خرجوا منها مثل قلاع الضرس ولكنهم لم يخرجوا إلا بعد أن تركوا فيها عقولهم وقلوبهم ولكنك والحمد لله لم تخرج من باريس إلا بعقل أكمل وبقلب أوعى وإذا كنت أجهل كيف قضيت حياتك في مدينة يشعر فيها الانسان بقيمة الحياة

فاني لا أجهل انك عكفت على العلم عكوف رجل صاحب إرادة ، لقد كنت في خلال زيارتي الكثيرة لك في دارك الأولى في دمشق ألقي النظر على كتبك ودفاترك وكنت أرى بين هذه الدفاتر صفوفًا من الجزازات قد رُبتت ترتيبًا محكمًا فيها خلاصة ما كنت تطالعه من الكتب وفيها اشارات الى موضوعات شتى ، لقد دلّني هذه الجزازات على طرز العبسة التي عشتها في باريز ، فلم تضع وقتك في لهوها ومرحها ، وربما أخذت بعض النصب من هذا اللهو وهذا المرح فلا يجوز لنا أن نزهق أذهاننا وأرواحنا تحصيلًا ومجهودًا ولكنك لم تأخذ من هذا النصب إلا بمقدار ما يزيد في نشاط فكرك وهمة روحك ، فلم تشغلك باريز عن أدبك وفلسفتك .

أما أدبك ياسيدي فلم يكن تحفظي من الكلام عليه أقل من تحفظي من الكلام على شعورك ولو كان الأدب عبارة عن الاجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم بحسب نظر ابن خلدون لكان على كل واحد بيان الرأي في منظوم الأديب ومنثوره ولكننا نعيش في عصر اختلفت فيه النظرات الى الأدب ، لقد أصبح الأدب في بعض الآراء صورة المجتمع أو صورة الحياة ، يأخذ من المجتمع ويعطيه وكثيراً ما يقال في بعض أصحاب الأقلام أنهم أدباء وهم لم يجرؤوا على أساليب العرب ومناحيهم وكثيراً ما يجرّد بعض أصحاب الأقلام من صفة الأدباء وهم لم ينحرفوا عن أساليب العرب في فني المنظوم والمنثور فنحن تدركنا الحيرة في هذا كله ، فلو كان للأدب قواعد ثابتة كما للعالم من مثل هذه القواعد لكان علينا الحكم فيه ولكن الأدب يختلف من عصر الى عصر ، يختلف على اختلاف الأذواق والأفهام والثقافة والأهواء وغير ذلك ولست أنسى كلمة قالها بونس بن حبيب : ما ذكر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فانفق المجلس على أحدهما ، وكما لم يتفق مجلس بونس بن حبيب في الماضي على جرير أو على الفرزدق فما أظن أن مجالسنا في الحاضر تنفق على رأي في أدب من الأدباء .

لقد قرأت ياسيدي بعض مقالاتك من مجلتيها : البيت العربي ، والغزالي ، وأثر الفكر العربي في الحضارة الإسلامية ، والقراءة المبدعة ، والشعلة المقدسة ، وثورة الدم ، وثورة الفكر ، وثقافة الخلق ، وثقافة الفكر وغير ذلك من نتائج خاطرك ، انك في كل موضوع من هذه الموضوعات الدقيقة التي عالجتها تهتم بالفكر قبل كل شيء ، ثم تعنى بصيغة هذا الفكر فأنت لا تريد أن تلبس بفكرك لباساً يزيد على مقداره أو ينقص عن هذا المقدار وإنما تحاول أن تجعل تناسباً مرموقاً بين فكرتك وبين لباسها فليست تهجد ذهنك في التفتيش عن لباس يزيد في حسنها وما يجهد أذهانهم في البحث عن مثل هذا اللباس إلا الذين يشككون في حسن فكرتهم فيجادلون أن يظهروا هذا الحسن بزينة خادعة أما أفكارك فانها في غنى عن كل خديعة .

لما صورت الغزالي ، أو في عبارة أصح ، لما خلصت صورته وركزتها قلت فيه : «لقد استهوى الغزالي حب الحقيقة حتى أخذ بمجامع نفسه ، وانقلب هذا الحب الى هوى عنيف استقطبت حوله جميع ميوله وعواطفه ، فأضحى ولا أثر فيه شهوة ، ولا ظل لرغبة ، ولا مظهر لمطمح في جاه أو مال أو منزلة أو أهل أو ولد أو وطن ، لقد ذابت فيه كل أنانية ، وانعدم فيه كل اهتمام ذاتي ، فهو اذا انصرف الى تصفية طوبته بالعبادة ، فليس ذلك مقصوده بالذات ، وهو اذا اشتغل بتزكية نفسه بالذكر فما الى هذا الهدف رعى ، تلك سلسلة من الأفعال السلوكية تصلح أن تكون واسطة لا غاية ، وميكانيكيات روحية تمارس ابتغاء غرض أسمى ، هذا الغرض الأسمى هو الوقوف على حقيقة الفطرة الأولى حتى يدعو إليها عن قناعة ورضى ، هو إدراك كنهه اليقين حتى يبشر به عن أمن ووثوق ، فحالته لا تشبه حالة عامة الفلاسفة ولا خاصتهم ، وموقفه لا يماثل موقف عامة الصوفية ولا خاصتهم . النظر لديه من أجل العمل ، والعمل لديه عن طمأنينة النظر . انه لم يقنع بالترعة العقلية الجافة المجردة التي تجدها

عند الحكماء أو المتكلمين أو المفكرين ، ولم يجتزئ بالزعة الروحانية الخالصة التي تعرفها للمتنسكة والمتصوفة والزهدة ، فهو لم يتبع صلاح عقله من أجل سداد المنطق ، ولا ابتغى صلاح روحه من أجل سلامة الأخلاق ، ولكنه اعتبر نفسه مسؤولاً عن المنطق وعن الأخلاق ، مطالباً بهذه المسؤولية أمام الانسانية والناس .

ان صوفية هذا الرجل العظيم لم تحتاج الى شيء من زينة البلاغة الكاذبة ولقد أدركت هذا الأمر الادراك كله فصوّرت صوفية الغزالي في حقيقة خطوطها وأوانها دون الاهتمام بالبحث عن لون زاهر أو خطٍ بارق لأن هذه الصوفية قوية بذاتها فهي لا تحتاج الى قوة مطلية فاذا قلت :

« فأضحى ولا أثر فيه لشهوة ولا ظلّ لرغبة ولا مظهر لمطمع في جاه أو مال أو منزلة أو أهل أو ولد أو وطن ، لقد ذابت فيه كل أنانية وانعدم فيه كل اهتمام ذاتي فهو اذا انصرف الى تصفية طوبته بالعبادة فليس ذلك مقصوده بالذات وهو اذا اشتغل بتزكية نفسه بالذكر فما الى هذا الهدف رمى . . . » .

اذا قلت هذا القول قلت أشدّ قول وأقواء ، هذا هو الغزالي في سطور قليلة لا زخرفة فيها ولا باطل ، هذه هي صوفيته في كلمات يسيرة لا بهرج فيها ولا طلاء ، فاذا كان الأدب بحسب رأي ابن خلدون الإيجاد في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم فما انحرفت في أدبك هذا عن هذه الأساليب وهذه المناحي واذا كان الأدب عبارة عن صورة الحياة فقد صوّرت الغزالي ، لا بل صوّرت فيه اسمي مظهر من مظاهره وأنبئ مقصد من مقاصده تصويراً فيه كل الصدق وفيه كل الأمانة وفيه كل التنسيق ، ولست أعتقد أن أدب الصورة في عصرنا هذا يفتقر الى أكثر من هذه الصفات : الصدق والأمانة والتنسيق .

هل أنا في حاجة الى الأكثر من الاستشهاد في هذا المعنى فان مثلاً واحداً في بعض الأحيان يلقى الضياء على أدب أدب ، لقد اخترت يا سيدي من أدبك مثلاً حياً ناطقاً ، لقد كذفت في قليل من البيان ما تبعث في تصانيف

وأظن أن هذا التكليف الذي ألهمت المقدرة عليه إنما هو نتيجة من نتائج مطالعاتك الكثيرة فأنا لما أشرت الى جزائرتك المكدوسة لم أشر اليها عبثاً وإنما رميت في هذه الإشارة الخفية الى خصب قراءتك حتى نشأ عن خصب القراءة خصب التفكير وفي الموضوعات التي ذكرتها ما يدل على طبيعة الميادين التي يجول فيها تفكيرك ولكن هذه الميادين اذا لم يرزق صاحبها لغة تفصلها أدق تفصيل وتوضحها أكمل توضيح لم تكن شيئاً مذكوراً ولقد رزقت في تفصيلها وتوضيحها فناً مصقولاً وأعني بهذا الفن المصقول تركيز الفكر وتركيز اللفظ فلم تصور أفكارك في غير حقائق صورها ، إنك من أهل التفكير المجرد فأنت تستطيع أن تنسلخ من المادة وأن ترتفع الى تصور الفكرة دون أن يسترها ستر أو يغطيها غطاء ، لقد نجاك الله في أدبك من هذا الداء الذي أصبنا به وهو داء انتفاخ الأفكار اذا صح هذا التعبير فكثيراً ما نعتبر عن فكرة بسيطة بلفظة أكبر من هذه الفكرة وما هي نتيجة هذا التعبير ، إن نتيجته إسراع النحر والبلبلى الى لغتنا وإن له نتيجة ثانية وهي تباعد ما بين عقليتنا وعقليات الأمم المتمدنة من وراء البحار فإنهم في مخاطباتهم العامة يفرقون بين لغة الشعر وبين لغة الأمر الواقع ونحن لا نفرق بين هاتين اللغتين وهذا ما يبتعد المسافات بيننا وبين هذه الأمم في تفاهمنا .

ولكن على الرغم من تفكيرك المجرد أفلم يك لك نصيب من التفكير الشعري ؟  
إني أظلم ظليماً فادحاً اذا سلخت الشعر منك فانك في مقالك « العالم المسحور » شاعر كل الشاعر ، معنى هذا أنك ملت الى إفراغ فكرتك في صور بأوس بها الشعراء ، أفليس في الصورة الآتية شيء من الشعر :

« كانت ذُّبالات الشموع الصغيرة العالقة بفروع شجرة الصنوبر تلقي بنور مضطرب على أطواق الذهب والقصب التي انتطقت بها الأغصان ، فتنعكس عنها في الظلام ومضات براقه تشيع خلجة الحياة في الدمى الغريبة الجاثمة هنا



وهناك . . . ونظرت زوجي اليّ وفي عينيها بعد أن رأت انهما هذا العالم السحري في نفس الغلام دمة متفرقة من الحزن الجارح ، فقالت : سيكون أمام هؤلاء الأطفال زمن يعانون خلاله حرارة الحقيقة ، فلماذا نضن عليهم الآن ولا نحسن اليهم بشيء من الكذب البريء .»

أجل انّ في هذا الكلام خيالاً ولكنه مصقول انّ فيه صوراً ولكنها غير بعيدة عن العين فان فلسفتك المجردة التي انقطعت اليها زمناً من عمرك غير قصير قد أثرت تأثيراً قوياً في تفكيرك الشعري ولماذا لا أقول قد أثرت تأثيراً محموداً في هذا التفكير ، اني على ميلي الى الشعر لا أحب الاغراق في الصور فأنا أحب صقلها والاعتدال فيها ولقد دلّ عالمك المسحور على هذا الصقل وهذا الاعتدال .

غير أن تفكيرك الفلسفي غلب على تفكيرك الشعري ، ولقد طفقت أشعر ياسيدي بارتباك يفوق كل ارتباك ، فاذا استطعت أن أبدي الرأي في أدبك سواءً أكان هذا الرأي صحيحاً أم غير صحيح ، فهل أستطيع أن أخوض في الكلام على فلسفتك ، إلا أني سأخرج من هذه الورطة التي أُرطوني فيها فأنا لا أعنى بالفلسفة ، بمذاهبها ومقاييسها ، مقدار عنايتي بنتائجها ، لقد نفقت الغزالي من مدفته ، وسواءً أكان الغزالي من أهل الشك أم لم يكن ، وسواءً أعرض عن العقل لتأسيس الدين على أقاض الفلسفة أم لم يعرض وسواءً أكان دينه العدم أم لم يكن وسواءً أبحث عن العمل والعلم أم لم يبحث ، اني أمرت بهذا كله فلست أفصد الى الفلسفة للبحث عن أسرارها ومبادئها ، وقد قدر لي أن أقرأ من زمن قريب أد بعيد خلاصتها فالذي رأيته أن المشاكل التي شغلت الفلاسفة في أقدم العصور هي التي تشغلهم في يومنا هذا ، فقد عني القديم بمذاهب المادة والروح والمعرفة والعمل وغير ذلك عناية الحديث بهذه المذاهب كلها وقد يتسع فكر الفلاسفة في هذه الآفاق وأشباهاها أو يضيق ، وقد بنقض عصر ما بناه عصر أو يظن عصر الى ما لم يظن اليه عصر فأنا أمرت بهذا كله ولكني

إذا بحثت عن الفلسفة فاني أبحث فيها عن دواء لأمرضنا أو عن حل لمعضلاتنا  
والفيلسوف الذي يصف دواءً لهذه الأمراض أو يأتي بحل لهذه المعضلات هو  
الذي يستهويني ويستميلني وما عليّ أن أعرف دقة بحثه وثقوب نظره فاني ألق  
العسل ولا أتعب نفسي في معرفة أصله ، كيف حوّلت النحلة زهرها إليه ،  
ان معرفتي بأساليب هذا التحويل لا تزيد في حلالة العسل ، وان جهلي بهذه  
الأساليب لا تنقص من هذه الحلالة ، لاشك في أنك ياسيدي وأنت الفيلسوف  
المتعمق لا توافقني على هذه النظرات الشعرية في الفلسفة واذا كنت لا توافقني  
عليها الموافقة كلها فانك لا تعيب عليّ أن أمرّ بدراستك للغزالي فأستنبط من  
هذه الدراسة الخلاصة الواقعة التي تنفعنا في حياتنا ، وأريد بهذه الخلاصة صوفيته  
الطاهرة ، هذه الصوفية التي أشعر بحاجة شديدة إليها في عصرنا هذا ، لقد  
تكالب الناس على المادة تكالبًا لم يعهده عصر من عصور البشرية واذا بحثنا  
عن أصول الحروب التي مضت من أربعين سنة ونظرنا الى الحروب التي يبشروننا  
بها في الآتي وجدنا أن من أسبابها لا بل من أقوى هذه الأسباب الإفراط  
في التعلق بالمادة ، فكان هذه البشرية مجردة من الشيء المقدس الذي نسميه :  
الروحانيات ، فانا لا نخصر مجلسًا من المجالس إلا رأينا غلبة النزعة المادية على  
أحاديثه فالإنسان في هذا العصر لا يشبع ولا يروى فكل شيء يقاس بالمادة  
وإني أستأذنك ياسيدي في هذه الخطرات القاسية والكني معذور اذا قلت لك  
ان بعض الحيوان اذا شبع عاف الأكل وان بعض الناس وبعض الأمم اذا شبعوا  
أو تحموا قاموا عن السفره وعيونهم في الأكل .

لما درست الغزالي وكشفت عظمتة مهدت لنا سبيلًا الى التمتع بهذه العظمة  
فنحن نلجأ اليه للاستشفاء بصوفيته في هذا العصر ومعاذ الله أن أعني بالصوفية  
تعود المرء عن العمل وزهده في الحياة وإنما أعني بها محبته للعمل وولعه بالحياة

على أسلوب نقي طاهر فما أظن أن الغزالي قعد عن العمل في حياته أو كره الحياة فان خصب إنتاجه لأكبر دائل على نشاطه في العمل وعلى محبته للحياة ففحن نريد صوفية مثل هذه الصوفية ، نريد صوفية تطهرنا من أخلاقنا الحيوانية ونأمل يا سيدي في دخولك جمعنا اليوم أن تشيع مبادئ الغزالي على قلبك ، لقد اجتمعت فيك قوتان : قوة شرقية وقوة غربية ، أخذت عن العرب هذه اللغة التي أحببتها حباً جماً ملاً شعورك ، هذه اللغة التي اشتملت على لحم ووطنك ودمه وروحه وأخذت عن الغرب هذه النظرة الصادقة الى الحياة ، هذا التفكير القوي ، أما وقد دخلت جمعنا فقد زادت ثروته بأمثالك فاذا توليت تقديمك في هذا المساء فما توخيت في هذا التقديم إلا التثويه بنزعتك العربية التي تجلت في حبك لأكبر مظهر من مظاهر ميراثنا وهو بياننا المقدس ، وإلا الإعلان بفهمك للعبارة وإيمانك بقوة التفكير !

شفيق جبري

## ديوان ابن هيوس

« ملحوظات عليه »

١ - جاء في الصفحة « ١١ من المقدمة ٦ س ١ » ( وفي سنة ٤٦٣ فتح أنسز بن أوق الخوارزمي من أمراء السلطان ملكشاه السلجوقي القدس ) .  
قلت : لم يكن في سنة فتحه القدس من أمراء ملكشاه ، لأنه ولي السلطنة السلجوقية سنة « ٤٦٥ » فهو يومئذ من أمراء ألب أرسلان السلجوقي .

٢ - الأبيات السبئية الثلاثة الواردة في « ص ١٧ » من المقدمة ، ذكرها مؤلف الكتاب الذي سميناه « الحوادث الجامعة » كما جاء في « ص ١٩ » من المطبوع <sup>(١)</sup> ، وذلك في ترجمة أحمد بن أبي السعود الرصافي أحد الذين نسخوا « ديوان سنجيم » والأبيات قصة طريفة مذكورة هناك .

٣ - ابن حببوس المغربي الوارد اسمه في « ص ١٩ » من المقدمة مذكور في « المعجب في أخبار المغرب » أيضاً ، ذكره مؤلفه في خبر عبور عبد المؤمن المتهددي الى الأندلس قال : « واستدعى الشعراء في هذا اليوم ابتداءً ولم يكن يستدعيهم قبل ذلك ، إنما كانوا يستأذنون فيؤذن لهم وكان على باب طائفة منهم أكثرهم مجيدون ، فدخلوا فكان أول من أشد أبو عبد الله محمد بن حببوس من أهل مدينة فاس وكانت طريقتة في الشعر على نحو طريقتة محمد بن هاني الأندلسي ٠٠٠ » ( ص ١٣٧ ) من الطبعة المصرية ١٣٢٤ .

٤ - ورد في « ص ٢٣ » من المقدمة قول ابن حيوس :

وإئن حنت ظهري السنون بمرتها فالرُحُ بنفَعُ وهو غير مقوم  
وكان ينبغي التنبيه على أن قوله « فالرُحُ » غير فصيح لأن هذا موضع اللام  
لا الفاء كما قال النابغة :

(١) وذكرت في كامل ابن الأثير « ج ١ ص ٣٦ » في حوادث سنة ٤٦٩ هـ .

- لئن كنت قد بلغت عني وشابةً لمبلغك الواشي أغش وأكذب<sup>(١)</sup>
- ٥ - وجاء في «ص ٤٣» من المقدمة و «ص ٣٨١» من الديوان :
- وعَوافٍ تنرى ولا رؤيت منك ربوع العليا وهنَّ عَوافٍ  
والصحيح أن يكتب البيت كما يأتي ولعل هذا من سبق القلم :
- وعَوافٍ تنرى ولا رؤيتُ منكَ ربوعُ العليا وهنَّ عَوافٍ  
والبيت من عمرو بن الخفيف ، تنتهي «فاعلاتن» بالنون من «منك» .  
ومثله ما في «ص ٤» :
- ما بهرتَ المقول يامعجز الآيات إلا لتجمع الأهواء  
وما في «ص ٥» :
- حزت حكم الجيوش فيهم وما جهم — زت جيشاً ولا عقدت لواء
- ٦ - وجاء في «ص ١٧» من الديوان «نصلُ الرِّفاء بصالح الأبناء» .  
والمعروف «الرِّفاء» بكسر الراء لأنه مصدر «رافأ» أي داري ووافق .
- ٧ - وورد في «ص ٢٧» منه : «مواهبٌ تتلوها وتنرى مواهبٌ» ،  
وكان حسناً أن يبنى على أنه استعمل «تنرى» فعلاً وهي صفة أصلها «وترى»  
من الوتر ، ولعله استعملها كذلك في «ص ٣٨١» .
- ٨ - وفي «ص ٣٥» «إلى الموت مما يكسبُ العار تهربُ» كان حسناً  
أن يُشار إلى اختلاف اللغويين في «كسب وأكسب» .
- ٩ - وفيها أيضاً «ولست كمن أنحى عليه زمانه» والوجه «زمانه» لأنه فاعل ،  
وخصوصاً بعد تفسيره «أنحى عليه» بـ «أخنى عليه» .
- ١٠ - أبو الكرم حيدرة بن الحسين المذكور في «ص ٤٢» ترجمه  
ابن الفوطي في «تلخيص معجم الألقاب» ج ٥ الترجمة ١٣٠١ قال : «معتمِر الدولة  
المؤيد أبو الكرم حيدرة بن الحسين بن مفلح المغربي والي دمشق . ذكره الخافظ
- (١) ويرد على قائل هذا بأن ابن حيوس استعمل «لئن» للماضي فلم يكن له يد  
من الغاء .

أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر «٠٠٠» وأحال ناشره في الحاشية على تهذيب التاريخ «٥: ٢٧» وأنه عزل سنة «٤٥٥» .

١١ - ابن أبي الجين نخر الدولة العلوي ، ترجمه ابن النوطي في « تلخيص معجم الألقاب » « ج ٤ ص ٢٥١ » من نسختي الخطية وفي الورقة « ٣٢٦ » من النسخة المصورة ، إلا أن الترجمة سقطت وبقي الاسم فأكدته من النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة « ج ٥ ص ٣٧ » .

١٢ - في ص ١٥٩ « من رأية في حوره التقليد » قال في الحاشية « ولعل الصواب : في حوزة » . والخور عندي أحق وأجمل فالخور نقصان بعد الزيادة يقال : « نعوذ بالله من الخور والكور » .

١٣ - وفي « ص ١٨٤ » يكون البيت على النحو الآتي :

وغرّ العنز أن الدين وامر هناك وأن ناصره بعيد

والعنز هم قبائل طغربك التركماني ولا وجه للأصل المطبوع .

١٤ وفي « ص ٢٤٢ » ( فلا افتقرت ما ذب عن ناظر شفر ) وجاء في الحاشية أن رواية تاريخ ابن الوردي « ما افتقر عن ناظر » وقد ورد في بعض الكتب التاريخية « المنتظم ج ٨ ص ٣٠٤ » :

ثمانية لم تفتقر منذ جمعتهما ولا افتقرت ما فتر عن ناظر شهر  
ضميرك والتقوى وجودك والغنى ولفظك والمعنى وعزمك والنصر

ورد شيء من أبيات الرائية « ص ٢٤٨ » من الديوان في المنتظم أيضاً « ج ٨ ص ٣٠٤ » وذكر ابن الأثير في حوادث سنة « ٤٦٩ » ثلاثة أبيات من القصيدة المذكورة .

١٥ - ذكر هندو شاه الصاحب في كتابه « تجارب السلف » بالفارسية بيتين

من قصيدة ابن حبوس<sup>(١)</sup> « الديوان ص ٢٧٠ » مع بيتين للخليفة المستنجد بالله وهي :

(١) جملة عباس إقبال الأستاذ « ابن حبوس » وهو طابع الكتاب .

ضفت نعمتان خصتنا وعميتا فذكرهما حتى القيامة يؤثر  
 وجودك والدنيا اليك فقيرة وجودك والمعروف في الناس منكر  
 فلو رام يا يحيى مكانك جعفر ويحيى لكنتا<sup>(١)</sup> عنه يحيى وجعفر  
 ولم أر من ينوي لك سوء، يا أبا السومظفر إلا كنت أنت المظفر  
 ١٦ - وفي حاشية «ص ٢٧٠» مانصه « فأشده بمدحه أربعة أبيات الأخيرين  
 منها للخليفة والأولين لابن حيوس » والوجه « الأخيران » و « الأولان »  
 على الرفع بالابتداء ، ابتداءً في الأول وعطفًا في الثاني ، ولا تصح هنا البديلة  
 لاحتياج الجار والمجرور بعدهما الى رافع .

١٧ - وفي حاشية «ص ٣٠٠» ما صورته « واغتيل سنة ٤١١ » والصحيح  
 « فاغتيل فقتل » لأن الاغتيل هو المفاجأة على عادة الغول المزعومة<sup>(٢)</sup> .  
 ١٨ - وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد « ميج ٤ ص ٢٦٦ » بيتان  
 استشهد بهما . مؤلفه وهما من فصيدة لابن حيوس « ص ٣١٥ - ٦ » من الديوان .  
 ١٩ - وجاء في « ص ٣٩٦ » ذكر القاضي عين الدولة وفي حاشيتها ترجمته  
 منقولة من « هجيم الألقاب » لابن الفوطي . قلت : إن ابن الفوطي ترجمه ثانية  
 في موضع آخر من كتابه المذكور قال في موضع العين من « العين » :  
 « عين الدولة أبو محمد عبد الله بن علي بن عياض بن أبي عقيل الصوري ،  
 صاحب الساحل ، ذكره أبو الفرج غيث بن علي في تاريخ صور ووصفه بالسخاء  
 والمروءة وروى عن أبي الحسن علي بن الحسن المترفق الطرسوسي . روى عنه  
 سهل بن بشر وأبو طالب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الشيرازي والشريف  
 أبو علي الحسن بن احمد بن عبد الله النعماني وابنه الشريف عبد الله . وذكره  
 الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر في تاريخه وقال : وسمع أبا الحسن بن  
 جميع وطبقته وقدم دمشق وحدث بها وروى عنه أبو بكر الخطيب وخرج له  
 فوائد في أربعة أجزاء وكانت وفاته بصور في شوال سنة خمسين وأربعمائة . »

(١) للصواب « لكنتنا » .

(٢) أعني أن المفاجأة لا تنكفي في الاعراب عن المعنى .

وذكره أبو شامة في «الروضتين ج ١ ص ١٢٧» استطراداً قال : «قلت ابن أبي عقيل هذا هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن عياض بن أبي عقيل صاحب صور ويلقب عين الدولة ، مات سنة خمس وستين وأربعمائة ، واستولى على صور ابنه النفيس والله أعلم » .

وقال ابن تغري بردي في وفيات سنة «٤٥٠» من النجوم الزاهرة «ج ٥ ص ٦٣» : وفيها توفي عبد الله بن علي بن عياض أبو محمد الصوري كان يلقب بعين الدولة ، كان جليلاً نبيلاً ولي القضاء بصور وسمع الكثير وخرّج له أبو بكر الخطيب فوائد في أربعة أجزاء وقرأها عليه بصور وهو الذي أخذ الخطيب مصنفاته وادّعاها لنفسه ومات نجاة في الزيب «قربة بين عكا وصور» في شوال وكان صدوقاً ثقة .

ثم ذكر في حوادث سنة «٤٨٢» (ج ٥ ص ١٢٨) ما هذا نصه : «فيها جهز بدر الجمالي عسكرياً من مصر مع نصير الدولة الجيوشي فنزل على صور وهما القاضي عين الدولة ابن أبي عقيل فسلمها إليه ١٠٠٠ . فقد أحياء بعد أن أماته باثنتين وثلاثين سنة وهو أمر عجيب (١) .

٢٠ - وجاء في «ص ٤٢٠» ذكر «طراد بن محمد الزبيني» والصواب «طراد» نسبة بالمصدر وهو مذكور في شعر حيص بيص كذلك في مواضع لا تحتمل الشك .  
٢١ - جاء في «ص ٥٤٩» ذكر دار عزيز الدولة بغير تعريف به وهو عزيز الدولة أبو الدوام ثابت بن شمال بن صالح بن مرداس الكلابي ، ورد ذكره في «زبدة الحب» (ج ١ ص ٢٩٣) وفي نقة اليتيمة استطراداً مع شاعره أبي الخير المنفل بن سعيد المرعي العزيري «ج ١ ص ٨» وله ألف المرعي كتاب «اللامع العزيري» (٢) .

٢٢ - وردت ترجمة ابن حيوس في «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي

(١) المذكور في ص ٣٩٦ من الديوان هو عين الدولة أبو الحسن محمد بن عبد الله بن علي ابن أبي عقيل. والذي ذكره ابن عساكر وصاحب النجوم الزاهرة هو عين الدولة أبو محمد عبد الله بن علي يعني والد المذكور في الديوان .  
خليل مهدي بك  
(٢) وله ترجمة في تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي .



مختصرة « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦ ورقة ١٧١ » قال :  
 « محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس الأمير الشاعر الفصيح ، هذا أحد الشعراء  
 الشاميين وفحول المجيدين ، مدح أعيان الأمراء والأكابر وله ديوان مشهور .  
 ولد سنة أربع وتسعين وثلاثمائة بدمشق ومات بها (ب) في شعبان [ من سنة ٤٧٣ ]  
 وقد جاوز الثمانين ، وأُشيد له ابن عساكر :

أسكان نهمان الأراك تيقنوا بأنكم في ربع قلبي مسكان (١)  
 ودوموا على حفظ الوداد فإنني بليت بأحباب إذا حفظوا خانوا  
 سلوا (٢) الليل عني مذ تناءت دياركم هل التحفت بالغمض لي فيه أجفان  
 وهل تجردت أسياف برق ممائكم فكانت لما إلا جفوني أجفان ؟  
 هذا في الحقيقة كلف قد ظهر في شمس هذا الديوان الذي جمع نشره  
 بين البراعة والألمعية والإحسان :

وماذا يضر الشمس إن قيل أكانت وماذا يضر البدر إن قيل أهو لا ؟  
 أنارت ملايين السنين ولم تزل تنير وهذا البدر مازال في معلأ

مصطفى جواد

❦

(بغداد)

استراک

يرجى إصلاح الكلمات الواردة في مقالي « المدرسة العادلية الكبرى » كما يلي :

الصواب	الخطأ	ص	س
أصول الفقه	الفقه	٥٧	٢
الحصيري	الحصري	٦١	١٠
ابو بكر	محمد بن ابي بكر	٦٥	١٨
والد المؤرخ	المؤرخ	٦٦	٨

محمد أصغر دهمان

❦

(خ ٢٠)

(٢) في الأصل « سل » .

(ب) كذا والصواب انه مات في حلب .

(١) الديوان « ص ٦٤٥ » .

## (غَوْل) أم (كحول) ؟

كان الأستاذ المغربي - أمدًا الله في حياته - كتب في هذه المجلة ( الجزء الرابع من المجلد الثامن والعشرين ، في الصفحة ٦٤٧ ، من السنة ١٩٥٣ ) كلمة حول (الكحول) و ( الغول ) وأتى بشرح لكلمة ( كُحَيْل ) وإمكان إطلاقها على ما يقصده العامة من كلمة ( اسبيرتو ) ذلك المائع اللاذع المستقطر من كل مادة سكرية تخمور ( fermentescible ) عانت اختاراً غولياً بفعل خميرة يسميها الكيميائيون ( غَوْلَاز alcoholase ) . لكن هذا الشرح زاد في الأمر تعقيداً وأضاف الى مرادفات هذه المادة ، كلمة جديدة نحن في غنى عنها وفي أبدننا كلمة ( غول ) الملازمة كل الملازمة للفرض المستعملة له سواءً أكانت حديثة الاستعمال لما يوافق ( alcool ) الافرنجية أم كانت قديمته .

أما ان أصل كلمة ( alcool ) الافرنجية ، عربي من ( al,cohol ) كما استنبطه الفرييون ) فهذا لا ريب فيه باعتراف الفرنجة أنفسهم بذلك . وإنما استعاروا نعومة خاصة في ال ( كُحَيْل ) الصلب ، وهو ذرور غاية في النعومة ، يستعمل للتكحيل ) ، للطافة وبخورية ( volatilité ) في ( الغول ) المائع ، وهو قُطارة غاية في اللطافة والنجى ، من باب المجاز لا من باب الحقيقة والانطباق على الواقع ، لأنهم يقولون : ( al : أل ) ، بالعريسة ، و cohool : شيء لا طيار chose subtile ) . و ( subtil من اللاتينية subtilis : غاية في النعومة والدقة واللطافة الخ . ومنها في الافرنسية مصدر subtiliser : بَحْسَر ، صَعَّد ، حَوَّل الى بخار أو غاز . فال ( subtil ) على هذا بَحْسُور ، صَعُود ، وِرَازان فَعْوَل الدال على القابلية ) .

وعندي أن العرب وهم أول من استقطر ( الغول ) من النبيذ أو الخمر ، لم يسموه ( كحول ) ولا ( كُحَيْل ) ، على التصغير ) وإنما أسموه في البدء ( روح

النبيد أو الخمر) من الاستقطار أو الخمر والتصدد فكأنما هو روح يَصْعَدُ من صميم النبذ . وهذا ما حمل الافرنج أن يشرحوا (cohol) بكلمة (subtil) أي البَخُور ، الطيار الصعود الخ ، وبنقلوا عن العرب جملةً بالمعنى نفسه (esprit-de-vin) وباللاتينية (spirito) ومعناها الروح .

بعد هذا لا مجال لوجه الشبه بين (الكُحْل) الصاب أو (الكُحَيْل) المائع الغليظ الكثيف حتى يطلق العرب - وهم مشهورون بسلامة الذوق ودقة التشبيه - على (روح النبذ) كلمة (كحل) أو (كحيل) . ولو كان (alcohol) منتقلاً عن (الكُحَيْل) ، بضم ففتح) لوجب أن تكون في لسانهم (alcohol) لا (alcohol) التي ليس من شك في أنها عن (كُحْل) .

والأترك بلفظون الكلمة الافرنجية (alcool) : (كُؤُول) بالهمزة وبضمة ثقيلة مبسوطة كما في لفظ الكلمة (حُؤُول) إذ لا يستطيعون لفظ الحاء من مخرجها الحقيقي من الحلق . ولولا اللبس بكلمة (الكُؤُول) - جمع كهل - لفظوها (كهول) كما هي عادتهم في لفظ الحاء العربية هاء . وبنهم انتقلت الى من أخذ عنهم في مدارسهم من العرب (من سوريين ، وعراقيين ، ومصريين) في العهد العثماني السابق . والزملاء المصريون لا يزالون يستعملون كلمة (كحول) ويمسبونها (مفرد) لا (جمع) فيقولون ويكتبون في محادثاتهم ونشراتهم أو مجلاتهم : (كحول صاف ، كحول أبيض) وقد صفاها عن بالهم ان (كحول) إن صحَّ تسمية (السبيرتو) بها فهي جمع (كحل) وان (كل جمع مؤنث) . فالخطأ مضاعف : أ) استعمال الكحل لما يوافق (القول) ، ب) ظنهم (كحول) مفرداً لا جمعاً ووصفهم إياها بصفات التذكير لا التأنيث .

أما قول الأستاذ المغربي الفاضل إن (القول) هو (الاغتيال) فهو صحيح . وفي القاموس : (القول ، الصداع والسكتر) ، ومن أطلق هذه الكلمة على

المائع المستقطر من الخمر قد أصاب انسميته الشيء بما يؤول إليه ، كما سيق  
(إني أراي أعصر خمرأ ، الآية ، أي العنب الذي سيقول الى خمر ، لأن الخمر  
لا تعصر . نخمر الجنة ( لا غول فيها ) . فالصداع والسكر والعريضة و ( الاغتياال )  
وكل ما يبدو من شارب الخمر وغيرها من الأشربة الروحية ، من شذوذ فعلاً  
وخلقاً ما هو إلا مما تحتوي عليه الخمر أم الخبائث ، من ( السبيرتو ) المادة التي  
لا ريب في تأثيرها في العقل والجملة العصبية جمعاء .

فهل من مانع يمنع من إطلاق ( الفول ) على ( السبيرتو ) المادة التي تنجم  
عنها هذه العوارض المرضية والجنونية فهي السبب في كل هذه الحالات الشاذة  
التي تبدو على السكران جسماً وروحاً ، وهي السبب في تحريم شربها في الإسلام .  
فالخمر لولا ( الفول ) أو ( السبيرتو ) فيها لما أحدثت في شاربها أكثر مما يحدثه  
الماء الزلال من لذة الارتواء ونقع الغلة .

ومثل القَوْل كلمة ( القَوْل ، بالضم ) فهي : ( الهلكة والداهية ) . فكان  
شارب الخمر ( أو السبيرتو ) يشرب الهلاك ، ويتجرع الموت عاجلاً أو آجلاً .  
هذا ما رأيت أن أبدبه على صفحات مجلتنا استجابةً للحقيقة ، وأنا شاكر لواقع  
كلمة ( القَوْل ) لما يقابل ( السبيرتو ) كأننا من كان - فهو موفق في إطلاقه هذا -  
وماضٍ في استعمالها منذ اطلاعي عليها من أمد بعيد ، وعامل على إشاعتها بين  
طلابي والناطقين بالضاد ، تاركاً الكحل ، للعين - والكحيل ، للنفط والقطران  
الذي يطلى به الإبل .

الكواكبي

✽✽✽

( دارم ) و ( نوت )

أشرف بإرسال ما وقع في خاطري عند قراءة مجلتكم الغراء ( الجزء الأول من  
المجلد التاسع والعشرين ، كانون الثاني ١٩٥٤ ، صفحة ٢٧ ، و صفحة ١١٨ ، ج ١٣ ) :

دارم : أخبرني أعرابي من ربيعة أن الدارم شجر يشبه الغضا ، له هدب ، ولونه أسود ، ومنابته الرمل بنواحي الشجر ، ويُتخذ منه المساويك . وله طعم حرّ برف . وإذا أصبتك به حمّر اللثة والشفة . وقد وصفناه في باب السوك .  
(قطعة كتاب النبات للدينوري ، طبع Lewin سنة ١٩٥٣ ص ١٧٠)

وقال في ماعسى أن يكون من باب المساويك :

« والدارم شجر شبيه بالغضا ، ولونه أسود ، يستاك به النساء فيحمّر لثامهن وشفاهن تحميراً شديداً . رواه أبو حنيفة وأشد :

إنما سلّ فؤادي درّام بالشتين

والدرّام ، محركتين ، احمرار في الشفتين عقيب الاستياك » .

(راجع لسان العرب وتاج العروس مادة درم ؛ تهذيب

التهذيب للأزهري ، مخطوطة لوندرا ، ص ٢١٧٢)

فاذا ليس لأخواتنا أن ينجلن أمام الباريسيات لتحمير شفاههن ، نعم نبحت في

الدارم ونزرعه في بلادنا كي نسفغي عن استيراد البضائع الاجنبية .

\* \* \*

توث : بالثاء . وقوم من النخويين يقولون توت بالثاء . ولم نسمع به في الشعر إلا بالثاء وذلك أيضاً قليل لأنه لا يكاد يأتي من العرب إلا بذكر الفرساد . وقد قال بعض الأعراب ورواه الناس :

لروضة من رياض الحزن أو طرف من القرية حزن غير محروث  
أحلى وأشهى لعيني إن مررت به من كرخ بغداد ذي الرمان والتوث

وقد روي عن الأصمعي أنه قال : التوث هو بالفارسية ، وهو بالعربية التوت :

وقال بعض الرواة : أهل البصرة يسمون شجرته الفرساد ويسمون الجمل التوث .

(كتاب النبات للدينوري طبع Lewin أيضاً ص ٧١)

محمد حميد الله

\*\*\*\*\*

(باريز)

## فهرس الجزء الثالث من المجلد التاسع والعشرين

	صفحة
للأستاذ خليل مردم بك . . . . .	٣٢١ مقالة أبي العلاء أو مذهب العقل (١)
للأستاذ جميل صليبا . . . . .	٣٣٣ المدينة العادلة
للأستاذ كوزكيس عواد . . . . .	٣٤٥ فهرست مؤلفات عبي الدين ابن عربي (١)
للأستاذ شوكت الفنواي . . . . .	٣٦٠ رعاية الطفولة والأمومة في قانون ابن سينا
للأستاذ هيد القادر المغربي . . . . .	٣٧٤ جولة لغوية في كتاب النبات (١)
للأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور . . . . .	٣٨٧ مقدمة المرزوقي لشرحه لحجاسة أبي تمام (١)
للأستاذ عباس المزوي . . . . .	٣٩٦ تاريخ علم الفلك في العراق (٣)
للأستاذ محمد صفيح حسن المصومي . . . . .	٤٠٦ رسالة حمي بن يقظان مع شرحها لابن سينا (١)
للأستاذ نعيم الحمصي . . . . .	٤١٧ تاريخ فكرة إعجاز القرآن (٨)

### التعريف والنقد

للأستاذ شفيق جبيري . . . . .	{	٤٢٥ محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
		٤٢٦ مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي
		٤٢٨ الفلسطيينيات
للأستاذ عارف النكدي . . . . .	{	٤٢٩ لبلى العليفة
		٤٣٢ الشاعر القروي
للأستاذ محمد بهجة البيطار . . . . .	{	٤٣٧ رسالة المهدي
		٤٣٨ تفسير جزءه (قد سمع)

### آراء وأبناء

. . . . .	٤٣٩ وفاة الأستاذ أحمد أمين . . . . .
. . . . .	٤٤٥ كلمة الأستاذ حكيم هاشم في الجلسة التي عقدت لاستقباله . . . . .
. . . . .	٤٥٩ كلمة الأستاذ شفيق جبيري في الجلسة التي عقدت لاستقبال الأستاذ حكيم هاشم . . . . .
للأستاذ مصطفى جواد . . . . .	٤٦٨ ديوان ابن جبروس . . . . .
للأستاذ محمد أحمد دهان . . . . .	٤٧٣ استنراك . . . . .
للأستاذ محمد صلاح الدين الكواكبي . . . . .	٤٧٤ (كحول) أم (كحول) ؟ . . . . .
للأستاذ محمد حميد الله . . . . .	٤٧٦ (دارم) و (توت) . . . . .

## مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
- ٣ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٤ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٥ - رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٦ - المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٧ - تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٨ - المستجاد من فعات الأجواد للقاضي أبي علي الحسن التنوخي : بتحقيق  
الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - البصرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٢ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٣ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي  
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٤ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٥ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكلته الأستاذ خليل مردم بك
- ١٦ - ديوان ابن جيسوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٧ - (الجزء الثاني) = = = =
- ١٨ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعمي (الجزء الأول) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني

- ١٩ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ( الجزء الثاني ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢٠ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢١ - = = = = (الجزء الثاني) = = = =
- ٢٢ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم التاريخ ) وضعه  
الدكتور يوسف العث
- ٢٣ - ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ٢٤ - تاريخ مدينة دمشق للمحافظ ابن عساكر ( المجلد الأول ) بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٥ - فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٦ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن  
يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين .
- ٢٧ - تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٢٨ - عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
- ٢٩ - الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الاستانبولي : شرحه  
وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
- ٣٠ - التبصر بالتجارة للمحافظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الزهابة
- ٣١ - المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي } بتحقيق الأستاذ  
٣٢ - تكملة إصلاح ما نفاط به العامة للجواليقي } عن الدين التنوخي  
٣٣ - بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
- ٣٤ - الرسالة النباتية : للأمر مصطفى الشهابي
- ٣٥ - المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
- ٣٦ - الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني





# مجلة المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٤

٣ صفر سنة ١٣٧٤

## مقالة أبي العلاء

أو

مذهب العقل

- ٢ -

الروح

رأي أبي العلاء في الروح أنها من أمر الله ، أراد أن تكون مسراً محجوباً عن البشر وهي معهم دلالة على العجز عن إدراك كنهها . فإذا كان الإنسان عاجزاً عن إدراكها وهي معه ، فكيف إذا انفصلت عنه :

أرواحنا معنا وليس لنا بها علمٌ فكيف إذا حوتها الأقبيرُ

أما الجسوم فالتراب مألها وعبيت بالأرواح أنسى تسلكُ

دفنهم في الأرض دفن تيقنٍ ولا علم بالأرواح غير ظنونٍ

وروم الفتى ما قد طوى الله علمه بعد جنوناً أو شبهه جنون

واكنه على كل حال ينكر التناسخ :

يقولون إن الجسم تنقل روحه الى غيره حتى يهذبها النقل  
تقبلت ما يجبرونك ضلة اذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

### رأيه في البسر

مر في رأي أبي العلاء شريرون بالطبع ، طبعوا على الأذى ، وجبلوا  
من طينة فاسدة :

جبلت بالفساد واشجة إن لامها المرء لام جابلها

والطبع في كل جبل طبع ملامة وليس في الطبع مجبول على الكرم

والشر في الجد القديم غريزة في كل نفس منه عرق ضارب

من ادعى أنه وفي فليتنسب في سوى الأنام

ويعتقد أن الخير والكرم لم يوجدوا على هذه الأرض :

ما كان في الأرض من خير ولا كرم فضل من قال إن الأكرمين فنوا

وأن الناس كلهم على اختلاف أجناسهم لؤماء أرياء ، سواء في ذلك قديهم

وحديثهم ، أوباش أخساء لأنهم أبناء هذه الدنيا الخسيسة :

بني آدم بئس المعاشر أنتم فما فيكم وافر لقت ولا حب

خسست يا أمنا الدنيا فأف لنا بنو الخسيسة أوباش أخساء

مضى الزمان ونفس الحي موانعة بالشر من قبل هاويل وقايل

لو ضربل الناس كيا بعد مواصقطا لما تحصل ثي في الغرايل

ما جهل الأمم الذين عرفتهم ولغسل صالغهم أضل وأتبر

ومن كانت هذه حالم فكل ما في العالم أفضل منهم حتى الصخر :  
أفضل من أفضلهم صخرة لا تظلم الناس ولا تكذب

إحذر سليمانك فالنار التي خرجت° من زندها إن أصابت عوده احترقا  
وكلنا قوم سوء لا أخص به بعض الأنام ولكن أجمع الفرقا  
لا ترجون° أخا منهم ولا ولداً وإن رأيت حياءً أسبغ العرقا  
والنفس شرٌّ من الأعداء كلهم وإن خلت بك يوماً فاحترز فرقا

وهم في رأيه لا دواء لدائهم ولا أمل في إنقاذهم من ضلالهم :

ومن الرزية أنت تبيت مكلفاً إصلاح من صحب الغريزة فاسداً

حوتنا شرورٌ لا صلاح لمثلها فان شدة منا صالح فهو نادر  
وما فسدت أخلاقنا باختيارنا ولكن بأمرٍ سببته المقادر  
وفي الأصل غش والفروع توابعٌ وكيف وفاء النجیل والأب غادر  
إذا اعتلت الأفعال جاءت عليلةً كحالاتها أسماؤها والمصادر  
فقل للغراب الجون إن كان سامعاً أنت على تغيير لونك قادر

يوفي على المنبر العالي خطيبهم وإنما يعظ الآساد والشعرا  
هم السباع إذا عنت فرائسها وإن دعوت لخبر حوّلوا محمرا

### رأيه في المرأة

ليس عجيباً أن يكون أبو العلاء حذراً من المرأة لا يأمنها بعد أن علنا رأيه  
في البشر عامة . فهو يرى أن تلزم المرأة بيتها وأن يكون حجابها كثيفاً ،  
وانه يكفئها من التعلم الغزل والنسيج مع حفظ شيء من القرآن تتلوه في صلاتها .  
فن سوء رأيه فيها قوله :

ولحب الصحيح آثرت الروم أنساب الغنى الى أمهاته

وقوله في حجابها :

إذا بلغ الوليد لديك عشرًا      فلا بدخل أعلى الحرم الوليدُ  
فإن خالفتني وأضعت نصحي      فأنت وإن رزقت حجيَّ بليدُ  
ألا إن النساء جبال غيِّ      بهن يضيِّع الشرف التليدُ

وقوله :

لا تجلس حرةً موقفةً مع ابن زوج لها ولا خستين  
فذاك خير لها وأسلم للإسنان إن الفتى مع العتق

ويقول في تعاليمها :

علمهن الغزل والنسج والردن وخلوا كتابةً وقراءه  
فضلاة الفتاة بالحمد والإخاء لاص تجزي عن بونس وبراه

ويقول :

ولا تجمد حسانك إن توافت      بأبيدٍ لسطور مقوماتِ  
لحمل منازل النسوان أولى      بهن من البراع مقلَّباتِ  
ليأخذن التلاوة عن عجوزٍ      من اللاتي فغرت مهتباتِ  
يسبحن المليك بكل جنحٍ      ويركعن الضحى متأثباتِ  
فما عيب على الغنيمات لحنٌ      إذا قلن المراد مترجماتِ  
ولا بدنين من رجل ضرب      بلقنهن آبا محكباتِ  
سوى من كان مرتعشاً بداه      ولقنه من المشغباتِ

ويقول :

إن نشأت بذك في نعمة      فالزمها البيت والمغزلا

وقد بقسو عليها فيقول :

إذا ابتكرت الى العراف فاعرف مكان عصا تصك بها قراها<sup>(١)</sup>  
وساورها إذا أبدت سواراً وبارئها متى كشفت بُراها<sup>(٢)</sup>

### رأي في الزواج

من المعلوم أن أبا العلاء لم يتزوج لفرط تشاؤمه بالحياة ، فهو يفضل الرهبانية والتعفف قال :

وبعجني دأب الدين ترهبوا سوى أكلهم كدالنفوس الشحائح

وقال :

خضاؤك خير من زواجك حرة فكيف إذا أصبحت زوجاً لموسى  
وإن كتاب المهر فيما التسته نظير كتاب الشاعر التلمس<sup>(٣)</sup>  
هذا الذي اختاره أبو العلاء لنفسه ، ولكنه يعلم أن الناس لا يمكن أن يأخذوا أنفسهم بما أخذ به هو نفسه ، لذلك فهو ينصح ان لا يطبق الرهبانية أن يتزوج بامرأة عقيم لأن التناسل في رأيه جنابة :

إذا شئت يوماً وصلةً بقرينة نغير نساء العالمين عقيمها  
وهو لا يميز الزوج بأكثر من واحدة ، ويرى تعدد الزوجات من أسوأ الأعمال عاقبة :

وواحدةً كفتك فلا تجاوز إلى أخرى تجي بمؤامات  
وإن أرغمت صاحبةً بضره فأجدر أن تروع بعمرات  
زجاج إن رفقت به وإلا رأيت ضروبه متقصمات

ومن جمع الضرات يطلب لذة فقد بات بالاضرار غير سديد

(١) القرى : الظهر .

(٢) البورى : الخلاخيل .

(٣) يريد بكتاب التلمس الصحيفة التي كتبها عمرو بن هند ملك الحيرة الى طامه على البحرين بقتل المنسي .

وان يلتبس أخرى جديداً لحاجة  
 فلا يأمن منها ابتغاء جديد  
 اذا كنت ذا نيتين فاغد بحارباً  
 عديوين واحذر من ثلاث ضرائر  
 وإن هن أبدن المودة والرضا  
 فكم من حقوق عيبت في السرائر  
 قرانك ما بين النساء أذية  
 لمن فلا تحمل أذاة الحرائر  
 وإن كنت غراً بالزمان وأهله  
 فيكفيك إحدى الآفات الغرائر  
 حتى تشرك مع امرأة سواها  
 فقد أخطأت في الرأي التريك  
 فلو يرجى مع الشركاء خير  
 لما كان الإله بلا شريك

### بغض للحياة وزهره في النسل

رأي أبي العلاء في سوء نحيضة البشر ، واستحالة إصلاحهم مقدمة نتیجتها  
 أن يرى الحياة عبثاً ثقیلاً وينصح للناس بأن لا يتناسلوا ، لأن من نجل نجلاً  
 فقد جنى عليه بإبرازه لهذا العالم المملوء بالشر :

دعالي بالحياة أخو ودار  
 روبدك إنما تدعو علياً  
 وما كان البقاء لي اختياراً  
 لو أن الأمر مردود إلياً  
 على الولد يجني والد ولو أنهم  
 ولاية على أمصارهم خطباء  
 وزادك بعداً من بنيك وزادهم  
 عليك حقوقاً أنهم نجياء  
 يرون أباً ألقاهم في وارب  
 من العقيد ضلت حله الأرباء

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد

خير النساء اللواتي لا بلدن لكم  
 فإن ولدن تغير النسل ما نفعما  
 وأكثر النسل يشقى الوالدان به  
 فليته كان عن آباءه دُفعما  
 أضاع داربك من دنيا وآخره  
 لا الحى أغنى ولا في هالك شفعا

وكم سليلٍ رجاءٍ للجمال أبٌ فكان خزيباً بأعلى هضبة رفعا

نصحتك لا تنكح فان خفت ما ثمنا فأعرس ولا تنسل فذلك أحزمُ

أرى ولد والفتى عبثاً عليه لقد سعد الذي أمسى غقيما

أما شاهدت كل أبي وليدٍ يوم طربق حثفٍ مستقيما

فإما أن يرييه عدواً وإما أن يخلفه يتيما

أرى النسل ذنباً للفتى لا بقاله فلا تنكحن الدهر غير عقيمٍ

يا أمةً في التراب هامةً تجاوز الله عن مرائركم

باليتمكم لم تطوا إماءكم ولا دنوتم إلى حرائركم

إن استرحتم ما نكأه فحن من بعد في جرائركم

لو أن كل نفوس الناس رائيةً كراي نفسي تناءت عن خزايها

وعطلوا هذه الدنيا فما ولدوا ولا اقتنوا واستراحوا من رزايها

حتى أبٌ وضع ابناً للردى غرضاً إن عقى فهو على جرمٍ بكافيه

### السلام

يخيل للإنسان بعد أن يطلع على رأي أبي العلاء في البشر وسوء فطرتهم

ويأسه من إصلاحهم ، وتبرمه بالحياة ، أن يكون قاسياً لا تعطفه عليهم شفقة

ولا رقة كأبي الطيب المتنبي الذي عرف الناس نفساً عليهم إذ قال :

ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس رؤى رحمة غير راحم

ولكن أبا العلاء ليس كذلك ، بل هو رحيم داعية للسلام ، لا يحب القسوة ولا يبيع

صفاك الدماء معها كان سببها قال :

يا مشرع الرمح في تثبيت مملكتك خير من المارن الخطي مسباح  
 فإن ترشدوا لا تحضبوا السيف من دمٍ ولا تلزموا الأميال سبر الجراح  
 فإن تتركوا الموت الطبيعي بأنتكم ولم تستعينوا لاحساماً ولا خِصاصاً<sup>(١)</sup>  
 ولو صفا العقل ألقى النقلَ حامله عنه ولم تر في الهيجاء معتزكا  
 ولا ترهف ممدى لبييط نخض ولا تشهر على قرن صقيلا  
 لا تحدث القطع في كفة ولا قدم ولا تعرض مدى الدنيا لسفك دم  
 واخل من صور الأشباح مقندراً يحلبها فهو رب الدهر والقدم

### فعل الخير

أبو العلاء، يأنس من إصلاح البشر ، ولكنه يريد أن يتكفوا فعل الخير  
 ليسبقوا هذه الحياة المريرة بعد أن أتوا الى هذه الدنيا بجهرين غير مخيرين ،  
 ويود لو تكون علاقاتهم فيما بينهم علاقات رفيق ومساعدة لاعلاقات خصام  
 وتكالب ، لأن الدنيا أهون من أن يتعادوا في سبيلها ؛ وليكن فعل الخير  
 للخير لا لاهابة سواه :

فلتفعل النفسُ الجميل لأنه خير وأحسن لا لأجل ثوابها

والخير لا يكفر فليحسن المسلم والصائب والمهاند

وافعل لعيرك ما تنهواه يفعله وأسمع الناس ما تختار مسحمة

(١) الحرس : السناة والرمح اللطيف .



فأوصيكم أما قبيحاً فجانبوا وأما جميلاً من فعال فلا تقلوا

إذا طرق المسكين دارك فاحبه قليلاً ولو مقدار حبة خردل

### الرفق بالحيوان

أبو العلاء من دعاة السلام بين البشر ، ومن القائلين بالرفق بالحيوان الى حد بعيد ، فلم يكن يجيز ذبح الماشية ولا صيد الطير ولا قتل الحيوان في البر والبحر ليكون طعاماً لهذا البشر الذي خلق الله له أنواع النبات . ويمن بالرفق فيحرم ما يخرج من الحيوان أيضاً كاللبن والبيض والغسل لأنه حقها وحق أطفالها فلا يجوز غضبها إياه وهي بحاجة اليه ؛ وبأبي أبو العلاء أن يتخذ نعله من جلدها ، ويستنكر قسوة الانسان في معاملة هذه المخلوقات الوديمة ، فيصور ألم الشاة وهي تحتلج مذبوحة والجزار يقطع أوصالها ؛ بل لا يرى فرقاً بين ذبح الحمل وذبح الطفل ، فكلاهما مخلوق يحس ويتألم ، ويصف فجيرة الورداء بنفسها وبأفراخها حين غدت تبغني الرزق لمن فأتيح لها صياد أوردتها حتفها وترك فراخها من غير معين . وتبلغ به الرقة مبلغاً حتى يرى تسريح البرغوث أفضل من التصدق بدرهم . وأقواله في الرفق بالحيوان كثيرة منها :

غدوت مريض العقل والدين فالقني	لتسمع أنباء الأمور الصحاح
فلا تأكل ما أخرج الماء ظالمًا	ولا تبغ قوتاً من غريض الدبائح
وأبيض أمت أرادت صريجه	لأطفالها دون الغواني الصرايح
ولا تفجعن الطير وهي غوافل	بما وضعت فالظلم شر القبائح
ودع ضرب النخل الذي بكرت له	كواسب من أزهار نبت فوايح
فما أحرزته كي يكون لغيرها	ولا جمعته للندى والمنائح

مسحت بدي من كل هذا فليتني أبهت لشأني قبل شيب المسائح

خف الله حتى في جنى النخل شرته فما جمعت إلا لأنفسها النخل

أبي الله أخذي درّ ضأنٍ وماعزٍ وإدخالي الأمر المضر على السخل

لأشرك الجدي في درٍّ يعبش به ولا أروع بنات الوحش والضأن

لا أفجع الأم بالرضيع ولا أشرك هذا الغرير في اللبن

جاروا على حيوان البر ثم عدوا على البجار فعال الصيد ما فيها

لم يقنع الحي منها ما تقنصه حتى أجاز أناسٌ أكلَ طافيتها

والطير جمعاً ضعفاها وجارحها حتى العقاب التي حدث أشافيتها

فلا تأخذ ودائع ذات ريشٍ فمالك أيها الإنسان بيضنته

فاجعل حدائي خشباً إنني أريد إبقاءً على الدارش<sup>(١)</sup>

وسبيان أم برةٍ وحمامةٍ غذت ولداً في مهده وغذت دججاً<sup>(٢)</sup>

فلا تبكرن يوماً بكفك مدبةٍ لتهلك فرخاً في موطنه دججاً

وابك على طائرٍ رماه فتى لاه فأوهى بفهره الكنتفا

أو صادفته حباله نصبت فظل فيها كأنما كنتفا

بكر يبغى المعاش مجتهداً فقص عند الشروق أو نمتفا

كانه في الحياة ما فرع النصن فغنى عليه أو همتفا

(١) الدارش : الجلد .

(٢) الدجج : النربخ .

أرى حيوان الأرض يرهب حفته      وبفزع رعدٍ ويطعمه يرقُ  
فيا طائر أئني ويا ظبي لا تخف      شذاي فما بيني وبينكما فرق

كم غال طاهيك من عفراء مرضعةٍ      وذات لونين صارت قوت مكسالِ  
وقد ضنت بشاةٍ وهي فاردةٌ      على أزلٍ فقيدِ المال عسالِ  
بخت أن يتغذى طفله دمها      وأنت شارب لندِ الطعام سسالِ  
روح ذبيحك لا تعجله ميتته      فتأخذ النحس منه وهو يختلجُ

تسرح كفي برغوثاً ظفرتُ به      أبرٌ من درهم تعطيه محتاجا  
لا فرق بين الأسكِّ الجون أطلقه      وجون كندة أمسى بعقد التاجا  
كلامهما يتوقى والحياة له      حبيبةٌ ويروم العيش محتاجا

### الحكومة

عمل الحكومة في رأي أبي العلاء خدمة الأمة ، والأمرء والحكام  
لبسوا إلا خداماً لها ، فلبس هناك سلطنة ولا حق في التسلط إلا في حدود  
خدمة الأمة وحفظ البلاد :

إذا ما تبينا الأمور تكشفت لنا وأمير القوم للقوم خادمُ  
والمالوك والأمرء عنده أهون من أن يشقى الناس في سبيل نصرتهم والتعصب لهم :  
فلا تشقوا بنصركمُ أميراً كما شقيت به كلبٌ وعكُ

لكذلك فهو شديد على الأمرء والحكام لأنهم أجراء ظالمون :

مل المقام فكم أعاشر أمةً      أمرت بغير صلاحها أمرؤها  
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها      وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

ويقول في الرؤساء والسياسة :

يسوسون الأمور بغير عقل      فينفذ أمرهم ويقال ساسه  
فأف من الحياة وأف مني      ومن زمن رئاسته بخساسة  
ولكنه يحتمل ظلم الملوك ويرى طاعتهم إذا كانوا حماة للامة :  
واخش الملوك وباسرها بطاعتها      فالملك للأرض مثل المطر السائي  
إن يظلموا فلهم نفع يعاش به      وكم حموك برجل أو بفرسان  
وهل خلت قبل من جورٍ ومظلمةٍ      أرباب فارس أو أرباب غسان  
خيل إذا سومت سامت وما حبت      إلا بلجم تعينها وأرسان

### رأيه في الخمر

إذا ذكرت الخمر في دراسة شاعر ، تبادر للذهن الناحية التي اعتاد الشعراء  
معالجتها من وصف الخمر وألوانها وأقداحها ونشوتها وما الى ذلك على طريقة  
أبي نواس . أما أبو العلاء فقد نزه شعره عن كل ذلك ، فعالجها على خلاف  
ما اصطاح الشعراء عليه ، فهي عنده أم الخبائث تقتال العقل والمروءة وتغري  
بالفحشاء والمنكر ، ولو لم يحرمها الشرع لحرمها العقل ، ولو أباحها له نبي  
من الأنبياء لما شرعها :

يقول الناس إن الخمر تودي      بما في الصدر من همٍ قديمٍ  
ولولا أنها باللب تودي      لكنت أخص المدامة والنديم

البابيةُ باب كل بليةٍ      فتوقين هجوماً ذاك الباب  
جرت ملاحاة الصديق وهجره      وأذى النديم وفرقة الأحياب

أبأني نبي يجعل الخمر طلبةً      فتحمل نقلاً من همومي وأحزاني  
وهيات لو حلت لما كنت شارباً      مخففةً في الحلم كفة ميزاني

وأما الخمر فهي تزيل عقلاً      فتحت فيه معاني مبهات

تذيع السر من حرّة وعبدٍ وتعرب عن كنانز معجمات  
وزينت القبيح فباشترته نفوسٌ كنّ عنه مخزّ مات  
لو كانت الخمر حلالاً ماسحتُ بها لنفسي الدهر لا مسراً ولا علنا

## تضاريف

كانت أبو العلاء يساوي بين الناس لا يفضل أمة على أخرى ولا يرى  
العصمة لأحد منهم :

أتاني بإسناده مخبرٌ وقد بان لي كذب الناقلِ  
أزو العيصمة العاقل الآدمي إلا كذي العصمة<sup>(١)</sup> العاقل  
ولا فضل فينا ولكنها حظوظ من الفلك الصاقل

لا بفخرنّ الهاشميُّ على امريءٍ من آل برب  
فالحق يحلف ما عليّ عنده إلا كقنبر

وكان على كثرة ذكره للكواكب والنجوم في شعره يبعث النجمين ويقطع  
بتدجيلهم ويحذر الناس منهم ويفري الحكام بقطع دابرهم :

لو كان لي أمر يطاوع لم يشن ظهر الطريق بدّ الحياة منجم  
بغدو بزخرفه يحاول مكسباً فيدير إسطرلابه ويرجم  
وقفت به الورهاء وهي كأنها عند الوقوف على عشرين تهجم  
سألته عن زوج لها متغيرٍ فاهتاج بكتب بالرقان<sup>(٢)</sup> ويعجم  
ويقول ما اسمك واسم أمك إنني بالظن عما في الغيوب مترجم  
فسد الزمان فلا رشاد ناجم بين الأنام ولا ضلال منجم

(١) ذو العصمة العاقل : الوعل الصاعد في الجبل .

(٢) الرقان : الزعفران .

وكذلك كان يبغض السحرة والمعزمين ومن يكتبون التائم :  
 قطع الطريق بهمهم ونظيره في المصر فعل منجيم ومعزيم  
 وكان ينهى عن اختلاف النساء الى المساجد والكنائس :  
 إذا مارامت الصلوات خود<sup>١</sup> فكان البيت أفضل مسجدها

هل قبلت من ناصح أمة<sup>٢</sup> تغدو الى الفصح بصلبانها  
 كنائس يجمعها وصلة<sup>٣</sup> بين غوانيتها وشبانها  
 ما بالها عذراء<sup>٤</sup> او ثيبيا<sup>٥</sup> كوردة الجاني بإبائنها  
 راحت الى القس بتقريبها<sup>٦</sup> وبيتها أولى بقرانها  
 قد جرت من فعله سينئا<sup>٧</sup> والطيب جار<sup>٨</sup> بجير بانها<sup>(١)</sup>  
 وربها تسخط بل زوجها الـ بائس في طاعة ربانها  
 وزارت الدير وأثوابها<sup>٩</sup> ضامنة<sup>١٠</sup> فتنه رهبانها

وكان يرى الحوادث الطبيعية كتزول المطر وانجباسه وتساقط النجوم حوادث  
 لا صلة لها بالبشر ولا بأعمالهم ولا بأقوالهم :

قضى الله في وقت مضى أن عامكم<sup>١١</sup> يقل حياه أو يزيد به السجيم<sup>١٢</sup>  
 فقولكم رب اسقنا غير ممطر<sup>١٣</sup> ولكن بهذا دانت العرب والعجم  
 على كل شيء تهجمون يجهلكم<sup>١٤</sup> وأعيانكم يوماً على رشد هجم

لم يسقكم ربكم عن حسن فعلكم<sup>١٥</sup> ولا حاكم غماما سوء أعمال  
 وإنما هي أقدار مرتبة<sup>١٦</sup> ما عقلت بايسأت وإجمال

ولست أقول إن الشهب يوماً<sup>١٧</sup> لبعث محمد جعلت رجوما

(١) 'جربان التميمي : طوفه .

وربما استحسن بعض عادات الأمم وفضلها على السنن الإسلامية ، منها عادة  
بحسوس الفرس في ترك جسم الميت طعاماً للطيور :

إن صح تعذيب رمسٍ من يحملُ به      فجنباني ملجوداً ومضروحا  
الوحش والطيور أولى أن تنازعني      فعادرائي بظهر الأرض مطروحا  
شدا عليّ دريساً كي يواربني      ثم أغدوا بسلام الله او روحا  
ومنها عادة الهنود في حرق موتاهم :

فالعجب لتحريق أهل الهند ميتهم      وذاك أروح من طول النباريح  
والنار أطيّب من كافور ميننا      غياً وأذهب للنكراء والريح

\*  
\*\*

هذه طائفة يسيرة من آراء أبي العلاء في الدين والحياة والأخلاق ،  
عرضت على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء ، مصنفة على نسق المقالات  
والمذاهب . ومصدرها ديوان اللزوميات دون غيره من آثار أبي العلاء في  
الشعر والنثر .

وهكذا نجد أبا العلاء صاحب مقالة واسعة في الحياة الروحية والمادية ،  
يشرحها ويدعو إليها بطريقة الخاصة . وتجدد سابقاً زمانه في أكثر ما يدعو إليه  
حتى ليفهم منه ابن هذا العصر ما لم يفهمه القدماء ، وستفهم منه الأجيال  
الآتية ما لم تفهمه نحن في هذا الزمان .

\*\*\*

خليل مردم بك

## معاني العقل في الفلسفة العربية

العقل في اللغة العربية هو الحجرُ والنشبي لأنه يحجر الإنسان وينهاه عما لا يليق به ، فنقول عَقَلَ فلان الشيء أي فهمه وتدبَّره ، وعَقَلَ الغلامُ أي أدرك ، وعقل فلان بعد الصِّبَا أي عرف الخطأ الذي كان عليه . وقد سمي بذلك تشبيهاً بعقل الناقة ، لأنه يمنع صاحبه من العُدُول عن سواء السبيل ، كما يمنع العِقال الناقة من الشرود . وهذا المعنى الأخير مشابه لقولنا عَقَلَ الذوَاء بطنه أي أمسكه ، وعَقَلت المرأةُ شعرها أي مَشَطْتَه ، وعَقَلَ القليلُ أي أدَّى ديبته ، وعَقَلَ الوعلُ أي صَمِدَ وامتنع في الجبل العالي . وجميع هذه المعاني تشترك كلها في أمرٍ واحد وهو أن العقل لجام أو رباطٌ يَحْجُرُ عن ركوب المناهي ، ويمنع من الاقدام على الشهوات والاعتقاد للأهواء .

والجمهور يطلق العقل على ثلاثة أوجه ( الغزالي ، معيار العلم ) ( الأول ) يرجع الى وقار الإنسان وهيئته ، ويكون حده أنه هيئة محمودة للإنسان في كلامه واختياره وحر كاته وسكناته . ( والثاني ) يراد به ما يكتسبه الانسان بالتجارب من الأحكام الحكيمية فيكون حده أنه معانٍ مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستنبطها الأعراف والمصالح ، ( والثالث ) يراد به صحة الفطرة الأولى في الانسان ( ابن سينا ، رسالة الحدود ) فيكون حده أنه قوة تدرك صفات الأشياء من حسننها وقبحها وكالها ونقصانها . فاذا قالوا في الانسان إنه عاقل عَتَنُوا بذلك أن عقله يعقله عما لا ينبغي فعله ، فلا يسمونه عاقلاً حتى يكون خبيراً دينا يعرف ما ينبغي أن يؤثر من خير أو يجتنب من شر ، لأن الخبير والدين عندهم من موجبات



العقل . فأما الشرير الذي يستعمل فكره ورويته في فعل الشر فلا يسمونه عاقلاً ، وإنما يسمونه داهياً وماكراً . ذلك لأن الرجل في نظرهم لا يكون مع جودة زويته تام العقل الا اذا اجتمع له العلم والعمل والأدب ، فاذا علم ولم يعمل ، أو عمل بغير أدب ، أو عمل بأدب ولم يعلم ، لم يكن عاقلاً ، حتى لقد فسروا الآية الكريمة : « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها » بقولهم ان العقل الذي دلت عليه هذه الآية هو العلم ، فقال نجر الدين الرازي في كتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتعلمين ( ص ٧٢ ) ، إنه من المحال أن يوجد عاقل لا يعلم شيئاً البتة ، أو عالم بجميع الأشياء ولا يكون عاقلاً .

ولكن المتكلمين فرقوا بين العقل والعلم فقالوا العقل يقال على التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطرة ، والعلم يقال على ما يحصل للنفس بالاكتساب ، ففرقوا على هذه الصورة بين المكتسب والفطري ، فكل موضع ذمَّ الله الكفار فيه بعدم العقل فاشارة الى المعنى الثاني ، وكل موضع رفع الله فيه التكليف عن العبد لعدم العقل فاشارة الى الأول ، ولذلك قال القاضي أبو بكر الباقلاني في حد العقل إنه علم ضروري يجاوز الجائزات واستحالة المستحيلات ووجوب الواجبات . وقال الحاسبي من أهل السنة : هو غريزة يتوصل بها الى المعرفة .

وقال ابو الحسن الأشعري : « العقل علم مخصوص » لا فرق بينه وبين العلم الا بالعموم والخصوص ، وزادت المعتزلة في العلوم التي يشتمل عليها العقل العلم بحسن الحسن وقبح القبيح ، لأنهم يعدون ذلك في البديهيات . وجملة القول ان العقل يطلق عند هؤلاء جميعاً على القوة المتهيئة لقبول العلم تارة ، أو على العلم الذي يستفيد به الانسان من استعمال تلك القوة تارة أخرى ، وهو نور في القلب يعرف الحق من الباطل والخير من الشر . وقد قيل العقل والنفس والدن

عند النظر شيء واحد ، إلا أن النفس سميت نفساً لكونها متصرفة ، وذهناً لكونها مستعدة للإدراك ، وعقلاً لكونها مدركة .

وليس في هذه المعاني التي يطلق عليها جمهور الناس والمتكلمون اسم العقل تحديد دقيق . فإذا شئت أن تتلمس الدقة والتجديد وجب عليك أن تستقري معنى العقل في كتب الفلاسفة كرسالة الكندي في ماهية العقل والإبانة عنه ، ورسائله في حدود الأشياء ورسومها ، ومقالة الفارابي في معاني العقل ، ورسالة الحدود لابن سينا ، وكتاب التعريفات للرجاني ، وكليات أبي البقاء وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي . ففي هذه الكتب وفي غيرها من كتب الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد تعريفات واضحة لمعاني العقل وتحديد دقيق لأقسامه . وما نحن أولاء نذكر هذه المعاني مع الإشارة إلى النصوص الأصلية التي وردت فيها .

١- ان أول هذه المعاني هو القولُ بأنَّ العقل « جوهر بسيط مدرك للأشياء بمقتاتها » (رسالة حدود الأشياء ورسومها للكندي ، مادة عقل) . وهذا الجوهر ليس « مركباً من قوة قابلة للفساد » (ابن سينا ، اشارات ١٧٨) ، بل هو « مجرد عن المادة في ذاته ، مقارن لها في فعله » (تعريفات الرجاني) . أو بعبارة أخرى « هو جوهر مجرد غير متعلق بالجسم تعلق التدبير والتصرف ، وان كان متعلقاً بالجسم على سبيل التأثير » (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي) . وهذا القول بجوهريته العقل مع نفي العرضية عنه موجود في أكثر كتب الفلاسفة . فالفارابي عندما يتحدث عن القوى التي تدرك المعقولات يقول « انها جوهر بسيط . . مقارن للمادة ، يبقى بعد موت البدن . - وهو جوهر أحدي وهو الانسان على الحقيقة » (الفارابي ، عيون المسائل ص ٦٤) . وابن سينا لا يتحدث عن القوة العاقلة في كتاب الاشارات إلا باسم الجوهر ، كما انه

يسمى الجوهر المتبري من المواد من كل جهة عقلاً ( الشفاء ٢ : ٤٠٥ ) . « وهو النفس الناطقة التي يشير اليها كل أحد بقوله أنا » ( تعريفات الجرجاني ) .  
 وجميع أهل السنة يعتقدون ان العقل والروح من الأعيان وليسا بعرضين كما ظننته المعتزلة . والفرق بين الرأيين لا يخفى على المحقق لأن الذين يقولون بأن العقل جوهر يلزمهم القول بثبوت حقيقته ، أما الذين يقولون بأنه عرض فيلزمهم القول بتبدله وتغيره .

٢ - والمعنى الثاني للعقل هو المعنى الذي أشار اليه الفارابي في مقاله ، إذ قال : « إنه قوة النفس التي بها يحصل الانسان اليقين بالمقدمات السكينة الصادقة الضرورية لا عن قياس أصلاً ، ولا عن فكر ، بل بالفطرة والطبع ، أو من صباه ، ومن حيث لا يشعر من أين حصلت ، وكيف حصلت » ( الفارابي ، مقاله في معاني العقل ، ص ٤٠ ) . وهو المعنى الذي أشار اليه الرازي بقوله : « هو غريزة يلزمها العلم بالأمور السكينة والبدئية » ( فخر الدين الرازي ، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين ، ص ٧٢ ) ، أو المعنى الذي أشار اليه المتكلمون بقولهم هو العلم بالمدركات الضرورية . وهذه المدركات نوعان : الأول ما وقع عن إدراك الحواس . والثاني ما كان أصله في النفس ، كالعلم بأن النبي والإثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد ، وأن الكل أعظم من الجزء ، وأن الشئيين المساويين لشيء ثالث متساويان . وهذا النوع من العلم لا يجوز أن ينفي عن العاقل مع سلامة حاله ، فإذا كانت علماً بالمدركات الضرورية كلها كان كامل العقل . وهم يسمون هذا العقل بالعقل العلمي أو العقل النظري ، ويصفونه بأنه قوة للنفس بها تستعد للعلوم والادراكات ( كليات أبي البقاء ) ، وأنه بالنسبة الى النفس كالملاك بالنسبة الى المدينة ، وأنه هو الذي يميز الصور المحسوسة ويميزها ، ويأخذ كل واحد من المعاني مفرقاً ، ويرتب الأخص والأعم والدقاتي والمرضي ، وأنه نور في القلب ينتهي اليه

إدراك الحواس ، وأنه كالشمس الظاهرة في الملاكوت . وهذا النور هو الذي أشار إليه الغزالي عند خروجه من الشك وعودته الى الصحة والاعتدال ، فقال « ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام ، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف » ( المنقذ من الضلال ) ، وهو المراد من قول الرسول عليه السلام : « ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ، ثم رش عليهم من نوره » .

٣ - والمعنى الثالث للعقل هو القول بأنه قوة نحصل بها اليقين بمقدمات الأمور الارادية والأفعال الخلقية ، وتسمى المقدمات التي تحصل للانسان بهذا الوجه مبادي العقل ، ونسبها الى الأمور الارادية العملية كنسبة المقدمات السلكية الضرورية الى العلوم النظرية . ولما كان هذا العقل يستنبط من هذه المبادي ما يجب على الإنسان فعله أطلق الفلاسفة عليه اسم العقل العملي ( الفارابي ، عيون المسائل ص ٦٤ ) . وهو يزداد بازدياد العمر ، فاذا بلغ نهايته صار صاحبه ذا رأي . ويتفاضل الناس في ذلك تفاضلاً متفاوتاً . حتى اذا جمع الانسان الى كثرة استعمال هذا العقل إصابة الفكرة ، وحسن الفطنة ، بلغ من الكمال درجة ليس وراءها زيادة لمستزيد . ولقد خلط المتكلمون بين هذا العقل العملي والعقل العلمي الذي قدمنا ذكره فنسبوا الى العقل العلمي مقدمات مأخوذة من مبادي الرأي المشترك أي من مبادي العقل العملي ( الفارابي ، مقالة في معاني العقل ، ص ٤٢ ) مع ان العقلين مختلفان أحدهما ضروري للعلوم النظرية ، والآخر ضروري للحكمة العملية . ولكنها بالرغم من اختلافها لا يبدلان على اتقسام النفس ، بل النفس الانسانية واحدة بالرغم من اختلاف وجوهها . وأنت اذا تبينت أيضاً أقسام الحكمة عند الفلاسفة علمت أن الغاية من الحكمة النظرية هي « حصول الاعتقاد اليقيني بحال الموجودات التي لا يتعاقب وجودها بفعل الانسان » ( ابن سينا ، رسالة في أقسام العلوم العقلية ) ، وان الغاية من الحكمة العملية ليست حصول اعتقاد يقيني بالموجودات وإنما هي حصول

رأي لأجل عمل . « فغاية النظري هي الحق ، وغاية العملي هي الخير »  
( ابن سينا ، المصدر نفسه ) .

ومن النظار من يقسم العقلَ قسمين ، فغريزي ومكتسب ، ومطبوع ومسحوع .  
فالغريزي هو العقل الحقيقي عيماً كان أو عملياً . والكسبي نتيجة العقل الغريزي .  
وهو ينفو بالاستعمال وينقص بالاهمال ، فاذا انضم هذا العقل الكسبي الى العقل  
الغريزي ، واتسعت المدارك بطول التجارب ، وصرور الزمان ، وكثرة الاختبار  
أصبح الانسان كاملاً .

٤ - والمعنى الرابع للعقل هو المعنى الذي ذكره الفلاسفة في كلامهم عن  
طريق اكتساب النفس للمعرفة ، فانهم بينوا أن الحس لا يجرد الصورة عن  
المادة ، ولا عن لواحق المادة ، بل يخلطها باللواحق الحسية من كم وكيف  
وأين ووضع وغير ذلك . وكذلك الخيال والوهم ، وان كنا ببرئان الصورة  
المنزوعة عن المادة تبرئة أشد ، فانها لا يستطيعان تجربدها عن لواحق المادة  
تجربداً تاماً . أما القوة التي تأخذ الصور أخذاً مجرداً عن المادة ولواحقها من كل  
وجه وتفرضها من كل كم وكيف وأين ووضع مادي فهي العقل .

ولهذه القوة النظرية مراتب مختلفة يطلق على كل منها اسم العقل :  
كالعقل الهولاني (Intelligence materielle) والعقل بالملكة (Intelligence  
habitude) والعقل بالفعل (Intelligence en acte) ، والعقل المستفاد  
(Intelligence acquise) . وهاتين أولاً نبيّن صفة هذه العقول المختلفة  
بالاعتماد على أقوال ابن سينا :

يقول ابن سينا ان نسبة القوة النظرية الى الصور المحسوسة تكون على وجهين :  
فهي اما أن تكون قابلة لها بالقوة ، واما أن تكون قابلة لها بالفعل .  
فاذا كانت قابلة لها بالقوة اختلفت نسبتها اليها بحسب درجات القوة . وهي

ثلاث : الدرجة الأولى هي القوة المطلقة ، أو الاستعداد المطلق الذي لم يخرج منه الى الفعل شيء . وهي قوة هيولانية كقوة الطفل على الكتابة ، فهو لا يعرف الكتابة ولا يقدر عليها ، ولكن فيه استعداداً مطلقاً لها .

والدرجة الثانية هي القوة الممكنة ، وهي التي حصل معها للطفل استعداد يمكنه من اكتساب الفعل بلا واسطة ، كقوة الطفل على الكتابة بعد أن عرف القلم والدواة وتعلم بسائط الحروف . وهذا الاستعداد الممكن هو حصول المعقولات الأولى للنفس مثل اعتقادنا أن الكل أعظم من الجزء ، وأن الأشياء المساوية لشيء واحد متساوية . وهذه المعقولات الأولى هي التي تنقلنا الى المعقولات الثانية . والدرجة الثالثة هي القوة الكاملة التي لا يتقصها الانتقال الى الفعل شيء ، كقوة الكاتب المستكمل لصناعة الكتابة اذا كان لا يكتب . فهو قد تم له الاستعداد للكتابة بالآلة ، وحدث فيه مع الآلة أيضاً كمال الاستعداد ، فهو يفعل متى شاء بلا حاجة الى اكتساب جديد .

فاذا كانت نسبة القوة النظرية الى الصور نسبة القوة المطلقة والاستعداد المحض سميت عقلاً هيولانياً . وهذا العقل الهولاني موجود لكل شخص من النوع الانساني . وإنما نسب الى الهولاني لأن النفس في هذه المرتبة تشبه الهولاني الحالية في حد ذاتها من الصور .

واذا كانت نسبة القوة النظرية الى الصور نسبة القوة الممكنة ، سميت عقلاً بالملكة ، وهذا العقل ليس سوى حصول المعقولات الأولى في النفس ، فهو إذن علم بالضروريات واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات . ويجوز أن يسمى العقل بالملكة عقلاً بالفعل بالقياس الى العقل الهولاني .

واذا كانت نسبة القوة النظرية الى الصور تشبه القوة الكاملة سميت عقلاً بالفعل ، وهو أن تصير النظريات مخزونة عند القوة العاقلة بتكرار الاكتساب بحيث يحصل لها ملكة الاستحضار متى شاءت من غير تشجيع اكتساب جديد . إلا

أنها لا تظالمها ولا تشاهدها ولا ترجع اليها بالفعل ، ويجوز أن يسمى هذا العقل عقلاً بالقوة بالنسبة الى ما بعده .

وإذا كانت نسبة القوة النظرية الى الصور نسبة الفعل المطلق سميت عقلاً مستفاداً وهو أن تكون الصور المعقولة حاضرة فيه لا تغيب عنه ، وهو يطالعها ويعقلها بالفعل ويعقل أنه يعقلها .

تلك هي مراتب العقل الانساني بالقياس الى قدرته على تجريد الصور من لواحقها المادية ، أدناها العقل الهولاني وأعلاها العقل المستفاد . ولكن العقل بالقوة كما يقول ابن سينا لا يخرج الى الفعل بذاته ، بل يخرج الى الفعل بتأثير عقل آخر هو دائماً بالفعل . لذلك كان من الضروري في نظره أن تقول بوجود عقل مفارق للعقل الانساني يخرج من القوة الى الفعل ، وهذا الفعل هو العقل الفعّال .

وهذه العقول التي ذكرها ابن سينا ، فبين كيف تتفاوت في قدرتها على انتزاع الصور عن موادها كان الفارابي والكندي قد أشارا اليها قبله . ولكنهما لم يبينا مراتبها على الوجه الذي نجده في كتاب النفس من الشفاء . فالكندي لم يذكر لنا في رسالة العقل إلا أربعة عقول هي العقل الأول ، والعقل بالقوة ، والعقل بالفعل ، والعقل الذي يسميه بالعقل الظاهر . قال : « العقل على أنواع أربعة : الأول منها العقل الذي بالفعل أبدأ ، والثاني العقل الذي بالقوة وهو للنفس ، والثالث العقل الذي خرج في النفس من القوة الى الفعل ، والرابع العقل الذي يسميه الظاهر » ، فالعقل الأول عنده هو عقل بالفعل أبدأ . وهو علة لجميع المعقولات والمعقول الثواني . وهو الذي يخرج النفس من حالة كونها عاقلة بالقوة الى حالة كونها عاقلة بالفعل . وأما العقل بالقوة فهو حالة النفس التي ليس فيها شيء من الصور . وأما العقل بالفعل فهو حالة النفس التي تحدث بالصور العقلية وخرجت بواسطة المعقولات من القوة الى الفعل ، والعقل بالفعل

في نظره قنية للنفس متى شاءت استعملته ، وهو في الوقت نفسه عقل مستفاد من العقل الأول . وللنفس أخيراً أن تستعمل هذا العقل الذي افتنته وان تظهره لغيرها أو في غيرها متى شاءت . وهذه المرتبة الأخيرة هي مرتبة العقل الظاهر .

والفارابي يقول أيضاً في مقالة العقل ان اسم العقل الذي يذكره أرسطو في كتاب النفس يقال على أربعة أنحاء : عقل بالقوة ، وعقل بالفعل ، وعقل مستفاد ، وعقل فعال . وليس في هذه الأربعة التي يذكرها الفارابي ما يجعل مذهبه مختلفاً كل الاختلاف عن مذهب الكندي ، لأن كلاً من العقل بالقوة والعقل بالفعل عند الفيلسوفين واحد . أما العقل المستفاد فهو عند الفارابي إدراك العقل لذاته من حيث هو صورة مجردة أفاض عليها العقل الفعال معقولات جديدة بريئة بطبيعتها من كل مادة . وهذا العقل كما حددناه لم يشر إليه أرسطو ، وإنما هو من مبتكرات الفارابي نفسه . وأما العقل الفعال فهو نوع من العقل المستفاد ، ولكن صور الموجودات لم تنزل ولا تزال فيه على غير الترتيب الذي هي موجودة عليه في العقل الذي بالفعل . وليس بين هذا العقل الفعال والعقل الأول الذي أشار إليه الكندي إلا فرق واحد ، وهو ان العقل الفعال عند الفارابي هو عقل الفلك الأدنى ، أما العقل الأول عند الكندي فيشبه أن يكون العقل الإلهي أو الإله نفسه .

ومن قارن اقسام العقل التي ذكرها فلاسفة العرب بالأقسام التي ذكرها الاسكندر الافروديسي في رسالة العقل والمعقول لم يجد بينهما كبير اختلاف . لأن الاسكندر يقسم العقل لثلاثة أقسام هي العقل الهولاني ، والعقل بالملكة ، والعقل الفاعل . وكل عقل من هذه الثلاثة مطابق لمرتبة من مراتب العقل عند الكندي والفارابي . فالعقل الهولاني مطابق للعقل بالقوة لأن كلمة



(materia) مادة وكلمة (potentia) قوة مترادفتان . والعقل بالملكة مطابق للعقل بالفعل ، والعقل الفاعل .قابل للعقل الأول عند الكندي وللعقل الفعال عند الفارابي وابن سينا . ولا يختلف الكندي والفارابي عن الاسكندر الافروديسي الا بالعقل الرابع الذي يسميه فيلسوف العرب بالعقل الظاهر ، ويسميه المعلم الثاني بالعقل المستفاد .

ولأبي حيان التوحيدي في كتاب المقابسات تقسيم ثلاثي للعقل منسوب الى ابي سليمان يدل على أنه نحا في ذلك نحو الاسكندر . قال : « اسم العقل يدل على معانٍ ، وتنقسم تلك المعاني الى أقسام بحسب ما ينقسم كل ذي عقل ، وذلك له ابتداء وانتهاء . واحدها وهو بمعنى الابتداء بالطبع هو العقل الفعال . والثاني بحسب الانتهاء وهو العقل الانساني ، ويسمى هيولانياً ، وهو في نسبة المفعول ، والثالث بحسب معنى الوسط وهو العقل المستفاد . وهو في نسبة الفعل . والعقل الانساني الذي ينزلة المفعول هو في حيز القوة التي تحتاج أن تخرج الى الفعل . . . . . ولما كان الذي بالقوة يحتاج الى شيء ، موجود بالفعل يخرج الى الفعل ، كان ذلك الشيء هو العقل الفعال » . (مقابسات ص ٢٨٩) . وهذا كلام واضح يدل على أن أبا حيان لم يتقيد بالتقسيم الرباعي الذي جاء به الكندي والفارابي قبله . ومن نظر في تطور مشكلة العقل من أرسطو الى الاسكندر ، ثم من الكندي الى الفارابي وابن سينا لم يجد فيها إلا سلسلة من الآراء التي يكمل بعضها بعضاً . واليك الآن جدولاً يبين تطور أقسام العقل من الاسكندر الى ابن سينا .

الاسكندر الافروديسي	الكندي	الفارابي	ابن سينا
العقل الهيولاني	العقل بالقوة	العقل بالقوة	العقل الهيولاني
العقل بالملكة	العقل بالفعل	العقل بالفعل	العقل بالملكة
—	—	—	العقل بالفعل
—	العقل الظاهر	العقل المستفاد	العقل المستفاد
العقل الفاعل	العقل الأول	العقل الفعال	العقل الفعال

٥ - العقل المفارق : قلنا عند الكلام عن العقل الانساني ان النفس في مبدأ الفطرة خالية من جميع المعقولات . ولذلك سميت وهي في تلك الحالة بالعقل الهولاني ، أو العقل بالقوة فاذا حصلت لها صور الأوليات الكليّة سميت عقلاً بالملكة ، ثم ترتقي بعد ذلك فتصبح عقلاً بالفعل ثم عقلاً مستفاداً ؛ والشئ الذي يجعل تلك الذات التي كانت عقلاً بالقوة عقلاً بالفعل هو العقل الفعال . وهو أحد العقول المفارقة التي اشتملت عليها نظرية الفيض . وهذه النظرية التي اقتبسها الفارابي وابن سينا من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة تقول بصدور العقول المفارقة بعضها عن بعض على نظام يجعل العقل الأول أعلاها والعقل الفعال آخرها . فالإله نفسه عقل محض بعقل ذاته ، ثم يصدر عنه لمجرد عقل لذاته عقل أول واحد بالعدد ، وهذا العقل الأول بعقل الإله وبمقل أيضاً ذاته ، فيفيض عنه عقل ثانٍ . ثم يتلوه عقل ثالث ورابع ، ولا يزال هذا الفيض يبدع عقولاً متتالية حتى ينتهي الإبداع الى العقل العاشر وهو العقل الفعال ، أي عقل فلک القمر المدير لعالم الكون والفساد . وهكذا تؤلف العقول السماوية سلسلة محكمة الحلقات يصدر عن كل عقل منها في مذهب ابن سينا ثلاثة أشياء عقل ونفس وجسم ، وتسمى العقول التسعة الأولى في مذهب الفارابي ملائكة السماء ، ويسمى العقل الفعال بروح القدس أو الروح الأمين ، ويسمى في لسان أهل الشرع بيجبريل ، وهو الذي يصل العالم العلوي بالعالم السفلي . وكذلك ابن سينا فهو يعرف الملك في رسالة الحدود بقوله : « هو جوهر بسيط ذو حياة ونطقٍ عقلي غير مأت ، وهو واسطة بين الباري عز وجل والأجسام الأرضية فمنه عقلي ، ومنه نفسي ، ومنه جسماني » . وللملائكة عنده ثلاث درجات أولها درجة الملائكة الروحانية المجردة التي تسمى عقولاً . وثانيها مرتبة الملائكة الروحانية التي تسمى نفوساً ، وهي الملائكة العملية ، وآخرها مرتبة ملائكة الأجرام السماوية . وما قال ابن سينا ان العقول المجردة ملائكة إلا تسترأ

بالاسلام ، مع أن الملائكة في الاسلام ليست عقولاً مجردة ، وإنما هي أجسام لطيفة نورانية قادرة على أعمال شاقة متشكلة بأشكال مختلفة ، ولم أجنحة وحواس (التهانوي) . وهو يرى أيضاً أن عدد العقول المفارقة بعد المبدأ الأول مساو لعدد الحركات السماوية ، وإن حركات الأفلاك شبيهة بحركات النفوس الانسانية . فكما ان للفلك نفساً تحركه ، فكذلك له عقل يدبره ، قال : « وأنت تعلم ان ههنا عقولاً ونفوساً مفارقة كثيرة ، ولكن العقل ليس محرّكاً قريباً للفلك ، وإنما هو محرّك له على سبيل التشويق » . قال : « وأنت تعلم أن العقل المجرد لا يكون مبدأً قريباً لحركة ... ، وانه اذا كان مبدأً لحركة فيجب أن يكون مبدأً آسراً مثلاً أو متشوّقاً » . (نجاهة ٣٩٣ - ٣٩٤) . وهو يصف العقل الأول الصادر عن واجب الوجود بأنه عقل محض ، لأنه صورة لافي مادة وهو أول العقول المفارقة ، وهو الملك الإلهي الموسوم بالعقل الكلي .

وما يسميه ابن سينا بالعقل الأول يسميه صاحب الرسالة الجامعة تارة بالعقل الأول ، وتارة بالعقل الفعال ، ويعرفه بأنه أول مبدع أبدعه الباري سبحانه ، وهو جوهر بسيط روحاني محيط بالأشياء كلها (الرسالة الجامعة ، جزء ١ ، ص ٥٦ ، ٣٠٤) وبقائه في العالم السفلي عقل جزئي هو قوة من قوى النفس الانسانية التي فعلها الفكر والروية والنطق والصناعة ، وترتيب الموجودات في الرسالة الجامعة شبيه بترتيب الأعداد ، فالله تعالى هو الواحد ، والعقل هو الاثنان والنفس هي الثلاثة الخ . وهذه تعطف على الطبيعة لترفعها الى منزلتها كما يعطف العقل على النفس ليرفعها اليه ويبلغها درجته .

وفي لسان الصوفية العقل الأول هو مرتبة الوحدة . وفرقوا بين العقل الأول ، وعقل الكل ، وعقل المعاش ، فقالوا العقل الأول هو محل صدور الوحي القديمي ، وأول تفصيل الاجمال الإلهي ، وعقل الكل هو القسطاس المستقيم وميزان العدل للأمر الفعلي ، وعقل المعاش هو الموزون بالقانون الفكري ، فلا يدرك إلا بآلة الفكر ، ولا يحكم إلا بكيفية العادة (التهانوي) .

أما ابن رشد فانه بين في تفسير ما بعد الطبيعة أن العقل الفعال هو كالصورة في العقل الهولاني ، وان هذا العقل الهولاني كائن فاسد ، وأن العقل الذي بالملكة فيه جزء كائن وجزء فاسد ، وان الفاسد هو فعله ، وأما هو في ذاته فليس بفاسد ، وانه داخل علينا من خارج ، وان العقل الذي يبقى لبس العقل الذي هو قوة للنفس أو جزء منها ، وانما هو العقل المستفاد أو العقل المكتسب .

\* \* \*

ينتج من كل ما تقدم أن للعقل في الفلسفة العربية معنيين أساسيين أحدهما أن العقل قوة من قوى النفس الانسانية تدرك المقولات ، وتشتبب منها بالقياس حقائق جديدة ، والثاني أن العقل جوهر مجرد عن المادة مفارق للأمر الحسية والجسمانية .

فاذا اعتبرناه قوة من قوى النفس الانسانية دل على العلم بالمبادي السكية الضرورية ، أو على العلم بمبادي الأفعال الخلقية . ويسمى العلم بالمبادي الضرورية عقلاً نظرياً . أما العلم بمبادي الأفعال الخلقية فيسمى عقلاً عملياً . وتختلف مراتب القوة النظرية في الانسان باختلاف درجة قبوله واستعداده للفعل ، فاذا كانت نسبة العقل الى قبول الصور العقلية نسبة الاستعداد المحض أو القوة المحضة الخالية من كل فعل كان العقل هولانياً ، واذا حصلت المقولات الأولى في النفس وحصل معها استعداد لاكتساب النظريات سمي العقل عقلاً بالملكة ، واذا صارت النظريات مخزونة عند القوة العاقلة بتكرار الاكتساب بحيث تستطيع استحضارها متى شاءت من غير تحشم اكتساب جديد سميت القوة العاقلة عقلاً بالفعل . واذا حضرت النظريات عند العقل بحيث يشاهدها دائماً سمي العقل عقلاً مستفاداً . وأما العقول المجردة فأعلاها العقل الأول أو العقل السكي ، وأدناها العقل الفعال . وهي كلها جواهر روحانية مفارقة .

\* \* \*

وإذا كان من عادة العلماء أن يعرفوا الأشياء بأضدادها فإنه من السهل علينا أن نورد هنا بعض أضداد العقل :

— فالعقل مضاد للحس ، لأن الحس يدرك الأمور الجزئية ، أما العقل فيدرك الأمور الكلية .

— وهو مضاد للهوى ، لأن الهوى كما يقولون عن الخير صاد ، وللعقل مضاد . ومن أحسن الأمثلة الدالة على هذا التضاد بين العقل والهوى ما جاء في كتاب الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي ومسكويه . « قال أبو حيان : لم يقل الرأي نائم والهوى يقظان ، ولذلك غلب الهوى الرأي . . أليس الرأي من حزب العقل وأوليائه ، فكيف غلب مع علو مكانه وشرف موضعه وما معنى قول الأوائل : العقل صديق مقطوع والهوى عدو متبوع . ما سبب هذه الصداقة مع هذا العقوق ، وما سبب تلك العداوة مع تلك المتابعة » . فأجابه أبو علي مسكويه : « هذا كلام خرج في معرض فصاحة وخطابة ، فأما معناه فهو أن الهوى فينا قوي جداً ، والرأي ضعيف ، وسبب ذلك أنا معشر الناس طبيعيون وجزء الطبيعة فينا أغلب من جزء العقل ، لأننا في عالم الطبيعة ، والعقل غريب عندنا ، ضعيف الأثر فينا ولذلك نكيل عند النظر في المعقولات ، ولا نكيل عند النظر في الطبيعيات ذلك الكلال ، والعقل وإن كان في نفسه شريفاً عالي الرتبة فإن أثره عندنا يسير ، والطبيعة وإن كانت بالاضافة الى العقل منخطة الرتبة فإنها قوية فينا ، لأننا في عالمها ، ونحن أجزاء منها ، وركبون من عناصرها ، وفينا قواها أجمع » .

— فالعقل مضاد للطبيعة اذن كما هو مضاد للهوى ، وقد قيل ان الانسان يساق بالعقل الى الحياة وبالطبيعة الى الموت .

— وهو أخيراً مضاد للجهد ، لأنه دعامة العمل الصالح وأساس الفضيلة ،

وينبوع الآداب ، فاذا تمَّ في الانسان خرج به الى حد الكمال ، كما قال صالح بن عبد القدوس :

إذا تمَّ عقل المرء تمت أموره وتمت أمانيه وتم بناؤه

\*\*\*

وهذا التضاد بين العقل من جهة وبين الحس والهووى والطبيعة والجهل من جهة أخرى يدل على شرف العقل وعلو منزلته . فقد قال عليه السلام : «أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدير فأدير ، ثم قال وعزتي وجلالي ، ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك ، بك آخذ ، وبك أتيب ، وبك أعاقب» . وقد قال الفلاسفة : ان سعادة الدنيا والآخرة لا تنال إلا بالعقل وان النفس لا تبلغ الكمال الا اذا اكتملت قواها العقلية ، وعاشت حياة عقلية مجردة من جميع العلائق . واذا كانت قد عقلت بها بعض العادات حين اتصالها بالبدن فجعلتها غير مستحقة لمثل تلك الحياة ، فذلك يعني أنها شريرة جاهلة لم تكنسب كمالها العقلي ، وهي في الحياة الدنيا ، وانها تستحق الألم الروحي الدائم جزاءً لما اقترفته . أما النفوس الخيرة التي اكتسبت كمالها العقلي فانها تتمتع بالذات الأبدية ، وتتذوق الخير والجمال . فالسعادة الحقيقية مقصورة إذن على النفوس الانسانية التي فازت بالكمالات العقلية . وكيف لا يكون العقل أشرف الأشياء ، وبه كما يقولون صار الانسان خليفة الله ، وبه تقرب اليه ، وبه تم دينه . ولذلك قال عليه السلام : لا دين لمن لا عقل له . وقال لا يعجبكم اسلام امري حتى تعرفوا عقله . ولهذا قيل من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حنقه في أغلب خصال الخير عليه . وناهيك بالعقل شرفاً أن الله تعالى شبهه بالنور فقال : «الله نور السموات والأرض» وان الرسول قال لعلي رضي الله عنه : اذا تقرب الناس لخالقهم بأبواب البر

فتقرب أنت اليه بعقلك ، فبقدر عقل المرء تكون عبادته لربه ، ولو كانت  
الفجاء يسمعون ويعقلون ما كانوا في أصحاب السعير ، وقد فسروا قول أحد  
الظرفاء « أكثر أهل الجنة البله » بقولهم أنه يعني بالبلاهة هنا البلاهة في  
أمور الدنيا لا في أمور الآخرة ، وفسروا أيضاً قول أبي العلاء :

اثنان أهل الأرض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له  
بقولهم انه يتكلم هنا عن الأمر الواقع لا عما يجب أن يكون . ولذلك قال  
الحسن البصري : أدركنا أقواماً لو رأيتهم لقلتم مجانين ، ولو رأوكم  
لقالوا شياطين .

وفي اللغة العربية الحديثة نقول هذا رجل عاقل ونعني بذلك الرجل الهادي  
المتزن على خلاف الرجل السريع الخاطر ، الحسن البديهة الذي يشتمل فطنة  
وذكاء ، وهذا الهادي المتزن المعقول فكره كعقال الناقة ليس محموداً في  
نظر العوام ، وإنما هو جدير بالرحمة ليجزه عن بلوغ مآربه وتقصيره في إدراك  
مصالحه وأغراضه .

مجمّل صليبا

## شهرته الخيام

### بين العلم والأدب

الخيام شهرته مزدوجة ذات شقين ، فقد ذاع صيته في حياته ذبوعاً جارفاً بطله الغزير ، وذاع صيته بعد مماته ذبوعاً جارفاً برباعياته الباهرة ، وكان في كليهما فذاً منقطع النظير . . . ولكنه ما يتمتع قط بشهرته كاملة في حياة ولا ممات . وقد آن له اليوم أن يستوفي حقه ، أو آن لنا على الأصح أن نفيه حقه ، علماً وشاعراً .

كان شيخنا عمر الخيام عالماً بكل ما في كفة العالم من معنى عصري ، بل أكثر مما يحتمله أي معنى عصري . . . فقصارى العالم اليوم أن يتخصص في علم من العلوم أو فصيلة من العلوم ، ثم لا تثريب عليه بعد ذلك أن يلمّ الإماماً يسيراً بما يدخل في باب الثقافة العامة من سائر أبواب المعرفة . أما الخيام فقد تخصص تخصصاً في كل واحد من علوم عصره ، فكان في كل فرع من فروع المعرفة في الطبقة الأولى من أهلها . وإن المرء لتأخذ الدهشة حين يسائل نفسه كيف اتسع وقت الخيام ، وكيف تبسرت له الأداة لكل ذلك .

أما في الرياضيات والفلك فقد جاوز حد الاحاطة بما وصل اليه العلماء من قبله الى درجة الارتداد والاكتشاف . فهو أول من حلّ المعادلة التكميلية في كتابه المشهور «الجبر والمقابلة» ، وهو الذي عهد اليه السلطان ملكشاه السلجوقي بإنشاء الرصد لاستطلاع حركات أجرام السماء . ولا ندرى ما الذي كشفه من المجهولات بنفسه في هذا الفن إلا أن معاصريه يقولون انه كان فيه رائد جليله وواحد زمانه . ويقول أبو حسن البيهقي أنه كان تلو أبي علي - أي ابن سينا -



في أجزاء علوم الحكمة . وتلك منزلة في العلم العمري باذخة ، الا انه اذا كان ابن سينا يتفوق عليه في علوم الطبيعة فلا شك أنه يتفوق هو على ابن سينا في الفلك والرياضيات كليهما .

لقد استطاع ذلك العقل العجيب أن يجمع بين خليط منناقض من العلوم والفنون التي تتطلب كل طائفة منها مواهب خاصة وطبائعاً خاصة . فلقد تعمق في علوم الدين واللغة من فقه وحديث وكلام ومنطق وقراءات وسيير ونحو وصرف ، ومحفوظ كثير من منظوم ومثثور . وتضلع من علوم الطبيعة ، على اختلاف فروعها المعروفة يومئذ ، تضلعاً عجز عن بلوغ شأوه الكثيرون من انقطعوا لها وتوفروا على درسها . ولم يفلت من يده هذا العلم الذي نسميه اليوم علم الأنواء الجوية ، فلقد وضع فيه رسالة أوضح فيها أسباب اختلاف المناخ في مختلف الأمصار . ولا نعلم ما في هذه الرسالة من مبتكرات لأنها ضاعت ، ولكن مجرد تأليفها يدل على أنه قد جاء فيها بعلم جديد لأنه ما كان يؤلف كتاباً إلا أن يأتي فيه بمجديد . وقد روى لنا تلميذه النظامي العروضي السمرقندي أنه استطاع أن يتنبأ للسلطان بصحو الجو خمسة أيام كاملة ، مما يعجز عنه الكثيرون من المتنبئين الجويين الجالسين الآن في المطارات الدولية <sup>(١)</sup> . ولم ينج من طموح عقله علم الطب على ما فيه من تعقيد وما يتطلبه من وقت وجهد وممارسة ، فكان بالإضافة الى كل ما تقدم طبيباً نظاسياً بلغ من حدقه وبعد صيته أن دعوه لمعالجة السلطان ( سنجر ) حين أصيب بالجدري في صباه . وكان عالماً في الفلسفة ، عارفاً بقديمتها وحديثها ، اسلامياً وغير اسلامياً . وكان عالماً في التاريخ ، وعالماً في الجغرافيا ، وعالماً في الكيمياء ، وعالماً في كل فن كان معروفاً في زمانه .

(١) حكاية التنبؤ بصحو الجو وغير ذلك من علوم الحيام فصلها الكتاب في كتابه : « ثورة الحيام » وقد لحس هنا ما احتاج اليه تمهيداً للفتالة بين شهرة الحيام في العلم وشهرته في الأدب .

وقد بلغ من علمه في قراءات القرآن مثلاً أن سئل مرة عن اختلاف القراء في إحدى الآيات ، فجعل يذكر وجوه الخلاف ويعال كل واحد ، ويذكر الشواذ ويعلمها ، ثم فضل وجهاً منها على سائر الوجوه ، فما وسع إمام القراء أبا الحسن الغزالي إلا أن قال له من فرط إعجابه : « أكثر الله في العلماء مثلك ! اجعلني من أمة أهلك وارض عني ، فاني ما ظننت أن أحداً من القراء في الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه ، فضلاً عن واحد من الحكماء » .

وبلغ من فقاوته في الإلهيات أن بعث إليه أحد رجال الدين والقضاء ، وهو الامام القاضي أبو النصر محمد بن عبد الرحيم النسوي ، يسأله عن أمور من صميم فلسفة الدين ، فأجابها عليها برسالة خاصة عرفت برسالة الكون والتكليف . على أنه ما كان مجهول القدر بين معاصريه ، فقد كان مشهوراً عندهم بعلو المكانة ، مشهوراً له بالتفوق في أندية العلم وقصور الملوك . كان العلماء من معاصريه يسعون إليه ، والدستور الفيلسوف ، وحكيم الدنيا . . . وما الى ذلك من ألقاب الاكبار والتوقير .

ومن الطرائف أن نجد حتى الشيخ نجم الدين الرازي الذي اتهم الخيام بالضللال ، وسب الدهريين والطبيعيين الذين عدّ الخيام أحدهم ، لم يتألك نفسه من إغداق صفات المدح عليه نبل أن ينعتهم بالضللال ، إذ قال ما ترجمته : « أولئك هم الذين يخرجون من زمرة ( أولئك كالأنعام بل هم أضل ) فيبلغون مرتبة الانسانية ، ويتخلصون من حجاب غفلة ( يعملون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ) فينتهجون بلذة وشوق طريق السلوك . أما أولئك المساكين من الفلاسفة والدهريين والطبيعيين فهم من كلا هذين المقامين محرومون وهم حائرون تائهون ، حتى أن أحد الفضلاء المشهور لديهم بالفضل والحكمة والكياسة والمعرفة ، وهو عمر الخيام ، قد قال من فرط الحيرة والضلالة هاتين الرباعيتين :

ومدارٍ فيه جئنا وذهبتا ننتقل  
خفيَ الأولُ والآخِرُ منه وتوجب  
أفما من فطنٍ يأتي برأي صائب  
متبئاً من أين جئنا والى أين سنذهب ؟

زبّن الصانعُ تركيبَ طباعِ البشرِ  
فلماذا شأنها بالنقص أو بالوضر ؟  
إن تكن جاءت ملاحاً . . فلماذا خروءُها ؟  
أو تكن جاءت قباحاً . . فعلى من عيبها ؟

وبلغ من ذبوع صيته في أقطار المملكة الإسلامية أن كان له أتباع في  
أصقاعها هنا وهناك ، حتى انه « لما حصل ببغداد » على حد تعبير القفطي  
« سعى اليه أهل طريقته في العلم القديم » - أي الفيلسفة اليونانية - مع أن الخيام  
لم يكن زار بغداد قبل ذلك .

وما كان إجلال الخيام وعرفان فضله مقصوراً على العلماء وإنما كان ينافسهم  
في ذلك الملوك والأمراء . وقد كان السلطان ملكشاه ينزله منزلة الندماء ،  
وكان الخاقان شمس الملوك ببخارى بمظنه كل التعظيم ويجلسه معه على سريره .  
وإن كان بلوغ هذه الذروة الشامخة في العلم جديراً بإكبارنا ، فأجدر  
بإكبارنا وإعجابنا ما كان يتجلى به الخيام من أخلاق العلماء ، وأخلاق العلماء  
نادرة لوعورتها في كل زمان .

فمن أخلاقه ، وهو في هذا المحل الأرفع قادر على تسنم ما شاء من المناصب  
لو شاء المناصب ، وحشد ما اشتهى من المال لو اشتهى المال - انه كان مؤثراً  
للمزلة والدرس ، زاهداً في حطام الدنيا ، مترفعاً عن خدمة الرؤساء والازدلاف اليهم :

كم 'تذلل' النفس في خدمة أوغاد لثام ؟  
 تنتجني كل طعام ، كالذباب المتراخي ؟  
 'كل' رغبةً كلَّ بومين بلا منّ الاثام  
 فلأن تطوي خير لك من خبز الكرام !

وحسبنا نفهّمًا لروحه العلمية أن نصغي إليه بقول في مقدمة كتابه « الجبر والمقابلة » مانصه :

« .. فإننا قد منينا بانقراض أهل العلم إلا عصابة قليلة العدد ، كثيري الحن ، همهم افتراض غفلات الزمان ليتفرغوا في أنثائها الى تحقيق واتقان علم . وأكثر المتشبهين بالعلماء في زماننا هذا يلبسون الحق بالباطل ، ولا يتجاوزون حد التباديس والتراخي بالمعرفة ؛ ولا ينفقون القدر الذي يعرفونه من العلوم إلا في أغراض بدنية خسية ، وان شهدوا انساناً معنياً بطلب الحق وإبشار الضدق ، مجتهداً في رفض الباطل والزور وترك المراباة والخداع .. استحقوه وسخروا منه ! » .  
 وما تزال هذه الكلمة الموجزة المرة تفصح حتى اليوم ، في الشرق خاصة ، عما يكابده العقل المنناز الذي يطلب العلم لذات العلم ، من محن بين من يشبهون بالعلماء ، بما ينالون من شهادات دراسية مثلاً ، بدلسون فيها على الجمهور ، ويتخذونها ذريعة لجر المنعم ، وتسئم المنصب ، وإشباع الشهوة ، ومكافأة الاصلاح والعلم .

ومن أخلاق العلماء أنه ما كان يؤلف كتاباً إلا اذا أتى بمجديد من المعرفة يضيفه الى تراث الثقافة الانسانية كما قلنا آنفاً ، فما كان بالذي يكتر من تأليف الكتب ليحشد فيها من معلومات غيره من الأوابين والآخريين ما يزخر به ذهنه الحافل ، ليخذ من ذلك ذريعة للتكسب أو وسيلة للظهور والمباهاة ، أو زاني الى الأسماء والكبراء . ذلك بأن العالم لم يكن عند خيامنا الحكيم

واسطة للأخذ ، بل للعطاء . فاذا ظفر من الحقائق العلمية الجديدة بما يعطيه ، أعطاء . وهو لذلك كان قليل التأليف حتى ظننه بعض قليلي البصر ضئيلاً بالتأليف بخيالاً بنشر المعرفة .

ومن أخلاق العلماء أيضاً أنه كان حر الفكر كثير المناقشة لما يعرض له من آراء مسلم بها وأحكام متواضع عليها . ومثله يكون أبدأ عرضة للاتهامات والمزجمات ، ولهذا كان كالمعري يشكو معاصريه ويندد منهم بالجهلاء الذين لا يفقهون له قولاً ولا يستطيع معهم صبراً .

فصليت أسرار دنياكم لدنيا في الدفاتر  
قد طوبناها ، في النشر وبال ومخاطر  
لم نجد في الناس من بعقل من أهل البصائر  
فقدنا يعجزنا اظهار ما تخفي الضمائر ؟

وامتد سخطه الى هذا الملك الدائر الجائر الذي لا مكان فيه للأحرار ، فقال :

آء لو كنت على الأفلاك رباً في سمائي  
لحوت الآن هذا الفلك الضخم البناء  
ولأنشأت بنفسي من جديد فلماً  
بدرك الأحرار فيه ما اشبهوا ، دون عناء !

هذا العلامة الفذ هو شيخنا عمر الخيام ، صاحب الرباعيات . أفليس عجيباً  
ألاً نعرفه إلا برباعياته ، ولا نتوهمه إلا عابثاً خليعاً ؟  
بلى ، وانه لعجيب أيضاً أن كان أبناء جيله يجهلون من أمر رباعياته الممتعة  
ما يجهله أبناء جيلنا من أمر علمه الفياضي .

أما معاصروه فلم يصلنا منهم عنه إلا روايات مقتضيات ناقصات للسمرقندي والزمخشري والبيهقي . وكلهم أشاد بعلمه ، وكلهم لم يشر بكلمة واحدة الى ربايعياته ، كأن القوم لم يسمعوها بها . أما السمرقندي والزمخشري فمذوران لأنها في الواقع تعمدان النقص ، أعني أنها لم يقصدا الى الاحاطة في بيان حال الشاعر الحكيم ، وإنما قصد كل منهما أن يروي خبراً بعينه لا يتعداه الى سواه . وأما البيهقي فقد ذكر من سيرته أموراً مهما تكن مقنضة فهي متنوعة متباينة تدل على أن جامهها أزداد التقصي والاستيفاء . وقد كتب البيهقي ما كتب بهد وفاة الخيام بنصف قرن ، فلا عجب أن يتقصى أخباره لينبيها من لم يدركه من أبناء الجيل اللاحق ، ولكن الغريب ألا يذكر شيئاً عن ربايعيات الخيام بالرغم من تعداد علومه ومؤلفاته . ولولا نواقص خطيرة أخرى في روايته لكان لنا أن نتخذ من إغفاله ذكر الربايعيات دليلاً طيباً على أن الخيام لم يكن مشهوراً بها في حياته . وقد يتخذ المنتظمون المولعون بالإنكار حجة من ذلك على أنه لم يكن للخيام ربايعيات أصلاً . ولكن البيهقي أخفق في التقصي وتوخى الاحاطة والحمد لله ، فكأن هذه النقيصة حسنة غير مقصودة تقطع على المباحكين سبيل إنكار الربايعيات بحملتها على الخيام . ذلك بأن في هذه الرواية ، بالإضافة الى ما فيها مما يبعث الربب أو يستحق التنفيذ ، إغفالاً لذكر أمور لا تقل خطراً عن الربايعيات ، ولا سبيل الى الشك في صحة نسبتها الى الخيام . من ذلك أن البيهقي ذكر مؤلفاته ثم فاته أكبرها خطراً وأعظمها قيمة علمية وهو « الجبر والمقابلة » . لهذا كان إغفاله ذكر الربايعيات لا يدل إلا على لاشيء . ولعله لم يسمع بها كما لم يسمع بالجبر والمقابلة . ولكن الأمر الذي يعنيننا هنا هو أن الخيام لم يكن مشتهراً بالربايعيات بين أبناء جيله . ولو افترضنا ان الباحثين سيقمون ذات يوم على رواية أخرى لبعض معاصري الخيام فيها ذكر للربايعيات

فأني أميل الى الظن أنها ان تدل بوجه من الوجوه على أن الخيام كان مشهوراً بها شهرته بعلمه . وإنما كان يتلو رباعياته في أغلب الظن على خاصة أصحابه الذين كانوا هم المعجبين بها ، وهم الذين شهردها ونشروها بين الناس بعد وفاته فيما يبدو . والظاهر أن خمول ذكر الرباعيات في حياته يرجع الى أنه لم يكن بالشاعر المتوفر على القريض توفره على فنه الخاص في الرياضة والفلك ، وإنما كان القريض واحداً من هذه الفنون الكثيرة التي ضرب في كل منها بسهم . ويبدو لي أنه كان ينظم هذه الرباعيات في كثير من الأحيان فرادى في المجالس والمناسبات ، يكتبها على هامش كتاب أو غلاف دفتر ، ويثلوها على من حضر . وقد لا يحتفظ بها ولا يحفظها ، بل يحتفظ بها أو يحفظها بعض السامعين . فإنا هو دُعي مثلاً لعالجة فتاة مريضة فوجدتها تذوي وتذوي ، حتى تقضي نحبها بين يديه ، في أيام غضارة الزهر من عمرها ، جاشت نفسه لهذه الفاجعة الكونية الكبرى - فاجعة الموت الذي كان أبداً يشغل بال الخيام وبقض مضجعه - وإذا به يقول لأصحابه يروي لهم المأساة :

كنت أسمى أمس في إثر الحميا والحيب

فبت لي ورذة ذابلة قرب لبيب

قلت : ما أجرت كي يصولك ناراً ، يا جميلة ؟

فأجابني : تبست قليلاً في الخميعة !

وإذا رأى ، أو سمع ، أن الأمير أو الوزير أو قائد الجند أو قاضي القضاة فلاناً قد أهان العالم أو الشاعر أو البقال أو الشحاذ علاناً - جعل يوازن في عقله بين المعتلي والمبتلى من هؤلاء وهو عائد الى داره مثلاً ، فلا يستطيع أن يضع رأسه على الوسادة لينام قبل أن يسطر على هامش إحدى صفحات الجبر والمقابلة :

ان من صاروا عظام الناس من أهل المناصب  
سثموا أنفسهم من فرط حرص و مناعب  
واذا هم أبصروا غير حريص مثلهم  
لم يروه آدمياً مثلهم . . . يا للعجائب !

وهكذا . . . .

ولا بد لنا من ذكر سبب آخر لنحول ذكر الرباعيات في حياة صاحبها هو  
تكتمه في أمرها وإخفاؤها الا عن صحابته الأذنين خوفاً على نفسه من تبعه ما فيها  
من تمرد ، وكفران بالدين والمجتمع ، وبكل ما فرضا على الناس من قيم ونقالب .  
على أن الرباعيات لم تكن مما يتباهى به مثل الخيام حتى ما لم يكن منها  
ماتاً بالدين أو المجتمع ، لأن الشعر لم يكن مشرفاً للعلماء في ذلك العهد .  
فلعله كان بكنتم أمر الرباعيات كلها أحياناً صوتاً لبقائه من الابتذال لدى  
المتزمتين ، وغير المتزمتين .

ولعل من آيات هوان الرباعيات على صاحبها نفسه أنه نظمها بالفارسية وهي  
بومئذ لغة التخاطب والتفكه ، كالعامة عندنا اليوم 'ينظم بها بعض الأرجال ،  
على حين انه كتب كل . . . ولغاته ونظم بعض أشعاره ، بالعربية التي كانت عنده  
لغة العلم والجد . فلو انه ظن برباعياته خيراً أو أراد لها انتشاراً لكانت  
نظمها بالعربية .

\* \* \*

ومات ذكر الخيام في عصورنا المظلمة كما مات ذكر سواه من أعلام الثقافة  
في الشرق . حتى اكتشفه الغربيون أخيراً فبعثوه كما بعثوا سواه ، فاذا باسمه  
يدوي في أوربا فتجاوب أصدائه في أنحاء العالم ، واذا بالخبر يصل الى أقطار الشرق  
ومنها بلدة إيران ، فجعل مواطنوه أيضاً يهتمون به أسوة بسواهم من الأعراق .



ولكنه لم يشتهر بعلمه هذه المرة بل اشتهر برباعياته التي تجاهلها معاصروه واستهانوا بأمرها كما تجاهلها هو في أكبر الظن واستهان بأمرها . على أن ناس اليوم لم يعرفوا هذه الرباعيات على حقيقتها ، لأن أغلب الذين ترجموها في الغرب والشرق لم يفطنوا ، أو لم يريدوا أن يفطنوا ، الى أن الخيام يريء من أكثر هذه الرباعيات السادرة الخليعة التي تعزى اليه ، ولهذا لم يكثرثوا من شعره وما نسب اليه من شعر سواه ، الا لما كان أقرب الى المجون والتسيب ، ولم يأخذوا من شؤون فكره إلا ما كان فيه حبيب أو مدام . فتابعهم سواد القراء على ذلك ، وهو أحب اليهم طبعاً ، حتى أصبح اسم الخيام عند الكثرة الغالبة منهم علماً على اللهو والتهمك . وإذا بناشئة اليوم يكادون يسلكونه في زمرة الوجوديين والوجوديات ممن يقضون أمسياتهم المجنونة في أفنية باريس .

ولا يخافن قرائي الكرام أن أنكد عليهم بأن أزعم لهم أن صديقهم الخيام لم يكن له مجون أو عبث ، فيجيب ظنهم فيء ، وفيه . فان الأمر يشهد الله غير ذلك ، لحسن الحظ ، ولكن الزعم الذي لا أجد مفرّاً من إقحامه هنا هو ان للخيام رباعيات فيها تفكير وجد أيضاً ، وانه كثيراً ما اتخذ ابنة العقود وسيلة للإعراب عن فكرة فلسفية أو تجديدية دينية ، أو إفصاح عن مشاعر قد يكون ملؤها الأسمى والنشأوم . فهو أقرب الى أن يكون فيلسوفاً حزبياً خفيف الروح من أن يكون ماجناً يتكلف الفلسفة والوعظ ، كما كان يتكلمها أحياناً أبو نواس . ومن الحق أن نعرفه على هذا الوجه فنظهر منه على جانب الجد الصارم والتفكير الثاقب أيضاً .

وهل بي الآن من حاجة الى التحدث عن مدى ذبوع صيت الخيام في عالم اليوم؟ حسبي أن أقول أنه ما من لغة حية الا قد ترجمت اليها رباعيات الخيام عدة مرات وطبعت عدة مرات ، حتى لقد أعيد طبعها بالانكليزية أكثر مما أعيد بها طبع أي كتاب آخر . وحتى لقد بلغ من اشتهاره في أمريكا مثلاً

أنه قلما امتلك أحدهم هنالك بضعة كتب إلا كان أحدها رباعيات الخيام . .  
وحتى لقد ترجمها الى العربية أكثر من عشرة من شعراء العرق وحدهم - كاتب  
هذه السطور أحدهم .

وهكذا بنشو ذكر الخيام في أقطار الأرض فيقلب أهل كل مصر على  
شعرائهم في عقر دارهم ، حتى زحم شيكسبير عند الانكليز ، وگوتيه عند  
الألمان ، وبوشكين عند الروس ، ودانتي عند الطليان ، والمتنبي عند العرب .  
واذا بالمحدثين يكبرون اليوم من شأن هذا الخيام الشاعر ما كان الأقدمون  
يكبرونه من شأن ذلك الخيام العالم . واذا بالمحدثين يتجاهلون اليوم من قدر  
علمه ذلك الجهم ما تجاهل الأقدمون من قدر رباعياته هذه الرائعة . . كأنهم  
ينتقمون لها منهم ، ومن الخيام .

ولكن ما بالنا لانسأل الخيام نفسه ما رأيه هو يا ترى في علمه ، ثم ما رأيه  
هو يا ترى في شهرته ؟  
أما في شأن علمه فيقول :

إن قلبي أبدألم يحرم العلم لعمرى  
وقليل ما اختفى عني من مكنون سر  
بيد أني اليوم في السبعين إذ راجعت فكري  
صرت أدري كيف أني . . أبدأما كنت أدري !

وأما في شأن شهرته فيقول :

السعيد الحق من لم يك معروف المكان  
لم يصر في فوطة ، أو جبة ، أو طيلسان  
فهو كالعنقاء ، قد طار عن الدارين طرا  
لم يكن مثلي يوماً بين أطلال الزمان !

ولنسائل الآن أنفسنا . ما هو سبب هذه الشهرة المستفيضة التي أصابها الخيام  
برباعياته اليوم فتهافت الشعراء على ترجمته وترامى القراء على قراءته ، وأنشئت  
النوادي باسمه ، وقرعت الأقداح على ذكره . . في أرجاء الدنيا العريضة كلها ؟  
أنراه أشعر شعراء الأرض ، أو أشعر شعراء إيران على الأقل ؟

ان سبب شهرته هذه يرجع الى جملة خصال لا أستطيع أن أعد تفوقه في  
الشعر واحداً منها ، وان في شعراء الفرس وحدهم لثلاثة أعلام كل منهم يعد  
عند الفرس وغيرهم أشعر من الخيام ، وهم حافظ الشيرازي المتفرد بفزله ،  
وجلال الدين الرومي المتفوق بتصوفه ، وأبو القاسم الفردوسي المشهور بأساطير  
أتمته . ولكن الخيام بذه هوألاء الفحول ، كما بذه غيرهم من شعراء الأمم . .  
لا بدرجة شعره ، ولكن بنوع شعره .

وأول هذه الأسباب التي رفعته الى القمة بين شعراء الدنيا ، وأجدرها بالذكر  
فيما أرى ، هو ان الخيام لم يتخصص في الغزل كحافظ ليفتنن به عشاق الغزل  
وحدهم ، ولا في التصوف كجلال الدين ليعجب به قراء التصوف خلا سواهم ،  
ولا في أساطير الأولين كأبي القاسم ليقبل عليه هواة الأساطير دون سائر القراء .  
وانما عاجل الخيام في رباعياته من الموضوعات ما يهيم كل انسان ، وما لا بد أن  
يكون قد فكر فيه كل إنسان ، فلذلك يقرؤه كل إنسان .

ما من أحد لم يفكر في اللذات أينغمس فيها أم يتجنبها ، أينغمسها اليوم  
أم يرجئها الى غد ، أينغمسها في هذه الحياة الدنيا أم يدخرها الى تلك الحياة  
الأخرى . ما من أحد لم يفكر في هذه الحياة الباطلة ، وفي الحياة الأخرى  
أحق هي أم باطل هراء . ما من أحد لم يفكر في هذا العمر القصير ما أسرع  
ما ينقضي ، وفي هذا الشباب الرائق ما أسرع ما يذبل ويزول ، وفي هذه  
الحياة كلها كيف تمضي عبثاً كما تمضي ليلة السكران . ما من أحد لم يتلمس  
وسيلة من وسائل اللهو والترفيه يستعين بها على احتمال أثقال الحياة وتنامي هموم

الدنيا - من خمرة أو سواها من الملهيات . ما من أحد لم يفكر في هذه الدنيا أيزهد فيها وبعتمزل أبناءها أم يقبل عليها ويتكالب على المال والجاه والسلطان بين أهليها .

ما من أحد لم يفكر في هذه الشؤون وأمثالها بما تناوله رباعيات الخيام ، سواء أكان عالماً أم جاهلاً ، متفائلاً أم متشائماً ، شرفياً أم غريباً ، من أبناء العصر الحاضر أم من أبناء العصور الغابرة . وأنت بعد - أيها القارئ - قد توافق الخيام في رأيه الذي يراه وقد تخالفه . فليس ذلك المهم ، ولكن المهم أن هذا الأمر الذي يعرضه لك الخيام ، قد فكرت فيه وكونت لنفسك رأياً بشأنه ، في يوم من الأيام ، ولعلك ما زلت تفكر فيه حتى اليوم . . فهو بعينك في كلتا الحالتين .

وناني هذه الأسباب ان للخيام في التعبير عن أفكاره طريقة فيها من البراعة والسخرية أحياناً ، وخفة الروح غالباً ، ما يجعل حتى الفكرة الكئيبة أشبه بالنكتة الشائقة ، فضلاً عما في رباعياته من كثرة ذكر للحناء والصباء حتى في معرض التفكير والنشائم . فكأن أسلوب الخيام غشاء من السكر يكسو الدواء ويطيب طعمه فيستسيغه من لا يستسيغ ما تحتته ، واذا بالعابث اللاهي يقرأ الفلسفة ، أو يتفجع على الدنيا ، وهو يظن أنه إنما يعاقر الراح أو يشبب بالملاح :

مالنا بالله أمرى يبد العقل العقام؟

ما حياة المرء يوماً واحداً أو ألف عام؟

إفتح الراقود واملاً من رحيق الراح جامي

قبل أن نصبح في السوق جراًراً للأنام !

احملي الدين مع الأقداح يا سببر حياتي  
واخطري بين الأزاهير على شط الأضواء  
فلكم أحدث هذا الدهر أقداحاً ودناً  
للحميا .. من قدود الغانيات الفاتنات !

وثالث الأسباب أن شعر الخيام ، كما لحظ النقاد ، رباعيات كل واحدة منها قائمة برأسها ، تعالج موضوعاً قائماً برأسه ، ببيان يمتاز بالإيجاز والتركيز ، فهي من أجل ذلك مؤثرة الوقع في النفس ، سهلة الحفظ والرواية .  
ورابعها تماجن للخيام يدعو الى اللهو للخلاص من أشجان الحياة ، مع تمرد في طبعه أصيل يدعو الى التملل من القيود والأباطيل .

فاذا أضفنا الى كل هذا سبباً خامساً يرجع الفضل فيه الى جمهرة المترجمين الذين يميلون على الأغلب الى الاكثار من ترجمة كل ما فيه تمرد وتماجن ، سواء من رباعيات الخيام أو مما نسب اليه من رباعيات سواء ، ويؤثرون الإعراض من رباعياته عن كل ما كان تفكيراً خالصاً خلوياً من دعابة أو تحرش - سهل علينا أن ندرك لماذا أحبه القراء في هذا الجيل الفلق المشدود ، واستفاضت شهرته عندهم في كل مشرق ومغرب .

أما لماذا انطفأت شهرته العلمية اليوم فالجواب يسير : أولاً بسبب هذه الشهرة الجائحة التي جنتها عليه الرباعيات ، وثانياً لأن العلم قد تقدم اليوم تقدماً هائلاً عما كان عليه في عهده ، فلم يعد في كتبه ما يستهوي طلاب المعرفة الجديدة من الباحثين . بل ان ما كان الخيام متفرداً في معرفته أو اكتشافه من قوانين الرياضة والطبيعة أصبح اليوم معرفة مشاعة بين طلاب المدارس . وما أكثر ما يعرفه اليوم تلاميذ المتوسطات والابتدائيات من أسرار الكون مما كان يجمله الخيام ، وأفلاطون .

والآن أجدني أسائل نفسي : ترى لو عاد صدقتنا الشيخ الحكيم الى الحياة فوجد أبناء هذا الجيل يعجبون به كل هذا الاعجاب ، ويحتفون برباعياته كل هذه الخفاة ، ورأى بنان الفضول يشير اليه حيثما سار ، ووجد رسائل الاعجاب تنهمر عليه من أمريكا والصين والسويد والارجنتين . . من طلاب مال وطالبات زواج ، ووجد الناشرين بلاحقونه لإعادة طبع رباعياته والرسامين يطاردونه لإعادة تزيين صفحاتها ، وحفلات التكريم تقام له هنا وهناك ، وهذه الأضواء الفظيعة تنفجر من آلات التصوير في وجهه بين كل دقيقة وثانية فتؤذي عينيه وتثير أعصابه ، وهذا يطلب توقيعا في دفتره المذكري وذلك بلمس صورة في مجموعته للمباهاة ، وجرس الهاتف يعكس صفوه كلما أدى الى بيته ليرتاح ، والمعجبون يأخذون عليه كل سبيل فلا يدعون له من وقته ما يتطلبه التأمل والدرس . أجل ، لو عاد الى الحياة وقامى كل هذا ، وهو خاليق بأن يقامى أكثر من هذا من عقايل هذا الاعجاب الأهوج - على طريقة القرن العشرين - إذن لأعاد علينا قوله :

السعيد الحق . . من لم يك معروف المكان ! . .

ولهرب من حياتنا العصرية المحمومة هذه فانزوى في صومعة على رأس جبل بنشد فيها الخلاص ، والراحة ، والسلام .

عبد الحق فاضل

فهرست مؤلفات

محيي الدين بن عربي

( ٥٦٠ - ٦٣٨ هـ )

بفلم

عني بتحقيقه

كوركبى عوار

- ٢ -

فصل

في أسماء الكتب التي بأيدي الناس اليوم مما يُنسب اليها

فمنها في الحديث :

- ٢٧ - كتاب الحجّة البيضاء : صنفه بمكة المشرفة ، أكملت منه كتاب الطهارة والصلاة ، في مجلدين ، ويدي الآن المجلد الثالث أتى في كتاب الجمعة .
- ٢٨ - ومنها كتاب مفتاح السعادة : جمعت فيه بين متون مسلم والبخاري وبعض أحاديث من الترمذي .
- ٢٩ - وكتاب كنز الأبرار فيما رُوي عن النبي ﷺ من الأدعية والأذكار .
- ٣٠ - وكتاب مشكاة الأنوار فيما رُوي عن الله تعالى من الأخبار<sup>(١)</sup> .
- ٣١ - وكتاب الأربعين حديثاً المتقابلة والأربعين الطوالات .
- ٣٢ - ومنها كتاب العين في خصوصية سيد الكونين .

(١) برلين ١٤٦٩ المكتب الهندي ٦٥٨ (١) المتحف البريطاني ٩١٨ (١٤) أسئلة (السويد) ٣٩٣ (١) باتنا ١ : ٦١ .

ولا أدري هل خرج عن ذكره منها في هذا الفن شيء أم لا ، لشغل الخاطر  
وعدم الالتفات للماضي .

\* \* \*

وأما ما بأيدي الناس من كتبنا في طريق الحقائق ، فمنها :

- ٣٣ - كتاب التدبيرات [٧] الإلهية في إصلاح المملكة الانسانية<sup>(١)</sup> :  
حدثت فيه حذر يحكم الحكيم<sup>(٢)</sup> ارسطوطاليس في كتاب ممر الأسرار الذي  
ألفه للاسكندر . وبسبب ذلك الكتاب وضعت هذا لسؤالي أخينا أبي محمد  
عبد الله ابن الأستاذ الموزوري<sup>(٣)</sup> في ذلك .
- ٣٤ - وكتاب سبب تعشق النفس بالجسم وما يقاسي من الألم عند فراقه بالموت .
- ٣٥ - وكتاب إزال الغيوب على مراتب القلوب : فيما لنا من سجع وشعر .
- ٣٦ - وكتاب الإمرا الى المقام الأسرى<sup>(٤)</sup> .
- ٣٧ - وكتاب مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية<sup>(٥)</sup> .

- (١) نشره المستشرق نيرج (ليدن ١٩١٩) . ومنه نسخ خطية في المتحف العراقي  
٧٠١ دار الكتب ١ : ٢٧٨ (٤ نسخ) . الجامعة المصرية [مكتبة الأمير ابراهيم  
حلمي] ٢٣٠٩٩ الاسكندرية (تصوف ١١) برلين ٢٩٠٦ - ٢٩٠٧ أسالة  
٢٩٩٣ (٥) المكتب الهندي ٦٥٨ المتحف البريطاني Quart VI 55 بدليات  
(اكسفردي) ٢ : ٢٥٢ (١) الجزائر ٩١١ فاتح ٢٦٣٠ (٨) ٥٣٧٦ (١٤) حاك  
(استانبول) ٣ : باتنا ١ : ١٢٩ . ٢ : ٤٨٩ بانكيبور ٨٨٧ برمنكهام ٦٦٦ ،  
(٢) المخطوط : حدثت فيه حكم حذر الحكيم .
- (٣) المخطوط : الموروزي . والوجه ما أثبتنا . في معجم البلدان (٤ : ٦٨٠) :  
موزور اسم المنقول من الوزر . اسم لسكورة بالاندلس ، بينها وبين قرطبة  
عشرون فرسخاً .
- (٤) الأزهر ٣ : ٥٣٧ (نسختان) دار الكتب ١ : ٢٦٦ تذكرة النوادر ٣٦٦  
برمنكهام ٦٦٥ برلين ٢٩٠١ - ٢٩٠٢ فينة ١٩٠٨ .
- (٥) دار الكتب ١ : ٣٥٩ الأزهر ٣ : ٦٣١ وعنوانه هناك «مشاهدة الأنوار... الخ»  
جون ريلندز ١٠٦ (١٢) غوطا ٨٨٧ و ٨٨٨ (٢) برلين ٢٩٠٨ فينة ١٩٠٧  
باريس ١٣٣٨ (٣) الجزائر ٩١١ (٢) قسطنطينية ١ : ٤٣٧ شهيد علي (استانبول)  
١٢٧٧ (٢) و ١٤٣١ فاتح ٢٦٣٠ (٢) و ٥٣٧٦ نافذ (استانبول) ٤٧٠  
باتنا ٢ : ٤٨٨ وفي دار الكتب (١ : ٢٢٥) شرح المشاهد القدسية : السبعة  
عجم بنت النفيس بن أبي القاسم البغدادي .



- ٣٨ - وكتاب الجلي في كشف الولي .
- ٣٩ - وكتاب المنهج السديد في ترتيب أحوال الإمام البسطامي أبي يزيد ، رضي الله عنه .
- ٤٠ - وكتاب مفتاح أفعال الإلهام الوحيد وإيضاح اشكال اعلام المرشد في شرح أحوال الإمام البسطامي أبي يزيد ، رضي الله عنه : أمرني الحق تعالى بشرحها في النوم بساحل سبتة ببلاد المغرب ، فقامتُ مبادراً قبيل الفجر ، وكان لي ناسخان ، فأملتُ عليها فكتبا . فما طلعت الشمس حتى تقيّد منه كراسان .
- ٤١ - وكتاب أنس المنقطعين برب العالمين : وضعته لنفسي ولغيري .
- ٤٢ - وكتاب الموعظة الحسنة <sup>(١)</sup> : مثله :
- ٤٣ - وكتاب البغية في اختصار كتاب الحلية <sup>(٢)</sup> لأبي نعيم الحافظ : مثل ذلك ، وضعته في حق نفسي .
- ٤٤ - وكتاب الدرّة الفاخرة في ذكر من انتفعت به في طريق الآخرة <sup>(٣)</sup> .
- ٤٥ - وكتاب المبادئ والغايات [٨] فيما تحتوي عليه حروف المعجم من العجائب والآيات .
- ٤٦ - وكتاب مواقع النجوم ومطالع أهلة الأمرار والنجوم <sup>(٤)</sup> .
- ٤٧ - وكتاب الانزالات الوجودية من الخزائن الجودية .
- ٤٨ - وكتاب حلية الأبدال وما يظهر عنها وعليها <sup>(٥)</sup> من المعارف
- 
- (١) الأزهر ٣ : ٦٤٢ جون ريلندز ١٠٦ (٢٤) .
- (٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الاصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ . طبع في القاهرة سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٨ في ١٠ مجلدات .
- (٣) برابن ٢٩٥٨ .
- (٤) هو كتاب في التصوف ، طبع في القاهرة سنة ١٩٠٧ . ومنه نسخ خطية في المتحف العراقي ١٦٩٤ فلاوقاف بينداد ٥٣٧٦ (١) و ٦٤٩١ (١١) الظاهرية (حبيب زيات ص ٤٩) الأزهر ٣ : ٦٤١ آصفية : تصوف ٥٨ (١) المجلس الملي (طهران) ٥٩٤ (١) الاسكندرية : تصوف ١٨ برمنسكهام ٦٦٧ و ٦٦٨ .
- (٥) في بعض النسخ : وما يظهر فيها . م (٤٤)

والأحوال<sup>(١)</sup> : وهو كتاب ساعة . وضعته بالطائف بدرب أبي أمية . نكبت فيه على الجوع والصمت والسهو والعزلة .

٤٩ - وكتاب أنوار الفجر في معرفة المقامات والعاملين على الأجر وعلى غير الأجر : وإنما سميته بهذا ، لأنني لا أقيده حرقاً إلا في وقت الفجر إلى أن يبكاد يبدو حاجب الشمس .

٥٠ - وكتاب الفتوحات المكية<sup>(٢)</sup> : وهو كتاب كبير في مجلدات ، مما فُتح به عليٌّ في مكة المشرفة . يحوي على خمسمائة باب وخمسة وستين باباً في أسرارٍ عظيمة وحكم جسيمة من مراتب العلوم والمعارف والسلوك والمنازل والمتأولات والأقطاب وشبه هذا الفن . وأظنُّ - والله أعلم - ما صُنِّف مثله ولا يُصنَّف ، لأنني حدثتُ فيه حدواً غريباً وأسلوباً عجيباً .

- (١) الاوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٢١) ٩٦٧٩ (٢) دار الكتب ١ : ٢٩١ (٧ نسخ) برمنكهام ٦٧١ - ٦٧٢ الظاهرية (حبيب زيات ص ٥٠) الفهرس التمهيدي ص ١٢٩ تذكرة النوادر ٣٦١ أصفية : تصوف ٥٦ جامع بكر أفندي بالموصل (مخطوطات الموصل . ص ٧٥ الرقم ٧٤)<sup>(٤)</sup> ( برلين ٢٩٣١ - ٢٩٣٢ باريس ١٣٣٨ ، ٦٦١٤ للمكتب الهندي ٦٩٤ (٢) أبساله ٣٩٣ (١٦) ولي الدين (استانبول) ١٥٢٠ فاتح ٢٦٣ (٧) ٥٣٧٨ نافذ ٣٨٤ جون ريلندز ١٠٦ (٢٠) (٢) 'طبع مرتين في يولاتي سنة ١٢٧٤ و ١٢٩٣ هـ ، وثالثة في القاهرة سنة ١٣٢٩ ، وكل منها في ٤ مجلدات . ومنه نسخ خطية في : الاوقاف ببغداد ٤٧٦٥ ، ٧١١٠ ، ٧١٥٢ وقطعة منه برقم ٤٨٨٧ (١٥) وعندني قطعة مخطوطة منه . ومنه نسخ أخرى في : القادرية ببغداد (نسختان) الأزهر ٣ : ٦١١ الاسكندرية : تصوف ٢٦ الظاهرية (ص ٦٤ ، ٣ نسخ) برلين ٢٨٥٦ - ٢٨٧٣ غوطا ٨٨٤ برمنكهام ٦٥٠ - ٦٥٥ للمتحف البريطاني (Suppl.) ٢٣١ قوله ١ : ٢٥٥ ياتنا ١ : ١٣٩ مكتبة للشهد الرضوي ٤ : ٢١٢ - ٢١٣ ، الرقم ٩٠٨ - ٩١٠ جامع الباشا (مخطوطات الموصل . ص ٥٢ الرقم ٨٠) خزانة العزاوي ببغداد دار الكتب ١ : ٣٣٧ (٥ نسخ فيها التامة وغير التامة) . ولي ١ : ٣٦٨ نبذة منه . جامعة هارفرد (أميركة) ٨٦ . ولعمد النبي النابلسي ، كتاب «سواطع الانوار القدسية فيما صدرت به الفتوحات المكية» (دار الكتب ١ : ٣١٩) جمع فيه الايات التي صدرت بها أبواب الكتاب المذكور بإشارة منامية من صاحب الفتوحات ابن عربي .

- ٥١ - وكتاب تاج الرسائل ومنهاج الوسائل <sup>(١)</sup> : مخاطبات بيني وبين الكعبة شرفها الله تعالى ٦ وهو سبع رسائل .
- ٥٢ - وكتاب روح القدس في مناصحة النفس <sup>(٢)</sup> .
- ٥٣ - وكتاب التزلات الموصلية في أمرار الطهارات والصلوات الخمس والأيام المقدرة الأصلية <sup>(٣)</sup> .
- ٥٤ - وكتاب إشارات القرآن في عالم [ ٩ ] الانسان <sup>(٤)</sup> .
- ٥٥ - وكتاب القسَم الإلهي بالاسم الرباني <sup>(٥)</sup> .
- ٥٦ - وكتاب الجلال والجمال <sup>(٦)</sup> .
- ٥٧ - وكتاب السر المكشوف في المدخل الى العمل بالحروف .
- ٥٨ - وكتاب المقنع <sup>(٧)</sup> في إيضاح السهل الممتنع <sup>(٨)</sup> .

- (١) نشرها الشيخ محي الدين صبري الكردي ضمن « مجموعة الرسائل » ( مطبعة كردستان - القاهرة ١٣٢٨ هـ ) وهي آخر ما في المجموعة . ويشتمل تاج الرسائل على : (١) الرسالة الالهية القدسية . (٢) الاتحادية . (٣) الربانية . (٤) الشهيدة . (٥) الفردوسية . (٦) المدرية . (٧) الوجودية .
- ومن تاج الرسائل ، نسخ خطية في الازهر ٣ : ٥٤٧ دار الكتب ١ : ٢٧٤ ( نسختان ) مكتبة الشهيد الرضوي ٤ : ٢٨٩ الرقم ١٨٧ برلين ٢٩٥٧ .
- (٢) طبع على الحجر في القاهرة سنة ١٢٨١ هـ . ومنه نسخ خطية في : بدليات : ١ : ٣٢٠ المكتب الهندي ٦٥٩ (٢) [ = رسالة القدس في مناصحة النفس ] بانكيبور ٨٩٠ وفي كشف الظنون ( ٣ : ٤٨٣ ) : « روح القياس » قال وهو على منوال الرسالة القشيرية .
- (٣) دار الكتب ١ : ٢٨٢ مراد ملا (استانبول) ١٢٣٦ شيخ مراد ( استانبول ) ١٨٧ .
- (٤) جون ريلندز ١٠٦ (٤) برلين ٢٩٤٩ .
- (٥) جون ريلندز ١٠٦ (٣) برلين ٢٩٥٤ تذكرة النوادر ٣٧٥ .
- (٦) 'طبع في مجموعة وسائل ابن العربي ( حيدرآباد ١٣٦٣ هـ ، ١٧ ص ) وهو ثالث ما في المجموعة ، ومنه نسخ خطية في : جون ريلندز ١٠٦ (٢٢) برلين ٢٩٩٤ (٤) ( بنوان : الجمال والجلال ) تذكرة النوادر ٣٧٠ .
- (٧) في بعض النسخ : للقتع .
- (٨) عندي منه نسخة خطية قديمة في خمس ورفات ، ومنه أيضاً نسخة في برلين ٢٩٦٩ .

- ٥٩ - وكتاب الأمر المحكم المربوط في معرفة ما يحتاج اليه أهل طريق الله تعالى من الشروط <sup>(١)</sup> .
- ٦٠ - وكتاب رسالة الأنوار فيما يمنح <sup>(٢)</sup> صاحب الخلوة من الأسرار <sup>(٣)</sup> .
- ٦١ - وكتاب عنقاء مغرب <sup>(٤)</sup> .
- ٦٢ - وكتاب المعلوم بين عقائد علماء الرسوم .
- ٦٣ - وكتاب الایجاد <sup>(٥)</sup> الكوفي والمشهد العيني بخصرة الشجرة الانسانية والطيور الأربعة الروحانية <sup>(٦)</sup> .
- ٦٤ - وكتاب الاشارات في أسرار الأسماء الالهية والكتابات .

(١) طبع في مجموعة «التحفة البهية والطرفة الشبية» (مطبعة الجوائب - استانبول ١٣٠٢ هـ الرقم ١٨) وطبع مع كتاب (ذخائر الاعلاق) لابن عربي، في المطبعة الانسية - بيروت ١٣١٣ هـ. وطبع مع ترجمة تركية في استانبول سنة ١٣١٥ هـ. ومنه نسخة خطية في: الأزهر ٣ : ٥٢٩ (نسختان) الظاهرية (حبيب زيات من ٤٩) برلين ٢٩٤٢ غوطا ٩١٤ <sup>(٣)</sup> فينه ١٩٠٩ أساله ٣٩٣ <sup>(١٣)</sup> باريس ١٣٣٧ <sup>(١٤)</sup> ٦٦١٤ <sup>(٢)</sup> برنستن ١٥٧٤ <sup>(١)</sup> .

(٢) في بعض النسخ : فيما 'يفتح على' .

(٣) 'طبع في القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ. ومنه نسخ خطية في: الظاهرية (حبيب زيات من ٥٠) الأزهر ٣ : ٥٤١ برلين ٢٩١٣ - ٢٩١٤ لينسك ٢٣ باريس ١٣٣٧ <sup>(٣)</sup> ٢٤٠٥ <sup>(٧)</sup> للتحف البريطاني ٨٨٦ <sup>(٢٦)</sup> برنستن ١٥٧٤ <sup>(٢)</sup> .

الاسكندرية : تصوف ٨ و ٣٧ دار المکتب ١ : ٢٦٩ (٨ نسخ) .

(٤) طبع ضمن «مجموع الرسائل الالهية» لابن العربي (القاهرة ١٣٢٥ هـ) وهو رابع ما في المجموعة . جون ويلندز ١٠٥ <sup>(٢)</sup> برمنكهام ٦٦٣ آصفية : تصوف ٣٩ برلين ٢٤٩٤ - ٢٤٩٧ فينه ١٩٠٦ عشر (استانبول) ٤٨٣ : ١ دار المکتب ١ : ٣٣٣ (٣ نسخ) باتنا ١ : ١٣٧ باريس ١٣٣٩ مکتبة للشهد الرضوي ٤ : ٢٠٨ الرقم ٨٩٧ بانكيبور ٨٨٨ عمر الواعظ (فهرست سباطه . القسم الاول . الرقم ٦٥٩) وفي دار المکتب (١ : ٣٢٤) شرح لها للشيخ قاسم ابى الفضل الشافعي . وفي الاسكندرية (تصوف ٣٥) شرح لها لشارح مجهول ، عنوانه «الغرب من المعجزة الاكبر ، لمن نظر فيه وتمجبه ، وتمجبه عن التعرض والتعصب ، في بيان ديباجة عنقاء مغرب وشمس المغرب» .

(٥) في بعض النسخ : الاتحاد .

(٦) جون ويلندز ١٠٦ <sup>(٧)</sup> آصفية : تصوف ٤٧ .

- ٦٥ - وكتاب الحجب المعنوية عن الذات الهوية <sup>(١)</sup> .
- ٦٦ - وكتاب إنشاء الجداول والدوائر والدقائق والحقائق <sup>(٢)</sup> .
- ٦٧ - وكتاب الأعلاق في مكارم الأخلاق <sup>(٣)</sup> .
- ٦٨ - وكتاب روضة العاشقين .
- ٦٩ - وكتاب سنة وتسعين : نكثنا فيه على الميم والوو والنون <sup>(٤)</sup> ، لانعطاف  
أواخرها على أوائلها هكذا : ميم ، واو ، نون .
- ٧٠ - وكتاب المعارف الإلهية واللطائف الربانية : في بعض مالنا من النظم .
- ٧١ - وكتاب المبشرات : ذكرتُ فيه ما يذكر به من رؤيا رأيتها تفيد  
علمًا وتجرحض على الخير .
- ٧٢ - وكتاب ترتيب الرحلة <sup>(٥)</sup> : ذكرتُ فيه ما لقيته في رحلتي الى بلاد  
المشرق ، وجردتُ جزءاً فيه ذكر مشايخنا الذين رأيناهم وسمعنا عليهم : أذكرُ  
الشيخ رضي الله عنه وأذكر عنه حديثاً [ ١٠ ] عن النبي ﷺ ، وكتابة  
مفيدة أو آياتاً من الشعر إما له وإما من روايته .
- ٧٣ - وكتاب فيه مما رويته من الأحاديث العوالي ، ولم أشرط فيه الصحة .

\* \* \*

- (١) دار الكتب ١ : ٢٨٦ ( ٣ نسخ ) الاسكندرية : تصوف ٢٣ برلين ٢٩٢٧ -  
٢٩٢٨ ، ٢٩٣٥ المكتب الهندي ٦٩٣ عمومية ( استانبول ) ٣٧٥٠ آصفية :  
تصوف ٥٢ برمنكهام ٦٧٠ .
- (٢) طبعه المستشرق نيرج H. S. Nyberg في ليندق سنة ١٩١٩ . ومنه نسخ خطية  
في : دار الكتب ١ : ٢٦٩ و ٣٤٤ ( ٣ نسخ ) مكتبة المشهد الرضوي ٤ : ٣١  
الرقم ٣٦٥ برلين ٢٩١٨ - ٢٩١٩ ابسالة ٢٩٣ (٩) المكتب الهندي ٦٥٨ (٣)  
طابع ٢٦٣٠ (٢) جار الله ( استانبول ) ٢٠٦١ (٢) عمومية ٣٧٥٠ .
- (٣) لها رسالة « الاخلاق » التي طبعت في القاهرة سنة ١٢٢٨ هـ في ٦٠ ص .  
ومنها نسخة خطية في الازهر ٣ : ٥٥٥ . وفي برمنكهام ( الرقم ٦٧٤ ) :  
« تهذيب الاخلاق » .
- (٤) في كشف النون ( ٣ : ٤٤٧ ) : « رسالة الميم والواو والنون » . برلين ٢٩٧٠  
تذكرة النوادر ٣٧٤ .
- (٥) لها مختصر في ليسك ٢٣١ (١) .

- وأما الكتب التي أمرني الحق تعالى في قلبي لوضعها ، ولم يأمر الى الآن  
 بإخراجها الى الناس وتبينها في الخلق ، فمنها :
- ٧٤ - كتاب الألف ، وهو كتاب الأحذية <sup>(١)</sup> : ويتضمن هذا الكتاب  
 الوجدانية والفردانية والأولية والوترية والأحذية ونفي الكثرة من الوجود  
 العددي ، وان الواحد يظهر في مراتب فتنشأ الأعداد وتغيب فيبقى .
- ٧٥ - وكتاب الباء : وهو كتاب الهو <sup>(٢)</sup> : ويتضمن هذا الكتاب معرفة  
 الضمائر واضافات النفس .
- ٧٦ - وكتاب القاف : وهو الكتاب الجامع . يتضمن معرفة الجلالة بما  
 يدل عليه من الجمع والاطلاق بما يدل عليه من التقيد مثل قول الملموف : يا الله .
- ٧٧ - وكتاب قب : وهو كتاب الرحمة . ويتضمن معرفة التخصيص فيها  
 والتعظيم والعطف والحنان والرافة والشفقة .
- ٧٨ - وكتاب الغين : وهو كتاب العظمة <sup>(٣)</sup> . فيه إشارات من الجلال  
 والكبرياء والجزوت والهيبية .
- ٧٩ - وكتاب الياء : وهو كتاب الحمد والبقاء .

(١) طبع ضمن « مجموع الرسائل الالهية » لابن عربي (القاهرة ١٣٢٥ هـ) وهو أول  
 ما في المجموعة . كما طبع ضمن « مجموعة رسائل ابن عربي » (حيدر اباد ١٣٦٣ هـ ،  
 ١٣ ص) وهو رابع ما في المجموعة . ومنه نسخ خطية في : الاوقاف ببغداد  
 ٧٠٧١ (٣) الازهر ٣ : ٥٣١ (نسختان) القادرية ببغداد الظاهرية (حبيب  
 زيات ص ٤٩) برمنكهام ٦٧٧ دار للكتب ١ : ٣٠١ و ٣٤٤ آصفية : تصوف  
 ٥٤ برلين ٢٩٧١ أسبالة ٣٩٣ (٨) للكتب الهندي ٦٥٨ (٤) المتحف البريطاني  
 ٨٣٦ (٢١) الفهرس التمهيدي ١٤١ .

(٢) دار الكتب ١ : ٣٤٧ آصفية : تصوف ٤٥ و ٥٣ تذكرة النوادر ٣٦٤  
 جار الله (استانبول) ١٠٨٠ (٦) برلين ٢٩٧٣ .

(٣) جار الله ١٠٨٠ جون ريلندز ١٠٦ (١٤) للكتب الهندي ٦٩٣ (٢) برلين ٨٠٨  
 : ٢٩١١ - ٢٩١٢ .

- ٨٠ - وكتاب الدال : وهو كتاب الجود • ويُشار فيه الى العطاء والوهب والبتح والسكرم والسخاء والرشا والهدايا •
- ٨١ - وكتاب الحيم : وهو كتاب القيومية •
- ٨٢ - وكتاب الشين : وهو كتاب [ ١١ ] الاحسان •
- ٨٣ - وكتاب اللام : وهو كتاب الفلك والسماء •
- ٨٤ - وكتاب الدال : وهو كتاب الحكمة والمجبوبية <sup>(١)</sup> •
- ٨٥ - وكتاب الميم : وهو كتاب العزة • ويُشار فيه الى المن والقهر والغلبة والحما والمعجز والقصور •
- ٨٦ - وكتاب التاء : وهو كتاب الأزل <sup>(٢)</sup> •
- ٨٧ - وكتاب الهاء : وهو كتاب النور • ويُشار فيه الى الضياء والظل والظلمة والاشراق والظهور <sup>(٣)</sup> •
- ٨٨ - وكتاب النون : وهو كتاب السر •
- ٨٩ - وكتاب الثاء : وهو كتاب الابداء والاختراع •
- ٩٠ - وكتاب الواو : وهو كتاب الأمر والخلق •
- ٩١ - وكتاب الزاي : وهو كتاب الصادر والوارد •
- ٩٢ - وكتاب السين : وهو كتاب القدم •
- ٩٣ - وكتاب الخاء : وهو كتاب القيدم <sup>(٤)</sup> •
- ٩٤ - وكتاب العين : وهو كتاب الملك •
- ٩٥ - وكتاب الراء : وهو كتاب القدس •
- ٩٦ - وكتاب الحاء : وهو كتاب الحياة •

(١) لعل الاصل : الحكمة المجبوبة •

(٢) الارواقف ببغداد ٣٥٤٥ (٤) الازهر ٣ : ٥٣٧ تذكرة النوادر ٣٦٥ جاز الله

١٠٨٠ (٤) آصفية : تصوف ٤٦ برلين ٢٩٤٧ •

(٣) كذا ، بتكرار العنوان المتقدم •

- ٩٧- وكتاب الفاء : وهو كتاب العلم .
- ٩٨- وكتاب الضاد : وهو كتاب المشيئة . ويُشار فيه الى التمني والارادة والشهود والهاجس والعزم والنية والقصد والم .
- ٩٩- وكتاب الظاء : وهو كتاب الفهوانية <sup>(١)</sup> . وربما وقع امم كلمة الحضرة ، وربما وقع اسمه القول يشار فيه الى الكلام والنطق والحديث والسمر وشبه هذا .
- ١٠٠- وكتاب الطاء : وهو كتاب الرقم . يُشار فيه الى الخط والكتابة والاشارة والحروف الرقمية وكتاب الرقم والرقم .
- ١٠١- وكتاب باء <sup>(٢)</sup> : وهو كتاب العين : يُشار فيه الى الرؤية والمشاهدة والمكاشفة والتجلي واللمح والتمع والطالع والدوق والشرب والبادء والهاجم وشبه هذا .
- ١٠٢- وكتاب فا : وهو كتاب الباء . يُشار فيه [١٢] الى التولد والتناسل .
- ١٠٣- وكتاب غا : وهو كتاب كن <sup>(٣)</sup> يُشار فيه الى حضرة الأفعال والتكوين .
- ١٠٤- وكتاب غب : وهو كتاب المبدئين والمبادي . يُشار فيه الى أن الاعادة مبدأ وأن العالم في كل نفس في مبدأ .
- ١٠٥- وكتاب هج : وهو كتاب الزلفة .
- ١٠٦- وكتاب فحج : وهو كتاب الدعاء والاجابة <sup>(٤)</sup> .
- ١٠٧- وكتاب عج : وهو كتاب الرمز ، في حروف أوائل السُّور .
- ١٠٨- وكتاب غد : وهو كتاب الرقبة .

( يتبع )

(١) برلين ٢٩٣٨ .  
 (٢) الأزهر ٣ : ٦٥١ ( الباء ) .  
 (٣) خزائن العزاوي بينفاد . .  
 (٤) امله كتاب « الدعاء » . ومنه نسخة في دار الكتب ١ : ٢٩٧ .



## جولة اغوية في كتاب النبات

لأبي حنيفة الدينوري

- ٢ -

(نموزجات من نوادره وفرائمه)

[ ص ٥ ] : ذكر أن (فُرتى) اسم لمائة (كان عندها يوم من أيام العرب أي حروبهم) قال ذو الأصبغ العدواني :

(كأنا يومَ فُرتى إنـما تقتل إيانا)

يريد الشاعر أن المتقاتلين إخوة من دم واحد فقاتل أخيه كأنما يقتل

نفسه . وهذا المعنى من مستحسن معاني العرب الشعرية ومنه قول الحماني :

(ونبكي حين تقتلهم عليهم ونقتلهم كأننا لا نبالي)

[ ص ١٤ ] : (الأدوات المنزلية الخشبية) وتسمى صناعتها في عصرنا صناعة (المويليات) كما يسمى نجارها (نجار افرنجي) . وقد ذكر الدينوري في كتابه جملة أشجار يُتخذ من جذوعها وأخشابها أدوات وأواني على نمط اتخاذ ذلك في عصرنا الحاضر من حيث طريقة العمل والنحضير . والظاهر أن مزاوي هذه الصناعة هم عرب الجزيرة أنفسهم الذين توجد تلك الأشجار في جزيرتهم . ولا سيما سلسلة جبالها المشهورة بامم (السراة) يقول الأصمعي ان (الشيبي) الذي تذكره العرب في أشعارها ومنه قول ابن أبي الصلت يمدح عبدالله بن جدعان (الى رُدْح من الشيبي ملاء) يفسرون الشيبي بالخشب الصلب الذي تُتخذ منه الجفان أي القصاص الرُدْح - يقول الأصمعي لیس المراد بالشيبي خشب

الشيبي نفسه وإنما المراد خشب الجوز الذي 'تندحت ألواحهُ وتُصقل وتُسوّد بالدمس حتى يصبح محاكياً لخشب الشيبي ويسمونه باسمه ، ويريد الأصمعي بالدمس نحو الزيت والشحم مما تعالج به أخشاب الكرامسي والمقاعد والموائد لتلميمها وقد قام مقامها في زماننا هذا أدسام أخرى : الزيت المعدني ثم السبيرتو والكليكا . قال الأصمعي وشجر الشيبي (ويقال له الشيبي أيضاً) لا يفلظ حتى 'تتخذ من أخشابه جفان وقصاع . قال المؤلف (الدينوري) والأمر كما وصف الأصمعي . [ص ١٦] عاد الأصمعي إلى الأشجار التي 'تتخذ من أخشابها الصلبة الجفان والموائد فذكر منها عدا الجوز (العُتمة) و (الفرفار) قال وإذا تقادمت (الفرفارة) اسود خشبها سواداً شديداً . ويكون قبل أصفر . والأفداح (جمع قَدَح بالتجريك) التي تتخذ منه رفاق خفاف طيبة الرائحة . ولشدة صلابته قال الشاعر (والبَلَطُ يَبْرِي حُبْرَ الفَرْفَارِ) (البَلَطُ) حديدة الخراط و (الحُبْر) جمع حُبْرَة وهي العقدة والعُجْر والسليح وبراديهما مكان الصلابة من جذع الشجرة فهي إذا خرطت ثم نحتت وصقلت وتُسوّدت بالدمس خرجت آيتها موشاة أحسن وشي . قال وأخبرني بعض الأعراب أنهم ينحتون بالسراة صحافاً من سيقان الكرم (وهو شجر غير كرم العنب) ومن 'شجرٍ نظهر في تلك السيقان فتجبي ، خلنجاً موشاةً حسناً جيداً . وقوله فتجبي ، خلنجاً يريد بالخلنج (وهو اسم فارسي) شجر اشتهر أيضاً بصلابته وصلاحيته لاتخاذ الآنية منه ثم سمو كل شجر يشبهه خلنجاً . بدليل قوله (وأجناس الخلنج كثيرة وهذا - أي الكرم - أكرمها) وتريد اليوم بالخلنج في لهجتنا العامية الشيء الجديد الذي لم يستعمل بعد . وكان وجود صلاب الأشجار في (السراة) جملة من كرام لصناعة الخراطة وتصدير مصنوعاتها إلى الخارج . قال : والكرم تغلط ساقه عندهم غلطاً شديداً . وأخبرني بمثل ذلك رجل من أهل الشام لأن الكرم يعبل (أي يضحّم) بأرضي بيت المقدس خاصة حتى يمكن

أن يُخَرَط منه الأواني . أقول فشجر الكرم المذكور هو في غالب الظن نوع من شجر الزيتون البري وهو الذي اشتهر بيت المقدس بصناعة الأواني المختلفة منه فتكون بعد صقلها ومعالجتها بالدمّ صفراء اللون موشاة بالسواد فيها تعريق وتوليع وتخطيط . وما زالت هذه الصناعة الجميلة في بيت المقدس الى اليوم . وما قلناه في شجر الكرم هذا يدل عليه قوله : وأخبرني رجل من اهل المعرفة أن الكرم الذي ينسب الناس اليه الصّحاف هو شجر ليس بالباميق (?) ولكنه غليظ وله ورق مثل ورق الإيجاص وخشبه موشى بسواد وصفرة وربما كان بجمرة ينبت في جبال الدروب وربما عملت منه السروج اه . قوله (جبال الدروب) يعني بها الجبال الفاصلة بين آسيا الصغرى وسورية وهي المداخل الى بلاد الروم .

هذا ملخص صفحات ملاحظها الدينوري بوصف صلاب الأشجار التي تصنع منها الأدوات الخشبية المتزاوية . وهذا النوع من الأشجار يسمى (النضار) يضم النون ، ومنه الأثل والفرفار والكرم والخلنج واليأس والساج . وفي جذوعها عقيد وعُجَبَر وسليح وخبَر بعمدون الى هذه العقيد فيخرطون منها الأدوات حتى الموائد والزوارق ويصقلونها وبمعالجتها بالدمّ فتظهر موشاة بتوابع وأساربع وتعاريق سود أو حر برآفة وتكون (أرضية) الخشب صفراء . كل ذلك يدل على أن صناعة الخراطة في جزيرة العرب كانت ناهضة لدى أهلها . ولا سيما جبل (السراة) حيث تنبت تلك الأشجار . وتشبه هذه الصناعة في زمنهم حيا وصف المؤلف صناعة الأواني والأدوات في بيت المقدس . ولم تتحقق ما اذا كانت صناعته فيه من خشب الزيتون المعروف أو خشب شجر آخرسمي بالزيتون تسامحا كما قال الأصمعي في الشيزي وقد نقلنا قوله آنفا .

وفي [ ص ٢١ ] : وصف شجراً وسماه (الأشكل) وقال هو كالعُشْتَاب في في شوكه وعقب أغصانه . وله (نُبَيْقَة) حامضة شديدة الحموضة . ونُبَيْقَة

تصغير نَبَقَة واحدة النَّبَق • وهو ثمرة شجر السدر والأشكال من فصيلة السدر •  
 ووصف ثمرته بشدة الحموضة بذكرنا بثمر على شكل ثمر العنّاب في حجمه  
 واستطالته لكن حمرة فاتئة مشرقة لا قائمة كحمرة العنّاب ، كنا نراه يُباع  
 في أسواق دمشق ذفناه ولا نكاد نسيغه لشدة حموضته • ويسمونه (أجلجق)  
 وقيل لنا ان اسمه هذا محرف من (قزلق) وتفسيره بالتركية (أحمر) تصغير  
 أحمر • ولا جرم فان الثمر المذكور حبيبات حمر صغيرة • فهل يكون ثمر  
 الأشكال الذي وصفه اللينوري هو الأجلجق أو القزلق يا ترى ؟ ولا يغرب  
 عن بال القارئ أن الشككة في اللغة بياض يضرب الى الحرة • ومنه شككة  
 العين لحرة تكون في بياضها •

وفي [ ص ٣٢ ] : بذكر نباتين : الأجرد والقصيص وقال إنه لم يعلم من  
 نعتها أكثر من أنها يبتان بين ظهري الكفاة فيستدل بها على مواضعها  
 من بطن الأرض • وهذا ما عناه الراجز (مهاجر النهشلي) يصف كفاة اجتناها :  
 (جنبتها من مجنني عويص من منبت الأجرد والقصيص)  
 و (العويص) التربة الصلبة والمكان الغليظ •

وفي [ ص ١٠٤ ] وصف شجر الحرمل وروى عن بعض أعراب (السراة)  
 قوله : والحرمل ملة شجرة لها لبن كثير ثم حكي عن ذلك الأعرابي مانعه :  
 (ويؤخذ لبنها في صوف أو قطن ما حمل (أي بقدر ما نستطيع أن نتشرب به  
 الصوفة أو القطن) ثم يسقى بالزبد حتى يروى منه (ومعنى يسقى يغس  
 بالدم فيمنه الى آخر حد) ثم يفعل عشرة أيام حتى ينبت (ومعنى يفعل  
 'يغم' ويغطن) ثم يحك بالصوفة أو القطنه جرب الإنسان الأجر حكا شديداً  
 ويقام في الشمس فيؤدك جربه بتلك الصوفة فيجد مضيقاً (أي ألدماً) شديداً  
 ويبرأ • انتهى قول الأعرابي ومنه يفهم أن عرب البادية هددوا الى المعالجة  
 بالعقوبة والتثابة قبل أن يهدى اليها مخترعو البنسلين بأكثر من ألف سنة •

[ص ١٧٤] : وصف (دم الغزال) بأنه نبات يشبه الطرخون . وقال ان له عرقاً أحمر تحطط الجوارى بمائه مَسْكاً في أيديهن محمراً . فقولهُ بمائه أي بمصارته التي تسيل من عروقهِ بعد دقها أو شدخها . والمسك بالتحريك الأسورة والدمالج تُتخذ من الذبُل أي عظام السلاحف . ففسله الأعراب يعمدون الى تلك العصارة الحمراء فيعملن منها حول معاصمهن دوائر على شكل السوار يتخلين بها كما يفعل أعرايبات اليوم بزينة الوشم في معاصمهن وعلى وجوههن .

[ص ٢٠٣] : قال الأصمعي : حدثني عبد الملك بن صالح بن علي (من أمراء بني العباس وكأنه كان والياً على الشام) قال : تبقى شجرة الزيتون ٣٠٠٠ سنة وكل زيتونة بفلسطين من غرس اليونانيين قبل الروم (يريد كتاب العرب من الروم ملوك القسطنطينية المشهورين بامم البيزنطيين) وذلك البناء العجيب بناؤهم (يريد بذلك البناء بعلبك وأمثالها) قال ورأيت الزيتون يعادم (أي عاماً يحمل وعاماً لا يحمل) ورأيت كنيسة بالشام عتيقة ليس فيها صليب فسأت عجوزاً فقالت : كانت هذه الكنيسة قبل أن تكون النصرانية كأنها من بناء اليونانيين اه . وإذا قال كتاب العرب الشام أرادوا بها سورية الطبيعية الممتدة على ساحل البحر المتوسط بين طورس والعريش .

[ص ٦٩] : (التين الجلدامي) ووصف الدينوري ثمر (التين) وعدد أجناسه وقال هو كثير في أرض العرب . قال : وأخبرني رجل من أعراب (السراة) وهم أهل تين ، قال التين عندنا كثير جداً . وهو مباح وأنا كله رطباً وتزبته فندخره (في لهجتنا اليوم استعمال التزييب للنب خاصة أما التين اذا جفف فهو تين يابس ولا نقول تين زبيب أما في اللغة فالتزييب لها معاً كما سمعت) قال ومن أجناس التين عندنا (الجلدامي) وهو أجوده ولونه أسود ليس بالخالك (أي ليس بالشديد السواد وكأنه يضرب الى حمرة أو يياض) فيه طول — وإذا بلغ انقطع بأذنايه (أي أنه اذا انتهى نضجه لم يعد يحمله ذنبه أي عودته

أو نياطه الذي يعاق به في أصل العنق فينساقط) قال : وبطونه يبض (يربد  
ببطونه لبه الباطن الذي يؤكل) قال : وهو أحلى تين في الدنيا . وإذا تمدلاً  
منه الآكل (أي اكتظ) أسكره . وما أقل من يقدم على أكله على الربى  
لشدة حلاوته ١٥٠٠، والجمال في قول هذا الأعرابي جدّة تعبيره في وصفه للتين  
واختيار الفاظ فصيحة نحن في حاجة إلى أحيائها . ونعيد لفت النظر إلى جبال  
(السراة) وإنها مصدر زراعي وصناعي في جزيرة العرب ولا نعرف شيئاً من  
أخبار السراة اليوم وحبذا لو عرفنا من يعرف .

[ص ١٤٤] : (صنع الجبال) قال الأصمعي (في المدينة المنورة سوق  
تسمى سوق الخزامين) وهي بمنزلة سوق الجبالين التي تباع فيها الجبال بدمشق .  
وجبال الشام تتخذ من نبات القنب أما الخزامون في بلاد العرب فجالهم من نبات  
الخزّم وهو شجر قريب الشبه من شجر الدوم وفي سلسلة جبال (السراة) جبلان  
يسميان (قملّي<sup>(١)</sup>) وثقميل) لا يبتنان شيئاً إلا شجر الخزّم التي تتخذ منه  
الجبال . والغربان حريصة على أكل بسرة المر الفعص . فهي تشابه أسراباً  
أسراباً . فإذا رآها الناس صاحوا (تربد قملّي وثقميل) أي إنها تقصد  
ذبيك الجبلين لترعى الخزّم فيها . والجبال تتخذ من خوص الخزّم كما تتخذ  
منها الخطم أيضاً جمع خطام وهو زمام البعير . فترى الخزامين يجلبون ذلك  
الخص من منابته وينقعونه في الماء . فإذا صلح ولان دقّوه بالمياجين على  
الفرازم (والمياجين جمع مينة وهي المدقة والفرازم جمع فروم الخشبة التي يقطع  
عليها الخدء جلود أحذيته ويسميها أهل المدينة الجبأة) وإذا دقوا الخوص على  
هذه الصورة تساقط ما في خلال خيوطه من السداد وتخلص الخيوط من تلك

(١) كذا ضبطاً في كتاب (النبات) ولم نطفر باسم (ثقميل) أما (قملّي) فقد ذكره صاحب معجم البلدان والاسان وقال انه اسم موضع وضبطاه بفتح الميم .

السداد أي المواد النباتية التي تسد الفروج بين الخيوط وتشبك بينها . فتبقى الخيوط قائمة سالمة فتعمل حبلاً على كل نحو . وتفتل دقاً وغلاظاً .

[ ص ٢١ ] : وذكر الدينوري الأرز فقال واحده أرزة وليس هو من نبات أرض العرب . وقد جرى في كلامهم وأشعارهم قال ( ﷺ ) : مثل الكافر مثل الأرزة ( الأرزية ) ( أقول معنى الأرزية الثابتة في مكانها . ومعنى الحديث أن الكافر قد ثبت على الضلالة فلا يهتدي الى الإيمان ) ووصف الشاعر قوائم ناقته فشبها بدعائم الأرز فقال : « دعائم أرز بينن فروج » . والأرز مما يطول طولاً شديداً ويغلظ . وأخبرني الخبير أن الأرز ذكر الصنوبر وأنه لا يحمل شيئاً ولكن يُسخر من أعجازه وعروقه الزفت . ويُستصبح بخشبه كما يُستصبح بالشمع ويقال لخشبه الذي يستصبح به « الداين » وهو كلام رومي اه . أقول : والعرب من أهل ( السراة ) يسمون الخشب الذي يستصبح به مناور . ويسميه الأتراك چراغ وهي التي يستعملها العرب المعاصرون . وذكر الآس فقال : الواحدة آسة وهو بأرض العرب كثير ينبت في السهل والجبل . وخضرته دائمة أبداً . يسمو حتى يكون شجراً عظاماً . وللآس برامة بيضاء طيبة الريح وثمره تسود اذا أمنت وتجلو وفيها مع ذلك عليقة « أي مرارة قليلة » ونسج ثمرته أيضاً « الغطس » أقول : ومراده ببرامة الآس ثمرته أول ما تبده وهي بعد في زهرتها ثم قال وزعم قوم أن الآس يسج الرند . وأنكره العلماء وزعموا أن الرند شجر طيب الريح وليس بالآس .

المغربي

## مقدمة المرزوقي

لشعره لمحاسن أبي تمام

شرح هذه المقدمة وضبطها

- ٢ -

(وقلتَ أيضاً اني أمتنى أن أعرف السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب  
البلغاء والعدرّ في قلة المترسلين وكثرة المفلقين والعلّة في نباهة أولئك وُخمول  
هؤلاء. ولماذا كان أكثرُ المترسلين لا يفلقون في قرض الشعر وأكثرُ الشعراء  
لا يبرعون في إنشاء الكتب حتى 'خص' بالذكر عدد يسير منهم مثل إبراهيم  
ابن العباس الصولي وأبي علي البصير والعتّابي في جمعهم بين الفنين واعتزازهم  
ركاب الظّيرين ونظامُ البلاغة يتساوى في أكثره المنظوم والمنثور) .

هذا تمام مجازة المخاطب المحكية في قول المؤلف «فانك جاريتني» وقوله  
«ثم سألتني» وقوله «وقلت» وقوله «وزعمت» .

ووقع في كلام المؤلف «والعدرّ في قلة المترسلين وكثرة المفلقين» .  
فالمترسلون هم أصحاب الترسل وهو صناعة انشاء الكلام النثري فان الانشاء  
يطلق عليه اسم الترسل اطلاقاً شائعاً وقد سمي شهاب الدين محمود الحلبي كتابه  
في صناعة الانشاء حسن التوسل الى صناعة الترسل .

والمفلقون بضم الميم وكسر اللام هم فحول الشعراء يقال أفلق الشاعر اذا نبغ  
في الشعر وهذا اللفظ مشتق من الفلق بكسر الفاء وسكون اللام وهو الشيء  
العجيب وهذا اللفظ من الكلمات التي ذهل عن إثباتها صاحب الصحاح وصاحب



القاموس وذكر المؤلف ثلاثة من 'خص بالدكر من شعراء الكتاب - وقد يوب ابن رشيق في العمدة باباً لأشعار الكتاب فذكر الصولي وبعضاً من جيد شعره وذكر أيضاً محمد بن عبد الملك الزيات • والحسن بن وهب • وسعيد بن حميد الكاتب • وذكر الوزير أبا الحسن بن الخلال المهدي وزير بني عبيد وأقول من شعراء الكتاب لسان الدين بن الخطيب الأندلسي •

والصولي منسوب الى 'صول ضيعة من جرجان وهو تركي الأصل نشأ في الدولة العباسية في مدة المعتصم واتصل بالوزير الفضل بن سهل وتوفي سنة ٢٤٣ له ثمر بليغ وشعر رقيق غير طويل ترجمه ياقوت في ارشاد الأريب • وأبو علي البصير هو الفضل بن جعفر النخعي الكوفي الضرير سكن بغداد في خلافة المعتصم شاعر وكاتب توفي سنة ٢٥٥ ترجمه الصفدي •

والعتابي هو كثوم بن عمرو العتابي بفتح العين وتشديد التاء منسوب الى بني عتاب من بطون تغلب ولد بالشام وسكن بغداد واختص بالبرامكة ومدح الرشيد وهو شاعر مجيد وكاتب حسن التمرسل توفي سنة ٢٢٠ ترجمه في إرشاد الأريب • ونظير ما ذكره فيمن جمع الشعر والترسل ما ذكره الجاحظ فيمن جمع الشعر والخطابة وعدّ منهم بضعة عشر في كتاب البيان والتبيين<sup>(١)</sup> •

(وانا ان شاء الله وبه الحول والقوة أورد في كل فصل من هذه الفصول ما يمتحله هذا الموضع ويمكن الاكتفاء به اذ كان لتقصي المقال فيه موضع آخر • من غير أن أنصب لما تصوره النعوت الأمثلة تفادياً من الإطالة لأنه اذا وضح السبيل وقعت الهداية بأيسر دليل والله عنّ وجل الموفق للصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل) •

النعوت فاعل تصوره - والأمثلة مفعول أنصب وأصل النصب إقامة الشيء منصوباً ومنه سمي التمثال من الصخر ونحوه نصباً واستعار المؤلف فعل أنصب

(١) صحيفة • جزء طبع المطبعة التجارية الكبرى بالقاهرة سنة ١٣٤٥ •

لمعنى أذكر أو أورد . وزياده بالنعوت التوصيفات الموضحة للحقائق والقواعد التي  
توضع لطرق النقد والاختيار - والتفادي التحامي وهو يتعدى بن غالباً لا نعلم  
ضمونه معنى التباعد .

وقوله - لأنه اذا وضح في النسختين النونيتين ونسخة الأستانة ولأنه - .  
( اعلم ان مذاهب نقاد الكلام في شرائط الاختيار مختلفة وطرائق ذوي المعارف  
بأعطافها واردافها مفترقة وذلك لتفاوت أقدار منادحها على اتساعها وتنازع أقطار  
مفانها ومعاملها ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية وتضاعيف المعاني التي  
كالاتمة في المنشور اتسع مجال الطبع فيها ومسرحة وتثعب مراد الفكر فيها  
ومطرحة ) . هذا شروع في إجابة أسئلة الذي جراه .

المذاهب أصلها جمع مذهب وهو مكان الذهاب الى الطريق وتطلق كثيراً  
على الآراء والأفكار وسموها مذاهب لأنها كالطرائق يذهب فيها الفكر فثلوا  
حركة الفكر في معلومات خاصة بمشي الماشي في طريق وذهابه فيه . فهذا  
الاطلاق استعارة ثم شاع عند أهل العلوم فصار حقيقة عرفية علمية في مجموع  
المسائل العلمية النظرية التي أخذ بها طائفة من علماء علم ما يقال مذهب مالك  
ومذهب أبي حنيفة ويقال مذهب البصريين ومذهب الكوفيين .

والأعطاف جمع عطف بكسر العين وهو قارعة الطريق - والأرداف جمع  
ردف وهو التابع الموالي وكأنه أراد بها أرداف الأعطاف أي الطرق المتفرعة  
عنها فصار ذاك اللفظان استعارتين لأصول أساليب الإنشاء ولما يتبع تلك  
الأصول من المحسنات كما يشير اليه قوله الآتي : ومنهم من لم يرض بالوقوف  
على هذا الحد . وقوله : ومنهم من ترقى الى ما هو أثنى . قال السكاكي في  
مفتاح العلوم عند انتهاء كلامه على محسنات البديع : وأصل الحسن في جميع  
ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعاني أعني أن لا تكون متكلفة . والمنادح  
جمع مندوحة وهي الأرض المتسعة والتنازع التباعد مشتق من نزح عن المكان

إذا بعد . والأقطار جمع قطر يحضم القاف وسكون الطاء وهو الناحية المعينة من الأرض والبلدان . والمظان جمع مظنة بفتح الميم وكسر الظاء على خلاف القياس في بناء اسم المفعلة أي المكان الذي يظن وجود شيء ما فيه .

والمعالم جمع معلم بفتح اللام وهو اسم المكان الذي يعلم أنه كان منزل قوم ومعالم القوم منازلهم التي بها آثارهم وهي مشتقة من العلم فلذلك حسن جمع المؤلف بينها وبين المظان إيماء إلى مراتب المعرفة بين علم وظن فأراد بالمظان القواعد النظرية التي أنتجها غلبة الظن وبالمعالم القواعد القطعية التي هي قواعد النشأة عن استقراء الأدب العربي . و(على) من قوله : (على اتساعها) هي بمعنى مع وهو معنى يعرض كثيراً في حرف على يعني أن تفاوت الأقدار تابع لانتساع أساليب الأدب ولتقدير إحاطة الأديب بتلك الأساليب وذلك أن حق (مع) أن تدخل على المتبوع فكذلك (على) التي هي بمعناها .

والتصارييف جمع تصريف وهو التغيير أي تغيير التركيب كلامه من أسلوب إلى أسلوب ومن كيفية إلى أخرى بحسب اختلاف مواقفه . فالمراد بتغيير طريقة الكلام التي يسلكها بأن يسلك مرة طريقة وأخرى طريقة غيرها لا تغيير الكلام الواحد وتبديله . وعرفه عبد القاهر<sup>(١)</sup> بقوله : (والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه) وهذا هو المعبر عنه بالأساليب جمع أسلوب وقد ذكرناه آنفاً . وإطلاق التصريف على ذلك من إطلاق المصدر على اسم المفعول كالتلحق بمعنى المخلوق .

والتضاعيف جمع تضعيف وهو تكرير الشيء أراد بها الفنون الكثيرة فجمعها لأن كل فن في الكلام هو تكرير للجنس الأعلى أعني جنس الخصوصيات البلاغية فهو تكرير مظاهر لا تكرير شيء معين . وقوله ( اتسع مجال الطبع الخ ) هو خير عن قوله ( ولأن تصارييف المباني الخ ) .

(١) صفحة ٣٣٨ دلائل الإعجاز .

والطبع الوجدان الذهني والمراد به هنا وجدان البليغ وطبعه وهو المسمى عندهم بالذوق وهو الذي يحصل للبليغ من ممارسة كلام البلقاء ومن تطبيق القواعد والضوابط التي يتلقاها في تعلم الصناعة حتى تحصل له ملكة تتميز بها أصناف الكلام في الجودة والرفعة ودونها بحيث تحكم بأن هذا الكلام حسن وهذا أحسن وهذا دون ذلك قال الجاحظ<sup>(١)</sup> (والانسان بالتعلم وبطول الاختلاف الى العلماء ومدارسة كتب الحكماء يجود لفظه ويحسن أدبه وهو لا يحتاج في فساد البيان الى أكثر من ترك التخيير) . وقال السكاكي<sup>(٢)</sup> (ليس من الواجب في صناعة أن يكون الدخيل فيها كالتائهي عليها في استفادة الذوق منها فكيف اذا كانت الصناعة مستندة الى تحركات وضعية واعتبارات إيفية . ثم قال : وقد كان شيخنا الحاتمي<sup>(٣)</sup> ذلك الامام الذي ان تسمح بمثله الأدوار ما دار الفلك الدوار يجيلنا بحسن كثير من محسنات الكلام اذا راجعناه فيها على الذوق ونحن حينئذ بمن نبغ في عدة شعب من علم الأدب) . وهذا يتضح أن الذوق والتطبع مترادفان ولذلك نسمع أئمة الأدب يقولون : (هذا يشهد به الذوق السليم والطبع المستقيم) ونحو هذه العبارة .

والجمال مكان الجولان وهو الطواف .

والمرح مكان السروح وهو انطلاق الأنعام في المرعى . وقد أشار المؤلف الى جهة الاختلاف الأولى إذ قال (وذلك لتفاوت أقدار منادحها على اتساعها وتنازع أقطار مظانها ومعالمها) .

وأشار الى معذرتهم عن التخيير في تعيين مدخل الاستحسان وضده بقوله :

(١) في البيان والتبيين صفحة ٧٤ - ٧٥ جزء أول طبع التجارية الكبرى .

(٢) في القسم الثالث من اللفتاح في القانوز الأول من الفصل الأول منه .

(٣) الحاتمي هذا لم أقت من ترجمته على سوى أنه يلقب بشرف الدين وأنه تلميذ عبد القاهر الجرجاني وأنه شيخ السكاكي وقد ذكره السكاكي في اللفتاح غير مرة وهو غير الحاتمي عصر للتتبي الذي ألف كتاب نقد للتتبي .

(ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية وتضاعيف المعاني التي هي كالأمثلة - الى قوله - ومطرحه) .

وأراد المؤلف بهذين مواضيع المعاني البلاغية التي يعمل فيها الفكر لاستخراج دقائقها .

والمراد بضم الميم موضع ريادة الأبل وهو تنقلها في المرعى مقبلة ومدبرة . ووقع في النسختين التوسيتين ونسخة الأستانة (مراد الفكر لها) وهو أحسن . والمطرح مكان الطرح أي البعد وكل هذه تفننت من المؤلف . وقوله (في المنشور) ينزاعه (تصاريف وتضاعيف) . قيد موضوع بحثه هذا بالكلام المنشور لأنه سيخص الشعر يبحث آخر يجيء عند قوله (وكان الشعر قد ساواه) <sup>(١)</sup> .

ومعنى كلام الامام المرزوقي أن تنوع كفيات مواقع الكلام البليغ مع دلالاته على المعاني التي يقصد اليها البلاء قد كان تنوعاً بنجاحه اعتبار الفساض الكلام واعتبار المعاني التي قصدتها البلاء من صناعتهم في البلاغة ، هو الذي كان سبباً في اختلاف أذواق علماء الأدب في شروط محاسن إبقاعها اختلافاً ناشئاً عن اختلاف آميال الناقدين والمختارين بحسب ما أليفوه من ممارسة ما يعجبون به ويروق لديهم من نتائج أهل اللسان . وهم مع ذلك متحبرون في تعيين سبب مدخل الاستحسان أو ضده الى أذواقهم أو من جهة اللفظ أم هو من جهة المعنى وبوضحه قوله فن البلاء الخ .

وقد أشار المؤلف الى جهة الاختلاف الأولى إذ قال (وذلك لتفاوت أقدار متادحها على اتساعها وتنازع أقطار مظانها ومعالها) وأشار الى معذرتهم عن التحير في تعيين مدخل الاستحسان وضده بقوله (ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية وتضاعيف المعاني التي هي كالأمثلة الى قوله - ومطرحه) .

(١) صحيفة ٨٧ من جزء مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .

وليس مراد أصحاب هذا المذهب إهمال الالتفات إلى جانب المعاني ولكنهم جعلوا الاهتمام بالألفاظ في الدرجة الأولى . فأول ما يُقصد من اهتمام البليغ عند أهل هذا المذهب هو الكلام الذي هو قوالب للمعاني كما أفصح عنه المرزوقي في آخر كلامه بقوله ( فأكثر هذه الأبواب لأصحاب الألفاظ إذ كانت للمعاني بمنزلة المعارض للجواري فأرادوا أن يلائموا السمع بما يدرك منه ولا يحجبه ويتلقاه بالاصفاء إليه والإذن له فلا يحجبه ) .

ثم بقوله « ومن البلاء من قصد فيما جاش به خاطره الخ » وحاصل ما أشار إليه المؤلف اختلاف أئمة النقد في تعيين الناحية للكلام التي منها يكون فضله أو ضده وبها يستحق اختياره أو رده .

وسبب هذا الاختلاف في مرجع التفضيل أن أهل النقد والاختيار وجدوا في أنفسهم إدراكاً للتفاضل بين كلامات البلاء تفاضلاً توافقوا عليه في الغالب واختلفوا فيه تارات بين مختار ومنتقد فأيقنوا أنهم ما اتفقوا على الكلام الذي اتفقوا على تفضيله إلا لحاصل اشتمل عليها موجبة لتفضيله متساوية في الثبوت عندهم وأنهم ما اختلفوا في الكلام الذي اختلفوا فيه إلا لحاصل تخالف الحاصل التي اعتادت نفوس أهل الاختيار استحسانها وتوافق الحاصل التي اعتادت نفوس أهل النقد كراهتها . فأيقنوا أن من خصال الكلام ما هو حقيق بأن يكون مناط اختياره وضده فكان ذلك الإدراك في اتفاقهم واختلافهم حافظاً لهم للبحث عن جوامع تلك الحاصل ومقوماتها .

وعلموا أن إدراكهم وفاقاً وخلافاً يرجع إلى معادهم من مزاوله مختلف أحوال كلام البلاء في مراتبه أعلاها وأدناها فبحثهم على وصف ما يسعونه يحسن أو بدونه .

وكان لكل كلام بليغ بيان أي الألفاظ بُني عليها في حسن التثام وانتظام ، ومعانٍ لها صور في العقل يستجدها السامع ويقتبط بها .

وكان ذلك الإدراك انفعالاً ذهنياً يؤول بالدربة الى ملكات ذوقية فلما حاولوا أن يستدلوا عليه عند المجادلين أو أن يصفوه للمتعلمين عند المدارس ، ضافت الأفكار عن الإحاطة بأسبابه . والعبارة عن الدلالة على منابعه ، فاحتاروا في أن مثار ذلك الإدراك الحاصل لهم من أين نشأ ، أهو من جانب مباني الألفاظ وانتظامها أم من جانب المعاني وصورها ثم احتاروا في شرح أسباب حصول ذلك في أحد الجانبين أو في كليهما فاستعانت كل واصف على إيانة الأوصاف التي تعقلها إيانة بما حضر لديه من التقريب والتشبيه والتمثيل عسى ان يبلغ ما في نفسه الى نفوس المجاذبين والمسترشدين فشبها والمعاني تارة بأحوال الاناسي والحيوان من الجوارى ، والظباء وأحوال المتاع النفيس من حلي أو نحو ذلك . ثم استتبعوا تلك التشبيهات بالبناء عليها فجعلوا للجوارى معارض ومطارف وجعلوا للحيوان وحشياً وأنسياً ووصفوا اللفظ المقبول بالنبيه والشريف وصدء بالهجين وبالردي والمستكره .

ووصفوا المعنى المقبول بالرقيق والكريم . وصدء بالحقير والفاقد والذلي والساقط<sup>(١)</sup> . ثم عنزوا ذلك كله بالمقارنات بين منشآت البلغاء . والموازنة بينها وقد تصدى المؤلف الى تقريب ذلك كله والجمع بين مختلفه بما تفنن في أوصافه مع الحرص على الاختصار فقال : ( اعلم أن مذاهب نقاد الكلام في شرائط الاختيار مختلفة وطرائق ذوي المعارف بأعظافها وأردافها مفترقة وذلك لتفاوت أقدار منادحها على اتساعها وتنازع أقطار مظانها ومعالمها ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية وتضاعيف المعاني التي هي كالأمتعة . في المنشور اتسع مجال الطبع فيها ومسرحة . وتشعب مراد الفكر فيها ومطرحة ) . وكان الخائضون في هذا الشأن فريقين ففريق وهم الاكثرون هم من أصحاب الذوق والبلغاء من الأدباء ولكنهم غير متمرسين في علوم المعاني والبيان فكانوا اذا وصفوا الكلام البليغ وصفوه بالأساليب

(١) ص ٧٤ الجزء الأول من البيان والتبيين للجاحظ طبع الرحمانية بمصر .

التي اعتادوها وهي الابانة عن محاسن الكلام بالتقريب بأساليب التشبيه والمجاز والكتابة فيبرز وصفهم الكلام في صورة إنشاء بليغ ولكنه لا يشفي غليل الطالب ولا يبلغ به الواصف قصده وهذا كما وصف البحيري وقارن فقال :

في نظام من البلاغة ماشك امرؤ أنه نظامُ فريدٍ  
وبديع كأنه الزهر الضاحك في روث الربيع الجديد  
مشرق في جوانب السمع ما ينجلقه عوده على المستعيد  
ومعان لو فضلتها القوافي هجت شعر جرول وليد  
حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنين ظلمة التعقيد  
وركبن اللفظ القريب فأدر كمن به غاية المراد البعيد

وفريق هم أصحاب علوم العربية من المعاني والبيان غير أنهم لم بكل عندهم ذوق صناعة البلاغة وهؤلاء قصارهم بيان خصائص الكلام البليغ بياناً كلياً وتمثيلاً بشاهد أو شاهدين مما فيه تلك الخصوصية ولا يحفلون بأن تكون شواهدهم مستكلمة شروط الجودة بأكثر من اشتغالها على ما يحقق القاعدة .

وأحق الناس بإطلاق العنان في هذا الميدان هم الذين استكلموا عدة الفريقين وتكلموا باللسانين مثل الجاحظ والامدي وعبد القاهر والسكاكي والمرزوقي وابن الاثير وان كان هذا الأخير دونهم ذوقاً<sup>(١)</sup> .

محمد الطاهر ابن عاشور

(تونس)

يذهب :



# تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقته بالأقطار الإسلامية والعربية (في العهد العثماني)

من سنة ١٩٤١م - ١٥٣٤م إلى سنة ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م

— ٤ —

## الفلك في الشام

في هذا العهد كانت الشام تابعة للدولة العثمانية متأثرة بثقافتها . وعندها غذاء عظيم في تقوية هذا العلم . ولم تنقطع عن مهمة التوقيت في الجامع الأموي وغيره مما ثبتت علم الفلك من الناحية العلمية ولم يكف بالمهمة التعليمية . جاءت المؤلفات الكثيرة مشعرة بذلك وتعين العلاقة بالمؤلفات السابقة إلا أننا لم نشاهد تجدداً عظيماً . ولا تبديلاً بارزاً في الأوضاع وإن كان لا يخلو الأمر من اشتغالٍ قل أو كثير . فلم تنقطع علاقة أكابر العلماء بالمؤلفات القديمة ونرى فيها خطوط أكابر العلماء . منها جملة صالحة لدى الأستاذ أحمد عبيد صاحب المكتبة العربية بدمشق قد اعتمدها . وله ملء الحق . واننا نذكر المشاهير الذين أبدوا قدرةً في التأليف .  
ومن هؤلاء العلماء :

- ١ - الطرطوسي : من أهل طرطوس من ربوع الشام .  
وله : (١) كفاية المعتورات في العمل بربع المقنطرات . عندي نسخة منه  
كتبت سنة ١٠٩٠هـ وذلك تاريخ الفراغ من تبييضها .
- ٢ (رسالة في العمل بربع المقنطرات وهي غير سابقتهما . أولها : الحمد لله  
رب العالمين . . .

٢ - الداغستاني : هو الملا علي (علاء الدين) بن صادق الداغستاني نزيل دمشق . اشتهر في الاسطرلاب .

وله : ١ - رسالة في أعمال الاسطرلاب المسماة الداغستانية . نقل بها رسالة بهاء الدين العالمي بالفارسية . وهي مختصرة من رسالة كبيرة للتصير الطومبي بالفارسية هي (بيست باب) . كذا بخط كمال الدين الغزي . أولها : الحمد لله رب العالمين . . . . ولم يذكر أنه عرفها . وجعلها مشتملة على ٦٠ باباً وخاتمة . وعليها (حاشية) من تأليف صلاح الدين ابن الصفاء خليل بن عبد السلام ابن محمد الكاملي الدمشقي الشافعي . عندي مخطوطة من هذه الحاشية .

٣ - أبو الرضا عبد اللطيف بن أحمد الدمشقي :

وله : (١) أرجوزة منظومة في المساحة . وشرحها وفرغ من شرحها في ذي القعدة سنة ١١٧١ هـ عندي نسختها ضمن مجموعة بخط الخاني كُتبت في رمضان سنة ١٢٧٨ هـ .

والملاحظ أننا لم نتوغل لما رأينا من تجديد هذا العلم بما ظهر من أزياج جديدة ورصدات وأعمال فلكية واتقان آلات . فالعلم عندنا لم يهمل في التدريس والتوقيت حتى بدت الاشتغالات الجديدة وتأثرنا بها .

ولما ترجمت الأزياج من الفرنسية الى التركية نقلت الى العربية في آب سنة ١٢٦٠ رومية في حلب وحوالت الى درجات طول حلب بمجاوول ولم يتعين لنا اسم نأفلها الى العربية . وهذا الزيج منه نسخة في الخزانة الظاهرية برقم ٤٣ فلك . ثم أخذ علم الفلك الحديث في الانتشار من طريق المدرسة الحربية ودار الفنون ومن طريق المدارس الأجنبية مثل الكلية الأميركية في بيروت وغيرها . وأبرز من ظهر في هذه العلوم الأستاذ كرنيلديوس فاندريك فقد ترك مؤلفات عديدة مثل أصول الهندسة وأصول الهيئة ومحاسن القبة الزرقاء . . . . وهكذا توالى الاشتغال ، جاء ذلك موضحاً في كتاب آداب اللغة العربية في المجلد الرابع

منه . ولا شك أن ربوع الشام كانت متأثرة بالتبرك العثمانيين كالعراق إلا أنها فاقت بالمدارس الأجنبية .

### الفلك في مصر

لم يحل العهد من علماء أكابر في الفلك بل لم ينقطع هذا العلم بوجهه . وإنما استمر في سيرته التعليمية والعلمية إلا أنه حرم من التجدد ، فلم يبذل فيه الجهد لتقدم هذا العلم إلا أن الرغبة العلمية ، والتوقيت في الجوامع داما في اتقان هذا العلم كما وصل اليها .

ولم تحصل فيه زيادة ، ولا حدث تجدد بل بقي على ما هو عليه . وعلاقتنا في هذا العهد بمصر قليلة .  
ومن مشاهير علماءها :

١ - تقي الدين بن معروف الراصد : هو الشيخ تقي الدين ابن الشيخ محمد ابن زين الدين معروف الراصد . كان قد ولد في القاهرة سنة ٩٢٧ هـ - ١٥٢١ م .  
ولقب بالراصد لشدة عنايته ومعرفة بالرصد . وكان أخذ عن أبي الخير طاش كبرى زاده بعد أن أخذ عن علماء القاهرة مبادئ العلوم والفنون ، وبعد أن ولي التدريس في بعض مدارسها . ثم ولي نيابة نابلس . وبعدها ورد استنبول في أيام السلطان مراد الثالث . انتسب هناك الى معلم السلطان الخواجة سعد الدين ، فكان قد عدّ من خواصه والملازمين له .

وفي سنة ٩٧٠ هـ توفي رئيس المجيمين ( منجم بائي ) مصطفي جلبي وبسعي من الخواجة سعد الدين ولي رئاسة التنجيم . وفي هذه الأيام وجد أن زيج أولوغ بيك قد ظهر فيه نقص وإن الأمر يحتاج الى رصد جديد ، فالضرورة داعية الى تأسيسه . ومن ثم أمرت الدولة ببناء الرصد على حسابها وذلك سنة ٩٨٧ هـ في أوائل أيام السلطان مراد فقامت بالأمر بسعي من الخواجة أيضاً . وشرع في الرصد وقام بمهمته . فأمر بعمله في الطويخانة ( المدفعية ) وسمي بـ (سجّاه رصد) .

أي بئر الرصد . وبينما كان أتم رصداته أو كاد إذ أمر شيخ الاسلام قاضي زاده أحمد شمس الدين بتخريبه وتولى ذلك قليج علي باشا قبودان دريا استناداً الى خط همايوني ٤ في ٤ ذي الحجة يوم الخميس من السنة المذكورة وذلك بعد أن أكمل الراصد الموما اليه قسماً من لوازم رصده . وقد شاهد الأستاذ صالح زكي هذه الرصدات التي أتمها الراصد المذكور . وتأسف لما وقع مما بعد وصمة على الدولة وعلى المشيخة الاسلامية .

قال ذلك في الآثار الباقية ج ١ ص ٢٠٢ . وله :

(١) سدره منتهى الأفكار في ملكوت الفلك الدوار . أوله : اللهم لاسهل إلا ما جعلته سهلاً . . . . . باشر فيه كتابة محصول الرصد الجديد الى تاريخ هدمه . وأطرى فيه السلطان مراد وذكر الخواجه سعدي . ونقل صاحب كشف الظنون مباحث مهمة من كتابه هذا في ( الآلات الرصدية ) . والحق أنه مهم جداً . وهو زيچ جديد . ومنه نسخة في نور عثمانية برقم ٢٩٣٠ .

(٢) الدر النظيم في تسهيل التقويم . أوله : الحمد لله واهب المن . . . . . ذكر فيه أنه استخراج زيچاً وجيزاً من زيچ أرلوغ بك وجعله مدخلاً في استخراج التقويم . ذكره في كشف الظنون .

(٣) خريدة الدرر وجريدة الفكر . ومنه نسخة في خزانة برلين ولدى صالح زكي . وهو زيچ صغير ألفه سنة ١٩٩٢ هـ .

(٤) رسالة في الربع الشكازي . أولها : الحمد لله حق حمده . . . . . وهي وجيزة تشمل على ١٠ أبواب . أوردها في كشف الظنون .

(٥) تحرير أكرثاودوسوبوس اليوناني المهندس . ذكره في كشف الظنون ج ١ ص ١٤٢ الطبعة الجديدة .

(٦) دستور الترجيح لقواعد التسطیح . أتمه سنة ١٩٨٤ هـ . أتخف به خزانة الخواجه سعد الدين .

- (٧) بغية الطلاب من علم الحساب .  
 (٨) ريحانة الروح في رسم الساعات على مستوى السطوح . كتبه سنة ٩٧٠ هـ  
 في نابلس أيام نيابته .  
 (٩) الكواكب الدرية في البنكومات الدورية ذكره في كشف الظنون .  
 (١٠) خلاصة الأعمال في مواقيت الأيام والليال . وجاءت ترجمته في الآثار  
 الباقية للأستاذ صالح زكي ونقل عن تاريخ عطائي أن المترجم كان من المهرة  
 في الفلك والرياضيات والتنجيم . وله الأفاعيل العجيبة فنال رئاسة التنجيم .  
 ورأى الخلل في أرداد القدماء وأزواجهم فعرض الأمر الى وكلاء السلطنة  
 فعمل الرصد في سنة ٩٨٧ هـ في أوائل دولة السلطان مراد فبنى في الطوبخانة  
 في قلعة جبل هناك وسمي (جاء الرصد) أي بئر الرصد فقامت الدولة بعمله  
 من كيسها<sup>(١)</sup> .

٢- شهاب الدين أحمد القليوبي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ . وله :

- (١) الهداية من الضلالة في معرفة الوقت والقبلة بغير آلة . منها نسخة في  
 خزانة برلين ج ٥ ص ١٧٨ .

٣- رضوان الفلكي :

- وهو معروف مشهور . توفي سنة ١١٢٢ هـ - ١٧١٠ م . وله من المؤلفات :  
 ١- دستور أصول علم الميقات ونتيجة النظر في تحرير الأوقات . أوله :  
 الحمد لله الذي زين السماء بالكواكب . . . عندي مخطوطة منه بخط حسين  
 زائد كتبها في ١٨ رجب سنة ١٣٠١ هـ .

٢- الزيج الرضواني على أصول الزيج الجديد السمرقندي . ذكره في  
 كشف الظنون .

- ٤- نتيجة الأفكار في أعمال الليل والنهار . في التقويم منه نسخة في  
 برلين ج ٥ ص ١٨٠ .

(١) آثار باقية ج ١ ص ٢٠٢ .

وهكذا مضت علوم الفلك والرياضيات على اطرافها حتى عهد محمد علي باشا الخديو فانه بعث بعثة الى باريس للتخصيل ، فكان من نتاجها الاتصال بعلوم الغرب . ومنها الرياضيات عندهم . فكان ذلك بدء عهد الاصلاح . . . . . فانتعشت ( النهضة العلمية ) أيام رفاة بك ومعاصريه .

وبهنا أن الحكومة المصرية أسست المدرسة الحربية سنة ١٨٢٥ م ، ومدرسة الهندسة سنة ١٨٣٤ م . فكان للتخرجي هذه المدارس المكنة في تكوين الثقافة الجديدة أو نوع منها . فتمكنت العلوم الفلكية والرياضية . ومن مدرسي الهندسة الأستاذ محمود باشا الفلكي . وكانت بعثت به الحكومة الى باريس سنة ١٨٥١ م لإتمام التخصيل ، بقي تسع سنوات فاشتغل في رصد باريس ولازمه مدة إلا أنه لم تظهر له آثار في الموضوع وكتب عدة مؤلفات . وتوفي سنة ١٣٠٣ هـ - ١٨٨٥ م (١) .

والجدير بالذكر أن الجامعة المصرية كان قد وضع حجرها الأساس سنة ١٩٠٦ م واحتفل بانفتاحها في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨ م فكانت أصل المعرفة ومنها الفلكية والرياضية . وكان من جملة محاضراتها موضوع مهم في تاريخ علم الفلك . قام به الأستاذ نالينو فأخرجه في كتاب « علم الفلك وتاريخه عند العرب » . فكان أعظم تحفة للبلاد العربية جماء .

ودام علم الفلك والرياضيات في نمو وتكامل . ولا ينكر فيه عمل الأشخاص وان كان فردياً ، فالرغبات لا حدود لها . وتكون لنا مجموع كبير من هذه المؤلفات منها ما جاء في الجزء الرابع من تاريخ آداب اللغة العربية ( ص ٢٠٩ ) . وهذا هو الطريق العلمي الا أننا لا نشعر بفوائده الملموسة لعدم الاتصال في الأعمال الحياتية إلا قليلاً . ولهذا لم يتمكن . ومع هذا ثرى اشتغال بعض العلماء لإدخاله في طوره الجديد والملاقة بالغرب . ومن هؤلاء :

(١) مشاهير الشرق ج ٢ ص ١٧٠ .

١ - الشيخ حسين زائد : عرف بالفلك . ومن مؤلفاته :

١ - كتاب المطلاع السعيد في حسابات الكواكب على الرصد الجديد .  
وهذا الكتاب طبع على الحجر في المطبعة البارونية بمصر في شعبان سنة ١٣٠٤ هـ .  
قال في مقدمته : « وضع المتقدمون فيه ( في الفلك ) كتباً عديدة ...  
ولم يحذ المتأخرون في هذا الصنع حذوهم ... حتى تحوت المعارف الفلكية  
الى البلاد الغربية ولم يبق في الشرق الا بقايا كتب ... فوجب على من يتوخى  
الوقوف على الحقيقة نبذ هذه الأرصاد العتيقة والاعتماد على ما تجدد في هذه  
الأعصار الغربية . ولم يحل مأخذه من الصعوبة .

وظالما حدثتني نفسي بوضع كتاب على الأرصاد الجديدة ... غير أنه كان  
يعني ... توقعي اقدام أحد على هذا العمل من عارفي اللغات الاجنبية ...  
ولم أزل في غياب هذا التردد ... حتى بثت نفسي من الانتظار . واهتديت  
الى من به الكفاية في ترجمة مثل هذه الأصفار . وهو التحرير الفائق ناظر  
مدرسة الخمسين حضرة أحمد أفندي حاذق .

وقبل الشروع في العمل استشرت ... شيخني العلامة الشيخ خليل الغزالي  
تغمده الله برضوانه ... فحتم عليّ الشروع وعيّن عليّ الدخول في الموضوع  
فاستعنت الله في وضع هذا الكتاب ... وكان الاعتماد في أخذ غالب أصوله  
على ( زيچ لالند ) الشهير لما فيه من الدقة وزيادة التحرير وأصت حسابه على  
خط نصف النهار المار بمصر القاهرة واعتبرته مبدأً لجميع أطوال العاصرة وجعلته  
على التاريخ العربي تسهيلاً للفائدة ... وقد بذلت غاية الجهد في تسهيله على  
الطالب ... ورتبته على مقدمة وتسعة أبواب وخاتمة ... » ١٠٠ .

ومن هنا علمنا مبدأ دخول الرصد الجديد في الديار المصرية كما عرفنا دخوله  
قبل هذا في الديار التركية والديار الشامية .

٢ - الشيخ عبد الحميد المرسي :

وكان ممن أتقن الفلك . وكان أخذ عن أستاذه الشيخ حسين زائد الفلكي .  
فتكامل هذا العلم . فان الشيخ حسين نقل (زيج لالند) فكان متأخراً عن  
العثمانيين في الزمن بكثير .

قال الأستاذ مرسي : ان علم الفلك علم جليل القدر ، عظيم المنفعة ، جم  
الفوائد ، أس العبادات الشرعية . لذلك أحله الغربيون من نفوسهم المرتبة  
الأولى حتى صارت تصانيفهم فيه ومؤلفاتهم لا تعد ولا تحصى . ومع هذا لم تفت  
همهم في البحث والتنقيب لكشف أسرار غوامضه وتقريبه الى الأفهام بطريقة  
ترغب فيه وتكثر من طلابه ، فينسع نطاقه وتعم فوائده .

وقال : « يموت عالمنا بدين علمه معه ، وتقبر ثمرة جهاده طول حياته ...  
أصبحنا ولم يوجد في أيدينا كتب من هذا العلم الا القديمة المطولة التي لا تأتي  
بالفائدة فضلاً عن عدم صحة جداولها والتي لا يصح العمل بها الآن ... » ٥١ .  
ومن ثم وضع كتابه (الزيج المصري الجديد) . وقد بنى أصوله في التواريخ  
والأطوال على أصول (المطلع السعيد) تأليف شيخه الشيخ حسين زائد الفلكي .  
وكان هذا قد بنى أصول كتابه على أصول (كتاب لالند) . وجعل حسابه  
على خط نصف نهار مصر ، واعتبر مبدأ الأطوال منها . وسهله ما استطاع ...  
ومن ثم سمي كتابه (المناهج الحميدية في حسابات النتائج السنوية) طبع في مطبعة  
السعادة في مصر وتم في منتصف شعبان عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م) .  
وهكذا توالى العلماء وزادت المؤلفات حتى تكونت ثروة علمية مما يطول  
ذكره . وغالب ثقافتنا من مصر .

### الفلك في المغرب

أما في المغرب فان علاقتنا بهم غير مشهودة ولم يعرف لهم من المؤلفات  
ما شاع في ربوعنا .



## الفلك في الحجاز

لم تصل اليينا الا بعض المؤلفات . وهذه لا تعين مقدار الاشتغال . وانه على قلته كان مهماً ومن أجل ما عرف :

١ - براعة استهلال فيما يتعلق بالشهور والحلال . للشيخ عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد الدين الحنفي المكي مفتي الحنفية في مكة المشرفة . وهو عمري . قتل سنة ١٠٣٧ هـ . قال ذلك في كشف الظنون . والكتاب ألفه في شعبان سنة ١٠٠٥ هـ .

أوله : ما برغت من مطالع الألفاظ أهلة المعاني وما برحت منازل الوعظ أهلة المعاني بأسنى من حمد من أشرف من أفنى الرسالة بدرأ حفته من النبوة هالة الخ .

قدمه الى شريف مكة المشرفة المولى السيد الشريف ادريس بن الحسن ابن أبي نمي بن بركات الحسني . والكتاب اخترع فيه طريقة دائرة يستخرج منها غرة الحلال من سني الهجرة الى غير النهاية . رتبته على ثلاثة أبواب وخاتمة ضمنها فوائد كثيرة مما يتعلق بذلك . عندي مخطوطة منه ، وان الورقة الأخيرة منها ناقصة . والكتاب جليل الفوائد مهم في موضوعه .

## علم الفلك في نجد

بعد اولاد ماجد وسليمان الموري انعدم الاشتغال بهذا العلم أو كاد ينعدم من جهة أن الفريين انتزعوا سلاطة البحار منهم ، فترى مؤلفاتهم قليلة . وما وصل اليينا :

١ - سلم العروج الى علم المنازل والبروج . ذكر فيه مؤلفه وهو محمد بن عبد الرحمن بن حسين بن عقالي أنه ألفه في سنة ١١٥١ هـ . أوله :

- « الحمد لله الذي جعل في السماء بروجاً الخ » اه ليس فيها تاريخ سوى ما ذكرت .  
 ٣ - رسالة في البروج والمنازل . وفيها جداول متقنة . لأحد أهل الاحساء .  
 أولها : الحمد لله مدير الأفلاك ومديرها ، ومزينا بالدراري ومنيرها . وهذا المؤلف اعتمده الشيخ محمد بن عبد الرحمن صاحب الرسالة السابقة .  
 ٣ - تقويم عربي . ألفه محمد بن سليمان العارضي . أخذه من مؤلفات كثيرة بعد ما قبله بالأهيات من مؤلفات مختلف اللغات . طبع في المطبعة الصفدية في بومبي سنة ١٣٠١ هـ .

وأكثر الاتصالات بثقافة الهند . وكانت معرفتهم مجردة خالية من علاقة عملية . وهذه المؤلفات لمختلف الأقطار الاسلامية والعربية كوتت ثروة لا يستهان بها ولكننا نحتاج الى ما يضارع ثقافة الغرب . ولنا من ماضينا خير مشجع .

### خاتمة

عامة يظهر نوعاً الاشتغال في الفلك والرياضيات وفي آخر أيامنا عرف كثيرون في الهيئة الجديدة والرياضيات ولم تبين هذه العلوم على ما سبقها . والمصطلح لم يتغير كثيراً من جراء انه كان قد روعي المصطلح القديم في بداية تأسيس كلية (المهندسخانه) والوسائل المسهلة للمعرفة قليلة فلم يوجد لدينا رصد ولا كتب منقولة مفصلة من كتب الأجانب الا أننا نرى النهضة في مصر كبيرة ومثلها في الشام (سورية ولبنان) إلا أنها بعيدة عن أبنائنا من جراء العلاقة بالترك ، مشهودة أكثر من غيرها بل غالب المشتغلين متوغلون بالتركية ولا يعرفون العربية . فلا مجال لذكر الأثر والتأثير بهذا العهد في الأقطار المجاورة . وعلى كل حال هذا ما كانت عليه العلوم الفلكية وما يتصل بها . وما فات بنبي عنه الموجود .

أكتفي بهذا ، والله ولي الأمر .

## رسالة حي بن يقظان

مع شرحها لابن سينا

- ٢ -

(فبينما نحن نتطاول إذ عن لنا شيخ بهي قد أوغل في السن [ورقة ٨٩ الف] وأحنت عليه السنون وهو في طراءة العز . لم يهن منه عظم ولا تضعضع له ركن . وما عليه من المشيب إلا رؤاه من يشيب .) قوله تطاول ، أراد به ما توجهوا إليه من الحركة العقلية<sup>(١)</sup> ، وجولان النفس لطلب المعقولات وتأملها .

وقوله : عن لنا شيخ بهي : أراد به ما يعرض لقوة العقل عند التأملات من هداية العقل الفعال لها وإفاضة نوره عليها . وأراد بالشيخ البهي العقل الفعال الذي هو الهادي بالحقيقة للقوة العقلية التي تنصوّر المعقولات على ما عرفته في الموضوع الذي يبين فيه ، ودلّ بقوله الشيخ البهي على تقادم عهده وطول بقائه وأبهة شيخوخته ، وعلى هذا المعنى بعينه دلّ بقوله « قد أوغل في السن وأحنت عليه السنون » .

وهو في طراءة العز أي لم يغيره الزمان بل حاله ثابت دائم لا يتغير كما يتغير المنصريات لبراءته من مخالطة العنصر وتنزهه<sup>(٢)</sup> عن<sup>(٣)</sup> خروج من قوة إلى الفعل .

لم يهن منه عظم ولا تضعضع له ركن أي لم تنقص قوة من قواه ، ولم يعرض له ضعف عن ما لم يزل عليه من خاص فعله كما ينقص بالضرورة المنصريات

(١) م و ص : العقلية . (٢) ب : تنزيهه . (٣) م و ص : من .

ويعرض لها الضعف عن حالتها الأولى • وأشار بذلك كله الى عقلية المحرّج بالفعل وعدمه السبب الموجب للتغير •

وما عليه من المشيب إلا رُوءاء من يشيب : دلّ به على أنه مع بعده عن النقائصات <sup>(١)</sup> التي تحدث لمن يأتي عليه الزمان الطويل من الكائنات ، فقد سعد بما يوجبه تقادم العهد في المشايخ من البرهة والبهاء ، وحصول الكمال <sup>(٢)</sup> .  
( فنزعت الى مخالطته <sup>(٣)</sup> . وانبعث من ذات نفسي متقاض لي بمدخلته ، ومحاورته • فملت برفقائي اليه • فلما دنونا منه بدأنا هو بالتحية والسلام واقترع عن لهجة مقبولة • )

( التفسير : قوله فنزعت الى مخالطته أي عرفت المناسبة التي بين العقل الإنساني وبين العقل الفعال [ ورقة ٨٩ ب ] فدعنتني الى مراعاتها وحفظها • وانبعث من ذات نفسي متقاض بمدخلته ومحاورته ، أشار الى ما في طباع الفعل بالقوة من الميل الى الخروج إلى الفعل بالاتصال بالعقل الفعال إذ <sup>(٤)</sup> كان كمال العقل الانساني الذي هو بالقوة يتعلق باتصاله بالعقل الفعال ، وفيضان النور من جهته عليه ، وذلك يحصل بما دلّ عليه بقوله «مدخلته ومحاورته» ومعناه الإقبال عليه والانصراف عن سائر القوى اليه •

فملت برفقائي اليه أي أخرجت هذه الحاجة الطبيعية التي للعقل الإنساني من القوة الى الفعل • قوله فلما دنونا منه أي توجهنا اليه وتوفرنا بالسكينة عليه • بدأنا هو بالسلام والتحية ، + أي أنه وان كان الإقبال منا عليه يكون <sup>(٥)</sup> أولاً ، فان الافاضة <sup>(٦)</sup> التي دلّ عليها بقوله «السلام والتحية» + تكون منه ابتداءً • فان الاستعداد يكون من المنفعل والتكامل يكون من التفاعل •

(١) م م و ص : من النقائص • (٢) أيضاً : ح ب • (٣) أيضاً : مخاطبته •

(٤) ب : واذا : (٥) غير موجود في م و ص • (٦) م م و ص : الافادة •

+ ... + بالهامش في ب •

وافترء عن لهجة مقبولة أي كان الذي ألقاه إلينا من التعريف الروحاني الذي دل عليه بقوله «لهجة» كان لهجة وكلاماً مقبولاً أي تعريفًا مناسباً حقاً وصدقاً مطابقاً لما عليه وجود ما عرفنا إياه . فإن معنى الحق هو هذا والصدق هو هذا . (وتنازعنا الحديث حتى أفضى بنا إلى مسألته عن كنه أحواله ، واستعلامه سننه وصناعته ، بل اسمه ونسبه وبلده .)

التفسير : قوله وتنازعنا الحديث أي اتصل منا الاستمداد ومنه الإفاضة والتعريف . حتى أفضى بنا إلى مسألته عن كنه أحواله أي نزعنا إلى تحقيق ماهيته وسير أحواله عن كونه مجرداً عن المادة أو مخالطاً لها بوجه . فان كنه أحوال الشيء هو حقيقته التي يكون بما هو ما هو .

واستعلامه سننه . . . . . بلده أي وأردنا مع معرفة كنه حقيقته الذاتية أن نعرف أيضاً الأشياء العرضية له الخاصة به وغير الخاصة . وأراد [ورقة ٩٠ الف] بقوله نسبه وصناعته الأمور التي تجري مجرى العرضيات ، إذ كانت الأهم دلالة دلالة الحد ، إلا أن دلالة الأهم على الشيء دلالة مجملة ودلالة الحد دلالة مفصلة .

(فقال أما اسمي ونسبي فخي بن يقظان ، وأما بلدي فمدبنة بيت المقدس ، وأما حرفتي فسياحة في أقطار العوالم حتى أحطت بها خيراً ، ووجهي إلى أبي وهو حي وقد عطوت منه مفاتيح العلوم كلها فهداني الطرق السالكة إلى نواحي العالم حتى زوبتُ بسياحتي آفاق الأقاليم .)

قوله أما اسمي فخي ، ابتداء بما دل على حقيقته .

وقوله حي أراد به ما جبل عليه من العقلية المجردة وصدور ما بعده عنه . إذ كان معنى الحي < ما > يتعلق بالحس والحركة فجعل الحس مشاراً به إلى العقلية وجعل الحركة مشاراً إليها إلى وجود ما بعدها<sup>(١)</sup> عنه .

(١) ب : ما بعده .

ابن يقظان ، دلّ بقوله على أن وجوده ليس هو بذاته بل هو من غيره ،  
 إذا كان وجود الابن بوجه ما عن الأب . وإن ذلك الغير الذي وجوده عنه  
 هو أجلّ حالاً منه . إذ كان أجلّ أحوال الحيّ أن يكون يقظاناً إذ الحيّ  
 يحتمل أن يكون نائمًا وأن يكون يقظاناً وحال اليقظة منه أجلّ من حال  
 النوم إذ النوم أشبه بالقوة واليقظة أشبه بالفعل ، + فدلّ بذلك على أنه كامل  
 على الاطلاق لا يشوبه ما بالقوة + بوجه من الوجوه .

وقوله أما بلدي في بيت المقدس ، أراد بالبلد ما يجري مجرى (١) الجنس إذ  
 كانت . . . . . (\*) > أراد بيت المقدس العالم العقلي المقدس عن التدانس  
 بأحوال الحسيات والعنصریات ، وأراد بالسياحة في أقطار العوالم ما يتبع كنه  
 حاله من تعقل ما بعده من الموجودات ، التابع لتعقله للمبدي الأول ولتعقل ذاته .  
 وقوله ووجهي الى أبي أي كنه إرادتي وحقيقة غرضي معرفة أبي . ودلّ  
 بقوله «أبي» على مبادئه الأول من الحق الأول والعقول الفعالة التي هي متوسطة  
 بينه وبين الأول الذي دلّ عليه بقوله فهو حيّ .

قد عطوت منه مفاتيح العلوم أي إني مستمد علمي من أبي . وأشار بذلك  
 الى أن تعقله ليس هو له من ذاته بل من مبدئه .

ودلّ بقوله مفاتيح العلوم للجنس من التعقل الذي له وهو التعقل المبدئي الخلاق  
 للصور الفعالة لها لا الذي يكون مفصلاً مرتباً نفسانياً إذ كان هذا النوع  
 من التعقل هو الخاص بتلك الأمور كما قال سبحانه «وعنده مفاتيح الغيب  
 لا يعلمها إلا هو» .

+ . . . . + موجود في مخطوط ب و ك فقط . (١) مه ومن : معنى .

(\*) لقد سقطت عن هذا الموضع عبارة طويلة من الشرح والمثنى . والأغلب أنها لم  
 توجد في النسخة الأصلية التي نسخ منها مخطوط بودليانا . وقد نقلت ما وجدت  
 في نسختي مهران وصبري ومخطوط كلكتة مما يناسب الموضع وقد أشرت الى هذه  
 الاضافة في التمهيد .

حتى زوبت الخ أي اكتفيت بهذه الهداية عن السباحة الزمانية ، بل كأن  
الموجودات كلها جمعت لي جمعاً حتى عرفتها دفعة من غير مصير من شيء منها  
إلى شيء بل مجموعاً مجملًا استغنى فيه عن التفصيل .

( فما زلنا نطارحه المسائل في العلوم ونستفهمه غوامضها ، حتى تخلفنا إلى علم  
الفراسة ، فرأيت من إصابته فيه ما قضيت له آجر العجب ، وذلك أنه ابتداءً  
لما انتهينا إلى خبرها . فقال : إن علم الفراسة لمن العلوم التي تُنقذ عائلتها  
تقدماً فيعلم ما يسره كل من سجيته فيكون تسطك إليه وتقلصك عنه بحسبه ،  
وإن الفراسة لتدلّ منك على غفوة من الخلائق ، ومنتقش من الطين ، ومواتٍ  
من الطبائع ، وإذا مسّتك يد الإصلاح أتقنتك ، وإن خرطك العار في سلك  
الزلة انخرطت . )

فما زلنا .... علم الفراسة <sup>(١)</sup> أي علم المنطق وسماء علم الفراسة إذ كانت هي  
معرفة الأمر الخفي الغير المعلوم من أحوال الشيء بتوسط أشياء ظاهرة من  
أحواله كذلك علم المنطق يتوصل به من أشياء ظاهرة هي المقدمات إلى أشياء  
خفية هي المطالبات والنتائج .

فرأيت من إصابته .... ومواتٍ من الطبائع ، أشار به إلى ما يحصل للإنسان  
بقوة هذا العلم من تميز الصدق من الكذب والحق من الباطل وإلى ما تُجبل عليه  
الإنسان من الاستعداد للعلوم والمعارف والتميز لاكتساب الأخلاق الحميدة .  
وإذا مسّتك يد .... انخرطت < (\*) .. أشار به إلى أنه مع ذلك مستعد  
للذائل وأنه يصير إلى كل واحد من الخالتين أعني حالتي الفضيلة والذيلة بموجب  
الدواعي من العادات والأفعال وغير ذلك على ما شرح في موضعه .

(١) ك : وأراد بعلم الفراسة علم المنطق لأن الفراسة هي معرفة الأمر الخفي من أحوال  
الشيء بتوسط أشياء ظاهرة ، وكذلك المنطق يتوصل به من المقدمات إلى النتائج .  
(\* ) هنا ينتهي ما أضفته من موهومين وك : ..

(وحولك هؤلاء الذين لا يبرحونك<sup>(١)</sup> إنهم لرفقة سوء [ورقة ٩٠ ب] ولن تكاد تسلم عليهم<sup>(٢)</sup> ، وسيفتنونك أو تكتننك عصمة وافرة .  
 وقوله وحولك .... وافرة : أشار به الى القوى البدنية التي لا تفارق القوة العقلية التي هي الإنسان بالحقيقة وهي المخاطبة<sup>(٣)</sup> وحدها من العقل الفعال .  
 وقوله وحولك : مادامت مدبرة للبدن متعلقة به التعلق المعلوم .

ودلّ بقوله إنهم لرفقة سوء على أن أحوالهم وأغراضهم ومقاصدهم مباينة متنافية لأحوال القوة العقلية ، فان كل مناف لشيء فهو شيء بالقياس اليه .  
 وقوله وان تكاد تسلم عليهم أي لا يتخلص الى الفعل الخاص بك مادمت<sup>(٤)</sup> معهم وذلك أن جميع التعلقات الانسانية مشوبة بالتخييلات . لا يكاد يتخلص تعقل من شوب بتخيل .

وأراد بقوله وسيفتنونك : ان القوة العقلية بمنزلة بالهيج والاضطراب ومعرضة للاختلاط بسائر القوى واتباعها في كثير من الأحوال لها .  
 أو تكتننك عصمة وافرة أي الا أن تعصم عصمة تامة بما تكتسبه من قوة مستجيبة تقوى بها على قمعها ودفعا والترأس عليها واستتباعها إياك في سائر أفعالها كلها وهذه القوة هي قوة الحكمة العلمية والقوة العملية .  
 (أما هذا الذي أمامك فباهت<sup>(٥)</sup> مهذار<sup>(٦)</sup> يلفق<sup>(٧)</sup> الباطل تليقاً ويمتحن الزور اختلاقاً<sup>(٨)</sup> ، ويأتيك بأخبار ما لم تزوده قد درن حقها بالباطل وضرب صدقها بالكذب ، على أنه هو عينك وظلمعتك ، ومن سبيله أن يأتيك بخبر ما غرب عن جنابك وعزب عن مقامك . وإناك لمبتلى بانتقاص حق ذلك من باطله .  
 والتقاط صدقه من زوره . واستخلاص ضوابه من غواشي خطائه ، إذ لا بد لك

(١) م و س : لا يبرحون عنك . (٢) م و س : عنهم . (٣) أيضاً : المخاطبة .  
 (٤) ب : مادامت . (٥) ك : وأراد بالباهت الذي أمامه من قوة للتخيل .  
 (٦) م : يلفق .... تليقاً .... ويمتحن .... اختلاقاً .



منه . فربما أخذ التوفيق بيدك ، ورفعتك [ ورقة ٩١ الف ] عن محبط الضلالة .  
وربما أوقفك التخيير ، وربما غرّك شاهد الزور .

أما هذا الذي أمامك أشار به الى قوة التخيل ووصفها بالبهتان لما يحكم به  
من الباطل ، وبالهذر لكثرة ما يتصرف فيه من أحكام غير مفيدة ولا حق .  
ودلّ بقوله بلفظ الباطل .... اختلاقاً ، على ان من سوسها وطيعتها هذا  
الفعل وذلك أنها مجبولة على تشبيه الشيء بالشيء من دون أن يشبهه كما يشبه  
المعقول بالمحسوس وعلى محاكاة الشيء من غير أن يكون ما يحاكيه به مثالا له  
كما تحاكي حرارة تحدث في البدن مثلاً بالأشياء الحمر ، وسوداء تحصل فيه  
بالأشياء السود القبيحة المنظر ، وفزعاً بعرض للنفس بصورة الأشياء الهائلة .  
وبأتيك بأبناء ما لم تزوده أي ان أحكامها والأخبار التي يخبرك بها ليس مما  
يطابقها من خارج ما أخبر به عنها .

ودلّ بقوله قد درن حقها بالباطل وضرب صدقها بالكذب على أنها وإن  
كان في جملة أحكامها ما هو حق ومطابق لما عليه الأمر الذي حكم بأنه لا يخلو  
البتة حقها من باطل يشوبه . ولا صدقها من كذب يشينه ، ولا يكاد يخلص  
أحكامها من الباطل والكذب .

ودلّ بقوله على أنه عينك وطليعتك على الحس المشترك وهو القوة التي تتأدى  
اليها المحسوسات كلها الذي كأنه هو ، وهذه القوة شيء واحد . وهذه القوة  
بالحقيقة عين وجاسوس وطليعة للنفس تأتينا بخبر ما غرب عنها من جنابها وغرب  
عنها من مقامها أعني المحسوسات وأحوالها إذ كانت بعيدة عن مقام القوة العقلية ،  
فاذا انتهى من جهة هذه القوة تصرفت فيما التصرفات التي توجهها أحكامها  
من تصيّد الكليات منها واستنباط الماهيات بتوسطها .

وانك لمبتلى أراد به أن من فعل القوة تليين صدق ما يورده الحس المشترك  
والتخيل من كذبه واجتباء صدقه وصوابه للتصرف فيه والتعويل عليه ، وتزييف  
كذبه وخطائه فيرده ولا يعتمد عليه .

إذ لا بد لك منه أي ان القوة [ورقة ٩١ ب] العقلية محتاجة إليها وإلى ما يورده عليها ، والاستعانة بها في خاص أفعالها .  
وأشار بقوله فربما أخذ التوفيق بيدك الى الأحوال التي تعرض للنفس من جهة هذه القوة ، وذكر أقسام هذه الأحوال ، وذلك أنه أما أن يقوي النفس على السلامة من ضلالة هذه القوة فتسلم لها قوتها الخاصة بها ، وأما أن يحصل من جهتها على تحير وقلة اهتمام الى الحق منها ، وأما أن تعجز عن ذلك عجزاً ويعتبر بها اغترار فيعتقد في باطلها أنه حق ، وفي كذبها أنه صدق .

(وهذا الذي عن يمينك أهوج اذا انزعج هائج لم يقمعه النصح ، ولم يظأطئه الرفق ، كأنه نار في حطب ، أو سيل في صلب ، أو قرم مقتلم ، أو سبع ناكل .)  
قوله وهذا الذي ..... أهوج ، أشار به الى القوة الغضبية .

وأراد بقوله عن يمينك الإشارة إلى < أن > رتبة الغضب أعلى من رتبة (\*) القوة الأخرى الشهوانية التي وصفها بأنها على اليسار ، إذ كان اليمين أقوى من الشمال ، وذلك أن من سوسها ما وصفها به من الهوج وهو ركوب الرأي من غير يقين <sup>(١)</sup> ولا معرفة وإتيان ما يتفق من دون تدبير ولا تأمل <sup>(٢)</sup> . ودل بقوله إذا انزعج هائج لم يقمعه النصح ولم يظأطئه الرفق على أن هذه القوة شديدة الشكيمة عظيمة الشوكة إذا احتاجت صعب الأمر في ردها الى الواجب بنصيحة أو برفق . وشبهها في حالتها هذه بنار تاتهب فيشق إطفائها ، وبسيل في صلب ينحدر بقوة فلا يوجد سبيل الى رده ودفعه ، وبفحل قرم مقتلم فنهم على وجهه في طلب الأثني لا يصدّه عن ذلك صاد . وسبع ناكل أي ليوه تفقد أولادها ، فتنبعث في طلبهم فلا يقاومها مقاوم ولا يدفع وجهها <sup>(٣)</sup> دافع .

(\*) ك : أعلى رتبة من الأخرى . (١) ب : يعين . (٢) أيضاً : الا - تأمل  
(٣) د ص : في وجهها .

( وهذا الذي عن يسارك فقد زُسرهُ قَرْمٌ شَبِيقٌ لا يَلَأُ بطنه إلا التراب .  
ولا يسدُّ غرته إلا الرغام <sup>(١)</sup> ، لَعَقَةُ لَحْسَةِ طَعْمَةٍ [ ورقة ٩٢ الف ] حرصاً ،  
كأنه خنزير أجمع ، ثم أرسل في الجمله . )

قوله وهذا الذي عن يسارك : يشير به الى القوة الشهوانية ووصفها بما طبعت  
عليه من القذارة والقرم والشبق أي شدة الميل الى المنكوح والمطموم .  
ودل بقوله لا يَلَأُ بطنه إلا التراب ولا يسدُّ غرته إلا الرغام على أنها  
لا تغتر < عن > من <sup>(٢)</sup> خاض فعلها من موجبات القرم والشبق على طول  
ما تبأشره بل هي دائمة العمل الخاص بها .

وقوله لَعَقَةُ لَحْسَةِ وحرصاً <sup>(٣)</sup> وطعمته : أراد به أصناف ما يصدر عنها على  
سبيل ما هي منطبعة بها ودوام صدور تلك الأصناف عنها من اللعق واللحس  
والطعم والحرص ، وشبهها بخنزير أجمع ، ثم أرسل في الجمله . بفحمله الجوع  
الشديد على الاستعصاء على من يريد أن يمنعه عن ذلك .

( ولقد أَلصقتْ يامسكين ! بهؤلاء الصاقاً ، لا يُبريك عنهم إلا غربة  
تأخذك الى بلاد لم <sup>(٤)</sup> يطأها أمثالهم ، واذلات حين تلك من غربة <sup>(٥)</sup> ولا يحيص  
لك عنهم . فلتُطِلمهم يدك ، وليغلبهم سلطانك ، وإياك أن تقبضهم زمالك ،  
أو تسهل لهم قيادك ، بل استظهر عليهم بحسن الإيالة ، وسهمهم سوم الاعتدال ،  
فإنك إن مننت لهم سخرتهم ولم يسخروك ، وركبتهم ولم يركبوك . )

وقوله ولقد أَلصقتْ . . . الصاقاً : أراد بذلك ما عليه القوة العقلية من  
شدة ملازمة هذه القوى لها والضرورة في مجاورتها إياها لأجل البدن ولأنه  
لا مبرء <sup>(٦)</sup> لها ولا مخلص منها ما دامت مع البدن ، بل إنما يتوقع لها الخلاص بغربة .

(١) ب : لرغام . (٢) أيضاً : عن . (٣) أيضاً : حرصه ولحسه .  
(٤) أيضاً : لن . (٥) هموس : تلك الغربة . (٦) ب : متبرأ .

الى بلاد لم<sup>(١)</sup> تطأها أمثالهم أي مفارقة البدن بالكلية والمصير الى العالم العقلي الذي هو منزله عن أن يكون موطناً لأمثال تلك القوى .  
 واذلات حين [ ورقة ٩٢ ب ] تلك من غربة أي ما دمت لم تحن لك حين تلك الحالة ولا معدل لك بعد عن هذه القوى فدبر أمر نفسك تدبيراً تسلم معه من غائلة عن غوائلها ومعارفها - وذلك بأن يكون يدك فوق أيديهم وسلطانك وقوتك غالبية بسلطانها وقوتها من غير انتقاد لها بوجه من الوجوه ، أو تخضع لغلبتها بسبب من الأسباب .

بل استظهر عليهم بحسن الإيالة أي كن رئيساً عليها وسانداً لها ، ومرتباً لأفعالها وحاملاً إياها على لزوم الاعتدال في متصرفاتها . فانك اذا قوبت عليها استعبدتها ومخترتها لك ولم تستعبدك ولم تسخرك وعلوتها لغلبتك إياها ولم يغلبك .  
 ( ومن توافق<sup>(٢)</sup> حيلك فيهم<sup>(٣)</sup> أن تسلط بهذا الشكس الزعر على هذا الأرعن النهم ، تزيره زبراً ، فتكسره كسراً<sup>(٤)</sup> وأن تستدرج غلو<sup>(٥)</sup> هذا التائه العسر بخلافة هذا الأرعن الملق فتنفضه خفضاً . )

ومن توافق حيلك فيهم : أراد به أن وجه تدبيرك حتى تصل الى المراد المقصود أن تستعين بالقوة الغضبية الموصوفة بالشكاسة والزعارة على التسلط على القوة الشهوانية الموصوفة بالرعونة والنهم فتدفع غائلتها بها دفعاً فتكسر بذلك من قوتها كسراً .

وأن تستدرج غلو<sup>(٦)</sup> هذا التائه العسر أي وأن تستعين<sup>(٧)</sup> بالقوة الشهوانية على إبطال القوة الغضبية لتخضع لك خضوعاً وتسلكين<sup>(٧)</sup> لتدبيرك استكانة .

محمد المدعو بصغير حسن المصومي

( يتبع )

٥٥٥٥٥٥

(١) أيضاً : لن . (٢) أيضاً : نواقد (٣) أيضاً : فيها . (٤) أيضاً : أو .

(٥) م و س : غلواء . (٦) ب : ستمن . (٧) أيضاً : تستكن .

# تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

- ٩ -

## ٣ - الرافعي :

وللأدب مصطفى صادق الرافعي كتاب مطوّل في الإعجاز اسمه « إعجاز القرآن » عرض فيه لثني المذاهب التي قيلت فيه وتقدّمها كما عرض فيه عدّة مسائل تتعلق بهذا البحث وأبدى رأيه فيها وهو يعالج الموضوع بروح السلم المتحمس للإسلام الناصر على من يعانده ولهذا يصم من يخالف عقيدة المؤمن الصادق بألفاظ تحطّ منه ، ويميل الى نصرة كل رأي يناصر الإسلام ولو كان بعيداً عن الروح العلمية الصحيحة ، وبقدم أخيراً رأيه الخاص في الإعجاز . وتتلخص الأفكار التي وردت في كتابه بما يلي :

١ - يعرف الرافعي معنى الإعجاز فيقول : إنه ضعف الإنسان عن مزاولة المعجز واستمرار هذا الضعف مع الزمن .

٢ - يعرض لأول من طعن في الإسلام وهو لبيد بن الأعمص ومن خلفه من ذكرتهم سابقاً ولفتنة خلق القرآن وظهور طبقة المعتزلة وتأثرها بالفلسفة ومزجها بين هذه وبين الدين .

٣ - يعرض لفكرة الصرفة وبعض الذين قالوا بها كالنظام والمرغبي وابن حزم والجاحظ ويرفضها .

٤ - يتعرض لمذاهب مختلفة ، كالقول بإعجاز القرآن من ناحية النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم في مقاطعه وفواصله ومطالعه ، كالقول بأنه في سلامة الألفاظ مما يشين اللفظ ، والقول بأنه في خلوه من التناقض واشتغاله على

المعاني الدقيقة ، والقول بأنه في اجتماع هذه الأمور كلها وهو يرفض هذه الآراء جميعها متهاكاً .

٥ - يذكر مذهب عبد القاهر في الإعجاز وأنه ليس السابق إليه بل تقدمه فيه الواسطي والرماني .

٦ - ثم يذكر مذهباً آخر يقول إنه لطائفة من المتأخرين وهو في الحقيقة مذهب يحيى بن حمزة البجلي صاحب « الطراز » وأضرابه وهو القائل بأن الإعجاز في فصاحة الألفاظ وبلاغة المعاني وحسن النظم .

٧ - ثم يذكر أن بعض الطاعنين على القرآن قد ذكروا سفاسف تكلف بعض العلماء الرد عليها مع أنها لا تحتاج الى ردٍ لسخفها ويضرب عليها أمثلة ويقول بعد ذلك إن إنكار الإعجاز لم يقل به أحد من المتأخرين .

٨ - يذكر جماعة ممن ينكرون الإعجاز كعبسى بن صبيح المزدار وأصحابه والحسينية .

٩ - يذكر تأليف الجاحظ « كتاب نظم القرآن » ويذكر نقد الباقلائي له وقد سبق هذا النقد ثم يذكر بعض الكتب التي ألفت في الإعجاز ككتاب الواسطي الذي بعده أول هذه الكتب وكتاب الرمثاني وكتاب الباقلائي ويقول فيه إن المتأخرين أجمعوا على أنه باب في الإعجاز على حدة ثم ينقد كتاب الباقلائي بما نقده هذا كتاب الجاحظ ( ص ١٥٢ من إعجاز القرآن للرافعي ) وبأنه جمع فيه بين جنس وجنس من القول وحشر إليه أنظمة من كل قبيل من النظم والنثر واستراح الى النقل . ولا ينكر قيمة الكتاب من حيث وفاقه بكثير مما قصد إليه من أمهات المسائل ويقول إن الباقلائي ما زاد على أن ضمن الكتاب روح عصره وأنه أقتنع معاصريه في كتابه بما يتعلق بدوقهم إذ ذاك ولكنه لا يكفي لبيان إعجاز القرآن في كل جيل ثم يذكر الرافعي بعد ذلك أن ممن ألقوا في الإعجاز على وجوه مختلفة من البلاغة والكلام وما إليها الإمام الخطابي والرازي ( نخر الدين )

وابن أبي الإصبع والزمالكاني ويقول إنها كتب أخذ بعضها من بغض ثم يذكر كتاب ابن سرافقة ويعده من أعجب الكتب التي سمع بها .  
 ١٠ - وبشكل بعد ذلك على التدرج في آيات التحدي وأنه كان بالأكثر فالأقل وجواب المشركين على هذا التحدي بوصف القرآن والرسول بعدة صفات ذكرها القرآن نفسه ثم يورد قول الجاحظ في كيفية تحدي القرآن للعرب وما دار في ذلك من جدل .

١١ - وينقل من هذا الى الكلام على المنتهين والمخالفين الذين عارضوا القرآن ويذكر بعضاً من أخبارهم وأقوالهم وهم مسيلمة والأسود العنسي وطلحة ابن خويلد وسجاح بنت الحارث والنضر بن الحارث ويذكر من اتهموا بالمعارضة ابن المقفع وابن سينا وقابوس بن شمشكير وابن الراوندي والمنبي والمعري وندافع عن بعض هؤلاء المتهمين ويحمل على ابن الراوندي ويقف موقفاً حيادياً من آخرين وقد ذكرت ذلك عند الكلام على كل واحد منهم في ترتيبه الزمني .

١٢ - يذكر عجز العرب عن مجازاة القرآن لأنهم كانوا يدركون في أنفسهم علو كتب القرآن عن متناولهم وذلك بقوة طبعهم وذوقهم الفني .

١٣ - ويقدم بعد ذلك رأيه الخاص في سبب الإعجاز فيقول إن أسلوب الأديب نتيجة لمزاجه الخاص وإن إعجاز القرآن في أسلوبه راجع الى أنه ليس من مزاج البشر ولولا ذلك لأشبه أسلوباً من أساليب العرب أو من جاء بعدهم الى هذا العهد ولهذا خلا من التناقض . ونلاحظ هنا أن الراجعي يجعل السبب مسبقاً والعلة معلولاً فبدلاً من أن يسعى لإثبات أن القرآن من عند الله بإثبات أنه معجز نراه يثبت بأنه معجز لأنه من عند الله وذلك بأن يعمل بأنه انفراد عن أساليب العرب بأسلوبه الخاص لأنه ليس وضعاً إنسانياً ألبتة ولو أنه أثبت قبل ذلك أن أسلوب القرآن فوق طاقة البشر لكانت طريقته في البرهنة صحيحة لا غبار عليها . والقرآن في رأيه معجز أيضاً بهذا الضرب الخالص من الموسيقى

اللغوية في انسجامه واطراد نسقه واتزانه على أجزاء النفس مقطعاً ومقطعاً ونبرة نبرة كأنها توقعه توقيماً ولا تتلوه تلاوة وبذكر هذه المناسبة أثر موسيقى القرآن في نفس عمر بن الخطاب حين أسلم وأثرها في نفس بعض المشركين وأن من عارضه كسليمة لاحظ هذا الجانب الموسيقي فقلده وطوى عماءه من التصرف في اللغة وأساليبها ومحاسنها ودقائق التركيب البياني ثم يقول : « ولا يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي وهذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت » ( ص ٢٢٢ إعجاز القرآن للرافعي ) .

وخلاصة رأي الرافعي في هذا الموضوع أن القرآن معجز :

١ - بهذه الموسيقى التي فيه .

٢ - بهذه الروح المستشفة من نظم القرآن والتي تخاطب الروح وهي ليست ألفاظاً ذات معنى فقط بل هي حياة تضطرم وهي خلق روحي ( فيه صوت النفس الطبيعي في تركيب اللغة العربية وصوت الفكر أو العقل وقد توفر للعرب ويمتاز القرآن بصوت ثالث هو صوت الحس في الألفاظ والمعاني المثلة ) .

٣ - خلو القرآن من الألفاظ التي تكون كتمكاً وهذا التكمك يشاهد في كلام البلغاء وهو يرى أن كلمات القرآن كلها ضرورية في تأدية المعاني التي يريدونها .

٤ - في اشتمال القرآن على مبادئ العلوم وعلى كثير من المخترعات والنظريات العلمية الحديثة وقد ذكرت رأيه في ذلك قبل قليل كما أورده الأستاذ الخولي وذلك حين الكلام على نظرية الإعجاز العلمي .

وبذكر الرافعي بمناسبة الإعجاز العلمي كلام ابن رشد في احتواء القرآن على طرق التعليم المنطقية وقد ذكرت ذلك أثناء الكلام على ابن رشد وبينت رأبي فيه .



وبذكر أخيراً اختلاف أعداء النبي في الصفة التي يجب أن ينعتوا بها القرآن إذا حضر العرب الموسم واتفقهم آخر الأمر على وصفه بالسحر .  
ويحسن الرافي في أن يجعل سبب الإعجاز قائماً في الأسباب الثلاثة الأولى ولو أنها لا تكفي في بيان الإعجاز لأن كلام المخلوقين لا يتخلو من هذه الصفات ،  
ولكن الرافي يخطئ إذ يجعل من القرآن موسوعة دينية دنيوية لعلوم الأرض .  
٤ - عهد العايم الهندي :

ونتقل من كتاب إعجاز القرآن للرافي الى مقالة ضافية متعمقة في تطور فكرة الإعجاز لعبد العليم الهندي نشرها في مجلة الثقافة الإسلامية التي تصدر في الهند باللغة الانكليزية في العدد الأول والثاني من أعداد سنة ١٩٣٢ .  
( The Islamic culture N° 1 and 2, 32 th year ) .

يصف الباحث في هذه المقالة حالة العرب زمن النبي وبيانهم وأميتهم وعدم معرفتهم النثر الفني وبطل ذلك ثم يصف مخالفة القرآن في أسلوبه لأساليب العرب حينئذ ويقول بأن القرآن تعبير عن التجربة الدينية في نفس محمد ثم يذكر آيات التحدي والتدرج في نزولها وبطل عجزهم عن معارضة القرآن وكيف نتجت فكرة أن القرآن فوق الطاقه من هذا التحدي ثم يتكلم على الحوادث الاجتماعية والسياسية التي أدت الى تفكير المسلمين في القرآن ونشوء الأفكار الحرة والزندقة وبدء الكلام في الإعجاز .

ثم يتكلم على ظهور ثلاث طرق في مناقشة مسألة الإعجاز في هذا الزمن :  
طريقة التفسير وطريقة علم الكلام التي تقول بضرورة وجود فكرة المعجزة لإثبات النبوة وطريقة المعتزلة وعلى العوامل التي أدت الى وجود كل منها وعلى اتصال كل واحدة من هذه الثلاثة بالأخرى ثم على انبثاق طريقة رابعة من هذه الثلاث وهي طريقة علم البيان في الأدب ويقول بأن أولها ظهوراً طريقة

المعتزلة ثم المتكلمين ثم المفسرين وأخيراً أرباب البلاغة ؛ ويذكر بعد ذلك المعتزلة الذين لهم رأي في الإعجاز وادل من بحث هذه المسألة من المتكلمين وهو علي ابن ربن الطبري وأول من بحثها فيما علمنا من المفسرين وهو ابن جرير الطبري وبعده القمي وأشار الى اتصال التفسير بالكلام والفلسفة ثم تكلم على ظهور الكلام في هذه القضية في الأدب ووضع بعد ذلك جدولاً بأسماء من ألفوا كتباً أو أبحاثاً مستقلة في الإعجاز ثم تكلم على كتاب الباقلاني منها بخاصة وبورد ما انفرد فيه والخطة العامة التي اتبعها في دراسة الموضوع ثم يذكر أسفه اضياع كتاب الشريف الرضي في الإعجاز وفرحه لبقاء بعض المقالات التي تؤدي صورة عن أقواله في الموضوع ويتكلم بعد ذلك على أثر فكرة الإعجاز في إيجاد علوم البلاغة وأن الناس انقسموا منذ البدء الى قسم بقول بإعجاز القرآن في بيانه وقسم ينكرونه ويضعون أسباباً أخرى للإعجاز الى جانب أنهم يرون القرآن بليغاً ، ثم يتكلم على المؤلفين في الإعجاز من أهل البيان كالجاحظ ، والجرجاني في كتابيه الدلائل والأمصار وشرحيه الأكبر والأصغر على كتاب الخطابي ، ونغر الدين الرازي ، وابن أبي أصيبع القيرواني ، والزملكاني ، وحازم القرطاجني - وهو يذكر أسماء هؤلاء وأسماء كتبهم فقط - ثم يتكلم على أطوار مدلول كلمة إعجاز ثم يذكر أسماء المفسرين الذين تكلموا في الموضوع ثم يتكلم على الفكرة لدى علماء الكلام وأسماء من تعرف أنهم ألفوا فيها منهم .

ويتحدث بعد ذلك عن كلمة الإعجاز ونشوتها من لفظة عجز وأطوار الفكرة ثم عن حجج المتكلمين في إثبات إعجاز القرآن ثم عن رأي النظام في الإعجاز ثم الجاحظ ثم ابن ربن الطبري ثم الرماني ثم القمي ثم الخطابي ثم الباقلاني ثم يتكلم على تكامل علم الكلام في نهاية القرن الرابع وعلى انتقال المتأخرين على المتقدمين ثم على رأي الشريف المرتضى وبهذه المناسبة يذكر أن الصرفة لدى المتكلمين الشيعة أكثر منها لدى المتكلمين من أهل السنة لأنهم أكثر

ارتباطاً بالمعتزلة ثم يذكر ان عمل المتأخرين من المتكلمين كالقاضي عياض  
والآمدي والشهرستاني هو مجرد شرح وإنضاج لأدلة المتقدمين ثم يتحدث عن  
الراغب الأصفهاني وابن حزم .

ثم يتحدث عن المنكرين لفكرة إعجاز القرآن وعن الذين عارضوه كالنضر  
ابن الحارث ومسيلمة وابن المقفع وأصحابه وأبي الطيب المتنبي وقابوس بن وشمكير  
وأبي العلاء وبذكر سبب اتهامهم بالمعارضة وأثر الخيال الشعبي في اتهامهم ولم  
توسع خياله في هذا الاتهام ويتكلم على اتهام القاسم بن إبراهيم الرازي وغيره  
ابن المقفع ويدفع عنه تهمة القاسم هذا وينتقل بعد ذلك إلى ظهور فتنة خلق  
القرآن زمن المأمون وأثرها في مناقشة هذه القضية ثم على مراسلة بين مسلم يدعو  
الى الإسلام ويؤيد دعوته بإعجاز القرآن ومسيحي يرد عليه وينكر هذه الفكرة  
ثم على ابن الراوندي وطعنه على القرآن والإسلام ثم على رد علماء الكلام على  
من انتقدوا القرآن وبذكر تأليف كتاب وافٍ في الدفاع عن الإسلام لأبي الحسن  
عبد الجبار الحمداني الأسمد آبادي ( ٤١٥ ) واسمه « تنزيه القرآن عن المطاعن »  
ويجتمه مقاله بقوله : « ومن المفيد جداً لدارس تاريخ الإسلام الديني وتاريخ اللغة  
العربية الأدبي أن تجمع هذه الانتقادات كلها مع الردود عليها وأن تنظم تنظيمًا  
علميًا » وبأنه ربما يبحث هذا الموضوع على انفراد .

نعيم الحصري

( يتبع )

## التعريف والنقد

المغرب في هلى المغرب لابن سعيبر المغربي

حقيقه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف

طبع دار المعارف بمصر ( ٤٤٨ ) صفحة

هذا الكتاب هو من أمهات كتب الأدب والتراجم التي خلفها الأندلسيون وقد تعاقب على تصليفه في مدة مائة وخمس عشرة سنة ستة أعلام من أهل الأندلس : ابو محمد الحنجاري وأبناء سعيد الخنسة : عبد الملك وولده احمد ومحمد قومي بن محمد ثم علي بن موسى الذي هو في الحقيقة جامع شتاته وناظم درره .  
وأهمية هذا الكتاب في التعرف الى أدب المغرب والأندلس لا يتجنى على أحد ممن يعانى هذه المباحث بحيث يصح وضعه في مقابل المجموعة الكبيرة من الكتب المؤلفة في هذا الصدد والتي تشمل الخدائق لابن فرج الجياني والبيديع لأبي الوليد حبيب وقلائد العقيان ومطمح الأنفس للفتح بن خافان والدخيرة لابن بسام وزاد المسافر لصفوان بن ادريس وتحفة القادم لابن الابار وغيرها لأن هذه المؤلفات انما تتناول أدياء العصور التي ألفت فيها على حين ان المغرب بتضمنها جميعاً ويزيد عليها بن روى عنهم وعاصرهم الى أواخر القرن السابع أعني الى وفاة علي بن موسى آخر المؤلفين للكتاب .

وكان المغرب من تفانس الأعلاق التي تدخرها دار الكتب المصرية وتنفرد بها فلم تكن تعرف له وجوداً هنا في خزائن المغرب ولا في مكاتب اسبانيا وهي مظنة وجوده والبلاد التي ألفت في أديها وتراجم أبنائها . وغاية ما كنا نعرفه منه هذه النقول التي تصادفتنا في الكتب التي استمدت منه وخاصة نفع الطيب للمقري .

واقدم اطلعت على نسخة منه مأخوذة بالآلة الكاتبة عن نسخة دار الكتب المصرية منذ نحو سبع سنوات عند الأديب المصري الأستاذ عبد العزيز الاهواني وكنت لقيته بالاسكوريال من اسبانيا فتصفحتهما ونقلت منها بعض الفوائد وهناك تمنيت أن لو قبض الله له أديباً مِعْتَنّاً بهذه الآثار القيّمة فعمل على نشره وتحقيقه وقلت للأستاذ الاهواني : ومن له غيرك ؟ ...

وحقيقة فإن هذا النص الأدبي النفيس يجب أن يتوفر ناشره على ثقافة أدبية واسعة وأن يكون مطلعاً على أدبيات المغرب وتراجم رجاله فضلاً عن الثقافة العامة التي يلزم أن يتحقق بها كل ناشر .

ولحسن الحظ فقد أتيج له ناشر من الطبقة الرفيعة من أدباء مصر هو الدكتور شوقي ضيف المعروف بأبحاثه الأدبية القيّمة وآثاره الطائفة في عالم التأليف والنشر ولقد سلك في تحقيقه والتعليق عليه الطريقة العلمية التي هو بها قمين ، فقام أولاً بإعداد النص الكامل للكتاب وكان ينقص مخطوطته التي توجد بدار الكتب قطعة مهمة وقع العثور عليها مؤخراً بمكتبة في إحدى القرى المصرية ، وذلك فضلاً عن اضطراب أوراق المخطوطة وعدم تنظيمها كما يجب ، فعمل الناشر الفاضل على إلحاق القطعة المذكورة بمكانها وترتيب أوراق المخطوطة الترتيب اللازم . ثم أخذ في مقابلة النصوص الأدبية والتاريخية بالمراجع والمطان العديدة التي ذكرها في مقدمته واستعان كثيراً في هذا الصدد بنفح الطيب الذي يعد المغرب من مصادره المهمة وقد صحح بهذه المقابلة كثيراً من الخطأ الذي كان يوجد في نص المخطوطة وكمل النقص ونسق الكتاب على الترتيب الذي وضعه عليه المؤلف مستدلاً في الترتيب خاصة بالفهارس التي توجد بآخر المخطوطة . وبعد ذلك جاء دور الضبط والتعليق فضبط الكتاب كله بالشكل التام ، وعلق عليه تعاليق مفيدة جداً ؛ منها ما هو من قبيل اختلاف النسخ بحسب الأصول التي اعتمدها في المقابلة والتصحيح ، ومنها ما هو شرح لبعض الكلمات اللغوية

والمعاني الخفية في الأشعار أو الأسماع التي يتضمنها الكتاب ، ومنها تراجم الأشخاص المذكورين في الكتاب أو إشارة إلى المراجع التي ترجمتهم ؛ تعين الراغب في التوسع واستكمال معلوماته في هذه الناحية ، وهو بذكرها بالجزء والصفحة ان كان الكتاب المرجع مطبوعاً وبالورقة إن كان مخطوطاً مع ذكر مكان وجوده طبعاً .

ولعل هذه الخطة هي أكل خطة في نشر نص من قبيل كتاب المغرب له أهمية تاريخية وأدبية ، فالتعاليق التاريخية لإكمال التعريف بالشخص أو الحادث الذي لم يستتم المؤلف الكلام عليه والتعليق الأدبية إما لتصحيح النص أو تفسير بعض الفصوص الواقعة فيه من غير توغل في ذلك ولا إكثار بنقل ما قالته المعاجم اللغوية في اللفظ أو قرنته كتب القواعد في التركيب لأن ذلك يخرج عن حد التعليق إلى الشرح المبسط الذي يكون قراء هذه الكتب غالباً في غنى عنه .

ولقد صدر الناشر الكتاب بمقدمة ومدخل بقعان في أكثر من ٣٠ صفحة تحدث فيها عن الكتاب ومؤلفه وفكرة نشره والطريقة التي اتبعها في تحقيقه ، وألم الإماماً طبيباً بتاريخ الشعر الأندلسي أو قل المغربي والكتب المصادر التي يرجع إليها فيه ، وهكذا لم يقدم الكتاب غفلاً من التعريف بل لم يترك شاذة ولا فاذة مما يتعلق بالموضوع إلا أحاط بها أو أشار إليها .

وإني لا أكتن شعوري في إعجابي بحمله وتقديره لجهوده ، وقد كنت أعتقد أن هذه الكتب المغربية قلما يتمكن من خدمتها غير مغربي - والآن يقرب أبناء العروبة بعضهم من بعض ويعودون كما كانوا أسرة واحدة فلا يجهل المغربي أحوال أخيه المشرقي ولا يخفى عن المشرقي أمر من أمور أخيه المغربي ولا سيما اذا كان الأمر متعلقاً بهذا التراث الأدبي الضخم الذي يعد مفخرة للجميع والذي يجب أن تتضافر جهود الجميع على إبرازه من العدم إلى الوجود وتجليته للناس على منصة الفخار .

وبرغم أن تحقيق الكتاب وضبطه قد بلغا الغاية الممكنة من التحري والاعتناء فإن هناك هتوات لا يسلم من مثلها كتاب وهتوات لا يخلو من نظيرها كتاب وإني لما أنشده من التعاون على نفص الغبار عن آثار أسلافنا الكرام وعرض إنتاجهم الخصب بالمظهر اللائق به من التحرير والاتقان أحب أن أنبه عليها وأرجو أن تقع من حضرة الدكتور موضعها حتى إذا نشر (المغرب) في طبعة ثانية قريباً إن شاء الله أخذ بها أو بما كان منها صواباً إذا أبرئ نفسي من الخطأ أيضاً .

فإن ذلك أنه في أول الصفحة ٢٩ من المقدمة وقع اسم ابن زاكور بالذال المعجمة بدل الزاي وهو خطأ مطبعي في الغالب لأن اسم هذا الأديب قد جاء في أثناء الكتاب<sup>(١)</sup> على الوجه الصحيح ولكن بما أن القارئ قد يشبهه عليه الأمر ولا يدري أيهما الصواب وجب التنبيه عليه هنا .

وكذلك ابن الشعر ضبط في ص ٤٧ بفتح الشين وكسر الميم على وزن كئف وفي ص ٥٠ ترك بغير ضبط ولما جاءت ترجمته في ص ١٢٤ - ١٢٧ ضبط بسكون الميم وقد تكرر اسمه في الترجمة وضبطه كذلك وأظن هذا هو الصواب فيه فكان الأولى ضبطه من أدل وهلة بهذا الضبط .

وفي ص ٥٨ يقول المؤلف وهو بترجم لبعض الزهاد : ( وكان أكثر دهره مفكراً وجهه على ركبته ثم يرفع رأسه فيقول : أي وحله ؟ ) وقد علق الناشر الفاضل على هذه الكلمة بقوله - هكذا في الأصل - وهي عبارة تقتضي التخطئة أو التوقف . وأرى أن العبارة منسجمة مع حال الرجل التي وصفها المؤلف فهو يفكر في الحياة والمصير ويطرق ويطيل التفكير وحين يرفع رأسه يقول : أي وحله : بفتح الهمزة وتشديد الياء يعني أي ورطة هذه التي وقع فيها الانسان أو بكسر الهمزة وسكون الياء بمعنى نعم أي أجل ! هي ورطة ! والمعنى على القسم وإن لم يذكر في اللفظ . وعلى كل حال فوحلة اسم للمرة من

وحل مجل اذا وقع في الوحل وهو الطين ويتوسع في معناه فبستعار للوقوع في  
الورطات التي لا مخلص منها .

وفي صفحة ٧٦ وردت هذه الأبيات في مליح مسرح من حبس :

صفح السرار عن القمر وبدا وقد كان استتر  
كتب السرور لناظري لما رآه قد ظهر  
هذا أمان للجفون من المدامع والسهير

وقد شككت كلها على الوجه الصواب إلا كلمة السرور فانها جاءت منصوبة وحقها  
الرفع لأنها فاعل كتب ويحق وضع نقطتين بعد لفظ ظهر في آخر البيت الثاني  
لأن ما بعده هو المكتوب فيدل على ذلك بالنقطتين المذكورتين على ما اصطلاح  
عليه أهل الاملاء الحديث .

وفي ص ٨١ ثلاثة أبيات أرلها :

ولرب حان قد أدرت بديره خمر الصبا مزجت بصفو خجوره

وقد علق الناشر الفاضل على لفظة حان بما يلي :

« حان : خمار أو الحانة نفسها . وفي الذخيرة : خان بالخاء ولا معنى لها »

ويظهر لنا أن ما في الذخيرة هو الصواب لأن المراد بالخان النزل والفندق وهو  
قد يكون له دير فيه رهبان وفيه خمر فأوى إليه الشاعر على عادتهم وأما الخان  
فما عهد أن يكون فيه دير ولبس ذلك من شأنه .

وفي صفحة ٨٤ وقع هذا البيت :

كأن هامته والريح يحملها غراب بين على بان النقا نمقا

هكذا جاءت كلمة الريح بالراء والياء والجييم ولا معنى لها . وظاهر أن البيت  
في وصف رأس مقطوع محمول على ربح والرح يسمى الزج بضم الزاي وتشديد  
الجييم فصواب البيت حينئذ أن يقال : كأن هامته والزج يحملها . . . .



وفي صفحة ٨٩ فصل في ذمّ مؤاخ . وقد جاء فيه : « ييض الأنوق من رِفده أمكن » وضبط لفظ لأنوق بفتح الهززة وسكون النون وضم الواو وهو الأنوق بضم النون وسكون الواو للعقاب الطائر المعروف ويضرب به المثل في الهزّة فيقال هو أعز من ييض الأنوق لأن العقاب تضع ييضها في شواهد الجبال فلا يوجد إليه سبيل :

وفي ص ٩١ جاء هذا البيت :

بددت زيج الصبا لؤلؤه فانبرى بوقد عنه سرجا

وضبط الصبا بالكسر وهو خطأ مطبعي لاشك فيه . لأن الصبا : الريح الشرقية . مفتوحة الصاد .

وفي صفحة ١٠٧ شعر في المحبتات منه :

هات التي ان قربت جرة فهي على الأحشاء كلاء

وقربت مبني للمفعول فجمرة يعني أن يكون منصوباً على الحال لا مرفوعاً كما وقع في الطبع . وقد جاء بعد هذا البيت :

وكلا عض بها لائم تبسمت عن ثغر حسناء

ولا يخفى أن لائم مصحفة عن لائم .

وفي الصفحة نفسها أورد المؤلف بيتين في قضيب آس وصل الى الشاعر من

محبوه . وثاني البيتين هو هذا :

أتى كاسمه آس لما بي من الجوى فحل السعد والمال واليمن

وقد كتب الناشر الفاضل على كلمة آس قوله : « هكذنا في الأصل » فان كان يعني أن حقها النصب أي أن يقول الشاعر أتى كاسمه آسيا فذاك . وإلا فلا موجب لهذا التعليق . على أن النصب في الكلمة ليس ضربة لازب إذ لا يمتنع توجيه رفعه بحسب القواعد . وقد يقال انه باق على نصبه وأجرى الوصل مجرى الوقف .

وفي ص ١١٦ قطعة شعرية منها هذا البيت :

أوما ترى أوتارها قصد القنا وحيالهن ذوائب الفرسان

وهو يصف خيام قوم محاربين . وقد وقع ضبط كلمة قصد بفتح فسكون .  
ويظهر لي أن الصواب كسر الصاد مع فتح القاف فإنه يقال رمح قصد بوزن  
كتف وقصيد بمعنى منكسر وعلى هذا يفسر البيت .

وفي ص ١٢٢ فقرة نصها : « زففتها بنت ليلتها عذراء . وجلوتها عليك  
كريمة فكرها حسناء » وعلق على فكرها بقوله : في هامش الذخيرة : « فكرتها »  
وأباً كان فان كريمة مضافة الى ما بعدها وقد جاءت في الطبع منونة وهو ولا شك  
خطأ مطبعي .

وفي ص ١٣٣ وردت هذه العبارة : « وفي ابن حفص المتقدم الذكر يقول »  
وصوابها : « وفي أبي حفص » على ما تعطيه الإشارة الى المذكور قبلها .  
وفي ص ١٤٣ ورد هذا البيت :

ولادة قد صرت ولاده من دون بل فضح الكاتم

وقد ضبطت ولادة في أوله بضمة واحدة وحقها التنوين محافظة على الوزن وان  
خولفت قاعدة نداء المفرد العلم . وقد ورد مثله منوناً في شواهد العربية كما هو معلوم .  
وفي ص ١٤٥ وقعت هذه العبارة في وصف قاض : « وكان يدخل المسجد  
وعليه رداء معصر وحذاء صرار » وضبط صرار بكسر الصاد وفتح الراء مع  
التخفيف وأظن أن صوابها فتح الصاد وتشديد الراء بصيغة المبالغة .

وفي ص ١٥٣ وردت هذه العبارة والكلام على أحد القضاة : « ومدار فتياء  
على بقي وعبيد الله بن يحيى » وقد ضبط اسم بقي بشدة على الياء وفوقها فتحة  
ولا يخفى أن الصواب في ضبطه الكسر والتنوين مع التشديد ان كان أصله  
الصفة والفتح فقط بدون تشديد إن كان أصله الفعل .

وفي ص ١٥٩ وهي خاصة بترجمة القاضي أبي الوليد يونس بن عبد الله بن الصفار من بني مغيث مانصه : « واستخلف على القضاء ابنه مقيث بن محمد » ولا يصح هذا وقد علم أن امم والده يونس فيجب التحقق منه .

وفي ص ١٦٢ في ذكر أحد القضاة : « وهو مقيم على حاله الى وقت املاء هذا الكتاب وقد نيف على الثمانين . حسن البقية » وضبط حسن بضم الحاء وسكون السين ولعل الصواب فتح الحاء والسين معاً .

وفي ص ١٦٨ زجل لابن قزمان منه هذا الشطر : « قد حط فيه السيف حطاً لا يفهم » بالحاء المهجلة في الفعل والمصدر ولا يخفى أن المقام للحاء لا للحاء لأن المراد تشبيه أثر السيف بالكتابة وهي الخط . وبدون ريب هذا خطأ مطبعي . وفي الصفحة التي تليها في زجل آخر للمذكور هذا البيت :

والرياض تلبس غلالاً من نبات فحل زمرد

وضبط لفظ فحل بفتح الفاء وسكون الحاء ولا معنى للفحل هنا وإنما المراد أن النبات ( في حال ) الزمرد يشبه به في حسن خضرتيه وجمال نضرتيه فضبط فحل بسكون الفاء وفتح الحاء . ولا زال هذا اللفظ مستعملاً عندنا في العامي بهذا المعنى فهو من قبيل النحت في الفصيح .

وفي ص ١٧٠ بيت من زجل له أيضاً هو هذا :

ونجوم السعد تطلع ونوار اليمين تفتح

وضبط تفتح بفتح التاء الثانية مع التحفيف وأرى تشديدها فيكون بصيغة الماضي لأن النوار مذكور في العامي والفصيح فاذا لم تشدد التاء الثانية وجب رد تفتح الى يفتح .

وفي ص ١٨٣ ورد هذا البيت لعبد الله بن الناصر .

أناك تعبيري ولما يحل مني على أضغاث أحلام

وكان شاعر أهدى اليه باسميتاً ايض وأصغر مع شعر يقول فيه :

من ياسمين كالنجوم تبرجت أيضاً وصغراً • والسماح يهبر  
فكان تعبير هذا الأمير ان اجازه بدرام ودنانير ولم يحل على أضفان الأحلام •  
فيحل حينئذ بضم الياء وكسر الحاء من أحال الرباعي الذي مصدره الاحالة  
والامم منه الحوالة لامن حال يحول كما ضبطه الناشر الفاضل •  
وفي ص ٢٠١ لغز في البيضة وهو هذا :

وجائمة لها ابن مستطار يفارق جسمه عند افتراق  
ولم أر قبله من ذي نعيم يحرق جسمه والروح باق  
إذا صاحبه لم يبد شخصاً ولا يخني عليك لدى التلاقي

ويظهر لي أن صواب عجز البيت الأول : « يفارق جسمه عند احتراق » .  
فالفاء واقمة مكان حاء والا فتعبير « يفارق جسمه عند افتراق » لا طائل تحته  
والتصويب وان كان يؤدي الى هذا المعنى أيضاً فان فيه تنقياً في اللفظ مع  
موافقته للصورة التي تضمنها البيت الثاني بل ان هذا البيت لا بعدو أن يكون  
مفسراً للأول •

ثم ان يحرق في الكتاب وقع ضبطه بصيغة المبني للفاعل والصواب ضبطه  
بفتح الراء على المبني للمفعول • كما أن التلاقي كتبت بدون ياء والصواب اثباتها •  
وفي ص ٢٠٣ هذا البيت :

رجعت على رغم الوفاء الى الصبر كما صبر الظمان في البلد القفر

وقد ضبطت فيه كلمة صبر بكسر الباء والصواب فتحها وهو غلط مطبعي لاشك •  
وفي ص ٢٢١ وقع هذا البيت من قطعة :

هذا هو الليل البهيم بدا على القدر المنير

هكذا بوضع الميم من كلمة البهيم في حيز الشطر الأول وبضبطها بالسكون  
والصواب رفعها وجعلها في مبدأ الشطر الثاني ليستقيم البيت •  
وفي صفحة ٢٦٧ موشحة منها هذا السمط :

مثل حالي حقه أن يشتكي كمد اليأس وذلل الطمع

وقد وقع شكل يشتكي بفتح الياء وكسر الكاف والصواب ضم الياء  
 وفتح الكاف لتتسجم العروض مع نظائرها في السحوط الأخرى . وظننت أولاً  
 أنها غلطة مطبعية فاذا بي أرى كمد وذل في المعجز منصوبين وحقها الرفع .  
 وفي ص ٢٨١ زجل منه هذا الشطر :

وانا ذاب نحسوها ليل نهار

وقد ضبط فيه انا بكسر الهززة وتشديد النون وأثبتت ذا بلصقها وهي معجمة  
 وب مكسورة بازاء نحسوها ولعل الناشر الفاضل تصورها مثل هذه الباء المصرية  
 التي تدخل على الفعل المضارع في درج الكلام . والذي يظهر لي أن يضبط  
 انا بفتح الهززة والنون مخففاً على صورة ضمير المتكلم وحده وداب كلمة واحدة  
 بدال مهجلة وباء مفتوحة أصلها دأبا ثم خفت بتسهيل الهززة وحذف الألف  
 وكذلك نستعملها في اللفظ العامي والمراد على كل حال معناها الأقوى وهو الاستمرار  
 والعادة والشأن أي وأنا شأني وعادتي أو على الاستمرار نحسوها ليل نهار . ولا يعكز  
 علينا كون الفعل - نحسوها - مفتوحاً بنون المتكلم ومعه غيره لأنه كذلك  
 يستعمل في العامي حالة الافراد والجمع فيقال انا نكتب وانا تقرأ وهكذا .  
 ويصح كسر الباء من كلمة دأبي أي عادتي كما لا يخفى على الاستعمال الفصيح  
 فيكون التقدير وأنا دأبي أي عادتي نحسوها ، ولكن عدم همز الألف وحذف  
 الياء التي بعد الباء يرجح أن أصلها كان دأب بفتح الباء كما قلنا .

وفي ص ٢٨٣ زجل جاء فيه :

قاضي يعطي عطية الامرا

رد غرناط مكة الشعرا

وضبط رد بضم الراء وسكون الدال بدون تشديد ومكة بكسر التاء المربوطة  
 والصواب فتح الراء من رد وتشديد الدال على صيغة الماضي وفتح تاء مكة على  
 أنه مفعول رد الثاني أو تسكينها جريباً على الاصطلاح العامي ، للتخفيف .

وفي ص ٣٠٠ زجل يقول صاحبه فيه :

حبيب اياك تبعد عن عيني

فاني بمدك بولد حيتي

وقد ضبط فعل بولد بضم الباء وفتح اللام وتركبت كلمة بمدك بدون ضبط وهي ان قرأتها بفتح الباء فكانت ظرفاً هنزل المعنى وتنفه وان قرأتها بضم الباء وهو الواجب كان بولد بضبطه المذكور لارتباط بنته وبينها . والصواب ضبطه بتشديد اللام على صيغة المبني للفاعل ويكون هو الخبر عن بمدك .

وفي ص ٣٠٥ بيتان في تفاعحة :

تفاعحة بت بها ليلتي أبئها سري والشكوى

أضهما معتنقا لائماً اذ كترت مرة من اهوى

وعلق الناشر الفاضل على اذ كرت بقوله : « في نفع الطيب اذا وهو تحريف » ولا تحريف فيه اذا قرئت اذ بسكون الدال وجمعت الألف من الفعل فهزمت وفتحت وسكن ذال الفعل وخففت كآفه فكان اذ كرت .

وفي ص ٣١٣ وقع هذا البيت من قطعة :

تبين فقد وضع المعلم وبان الأمر لو تفهم

وضبط فيه المعلم بضم الميم والصواب فتحها لأن المراد واحد المعالم وهي المعاهد وأمارات الطريق بخلاف المعلم المضحوم الميم فانه من أعلم الشيء جعل له علماً والثوب المعلم المخطط أو المطرز وذلك هو علمه .

وفي ص ٣٤٤ : « والقت بسقط الرأس جرائها » وضبط الناشر الفاضل كلمة

مسقط بفتح القاف ، والمفعل بالفتح للمكان من سقط صحيح قياساً ولكنهم

لم يذكروا مسقط الرأس إلا بالكسر فلعلم خصوه بذلك والسماع في هذا

الباب أولى كما هو معروف .

وفي ص ٣٤٩ : « وكان له فيها مقام محمود » بضم الميم من مقام وأظن أن الأولى فتحها لأن المراد بالمقام هنا المنزلة والمكانة لا الإقامة والنزول .  
 وفي ص ٣٥٥ : « الى أن انتهوا به منقطع أثره بقربة بلده » وعلق الناشر الفاضل على قوله بقربة بلده فقال : « وفي الذخيرة بتربة . وهو تحريف » .  
 وأظن أن الصواب هو ما في الذخيرة لأن بلده هي القربة فإضافة القربة اليها من إضافة الشيء الى نفسه بخلاف التربة فان فيها مغايرة وقد درجوا على استعمال التربة في هذا المعنى فلا موجب للإنكاره . قال الشاعر :

بلاد بها نيطت على تآمئي وأول أرض مس جلدي تراها

وفي ص ٣٦٥ : « وليس محمد قبل النضج بحران » وقد ضبط محمد بفتح الياء مبنياً للفاعل وعلق الناشر الفاضل على بحران بقوله « البحران الجائع » ولا يخفى ما فيه . وهذا مثل ضربه صالح بن عبد القدوس في قصيدته النونية المشهورة إذ يقول :  
 فلا تكن عجلاً في الأمر تطلبه فليس محمد قبل النضج بحران  
 فيحمد بصيغة المبني للعائب والبحران من الاصطلاحات الطبيعية يراد بها ما يطرأ على البدن دفعة من التهييج حالة المرض . قال الشيخ داود الانطاكي في كتابه التذكرة<sup>(١)</sup> : - واحده ما وقع بعد النضج - وقال في كتابه « التزهة »<sup>(٢)</sup> :  
 والمراد بالنضج اعتدال الخلط فليعرف .

وفي ص ٤١٠ عند ذكر تقسيمات مملكة لشبونة وقع ضبط النسرين بفتح النون وكذلك في صفحة ٤١٧ والمعروف أنه بالكسر فلينظر .  
 وفي ص ٤١٣ : وقع هذا البيت :

عيرتني بسقام وضني ان هذين لزين العاشقين

بصيغة الخطاب للأثني أي بسكون الراء وكسر التاء من عيرتني وهو كذلك لا يترن فالصواب فتح الراء وسكون التاء . وربما كان هذا الخطأ من المطبعة .

(١) ص ٤٥ ، ج ني ، المطبعة الأزهرية بمصر .

(٢) اللزعة المبهجة . بهامش التذكرة ص ٤٦ ، ج ني .

وفي صفحة ٤١٨ : « ومن نثره في كتاب النسخة [ ما ] يدل على طبعته »  
وما هذه التي بين المعقفين من زيادة الناشر من ما يظهر ولا داعي لها وليقرأ  
يدل بالبناء للمفعول .

وفي الصفحة التالية لهذه شعر منه :

أما الرياض فأنهن عرائس لم يحتجبن حذار عين الكالي  
جاد الربيع لها بتقد مهورها دفعا ولم يبخل بوزن الكالي

وقد فسر الفاضل الكالي من البيت الأول بالمراتب وأصاب وفسره في البيت  
الثاني بقوله : « الكالي هنا كلا : مقلوب كال » فأبعد النجمة وإنما هو من كلا  
الدين إذا تأخر دفعه فهو كالي وكان الأصمعي لا يهزه .

ويكثر استعمال هذه الكلمة بين المؤثقين خصوصاً في عقود الزواج فيقولون  
في الصداق : حملته ما بين تقد وكالي كذا وكذا وذلك لأنه يستحب تأخير  
جزء من الصداق الى ما بعد الدخول على قول العلماء .

هذه هي جملة الملاحظات التي غنت لنا أثناء مطالعة الكتاب وأمكنتنا التنبيه  
عليها وبقيت ملاحظات آخر لم نتمكن من تحقيقها لأننا بحال هجرة وكتبنا ليست  
معنا . وأهم هذه الملاحظات ما كانت له علاقة بالتاريخ وتحقيق شخصية ما كهذا  
(الهيدورة) بالياء الموحدة المذكور في صفحة ١٧١ فقد وقع في وهمنا أنه ربما  
تصحف عن الهيدورة بالياء المثناة والهيدورة في العامية المغربية اسم لجلد الخروف  
الذي يتخذ للجلوس والشخص بما وصف به من شذوذ جنسي ربما كان لقبه هذا  
لقوة الشبه بينه وبين جلد الخروف في الاستعمال ولكننا الآن لانجزم بشيء  
في هذا الاسم لاسيما والأسماء لاتعل كما بقولون .

وتم من الملاحظات ما لم نره اهتماماً كبيراً وهو ما يتعلق بضبط الأزجال  
فإن كثيراً من هذا الضبط مخالف للنطق العامي في المغرب الذي يتشابه مع  
ما كان عليه في الأندلس ولكننا رأينا أن التعلق بذلك من التحقق الذي



لا فائدة فيه خصوصاً والناشر الفاضل اذا عدل عن الوجه العامي في ذلك فانه يقرب من الوجه الفصيح .

وختاماً لقد رأى القارئ العزيز أن هذه الملاحظات منها ما نشأ عن خطأ مطبعي ومنها ما كان سببه السهو فقط ومنها ما يتعلق بنطق جهوي خاص فجميعها ليس فيه غضاضة على الكتاب وتحقيقه . وانا قبلها وبعدها لتبدي إعجابنا بحضرة الدكتور ضيف الذي استطاع أن يخرج هذا الأثر النفيس بهذه العناية الكاملة التي قل من يضطلع بها من بين الناشرين المحققين وانا لنهنته من صميم الفؤاد على توفيقه ونجاحه .

عبد الله كنون



### كتاب نسب قريش

لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري

(١٥٦ — ٢٣٦ هـ)

عني بنشره لأول مرة وتصحيحه والتعليق عليه

٠١ ليثي بروفنسال

استاذ اللغة والحضارة العربية بالسوربون ومدير معهد الدروس الاسلامية بجامعة باريس ان هذا الكتاب الذي نشره المستشرق ليثي بروفنسال قد فقدت نسخته المخطوطة من الشرق الاسلامي مع أنه ألف في ربوعه ، ولولا حرص العلامة السيد عبد الحلي الكتاني على هذه المخطوطة اليتيمة لضاع من النسب علم كثير ، ولما أخرجت هذه الدرّة النفيسة من خزانة كتبه ، لينشرها هذا المستشرق الذي نشر من قبل كتاب « جهرة أنساب العرب » لابن حزم الذي ردّ على من زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر ، ولا حاجة بنا الى إثبات فضل علم النسب على العرب خاصة والعلم والأدب عامة ، وقد عدّ من علوم الأدب

التي لا يستغني عنها أديب عربيّ بارع ، والشعر العربي في الجاهلية والاسلام  
مفعم بأسماء القبائل والأعلام ، وكثيراً ما يتوقف فهم كثير من الشعر على  
معرفة قارئه بأنساب العرب ؛ وكان لقومنا العرب في الجاهلية مزيد عناية بحفظه  
وضبطه لأنه من أسباب التناصر والتفاخر ، وما حفظوا أنسابهم إلا ليتضافروا  
بها على أعدائهم ، لأن معرفة الأنساب مما يبعث على التعاطف والتآلف وصلة  
الأرحام التي حثّ عليها القرآن بقوله : «والذين يصلون ما أمر الله أن يوصل  
ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب» . قال أئمة التفسير : هي الرحم التي أمر الله  
بوصلها ، ويخشون ربهم في قطعها ، ويخافون سوء الحساب في المعاقبة عليها ،  
والأحاديث في ذلك كثيرة ، ويقول عمر بن الخطاب : «تعلموا أنسابكم  
ولا تكونوا كنبطيّ السواد إن سئل عن أصله قال من قرية كذا!» ، وقد  
بلغ من حرص قومنا العرب على العناية بالنسب أنهم كانوا ينسبون حتى الخليل  
والإبل والكلاب والحمّام .

وبعد المصعب الزبيري . وُلف هذا الكتاب من أوثق النسّابين الذين يجمعون  
بين النسب والمعرفة بأيام العرب ، حدّث في بغداد عن مالك بن أنس ، وإبراهيم  
ابن سعد ، وعبد العزيز بن أبي حاتم وغيرهم ، وكتب عنه يحيى بن معين  
وأبو خيثمة ، وروى عنه ابن أخيه الزبير بن بكار وأحمد بن أبي خيثمة وإبراهيم  
الحري ، وموسى بن هرون وعبد الله بن أحمد بن حنبل وأبو القاسم البغوي ،  
وذكر يحيى بن معين أن الزبيري أخذ النسب عن الواقدي وأنه ثقة ، وسمع  
سليمان بن الأشعث أحمد بن حنبل يقول : مصعب الزبيري مستثبت .

وفي هذا الكتاب من نصوص الشعر الصحيحة ما لا يوجد في غيره ، ومن  
الفوائد التاريخية ما يندر العثور عليها ، ويظهر أن المخطوطة مشوهة المحاسن  
بأغلاطها الناشئة عن مسخ النسخ ، فإنه على الرغم مما بذله الفاضلان أحمد محمد  
شاكر وعادل الغضبان من الجهود في مراجعة النص وتصحيحه لم يخل من أخطاء

الرواية واللغة والنحو والعروض فضلاً عن أغلاط مطبعية قلما نجما كتاب منها ،  
فن أخطاء الرواية قول جرير بن عبد الله ( ص ٧ ) حين نافر الفرافصة الكلابي  
الى الأقرع بن حابس :

يا أقرع بن حابس يا أقرعُ إن يُصرع اليوم أخوك تصرعُ

والرواية المشهودة ، والموافقة لقواعد النحو هي :

يا أقرع بن حابس يا أقرعُ إنك إن يُصرعُ أخوك تصرعُ

لأن جملة تصرع خبر ( إن ) ، وعلى رواية كتاب النسب يجب كسر عين  
الروي لأنها جواب الشرط .

وعجز بيت الحاشية ( ص ٤٣ ) الأول : « والعلم قد بلى لدى السائل » ،  
ولعل صوابه قد ( بلى ) ورواية قول الوليد بن عقبة ( ص ١٤٠ )  
و ( ص ١٢١ ) :

قطعت الدهر كالسوم المعنى تهذر في دمشق وما تريم

هي : ( كالسدم ) بكسر الدال أي المهوم النادم ، لأن السدم كالندم لفظاً  
ومعنى ، ولكنه ندم مقرون بالهم ، وقلما يفرد السدم من الندم ، وقيل السدم  
المتغير العقل من الغم ؛ وأما السوم وزان القوم فهو عرض السلعة على البيع  
كالمساومة ، والرواية الصحيحة ، هي رواية اللسان ، وصحة المعنى على السدم ؛  
ثم يقول الوليد بعده :

: يمتيك الخليفة كل ركب لأنضاء العراق بهم رسم

ورواية اللسان :

يهنيك الإمارة كل ركب من الآفاق سيرهم الرسم

ويروي أيضاً : ( لأنضاء العراق بهم رسم ) ، فما هي الرواية الصحيحة ؟

ثم يقول الوليد :

فانك والكتاب الى علي كدابقة ، وقد حلم الأديم

والصواب ، وهي رواية اللسان وغيره : ( والكتاب ) بفتح الباء للعطف ؛  
 و صواب العجز : ( كدابة وقد حَلِمَ الأديم ) : ( دابئة ) بالعين لا بالقاف ،  
 و ( حَلِمَ ) بكسر اللام لاضمها ، وقد جاء في اللسان مادة ( حلم ) مانصه :  
 والحلم بالتحريك أن يفسد الإهاب في العمل ويقع فيه دود فينتقب ، تقول  
 منه حلم بالكسر .

من أبيات يمحض فيها معاوية على قتال علي عليه السلام ، ويقول له : أنت  
 تسعى في إصلاح أمرٍ قد تمَّ فساده كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلم الذي  
 وقمت فيه الحَلَمَة فنقبتَه وأفسدته فلا ينتفع به اهـ . وعلى قول صاحب اللسان  
 تكون ( كدابة ) مصحفة ، بدل على تصحيفها : ( وقد حلم الأديم ) .

وفي الصفحة ( ٦/٢٠٨ ) يعود ضمير ( وقال ) الى ورقة بن نوفل ، ويعزى  
 هذا الشعر أيضاً الى أمية بن أبي الصلت كما عزاه اللسان : وعجز البيت الرابع :  
 ( وقبل صبغه الجودي والجد ) يروي : ( وقبلنا صبغ الجودي والجد ) .

وجاء في الصفحة ( ٢/٣٠٢ ) لسان بن ثابت يميّر الحارث بن هشام بالفرار :  
 ترك الأحبة لم يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولجام  
 و صواب الرواية على مافي ديوان حسان ( ٠٠٠ أن يقاتل ) ، وكذلك رواية الحماسة .  
 وبعد هذا البيت يمتذر الحارث بن هشام ، وحدث الأصمعي أنه لم يسمع  
 بأحسن من اعتذاره ذلك من فراره ، وهو :

القوم أعلم ما تركت قتالهم حتى رموا فرسي بأشقر مزبد  
 و صواب الرواية على مافي الحماسة ( الله يعلم ٠٠٠ ) ، والتعبير الشعري بذلك أقوى .  
 وعجز البيت الثاني : ( أقتل ولا ينكي عدوي مشهدي ) ، و صواب الرواية على  
 مافي الحماسة : ( أقتل ولا يضرر عدوي مشهدي ) ، وجاء البيت الثالث بعده :  
 فصدرت عنهم ، والأحبة فيهم طبعاً لم يعقاب يوم مفسد  
 وبيت الحماسة أصح وأفصح ، وعجبت كيف لم يرجع اليها ، وهذا البيت هو :

فصدت عنهم ، والأحبة فيهم طمعاً لم يعقاب يوم مُرصد  
وهناك رواية أخرى وهي ( ٠٠٠ يوم سرمد ) : أي يوم طويل يمتد بلاؤه ،  
قال التبريزي : وأيام الغم والحنة توصف بالطول ؛ وكان ينبغي أن يشار في  
الحاشية الى هذه الروايات ، والنشر العلمي الصحيح يقتضي مثل ذلك .  
وجاء في ( ٣/٣١٣ ) البيت الأول معزواً للحارث بن هشام ، وهو الصواب ،  
وإن عزاه الزمخشري في أساسه لعمر بن أبي ربيعة ، ويقول الحارث في الصفحة  
عينها ( س ١١ ) لعبد الملك بن مروان : ( ٠٠٠ بكفة بك بؤسى أو لديك  
نعيمها ) ، ولعل الصواب ( بؤسي ) بكسر السين .

وجاء في الحاشية ( ٢ ) من هذه الصفحة : مغرورق مأخوذ من اغروراق  
العين بالدموع ، والعربي لا يقوى على النطق بغير ( اغريراق ) ، والتعليل  
الصرفي معروف .

وجاء في الصفحة ( ٣٦٥ ) : « وأبى آخرين بيتر قوم » والصواب : ( بيتر ٠٠٠ )  
بكسر الباء .

وأما أخطاء اللغة فمنها ما جاء في ( ٩/٢٤ ) : « فهذه أشر كلمة فحش سمعتها  
منه قط » على اللغة الرديئة ، ولعل الأصل كان : « فهذه شر كلمة ٠٠٠ »  
لأن الحسن كان من أفصح الناس ، فقد جاء في لسان العرب : ( وهو شر منك ،  
ولا يقال أشر حذفوه لكثرة استعمالهم إياه ، وقد حكاه بعضهم ) . وقال الجوهري :  
( ولا يقال أشر الناس إلا في لغة رديئة ) .

وجاء في ( ٧/٢٨ ) : « وأما جورية ٠٠٠ » والصواب ( جورية ) بالتخفيف  
لأنه تصغير جاربة .

وجاء في ( ٥/٥٩ ) قول الحسين بن علي في الرباب وسكينة :  
لعمرك إنني لأحب داراً تُضَيِّفُهَا سَكِينَةُ وَالرَّبَابُ  
والصواب على المعنى : ( تُضَيِّفُهَا ) أي نزل بها ضيفاً سكينة والرباب : تقول .

لسان العرب (تضيقة نزلت به ضعفاً ، ويؤنس بهذا رواية هذا البيت في  
مقاتل الطالبين) ص ٩٠ : « تكون بها مسكينة والرباب » .

وجاء في (١١/٩٠) قول الفضل بن العباس بن عتبة الشاعر :

من يساجلني يساجل ماجداً يملأ اللو الى عقد الكرب

هكذا بضم كاف (الكرب) ، والصواب بثقتها ، كما في اللسان ، وقال ابن سيده :  
« الكرب جبل يشد على عراقي اللو ، ثم يثنى ثم يثلك والجمع أكراب »  
ومعنى البيت على ذلك واضح ، والشواهد عليه حجة .

وجاء في (١٠/١١٨) قول العرجي وهو في السجن :

يا ليت سلمى رأتنا لا قراع بنا لما هبطنا جميعاً أبطح السوق

بضم قاف (قراع) ، ولعل الصواب بكسرها ، لأن القراع والمقارعة المضاربة  
بالسيوف ، وعليه قول النابغة : (هين فلول من قراع الكتاب) ، ويكون  
المعنى : رأتنا ونحن لا قراع بنا أي لا تقوى في السجن على المجاهدة بالسيوف ،

ومع ذلك نبتسم لشذائد السجن ، ويقوي هذا المعنى قوله بعد ذلك :

وكشرتنا وكبول القين تنكبتنا كالأسد تكشعن أنيابها الروق

فإن الكشر بمعنى التبسم والافتتار .

وجاء في (٣/١٢٩) قول عبد الله بن همام السلولي في معاوية بن يزيد :

فإن دنياكم بكم اطمأنت فأؤولوا أهلها خلقاً سديدا

والصواب : (فأؤولوا) ، يقال : أدليت فلاناً خيراً ، وأدليته معروفًا ، أو خلقاً

سديداً إذا أسديت ذلك إليه كما في اللسان ، وأعلمنا من أغلاط الطبع ؛ وليته

كان لها واسائر الأخطاء فهرس للتصويب .

وجاء في (٢٠/١٤٦) قول عبد الله بن الحجاج الثعلبي في أحيى بن خالد

ولم يحمد قراه :

كأني إذ نزلت على أحيى نزلت على مقوقية بيوض

والصواب (مقوية) ، لانكسار البيت بتشديد الياء ، ولأنها اسم فاعل للمؤنث ، قال ابن سيده : قَوَّتَ الدجاجةُ تُقَوِّي قِيَاءً وَقَوَّاةً صَوَّتَتْ عند البيض فهي (مقوية) .

وجاء في (٧/١٤٨) : «وهو الذي عمل السقاية بعمرة» بكسر الراء ، والصواب بفحها ، وهي كعرفات موقف الحجاج المعروف .  
وجاء في (٤/١٩٥) :

الواهب البسختُ خضعاً في أزميتها والبيض فوق تراقبها اللدائيرُ  
بفتح باء (اليجت) والصواب بضمها ، وهي الإبل الخراسانية تُنذَج من بين  
عربية وفالج ، وهو البعير ذو السنامين ، بُجْجِي والناقاة بُجْجِيَّة ، ويجمع على بُجْجِي  
وَبُجْجِيَّاتٍ ، وقيل الجمع بُجْجِيَّاتٍ غير مصروف .

وجاء في (٥/٢١٣) : «قتله الجندُر بن ذباد بن البلوي» والصواب بجذف  
(بن) الثانية<sup>(١)</sup> ، على ما جاء في تاج العروس (جذر) ، وعلى أسلوب النسب  
عند العرب .

وجاء في (٥/٢١٤) قول الجندُر البلوي هذا حين قتل العاصي أبا الجيتري  
يوم بدر :

أنا الذي أزعَمُ أصلي من بلي

أطعن بالحربة حتى تنثني

وصواب النطق العربي : (أزعَم) بضم العين ، و(الحربة) بفتح الحاء لا كسرهما .  
وجاء في (٤/٢١٧) قول طلحة بن عبد الرحمن بن الأسود يوم قتل  
اصهبانياً بارزه :

أولجته صعدةً موقعةً سببناها كاشهاب في الظلمة

وضعت من السنان في موضع المسئل بن الثرسوف والحلثة

(١) وُيراجم طبقات ابن سعد (٢/٣ ، ٩٨ - ٩٩) ، والاشتقاق (ص ٢٢٢) :

وصواب البيت الأول : (سنانها كالشهاب ٠٠٠) ، و (المسعل) في البيت الثاني بفتح الميم لا بكسرها ، ففي اللسان : « والمسعل موضع السعال من الحلق ، وليس فيه (مسعل) بكسر الميم لأنه آله ، والمعنى على الموضوع .  
وجاء في (٩/٢٣٤) عجز البيت لأبي دهب الجعفي : (جلد القوي رمث المريرة) بكسر ميم (مر) والصواب بضمها .

وجاء في (٩/٢٧٧) لعبد الله بن أبي بكر الصديق قوله في مطأقته المرتجعة :  
أراني وأهلي كالعجول تروحت إلى بوها قبل العشار الروائم  
بضم عين (العجول) فتصبح جمع عجل بكسر العين ولد البقرة ، والصواب أنها بفتح العين وهي من النساء والإبل - كما في اللسان وغيره - الواله التي فقدت ولدها الشكلي أعتابها في جيئتها وذهاها جزعاً قالت الخنساء :

فما عجول على بويّ تطيف به لها حنينات إعلان وإسرار  
وجاء في (٩/٣٢١) من الرجز : (فردّ بعض القوم لو تخلفاً) ، ولعل الصواب لاستقامة المعنى : « يودّ بعض القوم لو تخلفاً » ، ومن النسخ ما هو مسخ .  
وجاء في (١٣/٣٢٧) قول خالد بن المهاجر بلان بني أمية وهو من الاحذ المضر من الكامل :

صبّ الإله عليكم عُصَباً أبناء جيش الفتح أو بدر  
ولعل أصل التعبير الشعري في الصدر كان (صبّ الإله عليكم غضباً) على الجواز كما ورد في سورة الفجر : « فصب عليهم ربك سوط عذاب » ، وفي الأساس :  
وصبّ الله عليه صاعقة ، ومثلها : غضباً ؟

وجاء في الصفحة عينها والسطر ١٨ لخالد بن المهاجر في قتلى مكة بعد أن نصب يزيد الحرب لابن الزبير :

فإن يُقتلوا بها ، وإن كنت مُحَرِّمًا وجدك أشدُّد فوق رأمي عمامي  
بضم الميم وفتح الزاء من (محرّمًا) والصواب بكسر الزاء يقال أحرمتنا : أي دخلنا في الشهر الحرام أو البلد الحرام وهو كما قال الراعي :



قتلوا ابن عفان الخليفة مُحَرَّمًا ومضى فلم أر مثله مخذولا  
وجاء في (٦/٣٨٢) للنعمان بن عدي العدوي :  
إذا كنت ندماني فبالأكبر اسقي ولا نسقي بالأصغر المتثلم  
بفتح اللام المشددة من (المتثلم) والصواب بكسرهما لأنه على صيغة اسم الفاعل ،  
وبذلك ضبطه اللسان (جذا) .

وجاء في (١٧/٤٤٧) من قول مُشرِّج بن الحارث في عجز البيت الأول :  
(مروته) بتسهيل الهزمة ، والأفصح (مروته) كما في الاستيعاب (١/٣٢٩) .  
وأما ما عثرنا عليه من أخطاء النحو فقد جاء البيت الثالث من شعر أحمد بن  
أبي خيشمة (مقدمة ١٩) :

من بَلَقني يَلقَ مَرهونًا بَصَبوتَه مَثِيئًا لا يُفَكُّ الدهرُ قِيداءَ  
وقد رُفِعَ (الدهرُ) فاعلاً لِـ (بفك) ، فيجب أن يكون ما بعده مفعولاً  
(قيدبه) ، والصواب أن ينصب (الدهرَ) على الظرفية ، ويرفع (قيداء) على  
على أنه نائب فاعل لِـ (بفك) المبني للمجهول .

وجاء في (٨/٤١) قول سليمان بن قتية يرثي الحسين بن عليّ رحمه الله :  
ألم تر أن الأرض أصبحت مريضةً لفقد حسينٍ والبلادُ اقشعرتِ  
يرفع (البلادُ) والصواب نصبها عطفًا على الأرض في الصدر .

وجاء في (٩/١٧٩) عجز البيت الرابع من شعر يحيى بن الحكم بن أبي العاصي :  
كان على أنباجنا فلقُ الصخر) والصواب (فلق) بالنصب اسمًا لكأن .  
وجاء في (٦/٢٣٢) من قول زينب بنت العوام ترثي ابنتها عبد الله بن حكيم :  
وقد هدني قتل ابن عفان قبله وجادت عليه عبرتي بسُجُومِ  
و (ابن) مرفوعة ، والصواب (ابن) على أنه مضاف إليه .

وجاء في (٤/٢٣٣) من قول أبي دهيل الجهمي يرثي عثمان بن عبد الله بن حكيم :  
هو التاركُ المال النفيس حمية وللموتِ من بعد المعيشة أرواحُ  
والصواب (وللموت) بفتح اللام القسمية وضم التاء على أنه مبتدأ و (أرواح) الخبر :

وجاء في الصفحة عينها والسطر التاسع قول أبي دهب لعبد الله بن عثمان .  
قضت وطراً من أهل مكة ناقتي سوى أملي في الماجد بن حزام  
والصواب (حزام) مضافاً إليه .

وجاء في (١٠/٢٥٥) من قول قبيلة بنت النضر ترثي أباهما :  
مني إليه وعبرة مسفوحة جادت للمخها وأخرى تخنق  
والصواب (للمخها) .

وجاء في (١٧/٣١٧) قول ابن الزبيري بمدح بحيرآ بن أبي ربيعة ذي الرحمن :  
يحير بن ذي الرحمن قرب مجلسي يروح علينا فضله غير عاتم  
والصواب (غير) بالنصب على الحال .

وجاء في (١٣/٣٦٤) قول زيد بن عمرو بن نفيل :  
عدت بما عاذ به إبراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم  
والصواب (مستقبل) بالنصب على الحال أيضاً .

ومن أخطاء العروض ما جاء في (١١/١٥٥) في قول يزيد لأُم هاشم وقد  
تزوج عليهما :

مالك أم هاشم تبكين من قدر حل بكم تيضجين

وصحة الوزن على (تبكين) بتشديد الكاف ، وجاء البيت الخامس من هذا الرجز :  
(زارتك في يثرب في حواريتين) ، وهو مكسور صوابه العروضي على رواية  
الأغاني (٨٥/١٦) هو (٠٠٠ في حوارين) ، على أن الرواية الأولى أصح .

وجاء في (٧/٢١٦) قول عبد الرحمن بن عبد الله بن الأسود على المنقارب :

أمن أم طلحة طيف ألم ونحن بالأجزاء من ذي سلم

والصواب وصل همزة (الأجزاء) للوزن ، وجاء عجز البيت الثالث :  
هي الركن ركن النساء اذا خرجت مشهداً يستلم  
مكسوراً ويصح وزنه ، ولعله الأصل ، اذا قلنا : (خرجن الى مشهد يسلم) ،  
والله أعلم .

وجاء في الصفحة (٤/٢١٧) من المنسرح (سبئاًنيا كالشهاب في الظلمة) ، وهو من خطأ النسخ أو الطبع ، ويستقيم الوزن مع التصحيح (سبئانها ١٠٠) ، وجاء بعده :  
 يحني بكنني علي فلم تجوله بعد طعنتي كله  
 ولم تجبي التفعيلة الأولى من المنسرح على (مفاعيلن) مثل (تجوله) المضارع المجزوم بلم ، فالبيت مكسور على ذلك ومصحف .  
 وجاء في (٦/٢٣٠) رجز صافية بنت عبد المطلب في الزبير بن العوام وهو صبي : (من قال لي أني أبغضه فقد كذب) وهو مكسور بزيادة (اني) .  
 وجاء من الرمل المحذوف في (١٢/٢٤٠) قول مومى شهوات في حزمة ابن عبد الله بن الزبير :

حزمة المتباع بالمال الندى يرى في بيعه أن قد غبن  
 وصحة الوزن : (ويرى في ١٠٠) .

وجاء في (١٤/٣٠١) قول كعب بن الأشرف في الحارث بن هشام :  
 نبتت أن الحارث بن هشام في الناس بيني المكرمات ويجمع  
 وهو من الكامل ، والصدر مكسور لحجاء التفعيلة الثالثة منه على (فعلاتن) بدل متفاعلن .

ومن الأخطاء الشبيهة بالطبعية التي نذكرها حباً بكامل طبع مثل هذا السفر الجليل ماجاء في (٣/٩) : (بن عمير بن بن أسامة) ، منها (بن) زائدة ، وجاء في (١٤/٣١) : (ثم ولدت له مارية بنت شمعون بن ابراهيم) والصواب حذف (بن) لأن مارية القبطية ولدت للرسول ﷺ ابراهيم .

وجاء في (١٠/٣٠٢) : «أما كنا نستبدل دار بدار ١٠٠٠» والصواب داراً بدار ، وهنالك نقط طارت اثناء الطبع قلماً نجا منها كتاب ، ولو كان لهذا السفر فهرس للخطأ والصواب لدنا من الكمال ، والكمال مميز ، وهو مالا يدفع المنتصف عن الاعتراف بفضل الناشر واحسانه للعلم والأدب ، وخزان كتب العرب .

## سيرة الرسول

صور مقتبسة من القرآن الكريم ، وتحليلات ودراسات قرآنية  
مؤلفها : محمد عزة دروزة

امتازت هذه السيرة النبوية على غيرها من كتب السير القديمة والحديثة ،  
بكونها أخذت من آيات القرآن الكريم وسوره وفسرت بها ، وقد ألفها الأستاذ  
الجليل ( دروزة ) في جزأين ، يبلغ الأول منها ( ٣٣٠ ) صفحة ، والثاني  
( ٤٠٠ ) صفحة ، وركب كل جزء منها من ستة فصول ، ورتب كل فصل  
منها على عدة مباحث ، وقسم كل مبحث الى مسائل ( أو مقالات ) معدودة  
بالأرقام عدا تمهيدين في مقدمة الجزأين .

وهذه الفصول الاثنا عشر هي : التنويه بأخذ السيرة من القرآن ، شخصية  
الرسول عليه الصلاة والسلام ، العهد المكي ، مواقف العرب غير الكتابيين من  
الدعوة في هذا العهد ، مواقف العرب الكتابيين منها فيه ؛ العهد المدني ، سير  
انتشار الدعوة بين العرب في هذا العهد ، اليهود ومواقفهم فيه ، النصارى أيضاً ،  
المنافقون في عهد النبوة ، الجهاد في هذا العهد ، وختام هذه الفصول في  
التشريع القرآني .

وهذه مباحث الجزء الأول : ( فصل في شخصية النبي عليه السلام ) : عروبة  
النبي ﷺ ومكته وقرشيته ، شخصيته ونشأته وسيرته قبل البعثة ، أخلاقه  
وقضائمه ، حياة النبي الزوجية والبيتية ، صور اسلوبك المسلمين معه ، الوحي وأوليائه ؛  
( عهد السيرة النبوية المكي ) : دور الخطوات الأولى ، موقف زعماء مكة  
من النبي ، مشاهد وصور متنوعة بين النبي والزعماء ، مشاهد التجددي ، محنة  
الأذى والفتنة ومشاهدها ونتائجها ، الأزمات النفسية النبوية ، صور متنوعة  
للمسلمين في العهد المكي ، فصل في موقف العرب الكتابيين في العهد المكي .

وأما الجزء الثاني ففي عهد السيرة المدني ، وفي كل فصل من فصوله الستة مباحث أولها (فصل) في أدوار وسير انتشار الدعوة وفيه مباحث ، منها انتشار الدعوة في منطقة مكة وما وراءها ، وفي منطقة المدينة ، وصور متنوعة للمسلمين في العهد المدني ، وفي مباحث الفصل الثاني : اليهود ومواقفهم ودساتيمهم ، وفي مباحث الثالث : مواقف النصارى من الدعوة النبوية ، وحجاجهم فيها ، وما ورد في شأنهم وشأنها ، وفي فصل المنافقين مباحث في صفاتهم وأحوالهم ، ومواقفهم الكيدية والساخرة والتآمرية ، ومواقفهم من الجهاد ووقائعهم ، وفي الفصل الذي عقده في الجهاد مبحثان : (١) الدعوة الى الجهاد بالمال والنفوس ومواقف المسلمين منها . (٢) في وقائع الجهاد وسيرها ونتائجها .

وختم الفصول بالتشريع القرآني وصلته بالسيرة النبوية ، ومباحثه في أنواع التشريع ، فمنها التعبدية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والتشريع العائلي والآداب البيئية .

هذه كلمات في الأهميات من فصول الكتاب ومباحثه التي بلغت ( ٢٢٠ ) صفحة ، وهذه المباحث المهمة في التشريع الاسلامي هي من الفوائد الزوائد على ما كتب في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام . وطريقة المؤلف في سيرة الرسول أنه يكتب في صدر كل بحث - بالحرف الدقيق - عناوين ما اشتمل عليه البحث ، ومثاله من مقدمة المؤلف ما نصه : « الباعث على كتابة الكتاب ، إمكان كتابة فصوله في نطاق القرآن ، كتب السيرة القديمة ، كتب السيرة في العهود المتوسطة ، كتب السيرة الحديثة ، سداد وفائدة وطرافة السيرة في نطاق القرآن ، فصول الكتاب واتساقها ، اعتراف المؤلف بالهجز عن الاحاطة ، اعتذار عن كثرة الآيات وتبذير لها ، الروايات في الكتاب » ويأتي بعد هذه الكلمات الدقيقة البدء بمسائلها ، ويستشهد بكل ما ورد في الذكر الحكيم على كل مسألة أو دعوى أو مطلب ، لأنه الغرض من التأليف ، والباعث عليه ، ويعتد الآيات بالأرقام ، وبذكر اسم السورة معها .

وقد بذل المؤلف جهده أثنائه الله تعالى في استقصاء ما في القرآن الكريم من آيات مكية ومدنية ، متصلة بالسيرة النبوية ، وصفها في مجموعات متناسبة ، يقول هذا في معرض تعيين أدوار السيرة من القرآن . ويرى أن القرآن جميعه يمثل هذه السيرة ، وليس فيه آية الا وهي تشير الى دور أو موقف من أدوار ومواقف النبي ﷺ فيما بلغه عن ربه من وعد ووعيد ، وأمر ونهي ، وتعليم وتشريع ، وتأديب وأمثال وقصص ، ودعوة وجهاد ، وجدال وحجاج . . . الخ . . . ويمكن القول بأن سيرة الرسول بأجمعها هي التي تمثل القرآن أو تمثل أمره ، ولم يكن بكن جهاده وجداله وحججه إلا بعد نزول الأوامر الإلهية في ذلك ، وهكذا التعليم والتشريع ، والترغيب والترهيب ، وقد قالت أم المؤمنين عائشة في وصفه : « كان خلقه القرآن » فهو ﷺ يمثل في هديه القرآن الكريم أصدق تمثيل ، واذا عمل باجتهاده في أمر قبل نزول الوحي عليه جاء الوحي مصدقاً له ، أو معانفاً في ما كان خلاف الأولى .

والأسناذ (دروزة) لم يبغض كتب السيرة حقها ، بل ذكر محاسنها ومزاياها ، لكنه رأى فيها اختلاف الأقوال واضطراب الروايات ، فجاء بما لا يحتمل الجدل من كتاب « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » تنزيل من حكيم حميد » وكتب فصولاً خالية من الأسماء والأعلام والأرقام والتواريخ ، لتكون خطوطاً عامة - وهي الجوهر الباقي - أصدق وأوثق وأقوى من الوجهة المذكورة كما قال . واذا اختلفت الأقوال في ترتيب النزول ، وفي العهدين المكي والمدني ، رجّح بعضها على بعض بمرجحات قامت عنده ، كالزمان والمكان ، وسياق الآيات وسباقها ، واستعان بأسلوبها أيضاً .

وقد اعتذر عن كثرة ما أورده من الآيات في الموضوع الواحد ، بأن القرآن هو سند الكتاب (أي مصدره الوحيد) ولا حاجة الى الاعتذار عن الاكثار منها ، مادام يجيب عنها بأنها تحتوي بعض الفروق التي تحمل دلالات ومعاني فيها بعض التفاوت ، مما يكون في إثباته تقوية للدلالة أو المعنى المراد

تقريره . قال : « على أننا توخينا في هذا أيضاً ما توخيناه في الكتاب السابق أي عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة ، وقد طبع في دمشق الشام ) من تجديد الصلة بين القرآن وبين ناشئتنا - تلك الصلة التي تكاد تكون مبنوتة - لاسيما أن هذا الكتاب مجموعة دراسات وتحليلات قرآنية ، من شأنها أن تساعد الناشئة العزيزة على تذوق القرآن وفهم دلالته وملهاته ، وقراءته وظروف نزوله ومراميه المعاصرة والخالدة » .

أقول : هذا حق فنوجه الى هذا الكتاب النفيس أنظار الجامعة السورية ، بل الجامعات ومدارس التجهيز أيضاً ، في العالم العربي كله ، فقد كتب بلفظة العصر ، ورسمت فيه الآيات الكريمة على نحو ما في المصحف العثماني مشكولة شكلاً تاماً ، وفسرت بالظاهر المتبادر منها ، وخلصت مباحثه أحسن تلخيص ، وقد اجاب المؤلف عما يقوله في عيادنا هذا بعض الأجنب من أن اليهود في المدينة لم يعطوا حربتهم الدينية والاقتصادية ، بل أجابوا عنها ، وتجد جوابه السيد ( ج ٢ ص ١١٢ وما بعدها ) ، وقال في مباحث الجهاد بالنفس والمال : « وأطلق تعبير الجهاد على الجهاد البدني والمالي معاً ، بل قدم الثاني بالذكر في كل موضع ذكر فيه الاثنان تنهوهاً بخطورته » الخ . . . . قلت : إلا آية : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » التوبة الآية : ١١٠ فقد قدمت فيها الأنفس على الأموال .

هذا وليس من غرض الأستاذ أن يفسر الآيات القرآنية في الرسول العربي بكتب العهدين ، وإن وصف فيها كقوله تعالى « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدهونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » ( الآيات ١٥٧ و ١٥٨ من الاعراف ) وقد يدنا ذلك مفصلاً <sup>(١)</sup> .

وقد عد الأستاذ ( في ج ١ ص ٩٨ و ٩٩ ) : ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة ، وكلهم الموتى ) الآية ١١١ من الأنعام ، « ولو أن قرآننا سيرت به الجبال »

(١) مجلة المحم العلمي العربي ( م ٢٨ / ٤٠٤ - ٤١٩ ) .

( ٣١ من سورة الرعد ) من الأصاوب اللين خطاباً للمعتدلين ، ونرى أنهما خطاب قوي موجه للمصريين المستكبرين .

وكتب في ذيل ( ص ٤٦٥ ) عند قوله تعالى « وإن كان رجل بورث كلاله أو امرأة ، وله أخ أو أخت فلكل واحد منها السدس ، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث » : من أمهات متعددة وأب واحد ، وهو سبق قلم بلا شك ، وقد أجمعوا على أن المراد أولاد الأم ، أي الإخوة للأم الواحدة . وتخت هذه الكلمة بما أشار إليه المؤلف الكريم من كتب السير التي وضعت في عصور الانحطاط ، وما حشيت به من الضعاف والموضوعات ، حتى خرجت بها « من ضفة الكتاب التاريخي الى ضفة الكتاب التعبدية » وما استميد من قصص المولد الشريف التي تتلى في الحفلات لمقاصد تعبدية وتبركية <sup>(١)</sup> . أقول : للأستاذ المؤلف أن ينكر هذه المظاهر الالهية ، والآثار الواهية ، التي اعتاد الناس روايتها وسماعها في مثل هذه المواسم والمراسم ، وإن الأخبار التي تخالف العقل والنقل الصحيحين يخشى من ضررها في عقائد المتعلمين أضعاف ما يرجى من نفعها عند بعض العوام ، دع ما ورد فيها من الوعيد الشديد ، وإن في هذه القصص التي تتلى في المحافل الكبرى من غرائب النقول ما يصرف أذهان المستمعين عن حياة الرسول ( ﷺ ) إلى تصورات خيالية لا أثر لها في عالم الحس والحقيقة .

فجدير بالعلماء العاملين والحكام العادلين أن يجعلوا درس السيرة النبوية في هذه المجتمعات العامة ، شذرات من لبابها ، ملائمة لروح المجتمعين ، مغذية لعقولهم ، باعثة على حسن الاستماع والاتباع .  
وإننا لنشكر العلامة ( دروزة ) على هذا النوع الفريد من السيرة الذي أخرجها للناس ، ونسأله سبحانه له مزيد العناية وأن يبارك في عمره وعمله .

محمد بهجة البيطار



( ١ ) انظر الفصل الثاني الذي عقده في شخصية النبي ( ﷺ ) ( ص ٢٣ ) .



# آراء وأنباء

## انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في ٢٦ حزيران سنة ١٩٥٤ برئاسة الأستاذ الرئيس خليل مردم بك ستة أعضاء مراسلين وهم السادة :

- ١ - الدكتور قسطنطين زريق .
  - ٢ - الأستاذ قدري حافظ طوقان .
  - ٣ - الأستاذ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي .
  - ٤ - الدكتور كارل اشتولز .
  - ٥ - الدكتور يوسف شحنت .
  - ٦ - الدكتور رجب بلشير .
- لبنان .  
فلسطين .  
الجزائر .  
النمسا .  
هولاندة .  
فرنسا .

وقد صدرت بإقرار انتخابهم وتعيينهم ستة مراسلين جمهورية أرقامها من ١٨٨٤ الى ١٨٨٩ بتاريخ ١٤ ايلول سنة ١٩٥٤ .

— ٥٥٥ —

## مصطلحات على مصطلحات طبية

نشرت مجلة مجمع اللغة العربية في جزئها السابع مصطلحات في علم الأمراض وطلبت إبداء الرأي فيها وقد سألتني معالي رصيفنا العلامة الأمير مصطفى الشهابي أن أفوم بهذا العمل فلبيت الطلب وكتبت هذا المقال مبيّناً رأبي في بعض من تلك المصطلحات .

Abortion : إجهاض :

قلت جاء في المعاجم «أجهضت الناقة ألقى ولدّها وقت نبت وبره فهي مجبّض ، ، وإجْبِياض هي الناقة التي من عادتها إلقاء الولد لغير تمام» . وجاء فيها أيضاً «سقط الولد من بطن أمه خرج وأسقطت الأم ولدّها وضعت لغير تمام . يقين مما تقدم أن الاسقاط خاص بالنساء والاجهاض بالحيوانات وإذا جاز استعمال الاجهاض في المرأة توسعاً لشيوع هذه الحكمة كان علينا أن تقدم الاسقاط عليها فنقول في الترجمة (إسقاط ، إجهاض) .

Aciditiy : الحموضة :

قلت يجب حذف التعريف وهذا ما يقال في جميع المصطلحات المعروفة .

Acidosis : الحُمَاض :

قلت ان استعمال وزنُ فَعَالٍ للدلالة على حموضة الدم لا يفي بالمعنى المراد واشتقاق فعل جديد أفضل وهو تَحْمِضُضْنَ ومصدره تَحْمِضُضْنٌ وليستحق إضافة الى الدم ليستقيم المعنى فنقول «تَحْمِضُضْنُ الدم» (واذا لم نرغب في اشتقاق فعل جديد فنقل (احمضاض الدم) .

Acute artiritis : التهاب شرياني حاد :

والأصح التهاب الشريان الحاد .

الرثية الحادة : Acute arthritis

قلت هي التهاب المفصل الحاد والرثية ترجمة (روماتيزم) وليس كل التهاب مفصل رثية .

كَلَاءِ سَدَوِي حَاد : Acute interstitial nephritis

قلت ان وزن فُعَال من «كلي بكلي اذا أُصِبت كليته وآلمت» حسن لأن وزن فعال يدل على المرض غير أننا نفضل أن يحتفظ بهذه الكلمة للدلالة على ألم الكلمة (néphralgie) وان ترجم كلمة (nephritis) بالتهاب الكلية ولتعد الآن الى سدوي من السَدَاة أو السَدَاي ترجمة (chaîne) الفرنسية وهي خلاف اللُحْمَة (trame) ان هذا المصطلح لا يوافق معنى (interstice) ومعناه الفاصل أو الخلاء بين شبيئين والخِلَال أصح جاء في المعاجم «خلال الديار ما بين بيوتها» يستنتج مما تقدم أن الترجمة الفضلى هي «التهاب الكلية الخِلَالِي الحاد» .

برانية الأوعية : adventitia

قلت لا حاجة الى برانية ما زال الغِمْد يفيد المعنى جاء في المعاجم «غمد السيف أو غمده» لأنه غلافه» وما (الادفنتيس) سوى غلاف العروق .

بول زلالي : albuminuria

ان ترجمة البوهين بزلال خطأ فإلّا الزلال هو الماء العذب الصافي وأما الالبومين فهو آلاح أو بياض البيضة ثم ان بول هو ترجمة (urine) ونفضل استعمال الامم (بيلة) فنقول (بيلة آحية) .

القلاء : alkalosis

ان ما ذكرته في 'حماض يصح ذكره هنا فيفضل اشتقاق فعل جديد من القلي وهو شيء يتخذ من حريق الحامض (القاموس) فيقال في (alcaliniser)

قَلْوَنَ وفي (alcalinisation) قَلْوَنَةٌ وفي (alcalose) الفرنسية أو (alkalosis) الانكليزية «تَقَلْوَنُ الدَّم» ولا يخفى أن هذه الكلمات جميعها عربية الأصل .

amnion

السلى :

قلت ان اسلى ترجمة (delivre) أو (arriere faux) الفرنسية أو (secundines) الانكليزية وأما الامنيوس فهو الساياء كما أن الخولاء هي (poche des eaux) والصاءة هي (le liquide amniotique de la poche des eaux) والسُجْد هو (placenta) والمشيمة هي (chorion) والتشْحَط هو (le liquide amniotique) .

anaemia

انيمية ، فقر الدم :

قلت نحن في غنى عن التعريب فلنكتف بفقر الدم .

anastomosis of blood vassels

تفصم الأوعية الدموية :

قلت ان اشتقاق هذا المصدر من فم لا حاجة اليه لأن الفصم هو الفم والمفاغمة هي أن يقبل الشخصان كل منهما الآخر بأن يضع فمه على فم رفيقه وهذا ما يصنع في مفاغمة العروق أو الأمعاء فلنقل «مفاغمة العروق الدموية» .

Ankylostoma aneamia

انيمية الإنكستوما :

قلت ان فقر الدم خير من التعريب كما ذكر آنفاً والانكستوما هي اللقواء أو الملقنونة الفم ولا حاجة الى تعريب الكلمة .

Aorta

الأورطى ، الوتين :

قلت فليكتف بالوتين ، ومثلها في قوس الوتين التي تليها .

aorta valva

صمام الاورطى ، صمام الوتين :

قلت ان معنى كلمة (valva) اللاتينية (battant de porte) أي المصراع

جاء في المعاجم «مصراع الباب أحد غلقيه وهما مصراعان الى اليمين واليسار»  
وأما الصمام فهو السداد فقد جاء صمام القارورة سدادهما فنقل «مصراع الوتين» .  
روماتزم مفصلي :  
articular rheumatism

قلت هي رثية مفصلية كما ذكرت آنفاً .

رثية :  
arthritis

قلت هي التهاب المفصل .

bacteraemia

جرثومة الدم ، بكتيريا :

قلت ان استعمال مصدر من الفعل اللازم أصح لأن الدم يتجرثم بدخول  
الجراثيم فيه فنقل تجرثم الدم ولا حاجة الى التعريب .

bone trabecula

دويعات عظيمة :

قلت ان دويعمة تصغير داعمة موافقة للمعنى . والجائز ج . اجوزة وهو  
الخشبنة المعرضة بين الحائطين تفي بالمراد أيضاً وهي أخف لفظاً فنقل أجوزة  
العظم أو دويعاته .

metabolism calcium

متابولسم الكالسيوم :

قلت لا حاجة الى التعريب ، فان كلمة تصرف أو تطور تفي بالمعنى المراد  
من متابولسم .

Cancellous bone

عظم اسفنجي - المشاش :

قلت ان ترجمتها بعظم اسفنجي هو الصحيح وأما المشاش ج مشاشة فهي  
ترجمة (epiphyse) والمشاش وان تكن عظاماً اسفنجياً بيناتها فليست وحدها  
اسفنجية بل ان معظم العظام القصيرة هي اسفنجية أيضاً فنحذف كلمة المشاش  
وليكتف (بعظم اسفنجي) .

Caseous necrosis

تنكروز جبني - نخر جبني :

قلت ان الاكثفاء بنخر جبني أفضل .

Chlorosis : الخلوروز :

قلت ان معنى كلمة خلوروز المخضر وهو مرض يتقمع به لون الجلد فلنفسه الخضر من خضير الشيء خضراً صار أخضر وهذه اللفظة العربية الخفيفة تغني عن الكلمة الأعجمية الثقيلة ولتقل في (clorotique) الخضور أي ذو الخضرة أو اللون الأخضر (١) .

Cochlea : القوقعة :

قلت وهي الخلزون (limaçon) .

diabetic coma : سبات السكر :

قلت السبات هو النوم وقيل خفته وقيل ابتداؤه وأصله الراحة ومنه في القرآن الكريم «وجعلنا نومكم سباتا» و (coma) حالة تتصف بزوال الوظائف النفسانية وبقاء الدوران والتنفس فهي حالة نوم شديد، فسبات لا يصاح لترجمة (coma) . والتسبيخ والتسبيخ هو النوم الثقيل الشديد فلنقل (تسبيخ مسكري) ولبس سبات السكر .

diffus suppurative nephritis : التهاب كلوي تقيحي :

قلت ان كلمة (diffuse) لم تترجم كما ان المترجم عدل عن 'كلاء هنا الى التهاب السكية وهذا ما ذكرناه آنفاً فلنقل التهاب السكية المنتشر المتقيح .

dislocation : خلع :

قلت لا ينكر ان (dislocation) و (luxation) مترادفان وان كلمة خلع تصلح للدلالة على الأولى والثانية معاً غير أن أمامنا كلمتين أجنبيتين ويحسن بنا أن نضع لكل منهما كلمة خاصة بها وقد شاع إطلاق كلمة خلع على (luxation)

(١) والخلوروز في النبات هو البرقان والارقان وهو داء يصيبه كثرة الكلس (الجير) في التراب أو لفرط الرطوبة فيه ، فيصفر النبات ويسمى ميروقا ومأروقا (المخصص ، التاج ، اللسان ، معجم الألفاظ الزراعية) .

فلنطلق كلمة (فَسَخ) على (dislocation) جاء في المعاجم «فَسَخ العود» :  
أزاله عن موضعه وكذا المفصل عن موضعه وفسخ بده فك مفصلها من غير كسر» .  
التصلب المنتشر : disseminated sclerosis

قلت أما وقد ترجمنا كلمة (diffuse) :ينتشر فلنضع كلمة أخرى لـ  
(disséminé) فان اللغة العربية غنية بالترادفات ولنقل (تصلب منتشر) .  
تشنج حملي - اكلبسية : eclampsia

قلت ان الاكلبسية ليست خاصة بالحوامل بل ان الأطفال تعتر بهم اختلاجات  
لا يختلف مظهرها عن اكلبسية الحبل ويحسن بنا أن نختار كلمة للدلالة على هذا  
النوع من الاختلاجات التي تصيب الحوامل والأطفال على السواء وكلمة  
«إرجاج» توافق كل الموافقة المعنى المراد .

داء الفيل : elephantiasis

قلت ان تسمية هذا المرض بداء الفيل غير صحيحة فقد يتبادر منها الى الذهن  
انه داء يصيب الفيلة مع أن الأمر خلاف ذلك كما لا يخفى فهو مرض يصيب  
الانسان فيضخم طرفاه السفليان ضخامة شديدة حتى انهما يشبهان ساقى الفيل  
ولو ان هذه التسمية نصح لكان سبقنا اليها أطباء العرب الأقدمون فسماوا  
الكتلب مع انه داء يصيب الكتلب «داء الكتلب» تجريباً على خطة السلف  
اقترح زميلنا الأستاذ صلاح الدين مسعود الكواكبي تسمية هذا الداء  
بالـ «قَيْل» وقد وافقنا عليها وأثبتناها في مجملنا المائل للطبع .

التهاب الدماغ السباتي : encephalitis lethargica

قلت ان السبات هو النوم أو خفته أو ابتدائه كما ذكرت آنفاً ولا يصح  
في ترجمة (léthargie) وهي حالة موت ظاهر لشدها بل يحسن اختيار كلمة  
(نَوَام) فيقال (التهاب الدماغ النَوَامي) ولا يخفى أن من مترادفات مرض النوم  
الافريقي أو (النَوَام) باللغة الفرنسية (léthargie d'Afrique) .

ensiform cartilage رهاية الغضروف الخنجري :

قلت الغضروف الخنجري خطأ مطبعي وهي الخنجري نسبة الى الخنجر واذا شئنا ترجمة صحيحة لمعنى الكلمة الأعجمية قلنا «السيني» لأن الكلمة اللاتينية مركبة من «( ensis ) ومعناها السيف ومن ( forme ) ومعناها الشكل .

épigastric région المنطقة الشراسيفية :

قلت ان ترجمة ( region ) بناحية أو رجا أصح لأن المِنطقة أو المِنطق لا تفيد معنى الناحية ثم ان النسبة الى المفرد أفضل فلينسب الى شرسوف ولبس الى شراسيف ولنقل ( الناحية الشرسوفية ) .

fat necrosis نكروز دهني :

قلت نخر دهني كما ذكرنا آنفاً فلماذا التعريب .

glycosuria بول سكري :

قلت الصحيح ييلة سكرية كما ذكر آنفاً .

goitre الجوتر

قلت هي السليعة جاء في المعاجم «السليعة الضوأة وهي كالغدة في البدن وقيل خراج في العنق أو غدة فيه أو زيادة في البدن كالغدة تمور بين الجلد واللحم اذا ضغطت وتكون من قدر حمصة الى بطيخة تقول ما هذه سلعة انما هي سلعة أي غدة دائسة» .

gonorrhoeal arthritis رثية سيلانية :

قلت هي التهاب المفصل السيلاني كما ذكر آنفاً .

haemangioma ورم وعائي دموي :

قلت ان ( angiome ) أي الورم الوعائي و ( hémangiome ) كلمتان مترادفتان باللغة الفرنسية ويصح إطلاق الورم الوعائي على كل منها . ولا يخفى أن لهذا الورم نوعين يمتاز أحدهما عن الآخر ببنائه فالأول بسيط



(angiome simple) والثاني متكهف (caverneux) متصف بانتعاشه فيحسن بنا أن نسمي (angiome) بالورم الوعائي وأن نطلق على (hémangiome) الورم الوعائي المتكهف تمييزاً له من النوع الأول .

بول دموي : haematuria

قلت هي «يلة دموية» كما ذكر آتقاً .

ارتفاع ضغط الدم - التبيغ : high blood pressure

قلت باغ الدم وتبيغ نار وهاج فالتبيغ ترجمة (hyperémie) ويجب حذف هذه الكلمة والاكتفاء بارتفاع ضغط الدم .

السدفسة : hilum

قلت ان (hilum) اللاتينية أو (hile) الفرنسية هي نقرة صغيرة في البزرة يتم بها اتصال البزرة بأغشية الثمرة وهي في جسد الانسان مدخل الأوعية الدموية في كل عضو من أعضائه فلا يختلف معناها في النبات والانساف . والسدفسة لغةً «سترة تكون على الباب تقيه من المطر والخب» . ولا تفيد المعنى المراد من (hile) بيد أن التفسير هي الترجمة الصحيحة فقد جاء (النقير النكفة في ظهر النواة) .

استسقاء دماغي : hydrocephalus

قلت ان معنى الكلمة اليونانية (ماء ورأس) لاماء ودماغ فلنكن أمناء في الترجمة والنقل فضلاً عن أن الرأس هو المستسقي وليس الدماغ .

فرط الدرأقية : hyperthyroidism

قلت ان استعمال درأق للدلالة على حالة مرضية في الدرق جائز وحسن كما يقال 'قلاب في داء للقلب و'كباد في ألم الكبد . ويعني هذا الوزن الاطلاق ولا يفيد التخصيص فلفظة كباد مثلاً تعني ألم الكبد سواء أنجم هذا الألم عن خراج أو رمل أو سرطان أو غير ذلك واذا قلنا دراق تبادلرت الى ذهننا

الحالات المرضية التي تطرأ على الغدة الدرقيّة إجمالاً فإذا شئنا التخصيص وهو ضروري في كل علم وفي الطب بالخاصة كان علينا ألا نستعمل هذا الوزن مكتفين به والا اضطرب المعنى ثم ان زيادة الياء المصدرية لا تزيد المعنى ايضاً وتخصيصاً . ولست أظن أن طبيباً يستطيع أن يفهم من كلمة (درقية) أنها تعني الافراز الدرقي لكي يستنتج منها اذا تقدمتها كلمة (فرط) أو (نقص) أنها تعني فرط الافراز أو نقصه فعلياً أن نوضح المعنى المراد فنقول (فرط افراز الدرقي) في (hyperthyroidism) ونقص افراز الدرقي في (hypothyroidism) .  
الورم الكلوي : hypernephroma

قلت ان هذا الورم ليس كلويًا وترجمته بالورم الكلوي خطأ علي . فان الورم يقع في المخفظة فوق الكلية أو ماسميناه (الكظر) فالترجمة الصحيحة هي (ورم كظري) .

شلل الطفولة : Infantile paralysis

قلت ان شلل الطفولة ترجمة (paralysie de l'enfance) والطفولة لا تنسأل بل الطفل ويستقيم المعنى اذا قلنا (شلل طفلي) .

العدوى : Infection

قلت ان العدوى ترجمة (contagion) ويموز أن تترجم كلمة (Infection) بعدوى أيضاً في قولنا عدوى بالهواء (Infection par l'air) وعدوى بالآفة (Infection par les poussières) غير أن المراد عادة من كلمة (Infection) هو انسجام البدن بالجراثيم أو الديدانات التي تدخله واستعمال العدوى في هذه الحالة لا يوافق المعنى المراد فعلياً أن نستعمل كلمتين في ترجمة (Infection) للدلالة على معنيها (عدوى) أو (تخمج) فقد جاء «تخمج تخمجا فتر من مرض أو تعب فتر تخميج أو تخميج والأول أعرف .

الاذن الداخلة : Internal ear

وأظنها الداخلية أو الباطنة .

Intima : جوانية الأوعية :  
قلت هي البطانة .

Lepaemia : شحمية الدم :  
قلت والأفضل تَشَحُّمُنُ الدم .

Lobe of ear : شمعة الأذن :  
قلت ان الترجمة صحيحة ولكننا نفضل استعمال كلمة مرادفة لشمعة لثلاثا  
ببإدراك الى الدهن أنها شمعة حقيقية وكلمة ( حَجَّة ) هي المختارة .

Mastoid antrum : جيب الخشاء :  
قلت ان الجيب ترجمة ( poche ) أو ( pocket ) أو ( pouch ) الانكليزيتين  
ولا يصلح لترجمة ( antrum ) فجيب الأرض مدخلها وجيب القميص ونحوه  
طوقه والخ . بيد أن الغار هو الكلمة الموافقة فالغار الكهف وقيل كاليث في  
الجبيل وقيل ما ينحت في الجبل شبه المغارة فاذا اتسع قيل كهف .

Monoplégia : الشلل الطرفي :  
قلت هو شلل طرف ( أي طرف واحد ) .

Mummification necrosis : تنكروز مومي ، نخر مومي :  
قلت ان حذف تنكروز واجب كما ذكرنا آنفا ثم إن المومي أو الموما والمومة  
هي المغارة الواسعة المساء وقيل الفلاة التي لا ماء بها ولا أنيس وأما اذا أردنا  
النسبة الى موميا فنقول موميائي أو موميادي دفعا للالتباس هذا اذا لم نستعمل  
كلمة تخنيط العربية مكان الموميا اليونانية .

Néphrosis : الفساد الكلوي :  
قلت ليس ( النفروز ) فساداً في الكلية بل داءٌ منصفاً بأفات استعماله في  
نسيجها بدون حالة النهائية فيه وترجمتها الصحيحة « حوول كلوي » .

Neurone : عَصَبَة  
قلت ان عصبه هي واحدة العصب فهي ترجمة ( Nerf ) وأما ( النورون )  
فهي عنصر عصبي ، مؤلف من خلية عصبية واستطالات متصلة باستطالات الخلايا

العصبية الأخرى . فليست الثورون والحالة هذه عصباً عادياً بل مجموعة مؤلفة من استطالات أعصاب عديدة وقد سميناها (جامعة عصبية) .

تبادل التوكسين : neutralisation of toxin

قلت هو التعديل من عدل وليس التعادل من عادل لأن المقصود هو جعل التوكسين متعادلاً وأما التوكسين فليست أرى ضرورة الى تعريبها فان الديقان أو السمّين يفيد معناها فنقل « تعديل الديقان » .

وعاء غذائي : neutrient vessel

وصحيفه وعاء غذائي أو مغذٍ .

تكيس الكلوة القيحي : pyonephrosis

وهو بالأحرى « استسقاء الكلية المتقيح » .

الكساح : rickets

ليس (الريكاتز) كساحاً فالكساحة هي الزمانة في اليدين والرجلين وأكثر ما يستعمل في الرجلين وهي الترجمة الفضلى لـ (paraplégie) وأما الراخينس فهو الخرع فقد جاء « خرع الرجل لانت مفاصله واسترخى » وتخرج : استرخى وضعف ولان » . ففي هذا الفعل ما يدل على الاسترخاء والضعف والليان كما يحدث للمخروع .

الاسقربوط : scurvy

قلت لماذا التعريب جاء في مادة حفر حَفَرَ فهُ حَفَرًا وحَفِيرًا بالبناء للمجهول ، فسدت أصول أسنانه من الحَفَر وهو سلاق في أصولها « فالحَفَر » حسن في ترجمة الاسقربوط وقد سبقنا الأتراك الى تسميته « بداء الحَفَر » . ونحن نفضل الحَفَر لكونه كلمة واحدة .

عقدة سمبتاوية : sympathetic ganglion

قلت هي عقدة ودبة ولا حاجة الى التعريب فاللفظة العربية ألطف على السمع من الأجنبية .  
الركنور مرشتر خاطر

## ملاحظات على ديوان علي بن الجهم المطبوع

١ - جاء في «ص ٤» من المقدمة أن أبا علي بن الجهم الأكبر هو محمد بن الجهم وكان عالماً أديباً يذكره الجاحظ كثيراً في كتبه ويروي عنه ويستشهد بكلامه وكان مقرباً عند المأمون ولأه عدة ولايات في بلاد فارس . وأحلمت في ذلك على الأغاني «١٣ : ١٥» طبعة سامي .

والذي نعلمه أن محمد بن الجهم الذي يذكره الجاحظ هو «محمد بن الجهم البرمكي» لا أخو علي بن الجهم ، أما أخوه وأعله «عبد الله» الذي ذكرتموه فلم يعرف اسمه الخطيب ، لأنه قال «ج ١٤ ص ٤٣٠» :

«أخو علي بن الجهم بن بدر السامي الشاعر ، لم أعرف من أمره إلا ما أنا ذاكره : أنشدنا الحسن بن عليّ الجوهري قال أنشدنا اسماعيل بن محمد بن زنجي الكاتب قال أنشدني أخو علي بن الجهم :

كريم له نفس تثير يلبثها ليرفع عن سلطانها سنن الكبير

إذا نازعته نفسه عظم قدره دعاه الى تسكينها عظم القدر» .

وكيف يصح أن يكون «محمد بن الجهم» أبا علي بن الجهم وهو فيلسوف مصحفه كتب أرسططاليس كما نقلت في «ص ٦» من المقدمة ، مع أن علي بن الجهم سلفي فنجبل مشهور الديانة ؟ ولا يكون مثل هذا بين أخوين نشأ في بيئة واحدة وبيت واحد إلا شاذاً .

على أن الخبر الطريف الذي نقلتموه في «ص ٨» و«ص ١٣٠» هل فيه تصريح بأن اسم أخى علي هو «محمد» ؟ (أ) والا فقد ذكرنا أن الخطيب ذكر له أحياناً شعراً لم يعرف اسمه ؟

(أ) نعم في الخبر تصريح بأن اسم أخى علي «محمد» ونريد هنا نقل الخبر كما ورد في ربيع الأبرار للزنجري ج ٤ ص ١٨٧ المخطوط المحفوظ في دار الكتب الظاهرية —

٢- لم تذكروا في مراجع نفي علي بن الجهم «بدائع البدائه» لابن ظافر الأزدي ، قال «ص ١٩١» :

ولم يكن بين اغتباط المتوكل بعلي هذا الاغتباط وبين نفيه إلا نحو سنة لأنه نفاه الى خراسان في سنة ثمان وثلاثين «(ب)» .

٣- جاء في ص ٤ س ١ :

لأسرع ما أدلتك الليالي وأخت عنك عائرة السّوام  
وفسرت «الادالة» بجمل الشيء متداولاً ، والصواب «أذالتك» أي جعلتك  
مذالة أي مهانة . قال الجوهرى «الاذالة : الاهانة يقال : أذال فرسه وعلامة  
وفي الحديث نهى عن اذالة الخيل . . .» .

وقال «وأدالتنا الله من عدوتنا : من الدولة والادالة : الغلبة يقال : اللهم  
ادلني على فلان وانصرني عليه» .

وقال الزمخشري في الأساس «وأذاله : أهانه . . . وأذال فرسه وعلامة :  
لم يحسن القيام عليها فهزلا وفسدا» . وقال : «أدال الله بني فلان من عدوهم :  
جعل الكرة لهم عليهم ، وعن الحجاج : ان الأرض ستبدال منا كما أدلنا منها»  
وفي مثل : «بُدال من البقاع كما بُدال من الرجال وأدبل المؤمنون على المشركين  
يوم بدر وأدبل المشركون على المسلمين يوم أحد» .

— وهو : (محمد بن الجهم : دعاني المأمون يوماً فقال : قد نبغ لك أخ يقول الشعر  
فأنشدني له ، فلم أذكر إلا قوله في الكتاب :

أوصيك خيراً به فان له سجيةً لا أزال أجدها  
يدل ضيبي عليّ في غمق الليل إذا النار نام موقدها  
فقال قد أحسن الموصي بالكتاب وأمر لي بما ل .

(ب) لازم علي بن الجهم الخليفة المتوكل منذ بوجع سنة ٢٣٢ الى أن غضب عليه وأمر  
بجسه سنة ٢٣٨ ثم أمر بنفيه سنة ٢٣٩ «الأغاني ١٠/٢٠٦ . الطبري ١١/٤٩٠  
ابن الأثير ٧/٢٣٣» .

خليل مردم بك

فالتفسير الذي ذكرتموه لا يحتمله قول الشاعر ، وتفسيره بالإذالة عموماً  
يضادُّ المعنى المراد ، فلذلك استرجحتُ « الإذالة » وقد نيتهم في « ص ١١ »  
على أن ناسخ الديوان كثيراً ما يهمل نقطة الذال .

٤ - وجاء في - ص ٦ - قول الشاعر :

أعاذل ما أعزك بي اذا ما أتاح الليل وحشي الكلام!

وقلمت في الحاشية « في الأصل : ما أعزك . . وما ذهبنا إليه أرجح وللشاعر نفسه  
مثل هذا التركيب . . . » .

وعندي أن الأصل هو الصحيح المليح ، وهو الذي يقتضيه المقام فإنه يتمتع  
من غرور عاذلته على قول الشعر لأنها مفرورة في أمره ، ولا موضع للعز  
ولا كان العذل للعز ولا العاذل عزيزاً بمذوله حيناً من الأحيان . ولا وجد  
هذا المعنى الذي تريدونه في سيرة اجتماعية ، أما أن يكون « للشاعر نفسه  
مثل هذا التركيب : بأبي أنت ما أعز بك الحق . . . » فن طريق الاحتجاج  
فذاك عزٌ وحق وهذا غرور وعذل ، و « ما أعز » مدح و « ما أعز » لوم  
وتأنيب ، و « ما أعز » مفعوله معه و « ما أعز » لا مفعول معه .

٥ - وفي ص ٧ « تهافتت المطي من السنام » والمعروف « السأم » بمدة  
على الألف كالسامة لفتح المحزة وفتح ما قبلها ، جاء في « سأل » من القاموس  
قول بلال بن جرير :

إذا ضفتهم أو سأيلتهم وجدت بهم علة حاضره

هكذا كتب لا « سنايلتهم » .

٦ - وصف « القاطول » في « ص ٧ » بهم والأحسن الرجوع الى « مراصد  
الاطلاع » ولا يزال مجراه فوق سامراً ، وهو مما يلي سامراً لا مما يلي بغداد ،  
والتحقيق أن في العراق عدة قواطيل .

٧ - وورد في « ص ٢١ » قول ابن الجهم :

هل بني العباس بأسو كلوهم فيجبر مني هاشم ماتهمشما

وأنا أرى أن الأصل «لعلّ فتي العباس» أو «لعل بني العباس تأسو» والأول أقوى عندي .

٨- وفي ص ٢٥ : «وتصوّل الأَرْضون حين يصول» بفتح الراء من «الأَرْضون» والصواب «الأَرْضون». يتسكين الراء لثلاثا ينكسر الوزن من بحر الخفيف ، قال الجوهرى «٠٠٠ وأَرْضون بفتحها أيضاً وربما سكنت» فأَرْضون ابن الجهم من هذا المسكن الراء .  
٩- وفي «ص ٢٢» :

يا شهر ذي الحجة قد أصبحت تشبهك الأيام والأشهرُ  
والصوابُ «تشنوك» لأنه شهر مبارك عزيز على الشاعر ، ولو كان مشبهاً لغيره من الأشهر لم يكن للبيت معنى ولا للذكر ذي الحجة مقام :  
١٠- ورد في كتاب الطرائف واللطائف لأبي نصر أحمد بن عبد الرزاق المقدمي «ص ٤٦» بيتان من قصيدة ابن الجهم الواردة في «ص ٢٨» من الديوان وهما (١) :

وما زلت أسمع أن الملوك تبني على قدر أخطارها  
فلما رأيتُ بناء الامام رأيتُ الخلافة في دارها

وفيها تصحيح ثان لما في الديوان و «رأيت» بدل «رأينا» .

ووردت فيه أيضاً «ص ١٥١» الأبيات السجنية الواردة في «ص ٤١» من الديوان . وما فيه بعض الخلاف «أوما رأيت الليث بألف غايبة» بدل «غيلة» وضبط فيه «مَعْتَقَبٌ» بدل «مُعَقَبٌ» في قوله ص ٤٤ «ولكل حال مُعَقَبٌ ولربما» . و «السجن» بدل «الحبس» في قوله ص ٤٥ - «والحبس ما لم تنشئه له نيئة» و «تجَلَّةٌ» بدل «كرامة» في قوله «بيت يجدد لكرم كرامة» . و «يقصد» بدل «يحفد» في قوله «ويزار فيه ولا يزور ويحفد» .

(١) في الأصل «ومن أحسن ما قيل في الدُّور قول علي بن الجهم ...» .



١١ - جاء في «ص ٥٥» ذكر قصر وضاح ، وذكرتم أن «قصر وضاح» قصر بُني للمهدي قرب رصافة بغداد ثم ذكرتم قول الخطيب إنه كان قرب الكرخ ، وشعر ابن الجهم يؤيد قول الخطيب فكان ينبغي الإعراض عن القول الأول ، لأن بين الرصافة والكرخ دجلة في الأقل فضلاً عن المسافات الطويلة الأخرى .

١٢ - وورد في الصفحة المذكورة «س ١٠» والسَّراة والصحيح «الصَّراة» بالصاد .

١٣ - وجاء في - ص ٦٣ - :

أتتنا القوافي صارخات لفقده مصلحة أرجازها وقصيدُها  
وقلتم في الحاشية «في الأصل مسلحة ٠٠٠» قلت والأصل أقرب إلى الحقيقة ، لأن المراد «مسلحة» من تسليب المرأة أي موت ولدها أو إلقائه لغير تمام فاستعار الشاعر الفعل بامم فاعله لأرجازها وقصيدُها . ولو كانت مصلحة ما قال في البيت الثاني «ارجعي موفورة» . لأن الوفر يدل على التمام .

١٤ - وفي ص ٦٧ قوله :

وإذا أسرَّ هوَى أشاد به دمع يُصرِّعه ويحدره  
ولعلَّ الأصل «يضرِّبه» فليس لتصريع الدمع مكان عند العرب ، ويصري منه نصربة الشاة وهي أن لا يجلبها حتى يتلى ضرعها لبناً ، فكأنه أراد أنه يحدر دمه بالجملة لا شيئاً فشيئاً بحسب المناصب والحوادث . أو لعله «يصرِّده» أي يقلِّله ومنه تصريد الشراب .

١٥ - وفي ص ٦٦ «أغلقها مالحه» وقلتم في الحاشية «وفي الأصل مصلحه» وهو نصحيف ، قلت : وهي لغة عراقية قديمة تعني «السد» على الأنهار ومن ذلك ما جاء في تجارب الأمم ج ٧ ص ٦٩ «وعمد إلى مصلح بغداد فأوجدها بعد الدم وأعادها إلى ربعتها بعد الهرم» وهي تحريف «المصنعة» الفصيحة .

وحرفت «المسلحة» في اللغة القديمة العامية الى «مصلحة» أيضاً ومسمى الرجل المسلحي «مصلحياً» رأيت في المنتظم لابن الجوزي ولا أذكر الموضوع وسأبحث عنه إن شاء الله تعالى .  
وجاء في - ص ٧٦ - :

وهذه أنت تلافيتها فعاد ما قد كاد لا يذكر  
وعندي أن الأصل «ما قد كان لا يذكر» لأن معناه على ما ورد في اللبوان أنه يذكر مع صعوبة مع أن مراد انشاعر أنه لم يكن يذكر قط كما قال - ص ٢٧ - :

ما مثلُ نعماك علينا به إلا الذي كان ولا يذكر

١٧ - وفي ص ٧٧ :

لئن جلّ ذنب ولم أعتدّه فأت أجلّ وأعلى بدا  
وذكرتم في الحاشية رواية «لأنت» وهي الصواب كما قال النابغة :  
لئن كنت قد بلغت عني وشابة لمبلغك الواشي أغش وأكذب  
فالجواب للقسم لا للشرط .

١٨ - وفي - ص ٨٧ - :

وكذا... الملك في تدبيره والعزّ دون فئاته والسودد  
فلتم «يباض بالأصل» وما هو إلا «يموت» فيكون «وكذا يموت الملك في تدبيره» .

١٩ - وجاء في ص ٩٠ «فبادرته يد المشتاق تستدّه» والصحيح «تستدّه» ومنه الاسناد، أما «تستدّه» فلأزم قال ابن فارس في المقاييس «يقال : سدت الى الشيء وأسند سنوداً... وأسندت غيري إسناداً... والاسناد في الحديث أن يُسندت الى قائله» .

٢٠ - وجاء في - ص ٩٥ - «سقى الله ليلاً ضمناً بعد فرقة» وفي بدائع

البدائه «لم أنس ليلاً ضمينا بعد هجمة» قال «وذكر ابن أبي طاهر في أخبار بغداد عن محمد بن عبدوس الفارسي أنه قال سرت يوماً الى علي بن الجهم فأشدني لنفسه في العناق : ولم أنس ليلاً . . .» .

٢١ - وجاء في - ص ١٠٥ - «وكما انسكبت في الكأس آية» وفسرتم آية بـ «متناهية في الحرارة» والذي أرى في معنى آية «ناضجة» ولا محل للحرارة (أ) في الحمر وإنما المراد نضجها بمرور الزمان عليها وإدراكها قال ابن فارس «وأما ادراك الشيء فالأنى تقول انتظرنا إني اللحم أي إدراكه» . وقال الجوهري «وأنى أيضاً : أدرك قال الله تعالى : غير ناظرين إناه» . أما «أنى الجهم . انتهى حره» فذلك معنى آخر .

٢٢ - وجاء في «ص ١١٣» بيت ذكر فيه الحارثي ، وقد ورد في أخبار أبي تمام «ص ١٨٤» ولم تشيروا الى ذلك ، وقد ورد ذكر الحارثي هذا وهو زياد بن عبيد الله ، في أخبار أبي تمام أيضاً «ص ٣٨ ، ١٤٠ ، ١٨٤» .

مصطفى جواد

\*\*\*\*\*

(يتبع)

(أ) من أسماء الحمر الحيا واشتقاقها من الحمو . وتوصف الحمر بالحرارة والتوقد والتهب إما اطعمها أو لونها أو لثمنها . قال ديك الجن :

فقام تكاد الكأس تحرق كفه من الشمس أو من وجنتيه استمارها  
وقال أبو نواس :

كدنا على عفتنا بالشك نسأله أراحنا نارنا أم نارنا الراح  
وقد شربوها سخنةً وفائرة كما شربوها مشمولة باردة قال عمرو بن كلثوم الثعلبي :

مشممة كائن الحس فيها إذا ما الماء خالطها سخينا  
وقال الوليد بن يزيد :

نشرها صرفاً وممزوجة بالسخن أحياناً وبالفاخر  
خليل مردم بك

## (مَرَحْمَةٌ) أم (مَحْمُضَنَةٌ) ؟

كنت أهدبت الى الزميل الفاضل الأمير مصطفى الشهابي نسخة من مصطلحاتي العلمية (من طبعها الرابعة ١٩٥٠) فأبدى رأيه في بعض منها في كلمة له نشرت في هذه المجلة (مجلد ٢٥ سنة ١٩٥٠ ج ١ ص ١١٦) تحت عنوان (نظرة في : مصطلحات علمية) . ولا ريب عندي أن الرصيف الحصيف لم يتوخ من نظرتي هذه إلا البحث عن الحقيقة التي ينشدها كل عالم محقق مثله . وكان محققاً في نقده ومنصفاً في حكمه ، فأشكره ههنا وقد سخرت لي الفرصة ، على عنايته بطالعة مصطلحاتي وإبدائه ملاحظاته على ما كان منها متعلقاً بالفنون الزراعية وهو من نخول هذا العلم وأحق من بيدي فيها رأياً .

واني مع الزميل الكريم بأن على المؤلف ألا يتجاوز في وضع المصطلحات الى علوم آخر هو غير إخصائي فيها لئلا تنزل به القدم . ولكن ما قول العلامة ، في مؤلف أراد أن يكتب مقالاً أو يؤلف كتاباً فوقع على كلمات أفرنجية لم يجد لها مصطلحات في المعاجم التي بين يديه ؟ أيقف عن عمله بانساً ، من أول عشرة أم يتابع السير ويضع من الكلمات ما يراه - بعد الاجتهاد - موافقاً ، غير مدّع بصوابية ما وضع إنما ألجأته الحاجة الى استعماله لئلا تقف الكلمة حائلاً في سبيل إتمام مقاله أو مؤلفه ، ثم هو يعرض مصطلحاته بعد ذلك في رسالة خاصة على أنظار القيورين على اللغة العلمية ليحسوها ويبدوا فيها آراءهم لعلمهم يهتدون الى ما هو أكثر ملاءمة منها للمعنى المطلوب ؟

هذا ما كانت حالي عليه يوم بدأت بال نشر والتأليف (سنة ١٩٢٤) والتهبضة العلمية العربية في سورية آنشد يصح أن يطلق عليها أنها كانت في بدء النشاط إذ لم يمض على خروج سورية من حكم العثمانيين بضع سنين واللهجة التركبية غالبية على الألسنة ، وليس من بعني بوضع المصطلحات في تلك الآونة ، إلا

بعض الهواة المولعين بلغة الضاد العاملين على التأليف والنشر ووضع المصطلحات وما أقل عددهم إذ ذاك ، أخص بالذكر منهم الأستاذة : مرشد خاطر ، وحمدي الخياط ، والمرحوم جميل الخاني الذين كانوا يكتبون في مجلة المعهد الطبي العربي ( أسست في مستهل عام ١٩٢٤ ) ولولا همهم العالية التي خصهم الله بها وتضحياتهم بأوقاتهم العالية للعمل في هذا الحقل - على ما فيه من جهد ومشقة بالغة - غيراً على لغة العلم العربية ، أقول لولا ذلك لما كانت الآن بين أيدينا هذه الشكيفة البديعة الحافلة بالمئات العديدة من الثمرات الينيرة ، جزاهم الله عن اللغة العلمية العربية خير جزاء وأطال عمر من لا يزال منهم في قيد الحياة ليجودوا على دائرة المعارف العربية من قرائحهم الوفاة الخصبة ، وهي بحق أجمل مثال للنشاط الفكري المتدفق ، بما يسجل لهم بمداد الفخر والاعجاب والإكبار .

ولم أقم بطبع مصطلحاتي العلمية للمرة الأولى ( ١٩٣٦ ) رسالة صغيرة بعدما نشرت تبعاً في مجلة المعهد الطبي ، إلا لأضم عملي الى أعمال من سبقني في هذا المضمار ليسهل انتقاء الأصلح من كلمات عربية عديدة لكلمة افرنجية واحدة ، حتى اذا قبض الله لهذه الأمة العربية لجنة علمية رسمية عامة قامت بإقرار الأوفق من هذه المصطلحات الجاهزة في شتى العلوم والفنون وطبعتها على شكل معجم كما هي عليه المعاجم الافرنجية العلمية ، فيتيسر بذلك للأستاذة والطلاب التعليم والدراسة بمصطلحات علمية صحيحة موحدة في جميع الأقطار العربية .

وغابتي من إعادة نشر مصطلحاتي مزبدة بما تيسر لي وضعه أو نحتته أو اشتقاقه لكلمات جدد ، لا تختلف أبداً عن مقصدي الأول وهو فسح المجال للغيرين على لغة الضاد العلمية للنظر فيها والعمل على ايجاد ما هو أصح وأصالح . واني لا تقبل بقبول حسن كل نقد لا يستهدف به الناقد النزبه غير الحقيقة والصواب .

( وفوق كل ذي علم عليم ) .

ولأنتقل الآن الى صدر الكتين (مَرخَمَة) و (مِحضَنَة) .

قال الأمير الصديق ، في نظرتي ، حول كلمة مرخمة : ( لو راجع المؤلف معجم الألفاظ الزراعية لوجد أن أصلح الأسماء لآلة التفريخ هذه هو - المِحضَنَة - ثم الحاضنة ثم الميرخمة وبامم الآلة . ولوجد ان الدجاجة التي تحضن بيضا هي الحاضن والراخم والرتقاء . وان العش أو السلة أو القصة أو الصندوق التي توضع فيها الدجاجة الحاضن هي المفرخ couvoir . ففي المعاجم ، المفرخ مواضع تفريخ الطير . وفي التاج لم يذكروا له مفرداً ، قلت وقياس مفردة على اسم المكان أو اسم الآلة ) ٥٠١ .

قلت : couveuse ( من اللاتينية cubare : نام ) هي آلة لتفريخ الدجاج في دور الزراعة أو دور النسيج لدراسة تطور الأجنة . وهي صندوق من خشب مستطيل ذو عيون حولها خزان الحرارة وهو غالباً الماء ، يسخن لدرجة ثابتة بمصباح البترول أو بغيره من بنابيع الحرارة .

وفي كتب اللغة : أرخمت الدجاجة على بيضا ورخمته وعليه رخماً ورخماً ورخمة وهي مرخم وراخم : حضنته . ورخمتها أهلها ترخياً ألزموها إياها . فاشتقاق كلمة من ( رخم ) هذه وزان مفعلة ( وكنت أول من أشار الى هذا الوزن وأدخله المصطلحات العلمية ) أي مرخمة ، بدل على المكان ( صندوق أو ماشئت ) الذي توضع فيه البيوض لتفريخها دجاجاً في دور الزراعة ، أو في دور النسيج لدراسة تطور الأجنة .

على هذا ، فأصلح الأسماء لآلة التفريخ هي التي وضعتها أي الميرخمة ( وكذا الميرخمة ) على صيغة اسم الآلة .

فالرخم والإرخام والترخيم كل هذا خاص بالدجاج وشرح المعاجم صريح . أما الحضن فقد جاء في مادة حضن : حضن الصبي حضناً وحضانة ، جعله في حضنه أو رباه كاحتضنه . والحاضنة الدابة . ( قلت ، والدابة

فارسية معناها ، المرضيع والتي تتولى العناية بالولد . والبترك يستعملونها بمعنى المرية أيضاً) .

- فالخاصة إذن هي من تتولى حضن الولد وتربيته فأولى أن تخصص للمربية .
- والمترخمة تخصيصاً ، للحيوانات وللأجهزة في المخاير أو في دور الزراعة .
- المحضنة أولى أن تخصص للدار التي تحضن فيها اللقطاء .
- وبقيني بعد هذا أن الأمير الصديق يوافقني على ما يلي :

• nourrice لما يقابل

• asile des enfants naturels des ou bâtards متحضنة لما يقابل

• couveuse مترخمة لما يقابل

الكواكبي



### مختصر (جمهرة النسب)

- كنت وصفت مخطوطة نفيسة بجهولة الأب هي (مختصر جمهرة النسب) .
- في الجزء الأول من المجلد السابعة والعشرين من مجلة (المجمع العلمي العربي) (ص ٤٠ - ٥٠) فكتب العلامة المحقق الدكتور مصطفى جواد - عضو المجمع - في الجزء الرابع من المجلد الثامنة والعشرين «ص ٦٥٧» مقالة يرجح فيها أن يكون المؤلف هو كمال الدين أبو البركات المبارك بن أبي بكر بن حمدان ابن أحمد بن علوان الموصلية المتوفى سنة ٥٦٥ هـ . وقال : (وأما عن الدين شيخه فينبارد الى الدهن أنه عن الدين علي بن محمد المعروف بابن الأثير المتوفى سنة ٥٦٣٠ هـ . وإلا فهو - مع بعض التسامح - عز الدين أبو القاسم عبد الله ابن الحسين الأنصاري الحموي الشافعي المتوفى سنة ٥٦٤٦ هـ) .

ولقد أبدى حضرة الباحث المحقق رأيه ودعم حجته بما يدل على سعة اطلاع ، وبمن عن خلق نبيل ، هو تقوية الصلات العلمية بين أقطار العروبة فحياه الله من عالم عامل ، وأكثر من أمثاله . وإن كان لي ما أطلق به على كلمة حضرة

الدكتور القيمة فهو انني قد اطلمت على كتاب ( المأخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي ) وهم ابن جني والواحدي وأبي العلاء والتبريزي والكندي . ومؤلف هذا الكتاب هو أبو العباس احمد بن علي بن معقل الأزدي المهلب الحنصلي عز الدين . المولود سنة ٥٦٧ والمتوفى سنة ٦٤٤ في شهر ربيع الأول منها . وهو الذي يغلب على ظني أنه شيخ مختصر الجهرة - بكسر الصاد - فقد رحل الى بغداد وأخذ النحو عن أبي البقاء العكبري وغيره . وله ترجمة في الشذرات ( ج ٥ ص ٢٢٥ ) وفي البغية ( ص ١٥١ ) . كتابه ( المأخذ ) يوجد منه نسخة في ( معهد المخطوطات ) التابع للإدارة الثقافية في الجامعة العربية مصورة على شريط رقه ( ٦٩٢ و ٦٣٢ و ٦٣٣ ) من مكتبة ( فيض الله ) باستنبول ورقم الأصل في هذه المكتبة ١٧٤٨ . ويقع في ٣٧٨ ورقة وفي آخره نقص . وفي الورقة ٢٥٦ : ( سمع جميع هذا الكتاب على مصنفه الشيخ الامام العالم العلامة عز الدين هجة العرب افتخار أهل الأدب أبي العباس أحمد بن علي ابن معقل الأزدي المهلب بقراءة الامام الفاضل جمال الدين أبي العباس احمد بن عبد الله بن شعيب التيمي ( كلمة غير واضحة ) شرف الدين أبو عبد الله الخطيب بن ابراهيم الاربلي و ٠٠٠ و ٠٠٠ وذلك في يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذي الحجة سنة أربعين وستائة بنزل المسمع بدمشق وأجاز للجماعة جميع ما يتجوز له روايته ٠٠ ) .

### هزيمة من كريمة السلطان عبد الحميد

أهدت الأميرة نائلة كريمة السلطان عبد الحميد الثاني الى دار الكتب الظاهرية بدمشق نسختين مذهبتين بخط جميل من القرآن الكريم ، كتب الأولى السيد حسن الحسيني سنة ١٢٨٤ ، والثانية بقلم السيد حسين الزهدي المعروف بقوجاقل زاده سنة ١٢٦١ ، ومعها نسخة مذهبة بخط حسن من دلائل الخيرات بقلم محمد وصفي المعروف بكبجي زاده ، فلها الشكر الجزيل .



# الفهرس العام

## لمواد المجلد التاسع والعشرين

### منسوقاً على حروف الهجاء

- |                                    |   |
|------------------------------------|---|
| آيات الخالق الكونية والنفسية       | (أ)                                     |
| (كتاب) ١٣٣                         | آراء وأنباء ١٤٠ ٤٢٨١ ٤٤٤٠ ٦٠٩٤٤٤        |
| (ب)                                | أبو سفيان ١٦٧                           |
| بجّل أم بيجل ؟ ٣١٠                 | أبو الطيب اللغوي ١٧٥                    |
| (ت)                                | أبو العلاء المعري ٤٨١ ٦٣٣١              |
| تاريخ علم الفلك في العراق ٤٢١٩ ٤٨٩ | أجزاء جديدة من تاريخ مدينة دمشق ١٤٩     |
| ٥٥٣ ٤٣٩٦                           | استدراك ٤٧٣                             |
| تاريخ فكرة إعجاز القرآن ٦١٠٤       | الاشارات الى معرفة الزيارات (كتاب)      |
| ٥٧٣ ٤١٧٦ ٢٣٩                       | ١٣٨                                     |
| تصويب أغلاط مطبعية ٣١٢             | الاشتقاق للاصمعي (٣) ١٨٤ ٤٢٣            |
| التعريف والنقد ٤٢٥ ٦٢٦١ ٤١١٥       | أعضاء المجمع العلمي العربي ١٤٤          |
| ٥٨٠                                | أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون ١٤٦ |
| تفسير جزء قد سمع (كتاب) ٤٣٨        | أغلاط مطبعية ١٥٥                        |
| تفسير القرآن (جزء أول) ٢٧٩         | الأمثال العامة للبنانية ١١٥             |
| تفكيرنا الشعري ١٦١                 | انتخاب أعضاء جدد ١٤٨                    |
| (ث)                                | انتخاب أعضاء مراسلين ٦٠٩                |
| ثورة الخيام (كتاب) ٢٦٣             | أوائل المقالات في المذاهب والمختارات    |
|                                    | (كتاب) ١٢٩                              |

- (س)  
سيرة الرسول (كتاب) ٦٠٤
- (ش)  
الشاعر القروي (كتاب) ٤٣٢  
شمس العلوم ودواء كلام العرب من  
الكلام (كتاب) ١٣٤  
شهرة الخيام بين العلم والأدب ٥١٢  
الشوارد أو خطرات عام (كتاب) ١٣٧
- (ص)  
صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من  
الآثار (كتاب) ٢٦٦
- (ع)  
علمني الحياة (كتاب) ١٢٦  
عمر الخيام ٥١٢
- (غ)  
(غول) أم (كحول)؟ ٤٧٤
- (ف)  
فضل الثنائية على المعجمية (٢) ٧٧  
الفلسطيينيات (كتاب) ٤٢٨  
الفنون لابن عقيل (كتاب) ٣٦  
فهرست مؤلفات محيي الدين ابن عربي  
٥٢٧ ، ٣٤٥
- (ك)  
كلمة الأمير جعفر الحسني في استقبال  
الدكتور سامي الدهان ٢٩٦
- (ج)  
جولة لغوية في كتاب النبات ٣٧٤ ،  
٥٣٧
- (ح)  
حول تصحيح سبعة أسطر ١٥٥  
حول ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١٥١  
حي بن يقظان ٤٠٦ ، ٥٦٣
- (خ)  
الخيام ٥١٢
- (د)  
دار الحديث العروية ٢١٥  
دارم وتوث ٤٧٦  
دراسات عن مقدمة ابن خلدون (تقد)  
٢٠٣ ، ٦٧  
دمشق من سنة ١٠٧٥ الى ١١٥٤ م  
(كتاب) ١٢٤  
ديوان ابن حيوس (كتاب) ٤٦٨
- (ر)  
رسالة حي بن يقظان مع شرحها لابن سينا  
٥٦٣ ، ٤٠٦  
رسالة الهدى (كتاب) ٤٣٧  
رعاية الطفولة والأمومة في قانون  
ابن سينا ٣٦٠

- معاني العقل في الفلسفة العربية ٤٩٦  
 معجم ألفاظ القرآن ( كتاب ) ٢٧٧  
 المغرب في حل المغرب ( كتاب ) ٥٨٠  
 مفرج الكروب في أخبار بني أبوب  
 ( كتاب ) ١٣٥  
 مقالة أبي العلاء أومذهب العقل ٤٨١٦٣٢١  
 مقدمة المرزوقي لشرحه لحماسة أبي تمام  
 ٥٤٤٠٣٨٧  
 ملاحظات على الجزء الرابع من المجلة ٣١٣  
 ملاحظات على ديوان علي بن الجهم ٦٢١  
 ملاحظات على مصطلحات طيبة ٦١٠  
 مناظرة عالمين في مجلس المأمون ٣  
 مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي  
 كتاب ٤٢٦  
 من صميم الحياة ( كتاب ) ٢٨٠  
 ( ن )  
 نسب قريش ( كتاب ) ٥٩٣  
 ( هـ )  
 الهوى والشباب ( كتاب ) ٢٦١  
 هدية كريمة السلطان عبد الحميد ٦٣٢  
 ( و )  
 وفاة الأستاذ أحمد أمين ٤٤٠  
 وفاة الأستاذ ك. و. و. سترستين ١٤٠  
 ولاية دمشق في عهد المالك وأوائل العهد  
 العثماني ( كتاب ) ١٢٣
- كلمة الدكتور حسني سبج في استقبال  
 الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي ٣٠٨  
 كلمة الدكتور حكمة هاشم في جلسة  
 استقباله ٤٤٥  
 كلمة الدكتور سامي الدهان في جلسة  
 استقباله ٢٨١  
 كلمة الأستاذ شفيق جبيري في استقبال  
 الدكتور حكمة هاشم ٤٥٩  
 كلمة الدكتور محمد صلاح الدين  
 الكواكبي في جلسة استقباله ٢٩٩  
 الكلمات العربية في اللغة الاردنية ٢٥٢  
 ( ل )  
 ليلي العنيفة ( كتاب ) ٤٢٩  
 ( م )  
 مجموعة رسائل ( كتاب ) ١٢٧  
 محاضرات المجمع العلمي العربي ( الجزء  
 الثاني ) ٤٢٥  
 محمود سامي البارودي ١١٧  
 محيي الدين ابن عربي ٥٢٧ ، ٣٤٥  
 مختصر جمهرة النسب ٦٣١  
 مخطوطات بدار الكتب ١٤٨  
 المدرسة العادلية الكبرى ٥٢  
 المدينة العادلة ٣٣٣  
 مرآة الزمان ( الجزء الثاني ) ١١٨  
 مرخنة أم محضنة ٦٢٨

# فهرس الا علام

أي أسماء كتآب المقالات المنسورة في هذا المجلد  
مرتبة على حروف الهجاء

٤٥٩٦٤٢٩٦٤٢٨٤٤٢٦٦٤٢٥

شوكة القنواقي ٣٦٠

(حرف الصاد)

٤ ١٣٥ ٤ ١٣٤ صلاح الدين النجد

٢١٥ ٤ ١٤٩ ٤ ١٣٨ ٤ ١٣٧

(حرف العين)

عارف النكدى ٤٣٢

٦٣٩٦٦ ٢١٩٤٨٩ عباس العزآوي

٥٥٣

٥١٢ عبد الحق فاضل

١٥١ عبد الفتاح أبو غدة

٦١١٧٤١١٥٦٣ عبد القادر المغربي

٥٣٧ ٦ ٣٧٤ ٤ ٢٨٠

٥٨٠ عبد الله كنون

٤ ١٢٧ ٤ ١٢٦ عز الدين التنوخي

٥٩٣ ٤ ١٧٥

٢٠٣ ٦ ٦٧ عمر فروخ

(حرف الألف)

٢٦٦ احمد السمان

(حرف الجيم)

٢٩٦٤١٢٤٦١٢٣٦١١٨ جعفر الحسيني

٤٩٦ ٦ ٣٣٣ جميل صليبا

(حرف الحاء)

٣٠٨ حسني سبج

٤٤٥ حكمة هاشم

٦٣١ حمد الجاسر

(حرف الخاء)

٤٨١ ٤ ٣٢١ خليل مردم بك

(حرف الدال)

١٤٠ دبدرينغ س

(حرف السين)

٢٨١ سامي الدهان

١٨٤ ٦ ٢٢ سليمان ظاهر

(حرف الشين)

٦٢٦٣٦٢٦١٤١٦١ شفيق جبيري

محمد صغبر حسن المصومي ٥٦٣ ٦٤٠٦

محمد الطاهر ابن عاشور ٥٤٤ ٦٣٨٧

محمود الملاح ٣١٣

مرشد خاطر ٦١٠

مرصحي الدومني ٣١٢ ٦٧٧

مصطفى جواد ٦٢١ ٦٤٦٨

منير العجلاني ١٦٧

(حرف النون)

نعيم الحمصي ٦٤١٧ ٦٢٣٩ ٦١٠٤

٥٢٣

(حرف الكاف)

كورد كيبس عواد ٥٢٧ ٦٣٤٥

(حرف الميم)

مبارك الباكستاني ٢٥٢

محمد أحمد دهمان ٤٧٣ ٦٥٢

محمد بهجة البيطار ٦١٣٣ ٦١٢٩

٦٢٧٧ ٦٢٧٩ ٦٤٣٧ ٦٤٣٨

٦٠٤

محمد حميد الله ٤٧٦

محمد صلاح الدين الكواكبي ٦٢٩٩

٦٢٨ ٦٤٧٤ ٦٣١٠

## فهرس الجزء الرابع من المجلد التاسع والعشرين

	صفحة
للأستاذ خليل سرمد بك . . . . .	٤٨١ مقالة أبي العلاء أو مذهب العقل (٢)
للدكتور جميل صايبا . . . . .	٤٩٦ معاني العقل في الفلسفة العربية
للأستاذ عبد الحق فاضل . . . . .	٥١٢ شهرة الحيام بين العلم والأدب
للأستاذ كور كيس عواد . . . . .	٥٢٧ فهرست مؤلفات محي الدين ابن عربي (٢)
للأستاذ عبد القادر المغربي . . . . .	٥٣٧ جولة لغوية في كتاب النبات (٢)
للأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور . . . . .	٥٤٤ مقدمة المرزوقي لشرحه لخامسة أبي تمام (٢)
للأستاذ عباس المزراوي . . . . .	٥٥٣ تاريخ علم الفلك في العراق (٤)
للدكتور محمد صفيح حسن المصومي . . . . .	٥٦٣ رسالة يحي بن يعقظان مع شرحها لابن سينا (٢)
للأستاذ نعيم الحمصي . . . . .	٥٧٣ تاريخ لفكرة إعجاز القرآن (٩)

### التعريف والنقد

للأستاذ عبد الله كتون . . . . .	٥٨٠ المغرب في حلي المغرب لابن سعيد المغربي
للأستاذ عز الدين التتوخي . . . . .	٥٩٣ كتاب نسب قرطاش
للأستاذ محمد بهجة البيطار . . . . .	٦٠٤ سيرة الرسول

### آراء وأبناء

. . . . .	٦٠٩ انتخاب أعضاء مراسلين
للدكتور مرعد خاطر . . . . .	٦١٠ ملاحظات على مصطلحات طبية
للدكتور مصطفى جواد . . . . .	٦٢١ ملاحظات على ديوان علي بن الجهم المطبوع
للدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي . . . . .	٦٢٨ ( تمرسة ) أم ( محضنة ) ؟
للأستاذ حمد الجاسر . . . . .	٦٣١ مختصر جمهرة النسب
. . . . .	٦٣٢ هدية من كريمة السلطان عبد الحميد
. . . . .	٦٣٣ الفهرس العام ( لمراد المجلد التاسع والعشرين )
. . . . .	٦٣٦ فهرس الأعلام ( أي أسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد )

## مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقَ

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
- ٣ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٤ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق  
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٥ - رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٦ - المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٧ - تاريخ حكام الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٨ - المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي الحسن التنوخي : بتحقيق  
الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - كتاب الأثرية لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - البصرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٢ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٣ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ . ف . جبريالي  
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٤ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٥ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملة الأستاذ خليل مردم بك
- ١٦ - ديوان ابن خثوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٧ - = = = (الجزء الثاني) = = =
- ١٨ - الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعماني (الجزء الأول) :  
بتحقيق الأمير جمفر الحسيني

- ١٩- الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر التميمي ( الجزء الثاني ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسيني
- ٢٠- الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢١- = = = = (الجزء الثاني) = = = =
- ٢٢- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم التاريخ ) وضعه  
الدكتور يوسف العث
- ٢٣- ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ٢٤- تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلد الأول) : بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٥- تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلد الثانية) :  
بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٦- فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق  
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ٢٧- طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن  
يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين .
- ٢٨- تاريخ داريا للقااضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٢٩- عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
- ٣٠- الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الاستانبولي : شرحه  
وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
- ٣١- التبصر بالتجارة للباحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
- ٣٢- المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي } بتحقيق الأستاذ  
٣٣- تمكلة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي } عن الدين التنوخي  
٣٤- بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الخنيلي الحلبي
- ٣٥- الرسالة النباتية: للأمبر ماضي الشهابي
- ٣٦- المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
- ٣٧- الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ أبي عبد الله الزنجاني